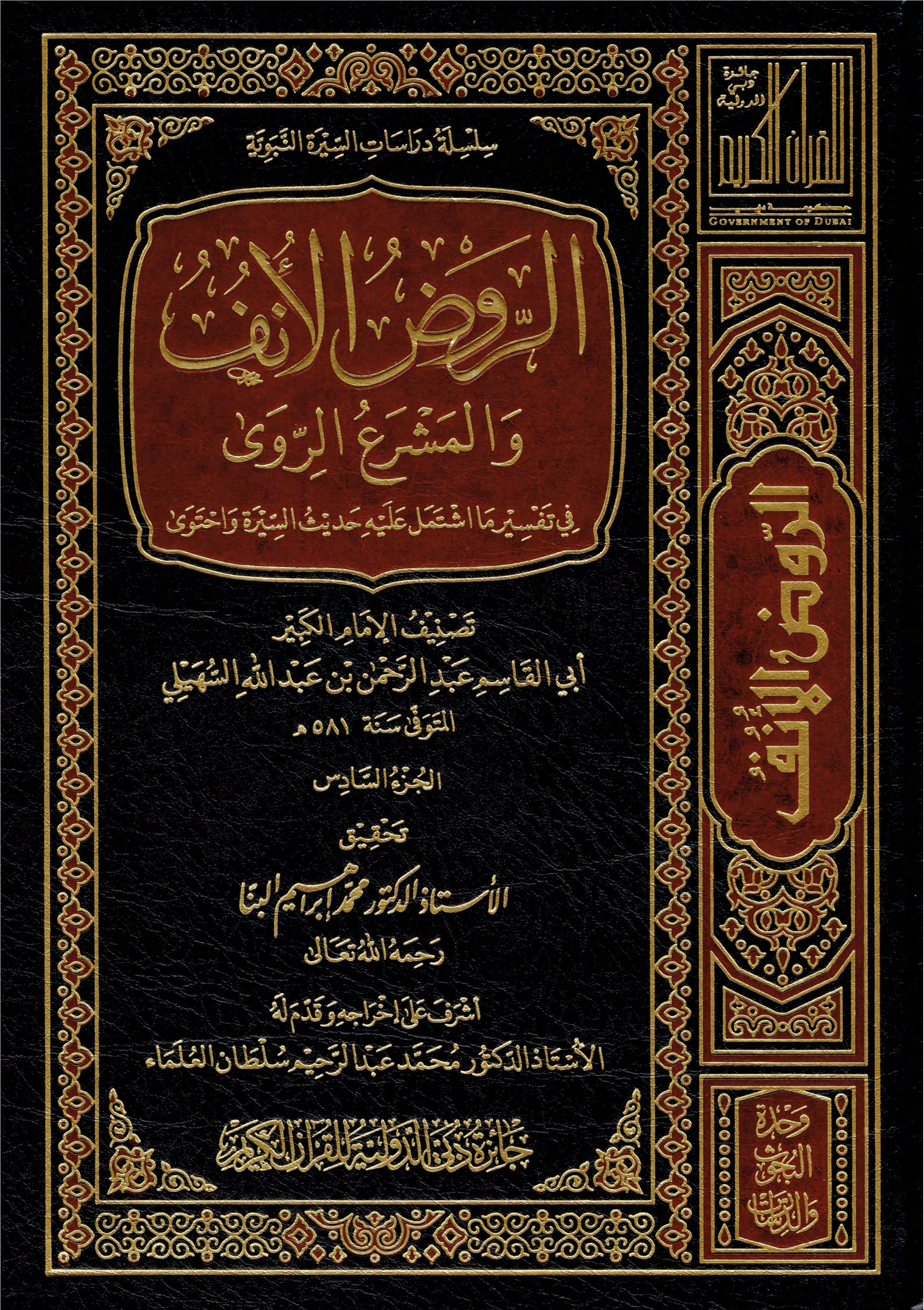
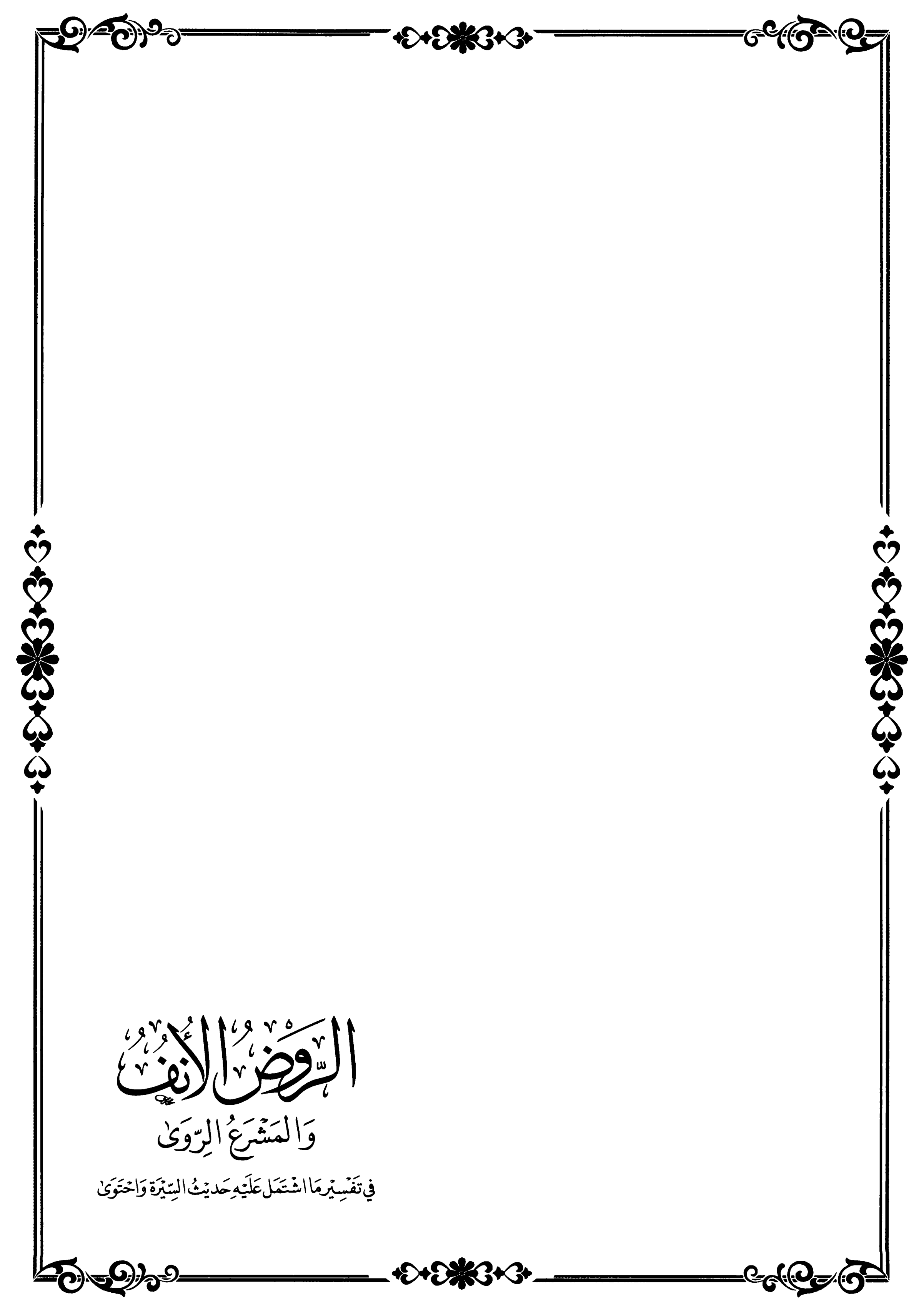

سلسلة دراسات السيرة النبوية
الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١هـ
الجزء السادس
تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى
أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
GOVERNMENT OF DUBAI
الروض الأنف
وحدة البحوث والدراسات


الرَّوضُ الأُنُفُ
وَالمَشرَعُ الرِّوَى
في تفسِيرِ ما اشتَمَلَ عليهِ حديثُ السِّيرَة واحتوى

الرّوض الأنف والمشرع الرّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

تحقيق : الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنّا

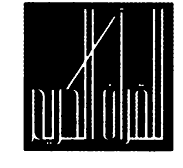
الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة

رقم (MC-03-01-2218168) تاريخ (٣٠/ ٠٣/ ٢٠٢١م)

الترقيم الدولي (ISBN) : 978-9948-8664-6-6







ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +

فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +

الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae

البريد الإلكتروني : research@quran.gov.ae







جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة دراسات السيرة النبوية

الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير

أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

المتوفى سنة ٥٨١ هـ

الجزء السادس

تحقيق

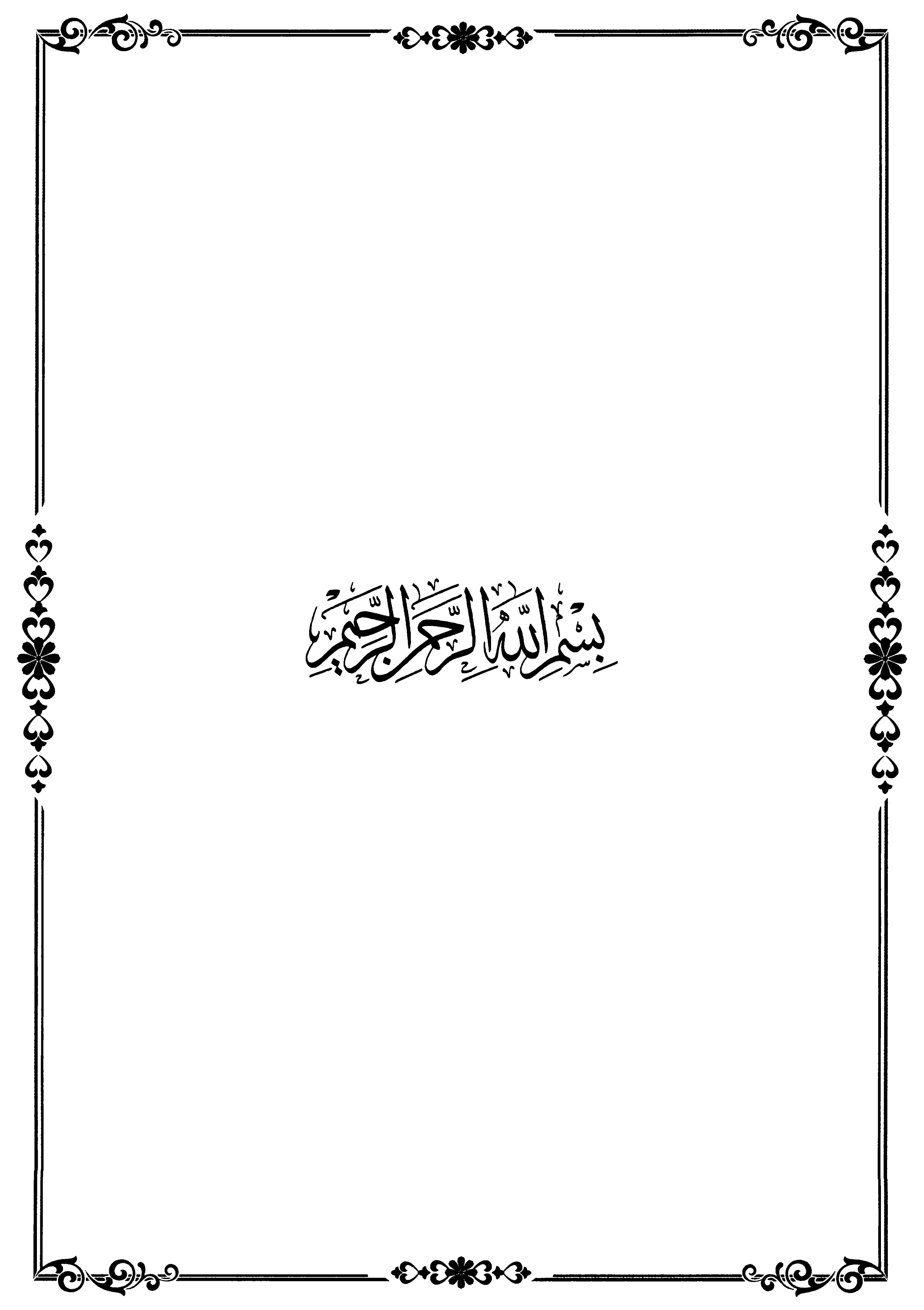
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا

رحمه الله تعالى

أشرف على إخراجه وقدم له

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

[مَقْتَلُ اليَمانِ وابنِ وقْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ النّاسُ انْهزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى انْتَهى بَعْضُهُمْ إلى المُنَقّى، دُونَ الأعْوَصِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ، قالَ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بنُ جابِرٍ وهُوَ اليَمانُ أبو حُذَيْفةَ بنُ اليَمانِ ـ وثابِتُ بنُ وَقْشٍ في الآطامِ مَعَ النِّساءِ والصِّبْيانِ، فقالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ، وهُما شَيْخانِ كَبِيرانِ: ما أبا لَكَ، ما تنْتَظر؟ فواللهِ لا بَقِيَ لِواحِدٍ مِنّا مِنْ عُمْرِهِ إلّا ظِمْءُ حِمارٍ، إنَّما نَحْنُ هامةُ اليَوْمِ أوْ غَدٍ، أفَلا نَأْخُذُ أسْيافَنا، ثُمَّ نَلْحَقُ برَسُولِ اللهِ ﷺ، لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنا شَهادةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فأخَذا أسْيافَهُما ثُمَّ خَرَجا، حَتّى دَخَلا في النّاسِ ولَمْ يُعْلَمْ بِهِما، فأمّا ثابِتُ بنُ وَقْشٍ فقَتَلَهُ المُشْرِكُونَ، وأمّا حُسَيْلُ بنُ جابِرٍ، فاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أسْيافُ المُسْلِمِينَ، فقَتَلُوهُ ولا يَعْرِفُونَهُ، فقالَ حُذَيْفةُ: أبِي، فقالُوا: واللهِ إنْ عَرَفْناهُ. وصَدَقُوا. قالَ حُذَيْفةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ. فأرادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يَدِيَهُ، فتَصَدَّقَ حُذَيْفةُ بِدِيَتِهِ على المُسْلِمِينَ، فزادَهُ ذلك عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرًا.

[فَصْلٌ][١]

[هذا][٢] وذَكَرَ ثابتَ بنَ وقْشٍ، والوَقْشُ: الحَرَكةُ، وحُسَيْلَ بنَ جابرٍ والِدَ حُذَيْفةَ بنِ اليَمانِ، وسُمِّيَ حُسَيْلَ بنَ جابرٍ: اليَمانَ[٣] لِأَنَّهُ مِنْ ولَدِ جِرْوةَ بنِ مازِنِ بنِ قُطَيْعةَ بنِ عبسٍ، وكانَ جِرْوةُ قَدْ بَعُدَ عَنْ أَهْلِهِ في اليمن زمنًا[٤] طويلًا، ثم رجع إِلَيْهِمْ فسَمَّوْهُ: اليَمانِي، وحُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ يُكَنّى: أبا عبدِ الله، حَلِيفُ بَنِي عبدِ الأَشْهَلِ، أُمُّهُ: الرّبابُ بِنْتُ كَعْبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ ـ يَعْنِي: اليَمانِي ـ أَسْيافُ المُسْلِمِينَ. وفي «تَفْسِيرِ ابنِ عَبّاسٍ»: إنّ الّذِي قَتَلَهُ مِنْهُمْ خَطَأً هُوَ عُتْبةُ بنُ مَسْعُودٍ أَخُو عبدِ الله ابن مسعودٍ، وجدُّ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُتْبةَ بنِ مَسْعُودٍ الفَقِيه، ذَكَرَهُ عبدُ بنُ حُمَيْدٍ في «التّفْسِير»، وعُتْبةُ هذا أَوَّلُ مَنْ سَمّى المُصْحَفَ مُصْحَفًا فيما رَوى ابنُ وهْبٍ[٥] في «الجامِعِ».

وَقَوْلُ ثابِتِ بنِ وقْشٍ وحُسَيْلٍ: «إنّما نَحْنُ هامةُ اليَوْمِ أوْ غَدٍ» يُرِيد: المَوْتَ، وكانَ مِنْ مَذْهَبِ العَرَبِ في المَيّتِ أَنَّ رُوحَهُ يصِيرُ هامةً، ولِذَلِكَ قالَ الآخَرُ[٦]:

[من الوافر]

---

(١) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٢) عن (ص)، (ج)، (ف).

(٣) في (ف)، (ص): «اليماني».

(٤) في (ف): «زمانًا».

(٥) هو الإمام شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن وهب، لقي بعض صغار التابعين، وحدث عنه خلقٌ كثير. وُلد في سنة (١٢٥هـ)، وله مؤلفات كثيرة، منها «الجامع»، وتوفي في شعبان سنة (١٩٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩: ٢٢٣).

(٦) هو شداد بن الأسود الليثي، وصدر البيت: =

فكَيْفَ[١] حَياةُ أصْداءٍ وهامِ؟

وقَوْلُهُ: «لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِنا إلّا ظِمْءُ حِمارٍ»، إنّما قال ذلك لأنَّ الحمار أقْصَرُ الدّوابِّ ظِمْئًا[٢]، والإبِلُ أطْوَلُها إظْماءً.

* * *

= يخبِّرنا الرسولُ بأن سنحيا

«أنساب الأشراف» للبلاذري: (١: ٣٠٧). (ج)

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «وكيف».

(٢) الظمء: ما بين الشربتين، وجمعه: أظماء. وفي المثل: «لم يبقَ منه إلا قدر ظِمْء الحمار»؛ أي: لم يبقَ من عمره إلا اليسير؛ لأن الحمار قليل الصبر على الظمأ.

[مَقْتَلُ حاطِبٍ، ومَقالَةُ أبيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ: أنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ كانَ يُدْعى: حاطِبَ بنَ أُمَيَّةَ بنِ رافِعٍ، وكانَ لَهُ ابنٌ يُقالُ لَهُ: يَزِيدُ بنُ حاطِبٍ، أصابَتْهُ جِراحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ، فأُتِيَ بِهِ إلى دارِ قَوْمِهِ وهُوَ بِالمَوْتِ، فاجْتَمَعَ إلَيْهِ أهْلُ الدّارِ، فجَعَلَ المُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لَهُ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ: أبْشِرْ يا ابن حاطِبٍ بِالجَنَّةِ، قالَ: وكانَ حاطِبٌ شَيْخًا قَدْ عَسا في الجاهِلِيَّةِ، فنَجَمَ يَوْمئِذٍ نِفاقُهُ، فقالَ: بِأيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَهُ؟ بِجَنَّةٍ مِنْ حَرْمَلٍ؟! غَرَرْتُمْ والله هذا الغُلامَ مِنْ نَفْسِهِ.

[مَقْتَلُ قُزْمانَ مُنافِقًا كَما حَدَّثَ الرَّسُولُ بِذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ، قالَ: كانَ فينا رَجُلٌ أتى لا يُدْرى مِمَّنْ هُوَ، يُقالُ لَهُ: قُزْمانُ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ إذا ذُكِرَ لَهُ: «إنَّهُ لَمِنْ أهْلِ النّارِ»، قالَ: فلَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ قاتَلَ قِتالًا شَدِيدًا، فقَتَلَ وحْدَهُ ثَمانِيَةً أوْ سَبْعَةً مِن المُشْرِكِينَ، وكانَ ذا بَأْسٍ، فأثْبَتَتْهُ الجِراحَةُ، فاحْتُمِلَ إلى دارِ بَنِي ظَفَرٍ، قالَ: فجَعَلَ رِجالٌ مِن المُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: واللهِ لَقَدْ أبْلَيْتَ اليَوْمَ يا قُزْمانُ، فأبشر، قالَ: بِماذا أبشر؟ فواللهِ إنْ قاتَلْتُ إلّا عَنْ أحْسابِ قَوْمِي، ولَوْلا ذلك ما قاتَلْتُ. قالَ: فلَمّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِراحَتُهُ أخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ، فقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ.

[قَتْلُ مُخَيْرِيقَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ مُخَيْرِيقُ، وكانَ أحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ ابنِ الفِطْيَوْنِ، قالَ: لَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قالَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ، قالُوا: إنَّ اليَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قالَ: لا سَبْتَ لَكُمْ.

فَأخَذَ سَيْفَهُ وعُدَّتَهُ، وقالَ: إنْ أُصِبْتُ فمالِي لِمُحَمَّدٍ يَصْنَعُ فيهِ ما شاءَ. ثُمَّ غَدا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقاتَلَ مَعَهُ حَتّى قُتِلَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنا: «مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ».

[أمْرُ الحارِثِ بنِ سُوَيْدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ الحارِثُ بنُ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ مُنافِقًا، فخَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ المُسْلِمِينَ، فلَمّا التَقى النّاسُ، عَدا على المُجَذَّرِ بنِ ذِيادٍ البَلَوِيِّ، وقَيْسِ بنِ زَيْدٍ أحَدِ بَنِي ضُبَيْعَةَ، فقَتَلَهُما، ثُمَّ لَحِقَ بِمَكَّةَ بِقُرَيْشٍ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيما يَذْكُرُونَ قَدْ أمَرَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ بِقَتْلِهِ إنْ هُوَ ظَفِرَ بِهِ، ففاتَهُ، فكانَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ بَعَثَ إلى أخِيهِ الجُلاسِ بنِ سُوَيْدٍ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ؛ لِيَرْجِعَ إلى قَوْمِهِ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ، فيما بَلَغَنِي، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخِرِ القِصَّةِ.

[تَحْقِيقُ ابنِ هِشامٍ فيمَنْ قَتَلَ المُجَذَّرَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ الحارِثَ بنَ سُوَيْدٍ قَتَلَ المُجَذَّرَ بنَ ذِيادٍ، ولَمْ يَقْتُلْ قَيسَ بنَ زَيْدٍ، والدَّلِيلُ على ذلك: أنَّ

ابنَ إسْحاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ في قَتْلى أُحُدٍ، وإنَّما قَتَلَ المُجَذَّرَ؛ لِأَنَّ المُجَذَّرَ بنَ ذِيادٍ كانَ قَتَلَ أباهُ سُوَيْدًا في بَعْضِ الحُرُوبِ الَّتِي كانَتْ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، وقَدْ ذَكَرْنا ذلك فيما مَضى مِنْ هذا الكِتابِ. فَبَيْنا رَسُولُ الله ﷺ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ؛ إذْ خَرَجَ الحارِثُ بنُ سُوَيْدٍ مِنْ بَعْضِ حَوائِطِ المَدِينةِ وعَلَيْهِ ثَوْبانِ مُضَرَّجانِ، فأمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ، فضَرَبَ عُنُقَهُ، ويُقالُ: بَعْضُ الأَنْصارِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قَتَلَ سُوَيْدَ بنَ الصّامِتِ مَعاذُ بنُ عَفْراءَ غِيلةً في غَيْرِ حَرْبٍ، رَماهُ بِسَهْمٍ فقَتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعاثَ.

[أَمْرُ أُصَيْرِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الحُصَيْنُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ ابنِ معاذٍ، عَنْ أبي سُفيانَ مَوْلى ابنِ أبي أَحْمَدَ، عَنْ أبي هُرَيْرةَ، قالَ: كانَ يَقُولُ: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ، فإذا لَمْ يَعْرِفْهُ النّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فيقُولُ: أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، عَمْرُو بنُ ثابِتِ بنِ وقْشٍ. قالَ الحُصَيْنُ: فقُلْتُ لِمَحْمُودِ بنِ أَسَدٍ: كَيْفَ كانَ شَأْنُ الأُصَيْرِمِ؟ قالَ: كانَ يَأْبى الإسْلامَ على قَوْمِهِ.

فَلَمّا كانَ يَوْمُ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أُحُدٍ، بَدا لَهُ في الإسْلامِ فأسْلَمَ، ثُمَّ أخَذَ سَيْفَهُ فعَدا حَتّى دَخَلَ في عُرْضِ النّاسِ، فقاتَلَ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الجِراحةُ، قالَ: فبَيْنا رِجالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتلاهُمْ في المَعْرَكةِ إذا هُمْ بِهِ، فقالُوا: والله إنَّ هذا لَلأُصَيْرِمُ، ما جاءَ بِهِ؟ لَقَدْ تَرَكْناهُ وإنَّهُ لِمُنْكِرٌ لِهذا الحَدِيثِ، فسَأَلُوهُ: ما جاءَ بِهِ؟ فقالُوا: ما جاءَ بِكَ يا عَمْرُو؟ أَحَدَبٌ على قَوْمِكَ أَمْ رَغْبةٌ في الإسْلامِ؟ قالَ: بَلْ رَغْبةٌ في الإسْلامِ، آمَنْتُ بالله وبِرَسُولِهِ وأَسْلَمْتُ،

ثُمَّ أخَذْتُ سَيْفي، فغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قاتَلْتُ حَتّى أصابَنِي ما أصابَنِي، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أنْ ماتَ في أيْدِيهِمْ. فذَكَرُوهُ لِرَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: «إنَّهُ لَمِنْ أهْلِ الجَنّةِ».

[مَقْتَلُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ أشْياخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: أنَّ عَمْرَو بنَ الجَمُوحِ كانَ رَجُلًا أعْرَجَ شَدِيدَ العَرَجِ، وكانَ لَهُ بَنُونَ أرْبَعةٌ مِثْلُ الأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المَشاهِدَ، فلَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ أرادُوا حَبْسَهُ، وقالُوا لَهُ: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قَدْ عَذَرَكَ. فأتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: إنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هذا الوَجْهِ، والخُرُوجِ مَعَك فيهِ، فوالله إنِّي لَأَرْجُو أنْ أطأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ في الجَنّةِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أمّا أنْتَ فقَدْ عَذَرَكَ الله، فلا جِهادَ عَلَيْكَ، وقالَ لِبَنِيهِ: ما عَلَيْكُمْ ألّا تَمْنَعُوهُ؛ لَعَلَّ الله أنْ يَرْزُقَهُ الشَّهادةَ» فخَرَجَ مَعَهُ فقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ.

[هِنْدُ وتَمْثِيلُها بِحَمْزةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ووَقَعَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ ـ كَما حَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ ـ والنِّسْوةُ اللّاتِي مَعَها، يُمَثِّلْنَ بِالقَتْلى مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، يَجْدَعْنَ الآذانَ والآنُفَ، حَتّى اتَّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ آذانِ الرِّجالِ وآنُفِهِمْ خَدَمًا وقَلائِدَ، وأعْطَتْ خَدَمَها وقَلائِدَها وقِرَطَتَها وحْشِيًّا، غُلامَ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزةَ فلاكَتْها، فلَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تُسِيغَها، فلَفَظَتْها، ثُمَّ عَلَتْ على صَخْرةٍ مُشْرِفةٍ، فصَرَخَتْ بِأعلى صَوْتِها، فقالت:

نَحْنُ جَزَيْناكُمْ بِيَــوْمِ بَدْرِ ... والحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذاتُ سُعْرِ

ما كانَ عَنْ عُتْبةَ لِي مِنْ صَبْرِ ولا أخِي وعَمِّـهِ وبَكْـرِي
شَفيتُ نَفْسِي وقَضَيْتُ نَذْرِي شَفيتَ وحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُـكْرُ وحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي حَتّى تَرُمَّ أعْظُـمِي في قَبْرِي

[شِعْرُ هِنْدَ بِنْتِ أُثاثَةَ في الرَّدِّ على هِنْدَ بِنْتِ عُتْبةَ]

فَأجابَتْها هِنْدُ بِنْتُ أُثاثةَ بنِ عَبّادِ بنِ المُطَّلِبِ، فقالَتْ:

خَزِيــتِ في بَـدْرٍ وبَعْدَ بدرِ يا بنتَ وقّاعٍ عَظِيمِ الكُفْرِ
صَبَّحَك الله غَـداةَ الفَجْرِ مِلْهاشِـمِيّين الطِّوالِ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قَطّاعٍ حُسـامٍ يَفْرِي حَمْزةُ لَيْـثِي وعَـلِيٌّ صَقْرِي
إذْ رامَ شَـيْبٌ وأبوكِ غَدْرِي فخَضَّبا مِنْـهُ ضَواحِي النَّحْرِ
وَنَذْرُك السُّـوءَ فـشَرُّ نَذْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها ثَلاثةَ أبْياتٍ أقْذَعَتْ فيها.

[شِعْرٌ لِهِنْدَ بِنْتِ عُتْبةَ أيْضًا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ أيْضًا:

شَفيتُ مِنْ حَمْزةَ نَفْسِي بِأُحُدْ حَتّى بَقَـرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الكَبِدْ
أذْهَبَ عَنِّي ذاكَ ما كُنْتُ أجِدْ مِنْ لَذْعةِ الحُزْنِ الشَّدِيدِ المُعْتَمِدْ
والحَرْبُ تَعْلُوكُمْ بِشُؤْبُوبِ بَرِدْ تُقْدِمُ إقْدامًا عَلَيْكُمْ كالأسَدْ

[تَحْرِيضُ عُمَرَ لِحَسّانَ على هَجْوِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ فحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ قالَ لِحَسّانَ بنِ ثابِتٍ: يا ابن الفُرَيْعةِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: الفُرَيْعةُ

بِنْتُ خالِدِ بنِ خُنَيْسٍ، ويُقالُ: خُنَيْسُ: بنُ حارِثَةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عَبْدِ وُدٍّ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ ـ لَوْ سَمِعْتَ ما تَقُولُ هِنْدُ، ورَأَيْتَ أَشَرَها قائِمَةً على صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بِنا، وتَذْكُرُ ما صَنَعَتْ بِحَمْزَةَ، قالَ لَهُ حَسّانُ: واللهِ إنِّي لَأَنْظُرُ إلى الحَرْبَةِ تَهْوِي وأنا على رَأْسِ فارِعٍ ـ يَعْنِي: أُطُمَهُ ـ فقُلْتُ: واللهِ إنَّ هَذِهِ لَسِلاحٌ ما هِيَ بِسِلاحِ العَرَبِ، وكَأَنَّها إنَّما تهوي إلى حمزة ولا أدْرِي، لَكِنْ أَسْمِعْنِي بَعْضَ قَوْلِها أَكْفِكُمُوها، قالَ: فأَنْشَدَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بَعْضَ ما قالَتْ، فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

أَشِرَتْ لَكاعِ وكانَ عادَتُها ... لُؤْمًا إذا أَشِرَتْ مَعَ الكُفْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذا البَيْتُ في أَبْياتٍ لَهُ تَرَكْناها، وأَبْياتًا أَيْضًا لَهُ على الدّالِ، وَأَبْياتًا أُخَرَ على الذّالِ؛ لِأَنَّهُ أَقْذَعَ فيها.

[اسْتِنْكارُ الحُلَيْسِ على أبي سُفيانَ تَمْثِيلَهُ بِحَمْزَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ الحُلَيْسُ بنُ زَبّانَ، أَخُو بَنِي الحارِثِ بنِ عَبْدِ مَناةَ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحابِيشِ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سُفيانَ وهُوَ يَضْرِبُ في شِدْقِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِزُجِّ الرُّمْحِ ويَقُولُ: ذُقْ عُقَقُ، فقالَ الحُلَيْسُ: يا بَنِي كِنانَةَ، هذا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بِابنِ عَمِّهِ ما تَرَوْنَ لَحْمًا؟ فقالَ: وَيْحَكَ! اكْتُمْها عَنِّي؛ فإنَّها كانَتْ زَلَّةً.

[شَماتَةُ أبي سُفيانَ بِالمُسْلِمِينَ بَعْدَ أُحُدٍ، وحَدِيثُهُ مَعَ عُمَرَ]

ثُمَّ إنَّ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ حِينَ أرادَ الاِنْصِرافَ، أَشْرَفَ على الجَبَلِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعلى صَوْتِهِ، فقالَ: أَنْعَمَتْ فَعالِ، وإنَّ الحَرْبَ سِجالٌ يَوْمٌ بِيَوْمٍ، اعْلُ هُبَلُ؛ أيْ: أَظْهِرْ دِينَكَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُمْ يا عُمَرُ فأَجِبْهُ، فقُل: اللهُ

أعلى وأجَلُّ، لا سَواءً، قَتلانا في الجَنّةِ، وقَتْلاكُمْ في النّارِ». فلَمّا أجابَ عُمَرُ أبا سُفيانَ، قالَ لَهُ أبو سُفيانَ: هَلُمَّ إلَيَّ يا عُمَرُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: «ائْتِهِ فانْظُرْ ما شَأْنُهُ»، فجاءَهُ، فقالَ لَهُ أبو سُفيانَ: أنْشُدُكَ اللهَ يا عُمَرُ، أقَتَلْنا مُحَمَّدًا؟ قالَ عُمَرُ: اللهُمَّ لا، وإنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلامَكَ الآنَ، قالَ: أنْتَ أصْدَقُ عِنْدِي مِن ابنِ قَمِئَةَ وأبَرُّ؛ لِقَوْلِ ابنِ قَمِئَةَ لَهُمْ: إنِّي قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ ابنِ قَمِئَةَ: عَبْدُ اللهِ.

[تَوَعُّدُ أبِي سُفيانَ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ نادى أبو سُفيانَ: إنَّهُ قَدْ كانَ في قَتْلاكُمْ مَثْلٌ، واللهِ ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أمَرْتُ.

وَلَمّا انْصَرَفَ أبو سُفيانَ ومَنْ مَعَهُ، نادى: إنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعامِ القابِلِ. فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أصْحابِهِ: «قُلْ: نَعَمْ، هُوَ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ».

[خُرُوجُ عَلِيٍّ في آثارِ المُشْرِكِينَ]

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، فقالَ: «اخْرُجْ في آثارِ القَوْمِ، فانْظُرْ ماذا يَصْنَعُونَ؟ وما يُرِيدُونَ؟ فإنْ كانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ، وامْتَطَوُا الإبِلَ؛ فإنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكّةَ، وإنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وساقُوا الإبِلَ، فإنَّهُمْ يُرِيدُونَ المَدِينةَ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ أرادُوها لَأسِيرَنَّ إلَيْهِمْ فيها، ثُمَّ لَأُناجِزَنَّهُمْ». قالَ عَلِيٌّ: فخَرَجْتُ في آثارِهِمْ أنْظُرُ ماذا يَصْنَعُونَ؟ فجَنَّبُوا الخَيْلَ، وامْتَطَوُا الإبِلَ، ووَجَّهُوا إلى مَكّةَ.

[أمر القَتْلى بِأُحُدِ]

وَفَرَغَ النّاسُ لِقَتْلاهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ كما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبي صَعْصَعةَ المازِنِيُّ، أخُو بَنِي النَّجّارِ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي ما فعَلَ سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ؟ أفي الأحْياءِ هُوَ أمْ في الأمْواتِ؟ فقالَ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ: أنا أنْظُرُ لَكَ يا رَسُولَ الله ما فعَلَ سَعْدٌ، فنَظَرَ فوَجَدَهُ جَرِيحًا في القَتْلى وبِهِ رَمَقٌ. قالَ: فقُلْتُ لَهُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَنِي أنْ أنْظُرَ: أفي الأحْياءِ أنْتَ أمْ في الأمْواتِ؟ قالَ: أنا في الأمْواتِ، فأبْلِغْ رَسُولَ الله ﷺ عَنِّي السَّلامَ، وقُلْ لَهُ: إنَّ سَعْدَ بنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزاكَ الله عَنّا خَيْرَ ما جَزى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وأبْلِغْ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلامَ وقُلْ لَهُمْ: إنَّ سَعْدَ بن الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إنَّهُ لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ الله إنْ خُلِصَ إلى نَبِيِّكُمْ ﷺ ومِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. قالَ: ثُمَّ لَمْ أبْرَحْ حَتّى ماتَ، قالَ: فجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فأخْبَرْتُهُ خَبَرَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو بَكْرٍ الزُّبَيْرِيُّ: أنَّ رَجُلًا دَخَلَ على أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وبِنْتٌ لِسَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ جارِيَةٌ صَغِيرَةٌ على صَدْرِهِ يَرْشُفُها ويُقَبِّلُها، فقالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَنْ هَذِهِ؟ قالَ: هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي، سَعْدِ بن الرَّبِيعِ، كانَ مِن النُّقَباءِ يَوْمَ العَقَبةِ، وشَهِدَ بَدْرًا، واسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

[حُزْنُ الرَّسُولِ على حَمْزَةَ، وتَوَعُّدُهُ المُشْرِكِينَ بِالمُثْلةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَنِي - يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ ابنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فوَجَدَهُ بِبَطْنِ الوادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، ومُثِّلَ بِهِ، فجُدِعَ أنْفُهُ وأُذُناهُ.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ حِينَ رَأى ما رَأى: لَوْلا أَنْ تَحْزَنَ صَفيةُ، ويَكُونَ سُنّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتّى يَكُونَ في بُطُونِ السِّباعِ، وحَواصِلِ الطَّيْرِ، ولَئِنْ أَظْهَرنِي الله على قُرَيْشٍ في مَوْطِنٍ مِن المَواطِنِ، لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ. فلَمّا رَأى المُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ الله ﷺ وغَيْظَهُ على مَنْ فعَلَ بِعَمِّهِ ما فعَلَ، قالُوا: والله لَئِنْ أَظْفَرَنا الله بِهِمْ يَوْمًا مِن الدَّهْرِ، لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْها أَحَدٌ مِن العَرَبِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ولَمّا وقَفَ رَسُولُ الله ﷺ على حَمْزَةَ، قالَ: «لَنْ أُصابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! ما وقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هذا!»، ثُمَّ قالَ: «جاءَنِي جِبْرِيلُ فأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ في أَهْلِ السَّمواتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ، أَسَدُ الله، وأَسَدُ رَسُولِهِ». وكانَ رَسُولُ الله ﷺ وحَمْزَةُ وأبو سَلَمَةَ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ إِخْوةً مِن الرَّضاعةِ، أَرْضَعَتْهُمْ مَوْلاةٌ لِأَبي لَهَبٍ.

[ما نَزَلَ في النَّهْي عَن المُثْلةِ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بُرَيْدةُ بنُ سُفيانَ بنِ فَرْوةَ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، وحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَن ابنِ عَبّاسٍ: أَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْزَلَ في ذلك مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ، وقَوْلِ أَصْحابِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ * وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧]، فعَفا رَسُولُ الله ﷺ، وصَبَرَ، ونَهى عَن المُثْلةِ.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَن الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ، قالَ: ما قامَ رَسُولُ الله ﷺ في مَقامٍ قَطُّ ففارَقَهُ، حَتّى يَأْمُرَنا بِالصَّدَقةِ، ويَنْهانا عَن المُثْلةِ.

[صَلاةُ الرَّسُولِ على حَمْزَةَ والقَتْلى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ مِقْسَمٍ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْزةَ فسُجِّيَ بِبُرْدةٍ ثُمَّ صَلّى عَلَيْهِ، فكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيراتٍ، ثُمَّ أُتِيَ بِالقَتْلى فيوضَعُونَ إلى حَمْزَةَ، فصَلّى عَلَيْهِمْ وعَلَيْهِ مَعَهُمْ، حَتّى صَلّى عَلَيْهِ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ صَلاةً.

[صَفيةُ وحُزْنُها على حَمْزَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ أقْبَلَتْ ـ فيما بَلَغَنِي ـ صَفيةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لِتَنْظُرَ إلَيْهِ، وكانَ أخاها لِأبيها وأُمِّها، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِابنِها الزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ: القَها فأرْجِعْها، لا تَرى ما بِأخِيها، فقالَ لَها: يا أُمَّهْ، إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكِ أنْ تَرْجِعِي، قالَتْ: ولِمَ وقَدْ بَلَغَنِي أنْ قَدْ مُثِّلَ بِأخِي؟ وذلك في اللهِ، فما أرْضانا بِما كانَ مِنْ ذلك! لَأحْتَسِبَنَّ ولَأصْبِرَنَّ إنْ شاءَ اللهُ.

فَلَمّا جاءَ الزُّبَيْرُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ بِذلك، قالَ: خَلِّ سَبِيلَها، فأتَتْهُ، فنَظَرَتْ إلَيْهِ، فصَلَّتْ عَلَيْهِ، واسْتَرْجَعَتْ، واسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ أمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فدُفِنَ.

[دَفْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ مَعَ حَمْزَةَ]

قالَ: فزَعَمَ لِي آلُ عَبْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ ـ وكانَ لِأُمَيْمةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، حَمْزةُ خالُهُ، وقَدْ كانَ مُثِّلَ بِهِ كَما مُثِّلَ بِحَمْزةِ، إلّا أنَّهُ لَمْ يُبْقَرْ عَنْ كَبِدِهِ ـ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَفَنَهُ مَعَ حَمْزَةَ في قَبْرِهِ، ولَمْ أسْمَعْ ذلك إلّا عَنْ أهْلِهِ.

[دَفْنُ الشُّهَداءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ قَد احْتَمَلَ ناسٌ مِن المُسْلِمِينَ قَتْلاهُمْ إلى المَدِينةِ، فدَفَنُوهُمْ بِها، ثُمَّ نَهى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذلك، وقالَ: «ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ العُذْرِيِّ، حَلِيفِ بَنِي زُهْرةَ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمّا أشْرَفَ على القَتْلى يَوْمَ أُحُدٍ، قالَ: «أنا شَهِيدٌ على هَؤُلاءِ، إنَّهُ ما مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ في الله، إلّا والله يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيامةِ يَدْمى جُرْحُهُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ، انْظُرُوا أكْثَرَ هَؤُلاءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ، فاجْعَلُوهُ أمامَ أصْحابِهِ في القَبْرِ»، وكانُوا يَدْفِنُونَ الِاثْنَيْنِ والثَّلاثَةَ في القَبْرِ الواحِدِ.

قالَ: وحَدَّثَنِي عَمِّي مُوسى بنُ يَسارٍ، أنَّهُ سَمِعَ أبا هُرَيْرةَ يَقُولُ: قالَ أبو القاسِمِ ﷺ: «ما مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ في الله، إلّا والله يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيامةِ وجُرْحُهُ يَدْمى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ أشْياخٍ مِنْ بَنِي سَلِمةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَئِذٍ حِينَ أمَرَ بِدَفْنِ القَتْلى: «انْظُرُوا إلى عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ، وعَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ حَرامٍ؛ فإنَّهُما كانا مُتَصافيَيْنِ في الدُّنْيا، فاجْعَلُوهُما في قَبْرٍ واحِدٍ».

[حُزْنُ حَمْنةَ على زوجها مصعب]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ راجِعًا إلى المَدِينة، فلَقِيته حمنة بِنْتُ جَحْشٍ، كَما ذُكِرَ لِي، فلَمّا لَقِيَت النّاسَ نُعِيَ إلَيْها أخُوها عَبْدُ الله ابنُ جَحْشٍ، فاسْتَرْجَعَتْ واسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَها خالُها حَمْزةُ بنُ

عَبْدِ المُطَّلِبِ، فاسْتَرْجَعَتْ واسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَها زَوْجُها مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، فصاحَتْ ووَلْوَلَتْ! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ زَوْجَ المَرْأةِ مِنْها لَبِمَكانٍ!»؛ لِما رَأى مِنْ تَثَبُّتِها عِنْدَ أخِيها وخالِها، وصِياحِها على زَوْجِها.

[بُكاءُ نِساءِ الأنْصارِ على حَمْزَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِدارٍ مِنْ دُورِ الأنْصارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ وظَفَرٍ، فسَمِعَ البُكاءَ والنَّوائِحَ على قَتْلاهُمْ، فذَرَفَتْ عَيْنا رَسُولِ الله ﷺ، فبَكى، ثُمَّ قالَ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكِيَ لَهُ!»، فلَمّا رَجَعَ سَعْدُ ابنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ إلى دارِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، أمَرا نِساءَهُمْ أنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فيَبْكِينَ على عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي حَكِيمُ بنُ حَكِيمٍ، عَنْ عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ، عَنْ بَعْضِ رِجالِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، قالَ: لَمّا سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ بُكاءَهُنَّ على حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وهُنَّ على بابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فقالَ: «ارْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ الله؛ فقَدْ آسَيْتُنَّ بِأنْفُسِكُنَّ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: ونُهِيَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْحِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمّا سَمِعَ بُكاءَهُنَّ، قالَ: «رَحِمَ الله الأنْصارَ! فإنَّ المُواساةَ مِنْهُمْ ما عَتَّمَتْ لَقَدِيمةٌ، مُرُوهُنَّ فلْيَنْصَرِفْنَ».

[شَأْنُ المَرْأةِ الدِّينارِيّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الواحِدِ بنُ أبي عَوْنٍ، عَنْ إسْماعِيلَ بنِ

مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ، قالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِامْرَأةٍ مِنْ بَنِي دِينارٍ وقَدْ أُصِيبَ زَوْجُها وأخُوها وأبوها مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ، فلَمّا نُعُوا لَها، قالَتْ: فما فعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قالُوا: خَيْرًا يا أُمَّ فُلانٍ، هُوَ بِحَمْدِ الله كَما تُحِبِّينَ، قالَتْ: أرُونِيهِ حَتّى أنْظُرَ إلَيْهِ؟ قالَ: فَأُشِيرَ لَها إلَيْهِ، حَتّى إذا رَأتْهُ قالَتْ: كُلُّ مُصِيبةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيدُ: صَغِيرةً.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الجَلَلُ: يَكُونُ مِن القَلِيلِ، ومِن الكثيرِ، وهُوَ ههُنا مِن القَلِيلِ.

قالَ امْرُؤُ القَيْسِ في الجَلَلِ القَلِيلِ:

لَقَتْلُ بَنِي أسَدٍ رَبَّهُمْ ... ألا كُلُّ شَيْءٍ سِواهُ جَلَلْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأمّا قَوْلُ الشّاعِرِ، وهُوَ الحارِثُ بنُ وعْلةَ الجَرْمِيُّ:

وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأعْفُوَنْ جَلَلًا ... ولَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي

فَهُوَ مِن الكَثِيرِ.

[غَسْلُ السُّيُوفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْتَهى رَسُولُ الله ﷺ إلى أهْلِهِ ناوَلَ سَيْفَهُ ابنَتَهُ فاطِمةَ، فقالَ: «اغْسِلِي عَنْ هذا دَمَهُ يا بنيّة، فوالله لَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ»، وناوَلَها عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ سَيْفَهُ، فقالَ: وهذا أيْضًا، فاغْسِلِي عَنهُ دَمه، فوالله لَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ القِتالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ وأبو دُجانةَ».

وذَكَرَ «قُزْمانَ»، وهُوَ اسْمٌ[١] مَأْخُوذٌ مِنَ القَزَمِ، وهُوَ رُذالُ المالِ، ويُقالُ: القُزْمانُ: الرّدِيءُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ.

وَذَكَرَ «الأُصَيْرِمَ»، وهُوَ عَمْرُو[٢] بنُ ثابِتِ بنِ وقْشٍ، ويُقالُ فيهِ: وقَشٌ بتَحْرِيكِ القافِ.

وَقَوْلُ حاطِبٍ المُنافِقِ: «جَنّة مِنْ حَرْمَلٍ» يُرِيدُ: الأَرْضَ الّتِي دُفِنَ فيها، وكانَتْ تُنْبِتُ الحَرْمَلَ[٣]؛ أيْ: لَيْسَ لَهُ جَنّةٌ إلّا ذلكَ[٤].

فَصْلٌ

وذَكَرَ خَبَرَ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ حِينَ أرادَ بَنُوهُ أنْ يَمْنَعُوهُ مِنَ الخُرُوجِ... إلى آخِرِ القِصّةِ، وزادَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ أنّهُ لَمّا خَرَجَ قالَ: «اللهُمَّ لا تَرُدَّنِي»، فاسْتُشْهِدَ، فجَعَلهُ بَنُوهُ عَلى بَعِيرٍ لِيَحْمِلُوهُ إلى المَدِينةِ، فاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمُ البَعِيرُ، فكانَ[٥] إذا وَجَّهُوهُ إلى كُلِّ جِهةٍ سارَعَ إلّا جِهةَ المَدِينةِ، فكانَ يَأْبى [من][٦] الرّجُوعَ إلَيْها، فلَمّا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ذَكَرُوا قَوْلَهُ: اللهُمَّ لا تَرُدَّنِي [إلَيْها][٧]. فدَفَنُوهُ في مَصْرَعِهِ.

---

(١) «اسم» ليس في (ف).

(٢) في (ص): «عُمَر». وصوابه: «عمرو».
انظر: «أسد الغابة» (٤: ٢٠٢).

(٣) الحرمل: نبات صحراوي يُستعمل في الطب.

(٤) في (ف): «ذاك».

(٥) في (ص)، (ج): «فكانوا».

(٦) ليس في (أ).

(٧) ليس في (ب).

فَصْلٌ

وقَوْلُ هِنْدَ بِنْتِ أُثاثَةَ: [من الرجز]

مِلْهاشِـــمِيِّين الطِّوالِ الزُّهرِ

بِحَذْفِ النّونِ مِنْ حَرْفِ «مِنْ» لِالتِقاءِ السّاكِنَيْنِ، ولا يَجُوزُ ذَلِكَ إلّا في «مِنْ» وحْدَها لِكَثْرةِ اسْتِعْمالِها، كَما خُصَّتْ نُونُها بِالفَتْحِ إذا التَقَتْ مَعَ لامِ التّعْرِيفِ، ولا يَجُوزُ ذَلِكَ في نُونٍ ساكِنةٍ غَيْرِها، كَرِهُوا تَوالِيَ كَسْرَتَيْنِ[1] مَعَ كثرة الِاسْتِعْمالِ، فإنِ التَقَتْ مَعَ ساكِنٍ غَيْرِ لامِ التّعْرِيفِ، نَحْوُ: مِنِ ابنِك، ومِنِ اسْمِك، كُسِرت عَلى الأصْلِ والقِياسِ المُسْتَتِبِّ. قالَ سِيبَوَيْهِ: وقَدْ فتَحَها قَوْمٌ فُصَحاءُ[2]، يَعْنِي: مَعَ غَيْرِ لامِ التّعْرِيفِ.

وفي قَوْلِ[3] حَسّانَ في هِنْدَ: «أشِرَتْ لَكاعِ» جَعَلَهُ اسْمًا [علمًا][4] لَها في غَيْرِ النّداءِ، وذَلِكَ جائِزٌ، وإنْ كانَ[5] في النّداءِ أكْثَرَ، نَحْوُ: يا غَدارِ ويا فَساقِ، وكَذَلِكَ «لُكَع» قَدِ اسْتُعْمِلَ في غَيْرِ النّداءِ، نَحْوُ قَوْلِهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «أيْنَ لُكَعُ؟»[6] يَعْنِي: الحَسَنَ أوِ الحُسَيْنَ مُمازِحًا لَهُما. [ونَحْو[7] قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «لا تَقُومُ السّاعةُ حَتّى يَكُونَ أسْعَدَ النّاسِ بالدُّنْيا[8]..........

---

(١) في (ف): «الكسرتين».

(٢) «الكتاب» (٤: ١٥٥).

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «وقول».

(٤) ليس في (أ)، (ف).

(٥) في (ف): «كانت».

(٦) «فتح الباري»، كتاب البيوع: (٤: ٣٣٩)، وكتاب اللباس: (١٠: ٣٣٢).

(٧) في (ب): «ونحو ذلك».

(٨) في (أ)، (ب): «في الدنيا».

لُكَع ابنُ لُكَع»[١]، واللُّكَعُ في اللّغةِ: وسَخُ الغُرْلةِ[٢]، وهُوَ أيْضًا الفَلُوُّ الصّغِيرُ][٣].

فإنْ قِيلَ: إنّ[٤] النّبيّ ﷺ كانَ يَمْزَحُ، ولا يَقُولُ إلّا حقًّا، فكَيْفَ يَقُولُ: «أيْنَ لُكَعُ» وقَدْ سَمّاهُ سَيّدًا في حَدِيثٍ آخَرَ؟

فالجوابُ: أنّهُ أرادَ التّشْبِيهَ بِاللُّكَعِ الّذِي هُوَ الفَلُوّ أو[٥] المُهْرُ؛ لِأنّهُ طِفْلٌ؛ كَما أنّ الفَلُوَّ والمُهْرَ كَذَلِكَ، وإذا قُصِدَ بِالكَلامِ [قَصْدُ][٦] التّشْبِيهِ لَمْ يَكُنْ كَذِبًا، فمِنْ أجْلِ هَذا جازَ أنْ يُسْتَعْمَلَ في غَيْرِ النّداءِ؛ لِأنّهُ عَلى هَذا الوَجْهِ غَيْرُ مَعْدُولٍ كَما عُدِلَ خُبَثُ عَنْ خَبِيثٍ، وفُسَقُ عَنْ فاسِقٍ، وقالَ ابنُ الأنبارِيِّ في «الزّاهر»[٧]: اشتقاقُه مِنَ المَلاكِعِ[٨]، وهُوَ ما يَخْرُجُ مَعَ المَوْلُودِ مِنْ ماءِ الرّحِمِ ودَمِها، وأنْشَدَ[٩]: [من الكامل]

رَمَتِ الفَلاةُ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرْبِلٍ غِرْسَ السّلى ومَلاكِعَ الأمْشاجِ

قالَ: ويُقالُ في الواحِدِ: يا لُكَعُ، وفي الِاثْنَيْنِ: يا ذَوَيْ لَكِيعةَ، ولَكاعةٍ، ولا تُصْرَفُ لَكِيعةُ، ولَكِنْ تُصْرَفُ لَكاعةٌ؛ لِأنّهُ مَصْدَرٌ[١٠]، ....

---

(١) «عارضة الأحوذي»، أبواب الفتن: (٩: ٥٧-٥٨).

(٢) الغُرلة: جلدة الصبي التي تُقطع عند الختان. والفلو؛ بكسر فسكون، وكعَدُوّ، وسُمُوّ: الجحش والمُهر فُطما، أو بلغا السنة، وجمعه: أفلاو.

(٣) مكانه في (أ)، (ب)، (ف) بعد قوله الآتي: «لم يكن كذبًا».

(٤) في (ف): «فإن».

(٥) في (ف): «و».

(٦) ليس في (ب).

(٧) «الزاهر في معاني كلمات الناس» لأبي بكر الأنباري: (١: ١٤٤). (ج)

(٨) في «الزاهر»: «الملاكيع». (ج)

(٩) هو ابن ميادة، كما في «الزاهر» وغيره. (ج)

(١٠) في (ب): «لأنه معروف في الجمع».

وفي الجَمِيعِ[١]: يا ذَوِي لَكِيعةَ ولَكاعةٍ، وفي المُؤَنّثِ عَلى هَذا القِياسِ.

قالَ المُؤَلِّفُ رضي الله عنه: ولا يُقالُ: يا لُكعانِ، ولا يا فُسقانِ، [ولا يُجمع][٢] لِسِرٍّ ذكرناه[٣] في غَيْرِ هَذا الكِتابِ.

وتَلخِيصُ مَعْناهُ: أنّ العَرَبَ قَصَدَتْ بهذا البناءِ في النّداءِ قَصْدَ العَلَمِ؛ لِأنّ الِاسْمَ العَلَمَ ألزَمُ لِلمُسَمّى مِنَ الوَصْفِ المُشْتَقِّ مِن الفِعْلِ؛ نَحْوُ: فاسِقٍ وغادِرٍ، كَما قالُوا: عُمَرُ، وعَدَلُوه[٤] عَنْ عامِرٍ الّذِي هُوَ وصْفٌ في الأصْلِ تَحْقِيقًا مِنْهُمْ لِلعَلَمِيّةِ، ثُمّ إنّ الِاسْمَ العَلَمَ لا يُثَنّى [ولا يُجْمَعُ][٥] وهُوَ عَلَمٌ، فإذا ثُنِّيَ زالَ عَنْهُ تَعْرِيفُ العَلَمِيّةِ، فمِنْ أجْلِ ذَلِكَ لَمْ يُثَنُّوا يا فُسَقُ ويا غُدَرُ؛ لِأنّ في ذَلِكَ نَقْضًا لِما قَصَدُوهُ مِنْ تَنْزِيلِهِ مَنْزِلةَ الِاسْمِ العَلَمِ؛ أيْ: إنّهُ مُسْتَحِقٌّ لِأنْ يُسَمّى بِهَذا الِاسْمِ، فهَذا أبْلَغُ مِنْ أنْ يَقُولُوا: يا فاسِقُ، فَيَجِيئُوا بالِاسْمِ، الّذِي يَجْرِي مَجْرى الفِعْلِ، والفِعْلُ غَيْرُ لازِمٍ، والعَلَمُ ألزمُ منه، والتّثْنِيةُ والجَمْعُ تُبْطِلُ العَلَمِيّةَ كما ذَكَرْنا، فافْهَمْهُ.

ووقَعَ في «المُوَطَّأ» مِنْ رِوايةِ يَحْيى في حَدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ؛ أنّهُ قالَ لمولاةٍ له: اقعدي لُكَعُ[٦]، وقد عِيبَتْ هَذِهِ الرّوايةُ عَلى يَحْيى؛ لِأنّ المَرْأةَ إنّما يُقالُ لَها: لَكاعِ، وقَدْ وجَدْتُ الحَدِيثَ كَما رَواهُ يَحْيى في «كِتابِ الدّارَقُطْنِيّ»[٧]،

---

(١) في (ف): «الجمع».
(٢) ليس في (أ)، (ب)، (ف).
(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «شرحناه».
(٤) في (ف): «وعدلوا».
(٥) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٦) «الموطأ»، كتاب الجامع: (٢: ٨٨٥-٨٨٦).
(٧) أخرجه الدارقطني في «العلل» (١٣: ٦٠)، وفي المطبوع منه لم أجده في «السنن».

ووَجْهُهُ في العَرَبيّةِ: أنّهُ مَنْقُولٌ غَيْرُ مَعْدُولٍ، فجائِزٌ أنْ يُقالَ لِلأَمةِ: يا لُكَعُ؛ كَما يُقالُ لها إذا سُبَّت: يا زُبَلُ ويا[1] وُسَخُ؛ إذِ اللُّكَعُ ضَرْبٌ مِن الوَسَخِ كما قدَّمناه، وهو في كتاب «العين»[2].

فَصْلٌ

وذَكَرَ قولَ النبيِّ ﷺ: [«مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ][3] ما فعَلَ سَعْدُ بنُ الرّبِيع؟» فقالَ رَجُلٌ: أنا. وذَكَرَ الحَدِيثَ. الرّجُلُ: هُوَ مُحَمّدُ بنُ مَسْلَمةَ، ذَكَرَهُ الواقِدِيّ[4]، وذَكَرَ أنّهُ نادى في القَتْلى: يا سَعْدُ بنَ الرّبِيعِ مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ، فلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، حَتّى قالَ: يا سَعْدُ إنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أرْسَلَنِي أنْظُرُ ما صَنَعْتَ، فأجابَهُ حِينَئِذٍ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، وذَكَرَ الحَدِيثَ، وهَذا خِلافُ ما ذَكَرَهُ أبُو عُمَرَ في كِتابِ «الصّحابة»؛ فإنّهُ ذَكَرَ فيهِ مِنْ طَرِيقِ رُبَيْحِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ جَدّهِ؛ أنّ الرّجُلَ الّذِي التَمَسَ سَعْدًا في القَتْلى هُوَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ[5].

وذَكَرَ عَنْ حُمَيْدٍ الطّوِيلِ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ سَمُرةَ، عَن النّبِيّ ﷺ في النّهْيِ عَنِ المُثْلةِ. وحُمَيْدٌ الطّوِيلُ هُوَ حُمَيْدُ بنُ تِيروَيْهِ[6]، ويُقالُ: ابنُ تِيرِي، يُكَنّى: أبا عُبيدة، مَوْلى طَلحةَ الطّلَحاتِ، وهذا حديثٌ صحيحٌ في النّهْيِ عَن المُثْلَةِ.

---

(١) في (ف): «يا» بدون الواو.

(٢) انظر: «العين» (١: ٢٠٢-٢٠٣)، و«مختصر العين» للزبيدي: (١: ٩٣).

(٣) ليس في (ب).

(٤) «المغازي» (١: ٢٩٢)، وقال: «ويقال: أبي بن كعب».

(٥) «الاستيعاب» (٤: ١٤٥-١٤٦).

(٦) «تهذيب الكمال» (٧: ٣٥٥).

فإنْ قِيلَ: فقَدْ مَثَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بالعُرَنيِّينَ فقَطَعَ أيْدِيَهُمْ وأرْجُلَهُمْ، وسَمَلَ أعَيْنَهُمْ، وتَرَكَهُمْ بالحَرّة.

قُلنا: في ذَلِكَ جَوابانِ:

أحَدُهُما: أنّهُ فعَلَ ذَلِكَ بهم قِصاصًا؛ لِأنّهُمْ قَطَعُوا أيْدِيَ الرِّعاءِ وأرْجُلَهُمْ، وسَمَلُوا أعْيُنَهُمْ، رُوِيَ ذَلِكَ في حَدِيثِ أنَسٍ[1]، وقِيلَ: إنّ ذَلِكَ كانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ المُثْلةِ.

فإنْ قِيلَ: فقَدْ تَرَكَهُمْ يَسْتَسْقُونَ فلا يُسْقَوْنَ، حَتّى ماتُوا عَطَشًا، قُلنا: عَطَّشَهُمْ لِأنّهُمْ عَطَّشُوا أهْلَ بَيْتِ النّبيّ ﷺ تِلكَ اللّيْلَةَ، رُوِيَ[2] في حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ؛ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ لَمّا بَقِيَ هو وأهْلُهُ تِلكَ اللّيْلَةَ بِلا لَبَنٍ، قالَ: «اللهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أهْلَ بَيْتِ نَبِيِّك». وقَعَ[3] هَذا في «شَرْحِ ابنِ بَطّالٍ»[4]، [وقَدْ خَرّجَهُ النَّسَوِيُّ][5].

فَصلٌ

ورَوى ابنُ إسْحاقَ عَمَّنْ لا يَتّهِمُ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما، أنّ النّبيّ ﷺ صَلّى عَلى حَمْزةَ وعَلى شُهَداءِ يَوْمِ[6] أُحُد. ولَمْ يَأْخُذْ بِهَذا

---

(١) رواه مسلم في «الصحيح» (١٦٧١)، والدارقطني في «السنن» (٣: ١٣٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢: ١/ ٦٧-٦٨).

(٢) في (ف): «وروي». (٣) في (ف): «ووقع».

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطّال: (٨: ٤٢٥). (ج)

(٥) عن (أ)، (ب)، وفي (ب) مكان «النسوي»: «النمري». وفي حاشيتها: «هذا الحديث أخرجه س فاعلمه». والحديث أخرجه النسائي في كتاب التحريم: (٧: ٩٩).

(٦) «يوم» ليس في (ف).

الحَدِيثِ فُقَهاءُ الحِجازِ[١] ولا الأوْزاعِيُّ؛ لِوَجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: ضَعْفُ إسْنادِ هَذا الحَدِيثِ؛ فإنّ ابنَ إسْحاقَ قالَ: حَدّثَنِي مَنْ لا أتّهِمُ، يَعْنِي: الحَسَنَ بنَ عُمارةَ ـ فيما ذَكَرُوا ـ ولا خِلافَ في ضَعْفِ الحَسَنِ [ابنِ عُمارةَ][٢] عِنْدَ أهْلِ الحَدِيثِ، وأكْثَرُهُمْ لا يَرَوْنَهُ شَيْئًا، وإنْ كانَ الّذِي قالَ فيه ابنُ إسْحاقَ: حَدّثَنِي مَنْ لا أتّهِمُ غَيْرَ الحَسَنِ بنِ عُمارة، فهُوَ مَجْهُولٌ، والحمْلُ[٣] بأَوْقِهِ.

والوَجْهُ الثّانِي: أنّهُ حَدِيثٌ لَمْ يَصْحَبْهُ العَمَلُ، ولم يُرْوَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [أنّهُ صَلّى عَلى شَهِيدٍ][٤] في [شَيْءٍ مِنْ][٥] مغازِيهِ إلّا هَذِهِ الرّواية في غَزْوةِ أُحُدٍ، وكَذَلِكَ في مُدّةِ الخَلِيفَتَيْنِ إلّا أنْ يَكُونَ الشّهِيدُ مُرْتَثًّا[٦] مِن المَعْرَكَةِ، وأمّا[٧] تَرْكُ غُسْلِهِ، فقَدْ أجمَعُوا عَلَيْهِ، وإنِ اخْتَلَفُوا في الصّلاةِ إلّا رِوايةً شاذّةً عن بَعْضِ التّابِعِينَ، والمَعْنى في ذَلِكَ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ تَحْقِيقُ حَياةِ الشّهَداءِ، وتَصْدِيقُ قَوْلِ اللهِ[٨] سُبْحانَهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيَةَ، مَعَ أنّ في تَرْكِ غُسْلِهِ مَعْنًى آخَرَ، وهُوَ أنّ دَمَهُ أثَرُ عِبادةٍ، وهُوَ يجيءُ يَوْمَ

(١) في (أ): «فقهاء الحديث».
(٢) ليس في (أ)، (ب).
(٣) (ب): «والجهل». وفي حاشية (أ): «والأوقُ: الثقيلُ». ولعل المراد: والجهل بالراوي يساوي في ثقله ضعف من عُرِف. والله أعلم.
(٤) ليس في (ب).
(٥) ليس في (ب).
(٦) المُرتثُّ: مَنْ ضُرِبَ في الحرب فأُثخِنَ، وحُمِلَ وبه رمق ثم مات.
(٧) في (ف): «فأما».
(٨) في (ف): «قوله».

القِيامةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ[١] دَمًا، ورِيحُهُ رِيحُ المِسْكِ، فكَيْفَ يُطَهَّرُ مِنْهُ وهُوَ طَيِّبٌ وأَثَرُ عِبادةٍ؟!

ومِنْ هَذا الأَصْلِ انْتَزَعَ بَعْضُ العُلَماءِ كَراهِيَةَ تَجْفيفِ الوَجْهِ مِنْ ماءِ الوُضُوءِ، وهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ، قالَ الزُّهْرِيّ: وبَلَغَنِي أَنَّهُ يُوزَنُ. ومِنْ هَذا الأَصْلِ انْتَزَعَ [بعضُ العلماءِ][٢] كَراهِيَةَ السِّواكِ بِالعَشِيِّ[٣] لِلصّائِمِ؛ لِئَلّا يَذْهَبَ خُلُوفُ فمِهِ، وهُوَ أَثَرُ عِبادةٍ، وجاءَ فيهِ ما جاءَ في دَمِ الشَّهِيدِ[٤] أَنَّهُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، ويُرْوى: «أَطْيَبُ يَوْمَ القِيامةِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ». رَواهُ مُسْلِمٌ بِاللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا[٥]، والمَعْنى واحِدٌ، وجاءَت الكَراهِيةُ لِلسِّواكِ بِالعَشِيِّ لِلصّائِمِ عَنْ عَلِيٍّ وأَبِي هُرَيْرةَ، ذَكَرَ ذَلِكَ الدّارَقُطْنِيّ[٦].

وذَكَرَ عبدَ اللهِ بنَ جَحْش ابن أُخْت حَمْزةَ، وأَنَّهُ مُثِّلَ بِهِ كَما مُثِّلَ بحمزةَ، وعبدُ اللهِ هَذا يُعْرَفُ بِالمُجَدَّعِ في اللهِ[٧]؛ لِأَنَّهُ جُدِعَ أَنْفُهُ وأُذُناه يَوْمئِذٍ، وكانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وقّاصٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ لَقِيَهُ يَوْمَ أُحُدٍ أَوَّلَ النَّهارِ، فخَلا بِهِ، وقالَ لَهُ عبدُ اللهِ: هَلُمَّ يا سَعْدُ[٨] فلنَدْعُ اللهَ ولْيَذْكُرْ كُلُّ واحِدٍ مِنّا حاجَتَهُ في دُعائِهِ،

---

(١) ثعب الماء والدم ثَعْبًا: فَجَّرَه فسال.

(٢) عن (ص) وحدها.

(٣) العشِيّ والعشية: الوقت من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العَتمة، والمراد المعنى الأول.

(٤) في (ف): «الشهداء».

(٥) «مسلم»، كتاب الصيام: (٢: ٨٠٦، ٨٠٧).

(٦) «سنن الدارقطني»، كتاب الصيام: (٢: ٢٠٣، ٢٠٤).

(٧) «أسد الغابة» (٣: ١٩٦).

(٨) في (ف): «يا سعد هلم».

ولَيُؤَمِّنِ الآخَرُ، قالَ سَعْدٌ: فدَعَوْتُ [اللهَ][1] أنْ ألقى فارِسًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ فأقْتُلَه وآخُذَ سَلَبَه، فقال عبد الله: آمين، ثم استقبل عبدُ اللهِ القِبْلَةَ، ورَفَعَ يَدَيْهِ إلى السّماءِ، وقالَ: اللهُمَّ لَقِّنِي اليَوْمَ فارِسًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ، يَقْتُلُنِي ويَجْدَعُ أنْفي وأُذُنيّ، فإذا لَقِيتُكَ غَدًا تَقُولُ لِي: يا عبدِي: فيمَ جُدِعَ أنْفُك وأُذُناك؟ فأقُولُ: فيك يا رَبِّ، وفي رَسُولِك، فتَقُولُ لِي: صَدَقْتَ، قُل يا سعدُ: آمِينَ، قالَ: فقُلتُ: آمِينَ، ثُمّ مَرَرْتُ بِهِ آخِرَ النّهارِ قَتِيلًا مَجْدُوعَ الأنْفِ والأُذُنَيْنِ، وإنّ أُذُنَيْهِ وأنْفَهُ مُعلّقانِ في خَيْطٍ، ولَقِيتُ أنا فُلانًا مِن المُشْرِكِينَ فقَتَلْتُه وأخَذْتُ سَلَبَهُ[2].

وذَكَرَ الزُّبَيْرُ[3] أنّ سَيْفَ عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ انْقَطَعَ يَوْمَ أُحُدٍ، فأعْطاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُرْجُونًا فعادَ في يَدِهِ سَيْفًا، فقاتل به، فكانَ يُسَمّى ذَلِكَ السّيْفُ: العُرْجُونَ، ولَمْ يَزَل يُتوارَثُ حتى بِيعَ من بغا[4] التركي بمئتي دِينارٍ، وهَذا نَحْوٌ مِنْ حَدِيثِ عُكّاشَةَ الّذِي تقدم، إلا أنّ سَيْفَ عُكّاشَةَ كانَ يُسَمّى: العَوْنَ[5]، وكانَتْ قِصّةُ عُكّاشَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وكانَ الّذِي قَتَلَ عبدَ اللهِ بنَ جَحْشٍ أبُو الحُكْم بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، وكان عبدُ الله [بنُ جحشٍ][6] حِينَ قُتِلَ ابنَ بِضْعٍ وأرْبَعِينَ سَنَةً، فيما ذَكَرُوا، ودُفِنَ مَعَ حَمْزَةَ في قَبْرٍ واحِدٍ.

---

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٣: ١٩٥).

(٣) في (أ)، (ب): «وذكر ابن الزبير». وفي «أسد الغابة» (٣: ١٩٥): «وروى الزبير بن بكار في «الموفقيات»». وذكر الخبر.

(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «بغاء». وانظر المرجع السابق.

(٥) في (أ): «العين». وهو خطأ، وانظر: «أسد الغابة» (٤: ٦٨).

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ب)، (ف).

فَصْلٌ

ومِمّا وقَعَ في هَذِهِ الغَزْوةِ مِن الكَلِمِ الّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ؛ قَوْلُ أَبِي سُفْيانَ حِينَ قالَ: «اعْلُ هُبَل»؛ أَيْ: زِدْ عُلُوًّا، ثُمّ قالَ: أَنْعَمَتْ فَعالِ، قالُوا: مَعْناهُ: أَنْعَمَتِ الأَزْلامُ. وكانَ اسْتَقْسَمَ بِها حِينَ خَرَجَ إلى أُحُدٍ، فخَرَجَ الّذِي يُحِبّ. وقَوْلُهُ: «فَعالِ»: أَمْرٌ؛ أَيْ: عالِ عَنْها وأَقْصِرْ عَنْ لَوْمِها، تَقُولُ العَرَبُ: اعْلُ عَنّي، وعالِ عَنّي بِمَعْنًى؛ أَيْ: ارْتَفِعْ عَنّي ودَعْنِي. ويُرْوى أن الزُّبير قال لِأَبِي سُفْيانَ يَوْمَ الفَتْحِ: أَيْنَ قَوْلُك: أَنْعَمَتْ فَعالِ؟ فقالَ: قَدْ[1] صَنَعَ اللهُ خَيْرًا، وذَهَبَ أَمْرُ الجاهِلِيّةِ.

وَقَوْلُ عُمَرَ: «لا سَواء»؛ أَيْ: [لا][2] نَحْنُ سَواءٌ، ولا يَجُوزُ دُخُولُ «لا» عَلى اسْمٍ مُبْتَدَأٍ [مَعْرِفةٍ][3] إلّا مَعَ التَّكْرارِ، نَحْوُ: لا زَيْدٌ قائِمٌ ولا عَمْرٌو خارِجٌ، ولَكِنّهُ جازَ في هَذا المَوْضِعِ؛ لِأَنّ القَصْدَ فيهِ إلى نَفْيِ الفِعْلِ؛ أَيْ: لا نسْتَوِي[4]، كَما جازَ لا نَوْلُك[5]؛ أَيْ: لا يَنْبَغِي لَك، وقَدْ بَيّنّا هَذا في أَوّلِ الكِتابِ حَيْثُ تَكَلّمْنا عَلى قَوْلِهِ[6]: [من الطويل]

فَشَتَّتَنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سعدِ

فَصْلٌ

وَمِمّـا يَلِيـقُ ذِكْـرُهُ بهـذه الغَزاةِ حديثُ مُخيريقٍ، وهُوَ أَحَدُ بَنِي النّضِيرِ،

---

(١) في (ف): «لقد».

(٢) ليس في (أ).

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) في (ف): «لا تستوي».

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه: (٢: ٣٠٢).

(٦) انظر (١: ٨١) من «السيرة».

وقَوْلُهُ: «إنْ أُصِبْتُ فمالِي لِمُحَمّدٍ يَصْنَعُ فيهِ ما شاءَ»، فأُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ، فجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مالَهُ أوْقافًا، وهُوَ أوَّلُ حَبْسٍ حُبِسَ في الإسْلامِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُحَمّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيّ، وقالَ الزُّهْرِيّ: كانَتْ سَبْعَ حَوائِطَ، وأسْماؤُها: الأعْرافُ، والأعْوافُ[1]، والصّافيةُ، والدّلال، والمِثيَبُ، وبُرْقةُ[2]، وحُسْنى، ومَشْرَبةُ أُمّ إبْراهِيمَ[3]، وإنّما سُمّيَتْ: مَشْرَبةَ أُمّ إبْراهِيمَ لأِنّها كانَتْ تَسْكُنُها، وقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ حَدِيثَ مُخَيْرِيقٍ، وهَذا الّذِي ذكرناه تكملةٌ لَهُ، وزِيادةُ فائِدةٍ فيهِ.

* * *

(١) في (ف): «أو الأعواف».

(٢) ليس في (ب).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت: (مثيب).

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ يُقالُ لِسَيْفِ رَسُولِ الله ﷺ: ذُو الفَقارِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، أنَّ ابنَ أبي نَجِيحٍ قالَ: نادى مُنادٍ يَوْمَ أُحُدٍ:

لا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقا رِ ولا فَتًى إلّا عَلِيّ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِعَلِيِّ ابنِ أبي طالِبٍ: «لا يُصِيبُ المُشْرِكُونَ مِنّا مِثْلَها حَتّى يَفْتَحَ الله عَلَيْنا».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوّالٍ.

[خُرُوجُ الرَّسُولِ في أثَرِ العَدُوِّ لِيُرْهِبَهُ]

قالَ: فلَمّا كانَ الغَدُ مِنْ يَوْمِ الأحَدِ، لِسِتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَوّالٍ، أذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ الله ﷺ في النّاسِ بِطَلَبِ العَدُوِّ، فأذَّنَ مُؤَذِّنُهُ: «ألّا يَخْرُجَنَّ مَعَنا أحَدٌ إلّا أحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنا بِالأمْسِ». فكَلَّمَهُ جابِرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو ابنِ حَرامٍ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ أبي كانَ خَلَّفَنِي على أخَواتٍ لِي سَبْعٍ، وقالَ: يا بُنَيَّ، إنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي ولا لَكَ أنْ نَتْرُكَ هَؤُلاءِ النِّسْوَةَ لا رَجُلَ فِيهِنَّ، ولَسْتُ بِالَّذِي أُوثِرُكَ بِالجِهادِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ على نَفْسِي، فتَخَلَّفْ على أخَواتِكَ، فتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ. فأذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فخَرَجَ مَعَهُ. وإنَّما خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مُرْهِبًا لِلْعَدُوِّ، ولِيُبَلِّغَهُمْ أنَّهُ خَرَجَ في طَلَبِهِمْ؛ لِيَظُنُّوا بِهِ قُوَّةً،

وأنَّ الَّذي أصابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ.

[مَثَلٌ مِن اسْتِماتةِ المُسْلِمِينَ في نُصْرةِ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ خارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، عَنْ أبي السّائِبِ مَوْلى عائِشَةَ بِنْتِ عُثْمانَ: أنَّ رَجُلًا مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، كانَ شَهِدَ أُحُدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: شَهِدْتُ أُحُدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنا وأخٌ لِي، فرَجَعْنا جَرِيحَيْنِ، فلَمّا أذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالخُرُوجِ في طَلَبِ العَدُوِّ، قُلْتُ لِأخِي أوْ قالَ لِي: أتَفُوتُنا غَزْوةٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ واللهِ ما لَنا مِنْ دابّةٍ نَرْكَبُها، وما مِنّا إلّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ، فخَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكُنْتُ أيْسَرَ جُرْحًا، فكانَ إذا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبةً، ومَشى عُقْبةً، حَتّى انْتَهَيْنا إلى ما انْتَهى إلَيْهِ المُسْلِمُونَ.

وَذَكَرَ: [من مجزوء الرجز]

لا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقارِ

بِفَتْحِ الفاءِ جَمْعُ[1] فَقارةٍ، [وإنْ قِيلَ: ذُو الفِقارِ بِالكَسْرِ][2]، فهُوَ جَمْعُ فِقْرةٍ، وقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ[3].

ووَقَعَ في غَيْرِ هَذِهِ الرّوايةِ أنّ رِيحًا هَبّتْ يَوْمَ أُحُدٍ، فسَمِعُوا قائِلًا يَقُولُ فيها: [من مجزوء الرجز]

---

(١) في (ص)، (ج): «فهو جمع».
(٢) مكانه في (ص)، (ج): «وبكسرها جمع».
(٣) انظر: (٥: ٢٤٦).

لا سَيْفَ إلّا ذُو الفِقارِ ولا فتًى إلّا عَلِي

في أبْياتٍ ذَكَرَها.

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ أيْضًا مِنْ غَيْرِ رِوايةِ البَكّائِيِّ قَوْلَ عَلِيٍّ لِفاطِمةَ حِينَ غَسَلَتْ سَيْفَهُ مِن الدّمِ[(١)]: [من الطويل]

أفاطِمُ هائِي السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمِ فلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِلَئِيمِ

[ووقعَ في هذهِ الغزوةِ[(٢)]: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ جمعَ لسعدٍ أبويه، فقال: «ارمِ فداكَ أبي وأمِّي». وروى التِّرمذيُّ من طريقِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: ما سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لأحدٍ: فداكَ أبي وأمِّي إلّا لسعدٍ[(٣)]. وقال في روايةٍ أخرى عنه: ما جمعَ رسول الله ﷺ أبويه لأحدٍ إلّا لسعدٍ[(٤)]. والروايةُ الأولى أصحُّ، واللهُ أعلمُ؛ لأنه أخبرَ فيها أنّه لم يسمعْ، وقد روى الزُّبيرُ ابنُ العوّامُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ جمعَ أيضًا لهُ[(٥)] أبويه، وقال لهُ كما قالَ لسعدٍ رضيَ اللهُ عنهُما، ورواهُ عنهُ ابنهُ عبدُ الله بن الزُّبير، وأسندهُ في كتابِ «أنسابِ قريشٍ» الزُّبيرُ بنُ أبي بكرٍ[(٦)].

وفِقهُ هذا الحديثِ: أنهُ جائزٌ هذا الكلامُ لمنْ كانَ أبواهُ غيرَ مؤمنَينِ، وأمّا

---

(١) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٢: ٥٣٣)، وهي أربعة أبيات.

(٢) في (أ): في غير هذه.

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٣: ١٨٦)، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، «فتح الباري» (١٠: ٥٦٨).

(٤) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٣: ١٨٥).

(٥) في (ف): «له أيضًا».

(٦) وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١: ١٦٤).

من كانَ أبواهُ مؤمنَين فلا؛ لأنه كالعقوقِ لهُما، كذلكَ سمعتُ شيخنا أبا بكرٍ [يقول][1] في هذه المسألة][2].

[اسْتِعْمالُ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حتّى انْتَهى إلى حَمْراءِ الأسَدِ، وهِيَ مِن المَدِينةِ على ثَمانِيةِ أمْيالٍ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ بِها الِاثْنَيْنِ والثُّلاثاءَ والأرْبِعاءَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ.

[شَأْنُ مَعْبَدٍ الخُزاعِيِّ]

قالَ: وقَدْ مَرَّ بِهِ - كَما حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ - مَعْبَدُ بنُ أبي مَعْبَدٍ الخُزاعِيُّ، وكانَتْ خُزاعةُ، مُسْلِمُهُمْ ومُشْرِكُهُمْ، عَيْبةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِتِهامةَ، صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كانَ بِها، ومَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أما واللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنا ما أصابَكَ، ولَوَدِدْنا أنَّ اللهَ عافاكَ فيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْراءِ الأسَدِ، حَتّى لَقِيَ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ ومَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحاءِ وقَدْ أجْمَعُوا الرَّجْعةَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ، وقالُوا: أصَبنا حَدَّ أصْحابِهِ وأشْرافِهِمْ وقادَتِهِمْ، ثُمَّ نَرجِعُ قَبْلَ أنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ! لَنَكُرَّنَّ على بَقِيَّتِهِمْ، فلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ. فلَمّا رَأى أبو سُفيانَ مَعْبَدًا، قالَ: ما وراءَكَ يا

---

(١) ليس في (أ).

(٢) انفردت (أ)، (ب)، (ف) بهذا.

مَعْبَدُ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ في أصْحابِهِ يَطْلُبُكُمْ في جَمْعٍ لَمْ أرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَد اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ في يَوْمِكُمْ، ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا، فيهِمْ مِن الحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قالَ: ويْحكَ! ما تَقُولُ؟ قالَ: والله ما أرى أنْ تَرْتَحِلَ حَتّى أرى نَواصِيَ الخَيل، قالَ: فوالله لَقَدْ أجْمَعْنا الكَرّةَ عَلَيْهِمْ؛ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ: قالَ: فإنِّي أنْهاكَ عَنْ ذلك، قالَ: والله لَقَدْ حَمَلَنِي ما رَأيْتُ على أنْ قُلْتُ فيهِمْ أبْياتًا مِنْ شِعْرٍ، قالَ: وما قُلْتَ؟ قالَ: قُلْتُ:

كادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأصْواتِ راحِلَتِي ... إذْ سالَت الأرْضُ بِالجُرْدِ الأبابِيلِ

تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرامٍ لا تَنابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقاءِ ولا مِيلٍ مَعازِيلِ

فَظَلْتُ عَدْوًا أظُنُّ الأرْضَ مائِلَةً ... لَمّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ

فَقُلْتُ: ويْلَ ابنِ حَرْبٍ مِنْ لِقائِكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحاءُ بِالجِيلِ

إنِّي نَذِيرٌ لِأهْلِ البَسْلِ ضاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُمْ ومَعْقُولِ

مِنْ جَيْشِ أحْمَدَ لا وَخْشٍ تَنابِلَةٍ ... ولَيْسَ يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بِالقِيلِ

فَثَنى ذلك أبا سُفيانَ ومَنْ مَعَهُ.

[رِسالةُ أبي سُفيانَ إلى الرَّسُولِ على لِسانِ رَكْبٍ]

وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فقالَ: أيْنَ تُرِيدُونَ؟ قالُوا: نُرِيدُ المَدِينَةَ؟ قالَ: ولِمَ؟ قالُوا: نُرِيدُ المِيرةَ، قالَ: فهَلْ أنْتُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رِسالَةً أُرْسِلُكُمْ بِها إلَيْهِ، وأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيبًا بِعُكاظٍ إذا وافيتُمُوها؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: فإذا وافيتُمُوهُ فأخْبِرُوهُ أنّا قَدْ أجْمَعْنا السَّيْرَ إلَيْهِ وإلى أصْحابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ. فمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ الله ﷺ وهُوَ بِحَمْراءِ الأسَدِ، فأخْبَرُوهُ

بِالَّذي قالَ أبو سُفيانَ، فقالَ: «حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ».

[كَفُّ صَفْوانَ لِأبي سُفيانَ عَنْ مُعاوَدةِ الكَرَّةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا أبو عُبَيْدَةَ: أَنَّ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ لَمّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ، أرادَ الرُّجُوعَ إلى المَدِينةِ؛ لِيَسْتَأْصِلَ بَقِيّةَ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لَهُمْ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ: لا تَفْعَلُوا؛ فإنَّ القَوْمَ قَدْ حَرِبُوا، وقَدْ خَشِينا أنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتالٌ غَيْرُ الَّذي كانَ، فارْجِعُوا. فرَجَعُوا.

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ وهُوَ بِحَمْراءِ الأسَدِ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرَّجْعَةِ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجارَةٌ، لَوْ صُبِّحُوا بِها لَكانُوا كَأَمْسِ الذّاهِبِ».

غَزْوةُ حَمْراءِ الأسَدِ

ذَكَرَ شِعْرَ مَعْبَدٍ الخُزاعِيِّ[1]: [من البسيط]

إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحاءُ بِالخَيْلِ[2]

لَفْظٌ مُسْتَعارٌ مِن الغطمطة، وهُوَ صَوْتُ غَلَيانِ القِدْرِ.

وقَوْلُهُ: «بِالخَيْلِ» جَعَلَ الرِّدْفَ حَرْفَ لِينٍ، والأبْياتُ كُلُّها مُرْدَفةُ الرَّوِيّ بِحَرْفِ مَدٍّ ولِينٍ، وهَذا هُوَ السِّنادُ الَّذي بَيَّنّاهُ في أوّلِ الكِتابِ[3] عِنْدَ قَوْلِ

---

(١) بعده في (ف): «وفيه».

(٢) في «السيرة»: «بالجيل». ومثله في «شرح السيرة» للخشني: (ص: ٢٣٣). وقال في تفسيره: «الجيل: الصنف من الناس». لكن حديث السهيلي عن السناد يدل على أن روايته: «بالخيل».

(٣) انظر: (٢: ٦٠).

ابنِ إسْحاقَ: «فَسُونِدَ بَيْنَ القَبائِلِ»، ونَظِيرُهُ قَوْلُ عَمْرِو بنِ كلثومٍ[١]: [من الوافر]

ألا هُبِّي بصحنِكِ فاصبَحِينا

ثمّ قالَ[٢]: [من الوافر]

تُصَفِّقُهــا الرِّيــاحُ إذا جَرَيْنا

وَتَسْمِيةُ هَذا سِنادًا عَرَبِيّةٌ لا صِناعِيّةٌ[٣]، قالَ عَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ[٤]: [من الكامل]

وَقَصِيدةٍ قَدْ بِــتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتّى أُقَــوِّمَ مَيلَها وسِــنادَها
نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَناتِهِ كَيمــا يُقِيــمَ ثِقافُــهُ مُنْآدَهــا

وَقَوْلُهُ: «لا تَنابِلةٍ». التّنابِلةُ: القِصارُ، واحِدُهُمْ: تِنْبالٌ، تِفْعالٌ مِن النَّبَلِ، وهي صِغارُ[٥] الحَصى.

* * *

(١) «معلقة عمرو بن كلثوم» بشرح ابن كيسان: (ص: ٤١)، وعجزه:
ولا تُبْقي خمورَ الأنْدَرينا

(٢) السابق: (ص: ١٠٥)، وصدره:
كأنَّ غُصونهــنَّ مُتُونُ غُدْرٍ

(٣) تسميته الصناعية: سناد الحذو، وفيه تتعاقب الفتحة مع الضمة أو مع الكسرة قبل الردف.

(٤) «ديوانه» (ص: ٥٢). وفيه: «حتى يقيم». وفي «كما يقيم» زحاف الوقص، وهو حذف ثاني التفعيلة المضمرة.

(٥) في (ف): «جمع صغار».

[مَقْتَلُ أبي عَزّةَ ومُعاوِيةَ بنِ المُغِيرةِ]

قالَ أبو عُبَيْدةَ: وأخَذَ رَسُولُ الله ﷺ في جِهةِ ذلك قَبْلَ رُجُوعِهِ إلى المَدِينةِ، مُعاوِيةَ بنَ المُغِيرةِ بنِ أبي العاصِ بن أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وهُوَ جَدُّ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، أبو أُمِّهِ عائِشةَ بِنْتِ مُعاوِيةَ، وأبا عَزّةَ الجُمَحِيَّ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ أسَرَهُ بِبَدْرٍ، ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، أقِلْنِي، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «واللهِ لا تَمْسَحْ عارِضَيْكَ بِمَكّةَ بَعْدَها وتَقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يا زُبَيْرُ». فضَرَبَ عُنُقَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ أنَّهُ قالَ: قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ المُؤْمِنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يا عاصِمُ ابنَ ثابِتٍ»، فضَرَبَ عُنُقَهُ.

[مَقْتَلُ مُعاوِيةَ بنِ المُغِيرةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: إنَّ زَيْدَ بنَ حارِثةَ وعَمّارَ بنَ ياسِرٍ قَتَلا مُعاوِيةَ ابن المُغِيرةِ بَعْدَ حَمْراءِ الأسَدِ، كانَ لَجَأَ إلى عُثْمانَ بنِ عَفّانَ فاسْتَأْمَنَ لَهُ رَسُولَ الله ﷺ فأمَّنَهُ، على أنَّهُ إنْ وُجِدَ بَعْدَ ثَلاثٍ قُتِلَ، فأقامَ بَعْدَ ثَلاثٍ وتَوارى، فبَعَثَهُما النَّبِيُّ ﷺ، وقالَ: «إنَّكُما سَتَجِدانِهِ بِمَوْضِعِ كَذا وكَذا»، فوَجَداهُ فقَتَلاهُ.

[شَأْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ بَعْدَ ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، وكانَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ ـ كَما حَدَّثَنِي ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ ـ لَهُ مَقامٌ يَقُومُهُ كُلَّ جُمُعةٍ لا يُنْكَرُ؛ شَرَفًا لَهُ في نَفْسِهِ وفي قَوْمِهِ، وكانَ فيهِمْ شَرِيفًا، إذا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الجُمُعةِ وهُوَ يَخْطُبُ النّاسَ، قامَ فقالَ: أيُّها النّاسُ، هذا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ، أكْرَمَكُم اللهُ وأعَزَّكُمْ بِهِ، فانْصُرُوهُ وعَزِّرُوهُ، واسْمَعُوا لَهُ وأطِيعُوا، ثُمَّ يَجْلِسُ، حَتّى إذا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ ما صَنَعَ، ورَجَعَ بِالنّاسِ، قامَ يَفْعَلُ ذلك كَما كانَ يَفْعَلُهُ، فأخَذَ المُسْلِمُونَ بِثِيابِهِ مِنْ نَواحِيهِ، وقالُوا: اجْلِسْ أيْ عَدُوَّ اللهِ، لَسْتَ لِذلك بِأهْلٍ وقَدْ صَنَعْتَ ما صَنَعْتَ. فخَرَجَ يَتَخَطّى رِقابَ النّاسِ وهُوَ يَقُولُ: واللهِ لَكَأنَّما قُلْتُ بَجْرًا أنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أمْرَهُ. فلَقِيَهُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ بِبابِ المَسْجِدِ، فقالَ: ما لك ويْلَكَ؟! قالَ: قُمْتُ أُشَدِّدُ أمْرَهُ، فوَثَبَ عَلَيَّ رِجالٌ مِنْ أصْحابِهِ يَجْذِبُونَنِي ويُعَنِّفُونَنِي، لَكَأنَّما قُلْتُ بَجْرًا أنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أمْرَهُ. قالَ: ويْلَكَ! ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قالَ: واللهِ ما أبْتَغِي أنْ يَسْتَغْفِرَ لِي.

[كانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ مِحْنةٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: كانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ بَلاءٍ ومُصِيبةٍ وتَمْحِيصٍ، اخْتَبَرَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنِينَ، ومَحَنَ بِهِ المُنافِقِينَ؛ مِمَّنْ كانَ يُظْهِرُ الإيمانَ بِلِسانِهِ، وهُوَ مُسْتَخْفٍ بِالكُفْرِ في قَلْبِهِ، ويَوْمًا أكْرَمَ اللهُ فيهِ مَنْ أرادَ كَرامَتَهُ بِالشَّهادةِ مِنْ أهْلِ وِلايَتِهِ.

ذِكْرُ ما أَنْزَلَ اللهُ في أُحُدٍ مِن القُرْآنِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: فكانَ مِمّا أنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى في يَوْمِ أُحُدٍ مِن القُرْآنِ سِتُّونَ آيةً مِنْ آلِ عِمْرانَ، فيها صِفةُ ما كانَ في يَوْمِهِمْ ذلك، ومُعاتَبةُ مَنْ عاتَبَ مِنْهُمْ، يَقُولُ الله تَبارَكَ وتَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: تَتَّخِذُ لَهُمْ مَقاعِدَ ومَنازِلَ. قالَ الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ ... قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعا

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ.

أيْ: سَمِيعٌ بِما تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِما تُخْفُونَ.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ [آل عمران: ١٢٢]: أنْ تَتَخاذَلا. والطّائِفَتانِ: بَنُو سَلِمةَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وبَنُو حارِثَةَ بنِ النَّبِيتِ مِن الأوْسِ، وهُما الجَناحانِ؛ يَقُولُ الله تَعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ ﴾؛ أي: المُدافِعُ عَنْهُما ما هَمَّتا بِهِ مِنْ فشَلِهِما، وذلك أنَّهُ إنَّما كانَ ذلك مِنْهُما عَنْ ضَعْفٍ ووَهَنٍ أصابَهُما غَيْرَ شَكٍّ في دِينِهِما، فتَوَلّى دَفْعَ ذلك عَنْهُما بِرَحْمَتِهِ وعائِدَتِهِ، حَتّى سَلِمَتا مِنْ وُهُونِهِما وضَعْفِهِما، ولَحِقَتا بِنَبِيِّهِما ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَني رَجُلٌ مِن الأَسْدِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، قالَ: قالَت الطّائِفَتانِ: ما نُحِبُّ أنّا لَمْ نَهُمَّ بِما هَمَمْنا بِهِ؛ لِتَوَلِّي اللهِ إيّانا في ذلك.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: يَقُولُ اللهُ تَعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أيْ: مَنْ كانَ بِهِ ضَعْفٌ مِن المُؤْمِنِينَ فلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ، ولْيَسْتَعِنْ بِي أُعِنْهُ على أمْرِهِ، وأُدافِعْ عَنْهُ، حَتّى أبْلُغَ بِهِ، وأدْفَعَ عَنْهُ، وأُقَوِّيَهُ على نِيَّتِهِ.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]؛ أيْ: فاتَّقُونِي؛ فإنَّهُ شُكْرُ نِعْمَتِي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنْتُمْ أقَلُّ عَدَدًا، وأضْعَفُ قُوَّةً.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥]؛ أيْ: إنْ تَصْبِرُوا لِعَدُوِّي، وتُطِيعُوا أمْرِي، ويَأْتُوكُمْ مِنْ وجْهِهِمْ هذا، أُمِدُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِن المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُسَوِّمِينَ: مُعْلِمِينَ. بَلَغَنا عَن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ أنَّهُ قالَ: أعْلَمُوا على أذْنابِ خَيْلِهِمْ ونَواصِيها بِصُوفٍ أبْيَضَ. فأمّا ابنُ إسْحاقَ فقالَ: كانَتْ سِيماهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمائِمَ بِيضًا. وقَدْ ذَكَرْتُ ذلك في حَدِيثِ بَدْرٍ.

والسِّيما: العَلامةُ. وفي كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أيْ: عَلامَتُهُمْ. و﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞

مُّسَوَّمَةً ﴾ [هود: ٨٢-٨٣]؛ يَقُولُ: مُعَلَّمةً. بَلَغَنا عَن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ أنَّهُ قالَ: عَلَيْها عَلامةٌ، أنَّها لَيْسَتْ مِنْ حِجارةِ الدُّنْيا، وأنَّها مِنْ حِجارةِ العَذابِ. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

فالآنَ تُبْلى بِي الجِيادُ السُّهَّمُ ولا تُجارِيني إذا ما سَوَّمُوا
وَشَخَصَتْ أبْصارُهُمْ وأجْذَمُوا

أجْذَمُوا «بِالذّالِ المُعْجَمةِ»؛ أيْ: أسْرَعُوا. وأجْدَمُوا «بِالدّالِ المُهْمَلةِ»: أقْطَعُوا.

وَهَذِهِ الأبْياتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ. والمُسَوَّمةُ أيْضًا: المَرْعِيّةُ. وفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، و: ﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]؛ تَقُولُ العَرَبُ: سَوَّمَ خَيْلَهُ وإبِلَهُ، وأسامَها: إذا رَعاها. قالَ الكُمَيْتُ ابنُ زَيْدٍ:

راعِيًا كانَ مُسْجِحًا ففَقَدْنا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُسْجِحًا: سَلِس السِّياسةِ مُحْسِنٌ إلى الغَنَمِ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]؛ [أيْ: ما سَمَّيْتُ لَكُمْ مَنْ سَمَّيْتُ مِنْ جُنُودِ مَلائِكَتِي إلّا بُشْرى لَكُمْ، ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ]؛ لِما أعْرِفُ مِنْ ضَعْفِكُمْ، وما النَّصْرُ إلّا مِنْ عِنْدِي؛ لِسُلْطانِي وقُدْرَتِي، وذلك أنَّ العِزَّ والحُكْمَ إلَيَّ، لا إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِي.

ثُمَّ قالَ: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٧]؛ أيْ: لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِن المُشْرِكِينَ بِقَتْلٍ يَنْتَقِمُ بِهِ مِنْهُمْ، أوْ يَرُدَّهُمْ خائِبِينَ؛ أيْ: ويَرْجِع مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَلًّا خائِبِينَ، لَمْ يَنالُوا شَيْئًا مِمّا كانُوا يَأْمُلُونَ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَكْبِتُهُمْ: يَغُمُّهُمْ أشَدَّ الغَمِّ، ويَمْنَعُهُمْ ما أرادُوا. قالَ ذُو الرُّمَّةِ:

ما أنْسَ مِنْ شَجَنٍ لا أنْسَ مَوْقِفَنا ... في حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ ومَكْبُوتِ

وَيَكْبِتُهُمْ أيْضًا: يَصْرَعُهُمْ لِوُجُوهِهِمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؛ أيْ: لَيْسَ لَكَ مِن الحُكْمِ شَيْءٌ في عِبادِي إلّا ما أمَرْتُكَ بِهِ فيهِمْ، أوْ أتُوب عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي، فإنْ شِئْتُ فعَلْتُ، أوْ أُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فبِحَقِّي ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أيْ: قَد اسْتَوْجَبُوا ذلك بِمَعْصِيَتِهِمْ إيّايَ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٩]؛ أيْ: يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويَرْحَمُ العِبادَ على ما فيهم.

[النَّهْيُ عَن الرِّبا]

ثُمَّ قالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]؛ أيْ: لا تَأْكُلُوا في الإسْلامِ ـ إذْ هَداكُم اللهُ بِهِ ـ ما كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ إذْ أنْتُمْ على غَيْرِهِ، مِمّا لا يَحِلُّ لَكُمْ في دِينِكُمْ. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠]؛ أيْ: فأطِيعُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَنْجُونَ مِمّا حَذَّرَكُم اللهُ

مِنْ عَذابِهِ، وتدركون ما رَغَّبَكُم الله فيهِ مِنْ ثَوابِهِ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١]؛ أي: الَّتي جُعِلَتْ دارًا لِمَنْ كَفَرَ بي.

[الحَضُّ على الطّاعةِ]

ثُمَّ قالَ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]: مُعاتَبةً لِلَّذِينَ عَصَوْا [رَسُولَ الله ﷺ] حِينَ أَمَرَهُمْ بِما أَمَرَهُمْ بِهِ في ذلك اليَوْمِ وفي غَيْرِهِ. ثُمَّ قالَ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ أيْ: دارًا لِمَنْ أطاعَنِي وأطاعَ رَسُولِي. ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ أيْ: وذلك هُوَ الإحْسانُ، وأنا أُحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهِ، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ أيْ: إنْ أتَوْا فاحِشةً، أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيةٍ ذَكَرُوا نَهْيَ الله عَنْها، وما حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، فاسْتَغْفَرُوهُ لَها، وعَرَفُوا أنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلّا هُوَ. ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾؛ أيْ: لَمْ يُقِيمُوا على مَعْصِيَتِي كَفِعْلِ مَنْ أَشْرَكَ بِي فيما غَلَوْا بِهِ في كُفْرِهِمْ، وهُمْ يَعْلَمُونَ ما حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبادةِ غَيْرِي. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦]؛ أيْ: ثَوابُ المُطِيعِينَ.

[ذِكْرُ ما أصابَهُمْ وتَعْزِيَتُهُمْ عَنْهُ]

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذِكْرَ المُصِيبةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، والبَلاءَ الَّذي أصابَهُمْ،

والتَّمْحِيصَ لِما كانَ فيهِمْ، واتِّخاذَهُ الشُّهداءَ مِنْهُمْ، فقالَ تَعْزِيةً لَهُمْ، وتَعْرِيفًا لَهُمْ فيما صَنَعُوا، وفيما هُوَ صانِعٌ بِهِمْ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؛ أيْ: قَدْ مَضَتْ مِنِّي وقائِعُ نِقْمةٍ في أَهْلِ التَّكْذِيبِ لِرُسُلِي والشِّرْكِ بِي: عادٍ وثَمُودَ وقَوْمِ لُوطٍ وأصْحابِ مَدْيَنَ، فرَأَوْا مَثُلاتٍ قَدْ مَضَتْ مِنِّي فيهِمْ، ولِمَنْ هُوَ على مِثْلِ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذلك مِنِّي، فإنِّي أَمْلَيْتُ لَهُمْ؛ أيْ: لِئَلّا يَظُنُّوا أنَّ نِقْمَتِي انْقَطَعَتْ عَنْ عَدُوِّكُمْ وعَدُوِّي، لِلدَّوْلةِ الَّتِي أدَلْتُهُمْ بِها عَلَيْكُمْ؛ لِيَبْتَلِيَكُمْ بذلك؛ لِيُعلمَكُمْ ما عِنْدَكُمْ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]؛ أيْ: هذا تَفْسِيرٌ لِلناسِ إنْ قَبِلُوا الهُدى، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾؛ أيْ: نُورٌ وأدَبٌ ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾؛ أيْ: لِمَنْ أطاعَنِي وعَرَفَ أمْرِي.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أيْ: لا تَضْعُفُوا ولا تَبْتَئِسُوا على ما أصابَكُمْ، ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أيْ: لَكُمْ تَكُونُ العاقِبةُ والظُّهُورُ، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أيْ: إنْ كُنْتُم صدّقتم نَبِيِّي بِما جاءَكُمْ بِهِ عَنِّي.

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؛ أيْ: جِراحٌ مِثْلُها، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؛ [أيْ: نُصَرِّفُها بَيْنَ النّاسِ لِلْبَلاءِ والتَّمْحِيصِ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؛] أيْ: لِيُمَيِّزَ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ والمُنافِقِينَ، ولِيُكْرِمَ مَنْ أكْرَمَ مِنْ أهْلِ الإيمانِ بِالشَّهادةِ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؛ أي: المُنافِقِينَ الَّذينَ يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِم الطّاعةَ وقُلُوبُهُمْ مُصِرّةٌ على المَعْصِيةِ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤١]؛ أيْ: يَخْتَبِرَ الَّذينَ آمَنُوا حَتّى يُخَلِّصَهُمْ بِالبَلاءِ الَّذي نَزَلَ بِهِمْ، وكَيْفَ صَبْرُهُمْ ويَقِينُهُمْ، ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]؛ أيْ: يُبْطِلَ مِن المُنافِقِينَ قَوْلَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ، حَتّى يَظْهَرَ مِنْهُمْ كُفْرُهُم الَّذي يَسْتَتِرُونَ بِهِ.

[دَعْوةُ الجَنّةِ لِلْمُجاهِدِينَ]

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]؛ أيْ: حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ، فتُصِيبُوا مِنْ ثَوابِي الكَرامةَ، ولَمْ أَخْتَبِرْكُمْ بِالشِّدّةِ، وأَبْتَلِكُمْ بِالمَكارِهِ، حَتّى أَعْلَمَ صِدْقَ ذلك مِنْكُمْ بِالإيمانِ بِي، والصَّبْرِ على ما أصابَكُمْ فِيَّ، ولَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهادةَ على الَّذي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِن الحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ؛ يَعْنِي: الَّذينَ اسْتَنْهَضُوا رَسُولَ الله ﷺ إلى خُرُوجِهِ بِهِمْ إلى عَدُوِّهِمْ، لِما فاتهم من حُضورِ اليَوْمِ الَّذي كانَ قَبْلَهُ بِبَدْرٍ، ورَغْبةً في الشَّهادةِ الَّتِي فاتَتْهُمْ بِها، فقالَ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]؛ يَقُولُ: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]؛ أي: المَوْتُ بِالسُّيُوفِ في أَيْدِي الرِّجالِ قَدْ خُلِّيَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ صَدَّهُمْ عَنْكُمْ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أيْ: لِقَوْلِ النّاسِ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وانْهِزامُهُمْ عِنْدَ ذلك،

وانْصِرافُهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]: رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كُفّارًا كما كُنْتُمْ، وتَرَكْتُمْ جِهادَ عَدُوِّكُمْ، وكِتابَ الله، وما خَلَّفَ نَبِيُّهُ ﷺ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وعِنْدَكُمْ، وقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ فيما جاءَكُمْ بِهِ عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ ومُفارِقُكُمْ، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أَيْ: يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أَيْ: لَيْسَ يَنْقُصُ ذلك عِزَّ الله تَعالى ولا مُلْكَهُ ولا سُلْطانَهُ ولا قُدْرَتَهُ، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أَيْ: مَنْ أَطاعَهُ وعَمِلَ بِأَمْرِهِ.

[ذِكْرُهُ أَنَّ المَوْتَ بِإِذْنِ الله]

ثُمَّ قالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أَيْ: أَنَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَجَلًا هُوَ بالِغُهُ، فإذا أَذِنَ الله عَزَّ وجَلَّ في ذلك كانَ. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أَيْ: مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الدُّنْيا، لَيْسَتْ لَهُ رَغْبَةٌ في الآخِرَةِ، نُؤْتِهِ مِنْها ما قُسِمَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ، ولا يَعْدُوهُ فيها، ولَيْسَ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ حَظٍّ، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]: ما وُعِدَ بِهِ، مَعَ ما يُجْزى عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ في دُنْياهُ، وذلك جَزاءُ الشّاكِرِينَ؛ أَي: المُتَّقِينَ.

[ذِكْرُ شَجاعَةِ المُجاهِدِينَ مِنْ قَبْلُ مَعَ الأَنْبِياءِ]

ثُمَّ قالَ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ أَيْ: وكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ أَصابَهُ القَتْلُ، ومَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ؛ أَيْ: جَماعَةٌ، فما وَهَنُوا لِفَقْدِ

نَبِيِّهِمْ، وما ضَعُفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ، وما اسْتَكانُوا لِما أصابَهُمْ في الجِهادِ عَن الله تَعالى وعَنْ دِينِهِمْ، وذلك الصَّبْرُ، واللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واحِدُ الرِّبِّيِّينَ: رِبِّيٌّ، وقَوْلُهُم: الرِّبابُ، لِوَلَدِ عَبْدِ مَناةَ بنِ أدّ بنِ طابَخةَ بنِ الْياسِ، ولِضَبّةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وتَحالَفُوا، مِنْ هذا، يُرِيدُونَ الجَماعاتِ.

وواحِدةُ الرِّبابِ: رِبّةٌ وَرِبابةٌ، وهِيَ: جَماعاتُ قِداحٍ أوْ عِصِيٍّ ونَحْوِها، فشَبَّهُوها بِها. قالَ أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ:

وَكَأَنَّهُنَّ رِبابةٌ وكَأَنَّهُ ... يَسَرٌ يَفيضُ على القِداحِ ويَصْدَعُ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ. وقالَ أُمَيّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ:

حَوْلَ شياطينهم أبابيلُ رِبْـ ... ـبِيّون شَدُّوا سَنَوَّرًا مَدْسُورا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: والرِّبابةُ أيْضًا: الخِرْقةُ الّتِي تُلَفُّ فيها القِداحُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والسَّنَوَّرُ: الدُّرُوعُ. والدُّسُرُ: هِيَ المَسامِيرُ الَّتِي في الحِلَقِ، يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣].

قالَ الشّاعِرُ، وهُوَ أبو الأخْزَرِ الحِمّانِيُّ، مِنْ تَمِيمٍ:

دَسْرًا بِأطْرافِ القَنا المُقَوَّمِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ؛ أيْ: فقُولُوا مِثْلَ ما قالُوا، واعْلَمُوا أنَّما ذلك بِذُنُوبٍ مِنْكُمْ، واسْتَغْفِرُوهُ كَما اسْتَغْفَرُوهُ، وامْضُوا على دِينِكُمْ كَما مَضَوْا على دِينِهِمْ، ولا تَرْتَدُّوا على أعْقابِكُمْ راجِعِينَ، واسْألُوهُ كَما سَألُوهُ أنْ يُثَبِّتَ أقْدامَكُمْ، واسْتَنْصِرُوهُ كَما اسْتَنْصَرُوهُ على القَوْمِ الكافِرِينَ، فكُلُّ هذا مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ كانَ، وقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، فلَمْ يَفْعَلُوا كَما فعَلْتُمْ، فآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنْيا بِالظُّهُورِ على عَدُوِّهِمْ، وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ وما وعَدَ اللهُ فيها، واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ.

[تَحْذِيرُهُ إيّاهُمْ مِنْ إطاعةِ الكُفّارِ]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]؛ أيْ: عَنْ عَدُوِّكُمْ، فتَذْهَبُ دُنْياكُمْ وآخِرَتُكُمْ، ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، فإنْ كانَ ما تَقُولُونَ بِألْسِنَتِكُمْ صِدْقًا في قُلُوبِكُمْ فاعْتَصِمُوا بِهِ، ولا تَسْتَنْصِرُوا بِغَيْرِهِ، ولا تَرْجِعُوا على أعْقابِكُمْ مُرْتَدِّينَ عَنْ دِينِهِ.

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران: ١٥١]؛ أيْ: الَّذي بِهِ كُنْتُ أنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، بِما أشْرَكُوا بِي ما لَمْ أجْعَلْ لَهُمْ مِنْ حُجّةٍ؛ أيْ: فلا تَظُنُّوا أنَّ لَهُمْ عاقِبةَ نَصْرٍ ولا ظُهُورٍ عَلَيْكُمْ ما اعْتَصَمْتُمْ بِي، واتَّبَعْتُمْ أمْرِي، لِلْمُصِيبةِ الَّتِي أصابَتْكُمْ مِنْهُمْ بِذُنُوبٍ قَدَّمْتُمُوها لِأنْفُسِكُمْ، خالَفْتُمْ بِها أمْرِي لِلْمَعْصِيةِ، وعَصَيْتُمْ بِها النَّبِيَّ ﷺ.

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ

مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؛ أيْ: وقَدْ وفيتُ لَكُمْ بِما وعَدْتُكُمْ مِن النَّصْرِ على عَدُوِّكُمْ؛ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بِالسُّيُوفِ؛ أي: القَتْلِ، بِإذْنِي وتَسْلِيطِي أيْدِيَكُمْ عَلَيْهِمْ، وكَفِّي أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحَسُّ: الِاسْتِئْصالُ: يُقالُ: حَسَسْتُ الشَّيْءَ؛ أي: اسْتَأْصَلْتُهُ بِالسَّيْفِ وغَيْرِهِ. قالَ جَرِيرٌ:

تَحُسُّهُمُ السُّيُوفُ كَما تَسامى حَرِيقُ النّارِ في الأَجَمِ الحَصِيدِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ رُؤْبَةُ بنُ العَجّاجِ:

إذا شَكَوْنا سَنةً حَسُوسا تَأْكُلُ بَعْدَ الأَخْضَرِ اليَبِيسا

وَهذانِ البَيْتانِ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾؛ أيْ: تَخاذَلْتُمْ، ﴿ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾؛ أي: اخْتَلَفْتُمْ في أمْرِي؛ أي: تَرَكْتُمْ أمْرَ نَبِيِّكُمْ وما عَهِدَ إلَيْكُمْ؛ يَعْنِي: الرُّماةَ، ﴿ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾؛ أي: الفَتْحَ، لا شَكَّ فيهِ، وهَزِيمةَ القَوْمِ عَنْ نِسائِهِمْ وأمْوالِهِمْ، ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾؛ أي: الَّذينَ أرادُوا النَّهْبَ في الدُّنْيا، وتَرْكَ ما أُمِرُوا بِهِ مِن الطّاعةِ الَّتِي عَلَيْها ثَوابُ الآخِرةِ، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾؛ أي: الَّذينَ جاهَدُوا في اللهِ، ولَمْ يُخالِفُوا إلى ما نُهُوا عَنْهُ لِعَرَضٍ مِن الدُّنْيا؛ رَغْبةً فيها، رَجاءَ ما عِنْدَ اللهِ مِنْ حُسْنِ ثَوابِهِ في الآخِرةِ؛ أي: الَّذينَ جاهَدُوا في الدِّينِ ولَمْ يُخالِفُوا إلى ما نُهُوا عَنْهُ لِعَرَضٍ مِن الدُّنْيا؛ لِيَخْتَبِرَكُمْ، وذلك بِبَعْضِ

ذُنُوبِكُمْ، ولَقَدْ عَفا اللهُ عَنْ عَظِيمِ ذلك، ألّا يُهْلِكَكُمْ بِما أتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيةِ نَبِيِّكُمْ، ولَكِنِّي عُدْتُ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ، وكَذلك ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] أنْ عاقَبَ بِبَعْضِ الذُّنُوبِ في عاجِلِ الدُّنْيا أدَبًا ومَوْعِظَةً؛ فإنَّهُ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلِّ ما فيهِمْ مِن الحَقِّ لَهُ عَلَيْهِمْ، بِما أصابُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، رَحْمَةً لَهُمْ، وعائِدَةً عَلَيْهِمْ؛ لِما فيهِمْ مِن الإيمانِ.

[تَأْنِيبُهُ إيّاهُمْ لِفِرارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهم]

ثُمَّ أَنَّبَهم بِالفِرارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وهُمْ يُدْعَوْنَ لا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ لِدُعائِهِ إيّاهُمْ، فقالَ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]؛ أيْ: كَرْبًا بَعْدَ كَرْبٍ، بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إخْوانِكُمْ، وعُلُوِّ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ، وبِما وقَعَ في أنْفُسِكُمْ مِنْ قَوْلِ مَنْ قالَ: قُتِلَ نَبِيُّكُمْ، فكانَ ذلك مِمّا تَتابَعَ عَلَيْكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ؛ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾؛ مِنْ ظُهُورِكُمْ على عَدُوِّكُمْ، بَعْدَ أنْ رَأيْتُمُوهُ بِأعْيُنِكُمْ، ولا ما أصابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إخْوانِكُمْ، حَتّى فرَّجْتُ ذلك الكَرْبَ عَنْكُمْ، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وكانَ الَّذي فرَّجَ اللهُ بِهِ عَنْهُمْ ما كانُوا فيهِ مِن الكَرْبِ والغَمِّ الَّذي أصابَهُمْ: أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ رَدَّ عَنْهُمْ كِذْبَةَ الشَّيْطانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فلَمّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ حَيًّا بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، هانَ عَلَيْهِمْ ما فاتَهُمْ مِن القَوْمِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ، والمُصِيبةُ الَّتِي أصابَتْهُمْ في إخْوانِهِمْ، حِينَ صَرَفَ اللهُ القَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فأَنْزَلَ الله النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ على أَهْلِ اليَقِينِ بِهِ، فهُمْ نِيامٌ لا يَخافُونَ، وأَهْلُ النِّفاقِ ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ تَخَوُّفَ القَتْلِ، وذلك أَنَّهُمْ لا يَرْجُونَ عاقِبَةً، فذَكَرَ الله عَزَّ وجَلَّ تَلاوُمَهُمْ وحَسْرَتَهُمْ على ما أَصابَهُمْ.

ثُمَّ قالَ الله سُبْحانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾: لَمْ تَحْضُرُوا هذا المَوْطِنَ الَّذي أَظْهَرَ الله فيهِ مِنْكُمْ ما أَظْهَرَ مِنْ سَرائِرِكُمْ، ﴿لَبَرَزَ﴾: لَأُخْرِجَ ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾: إلى مَوْطِنٍ غَيْرِهِ يُصْرَعُونَ فيهِ، حَتّى يَبْتَلِيَ بِهِ ما في صُدُورِهِمْ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أَيْ: لا يَخْفى عَلَيْهِ ما في صُدُورِهِمْ مِمّا اسْتَخْفَوْا بِهِ مِنْكُمْ.

[تَحْذِيرُهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَخْشَوْنَ المَوْتَ في الله]

ثُمَّ قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]؛ أَيْ: لا تَكُونُوا كالمُنافِقِينَ الَّذينَ يَنْهَوْنَ إِخْوانَهُمْ عَنِ الجِهادِ في سَبِيلِ الله، والضَّرْبِ في الأَرْضِ في طاعةِ الله عَزَّ وجَلَّ، وطاعةِ رَسُولِهِ ﷺ، ويَقُولُونَ إذا ماتُوا أَوْ قُتِلُوا: لَوْ أَطاعُونا ما ماتُوا وما قُتِلُوا؛ ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى

قُلُوبِهِمْۗ ﴾: لِقِلّةِ اليَقِينِ بِرَبِّهِمْ، ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ ﴾؛ أيْ: يُعَجِّلُ ما يَشاءُ ويُؤَخِّرُ ما يَشاءُ مِنْ ذلك مِنْ آجالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ.

قالَ تَعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧]؛ أي: إنَّ المَوْتَ لَكائِنٌ لا بُدَّ مِنْهُ، فمَوْتٌ في سَبِيلِ الله، أوْ قَتْلٌ، خَيْرٌ ـ لَوْ عَلِمُوا وأيْقَنُوا ـ مِمّا يَجْمَعُونَ مِن الدُّنْيا الَّتِي لَهَا يَتأخَّرُونَ عَن الجِهادِ، تَخَوُّفَ المَوْتِ والقَتْلِ؛ لِما جَمَعُوا مِنْ زَهْرةِ الدُّنْيا زَهادةً في الآخِرةِ، ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٨] أيَّ ذلك كانَ، ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٨]؛ أيْ: أنَّ إلى اللهِ المَرْجِعَ، فلا تَغُرَّنَّكُم الدُّنْيا، ولا تَغْتَرُّوا بِها، ولْيَكُن الجِهادُ وما رَغَّبَكُم الله فيهِ مِنْ ثَوابِهِ آثَرَ عِنْدَكُمْ مِنْها.

[ذِكْرُهُ رَحْمَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ]

ثُمَّ قالَ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي: لَتَرَكُوكَ، ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أيْ: فتَجاوَزْ عَنْهُمْ ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: فذَكَرَ لِنَبِيِّهِ ﷺ لِينَهُ لَهُمْ، وصَبْرَهُ عَلَيْهِمْ؛ لِضَعْفِهِمْ، وقِلّةِ صَبْرِهِمْ على الغِلْظةِ لَوْ كانَتْ مِنْهُ عَلَيْهِمْ في كُلِّ ما خالَفُوا عَنْهُ مِمّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طاعةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

ثُمَّ قالَ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾؛ أيْ: تَجاوَزْ عَنْهُمْ، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ذُنُوبَهُمْ، مَنْ قارَفَ مِنْ أهْلِ الإيمانِ مِنْهُمْ، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾؛ أيْ: لِتُرِيَهُمْ

أنَّكَ تَسْمَعُ مِنهُمْ، وتَسْتَعِينُ بِهِمْ وإنْ كُنْتَ غَنِيًّا عَنْهُمْ؛ تَألُّفًا لَهُمْ بِذلك على دِينِهِمْ ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾؛ أي: على أمْرٍ جاءَكَ مِنِّي، وأمْرٍ مِنْ دِينِكَ في جِهادِ عَدُوِّكَ لا يُصْلِحُكَ ولا يُصْلِحُهُمْ إلّا ذلك، فامْضِ على ما أُمِرْتَ بِهِ، على خِلافِ مَنْ خالَفَكَ، ومُوافَقَةِ من وافَقَك، ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: ارْضَ بِهِ مِن العِبادِ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٩-١٦٠]؛ أي: لِئَلّا تَتْرُكَ أمْرِي لِلنّاسِ، وارْفُضْ أمْرَ النّاسِ إلى أمْرِي، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ لا على النّاسِ ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

[ما نَزَلَ في الغُلُولِ]

ثُمَّ قالَ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]؛ أي: ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكْتُمَ النّاسَ ما بَعَثَهُ الله بِهِ إلَيْهِمْ، عَنْ رَهْبَةٍ مِن النّاسِ ولا رَغْبَةٍ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَأْتِ يَوْمَ القِيامةِ بِهِ، ثُمَّ يُجْزى بِكَسْبِهِ غَيْرَ مَظْلُومٍ ولا مُعْتَدًى عَلَيْهِ، ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٢]: على ما أحَبَّ النّاسُ أوْ سَخِطُوا، ﴿ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٢]: لِرِضا النّاسِ أوْ لِسَخَطِهِمْ.

يَقُولُ: أفَمَنْ كانَ على طاعَتِي، فثَوابُهُ الجَنّةُ ورِضْوانٌ مِن الله، كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله واسْتَوْجَبَ سَخَطَهُ، فكانَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المَصِيرُ؟ أسَواءٌ المَثَلانِ؟ فاعْرِفُوا. ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]: لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا في الجَنّةِ والنّارِ؛ أي: إنَّ الله لا يَخْفى عَلَيْهِ أهْلُ طاعَتِهِ مِنْ أهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

[فَضْلُ الله على النّاسِ بِبَعْثِ الرُّسُلِ]

ثُمَّ قالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ أي: لَقَدْ مَنَّ الله عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ الإيمانِ؛ إذْ بَعَثَ فيكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِهِ فيما أَحْدَثْتُمْ، وفيما عَمِلْتُمْ، فيعَلِّمُكُم الخَيْرَ والشَّرَّ؛ لِتَعْرِفُوا الخَيْرَ فتَعْمَلُوا بِهِ، والشَّرَّ فتَتَّقُوهُ، ويُخْبِرَكُمْ بِرِضاهُ عَنْكُمْ إذا أَطَعْتُمُوهُ فتَسْتَكْثِرُوا مِنْ طاعَتِهِ، وتَجْتَنِبُوا ما سَخِطَ مِنْكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؛ لِتَتَخَلَّصُوا بِذلك مِنْ نِقْمَتِهِ، وتُدْرِكُوا بِذلك ثَوابَهُ مِنْ جَنَّتِهِ، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: لَفي عَمْياءَ مِن الجاهِلِيّةِ؛ أي: لا تَعْرِفُونَ حَسَنةً، ولا تَسْتَغْفِرُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ، صُمٌّ عَن الخَيْرِ، بُكْمٌ عَن الحَقِّ، عُمْيٌ عَن الهُدى.

[ذِكْرُهُ المُصِيبةَ الّتِي أصابَتْهُمْ]

ثُمَّ ذَكَرَ المُصِيبةَ الّتِي أصابَتْهُمْ، فقالَ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]؛ أيْ: إنْ تَكُ قَدْ أصابَتْكُمْ مُصِيبةٌ في إخْوانِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، فقَدْ أصَبْتُمْ مِثْلَيْها قَبْلُ مِنْ عَدُوِّكُمْ، في اليَوْمِ الّذي كانَ قَبْلَهُ بِبَدْرٍ، قَتْلًا وأَسْرًا، ونَسِيتُمْ مَعْصِيَتَكُمْ وخِلافَكُمْ عَمّا أمَرَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، أَنْتُمْ أَحْلَلْتُمْ ذلك بِأَنْفُسِكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: إنَّ الله على ما أرادَ بِعِبادِهِ مِنْ نِقْمةٍ أَوْ عَفْوٍ قَدِيرٌ.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]؛

أي: ما أصابَكُمْ حِينَ التقَيْتُمْ أنْتُمْ وعَدُوُّكُمْ فبِإذْنِي، كانَ ذلك حِينَ فعَلْتُمْ ما فعَلْتُمْ بَعْدَ أنْ جاءَكُمْ نَصْرِي، وصَدَقْتُكُمْ وعْدِي، لِيَمِيزَ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ والمُنافِقِينَ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]: مِنْكُمْ؛ أي: لِيُظْهِرَ ما فيهِمْ. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]؛ يَعْنِي: عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ وأصْحابَهُ الَّذينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، حِينَ سارَ إلى عَدُوِّهِ مِن المُشْرِكِينَ بِأُحُدٍ، وقَوْلَهُمْ: لَوْ نَعْلَمُ أنَّكُمْ تُقاتِلُونَ لَسِرْنا مَعَكُمْ، ولَدَفَعْنا عَنْكُمْ، ولَكِنّا لا نَظُنُّ أنَّهُ يَكُونُ قِتالٌ. فأظْهَرَ مِنْهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ في أنْفُسِهِمْ.

يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]؛ أي: يُظْهِرُونَ لَكَ الإيمانَ ولَيْسَ في قُلُوبِهِمْ، ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]؛ أي: ما يُخْفُونَ، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٨] الَّذينَ أُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشائِرِهِمْ وقَوْمِهِمْ: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]؛ أي: أنَّهُ لا بُدَّ مِن المَوْتِ، فإنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَدْفَعُوهُ عَنْ أنْفُسِكُمْ فافْعَلُوا. وذلك أنَّهُمْ إنَّما نافَقُوا وتَرَكُوا الجِهادَ في سَبِيلِ الله؛ حِرْصًا على البَقاءِ في الدُّنْيا، وفِرارًا مِن المَوْتِ.

[التَّرْغِيبُ في الجِهادِ]

ثُمَّ قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ يُرَغِّبُ المُؤْمِنِينَ في الجِهادِ، ويُهَوِّنُ عَلَيْهِم القَتْلَ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]؛ أي: لا تَظُنَّنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ الله أمْواتًا؛ أي: قَدْ أحْيَيْتُهم، فهُمْ عِنْدِي يُرْزَقُونَ في رَوْحِ الجَنّةِ وفَضْلِها، مَسْرُورِينَ بِما آتاهُم الله مِنْ فضْلِهِ على جِهادِهِمْ عَنْهُ، ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]؛ أي: ويُسَرُّونَ بِلُحُوقِ مَنْ لَحِقَهُمْ مِنْ إخْوانِهِمْ على ما مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهادِهِمْ؛ لِيَشْرَكُوهُمْ فيما هُمْ فيهِ مِنْ ثَوابِ الله الَّذي أعْطاهُمْ، قَدْ أذْهَبَ الله عَنْهُم الخَوْفَ والحَزَنَ.

يَقُولُ الله تَعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧١]: لِما عايَنُوا مِنْ وفاءِ المَوْعُودِ، وعَظِيمِ الثَّوابِ.

[مَصِيرُ قَتْلى أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني إسْماعِيلُ بنُ أُمَيّةَ، عَنْ أبي الزُّبَيْرِ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمّا أُصِيبَ إخْوانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ الله أرْواحَهُمْ في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنْهارَ الجَنّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمارِها، وتَأْوِي إلى قَنادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ، في ظِلِّ العَرْشِ، فلَمّا وجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ ومَأْكَلِهِمْ، وحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قالُوا: يا لَيْتَ إخْوانَنا يَعْلَمُونَ ما صَنَعَ الله بِنا؛ لِئَلّا يَزْهَدُوا في الجِهادِ، ولا يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ، فقالَ الله تَعالى: فأنا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فأنْزَلَ الله على رَسُولِهِ ﷺ هَؤُلاءِ الآياتِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني الحارِثُ بنُ الفُضَيلِ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ الأنْصارِيِّ، عَن ابنِ عَبّاسٍ أنَّهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الشُّهَداءُ على بارِقِ نَهْرٍ بِبابِ الجَنّةِ، في قُبّةٍ خَضْراءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِن الجَنّةِ بُكْرَةً وعَشِيًّا».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَؤُلاءِ الآياتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فقالَ: أما إنّا قَدْ سَأَلْنا عَنْها، فقِيلَ لَنا: «إنَّهُ لَمّا أُصِيبَ إخوانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ الله أرْواحَهُمْ في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنْهارَ الجَنّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمارِها، وتَأْوِي إلى قَنادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فيَطَّلِعُ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِم اطِّلاعةً فيقُولُ: يا عِبادِي، ما تَشْتَهُونَ فأَزِيدَكُمْ؟ قالَ: فيقُولُونَ: رَبَّنا، لا فوْقَ ما أعْطَيْتَنا، الجَنّةُ نَأْكُلُ مِنْها حَيْثُ شِئْنا! قالَ: ثُمَّ يَطَّلِعُ الله عَلَيْهِم اطِّلاعةً، فيقُولُ: يا عِبادِي، ما تَشْتَهُونَ، فأَزِيدَكُمْ؟ فيقُولُونَ: رَبَّنا، لا فوْقَ ما أعْطَيْتَنا، الجَنّةُ نَأْكُلُ مِنْها حَيْثُ شِئْنا! قالَ: ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِم اطِّلاعةً، فيقُولُ: يا عِبادِي، ما تَشْتَهُونَ فأَزِيدَكُمْ؟ فيقُولُونَ: رَبَّنا، لا فوْقَ ما أعْطَيْتَنا، الجَنّةُ نَأْكُلُ مِنْها حَيْثُ شِئْنا! إلّا أنّا نُحِبُّ أنْ تَرُدَّ أرْواحَنا في أجْسادِنا، ثُمَّ نُرَدَّ إلى الدُّنْيا، فنُقاتِلَ فيكَ حَتّى نُقْتَلَ مَرّةً أُخْرى».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أصْحابِنا، عَنْ عَبْدِ الله بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَقِيلٍ، قالَ: سَمِعْتُ جابِرَ بنَ عَبْدِ الله يَقُولُ: قالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «ألا أُبَشِّرُكَ يا جابِرُ؟ قالَ: قُلْتُ: بَلى يا نَبِيَّ الله، قالَ: إنَّ أباكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ أحْياهُ الله عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ قالَ لَهُ: ما تُحِبُّ يا عَبْدَ الله بنَ عَمْرٍو أنْ أفْعَلَ بِكَ؟ قالَ: أيْ رَبِّ، أُحِبُّ أنْ تَرُدَّنِي إلى الدُّنْيا فأُقاتِلَ فيكَ، فأُقْتَلَ مَرّةً أُخْرى».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ، عَن الحَسَنِ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما مِنْ مُؤْمِنٍ يُفارِقُ الدُّنْيا يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلَيْها ساعةً مِنْ نَهارٍ، وأنَّ لَهُ الدُّنْيا وما فيها إلّا الشَّهِيدُ؛ فإنَّهُ يُحِبُّ أنْ يُرَدَّ إلى الدُّنْيا، فيقاتِلَ في سَبِيلِ الله، فيُقْتَلَ مَرّةً أُخْرى».

[ذِكْرُ من خرجُوا مع الرّسُولِ إلى حَمْراءِ الأسَدِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]؛ أي: الجِراحُ، وهُم المُؤْمِنُونَ الَّذينَ سارُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الغَدَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ إلى حَمْراءِ الأسَدِ على ما بِهِمْ مِنْ أَلَمِ الجِراحِ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣]: والنّاسُ الَّذينَ قالُوا لَهُمْ ما قالُوا، النَّفَرُ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، الَّذينَ قالَ لَهُمْ أبو سُفيانَ ما قالَ، قالُوا: إنَّ أبا سُفيانَ ومَنْ مَعَهُ راجِعُونَ إلَيْكُمْ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]: لِما صَرَفَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ لِقاءِ عَدُوِّهِمْ، ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ أي: لِأُولَئِكَ الرَّهْطِ وما أَلْقى الشَّيْطانُ على أفْواهِهِمْ، ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ أي: يُرْهِبُكُمْ بِأوْلِيائِهِ، ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [آل عمران: ١٧٥-١٧٦]؛ أي: المُنافِقُونَ ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٧٦-١٧٩]؛ أي: المُنافِقِينَ، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ أي: فيما يُرِيدُ أنْ يَبْتَلِيَكُمْ بِهِ؛ لِتَحْذَرُوا ما يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فيهِ، ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ أي: يُعَلِّمُهُ ذلك، ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ أي: تَرْجِعُوا وتَتُوبُوا، ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وَذَكَرَ أبا عَزّةَ، وكانَ الّذِي أَسَرَهُ عُمَيْرُ بنُ عبدِ الله، كَذا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ، وأَحْسَبُهُ عبدَ اللهِ بنَ عُمَيْرٍ أَحَدَ بَنِي خُدارةَ، أَوْ عبدَ اللهِ بنَ عُمَيْرٍ الخَطْمِيّ.

ومِنْ خَبَرِ أَبِي عَزّةَ ما ذَكَرَه[١] الزُّبَيْرُ عَنِ ابنِ[٢] جُعْدُبَةَ والضّحّاكِ بنِ عُثْمانَ.

والجُعْدُبةُ في اللّغةِ واحِدةُ الجَعادِبِ، وهي النُّفّاخاتُ الّتِي تَكُونُ في الماءِ.

قالا: بَرِصَ أَبُو عَزّةَ [الجُمَحِيُّ][٣]، فكانَتْ قُرَيْشٌ لا تُؤاكِلُهُ ولا تُجالسُه، فقال: الموتُ خَيْرٌ مِنْ هَذا، فأَخَذَ حَدِيدةً ودَخَلَ بَعْضَ شِعابِ مَكّةَ فطَعَنَ بِها في مَعَدِّهِ، [فمارتْ بين الجلد][٤]، والمَعَدُّ: مَوْضِعَ عَقِبِ الرّاكِبِ مِن الدّابّةِ، وقالَ ابنُ جُعْدُبَةَ: فَمارَتِ الحَدِيدةُ. وقالَ الضّحّاكُ بن عثمان: بَيْنَ الجِلدِ والصِّفاقِ[٥]، فسالَ مِنْهُ ماءٌ أصفرُ فَبَرِئَ، فقالَ[٦]: [من الرجز]

لا هُـمَّ[٧] رَبّ وائِـلٍ ونَهْـدِ والتَّهَماتِ والجِبالِ الجُرْدِ[٨]

---

(١) في (ف): «ذكر».

(٢) كذا في (أ). وفي غيرها: «أبو جعدبة»، وهو يزيد بن عياض بن جعدبة، كذا ورد في «طبقات فحول الشعراء» (ص: ٢١٦)، والخبر في «الطبقات» عن ابن جعدبة: (ص: ٢٥٦-٢٥٧). وأشار المحقق إلى مراجع أخرى له.

(٣) ليس في (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ب)، (ف)، وفي (ص): «بين الجلد والمعديين موضع...». هذا وانظر: «جمهرة» الكلبي: (ص: ٩٨)، و«المحبر» لابن حبيب: (ص: ٣٠١). ومارت: نفذت في الجسم.

(٥) الصفاق: الجلد الأسفل الذي يلي الجلد الذي عليه الشعر.

(٦) انظر الشعر في: «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ٩٨).

(٧) في (ص)، (ج): «اللهُمَّ».

(٨) التّهمات: جمع تَهَمة، وهي الأرض المنصوبة إلى البحر. وفي «جمهرة» الكلبي، و«المحبر» لابن حبيب: (ص: ٣٠١): «واليعملات والخيول الجرد».

وَرَبَّ مَنْ يَرْعى بِــأَرْضِ نَجْدِ   أَصْبَحْتُ عبــدًا لَك وابنَ عبدِ
أَبْرأتَنِي مِنْ وضَحٍ في جِلدِي[١]   مِنْ بَعْدِ ما طَعَنْــتُ في مَعَدِّي

وَذَكَـرَ إرْسـالَ أَبِي سُفْيـانَ مَعَ الرَّكْبِ بِالوَعِيـدِ، وكانَ المُوَصِّـلَ مَقالَتَهُ لِلمُؤْمِنَيْنِ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ، فقالُوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، كذلك جاء في التفسير.

وذَكَرَ قَوْلَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيّ حِينَ أُخْرِجَ مِن المَسْجِدِ: «لَكَأنّما قُلتُ بَجْرًا». البَجْرُ: الأمْرُ العَظِيمُ، والبَجارِي: الدّواهِي. وفي وصيّةِ أبي بكرٍ: «يا هادِيَ الطّريق جُرْتَ، إنّما هو الفجرُ أو البجرُ»، قال الخطّابيُّ: معناهُ: الدّاهية[٢].

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في غَيْرِ هَذِهِ الرّوايةِ قَوْلَ النّبيّ ﷺ في قَتْلى أُحُدٍ: «يا لَيْتَنِي غُودِرْتُ مَعَ أصْحابِ نُحْصِ الجَبَلِ». ونُحْصُ الجَبَل: أسفله، قاله صاحب «العين»[٣].

* * *

(١) في (ف): «بجلدي»، وعند الكلبي وابن حبيب: «أبرأت مني برصًا في جلدي».
(٢) «غريب الحديث» له: (٢: ٣٩).
(٣) «العين» (٣: ١٢٠)، ونصه: «ونُحص الجبل: أصله».

تَفْسِيرُ ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ في أُحُدٍ[١]

قَدْ ذكر ابنُ إسحاقَ ما يَحتاجُ إليه قارئُ السّيرةِ مِنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ، وذَكَرَ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآيَةَ، لَمْ يَزِدْ عَلى ما في الكِتابِ مِنْهُ. وفي تَفْسِيرِ التّرْمِذِيّ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ أنّ رسول الله ﷺ كان يَدْعُو عَلى أَبِي سُفْيانَ والحارِثِ بنِ هِشامٍ وعَمْرِو بنِ العاصِي، حَتّى أَنزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، قال: فَتابُوا وأَسْلَمُوا وحَسُنَ إسْلامُهُمْ[٢]. وهَذا حَدِيثٌ ثابِتٌ في حُسْنِ إسْلامِ أَبِي سُفْيانَ، خِلافًا لِمَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وأمّا الحارِثُ بنُ هِشامٍ فلا خِلافَ في حُسْنِ إسْلامِهِ، وفي مَوْتِهِ شَهِيدًا بِالشّامِ، وأمّا عَمْرُو بنُ العاصِي فقَدْ قالَ [فيهِ][٣] النّبِيُّ عَلَيْهِ ﷺ: «أَسْلَمَ النّاسُ وآمَنَ عَمْـرٌو»[٤]، وقالَ في حَدِيثٍ جَـرى: ما كانَتْ هِجْـرَتِي لِلمـالِ، وإنّما كانَتْ للهِ ورَسُولِهِ، فقالَ لَهُ النّبِيُّ ﷺ: «نِعِمّا بِالمالِ الصّالِحِ لِلرّجُلِ الصّالِحِ»، فسَمّاهُ رَجُلًا صالِحًا، والحَدِيثُ الّذِي جَرى: أنّهُ كانَ قالَ لَهُ: «إنّي أُرِيدُ أنْ

---

(١) في (أ)، (ف): «يوم أحد».

(٢) أبواب التفسير: (١١: ١٣١)، وفيه: دعا رسول الله ﷺ على أبي سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية. ولم يرد فيه ذكرٌ لعمرو بن العاص. وانظر: «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٢٢٦).

(٣) ليس في (ب).

(٤) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٣: ٢٣١-٢٣٢).

أبْعَثَك وجْهًا يُسَلِّمُك اللهُ فيهِ، ويُغَنِّمُكَ، وأزْعَبُ[١] لَك زَعْبةً مِن المالِ»[٢].
وسَتأْتِي نُكَتٌ وعُيُونٌ مِنْ أخْبارِ الحارِثِ وأبِي سُفْيانَ فيما بَعْدُ إنْ شاءَ اللهُ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وفيهِ فضْلٌ عَظِيمٌ لِلشّهَداءِ، وتَنْبِيهٌ عَلى حُبِّ اللهِ إيّاهُمْ، حَيْثُ قال: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، ولا يُقالُ: اتَّخَذْتُ ولا أتَّخِذُ إلّا في مُصْطَفًى مَحْبُوبٍ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال[٣]: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، فالاتّخاذ إنما هو اقتناءٌ واجتباءٌ، وهُوَ افْتِعالٌ مِنَ الأخْذِ، فإذا قُلت[٤]: اتّخَذْتُ كَذا، فمَعْناهُ: اتخذْتُه[٥] لِنَفْسِي، واخْتَرْتُه لَها، فالتّاءُ الأُولى بَدَلٌ مِنْ ياءٍ، وتِلكَ الياءُ بَدَلٌ مِنْ هَمْزةِ (أخَذَ)، فقُلِبَتْ تاءً إذْ كانَت الواوُ تَنْقلِبُ تاءً في مِثْلِ هَذا البناءِ، نَحْوُ: اتَّعد واتَّزن، والياءُ أُخْت الواو، فقُلِبَتْ [في هَذا المَوْضِع تاءً[٦]][٧]، وكَثُرَ اسْتِعْمالُهُمْ لِهَذِهِ الكَلِمةِ، حَتّى قالُوا: تَخِذْتُ بِحَذْفِ إحْدى التّاءَيْنِ اكْتِفاءً بِإحداهما عَنِ الأُخْرى، ولا يَكُونُ هَذا الحَذْفُ إلّا في الماضِي خاصّةً، لا[٨] يُقالُ: يَتْخَذُ كَما يُقالُ تَخِذَ؛ لِأنّ المُسْتَقْبَلَ لَيْسَ فيهِ

---

(١) زَعَب له من المال زَعبة ـ بالفتح ويضم ـ وزِعبًا ـ بالكسر ـ: دفعَ له قطعة منه، والزَّعبة: الدفعة الوافرة من المال.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤: ١٩٧، ٢٠٢). وفيه: «وأرغب لك من المال رغبةً». أبو عبيد في «غريب الحديث» (١: ٩٤)، على أنه بالزاي، أي: أزعب زعبة.

(٣) في النسخ: «ولم يتخذ». وصواب الآية ما أثبت.

(٤) في (ف): «وإذا قال اتخذت».

(٥) في (ف)، (ب): «أخذته».

(٦) في (ف): «فقلبت تاءً في هذا الموضع».

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٨) في (ف): «ولا».

هَمْزةُ وصْلٍ، وإنّما فرُّوا في الماضِي مِنْ ثِقَلِ الهَمْزةِ في الِابْتِداءِ، واسْتَغْنَوْا بحَرَكةِ التّاءِ عَنْها، وكَسرُوا الخاءَ مِنْ تَخِذْتُ؛ لِأنّهُ لا مُسْتَقْبَلَ لَهُ مَعَ الحَذْفِ، فحَرّكُوا عَيْنَ الفِعْلِ بالحَرَكةِ الّتِي كانَتْ لَهُ في المُسْتَقْبَلِ. وكَلامُنا هَذا عَلى اللّغةِ المَشْهُورةِ، وإلّا فقَدْ حُكِيَ يَتْخِذُ في لُغةٍ ضَعِيفةٍ ذَكَرَها أبُو عُبَيْدٍ، وذَكَرَها النّحّاسُ في «إعْراب القُرْآنِ»[1].

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ظَهَرَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الآيةِ حِينَ انْقَلَبَ أهْلُ الرِّدّةِ عَلى أعْقابِهِمْ، فلَمْ يَضُرَّ ذَلِكَ دِينَ اللهِ، ولا أُمّةَ نَبِيِّهِ، وكانَ أبُو بَكْرٍ يُسَمّى: أمِير الشّاكِرِينَ لِذَلِكَ، وفي هَذِهِ الآيةِ دَلِيلٌ عَلى صِحّةِ خِلافَتِهِ؛ لِأنّهُ الّذِي قاتَلَ المُنْقَلِبِينَ عَلى أعْقابِهِمْ حِينَ رَدّهُمْ إلى الدّينِ [الّذِي][2] خَرَجُوا مِنْهُ، وكانَ في قَوْلِهِ: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] دَلِيلٌ عَلى أنّهُمْ سَيَظْفَرُونَ بِمَنِ ارْتَدّ، وتَكْمُلُ عَلَيْهِم النّعْمةُ فيَشْكُرُونَ، فتَحْرِيضُهُ إيّاهُمْ عَلى الشّكْرِ - والشّكْرُ لا يَكُونُ إلّا عَلى نِعْمةٍ - دَلِيلٌ عَلى أنّ بَلاءَ الرّدّةِ لا يَطُولُ، وأنّ الظّفَرَ بِهِمْ سَرِيعٌ، كَما كانَ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الفتح: ١٦] فيهِ أيْضًا: تصْحِيحٌ لِخِلافةِ أبِي بَكْرٍ؛ لِأنّهُ [الّذِي][3] دَعا الأعْرابَ إلى جِهادِ حَنِيفةَ، وكانُوا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، ولَمْ يُقاتَلُوا لِجزْيةٍ، وإنّما قُوتِلُوا لِيُسْلِمُوا، وكانَ قِتالُهُمْ بِأمْرِ أبِي بَكْرٍ، وفي سُلطانِهِ، ثُمّ قالَ: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]، فأوْجَبَ عَلَيْهِم الطّاعةَ لِأبِي بَكْرٍ، فكانَ في الآيةِ كالنّصّ عَلى خِلافَتِهِ.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس: (٢: ٤٦٨)، الآية ٧٧ من سورة الكهف.

(٢) ليس في (أ).

(٣) ليس في (أ).

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقَدْ بَيَّنَ[١] في سُورةِ الحَشْرِ مَن الصّادِقُونَ، وهم المهاجرون، لقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]، فأمر الذين تبوَّؤُوا الدّارَ والإيمانَ أنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ؛ أيْ: تَبَعًا لَهُمْ، فحَصَلَتِ الخِلافةُ في الصّادِقِينَ بِهَذِهِ الآيةِ، فاسْتَحَقّوها بِهَذا الِاسْمِ، ولَمْ يَكُنْ في الصّادِقِينَ مَنْ سَمّاهُ اللهُ: الصِّدّيقَ إلّا أبُو بَكْرٍ[٢]، فكانَتْ لَهُ خاصّةً، [ثُمّ لِلصّادِقِينَ بَعْدَهُ][٣].

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سبحانه: « وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ »[٤] [آل عمران: ١٤٦]، ارْتَفَعَ ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ عَلى تَفْسِيرِ ابنِ إسْحاقَ بِالِابْتِداءِ[٥]، والجُمْلةُ في مَوْضِعِ الحالِ مِن المضمَرِ في (قُتِلَ)، وهَذا أصَحُّ التَّفْسِيرَيْنِ؛ لِأنّهُ قالَ: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ولَوْ كانُوا هُم المَقْتُولِينَ ما قالَ فيهِمْ: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ أيْ: ما ضَعُفُوا، وقَدْ يُخَرَّجُ أيْضًا قَوْلُ مَنْ قالَ: ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ مَفْعُولٌ لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ بِـ(قُتِلَ) عَلى أنْ يَكُونَ مَعْنى قَوْلِهِ: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ ﴾؛ أيْ: ما وهَنَ الباقي مِنْهُمْ لِما أُصِيبُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ إخْوانِهِمْ، وهَذا وجْهٌ، ولَكِنْ سَبَبُ نُزُولِ هذه الآيةِ يَدُلُّ عَلى صِحّةِ التَّفْسِيرِ الأوّلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾، وهُمُ الجَماعاتُ في قَوْلِ أهْلِ اللّغةِ، وقالَ ابنُ مَسْعُودٍ: ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ أُلُوفٌ، وقالَ أبانُ بنُ تَغْلِبَ[٦]: الرِّبِّيُّ: عَشَرةُ آلافٍ.

---

(١) في (أ): «تبين».
(٢) بعده في (ف): «الصديق».
(٣) عن (أ)، (ب)، ويقابله في (ف): «ثم للصادقين بهذه الآية بعده».
(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ﴾، والباقون بضم القاف وكسر التاء.
(٥) قال ابن إسحاق: «وكأين من نبيٍّ أصابه القتل ومعه ربيون كثير».
(٦) هو أبو سعد، إمام مقرئ كوفي، قرأ على عاصم وأبي عمرو، توفي سنة (١٤١هـ). =

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وعلى تَفْسِيرِ ابنِ إسْحاقَ: غمًّا بَعْدَ غمٍّ، الباءُ مُتَعَلِّقةٌ بمَحْذُوف، التّقْدِيرُ: غمًّا مَقْرُونًا[١] بغمٍّ، وعلى تفْسِيرٍ آخرَ مُتَعلِّقةٌ بأثابكُمْ؛ أيْ: أثابكُمْ غمًّا بِما غَمَمْتُمْ نَبِيَّهُ حِينَ خالَفْتُمْ أمْرَهُ.

وقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قالَ ابنُ عَبّاسٍ: هُوَ عبدُ اللهِ بنُ جُبَيْرٍ الّذِي كانَ أمِيرًا عَلى الرُّماةِ، وكانَ أَمَرَهُمْ أنْ يَلزَمُوا مَكانَهُمْ، وألّا[٢] يُخالِفُوا أمْرَ نَبِيِّهِمْ، فثَبَتَتْ مَعَهُ طائِفةٌ، فاسْتُشْهِدَ، واسْتُشْهِدُوا معه[٣]، وهُمُ الذين أرادُوا الآخِرةَ، وأقْبَلَتْ طائِفةٌ على المَغْنَمِ وأخْذِ السَّلَبِ، فكَرَّ عَلَيْهِمُ العَدُوُّ وكانَت المُصِيبةُ.

وفي الخَبَرِ: «لَقَدْ رَأيتُ خَدَمَ هِنْدٍ وصَواحِبَها وهُنّ مُشَمِّراتٌ في الهرب»[٤]. والخَدَمُ: الخَلاخِيلُ.

وكَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ ذَكَرَ هِنْدًا، وأنّها اتّخَذَتْ مِنْ آذانِ الشّهَداءِ وأنوفِهِمْ خَدَمًا وقَلائِدَ، وأعْطَتْ خَدَمَها وحْشِيًّا، مَعْناهُ: الخَلاخِلُ أيْضًا.

وَقَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، في صَحِيحِ التّفْسِيرِ أنّ عَتّابَ بنَ قُشَيْرٍ هُوَ قائِلُ هَذِهِ المَقالة، وكانَ مَنْبُوزًا بالنّفاقِ.

= انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦: ٣٠٨، و«غاية النهاية» (١: ٤).

(١) في النسخ: «غم مقرون».

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «ولا يخالفوا».

(٣) «معه» ليس في (ف).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» عن الزبير: (٢: ٧٧)، وأخرجه الإمام أحمد: (٤: ٢٩٣)، والبخاري، «فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ١٦٢-١٦٧)، والمغازي: (٧: ٣٤٩-٣٥٠).

وقوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أيْ: يَظُنّون أنّ الله خاذِلٌ دِينَهُ ونَبِيّهُ.

وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أيْ: أهْلِ الجاهِلِيّةِ؛ كَأبي سُفْيانَ وأصْحابِهِ.

وَذَكَرَ قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وفَسَّرَهُ، وقَدْ جاءَ[1] عَن ابنِ عَبّاسٍ أنّهُ قالَ: نَزَلَتْ في أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، أُمِرَ بِمُشاوَرَتِهِما.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وفَسَّرَهُ أنْ يَكْتُمَ ما أنْزَلَ اللهُ، وأكْثَرُ المُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ: نَزَلَتْ في الغُلُولِ، وفي بَعْضِ الآثارِ أنّهُمْ فقَدُوا قَطِيفةً مِن المَغْنَم، فقالَ [قائِلٌ][2]: لَعَلّ رسولَ الله ﷺ أخَذَها، فأنْزَلَ اللهُ تعالى الآيةَ، ومَنْ قَرَأ[3]: (يُغَلّ) بضمِّ الياء وفتح الغين فمعناه: أن يُلْفى[4] غالاًّ، تَقُولُ: أجْبَنْتُ الرّجُلَ: إذا ألْفَيْته[5] جَبانًا، وكَذَلِكَ أغْلَلْتُه: إذا وجَدْتَه غالًّا، وقَدْ قالَ عمرو بن معدي كرِب لِبَنِي سُلَيْمٍ: قاتَلْناكُمْ فما أجْبَنّاكُمْ، وسَألْناكُمْ فما أبْخَلْناكُمْ[6]. وتَفْسِيرُ ابنِ إسْحاقَ غَيْرُ خارِجٍ عَنْ مُقْتَضى اللّغةِ، فمَنْ كَتَمَ فقَدْ غَلّ؛ أيْ: سَتَرَ، وكَذَلِكَ مَنْ خانَ في شَيْءٍ وأخَذَهُ خُفْيةً فقَدْ سَتَرَهُ

(١) «وقد جاء» في (ف): «وجاء».

(٢) سقط من (أ).

(٣) قرأ بالبناء للفاعل ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وبالبناء للمفعول من عداهم من السبعة. انظر: «الإقناع» لابن الباذش: (٢: ٦٢٣).

(٤) في (ف): «يلقى».

(٥) في (ف): «لقيته».

(٦) من شواهد «شرح الشافية» للرضي، على أن «أفعل» تأتي لوجود المفعول على صفة. انظر: (١: ٩١).

[وكَتَمَهُ][(١)]، وأصْلُ الكَلِمةِ: السّتْرُ والإخْفاءُ، ومِنْهُ الغُلالةُ والغَلَلُ لِلماءِ الّذِي يُغَطِّيهِ الشّجَرُ والنّباتُ، وقَدْ أمَرَ رسولُ الله ﷺ في بَعْضِ المَغازِي بِإحْراقِ مَتاعِ الغالِّ[(٢)]، وأخَذَ[(٣)] بِهِ طائِفةٌ مِنَ الفُقَهاءِ، مِنْهُمْ أحمدُ وإسحاقُ.

[قلت: أخرجَهُ التِّرمذيُّ[(٤)]، وهو حديثٌ لا يصِحُّ. قال الإمام أبو عبد الله البُخاريُّ: عامّةُ أصحابِنا يحتجُّون بهذا الحديثِ في إحراقِ متاعِ الغالِّ، وهو حديثٌ باطل[(٥)]، وبه قالَ الأوزاعيُّ وأحمدُ وإسحاق][(٦)].

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: ١٦٩]، الآياتِ، وهَؤُلاءِ هُمُ الّذِينَ سَمّاهُمُ اللهُ شُهَداءَ بقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وهذا الِاسْمُ مَأْخُوذٌ مِن الشّهادةِ أوْ مِن المُشاهَدةِ، فإنْ كانَ مِن الشَّهادةِ فهُوَ فعيلٌ بِمَعْنى مفعول، أيْ: مَشْهُودٌ عَلَيْهِ، ومَشْهُودٌ لَهُ بِالجَنّةِ، أمّا مَشْهُودٌ عَلَيْهِ فلِأنّ رسولَ الله ﷺ حِينَ وقَفَ عَلى قَتْلى أُحُدٍ قالَ: «هَؤُلاءِ الّذِينَ أشْهَدُ عَلَيْهِمْ»؛ أيْ: أشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِالوَفاءِ، وقالَ: «عَلَيْهِمْ» ولَمْ يَقُل: لَهُمْ؛ لِأنّ المَعْنى: أجِيءُ يَوْمَ القِيامةِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ، وهي وِلايةٌ وقِيادةٌ، فوُصِلَتْ بِحَرْفِ «عَلى».

---

(١) عن (ب)، (ج)، (ف).

(٢) غَلَّ غلولًا: زاده في المغنم.

(٣) في (ب): «وأخذت».

(٤) «عارضة الأحوذي»، كتاب الحدود: (٦: ٢٤٧).

(٥) انظر: «فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ١٨٧).

(٦) عن (أ).

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِن الشّهادةِ، ويكُونُ فعِيلًا بمَعْنى فاعِلٍ؛ لِأنّ اللهَ سبحانه يَقُولُ: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]؛ أيْ: تَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ، وهَذا وإنْ كانَ عامًّا في جَمِيعِ أُمّةِ مُحَمّدٍ فالشّهَداءُ أوْلى بهَذا الِاسْمِ؛ إذْ هُمْ تَبَعٌ لِلصّدِّيقِينَ والنّبيّين، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]، فهَذانِ وجْهانِ في مَعْنى الشّهِيدِ إذا جَعَلتَهُ مُشْتَقًّا مِن الشّهادةِ، وإنْ كانَ مِن المُشاهَدةِ فهُوَ فعِيلٌ بمَعْنى فاعِلٍ أيْضًا؛ لِأنّهُ يُشاهِدُ من ملكوتِ الله، ويعايِنُ من ملائكتِه ما لا يُشاهِدُ غيْرُهُ، ويَكُونُ أيْضًا بمَعْنى مَفْعُولٍ، وهُوَ مِن المُشاهَدةِ؛ أيْ: إنّ المَلائِكةَ تُشاهِدُ قَبْضَهُ، والعُرُوجَ برُوحِهِ، ونَحْو ذَلِكَ، فيَكُونُ فعِيلًا بمَعْنى مَفْعُولٍ.

وأوْلى هَذِهِ الوُجُوهِ كُلِّها بالصِّحّةِ أنْ يَكُونَ فعِيلًا[١] بمَعْنى مَفْعُولٍ، ويَكُون مَعْناهُ: مَشْهُودًا لَهُ بِالجَنّةِ، أوْ[٢] يَشْهَدُ عَلَيْهِ[٣] النّبيّ ﷺ، كَما قالَ: «هَؤُلاءِ أنا شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ»؛ أيْ: [قَيِّمٌ عَلَيْهِمْ بِالشّهادةِ لَهُمْ، وإذا حُشِرُوا تَحْتَ لِوائِهِ فهُوَ والٍ عَلَيْهِمْ، وإنْ كانَ شاهِدًا][٤] لَهُمْ، فمِنْ ههُنا اتّصَلَ الفِعْلُ بـ(على) فتقَوّى هَذا الوَجْهُ مِنْ جِهةِ الخَبَرِ، ومِنْ وجْهٍ آخَرَ مِن العَرَبِيّةِ، وهُوَ أنّ النّبيّ ﷺ حِينَ ذَكَرَ الشُّهَداءَ قالَ: «والمَرْأةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ»[٥]، ولَمْ يَقُل: شَهِيدةٌ، وفي رِوايةٍ أُخْرى قالَ: «والنُّفَساءُ شَهِيدٌ يَجُرُّها جَنِينُها بِسَرَرِهِ إلى الجَنّةِ»[٦]، و(فَعِيلٌ)

(١) في (ف): «فعيل».
(٢) في (ف): «و».
(٣) في (ب)، (ج): «له».
(٤) سقط من (ب).
(٥) «مسند الإمام أحمد» (٥: ٣١٥).
(٦) «مسند الإمام أحمد» (٥: ٣٢٩). والسَّرَر بفتح السين وكسرها، لغة في السُّرِّ: وهو ما يُقطع من سُرة المولود.

إذا كانَ صِفةً لِمُؤَنّثٍ كانَ بغَيْرِ هاءٍ إذا كانَ بِمَعْنى مَفْعُولٍ، نَحْوُ: امْرَأةٌ قَتِيلٌ وجَرِيحٌ، وإنْ كانَ بِمَعْنى (فاعِلٍ) كانَ بالهاءِ؛ كَقَوْلِهِم: امْرَأةٌ عَلِيمةٌ ورَحِيمةٌ، ونَحْو ذَلِكَ، فدَلّ عَلى أنّ الشّهِيدَ مَشْهُودٌ لَهُ، ومَشْهُودٌ عَلَيْهِ، وهَذا اسْتِقْراءٌ مِن اللّغةِ صَحِيحٌ، واستنباطٌ من الحديثِ بديعٌ، فقِفْ عليه.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ حَدِيثَ ابنِ عَبّاسٍ المَرْفُوعَ، وفيهِ: «إنَّ اللهَ جَعَلَ أرْواحَهُمْ في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ»، وعَنْ قَتادةَ قالَ: «ذُكِرَ لَنا أنّ أرْواحَ الشُّهَداءِ تَتعارَفُ في طَيْرٍ بِيضٍ عندَ السِّدْرةِ»، وقَدْ أنْكَرَ هَذِهِ الرّوايةَ قَوْمٌ وقالُوا: لا يَكُونُ رُوحانِ في جَسَدٍ واحِدٍ، وإنّ ذَلِكَ مُحالٌ. وهَذا جَهْلٌ بالحَقائِقِ؛ فإنّ مَعْنى الكَلامِ بَيِّنٌ؛ فإنّ رُوحَ الشَّهِيدِ الّذِي كانَ في جوفِ جَسَدِهِ في الدّنْيا تُجْعَلُ في جوف جَسَدٍ آخَرَ كَأنّهُ صُورةُ طائِرٍ، فيَكُونُ في هَذا الجَسَدِ الآخَرِ كَما كانَ في الأوّلِ إلى أنْ يُعِيدَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامةِ كَما خَلَقَهُ، وهَذِهِ الرّوايةُ لا تُعارِضُ ما رَوَوْهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: في صُورَةِ طَيْرٍ خُضْرٍ، والشّهَداءُ طَيْرٌ خُضْرٌ. وجَمِيعُ الرّواياتِ[1] مُتّفِقةُ المَعْنى، وإنّما الّذِي يَسْتَحِيلُ في العَقْلِ قِيامُ حَياتَيْنِ بِجَوْهَرٍ واحِدٍ، فيَحْيا الجَوْهَرُ بِهِما جَمِيعًا، وأمّا رُوحانِ في جَسَدٍ فلَيْسَ بِمُحالٍ إذا[2] لَمْ نَقُل بتَداخُلِ الأجْسامِ، فهَذا الجَنِينُ في بطن أمِّه وروحُهُ غَيْرُ روح[3] أمِّه، وقَد اشْتَمَلَ عَلَيْهِما جَسَدٌ واحِدٌ، وهَذا أنْ لَوْ قِيلَ لَهُمْ: إنّ الطّائِرَ لَهُ رُوحٌ غَيْرُ رُوحِ الشّهِيدِ، وهُما في جَسَدٍ واحِدٍ، فكَيْفَ وإنّما قالَ: في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ؛ أيْ: في صُورِ[4] طَيْرٍ، كَما تَقُولُ: رَأيْتُ مَلَكًا في صُورةِ إنْسانٍ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «إنّما نَسَمةُ

---

(١) زاد في (ف) هنا: «كلها».

(٢) في (ف): «إذ».

(٣) في (ب)، (ص)، (ف): «روحها».

(٤) في (أ)، (ج)، (ف): «صورة».

المُؤْمِنِ طائِرٌ يَعْلَقُ في شَجرِ الجَنّةِ»[١]، وتَأوّلَهُ بَعْضُهُمْ مَخْصُوصًا بالشّهِيدِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: أما الشّهِيدُ فإنه في الجَنّةِ[٢] يَأْكُلُ مِنْها حَيْثُ شاءَ، ثُمّ يَأْوِي إلى قَنادِيلَ مُعَلّقةٍ بالعَرْشِ[٣]، وغَيْرُ الشّهِيدِ مِن المُؤْمِنِينَ نَسَمَتُهُ ـ أيْ: رُوحُهُ ـ طائِرٌ، لا أنّ رُوحَهُ جُعِلَ في جَوْفِ طائِرٍ لِيَأْكُلَ ويَشْرَبَ كَما فُعِلَ بِالشّهِيدِ، لَكِنّ الرُّوحَ نَفْسَهُ[٤] طائِرٌ يَعْلَقُ بِشَجَرِ الجَنّةِ.

«يَعْلَقُ» بِفَتْحِ[٥] اللّامِ: يَتَشَبَّثُ بِها ويَرى مَقْعَدَهُ مِنْها، ومَنْ رَواهُ: «يعلُقُ» [بِضَم اللام][٦] فمعناه: يُصِيبُ منها العُلقةَ؛ أي: ينالُ منها ما هُوَ دُونَ نَيْلِ الشّهِيدِ، فضَرَبَ العُلْقةَ مَثَلًا؛ لِأنّ مَنْ أصابَ العُلقةَ مِنَ الطّعام فقَدْ أصابَ دُونَ ما أصابَ غَيْرُهُ مِمّنْ أدْرَكَ الرّغَدَ، فهُوَ مثلٌ مَضْرُوبٌ يُفْهَمُ مِنْهُ هَذا المَعْنى.

وَإنْ كانَ أرادَ بِـ(يَعْلُقُ): الأكلَ نفسَه، فهو مخصوصٌ بالشَّهيد، فتكون رِوايةُ مَنْ رَواهُ بِالضّمِّ لِلشُّهَداءِ، ورِوايةُ الفَتْحِ لِمَنْ دُونَهُمْ، فاللهُ أعْلَمُ بِما أرادَ رَسُولُهُ من ذلك.

[وقوله: «ثم تأوي[٧] إلى قناديلَ» يُصَدِّقُهُ قَوْلُ الله سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ [الحديد: ١٩]. وإنّما تَأْوِي إلى تلك القناديلِ

(١) «مسند الإمام أحمد»: (٣: ٤٥٥).
(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «إنما الشهيد في الجنة».
(٣) في (ب)، (ج)، (ص)، (ف): «من العرش».
(٤) في (ج)، (ص): «نفسها».
(٥) في (ب): «بضم».
(٦) ما بين المعقوفين سقط من: (ب)، (ص)، (ف).
(٧) في (ف): «يأوي».

لَيْلًا، وتَسْرَحُ نَهارًا، فتَعْلَمُ بِذَلِكَ اللَّيْلَ مِنَ النّهارِ، وبَعْدَ دُخُولِ الجَنّةِ في [الآخِرةِ](١) لا تأوي إلى تلك القَناديل ـ والله أعْلَمُ ـ وإنّما ذَلِكَ مُدّة البَرْزَخِ.

هَذا ما يَدُلُّ عَلَيْهِ ظاهِرُ الحَدِيثِ](٢).

وقالَ مُجاهِدٌ: الشّهَداءُ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِ الجَنّةِ ولَيْسُوا فيها، وقَدْ أنْكَرَ أبُو عُمَرَ(٣) قَوْلَ مُجاهِدٍ، ورَدّهُ، ولَيْسَ بِمُنكَرٍ عندي، ويَشْهَدُ لَهُ ما وقَعَ في «مُسْنَدِ ابنِ أبِي شَيْبةَ» [وغَيْرِهِ](٤) عَنْ رسول الله ﷺ، قالَ: «الشُّهَداءُ بِنَهَرٍ ـ أوْ عَلى نَهَرٍ ـ يُقالُ لَهُ: بارِقٌ عِنْدَ بابِ الجَنّةِ في قِبابٍ خُضْرٍ، يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْها بُكْرةً وعَشِيًّا»(٥)، فهَذا يُبَيّنُ ما أرادَه مُجاهِدٌ، واللهُ أعْلَمُ. [وقد رواهُ ابنُ إسحاق أيضًا](٦).

وَمِمّا وقَعَ في السِّيرةِ أيْضًا، ولَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ هِشامٍ، حَدِيثٌ رَواهُ ابنُ إسْحاقَ، قالَ:

حَدّثَني إسْحاقُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبِي فَرْوةَ(٧)، قالَ: حَدّثَني بَعْضُ أهْلِ العِلمِ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «الشُّهَداءُ ثَلاثةٌ، فأدْنى الشّهَداءِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلةً رجلٌ

(١) ليس في (ب).

(٢) ما بين المعقوفين مكانه في (ص) بعد نص مجاهد الآتي.

(٣) انظر «التمهيد» لابن عبد البر (١١: ٦٣).

(٤) ليس في (ب).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١: ٢٦٦)، وانظر: «تفسير ابن كثير» عند الآية ١٦٦ من سورة آل عمران.

(٦) عن (ف)، (ص). وانظر «السيرة» (٢: ١١٩).

(٧) مترجم في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٥: ٢٢٧-٢٢٨)، قال عنه الإمام أحمد: «لا تحل الرواية عندي عن إسحاق».

خَرَجَ مسودًا بِنَفْسِهِ ورَحْلِهِ، لا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ ولا يُقْتَلَ، أتاهُ[١] سَهْمُ غَرْبٌ[٢] فأصابَهُ». قالَ: «فأوّلُ قَطْرةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهِ يَغْفِرُ اللهُ [له][٣] بها ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ثُمّ يُهْبِطُ اللهُ إِلَيْهِ جَسَدًا مِنَ السّماءِ، فيَجْعَلُ فيهِ رُوحَهُ، ثُمّ يُصْعَدُ بِهِ إلى اللهِ، فما يمرُّ بسماءٍ من السّمواتِ إلّا شَيّعَتْهُ المَلائِكَةُ، حَتّى يُنْتَهى بِهِ إلى اللهِ، فإذا انْتُهِيَ بِهِ إِلَيْهِ وقَعَ ساجِدًا، ثُمّ يُؤْمَرُ بِهِ فيُكْسى سَبْعِينَ زَوْجًا مِن الإِسْتَبْرَقِ»، ثُمّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَأَحْسَنِ ما رَأَيْتُمْ مِنْ شَقائِقِ النُّعمانِ».

وحُدِّثَ كعبُ الأحبارِ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ كعبُ الأحبار: أَجَل، كَأَحْسَنِ ما رَأَيْتُمْ مِنْ شَقائِقِ النُّعْمانِ. ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانِهِ مِنَ الشُّهَداءِ، فاجْعَلُوهُ مَعَهُمْ، فيُؤْتى بِهِ إِلَيْهِمْ وهم[٤] في قُبّةٍ خَضْراءَ في رَوْضةٍ خَضْراءَ عِنْدَ بابِ الجَنّةِ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ حُوتٌ وثورٌ مِنَ الجَنّةِ لِغَدائِهِمْ، فيُلَعِّبانهم، حَتّى إذا كَثُرَ عَجَبُهُمْ مِنْهما طَعَنَ الثّوْرُ الحُوتَ بِقَرْنِهِ، فبَقَرَهُ لَهُمْ عَمّا يَدَّعُونَ، ثُمّ يَرُوحانِ عَلَيْهِمْ لِعَشائِهِمْ، فيُلَعِّبانهم، حَتّى إذا كَثُرَ عَجَبُهُمْ مِنْهُما ضَرَبَ الحُوتُ الثّوْرَ بِذَنَبِهِ فبَقَرَهُ لَهُمْ عَمّا يَدَّعُونَ، فإذا انْتَهى إلى إِخْوانِهِ سَأَلُوهُ كما تَسْأَلُون الرّاكِبَ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ بِلادِكُمْ، فيَقُولُونَ: ما فعَلَ فُلانٌ؟ فيَقُولُ: أَفْلَسَ، فيَقُولُونَ: فما[٥] أَهْلَكَ مالَهُ، فواللهِ إنْ كانَ لَكَيِّسًا جَمُوعًا تاجِرًا؟ فيُقالُ لَهُمْ: إنّا لا نَعُدُّ الفَلَسَ ما تَعُدّونَ، وإنّما نَعُدّ الفَلَسَ مِنَ الأعْمالِ. فما فعَلَ فُلانٌ وامْرَأَتُهُ فُلانةُ؟ فيقول: طَلَّقها، فيقولون: فما الذي نَزَلَ بَيْنَهُما حَتّى طَلَّقَها، فواللهِ إنْ كانَ بِها لَمُعْجَبًا؟

---

(١) في (ص)، (ج): «فأتاه».

(٢) السهم الغرب: الذي لا يُدرى راميه.

(٣) عن (ص)، (ج).

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) في (ف): «ما».

فيَقُولُون: ما فعَلَ فُلانٌ؟ فَيَقُولُ: ماتَ أيْهاتَ قَبْلُ بزمانٍ، فيَقُولُونَ: هَلَكَ واللهِ ما سَمِعْنا لَهُ بِذِكْرٍ، إنّ للهِ طَرِيقَيْنِ؛ أَحَدُهُما عَلَيْنا، والآخَرُ يُخالَفُ[1] به عَنّا، فإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خَيْرًا مرَّ بِهِ عَلَيْنا فعرفناه، وعَرَفْنا مَتى ماتَ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شَرًّا خُولِفَ بِهِ عَنّا، فلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ، هَلَكَ واللهِ فُلانٌ، فإنّ هَذا لأدْنى الشهداءِ عند الله منزلةً.

وإنّ الآخَرَ رَجُلٌ خَرَجَ مسودًا بِنَفْسِهِ ورَحْلِهِ يُحِبُّ أنْ يَقْتُلَ ولا يُقْتَلَ، أتاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابَهُ، فذَلِكَ رَفيقُ إبْراهِيمَ خَلِيلِ الرّحْمَنِ يَوْمَ القِيامةِ، تحكُّ رُكْبَتاهُ رُكْبَتَيْهِ.

وأفْضَلُ الشّهَداءِ: رَجُلٌ خَرَجَ مسودًا بِنَفْسِهِ ورَحْلِهِ يُحِبُّ أنْ يَقْتُلَ وأنْ يُقْتَلَ، فقاتَلَ حَتّى قُتِلَ، فذَلِكَ يَبْعَثُهُ اللهُ يَوْمَ القِيامةِ شاهِرًا سَيْفَهُ، يَتَمَنّى عَلى اللهِ، لا يَسْألُهُ شَيْئًا إلّا أعْطاهُ إيّاهُ.

ووقَعَ في هَذا الحَدِيثِ ذِكْرُ الحُوتِ ولَعِبُهُ مَعَ الثَّوْرِ، وقَدْ خَرّجَهُ هَنادُ ابنُ السّرِيّ[2] بإسْنادٍ حَسَنٍ في كِتابِ «الرّقاق» له بأكثر مما وقع ههنا، وفي الصّحِيحَيْنِ [مِنْهُ ذكرُ][3] أَكْلِ أهْلِ الجَنّةِ من كبدِ الحوتِ أوّلَ ما يَأْكُلُونَ، ثُمّ يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنّةِ[4].

وفي [هَذا][5] الحَدِيثِ مِنْ بابِ التّفَكُّرِ والاِعْتِبارِ: أنَّ الحُوتَ لمّا كانَ

---

(١) في (ص): «مخالف».

(٢) أبو السريّ الكبير، إمام قدوة، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: عليكم بهنّاد. له «كتاب الزهد» وغيره، عاش بين سنتي ١٥٢-٢٤٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١١: ٤٦٥-٤٦٦).

(٣) ليس في (ب).

(٤) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ٢٧٢)، ومسلم، كتاب الحيض: (١: ٢٥٢).

(٥) ليس في (أ)، (ج).

عَلَيْهِ قرارُ هَذِهِ الأرْضِ، وهُوَ حَيوانٌ سابِحٌ؛ لِيَسْتَشْعِرَ أَهْلُ هَذِهِ الدّارِ أَنّهُمْ في مَنْزِلِ قُلْعةٍ[١]، ولَيْسَت بِدارِ قَرارٍ، فإذا نُحِرَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنّةَ، فأكَلُوا مِنْ كَبِدِهِ، كانَ في ذَلِكَ إشْعارٌ لَهُمْ بِالرّاحةِ مِنْ دارِ الزّوالِ، وأَنّهُمْ قَدْ صارُوا إلى دارِ القَرارِ، كَما يُذْبَحُ لَهُم الكَبْشُ الأمْلَحُ عَلى الصِّراطِ، وهُوَ صُورةُ المَوْتِ؛ لِيَسْتَشْعِرُوا أَنْ لا مَوْتَ. وأمّا الثّوْرُ فهُوَ آلةُ الحَرْثِ، وأهْلُ الدُّنْيا لا يَخْلُونَ مِنْ أَحَدِ الحَرْثَيْنِ: حَرْثٍ لِدُنْياهُمْ، وحَرْثٍ[٢] لأُخراهم، ففي نحرِ الثّوْرِ لَهُمْ هُنالِكَ إشْعارٌ بِإراحَتِهِمْ مِن الكَدّيْنِ، وتَرْفيهِهِمْ مِنْ نَصَبِ الحَرْثَيْنِ، [فاعْتَبِرْ، واللهُ المُسْتَعانُ][٣].

* * *

(١) أي: دارِ تحولٍ وارتحال.

(٢) في (ف): «أو حرث».

(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).

ذِكْرُ مَن اسْتُشْهِدَ بِأُحُدٍ مِن المُهاجِرِينَ

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: واسْتُشْهِدَ مِن المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن المُهاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: حَمْزَةُ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَتَلَهُ وحْشِيٌّ، غُلامُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ.

[مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ]

وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، قَتَلَهُ ابنُ قَمِئةَ اللَّيْثِيُّ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: شَمّاسُ بنُ عُثْمانَ. أَرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنَ الأَنْصارِ]

وَمِن الأَنْصارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ: عَمْرُو بنُ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، والحارِثُ بن أَنَسِ بنِ رافِعٍ، وعُمارةُ بنُ زِيادِ بنِ السَّكَنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: السَّكَنُ: ابنُ رافِعِ بنُ امْرِئِ القَيْسِ، ويُقالُ: السَّكْنُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَلَمةُ بنُ ثابِتِ بنِ وَقْشٍ، وعَمْرُو بنُ ثابِتِ بنِ وَقْشٍ. رَجُلانِ.

ـ قالَ ابنُ إسْحاقَ وقَدْ زَعَمَ لِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ أباهُما ثابِتًا قُتِلَ يَوْمَئِذٍ ـ وَرِفاعةُ بنُ وَقْشٍ، وحُسَيْلُ بنُ جابِرٍ، أبو حُذَيْفةَ وهُوَ اليَمانُ، أصابَهُ المُسْلِمُونَ في المَعْرَكَةِ ولا يَدْرُونَ، فتَصَدَّقَ حُذَيْفةُ بِدِيَتِهِ على مَنْ أصابَهُ، وصَيْفِيّ بن قَيْظِي، وحُبابُ بنُ قَيْظِي، وعَبّادُ بنُ سَهْلٍ، والحارِثُ بنُ أوْسِ ابنِ مُعاذٍ، اثْنا عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ راتِجٍ]

وَمِنْ أهْلِ راتِجٍ: إياسُ بنُ أوْسِ بنِ عَتِيكِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الأعْلَمِ ابنِ زَعُوراء بنِ جُشَمَ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ، وعُبَيْدُ بنُ التَّيِّهانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَتِيكُ بنُ التَّيِّهانِ.

وَحَبِيبُ بنُ يَزِيدَ بنِ تَيْمٍ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي ظَفَرٍ]

وَمِنْ بَنِي ظَفَرٍ: يَزِيدُ بنُ حاطِبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ رافِعٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي ضُبَيعةَ]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ بنِ زَيْدٍ: أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ زَيْدٍ، وحَنْظَلةُ بنُ أبي عامِرِ بنِ صَيْفِيِّ بنِ نُعْمانَ بنِ

مالِكِ بنِ أمةَ، وهُوَ غَسِيلُ المَلائِكةِ، قَتَلَهُ شَدّادُ بنُ الأَسْوَدِ بنِ شَعُوبٍ اللَّيْثِيُّ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَيْسٌ: ابنُ زَيْدِ بنِ ضُبَيْعةَ، ومالِكٌ: ابنُ أمةَ بنِ ضُبَيْعةَ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ زَيْدٍ: أُنَيْسُ بنُ قَتادةَ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: أبو حَيّةَ، وهُوَ أخُو سَعْدِ بنِ خَيْثَمةَ لِأُمِّهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو حَيّةَ: ابنُ عَمْرِو بنِ ثابِتٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ الله بنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ، وهُوَ أمِيرُ الرُّماةِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي السَّلْمِ]

وَمِنْ بَنِي السَّلْمِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ: خَيْثَمةُ أبو سَعْدِ ابنُ خَيْثَمةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي العَجْلانِ]

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ بَنِي العَجْلانِ: عَبْدُ الله بنُ سَلَمةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي مُعاوِيةَ]

وَمِنْ بَنِي مُعاوِيةَ بنِ مالِكٍ: سُبَيْعُ بنُ حاطِبِ بنِ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ هَيْشةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سُويْبِقُ بنُ الحارِثِ بنِ حاطِبِ بنِ هَيْشةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي النَّجّارِ: ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمٍ: عَمْرُو بنُ قَيْسٍ، وابنُهُ قَيْسُ بنُ عَمْرٍو.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمْرُو بنُ قَيْسٍ: ابنُ زَيْدِ بنِ سَوادٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وثابِتُ بنُ عَمْرِو بنِ زَيْدٍ، وعامِرُ بنُ مَخْلَدٍ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي مَبْذُولٍ]

وَمن بَنِي مَبْذُولٍ: أبو هُبَيْرَةَ بنُ الحارِثِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ عَمْرِو بنِ ثَقْفِ ابنِ مالِكِ بنِ مَبْذُولٍ، وعَمْرُو بنُ مُطَرِّفِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ عَمْرٍو. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكٍ: أوْسُ بنُ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ. رَجُلٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أوْسُ بنُ ثابِتٍ، أخُو حَسّانَ بنِ ثابِتٍ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ: أنَسُ بنُ النَّضْرِ بنِ ضَمْضَمِ بن زَيْدِ بنِ حَرامِ بنِ جُنْدَبِ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ. رَجُلٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنَسُ بنُ النَّضْرِ، عَمُّ أنَسِ بنِ مالِكٍ خادِمِ رَسُولِ الله ﷺ.

[مِنْ بَنِي مازِنٍ]

وَمِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: قَيْسُ بنُ مَخْلَدٍ، وكَيْسانُ، عَبْدٌ لَهُمْ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي دِينارٍ]

وَمِنْ بَنِي دِينارِ بنِ النَّجّارِ: سُلَيْمُ بنُ الحارِثِ، ونُعْمانُ بنُ عَبْدِ عَمْرٍو. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: خارِجَةُ بنُ زَيْدِ بنِ أبِي زُهَيْرٍ، وسَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ عَمْرِو بنِ أبِي زُهَيْرٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحِدٍ، وأوْسُ بنُ الأرْقَمِ بنِ زَيْدِ ابنِ قَيْسِ بنِ النُّعْمانِ بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبٍ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي الأبْجَرِ]

وَمِنْ بَنِي الأبْجَرِ، وهُمْ بَنُو خُدْرَةَ: مالِكُ بنُ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ ابنِ عُبَيْدِ بنِ الأبْجَرِ، وهُوَ أبو أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: اسْمُ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: سِنانٌ، ويُقالُ: سَعْدٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَعِيدُ بنُ سُوَيْدِ بنِ قَيْسِ بنِ عامِرِ بنِ عَبّادِ بنِ الأبْجَرِ، وعُتْبَةُ بنُ رَبِيعِ بنِ رافِعِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ الأبْجَرِ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي ساعِدَةَ]

وَمِنْ بَنِي ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ: ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدِ بنِ مالِكِ بنِ

خالِدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ، وثَقْفُ بنُ فرْوةَ ابنِ البَدِيِّ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي طَرِيفٍ]

وَمِنْ بَنِي طَرِيفٍ، رَهْطِ سَعْدِ بنِ عُبادةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ وهْبِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ وقْشِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طَرِيفٍ، وضَمْرةُ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي جُهَيْنَةَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَوْفٍ]

وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سالِمٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ: نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وعَبّاسُ بنُ عُبادةَ ابنِ نَضْلةَ بنِ مالِكِ بن العَجْلانِ، ونُعْمانُ بنُ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ فِهْرِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ، والمُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ، وعُبادةُ بنُ الحَسْحاسِ.

دُفِنَ النُّعْمانُ بنُ مالِكٍ، والمُجَذَّرُ، وعُبادةُ في قَبْرٍ واحِدٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي الحُبْلى]

وَمِنْ بَنِي الحُبْلى: رِفاعةُ بنُ عَمْرٍو. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي سَلِمةَ]

وَمِنْ بَنِي سَلِمةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرامٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرامٍ، وعَمْرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، دُفِنا في قَبْرٍ واحِدٍ، وخَلّادُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، وأبو أيْمَنَ مَوْلى عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي سَوادٍ]

وَمِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمٍ: سُلَيْمُ بنُ عَمْرِو بنِ حَدِيدةَ، ومَوْلاهُ عَنْتَرةُ، وسَهْلُ بنُ قَيْسِ بنِ أبي كَعْبِ بنِ القَيْنِ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ]

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقِ بنِ عامِرٍ: ذَكْوانُ بنُ عبدِ قيسٍ، وعُبَيْدُ بنُ المُعلّى بنِ لَوْذانَ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُبَيْدُ بنُ المُعلّى، مِنْ بَنِي حَبِيبٍ.

[عَدَدُ الشُّهَداء]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَن اسْتُشْهِدَ مِن المُسْلِمِينَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ: خَمْسةٌ وسِتُّونَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي مُعاوِيةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومِمَّنْ لَمْ يَذْكُر ابنُ إسْحاقَ مِن السَّبْعِينَ الشُّهَداءِ الَّذينَ ذَكَرْنا، مِن الأوْسِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مُعاوِيةَ بنِ مالِكٍ: مالِكُ بنُ نُمَيْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ مُزَيْنةَ.

[مِنْ بَنِي خَطْمةَ]

وَمِنْ بَنِي خَطْمةَ، واسْمُ خَطْمةَ: عَبْدُ الله بنُ جُشَمَ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ الحارِثِ بن عَدِيِّ بنِ خَرَشةَ بنِ أُمَيّةَ بنِ عامِرِ بنِ خَطْمةَ.

[مِنْ بَنِي الخَزْرَجِ]

وَمِن الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوادِ بنِ مالِكٍ: مالِكُ بنُ إياسٍ.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ: إياسُ بنُ عَدِيٍّ.

[مِنْ بَنِي سالِمٍ]

وَمِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ: عَمْرُو بنُ إياسٍ.

[ذِكْرُ مَنْ قُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ]

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ مِنْ أصْحابِ اللِّواءِ: طَلْحةُ بنُ أبي طَلْحةَ، واسْمُ أبي طَلْحةَ: عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عَبْدِ الدّارِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. وأبو سَعِيدِ بنُ أبي طَلْحةَ، قَتَلَهُ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُثْمانُ بنُ أبي طَلْحةَ، قَتَلَهُ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ. ومُسافِعُ بنُ طَلْحةَ، والجُلاسُ بنُ طَلْحةَ، قَتَلَهُما عاصِمُ بنُ ثابِتِ بنِ أبي الأقْلَحِ. وكِلابُ بنُ طَلْحةَ، والحارِثُ بنُ طَلْحةَ، قَتَلَهُما قُزْمانُ، حَلِيفٌ لِبَنِي ظَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَ كِلابًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأرْطاةُ بنُ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأبو يَزِيدَ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ ابنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، قَتَلَهُ قُزْمانُ، وصُؤابٌ: غُلامٌ لَهُ حَبَشِيٌّ، قَتَلَهُ قُزْمانُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ، ويُقالُ: أبو دُجانةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والقاسِطُ بنُ شُرَيْحِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، قَتَلَهُ قُزْمانُ. أحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: عَبْدُ اللهِ بنُ حُمَيْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: أبو الحَكَمِ بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقِ بنِ عَمْرِو ابنِ وهْبٍ الثَّقَفِي، حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وسِباعُ بنُ عَبْدِ العُزّى، واسْمُ عَبْدِ العُزّى: عَمْرُو بنُ نَضْلةَ بنِ غُبْشانَ بنِ سُلَيْمِ بنِ مِلْكانَ بنِ أفْصى حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزاعةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظةَ: هِشامُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ قُزْمانُ، والوَلِيدُ بنُ العاصِ بنِ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ قُزْمانُ، وأبو أُمَيّةَ بنُ أبي حُذَيْفةَ

ابنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وخالِدُ بنُ الأعْلَمِ، حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ قُزْمانُ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرٍو: عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وهُوَ أبو عَزَّةَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَبْرًا، وَأُبَيُّ بنُ خَلَفِ ابنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: عُبَيْدةُ بنُ جابِرٍ، وشَيْبةُ بنُ مالِكِ بنِ المُضَرَّبِ، قَتَلَهُما قُزْمانُ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَ عُبَيْدةَ بنَ جابِرٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ.

[عَدَدُ قَتْلى المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَنْ قَتَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، اثْنانِ وعِشْرُونَ رَجُلًا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ فيمَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ: عُبَيْدَ بنَ التَّيِّهانِ. واسْمُ التَّيِّهانِ: مالِكٌ، ولَمْ يَرْفَعْ نَسَبَهُ، وكَذَلِكَ فعَلَ في هَذا النَّسَبِ حَيْثُ وقَعَ في هَذا الكِتابِ، وهُوَ نَسَبٌ مُخْتَلَفٌ فيهِ، وقَدْ رَفَعْناهُ عِنْدَ ذِكْرِ أبِي الهَيْثَمِ، وذَكَرْنا الخِلافَ فيهِ هُنالِكَ.

وَقَوْلُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ: [من الطويل]

ولا مِثْل أضْيافِ الإراشِـيِّ مَعْشَرا

يَعْنِي: أبا الهَيْثَمِ، فجَعَلَهُ إراشِيًّا، ولَيْسَتْ إراشةُ مِنَ الأنْصارِ، ونَسَبَهُ مُوسى ابنُ عُقْبَةَ في جَماعةٍ مَعَهُ إلى بَلِيّ، وقالُوا: هُوَ حليفٌ للأنصار، وليس من أنفُسِهم.

وقال ابنُ إسحاقَ والواقديُّ[1] في المُسْتَشْهَدِ يَوْمَ أُحُدٍ: عُبَيْدُ بنُ التَّيِّهانِ، وقالَ ابنُ[2] عُقْبةَ، وأبُو مَعْشَرٍ[3]، وابنُ[4] عُمارةَ: هو عَتِيكُ بنُ التَّيِّهان.

وَذَكَرَ فيهِمْ أبا حَبّة الأنْصارِيَّ البَدْرِيَّ، وقالَ ابنُ هِشامٍ: هو أبُو حَنّة[5] بنُ ثابتٍ بِالنّونِ. [وكَذَلِكَ الواقِدِيّ قالَ[6]: لَيْسَ فيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَنِ اسْمُهُ: أبُو حَبّة بالباءِ[7]، وكَذَلِكَ رَوى مُوسى بنُ عُقْبةَ عَنِ ابنِ شِهابٍ: أبُو حَنّةَ بِالنُّونِ][8] شَهِدَ بَدْرًا، واسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وهُوَ مِنَ الأوْسِ، واسْمُهُ: ثابتٌ، وقِيلَ: عَمْرُو

---

(١) انظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٣٠١).

(٢) في (أ): «أبو عقبة». وهو موسى بن عقبة، صاحب «المغازي»، وكان فقيهًا، توفي سنة (١٤١هـ). انظر: «العبر» للذهبي: (١: ١٩٠).

(٣) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي، كان ثقة في المغازي والتاريخ، أكثر الواقدي من الرواية عنه، توفي سنة (١٧٠هـ). انظر: «الجرح» لابن أبي حاتم: (٨: ٤٩٣)، و«العبر» للذهبي: (١: ٢٥٨).

(٤) في (ف): «وأبو».

(٥) في (أ): «ابن حنة».

(٦) في (ف): «وكذلك قال الواقدي».

(٧) «المغازي» (١: ١٦٠). وفيها: «وليس في بدر أبو حنة»، بالنون. وصوابه: أبو حبة.

(٨) ما بين المعقوفين سقط من (س).

ابنُ ثابتٍ، والاخْتِلافُ في اسْمِهِ وفي كُنْيَتِهِ كَثِيرٌ.

وأمّا أَبُو حَبّةَ المُسْتَشْهَدُ يَوْمَ اليَمامةِ، وهُوَ[١] أَبُو حَبّةَ بنُ غَزِيّةَ، [فهو][٢] بِالباءِ المَنْقُوطةِ بِواحِدةٍ مِنْ أسْفَل، ولَمْ يُخالِفْ في ذَلِكَ إلّا مَنْ لا يُؤْبَهُ بِقَوْلِهِ، واسْمُهُ: زَيْدُ بنُ غَزِيّةَ بنِ عَمْرٍو، وهُوَ مِن الخَزْرَجِ، والأَوّلُ من الأوس، وقد قيل في الأول: أبو حَيّةَ بِياءٍ مُعْجَمةٍ بِاثْنَتَيْنِ. فاللهُ أَعْلَمُ.

[وَحَنّةُ بِالنُّونِ: دَيْرُ حَنّةَ مَعْرُوفٌ بِالشّامِ، وحَنّةُ أُمّ مَرْيَمَ بِنْت عِمْرانَ، وخَنّةُ بِخاءٍ مَنْقُوطةٍ بِنْتُ يَحْيى بنِ أَكْثَمَ القاضِي، وهي أُمُّ مُحَمّدِ بن نَصْرٍ المَرْوَزِيِّ الفَقِيهِ، وجَنّةُ بِالجِيمِ لا يُعْرَفُ إلّا أَبُو جَنّةَ خالُ ذِي الرُّمّةِ الشّاعِرِ، قاله ابن ماكُولا][٣].

وذَكَرَ فيمَن اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ عبدَ اللهِ بنَ سَلَمةَ العَجْلانِيَّ، (سَلَمةُ) بِفَتْحِ اللّامِ تَقَيّدَ في الأَصْلِ، وفي الأُصُولِ الصِّحاحِ مِنْ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ، وذَكَرَهُ الدّارَقُطْنِيّ في بابِ (سَلِمةَ) بِكَسْرِ اللّامِ، وأَخْبَرَ أَنّها رِوايةُ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ عَن ابنِ إسْحاقَ[٤]، وكَذَلِكَ ذَكَرَه أَبُو عُمَرَ أَيْضًا أَنّها رِوايةُ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ[٥]، والله أعلم.

* * *

(١) في (أ)، (هـ): «فهو».

(٢) عن (ص).

(٣) ليس في (ص)، (ج).

(٤) انظر: «المؤتلف» (٣: ١١٩٩).

(٥) «الاستيعاب» (٣: ٩٢٣-٩٢٤).

ذِكْرُ ما قِيلَ مِن الشِّعْرِ يَوْمَ أُحُدٍ

[شِعْرُ هُبَيْرَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا قِيلَ مِن الشِّعْرِ في يَوْمِ أُحُدٍ، قَوْلُ هُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبِ بنِ عَمْرِو بنِ عائِذِ بنِ عَبْدِ بنِ عِمْرانَ بنِ مَخْزُومٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: عائِذٌ: ابنُ عِمْرانَ بنِ مَخْزُومٍ ـ:

ما بالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بــاتَ يَطْرُقنِي ... بِالوُدِّ مِــنْ هِنْدَ إذْ تَعْدُو عَوادِيها؟
باتَتْ تُعاتِبُــنِي هِنْــدٌ وتَعْذُلُنِي ... والحَرْبُ قَدْ شُغِلَتْ عَنِّي مَوالِيها
مَهْلًا فــلا تَعْذِلِينِي إنَّ مِنْ خُلُقِي ... ما قَدْ عَلِمْتِ وما إنْ لَسْتُ أُخْفِيها
مُســاعِفٌ لِبَنِي كَعْبٍ بِما كَلِفُوا ... حَمّــالُ عِــبْءٍ وأثْقــالٍ أُعانِيها
وَقَدْ حَمَلْتُ سِلاحِي فوْقَ مُشْتَرَفٍ ... ســاطٍ سَــبُوحٍ إذا تَجْرِي يُبارِيها
كَأنَّــهُ إذْ جَــرى عَــيْرٌ بِفَدْفَدةٍ ... مُكَدَّمٌ لاحِــقٌ بِالعُــونِ يَحْمِيها
مِــنْ آلِ أعْوَجَ يَرْتــاحُ النَّدِيُّ لَهُ ... كَجِذْعِ شَــعْراءَ مُسْتَعْلٍ مَراقِيها
أعْدَدْتُــهُ ورِقاقَ الحَــدِّ مُنْتَخَلًا ... ومارِنًــا لِخُطُــوبٍ قَــدْ أُلاقِيها
هذا وبَيْضاءَ مِثْــلَ النِّهْيِ مُحْكَمَةً ... نِيطَتْ عَلَيَّ فما تَبْدُو مَســاوِيها
سُقْنا كِنانَةَ مِنْ أطْرافِ ذِي يَمَنٍ ... عُرْضَ البِلادِ على ما كانَ يُزْجِيها
قالَــتْ كِنانَــةُ: أنَّي تَذْهَبُونَ بِنا؟ ... قُلْنا: النُّخَيْــلَ، فأمُّوها ومَنْ فيها
نَحْنُ الفَــوارِسُ يَوْمَ الجَرِّ مِنْ أُحُدٍ ... هابَــتْ مَعَدٌّ فقُلْنا: نَحْــنُ نَأْتِيها

هابُوا ضِرابًا وطَعْنًا صادِقًا خَذِمًا مِمّا يَرَوْنَ وقَـدْ ضُمَّتْ قَواصِيها
ثُمَّتَ رُحْنا كأنّا عارِضٌ بَرِدٌ وقامَ هـامُ بَنِي النَّجّارِ يَبْكِيها
كَأَنَّ هامَهُـمُ عِنْدَ الـوَغى فِلَقٌ مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أداحِيها
أوْ حَنْظَلٌ ذَعْذَعَتْهُ الرِّيحُ في غُصُنٍ بـالٍ تَعـاوَرُهُ مِنْها سَـوافيها
قَدْ نَبْذُلُ المالَ سَحًّا لا حِسابَ لَهُ ونَطْعَنُ الخَيْـلَ شَزْرًا في مَآقِيُها
وَلَيْلةٍ يَصْطَلِي بِالفَـرْثِ جازِرُها يَخْتَـصُّ بِالنَّقرى المُثْرِينَ داعِيها
وَلَيْلةٍ مِـنْ جُمـادى ذاتِ أَنْدِيةٍ جَرْبـا جُمادِيّةٍ قَدْ بِـتُّ أَسْرِيها
لا يَنْبَحُ الكَلْـبُ فيها غَيْرَ واحِدةٍ مِن القَرِيـسِ ولا تَسْرى أفاعِيها
أوْقَدْتُ فيها لِذِي الضَّرّاءِ جاحِمَةً كالـبَرْقِ ذاكِيـةَ الأَرْكانِ أَحْمِيها
أوْرَثَـنِي ذاكُمُ عَمْـرٌو ووالِدُهُ مِنْ قَبْلِـهِ كانَ بِالمَثْـنى يُغالِيها
كانُوا يُبارُونَ أَنْـواءَ النُّجُومِ فما دَنَّتْ عَن السَّوْرةِ العُلْيا مَساعِيها

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ على هُبَيْرَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ، فقالَ:

سُقْتُمْ كِنانةَ جَهْلًا مِنْ سَفاهَتِكُمْ إلى الرَّسُـولِ فجُنْـدُ اللهِ مُخْزِيها
أوْرَدْتُمُوها حِياضَ المَوْتِ ضاحِيةً فالنّارُ مَوْعِدُهـا، والقَتْلُ لاقِيها
جَمَّعْتُمُوها أحابِيشًـا بِلا حَسَبٍ أئِمّةَ الكُفْـرِ غَرَّتْكُمْ طَواغِيها
ألا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْـلِ اللهِ إذْ قَتَلَتْ أهْـلَ القَلِيبِ ومَـنْ ألْقَيْنَهُ فيها
كَمْ مِنْ أسِـيرٍ فكَكْناهُ بِلا ثَمَنٍ وجَـزِّ ناصِيـةٍ كُنّـا مَوالِيهـا

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِيها أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَيْتُ هُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبٍ الَّذي يَقُولُ فيهِ:

وَلَيْلةٍ يَصْطَلِي بِالفَـرْثِ جازِرُها   يَخْتَـصُّ بِالنَّقرى المُثْرِينَ داعِيها

يُرْوى لِجَنوبٍ أُخْتِ عَمْرٍو ذِي الكَلْبِ الهُذَلِيِّ، في أبْياتٍ لَها في غَيْرِ يَوْمِ أُحُدٍ.

شَرْحُ[١] ما وقَعَ[٢] في هَذِهِ الغَزْوةِ مِنَ الأشْعارِ

وقَدْ شَرَطْنا الإضْرابَ عَنْ شَرْحِ شِعْرِ الكَفَرةِ والمُفاخِرينَ بِقِتالِ رسول الله ﷺ إلّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ في شِعْرِ هُبَيْرةَ الّذِي بَدَأ بِهِ بَيْتَيْنِ لَيْسا مِنْ شِعْرِهِ؛ فلِذَلِكَ ذَكَرْتهما، وهما: [من البسيط]

وليلةٍ يَصْطَلي بالفَرْثِ جازِرُها   يَختصُّ بالنَّقرى المُثْرينَ داعِيها

في لَيْلةٍ مِنْ جُمادى ذاتِ أَنْدِيةٍ   جَرْبا جُمادِيّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْـرِيها

قَوْلُهُ: «يَصْطَلي بالفَرث» أي: يستدفِئُ بِهِ مِنْ شِدّةِ البَرْدِ.

وَقَوْلُهُ: «يَختَصُّ بالنَّقَرى المُثْرينَ» يُريدُ: يَخْتَصُّ الأغْنِياءَ طَلَبًا لِمُكافأتِهِمْ، ولِيَأْكُلَ عِنْدَهُمْ. يَصِفُ شِدّةَ الزّمانِ، قالَهُ يَعْقُوبُ[٣] في «الألفاظ»[٤]، ونسَبَهما[٥] للهُذَليّ، وكَذَلِكَ قالَ ابنُ هِشامٍ في هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ: إنّهُما لَيْسا لِهُبَيْرةَ، ونَسَبَهُما لِجَنُوبَ أُخْتِ عَمْرٍو ذِي الكَلبِ الهُذَلِيّ.

---

(١) في (ف): «ذكر».

(٢) في (أ): «ما ذكر».

(٣) هو ابن السكيت. (ج)

(٤) (ص: ٤٥٦). (ج)

(٥) في غير (ص): «ونسبها».

[وَقَوْلُـهُ: «ذات أَنْدِيـةٍ»: جَمْعُ نَدًى عَلى غَيْرِ قِياسٍ، وقَدْ قِيلَ: إنّهُ جَمْعُ الجَمْعِ، كَأَنّهُ جَمَعَ نَدًى عَلى نِداءٍ، مِثْلُ: جَمَلٍ وجِمالٍ[1]، ثُمّ جَمَعَ الجَمْعَ عَلى أَفْعِلةٍ، وهَذا بَعِيدٌ في القِياسِ؛ لِأنّ الجَمْعَ الكَثِيرَ لا يُجْمَعُ، وفِعالٌ مِنْ أبنِيةِ الجَمْعِ الكَثِيرِ، وقَدْ قِيلَ: هُوَ جَمْعُ نَدِيّ، والنّدِيُّ: المَجْلِسُ، وهَذا لا يُشْبِهُ مَعْنى البَيْتِ، ولَكِنّهُ جَمْعٌ جاءَ عَلى مِثالِ أفْعِلةٍ؛ لِأَنّهُ في معنى الأَهْوِيةِ والأَشْتِيةِ ونَحْوِ ذَلِكَ، وأَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنّهُ في مَعْنى الرَّذاذِ والرَّشاشِ، وهُما يُجْمَعانِ عَلى أفْعِلةٍ.

وأرادَ بِجُمادى: الشّهْرَ، وكأنَّ هَذا الِاسْمَ قَدْ وقَعَ عَلى هَذا الشّهْرِ في زَمانِ جُمُودِ الماءِ، ثُمّ انْتَقَلَ بِالأَهِلّةِ وبَقِيَ الِاسْمُ عَلَيْهِ، وإنْ كانَ في الصّيْفِ والقَيْظِ، وكَذَلِكَ أَكْثَرُ هَذِهِ الشُّهُورِ العَرَبِيّةِ سُمِّيَتْ بِأَسْماءٍ مَأْخُوذةٍ مِنْ أَحْوالِ السَّنةِ الشّمْسِيّةِ، ثُمّ لَزِمَتْها، وإنْ خَرَجَتْ عن تلك الأوقات][2].

❊ ❊ ❊

(١) في (ف): «وأجمال».

(٢) ليس في (ص)، (ج).

[شِعْرُ كَعْبٍ في الرَّدِّ على هُبَيْرَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ يُجِيبُ هُبَيْرَةَ بنَ أبي وهْبٍ أيْضًا:

ألا هَلْ أتى غَسّانَ عَنّا ودُونَهُمْ ... مِن الأرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ

صَحارٍ وأعْلامٌ كأنَّ قَتامَها ... مِن البُعْدِ نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقَطِّعُ

تَظَلُّ بِهِ البُزْلُ العَرامِيسُ رُزَّحًا ... ويَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فيُمْرِعُ

بِهِ جِيَفُ الحَسْرى يَلُوحُ صَلِيبُها ... كَما لاحَ كَتّانُ التِّجارِ المُوَضَّعُ

بِهِ العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفةً ... وبَيْضُ نَعامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلَّعُ

مُجالِدُنا عَنْ دِينِنا كُلُّ فخمةٍ ... مُذَرَّبةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمَعُ

وكُلُّ صَمُوتٍ في الصِّوانِ كأنَّها ... إذا لُبِسَتْ نَهْيٌ مِن الماء مُترَعُ

وَلَكِنْ بِبَدْرٍ سائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ ... مِن النّاسِ والأنْباءُ بِالغَيْبِ تَنْفَعُ

وَإنّا بِأرْضِ الخَوْفِ لَوْ كانَ أهْلُها ... سِوانا لَقَدْ أجْلَوْا بِلَيْلٍ فأقْشَعُوا

إذا جاءَ مِنّا راكِبٌ كانَ قَوْلُهُ ... أعِدُّوا لِما يُزْجِي ابنُ حَرْبٍ ويَجْمَعُ

فَمَهْما يُهِمُّ النّاسَ مِمّا يَكِيدُنا ... فنَحْنُ لَهُ مِنْ سائِرِ النّاسِ أوْسَعُ

فَلَوْ غَيْرُنا كانَتْ جَمِيعًا تكيده الـ ... بريّة قَدْ أعْطَوْا يَدًا وتَوَزَّعُوا

نُجالِدُ لا تَبْقى عَلَيْنا قَبِيلَةٌ ... مِن النّاسِ إلّا أنْ يَهابُوا ويَفْظُعُوا

وَلَمّا ابْتَنَوْا بِالعَرْضِ قالَ سَراتُنا: ... عَلامَ إذا لَمْ تَمْنَع العِرْضَ نَزْرَعُ؟

وَفينا رَسُولُ الله نَتْبَعُ أمْرَهُ ... إذا قالَ فينا القَوْلَ لا نَتَطَلَّعُ

تَــدَلّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِــنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُــنَزَّلُ مِنْ جَـوِّ السَّــماءِ ويُرْفَعُ
نُشَــاوِرُهُ فيمــا نُرِيــدُ وقَصْرُنــا إذا ما اشْــتَهى أنّا نُطِيعُ ونَسْــمَعُ
وَقــالَ رَسُــولُ اللهِ لَمّا بَــدَوْا لَنا ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيّاتِ واطْمَعُوا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيــاةَ تَقَرُّبًا إلى مَلِــكٍ يُحْيــا لَدَيْــهِ ويُرْجَــعُ
وَلَكِنْ خُذُوا أَسْــيافَكُمْ وتَوَكَّلُوا على اللهِ إنَّ الأَمْــرَ للهِ أَجْمَــعُ
فَسِرْنا إلَيْهِــمْ جَهْــرَةً في رِحالِهِمْ ضُحَيًّا عَلَيْنا البِيضُ لا نَتَخَشَّــعُ
بِمَلْمُومــةٍ فيهــا السَّــنَوَّرُ والقَنا إذا ضَرَبُــوا أَقْدامَهــا لا تَــوَرَّعُ
فَجِئْنا إلى مَوْجٍ مِن البَحْرِ وسْــطَهُ أَحابِيــشُ مِنْهُــمْ حــاسِرٌ ومُقَنَّعُ
ثَلاثَــةُ آلافٍ ونَحْــنُ نَصِيّــةٌ ثَــلاثُ مِئِــينٍ إنْ كَثُرْنــا وأَرْبَعُ
نُغاوِرُهُــمْ تَجْــرِي المَنِيّــةُ بَيْنَنا نُشــارِعُهُمْ حَوْضَ المَنايا ونَشْرَعُ
تَهادى قِــسِيُّ النَّبْعِ فينــا وفيهِمُ ومــا هُــوَ إلّا اليَــثْرِبِيُّ المُقَطَّــعُ
وَمَنْجُوفَــةٌ حِرْمِيّــةٌ صاعِدِيّــةٌ يُذَرُّ عَلَيْها السَّــمُّ ســاعَةَ تُصْنَعُ
تَصُــوبُ بِأَبْــدانِ الرِّجــالِ وتارَةً تَمُــرُّ بِأَعْــراضِ البِصــارِ تَقَعْقَعُ
وَخَيْــلٌ تَراهــا بِالفَضــاءِ كَأَنَّها جَــرادُ صَبًــا في قَــرّةٍ يَتَرَيَّــعُ
فَلَمّــا تَلاقَيْنــا ودارَتْ بِنا الرَّحى ولَيْــسَ لِأَمْــرٍ حَمَّــهُ اللهُ مَدْفَعُ
ضَرَبناهُمُ حَــتّى تَرَكْنــا سَراتَهُمْ كَأَنَّهُــمُ بِالقاعِ خُشْــبٌ مُصَرَّعُ
لَدُنْ غُدْوَةً حَتّى اسْــتَفَقْنا عَشِــيّةً كَأَنَّ ذَكانــا حَــرُّ نــارٍ تَلَفَّــعُ
وَراحُــوا سِراعًا مُوجِفِــينَ كَأَنَّهُمْ جَهــامٌ هَراقَتْ مــاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ
وَرُحْنــا وأُخْرانــا بِطــاءٌ كَأَنَّنــا أُسُــودٌ على لَحْــمٍ بِبِيشَــةَ ظُلَّــعُ
فَنِلْنــا ونــالَ القَــوْمُ مِنّــا ورُبَّما فَعَلْنــا ولَكِنْ ما لَدى اللهِ أَوْسَــعُ
وَدارَتْ رَحانا واسْــتَدارَتْ رَحاهُمُ وقَــدْ جَعَلُوا؛ كُلٌّ مِن الشَّرِّ يَشْــبَعُ

وَنَحْـــنُ أُناسٌ لا نَرى القَتْلَ سُـــبّةً	على كُلِّ مَـــنْ يَحْمِي الذِّمـــارَ ويَمْنَعُ
جِلادٌ على رَيْـــبِ الحَوادِثِ لا نَرى	على هالِـــكٍ عَيْنًا لَنا الدَّهْـــرَ تَدْمَعُ
بَنُو الحَـــرْبِ لا نَعْيا بِـــشَيْءٍ نَقُولُهُ	ولا نَحْنُ مِمّا جَـــرَّت الحَرْبُ نَجْزَعُ
بَنُو الحَرْبِ إنْ نَظْفَرْ فلَسْنا بِفُحَّشٍ	ولا نَحْـــنُ مِـــنْ أظْفارِهـــا نَتَوَجَّعُ
وَكُنّـــا شِـــهابًا يَتَّقي النّـــاسُ حَرَّهُ	ويَفْـــرُجُ عَنْـــهُ مَنْ يَلِيهِ ويَسْـــفَعُ
فَخَرْتَ عَلَيَّ ابنَ الزِّبَعْرى وقَدْ سَرى	لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِـــرِ اللَّيْلِ مُتْبَعُ
فَسَـــلْ عَنْكَ في عُلْيا مَعَدٍّ وغَيْرِها	مِن النّاسِ مَنْ أخْزى مَقامًا وأشْنَعُ؟
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الحَرْبُ مَفْخَرًا؟	ومَـــنْ خَدُّهُ يَـــوْمَ الكَرِيهةِ أضْرَعُ؟
شَـــدَدْنا بِحَوْلِ الله والنَّصْرِ شَـــدّةً	عَلَيْكُـمْ وأطرافُ الأسِـــنّةِ شُرَّعُ
تَكُرُّ القَنا فيكُـــمْ كَأنَّ فُرُوعَها	عَـــزالِي مَـــزادٍ ماؤُهـــا يَتَهَـــزَّعُ
عَمَدْنـــا إلى أهْلِ اللِّـــواءِ ومَنْ يَطِرْ	بِذِكْرِ اللِّواءِ فَهْـــوَ في الحَمْدِ أسْرَعُ
فَخانُوا وقَدْ أعْطَوْا يَـــدًا وتَخاذَلُوا	أبى الله إلّا أمْـــرَهُ وهْـــوَ أصْنَـــعُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ قَدْ قالَ:

مُجالِدُنا عَـــنْ جِذْمِنا كُلُّ فخمةٍ

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أيَصْلُحُ أنْ تَقُولَ: مُجالِدُنا عَنْ دِينِنا؟» فقالَ كَعْبٌ: نَعَمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فهُوَ أحْسَنُ»، فقالَ كَعْبٌ:

مُجالِدُنا عَـنْ دِينِنا.

وَذَكَرَ شِعْرَ كَعْبِ بنِ مالِكٍ يُجِيبُ هُبَيْرةَ، وأوّلُهُ: «ألا هَل أتى غَسّانَ».

وَقَد افْتَتَحَ قَصِيدةً أُخْرى في أشْعارِ بَدْرٍ بِهَذا اللّفْظِ، فقالَ: [من الطويل]

ألا هَل أتى غَسّانَ في نَأْيِ دارِها

وإنّما يَذْكُرُ غَسّانَ لِأَنّهُمْ بَنُو عَمِّ الأَنْصارِ، والأَنْصارُ بَنُو حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، والّذِينَ في الشام بنو جَفْنة بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، والكُلُّ غَسّان؛ لِأنّ غَسّانَ ماءٌ شَرِبُوا مِنْهُ حِينَ ارْتِحالِهِمْ مِنَ اليَمَنِ فَسُمُّوا بِهِ.

وقَوْلُهُ: «سَيْرُهُ مُتَتَعْتِعُ»؛ أيْ: مُضْطَرِبٌ.

وقَوْلُهُ: «العَرامِيسُ»: جَمْعُ عِرْمِسٍ، وهي النّاقةُ القَوِيّةُ عَلى السَّيْرِ.

وقَوْلُهُ: «قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ»[١]، أيْ: يَتَشَقّقُ، والقَيْضُ: قُشُورُ البَيْضِ.

والقَوانِسُ: جَمْعُ قَوْنَسٍ، وهي بَيْضةُ السّلاحِ.

وَقَوْلُهُ: «وكُلّ صَمُوتٍ في الصِّوان»، يعني: الدِّرْعَ، جعلها صَمُوتًا لشدّة نَسْجِها وإحْكامِ صَنْعَتِها، والنِّهْيُ والنَّهْيُ: الغَدِيرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنّ ماءَهُ قَدْ مُنِعَ مِنَ الجَرَيانِ بِارْتِفاعِ الأَرْضِ، فغادَرَهُ السَّيْلُ، فسُمِّيَ: غَدِيرًا، ونَهَتْهُ الأَرْضُ فسُمِّيَ: نَهْيًا.

وَقَوْلُهُ: «مَنْجُوفةٌ» مَفْعُولةٌ مِنْ نَجَفْتُ: إذا حَفَرْتَ، ويكون أيضًا مِنْ نَجَفْتُ العَنْزَ: إذا شَدَدْتَها بِالنِّجافِ، وهُوَ حَبْلٌ، فإنْ كانَ أرادَ الرِّماحَ، فمَعْنى قَوْلِهِ: «مَنْجُوفةٌ» أيْ: مَشْدُودةٌ مُثَقّفةٌ، وإنْ [كانَ][٢] أرادَ أسِنَّتَها فهي أيضًا منجوفةٌ، مِنْ نَجَفْتُ: إذا حَفَرْتَ؛ لِأنّ ثَعْلَبَ الرُّمْح داخِلٌ في الحَدِيدةِ، فهي مَنْجُوفةٌ [لَهُ][٣]، وإنْ كانَ أرادَ السُّيُوفَ فمَنْجُوفةٌ أَيْ: كالمَحْفُورةِ؛ لِأنّ مُتُونَها مَدُوسةٌ مَضْرُوبةٌ بِمَطارِقِ الحَدِيدِ، فهي كالمَحْفُورةِ.

---

(١) في (ف): «يتعلق»، وفي (ب)، (س): «يتقلع». وهو تصحيف.

(٢) ليس في (أ). (٣) ليس في (ص).

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

تَصُوبُ بِأَبْدانِ الرِّجالِ وتارةً تَهدُّ[١] بِأَعْراضِ البِصارِ تَقَعْقَعُ

يَقُولُ: تَشُقُّ أَبْدانَ الرّجالِ حَتّى تَبْلُغَ البِصارَ فتَقَعْقَعُ فيها، وهي جَمْعُ بَصْرةٍ، وهي حِجارةٌ لَيّنةٌ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ أرادَ جَمْعَ بَصِيرةٍ، مِثْلُ: كَرِيمةٍ وكِرام، والبَصِيرةُ: الدِّرْعُ، وقِيلَ: التُّرْسُ، والبَصِيرةُ أيْضًا: طَرِيقةُ الدَّمِ في الأرْضِ، فإنْ كانَتْ في الجَسَدِ فهي جَدِيّةٌ، ولا مَعْنى لَها في هَذا البَيْتِ.

* * *

(١) في (ص): «تهز»، وفي حاشية (أ): «تبرّ»، وفي «السيرة»: «تمرّ». والبيت في «تاج العروس» (بصر) عن السهيلي وبشرحه.

[شِعْرٌ لِابنِ الزِّبَعْرى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى في يَوْمِ أُحُدٍ:

يا غُرابَ البَيْنِ أسْـمَعْتَ فقُلْ ... إنَّمـا تَنْطِقُ شَـيْئًا قَـدْ فُعِلْ

إنَّ لِلْخَـيْرِ ولِلـشَّرِّ مَـدًى ... وكِلا ذلـك وجْـهٌ وقَبَـلْ

والعَطِيّـاتُ خِسـاسٌ بَيْنَهُمْ ... وسَـواءٌ قَـبْرُ مُـثْرٍ ومُقِـلّْ

كُلُّ عَيْـشٍ ونَعِيـمٍ زائِـلٌ ... وبَناتُ الدَّهْرِ يَلْعَـبنَ بِكُلّْ

أبْلِغَـنْ حَسّـانَ عَـنِّي آيةً ... فقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفي ذا الغُلَلْ

كَمْ تَرى بِالجَـرِّ مِنْ جُمْجُمةٍ ... وأكُـفٍّ قَـدْ أُتِـرَّتْ ورِجِلْ

وَسَرابِيـلَ حِسـانٍ سُرِيَتْ ... عَنْ كُمـاةٍ أُهْلِكُوا في المُنْتَزَلْ

كَـمْ قتلنا من كريمٍ سَـيِّدٍ ... ماجِـدِ الجَدَّيْنِ مِقْـدامٍ بَطَلْ

صادِقِ النَّجْـدةِ قَـرْمٍ بارِعٍ ... غَيْرِ مُلْتاثٍ لَدى وقْعِ الأسَـلْ

فَسَـلِ المِهْراسَ مَنْ سـاكِنُهُ ... بَيْنَ أقْحافٍ وهـامٍ كالحَجَلْ؟

لَيْتَ أشْـياخِي بِبَدْرٍ شَـهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وقْعِ الأسَلْ

حِينَ حَكَّـتْ بِقُبـاءٍ بَرْكَها ... واسْتَحَرَّ القَتْلُ في عبد الأَشَلْ

ثمّ خفّوا عِنْـد ذاكُمْ رُقَّصًا ... رَقَصَ الحَفّـانِ يَعْلُو في الجَبَلْ

فَقَتَلْنـا الضِّعْفَ مِنْ أشْرافِهِمْ ... وعَدَلْنـا مَيْلَ بَـدْرٍ فاعْتَدَلْ

لا أُلُـومُ النَّفْـسَ إلّا أنَّنـا ... لَوْ كَرَرْنـا لَفَعَلْنـا المُفْتَعَلْ

بِسُـيُوفِ الهِنْدِ تَعْلُـو هامَهُمْ ... عَلَـلًا تَعْلُوهُـمُ بَعْـدَ نَهَلْ

وَقَوْلُ ابنِ الزِّبَعْرى: [من الرمل]

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ إنّما تَنْطِقُ شَـيْئًا قَـدْ فُعِلْ

قَوْلُهُ: «قَدْ فُعِل» أيْ: [قَدْ][1] فُرِغَ مِنْهُ وقُدِّر، وكانُوا في الجاهِلِيّةِ يُقِرُّونَ بِالقَدَرِ، وقالَ لَبيدٌ[2][3]: [من الرمل]

إنَّ تَقْـوى رَبِّنـا خَيْـرُ نَفَـلْ وبِـإذْنِ اللهِ رَيْثِـي وعَجَـلْ

مَنْ هَداهُ سُـبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى ناعِـمَ البالِ ومَنْ شـاءَ أَضَلّ

وَقالَ راجِزُهُمْ[4]:

يـا أيّهـا اللّائِـمُ لُمنِـي أوْ فَذَرْ إن كنتُ أخْطَأْتُ فما أخْطا القَدَرْ

وَقَوْلُهُ: «غَيْر مُلتاثٍ»، هُوَ مُفْتَعَلٌ مِن اللّوثةِ كَما قالَ الضَّبِّيّ[5]: [من البسيط]

عِنْدَ الحَفيظةِ إنْ ذُو لُوثةٍ لانا

والمِهْراسُ: حَجَرٌ مَنْقُورٌ يُمْسِكُ الماءَ فيُتَوَضّأُ مِنْهُ، شُبِّهَ بِالمِهْراسِ الّذي

(١) عن (س)، (ج)، (ف).

(٢) في (ف) زيادة: «في الجاهلية».

(٣) «شرح ديوانه» (ص: ١٧٤).

(٤) «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٤٤٩). (ج)

(٥) كذا ونُسب في «الحماسة» لبعض شعراء بلعنبر، ونسبه البغدادي في «الخزانة» (٧: ٤٤١) إلـى قُرَيْـط بن أُنَيف العنبري، وقال: (٧: ٤٤٦): «وهو شاعر إسلامي». وذكر أنه لم يظفر له بترجمة. وزاد الأعلم الشنتمري في كتاب «الحماسة» (١: ٢٧٠) قوله: إنه العنبر بن عمرو بن تميم، وأنه قد تنسب القصيدة لأبي الغول الطُّهَوي، وطهية من تميم أيضًا، وصدر البيت:

إذن لقام بنصري معشر خُشُن

هُوَ الهاوُنُ[١]، [ووَهِمَ المُبَرِّدُ[٢] فجَعَلَ المِهْراسَ اسْمًا عَلَمًا لِلمِهْراسِ الّذِي بِأُحُدٍ خاصّةً، وإنّما هُوَ اسْمٌ لِكُلّ حَجَرٍ نُقِرَ فأمْسَكَ الماء.

وروى ابنُ عبدوسٍ[٣] عَنْ مالِكٍ أنّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَمُرّ بِمِهْراسٍ في أرْضٍ فلاةٍ كَيْفَ يَغْتَسِلُ مِنْهُ؟ فقالَ مالِكٌ: هَلّا قُلتَ: مَرَّ بِغَدِيرٍ، ومَنْ يَجْعَلُ لَهُ مِهْراسًا في أرْضِ فلاةٍ[٤]؟ فهَذا يُبَيِّنُ لَك أنّ المِهْراسَ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِالمِهْراسِ الّذِي كانَ بِأُحُدٍ، وكَذَلِكَ وقَعَ في غَرِيبِ الحَدِيثِ أنّ رسولَ الله ﷺ مَرّ بِقَوْمٍ يَتَجاذَوْنَ مِهْراسًا[٥]؛ أيْ: يَرْفَعُونَهُ][٦].

وقَوْلُ حَسّانَ يُجِيبُهُ[٧]: [من الرمل]

هَرَبًا في الشِّـعْبِ أَشْباهَ الرَّسَلْ

يَعْنِي: الغَنَمَ إذا أرْسَلَها الرّاعِي، يُقالُ لَها حِينَئِذٍ: رَسَلٌ.

* * *

(١) في (ص)، (ج): «الهاووون»، وكلاهما صواب.
(٢) انظر «الكامل» للمبرد (٤: ١١).
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس القرشي مولاهم المغربي الفقيه المالكي صاحب سحنون، كان إمامًا كبيرًا مشهورًا زاهدًا عابدًا مجاب الدعوة، توفي سنة ٢٨٠هـ. «الوافي بالوفيات» (١: ٢٥٤). (ج)
(٤) ذكر هذه الرواية أبو الوليد بن رشد في «البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة» (١: ١٣٥). (ج)
(٥) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ١٦-١٧). و«النهاية» (جذى).
(٦) ليس في (ص)، (ج).
(٧) «ديوانه» (١: ٦٧).

[رَدُّ حَسّانَ على ابنِ الزِّبَعْرى]

فَأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قالَ:

ذَهَبَتْ يا ابنَ الزِّبَعْرى وقْعةٌ كانَ مِنّا الفَضْلُ فيها لَوْ عَدَلْ
وَلَقَــدْ نِلْتُمْ ونِلْنــا مِنْكُمُ وكَذاكَ الحَــرْبُ أحْيانًا دُوَلْ
نَضَعُ الأسْيافَ في أكْتافِكُمْ حَيْثُ نَهْوِي عَلَلًا بَعْدَ نَهَلْ
نُخْرِجُ الأضْياحَ مِنْ أسْتاهِكُمْ كَسُلاحِ النِّيبِ يأْكُلْنَ العَصَلْ
إذْ تُوَلُّــونَ على أعْقابِكُــمْ هُرَّبًا في الشِّعْبِ أشْباهَ الرَّسَلْ
إذْ شَــدَدْنا شَــدّةً صادِقَــةً فأجَأْناكُمْ إلى سَــفْحِ الجَبَلْ
بِخَناطِيــلَ كَأشْــدافِ المَلا مَنْ يُلاقُوهُ مِــنَ النّاسِ يُهَلْ
ضاقَ عَنّا الشِّعْبُ إذْ نَجْزَعُهُ ومَلَأْنا الفُــرْطَ مِنْهُ والرِّجَلْ
بِرِجــالٍ لَسْــتُمُ أمْثالَهُــمْ أُيِّــدُوا جِبْرِيلَ نَــصْرًا فنَزَلْ
وَعَلَوْنــا يَــوْمَ بَــدْرٍ بِالتُّقى طاعةِ الله وتَصْدِيقِ الرُّسُــلْ
وَقَتَلْنــا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُــمُ وقَتَلْنــا كُلَّ جَحْجــاجٍ رِفَلّْ
وَتَرَكْنــا في قُرَيْــشٍ عَــوْرَةً يَــوْمَ بَدْرٍ وأحادِيــثَ المَثَلْ
وَرَسُــولُ الله حَقًّــا شــاهِدٌ يَوْمَ بَــدْرٍ والتَّنابِيــلُ الهُبَلْ
في قُرَيْشٍ مِــنْ جُمُوعٍ جُمِّعُوا مِثْلَ ما يُجْمَعُ في الخِصْبِ الهَمَلْ
نَحْنُ لا أمْثالُكُمْ وُلْدَ اسْــتِها نَحْضُرُ النّاسَ إذا البَأْسُ نَزَلْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ: «وَأحادِيثَ المَثَلْ» والبَيْتَ الَّذي قَبْلَهُ. وقَوْلُهُ: «في قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جُمِّعُوا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وَقَوْلُهُ: «كَأشْدافِ المَلا»، الأشْدافُ: جَمْعُ شَدَفٍ، وهُوَ الشَّخْصُ، والمَلا: ما اتَّسَعَ مِنَ الأرْضِ، ويُرِيدُ بِالأشْدافِ ههُنا: أشْخاصَ [الشَّجَرِ][1] وأُصُولَها.

وَقَوْلُهُ: «يُهَلْ»، أرادَ: فَيُهال ثُمّ جزَمَ لِلشّرْطِ[2]، فانْحَذَفَتِ الألِفُ لِالتِقاءِ السّاكِنَيْنِ، وهُوَ مِنَ الهَوْلِ، يُقالُ: هالَنِي الأمْرُ يَهُولُنِي هَوْلًا: إذا أفْزَعَك.

وَقَوْلُهُ: «ومَلَأْنا الفُرْطَ»، أرادَ: الفُرُطَ بِتَحْرِيكِ الرّاءِ، وهي الأكَمةُ، وما ارْتَفَعَ مِنَ الأرْضِ.

والرِّجَلُ: جَمْعُ رِجْلةٍ، وهيَ المُطْمئنُّ مِن الأرْضِ، والرِّجْلةُ أيْضًا في مَعْنى الرِّجْلِ مِن الجَرادِ، قالَ الشّاعِرُ[3]: [من الطويل]

وَتَحْتَ نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَــفُ رِجْلةٍ

يُرِيدُ بِالحَرْشَفِ: جَماعةَ الدَّبى، وهُمْ صِغارُ الجَرادِ، ضَرَبَهُمْ مَثَلًا لِلرَّجّالةِ والرُّماةِ.

وجَمْعُ الفُرُطِ: أفْراطٌ.

---

(١) سقط من (س).

(٢) في (ف): «المشروط».

(٣) أنيف بن الحكم النبهاني، كما في «الحماسة» بشرح المرزوقي: (١: ١٦٩). وفي «المبهج» لابن جني: «بن زبان». وعجز البيت: (١: ١٧٠):

تُتاحُ لغِرّاتِ القلوبِ نبالها

وَقَوْلُهُ: «وُلْدَ اسْتِها»: كَلِمةٌ تَقُولُها العَرَبُ عِنْدَ السَّبِّ، تَقُولُ: يا بَنِي اسْتِها، والوُلْدُ: بِمَعْنى الأَوْلادِ. وكَتَبَ أَهْلُ دِمَشْقَ إلى أَهْلِ مِزَّةَ، وهي عَلى فَرْسَخٍ مِنْ دِمَشْقَ، وكانُوا أَمْسَكُوا عَنْهُمُ الماءَ، فكَتَبُوا إِلَيْهِمْ: «مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ إلى بَنِي اسْتِها، وَبَعْدُ: فإمّا أَنْ يُمْسِّيَنا الماءُ وإلّا صَبَّحَتْكُمُ الخَيْلُ». ذَكَرَهُ الجاحِظُ[1].

قَوْلُهُ في المُؤْمِنِينَ: «أُيِّدُوا جِبْرِيلَ»؛ أيْ: أُيِّدُوا بِجِبْرِيلَ، وحَذَفَ الجارَّ فتَعَدّى الفِعْلُ فنَصَبَ، ولا يَطَّرِدُ هَذا الحَذْفُ إلّا أَنْ يَكُونَ الفِعْلُ المُتَعَدّي بحَرْفِ جَرٍّ مُتَضَمِّنًا لِمَعْنى فِعْلٍ آخَرَ ناصِبٍ، كَقَوْلِهِمْ: أَمَرْتُك الخَيْرَ؛ أيْ: كَلَّفْتُك الخَيْرَ وأَلزَمْتُكَهُ، ولا يَسْتَقِيمُ: نَهَيْتُك الشَّرَّ؛ إذْ لَيْسَ في مَعْنى نَهَيْتُك فِعْلٌ ناصِبٌ. وقَوْلُهُ: «أُيِّدُوا جِبْرِيلَ»، أيْ: أُصْحِبُوهُ[2]، ونَحْوُ هَذا، فحَسُنَ حَذْفُ الباءِ لذلك.

وَقَوْلُ حَسّانَ[3]: [من الرمل]

نُخْــرِجُ الأَصْبَحَ مِنْ أَسْــتاهِهِمْ[4]

رَواهُ أَبُو حَنِيفةَ: «نُخْرِجُ الأَضْياحَ»، يُرِيدُ: الضَّيحَ، وهُوَ اللَّبَنُ المَمْزُوجُ بِالماءِ، وهُوَ في مَعْنى الأَصْبَحِ؛ لِأَنَّ الصُّبْحةَ بَياضٌ غَيْرُ[5] خالِصٍ، فجَعَلَهُ وصْفًا[6] لِلَّبَنِ المَمْذُوقِ المُخْرَجِ مِنْ بُطُونِهِمْ.

---

(١) «البيان والتبيين» (١: ٣٠١).

(٢) في (ف)، (أ)، (ب): «أصحبوا».

(٣) «ديوانه» (ص: ١٦٧). وفيه: «يَخْرُج الأكدرُ من أستاهكم».

(٤) في (س)، (ب): «أستاهكم».

(٥) «غير» ليست في (ف).

(٦) «وصفًا» ليست في (ف).

وَقَوْلُهُ[١]: [من الرمل]

كَسُلاحِ النِّيبِ يَأْكُلنَ العَصَلْ

العَصَلُ: نَباتٌ كالدِّفلى[٢] يُسلِحُ الإبلَ إذا أكَلَتْهُ، ويُكْثِرُ شُرْبَها لِلماءِ، وهُوَ مِن[٣] الحَمْضِ، ويَنْبُتُ في السِّباخِ، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ[٤].

وَقَوْلُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ: [من المتقارب]

لِواءِ الرَّسُولِ بِذِي الأضْوُجِ

الأضْوُجُ: جَمْعُ ضَوْجٍ، والضَّوْجُ[٥]: جانِبُ الوادِي.

وَقَوْلُهُ: في القَصطَلِ[٦] [المُرْهِجِ. القَصطَلُ[٧]][٨]: الغُبارُ، وكَذَلِكَ الرَّهَجُ، وقَدْ شَرَحْنا السَّلْجَجَ فيما مَضى.

والجَمَلُ الأدْعَجُ؛ يَعْنِي: الأسْوَدَ، ومِنْهُ الحَدِيثُ في صِفةِ النَّبيِّ ﷺ: «في

(١) في «الديوان»:

مثل ذَرْق النيب يأكلن العصل

والسُّلاح: كل ما يخرج من البطن من الفضلات، وهو الذَّرْق.

(٢) قال في «القاموس»: «الدِّفْل والدّفْلى: نبت مُر قتّال، زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخُرنوب» (دَفَل).

(٣) «من» ليست في (ف).

(٤) انظر: «النبات» (ص: ١٦٠).

(٥) في «اللسان»: «ضوج الوادي: منعطفه، والجمع أضواج وأضوُج، والأخيرة نادرة».

(٦) كذا في (س). وفي غيرها: «القسطل»، وكلٌّ صواب.

(٧) في (ف): «القسطل».

(٨) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وفي أَشْفارِهِ وَطَفٌ»[١].

وَقَوْلُهُ: [من المتقارب]

وحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لَمْ يُحْنَجِ

أيْ: لَمْ يُمِلْهُ شَيْءٌ عَنِ الطّريقِ المُسْتَقِيمِ، يُقالُ: حَنَجْتُ الشّيْءَ: إذا أَمَلْتَهُ وعَدَلتَهُ عَنْ وجْهِهِ، ويُقالُ أيْضًا: أَحْنَجْتُهُ فهُوَ مُحْنَجٌ، وسَيأْتِي في الشّعْرِ بَعْدَ هَذا ما يَدُلّ عَلَيْهِ.

* * *

(١) من حديث أم معبد، وهو في «دلائل النبوة» لأبي نعيم: (٢: ٣٣٧-٣٤٢)، وللبيهقي: (١: ٢٧٦-٢٨٤). والدعج: سواد الحدقة. والأشفار: حروف الأجفان، وأراد: شعر الأشفار. والوطف: كثرة شعر العين والاسترخاء، ويكون ذلك مع الطول. ويُروى: «غَطَف» ـ بالغين المعجمة ـ والمراد به: الطول، كما يروى: «عطف» بالعين المهملة، والمراد به: انعطاف شعر الأجفان لطولها. فاشتركت الروايات الثلاث.

[شِعْرُ كَعْبٍ فِي بُكاءِ حَمْزَةَ وقَتْلى أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَبْكِي حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ وقَتْلى أُحُدٍ مِن المُسْلِمِينَ.

نَشَجْتَ وهَلْ لَكَ مِنْ مَنْشَجِ؟ وكُنْتَ مَتى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ
تَذَكُّرَ قَوْمٍ أتانِي لَهُمْ أحادِيثُ فِي الزَّمَنِ الأعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خافِقٌ مِن الشَّوْقِ والحَزَنِ المُنْضِجِ
وَقَتْلاهُمُ فِي جِنانِ النَّعِيمِ كِرامُ المَداخِلِ والمَخْرَجِ
بِما صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّواءِ لِواءِ الرَّسُولِ بِذِي الأضْوُجِ
غَداةَ أجابَتْ بِأسْيافِها جَمِيعًا بَنُو الأوْسِ والخَزْرَجِ
وَأشْياعُ أحْمَدَ إذْ شايَعُوا على الحَقِّ ذِي النُّورِ والمَنْهَجِ
فَما بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الكُماةَ ويَمْضُونَ فِي القَسْطَلِ المُرْهَجِ
كَذلك حَتّى دَعاهُمْ مَلِيكٌ إلى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ
فَكُلُّهُمُ ماتَ حُرَّ البَلاءِ على مِلَّةِ اللهِ لَمْ يَحْرَجِ
كَحَمْزَةَ لَمّا وفى صادِقًا بِذِي هَبَّةٍ صارِمٍ سَلْجَجِ
فَلاقاهُ عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ يُبَرْبِرُ كالجَمَلِ الأدْعَجِ
فَأوْجَرَهُ حَرْبَةً كالشِّهابِ تَلَهَّبُ فِي اللهَبِ المُوهَجِ
وَنُعْمانُ أوْفى بِمِيثاقِهِ وحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لَمْ يُحْنَجِ
عَنِ الحَقِّ حَتّى غَدَتْ رُوحُهُ إلى مَنْزِلٍ فاخِرِ الزِّبْرِجِ
أُولَئِكَ لا مَنْ ثَوى مِنْكُمُ مِن النّارِ فِي الدَّرْكِ المُرْتَجِ

وَقَوْلُهُ: [من المتقارب]

عَنِ الحَقّ حَتّى غَدَتْ رُوحُهُ

أَنَّثَ الرُّوحَ لِأَنّهُ في مَعْنى النّفْسِ، وهي لُغةٌ مَعْرُوفةٌ.

أمَرَ ذُو الرُّمّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ أنْ يُكْتَبَ عَلى قَبْرِه[1]: [من البسيط]

يا نازِعَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إذا قُبِضَتْ … وفارِجَ الكَرْبِ أَنْقِذْنِي مِنَ النّارِ

فَكانَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلى قَبْرِهِ.

وَقَوْله: «فاخِرِ الزِّبرِجِ»؛ أي: فاخرِ الزّينة؛ أي: ظاهِرِها[2].

وَقَوْلُهُ: «في الدَّرَكِ المُرْتَجِ»، أي المُغْلَقِ، يُقالُ: أرْتَجْتُ البابَ إذا أغْلَقْتَه، وهُوَ مِن الرِّتاجِ، قالَتْ جارِيةٌ مِن العَرَبِ ماتَتْ أُمُّها، وتَزَوّجَ أبوها[3]: [من الوافر]

ولكن قد أتى مِنْ دُونِ وُدِّي … وبَيْنَ فُؤادِهِ غَلقُ الرِّتاجِ

وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي … وما الرِّئْمانُ إلّا بِالنِّتاجِ

وَمِنْهُ قِيلَ: أُرْتِجَ عَلى الخَطِيبِ، إذا أُغْلِقَ عَلَيْهِ بابُ القَوْلِ.

* * *

(١) «الأغاني» (١٩: ٦٧٨٩)، وقبله:

يا ربِّ قد أشرفتْ نفسي وقد علمتْ … علمًا يقينًا لقد أحصيتَ آثاري

ولم أجده في «ديوانه» بشرح أبي نصر الباهلي.

(٢) (أ)، (ب): «طاهرها».

(٣) البيت في «الحماسة» لأبي تمام. انظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي: (ص: ٣٨٦). (ج)

[شِعْرُ ضِرارٍ في الرَّدِّ على كَعْبٍ]

فَأجابَهُ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ الفِهْرِيُّ، فقالَ:

أيَجْـزَعُ كَعْـبٌ لِأشْـياعِهِ ... ويَبْكِي مِن الزَّمَـنِ الأعْوَجِ؟

عَجِيـجَ المُـذَكِّي رَأى إلْفَهُ ... تَـرَوَّحَ في صـادِرٍ مُحْنَـجِ

فَـراحَ الرَّوايـا وغادَرْنَـهُ ... يُعَجْعِـجُ قسرًا ولـم يُحْدَجِ

فَقُـولا لِكَعْبٍ يُثَـنِّي البُكا ... ولِلنِّيءِ مِـنْ لَحْمِـهِ يَنْضَجِ

لِمَـصْرَعِ إخْوانِـهِ في مَكَرٍّ ... مِن الخَيْلِ ذِي قَسْطَلٍ مُرْهَجِ

فيا لَيْـتَ عَمْرًا وأشْـياعَهُ ... وعُتْبـةَ في جَمْعِنا السَّـوْرَجِ

فيشْـفُوا النُّفُـوسَ بِأوْتارِها ... بِقَتْلى أُصِيبَـتْ مِن الخَزْرَجِ

وَقَتْلى مِـن الأوْسِ في مَعْرَكٍ ... أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الأضْوُجِ

وَمَقْتَـلِ حَمْزَةَ تَحْـتَ اللِّواءِ ... بِمُطَّـرِدٍ، مـارِنٍ، مُخْلَـجِ

وَحَيْثُ انْثَـنى مُصْعَبٌ ثاوِيًا ... بِضَرْبـةِ ذِي هَبَّةٍ سَـلْجَجِ

بِأُحُـدٍ وأسْـيافُنا فيهِـمُ ... تَلَهَّـبُ كاللهـبِ المُوهَـجِ

غَداةَ لَقِيناكُـمُ في الحَدِيدِ ... كَأُسْـدِ البَراجِ فلَـمْ تُعْنَجِ

بِـكُلِّ مُجَلِّحـةٍ كالعُقابِ ... وأجْـرَدَ ذِي مَيْعـةٍ مُسْرَجِ

فَدُسْـناهُمُ ثَمَّ حَـتّى انْثَنَوْا ... سِوى زاهِقِ النَّفْسِ أوْ مُحْرَجِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِضِرارٍ.

وقَوْلُ كَعْبٍ: «ذِي النُّورِ والمَنْهَجِ» عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ.

[شِعْرُ ابنِ الزِّبَعْرى في يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى في يَوْمِ أُحُدٍ، يَبْكِي القَتْلى:

أَلا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ؟ ... وقَدْ بانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبابِ قُطُوعُ

وَشَطَّ بِمَنْ تَهْوى المَزارُ وفَرَّقَتْ ... نَوى الحَيِّ دارٌ بِالحَبِيبِ فَجُوعُ

وَلَيْسَ لِما ولّى على ذِي حَرارةٍ ... وإنْ طالَ تَذْرافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ

فَذَرْ ذا ولَكِنْ هَلْ أتى أُمَّ مالِكٍ ... أحادِيثُ قَوْمِي والحَدِيثُ يَشِيعُ؟

وَمُجْنَبُنا جُرْدًا إلى أهْلِ يَثْرِبٍ ... عَناجِيجَ مِنْها مُتْلَدٌ ونَزِيعُ

عَشِيَّةَ سِرْنا في لُهامٍ يَقُودُنا ... ضَرُورُ الأعادِي لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ

نَشُدُّ عَلَيْنا كُلَّ زَغْفٍ كَأنَّها ... غَدِيرٌ بِضَوْجِ الوادِيَيْنِ نَقِيعُ

فَلَمّا رَأوْنا خالَطَتْهُمْ مَهابَةٌ ... وعايَنَهُمْ أمْرٌ هُناكَ فَظِيعُ

وَوَدُّوا لَوَ انَّ الأرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُها ... بِهِمْ وصَبُورُ القَوْمِ ثَمَّ جَزُوعُ

وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ كَأنَّ ومِيضَها ... حَرِيقٌ تَرَقّى في الأباءِ سَرِيعُ

بِأيْمانِنا نَعْلُو بِها كُلَّ هامَةٍ ... ومِنْها سِمامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ

فَغادَرْنَ قَتْلى الأوْسِ عاصِبَةً بِهِمْ ... ضِباعٌ وطَيْرٌ يَعْتَفِينَ وُقُوعُ

وَجَمْعُ بَنِي النَّجّارِ في كُلِّ تَلْعَةٍ ... بِأبْدانِهِمْ مِنْ وقْعِهِنَّ نَجِيعُ

وَلَوْلا عُلُوُّ الشِّعْبِ غادَرْنَ أحْمَدًا ... ولَكِنْ عَلا والسَّمْهَرِيُّ شُرُوعُ

كَما غادَرَتْ في الكَرِّ حَمْزَةَ ثاوِيًا ... وفي صَدْرِهِ ماضِي الشَّباةِ وَقِيعُ

ونعمان قَدْ غادَرْنَ تَحْتَ لِوائِهِ ... على لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجُفْنَ وُقُوعُ

بِأُحْدٍ وأرْماحُ الكُماةِ يُرِدْنَهُمْ ... كَما غالَ أشْطانَ الدِّلاءِ نُزُوعُ

وَفي شِعْرِ ضرار: «من[1] جَمْعِنا السَّوْرَج»، هُوَ فوْعَلٌ مِن السِّراجِ، يُرِيدُ المُضِيءَ.

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ على ابنِ الزِّبَعْرى]

فَأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ، فقالَ:

أشـــاقَكَ مِـــنْ أُمِّ الوَلِيدِ رُبُوعُ ... بَلاقِـــعُ ما مِنْ أهْلِهِـــنَّ جَمِيعُ؟
عَفاهُنَّ صَيْفِيُّ الرِّياحِ وواكِفٌ ... مِن الدَّلْوِ رَجّافُ السَّحابِ هَمُوعُ
فَلَمْ يَبْـــقَ إلّا مَوْقِدُ النّارِ حَوْلَهُ ... رَواكِـــدُ أمْثالُ الحَمـــامِ كُنُوعُ
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أهْلِها ... نَوًى لِمَتِينـــاتِ الحِبالِ قَطُوعُ
وَقُلْ: إنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأُحْدٍ يَعُدُّهُ ... سَـــفيهٌ فإنَّ الحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ
فَقَدْ صابَرَتْ فيهِ بَنُو الأوْسِ كُلُّهُمْ ... وكانَ لَهُـــمْ ذِكْرٌ هُنـــاكَ رَفيعُ
وَحامى بَنُو النَّجّارِ فيهِ وصابَرُوا ... وما كانَ مِنْهُمْ في اللِّقاءِ جَزُوعُ
أمـــامَ رَسُـــولِ اللهِ لا يَخْذُلُونَهُ ... لَهُـــمْ ناصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وشَـــفيعُ
وَفَوْا إذْ كَفَرْتُمْ يا سَخِينَ بِرَبِّكُمْ ... ولا يَسْتَوِي عَبْدٌ وفى ومُضِيعُ
بِأيْدِيهِمُ بِيضٌ إذا حَمِشَ الوَغى ... فلا بُدَّ أنْ يَـــرْدى لَهُنَّ صَرِيعُ
كَما غادَرَتْ في النَّقْعِ عُتْبَةَ ثاوِيًا ... وسَعْدًا صَرِيعًا والوَشِيجُ شُرُوعُ
وَقَدْ غادَرَتْ تَحْتَ العَجاجَةِ مُسْنَدًا ... أبيًّـــا وقَدْ بَـــلَّ القَمِيصَ نَجِيعُ
بِكَفِّ رَسُولِ اللهِ حَيْثُ تَنَصَّبَتْ ... على القَوْمِ مِمّا قَدْ يُثِرْنَ نُقُوعُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ سادةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ ... وفي كُلِّ قَـــوْمٍ ســـادةٌ وفُرُوعُ

---

(١) في «السيرة»: «في جمعنا».

بِهِــنَّ نُعِــزُّ اللهَ حَــتّى يُعِزَّنا وإنْ كانَ أمْرٌ يا سَــخِينَ فظِيعُ
فَلا تَذْكُــرُوا قَتْلى وحَمْزَةُ فيهِمُ قَتِيــلٌ ثَــوى للهِ وهْــوَ مُطِيعُ
فَإنَّ جِنــانَ الخُــلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ وأمْرُ الَّذي يَقْضِي الأُمُورَ سَرِيعُ
وَقَتْلاكُمُ في النّارِ أفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعًــا في جَوْفِها وضَرِيعُ

[شِعْرُ عَمْرِو بنِ العاصِ في يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهُما لِحَسّانَ وابنِ الزِّبَعْرى.

وَقَوْلُهُ: «ماضِي الشَّباةِ، وطَيْرٌ يَحُفْنَ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَمْرو بن العاصِي في يَوْمِ أُحُدٍ:

خَرَجْنــا مِن الفَيْفــا عَلَيْهِمْ كَأنَّنا مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوى الحَبِيكُ المُنَطَّقُ
تَمَنَّــتْ بَنُو النَّجّارِ جَهْــلًا لِقاءَنا لَدى جَنْبِ سَــلْعٍ والأمانِيُّ تَصْدُقُ
فَمــا راعَهُــمْ بِالــشَّرِّ إلّا فُجاءَةً كَرادِيــسُ خَيْــلٍ في الأزقّة تمرقُ
أرادوا لِكَيْمــا يَسْــتَبِيحُوا قِبابَنا ودُونَ القِبابِ اليَــوْمَ ضَرْبٌ مُحَرَّقُ
وَكانَت قِبابًا أُومِنــتْ قَبْلَ ما تَرى إذا رامَها قَــوْمٌ أُبِيحُــوا وأُحْنِقُوا
كَأنَّ رُؤُوسَ الخَزْرَجِيِّــينِ غَــدْوَةً وأيْمانَهُــمْ بِالمُشْرَفِيّــةِ بَــرْوَقُ

[شِعْرُ كَعْبٍ في الرَّدِّ على ابن العاصِي]

فَأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ، فيما ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ، فقالَ:

ألا أبْلِغا فِهْــرًا على نَأْيِ دارِها وعِنْدَهُمُ مِنْ عِلْمِنا اليَوْمَ مَصْدَقُ
بِأنّا غَداةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ صَبَرْنا وراياــتُ المَنِيّةِ تَخْفِقُ

صَبَرْنــا لَهُمْ والصَّبْرُ مِنّا سَــجِيّةٌ	إذا طارَت الأبْرامُ نَسْــمُو ونَرتُقُ
على عادةٍ تِلْكُــمْ جَرَيْنا بصبرنا	وقِدْمًا لَدى الغاياتِ نَجْرِي فنَسْبِقُ
لَنا حَوْمــةٌ لا تُسْــتَطاعُ يَقودُها	نَــبِيٌّ أتى بِالحَــقِّ عَــفٌّ مُصَدَّقُ
ألا هَــلْ أتى أفْناءَ فِهْــرِ بنِ مالِكٍ	مُقَطَّــعُ أطْــرافٍ وهــامٌ مُفَلَّقُ؟

وَفي شِعْرِ حَسّانَ: [من الطويل]

وَفَــوْا إذْ كَفرتُمْ يا سَــخِينَ بِرَبِّكُمْ

أرادَ: سَخِينة[1] فرَخّمَ، وعَنى قُرَيْشًا لِأنّها كانت تُلقَّب بذلك.

[شِعْرُ ضِرارٍ في يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ:

إنِّي وجَــدِّكَ لَــوْلا مُقْــدَمِي فَرَسِي	إذْ جالَت الخَيْلُ بَيْنَ الجِزْعِ والقاعِ
ما زالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الجَزْعِ مِنْ أُحُدٍ	أصْــواتُ هامٍ تَزاقى أمْرُها شــاعِي
وَفارِسٌ قَدْ أصابَ السَّــيْفُ مَفرِقَهُ	أفْلاقُ هامَتِــهِ كَفَــرْوَةِ الرّاعِي
إنِّي وجَــدِّكَ لا أنْفَــكُّ مُنْتَطِقًــا	بِصارِمٍ مِثْــلِ لَوْنِ المِلْــحِ قَطّاعِ
على رِحالَــةِ مِلْــواحٍ مُثابِــرةٍ	نَحْــوَ الصَّرِيخِ إذا ما ثَــوَّبَ الدّاعِي
وَما انْتَمَيْتُ إلى خُورٍ ولا كُشُــفٍ	ولا لِئــامٍ غَــداةَ البَــأْسِ أوْراعِ
بَلْ ضارِبِينَ حَبِيكَ البِيضِ إذْ لَحِقُوا	شُــمَّ العَرانِينِ عِنْدَ المَــوْتِ لُذّاعِ
شُــمٌّ بَهالِيــلُ مُسْــتَرْخٍ حَمائِلُهُمْ	يَسْــعَوْنَ لِلْمَوْتِ سَعْيًا غَيْرَ دَعْداعِ

---

(١) لُقبوا بذلك لمداومتهم على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق، الذي كان يسمى: سخينة.

وفي أشْعارِ ضرارٍ في العَيْنِيِّ مِنْها: «أمْرُها شاع»، أرادَ: شائِعٌ، فقُلِبَتْ، كَما قالَ الآخر[١]: [من الرجز]

لاثٍ به الأشاءُ والعُبْرِيُّ

أراد: لائِث، وكما جاء في الحديث: «لا يحتكِرُ الطَّعامَ إلّا طاغٍ أو باغٍ أو زاغٍ»[٢]، أراد: زائغٌ.

وَقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ أيْضًا:

لَمّـا أتَتْ مِـنْ بَنِي كَعْـبٍ مُزَيَّنَةً	والخَزْرَجِيّـةُ فيها البِيـضُ تَأْتَلِقُ
وَجَـرَّدُوا مَشْرَفِيّـاتٍ مُهَنَّـدةً	ورايـةً كَجَنـاحِ النَّـسْرِ تَخْتَفِقُ
فَقُلْـتُ: يَـوْمٌ بأيّـامٍ ومَعْرَكَـةٌ	تُنْبِي لِمـا خَلْفَها ما هُزْهِـزَ الوَرَقُ
قَدْ عُوِّدُوا كُلَّ يَـوْمٍ أنْ تَكُونَ لَهُمْ	رِيحُ القِتالِ وأسْـلابُ الَّذينَ لَقُوا
خَيَّرْتُ نَفْسِي على ما كانَ مِنْ وجَلٍ	مِنْها وأيْقَنْتُ أنَّ المَجْدَ مُسْـتَبَقُ
أكْرَهْتُ مُهْرِيَ حَتّى خاضَ غَمْرَتَهُمْ	وبَلَّـهُ مِـنْ نَجِيـعٍ عانِـكٍ عَلَقُ
فَظَلَّ مُهْرِي وسِرْبالِي جَسِـيدُهُما	نَفْخُ العُرُوقِ رِشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقُ
أيْقَنْـتُ أنِّي مُقِيـمٌ في دِيارِهُـمُ	حَتّى يُفـارِقَ ما في جَوْفِـهِ الحَدَقُ
لا تَجْزَعُوا يا بَـنِي مَخْزُومَ إنَّ لَكُمْ	مِثْـلَ المُغِيرةِ فيكُمْ مـا بِهِ زَهَقُ
صَبْرًا فِدًى لَكُـمُ أُمِّي وما وَلَدَتْ	تَعاوَرُوا الضَّرْبَ حَتّى يُدْبِرَ الشَّفَقُ

(١) العجاج، «ديوانه» (ص: ٣١٤)، وهو من شواهد «الكتاب» (٣: ٤٦٦)، (٤: ٣٧٧). وقد تردد في كتب الصرف.
والأشاء: صغار النخل. والعُبري: ما نبت من الشعر البري على شطوط الأنهار، يصف الشاعر مكانًا مخصبًا كثير الشجر قد التف بعضه على بعض.
(٢) لم نقف على تخريجه. (ج)

وفي شعره القافيِّ: «رِشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقُ»؛ الوَرَقُ هو[1]: ما تعَقَّدَ مِن الدَّمِ، قالَهُ ابنُ دُرَيْدٍ وغَيْرُهُ[2].

وفيهِ: «ما بِهِ رَهَقُ»[3]، أيْ: عَيْبٌ، والمُرَهَّقُ مِنَ الرِّجالِ: المَعِيبُ.

[شِعْرُ عَمْرٍو في يَوْمِ أُحُدٍ]

وَقالَ عَمْرو بن العاصِي:

لَمّا رَأيْتُ الحَرْبَ ينـ ... زو شَرُّها بِالرَّضْفِ نَزْوا

وتناولت شهباءُ تلـ ... حو النّاسَ بِالضَّرّاءِ لَحْوا

أيْقَنْتُ أنَّ المَوْتَ حَقْ ... قٌ والحَياةُ تَكُونُ لَغْوا

حَمَّلْتُ أثْوابِي على ... عَتَدٍ يَبُذُّ الخَيْلَ رَهْوا

سَلِسٍ إذا نَكَّبْنَ في الـ ... بَيْداء يَعْلُو الطِّرْفَ عُلْوا

وَإذا تَنَزَّلَ ماؤُهُ ... مِنْ عِطْفِهِ يَزْدادُ زَهْوا

رَبِذٍ كيَعْفُور الصّريـ ... مة راعَهُ الرّامُونَ دَحْوا

شَنِجٍ نَساهُ ضابِطٍ ... لِلْخَيْلِ إرْخاءً وعَدْوا

فَفِدًى لَهُم أمّي غَدا ... ةَ الرَّوْعِ إذْ يَمْشُونَ قَطْوا

سَيْرًا إلى كَبْش الكتيـ ... بة إذْ جَلَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِعَمْرٍو.

---

(١) «هو» ليس في (ف).

(٢) قال في «القاموس»: الوَرَق: ما استدار من الدم على الأرض، أو ما سقط من الجراحة. (ورق).

(٣) في «السيرة»: «زهق»، بالزاي. والصواب ما أثبت.

وَفي شعر عمرو بن العاصي: [«إذْ][١] يمشون قَطْوًا». القَطْوُ والأقْطِيطاء: مَشْيُ القَطا.

[شِعْرُ كَعْبٍ في الرَّدِّ على عَمْرو بن العاصِي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَهُما كَعْبُ بنُ مالِكٍ، فقالَ:

أَبْلِغْ قُرَيْشًا وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... والصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنا بِقَتْلانا سَراتَكُمُ ... أَهْلَ اللِّواءِ ففيما يَكْثُرُ القِيلُ؟
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِيناكُمْ لَنا مَدَدٌ ... فيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكالٌ وجِبْرِيلُ
إنْ تَقْتُلُونا فدِينُ الحَقِّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ في الحَقِّ عِنْدَ اللهِ تَفْضِيلُ
وَإنْ تَرَوْا أَمْرَنا في رَأْيِكُمْ سَفَهًا ... فرَأْيُ مَنْ خالَفَ الإسْلامَ تَضْلِيلُ
فَلا تَمَنَّوْا لِقاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدُوا ... إنَّ أخا الحَرْبِ أَصْدى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إنَّ لَكُمْ عِنْدَنا ضَرْبًا تَراحُ لَهُ ... عُرْجُ الضِّباعِ لَهُ خَذْمٌ رَعابِيلُ
إنّا بَنُو الحَرْبِ نَمْرِيها ونَنْتِجُها ... وعِنْدَنا لِذَوِي الأَضْغانِ تَنْكِيلُ
إنْ يَنْجُ مِنْها ابنُ حَرْبٍ بَعْدَما بَلَغَتْ ... مِنْهُ التَّراقِي وأَمْرُ اللهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أفادَتْ لَهُ حِلْمًا ومَوْعِظَةً ... لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ ومَعْقُولُ
وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كافَحَكُمْ ... ضَرْبٌ بِشاكِلَةِ البَطْحاءِ تَرْعِيلُ
تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ ... مِمّا يُعِدُّونَ للهيْجا سَرابِيلُ
مِنْ جِذْمِ غَسّانَ مُسْتَرْخٍ حَمائِلُهُمْ ... لا جُبَناءَ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ
يَمْشُونَ تَحْتَ عَماياتِ القِتالِ كَما ... تَمْشِي المَصاعِبَةُ الأُدْمُ المَراسِيلُ

---

(١) عن (س)، (ف).

أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الظِّلِّ أَلْثَقَها يَوْمُ رَذاذٍ مِن الجَوْزاءِ مَشْمُولُ
في كُلِّ سابِغةٍ كالنِّهْيِ مُحْكَمةٍ قِيامُها فلَجٌ كالسَّيْفِ بُهْلُولُ
تَرُدُّ حَدَّ قِرامِ النَّبْلِ خاسِئةً ويَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْها وهْوَ مَفْلُولُ
وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهورِكُمُ ولِلْحَياةِ ودَفْعِ المَوْتِ تَأْجِيلُ
ما زالَ في القَوْمِ وِتْرٌ مِنْكُمُ أَبَدًا تَعْفُو السَّلامُ عَلَيْهِ وهْوَ مَطْلُولُ
عَبْدٌ وحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصًا شَطْرَ المَدِينةِ مَأْسُورٌ ومَقْتُولُ
كُنّا نُؤَمِّلُ أُخْراكُمْ فأَعْجَلَكُمْ مِنّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ
إذا جَنى فيهِم الجانِي فقَدْ عَلِمُوا حَقًّا بِأَنَّ الَّذي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ
ما نَحْنُ لا نَحْنُ مِنْ إثْمٍ مُجاهَرَةً ولا مَلُومٌ ولا في الغُرْمِ مَخْذُولُ

وَفي شِعْرِ كَعْبٍ: «خَذْمٌ رَعابِيلُ». الخَذْمُ: القَطْعُ بِالأسْنانِ، ورَعابِيلُ: قِطَعٌ مُتَمَزِّقةٌ، يُقالُ: خِباءٌ مُرَعْبَلٌ، أيْ: مُتَمَزِّقٌ.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

نحنُ بَنُو الحَرْبِ نَمْريها ونَنْتجُها

مُستَعارٌ من مَرَيْتُ الناقةَ: إذا استَدْرَرْتَ لبنَها. ونتجتُها: إذا استَخْرَجْتَ مِنْها ولَدًا، يُقالُ: نُتِجَتِ النّاقةُ، ونَتَجَها أهْلُها، أمّا[1] أَنْتَجَتْ تُنْتِجُ فإذا دَنا نِتاجُها.

وقوله[2]: [من البسيط]

يومُ رَذاذٍ من الجوزاء مَشْمُولُ

---

(١) في (ف): «وأما».
(٢) في (ف): «وأما قوله».

يُرِيدُ: مِنْ أَيّامِ أَنْواءِ[١] الجَوْزاءِ، وهُوَ نَوْءُ الهَقْعةِ والهَنْعةِ، وذَلِكَ في الشّتاءِ في شَهْرِ كانُون الأَوَّلِ.

[وقولهُ][٢]: «مَشْمُولٌ» مِن الرِّيحِ الشّمالِ.

وَقَوْلُهُ: «أَلثَقَها» مِن اللَّثَقِ، وهُوَ البَلَلُ والطِّينُ اليسير.

والرَّذاذ مَعْرُوفٌ، وهُوَ أَكْثَرُ مِن الطَّشِّ والبَغْشِ، والطَّلُّ نَحْوٌ مِنْهُ، أَوْ أَقْوى مِنْهُ قَلِيلًا، يُقالُ: أَرْضٌ مَطْلُولةٌ ومَبْغُوشةٌ، ولا يُقالُ: مَرْذُوذةٌ[٣]، ولَكِنْ يُقالُ: مُرَذّةٌ ومُرَذٌّ عَلَيْها. قالَهُ الخَطّابِيّ.

[شِعْرُ حَسّانَ في أَصْحابِ اللِّواءِ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَذْكُرُ عِدّةَ أَصْحابِ اللِّواءِ يَوْمَ أُحُدٍ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: هَذِهِ أَحْسَنُ ما قِيلَ.

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشاءِ الهُمُومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَضافَ قَلْبَكَ مِنْهُ ... سَقَمٌ فهُوَ داخِلٌ مَكْتُومُ
يا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ المَرْءَ مِثْلِي ... واهِنُ البَطْشِ والعِظامِ سَؤُومُ؟
لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ من ولد الذرْ ... رِ عَلَيْها لَأَنْدَبَتْها الكُلُومُ
شَأْنُها العِطْرُ والفِراشُ ويَعْلُو ... ها لُجَيْنٌ ولُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ
لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهارِ بِشَيْءٍ ... غَيْرَ أَنَّ الشَّبابَ لَيْسَ يَدُومُ

(١) انظر حديث الأنواء في «المخصص» (٩: ١٣) وما بعدها.

(٢) ليس في (أ)، (س)، (ف).

(٣) وردت عن ثعلب، كما في «اللسان» (رذذ).

إنَّ خالِي خَطِيبُ جابِيةِ الجَوْ لانِ عِنْدَ النُّعْمانِ حِينَ يَقُومُ
وَأنا الصَّقْرُ عِنْدَ بابِ ابنِ سَلْمى يَوْمَ نُعْمانَ في الكُبُولِ سَقِيمُ
وَأبِيٌّ وواقِدٌ أُطْلِقا لِي يَوْمَ راحا وكَبْلُهُمْ مَخْطُومُ
وَرَهَنْتُ اليَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مقسومُ
وسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوائِبَ مِنْهُمْ كُلُّ دارٍ فيها أبٌ لِي عَظِيمُ
وَأَبِي في سُمَيحةِ القائِلِ الفا صِلِ يَوْمَ التَقَتْ عَلَيْهِ الخُصُومُ
تِلْكَ أفْعالُنا وفِعْلُ الزِّبَعْرى خامِلٌ في صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما لِ وجَهْلٍ غَطّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ
لا تَسُبَّنَّنِي فلَسْتَ بِسِبِّي إنَّ سِبِّي مِن الرِّجالِ الكَرِيمُ
ما أُبالِي أنَبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ أمْ لَحانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ؟
وَلِيَ البَأْسَ مِنْكُمُ إذْ رَحَلْتُمْ أُسْرةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ
تِسْعةٌ تَحْمِلُ اللِّواءَ وطارَتْ في رَعاعٍ مِنَ القَنا مَخْزُومُ
وَأقامُوا حَتّى أُبِيحُوا جَمِيعًا في مَقامٍ وكُلُّهُمْ مَذْمُومُ
بِدَمٍ عانِكٍ وكانَ حِفاظًا أنْ يُقِيمُوا إنَّ الكَرِيمَ كَرِيمُ
وَأقامُوا حَتّى أُزِيروا شَعُوبًا والقَنا في نُحُورِهِمْ مَحْطُومُ
وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنّا لِواذًا أنْ يُقِيمُوا وخَفَّ مِنْها الحُلُومُ
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العَواتِقُ مِنْهُمْ إنَّما يَحْمِلُ اللِّواءَ النُّجُومُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ حَسّانُ هَذِهِ القَصِيدةَ:

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشاءِ الهُمُومُ

لَيْلًا، فدَعا قَوْمَهُ، فقالَ لَهُمْ: خَشِيتُ أنْ يُدْرِكَنِي أجَلِي قَبْلَ أنْ أُصْبِحَ، فلا تَرْوُوها عَنِّي.

وَذَكَرَ شِعْرَ حَسّانَ، قال: «وهو من أَجْوَدِ ما قالَه»، وهَذِهِ القَصِيدةُ [هي][1] الّتِي قالَها حَسّانُ لَيْلًا، ونادى قَوْمَهُ: أنا أَبُو الحُسامِ، أنا أَبُو الوَلِيدِ، وهُما كُنْيَتانِ لَهُ، ثُمّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَرْوُوها عَنْهُ قَبْلَ النّهارِ؛ مَخافَةَ أَنْ يَعُوقَهُ عائِقٌ، فَخَرَ فيها عَلى ابنِ الزِّبَعْرى مَقاماتٍ[2] لَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الشّامِ مِنْ أبناءِ جَفْنَةَ، افْتَكَّ فيها عُناةً مِنْ قَوْمِهِ.

وَذَكَرَ مَقامَ خالِهِ عِنْدَ النّعْمانِ الغَسّانِيّ مِنْ آلِ جَفْنَةَ، ولَيْسَ بِالنّعْمانِ بن المُنذِرِ، وقال فيها[3]: [من الخفيف]

رُبَّ حِلْـمٍ أَضاعَـهُ عَدَمُ الما ... لِ وجَهْـلٍ غَطا عَلَيْـهِ النّعِيمُ

«غَطا» بِتَخْفيفِ الطّاءِ أَنْشَدَهُ يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ، وهَكَذا كانَ في حاشِيَةِ الشيخ مذكورًا عن يونس، وغَطا معناه: ارْتَفَعَ وعَلا. وأَنْشَدَ القُتَبِيُّ[4]: [من البسيط]

وَمِنْ تَعاجِيبِ خَلقِ اللهِ غاطِيَةٌ ... يُعْصَرُ مِنْها مُلاحِيٌّ وغِرْبِيبُ

مُلاحِيٌّ بِتَخْفيفِ اللّامِ، ويُقالُ[5]: مُلّاحِيّ، كَما قالَ[6]: [من الطويل]

كَعُنْقُودِ مُلّاحِيّـةٍ حِينَ نَوَّرا

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ف): «بمقامات».

(٣) «ديوانه» (ص: ٤٠).

(٤) «أدب الكاتب» بلا نسبة: (ص: ٣٧٨)، و«المخصص» (١١: ٧٠)، و«اللسان» (غطى).

(٥) في (ص): «وقد قيل».

(٦) هو أبو قيس بن الأسلت، واسمه: صيفي أو عامر، وقيل غير ذلك، والبيت في «الأغاني» (١٨: ٦٤١٣)، و«اللسان». ونُسب في «أسرار البلاغة» إلى قيس بن الخطيم، وصدره:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى

وقالَ أبُو حَنِيفةَ: مَنْ قالَ: مُلّاحِيّة بِالتّشْدِيدِ شَبَّهَهُ بِالمُلّاحِ، وهُوَ ثَمَرُ الأَراكِ، وفيهِ مُلُوحةٌ. قالَ: والغِرْبِيبُ: اسْمٌ لِنَوْعٍ مِن العِنَبِ، ولَيْسَ بِنَعْتٍ.

قالَ المُؤَلّفُ: وإذا ثَبَتَ هَذا فَلَعَلَّك أنْ تَفْهَمَ مِنْهُ مَعْنى قَوْلِهِ سُبْحانَهُ وتعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] حِينَ وصَفَ الجُدَدَ، وسُودٌ عِنْدِي بَدَلٌ، لا نَعْتٌ، وإنّما يَتِمّ شَرْحُ الآيَةِ لِمَنْ لَحَظَهُ مِنْ [هَذا][١] المُطَّلَعِ؛ فإنّ أبا حَنِيفةَ زَعَمَ أنّ الغِرْبِيبَ إذا أُطْلِقَ لَفْظُهُ ولَمْ يُقَيَّدْ بذِكرِ شَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ، فإنّما يُفْهَمُ مِنْهُ العِنَبُ الّذِي هَذا اسْمُهُ خاصّةً، واللهُ المُوَفِّقُ لِلصّوابِ وفَهْمِ الكِتابِ.

وَذَكَرَ فيهِ حُماةَ اللِّواءِ مِنْ بَنِي عبدِ الدّارِ، وأنّهُمْ صُرِعُوا حَوْلَهُ حَتّى أخَذَتْهُ امْرَأةٌ مِنْهُمْ، وهي عَمْرةُ بِنْتُ عَلقَمةَ [الحارثية][٢]؛ فلِذَلِكَ قالَ: [من الخفيف]

لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العَواتِقُ مِنْهُم ... إنّما يَحْمِلُ اللِّواءَ النّجُومُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو عُبَيْدةَ للحجّاج بنِ عِلاطٍ السُّلَمِيِّ، يَمْدَحُ أبا الحَسَنِ أميرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، ويَذْكُرُ قَتْلَهُ طَلْحةَ بنَ أبي طَلْحةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عَبْدِ الدّارِ، صاحِبَ لِواءِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ:

للهِ أيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ ... أعْنِي ابنَ فاطِمَةَ المُعِمَّ المُخْوِلا

سَبَقَتْ يَداكَ لَهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ ... تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلا

وَشَدَدْتَ شَدّةَ باسِلٍ فكَشَفْتَهمْ ... بِالجَرِّ إذْ يَهْوُونَ أخْوَلَ أخْوَلا

---

(١) ليس في (س).

(٢) عن (س). وانظر: «السيرة» (٢: ٧٨-٧٩).

[وَقالَ][١] في شِعْرِ حَجّاجِ بنِ عِلاطٍ السّلَميِّ يَمْدَحُ عَلِيًّا: [من الكامل]

لله أيَّ مُذَبِّـــبٍ عَــنْ حُرْمَــةٍ

ألفَيْتُ في حاشِيةِ [الشّيْخِ][٢] أبي بَحْرٍ عَلى هَذا البَيْتِ يقولُ: في حاشِيةِ الأصْلِ - يَعْنِي أصْلَ أبي الوَلِيدِ - قالَ إبْراهِيمُ: «أيَّ» نُصِبَ لِأنّهُ مَدِيحٌ، والمَدِيحُ نَصْبٌ في أيِّ حالةٍ[٣]. فأمّا ابنُ هِشامٍ فرَفَعَ «أيّ».

قالَ المُؤَلِّفُ: [وهَذا][٤] الّذي ذَكَرَهُ مِنْ نَصْبِ «أيّ» عَلى المَدحِ لا يَسْتَقِيمُ إلّا أنْ يقُدَّرَ حَذْفُ المُبْتَدَأِ قَبْلَهُ، كَأنّهُ قالَ: للهِ أنْتَ؛ لِأنّهُ لا يُنْصَبُ عَلى المَدْحِ إلّا بَعْدَ جُمْلةٍ تامّةٍ، وأمّا الرّفْعُ عَلى أنْ تَجْعَلَ خَبَرَهُ (للهِ) فقبيحٌ؛ لأنها وإن كانَتْ خبرًا فأصلُها الِاسْتِفْهامُ، فلَها صَدْرُ الكَلامِ كَما كانَ ذَلِكَ في «كَمْ» خَبَرِيّةً كانَتْ أو اسْتِفْهامِيّةً، فالتّقْدِيرُ إذًا: للهِ دَرُّهُ أيّ مُذَبّب حُرْمةٍ[٥] هُوَ. ألا تَرى أنّهُ يَقْبُحُ أنْ تقُولَ: جاءَنِي أَيُّ فتًى، فإنْ جَعَلتَهُ وصْفًا جاريًا على ما قبله[٦] فقلتَ: جاءني رَجُلٌ أيُّ رَجُلٍ؛ جازَ ذَلِكَ؛ لِأنّهُ إذا كانَ وصْفًا لَمْ تَلِهِ العَوامِلُ اللّفْظِيّةُ، فكَأنّهُ لم يَخْرُجْ عَنْ أصْلِهِ؛ إذِ المُبْتَدَأُ لا تَلِيهِ العَوامِلُ اللّفْظِيّةُ.

وَقَوْلُهُ: «أخْوَلَ أخْوَلا»؛ أيْ: مُتَفَرّقِينَ، ووَقَعَ تَفْسِيرُهُ[٧] في بَعْضِ النُّسَخِ مِنْ قَوْلِ ابنِ هِشامٍ، وكأنَّ أصْلَهُ مِن الخالِ، وهُوَ الخُيَلاءُ والكِبْرُ، تَقُولُ: فُلانٌ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) مكانه في (ص): «كتاب». ونص (أ): «في حاشية الأصل، يعني: أصل أبي الوليد».

(٣) في (ج)، (ص): «حالية».

(٤) ليس في (أ).

(٥) في (ف): «عن حرمة».

(٦) في (أ)، (ص)، (ف): «قبلها».

(٧) في (أ): «ووقع في تفسيره». (ب): «ووقع تقييده».

أَخْوَلُ مِنْ فُلانٍ، أيْ: أَشَدَّ كِبْرًا مِنْهُ واخْتِيالًا، فمَعْنى قَوْلِهِمْ: جاءَ[١] القَوْمُ أَخْوَلَ أَخْوَلَ[٢]، أي: انْفَرَدَ كُلُّ واحِدٍ [مِنْهُمْ][٣] بنَفْسِهِ، وازْدَهاهُ الخالُ أنْ يَكُونَ تابعًا لِغَيْرِهِ، فكُلَّما رَأَيْتَ أحَدًا مِنْهُمْ قُلتَ: هَذا أَخْوَلُ مِن الآخَرِ، هَذا هُوَ الأَصْلُ، ثُمَّ كَثُرَ حَتّى اسْتُعْمِلَ في التَّفَرُّقِ مَثَلًا، وإنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مِنْ مَعْنى الخالِ شَيْءٌ، وقَدْ قِيلَ في أَخْوَلَ: إنَّهُ مِنْ تَخَوَّلتُ[٤] بالمَوْعِظَةِ ونَحْوِها إذا فعَلتَ ذَلِكَ شَيْئًا شَيْئًا، وفي الحَدِيثِ: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالمَوْعِظَةِ؛ مَخافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنا»[٥].

* * *

---

(١) في غير (ف)، (ص): «إذا جاء».

(٢) في (ب)، (ص): «أخولا».

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (ف): «تخولته».

(٥) «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ١٦٢)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين: (٤: ٢١٧٢).

[شِعْرُ حَسّانَ في قَتْلى يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ومَنْ أُصِيبَ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ:

يـــا مَيَّ قُـــومِي فانْدُبِـــنْ	بِسُـــحَيْرَةٍ شَـــجْوَ النَّوائِحْ
كالحامـــلات الوِقْرَ بالثـ	ثقل المُلِحّـــاتِ الدّوالحْ
المُعْـــولات الخامشـــا	ت وُجُوهَ حُرّاتٍ صَحائِحْ
وَكَأَنَّ سيـــلَ دموعِها الـ	أنصابُ تُخْضَبُ بِالذَّبائِحْ
يَنْقُضْـــنَ أشْـــعارًا لَهُنْ	نَ هُناكَ بادِيةً المَســـائِحْ
وكأنّهـــا أذْنـــاب خيـ	لٍ بِالضُّحى شُمْسٍ رَوامِحْ
مِـــنْ بَين مـــشزور ومجـ	زور يُذَعْـــذَعُ بِالبَوارِحْ
يبْكين شَـــجْوًا مُسْـــلبا	تٍ كَدَّحَتْهُـــنَّ الكَوادِحْ
وَلَقَـــدْ أصـــابَ قُلُوبَها	مَجْـــلٌ لَهُ جُلَبٌ قَـــوارِحْ
إذْ أقْصَـــدَ الحِدْثـــانُ مَنْ	كُنّـــا نُـــرَجِّي إذْ نُشـــايِحْ
أَصْحابَ أُحْـــدٍ غالَهُمْ	دَهْـــرٌ أَلَـــمَّ لَهُ جَـــوارِحْ
مَـــنْ كانَ فارِسَـــنا وحـــا	مِينا إذا بُعِثَ المَســـالِحْ
يا حَمْـــــزَ، لا واللهِ لا	أنْســـاكَ مـــا صُرَّ اللَّقائِحْ
لِمُنـــاخِ أيْتـــامٍ وأضـــ	يـــافٍ وأرْمَلـــةٍ تُلامِـــحْ

وَلِمـا يَنُـوبُ الدَّهْـرُ في　　حَرْبٍ لِحَـرْبٍ وهْيَ لاقِحْ
يـا فارِسًـا يـا مِدْرَهًا　　يا حَمْزَ قَدْ كُنْتَ المُصامِحْ
عنّـا شَـديداتِ الخطو　　ب إذا يَنُـوبُ لَهُنَّ فادِحْ
ذكّـرتـني أسـد الـرّسـو　　ل، وذاكَ مِدْرَهُنا المُنافِحْ
عَـنّـا وكانَ يُـعَـدُّ إذْ　　عُدَّ الشَّرِيفُونَ الجَحاجِحْ
يَعْلُـو القَماقِـمَ جَهْرَةً　　سَبْطَ اليَدَيْنِ أغَرَّ واضِحْ
لا طائِـشٌ رَعِـشٌ ولا　　ذُو عِلَّـةٍ بِالحِمْـلِ آنِـحْ
بَحْـرٌ فلَيْـسَ يُغِبّ جا　　رًا مِنْهُ سَـيْبٌ أوْ مَنادِحْ
أَوْدى شـبابُ أُولي الحفا　　ئظ والثَّقِيلُـونَ المَراجِحْ
المطعمـون إذا المشـا　　تي مـا يُصَفِّفُهُـنَّ ناضِحْ
لَحْـمَ الجِـلادِ وفَوْقَـهُ　　مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرائِحْ
لِيُدافِعُـوا عَـنْ جارِهِمْ　　ما رامَ ذُو الضِّغْنِ المُكاشِحْ
لَهْـفي لشُـبّانٍ رُزِئْـ　　ناهـم كَأنَّهُـم المَصابِحْ
شُـمٌّ، بَطارِقَـةٌ، غَطـا　　رِفةٌ، خَضارِمةٌ، مَسـامِحْ
المشـترون الحَمـد بالـ　　أمـوال إنَّ الحَمـد رابحْ
والجـامزون بِلُجْمِـهِمْ　　يَوْمًا إذا مـا صاحَ صائِحْ
مَـنْ كانَ يُـرْمى بالنّـوا　　قِرِ مِـنْ زَمانٍ غَيْرِ صالِحْ
مـا إنْ تَـزالُ رِكابُـهُ　　يَرْسِمْنَ في غُبْرٍ صَحاصِحْ
راحَـتْ تَبـارى وهْوَ في　　رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَواشِـحْ
حَـتّى تَـؤوبَ لَهُ المَعـا　　لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفائِحْ
يـا حَمْـزَ قَـدْ أوْحَدْتَني　　كالعُودِ شَـذَّ بِهِ الكَوافِحْ

أشْـــكُو إلَيْك وفوقك التـْ ـــتُّربُ المُكَوَّرُ والصَّفائِحْ
مِـــنْ جنـــدلٍ نلقيـــه فوْ قَكَ إذْ أجادَ الضَّرْحَ ضارِحْ
في واسِـــعٍ يَحْـشُـونَـــهُ بِالتُّرْبِ سَـــوَّتْهُ المَماسِـــحْ
فـــعـــزاؤنـــا أنّـــا نـقُـــو ل وقَوْلُنـــا بَـــرْحٌ بَـــوارِحْ
مَنْ كانَ أمْـــسى وهْوَ عَمـ ـما أوْقَـــعَ الحِدْثـــانُ جانِحْ
فليأتنـــا فلتبـــك عَيـ ـنـــاهُ لِهَلْكانـــا النَّوافِـــحْ
القائِلِـــينَ الفاعِلِيـــــ ـنَ ذَوِي السَّماحةِ والمَمادِحْ
مَنْ لا يـــزال نـــدى يَدَيْـ ـهِ لَهُ طَـــوالَ الدَّهْـــرِ مائِحْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانَ.

وبَيْتُهُ:

«المُطْعِمُونَ إذا المَشاتِي»، وبَيْتُهُ: «الجامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ»، وبَيْتُهُ: «مَنْ كانَ يُرْمى بِالنَّواقِرِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وَذَكَرَ في شِعْرَ حَسّانَ الحاوِيِّ، قالَ فيهِ: [من مجزوء الكامل]

كالحامِـــلاتِ الوِقْرَ بالثِّقْـــلِ المُلِحّات الدَّوالِحْ

الدّوالِحُ: جَمْعُ دالِحةٍ وهي المُثْقَلةُ، وكَذَلِكَ الدَّلُوحُ مِن السّحابِ، وهي المُثْقَلةُ بِالماءِ.

وفيه:

ينفُضْنَ[1] أشعـارًا لَهُنَّ هناكَ باديـــةَ المسائِحْ

(١) في «السيرة»: «ينقضن» بالقاف.

المسائح: جميع: مَسِيحةٍ، وهُوَ ما لَمْ يُمْشَطْ مِنَ الشَّعْرِ بِدُهْنٍ ولا بشَيْءٍ[١]، والمَسِيحةُ أيْضًا: القِطْعةُ مِن الفِضّةِ، والمَسِيحةُ: القَوْسُ[٢].

وَقَوْلُهُ: «مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ»؛ أيْ: مُفَرّقٍ، يُقالُ: شَرَرْتُ المِلحَ: إذا فَرَّقْتَه.

والمَجْلُ: كالجُرْحِ، تَقُولُ: مَجِلَتْ يَدِي مِنَ العَمَلِ.

وَقَوْلُهُ: «نُشايِح»؛ أيْ: نُحاذِر، كَما قالَ الآخَرُ[٣]: [من الطويل]

وَشايَحْتَ قَبْلَ اليَوْمِ إنّك شِيحُ

وقَوْلُهُ: «قَدْ كُنْتُ المُصامِحْ»، وفي [حاشيةِ][٤] الحاشِيةِ عِنْدَ الشّيْخِ: «المُصافِح» بِالفاءِ في رِوايةٍ أُخْرى، وأمّا المُصامِحُ بِالمِيمِ فيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِنْ صَمَحْتُ الشّيْءَ: إذا أذَبْتَه، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[٥]، قالَ: والصّمَحْمَحُ مِنَ الرِّجال: الشَّديد العَصَب[٦]، وسِنُّه ما[٧] بَيْنَ الثّلاثِينَ إلى الأرْبَعِينَ، والصُّماحُ فيما ذَكَرَ أبُو حَنِيفةَ: الرِّيحُ المُنْتِنةُ[٨].

---

(١) في (أ): «بالدهن ولا شيء»، وفي (ف)، (ب)، (س): «بدهن ولا شيء».

(٢) في النسخ كلها: «الفرس». وبعده في نسخة (س): «في كتب اللغة: القوس». وهي زيادة عالم، ويبدو أنه تحريف قديم، وفي «اللسان»: «المسائح: القِسِيّ الجياد».

(٣) أبو ذؤيب الهذلي، «ديوان الهذليين» (١: ١١٦)، وصدره:

بَدَرْتَ إلى أولاهم فسبقتهم

(٤) عن (س).

(٥) انظر: «العين» (٣: ١٢٨-١٢٩).

(٦) في (أ): «الغضب». وفي «العين»: «ورجل صمحمح وصمحمحيّ: أي مجتمع ذو ألواح. وفي السن ما بين الثلاثين إلى الأربعين».

(٧) «ما» ليس في (ف).

(٨) «النبات» (ص: ١٩٧).

وَقَوْلُهُ: «سَيْبٌ أَوْ منادِحْ»، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ: مَنْدُوحةٍ، وهي السَّعةُ، وقِياسُهُ: مَنادِيحُ بالياءِ، وحَذْفُها ضَرُورةٌ، ويَجُوزُ[١] أَنْ يَكُونَ مِن النَّدْحِ، فيَكُونُ مُفاعِلًا بِضَمِّ المِيمِ؛ أيْ: مُكاثِرًا، ويَكُونُ بفَتْحِ[٢] المِيمِ فيَكُونُ جَمْعَ مَنْدَحةٍ[٣]؛ مَفْعَلة مِن الكَثْرةِ والسَّعةِ، [وأمّا][٤] قَوْلُهُمْ: أنا في مَنْدُوحةٍ مِنْ هَذا[٥] الأَمْرِ، فهي مَفْعُولةٌ مِن النَّدْحِ، ووَهِمَ أَبُو عُبَيْدٍ[٦] فجَعَلَهُ مِن انْداحَ بَطْنُهُ إذا اتَّسَعَ، والنّونُ في مَنْدُوحةٍ أَصْلٌ، وهي في انْداحَ زائِدةٌ[٧]؛ لِأَنَّ وزْنَهُ انْفَعَلَ، والألِفُ في انْداحَ أَصْلٌ، وهي بَدَلٌ مِنْ واوٍ، كَأَنَّهُ مِنْ دَوحةِ الشَّجَرِ، والمِيمُ في مَنْدُوحة زائِدةٌ، والدّالُ عَيْنُ الفِعْلِ، وهُوَ في انْداحَ فاءُ الفِعْلِ، ومِنْ ههُنا قالَ الخَطّابِيّ: يا عَجَبًا لِابنِ قُتَيْبةَ! يَتْرُكُ مِثْلَ هَذا مِنْ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ، ويُعنِقُ[٨] في الرّدِّ عَلَيْهِ فيما لا بالَ لَهُ مِن الغَلَطِ[٩].

وَقَوْلُهُ: «خَضارِمةٌ»: جَمْعُ خِضْرِمٍ، وهُوَ الكَثِيرُ العَطاءِ.

وَقَوْلُهُ: «يَرْسِمْنَ» مِن الرّسِيمِ في السَّيْرِ.

والصَّحاصِحُ: جَمْعُ صَحْصَحٍ، وهي الأَرْضُ المَلساءُ.

---

(١) في (ف): «أو يجوز».
(٢) في (ب): «بضم». وهو تحريف.
(٣) في (أ)، (ص): «مندوحة». وهو خطأ.
(٤) في (أ): «وقولهم».
(٥) «هذا» ليس في (ف).
(٦) في (ف): «عبيدة».
(٧) في (س): «زيادة»، وفي (ص): «أصلية» وهو وهم.
(٨) أي: يُسرع، يقال: أعنقتُ إليه إعناقًا: أسرعت.
(٩) «غريب الحديث» للخطابي: (٢: ٢٦٠-٢٦١).

وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفائِحِ»، السَّفائِحُ: جمعُ سَفيحةٍ، وهي كالجُوالق[1] ونحوه.

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ حَمْزَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابتٍ أيْضًا يَبْكِي حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ:

أَتَعْرِفُ الدّارَ عَفا رَسْمُها ... بَعْدَكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهاطِلِ
بَيْنَ السَّراديحِ فأُدْمانَةٍ ... فمَدْفَعُ الرَّوْحاءِ في حائِلِ
ساءَلْتُها عَنْ ذاكَ فاسْتَعْجَمَتْ ... لَمْ تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السّائِلِ؟
دَعْ عَنْكَ دارًا قَدْ عَفا رَسْمُها ... وابْكِ على حَمْزَةَ ذِي النّائِلِ
المالِئِ الشِّيزى إذا أعْصَفَتْ ... غَبْراءُ في ذِي الشَّبِمِ الماحِلِ
والتّارِكِ القِرْنَ لَدى لِبْدةٍ ... يَعْثُرُ في ذِي الخُرُصِ الذّابِلِ
واللّابِسِ الخَيْلِ إذْ أَجْحَمَتْ ... كاللَّيْثِ في غابَتِهِ الباسِلِ
أبْيَضُ في الذِّرْوةِ مِنْ هاشِمٍ ... لَمْ يَمْرِ دُونَ الحَقِّ بِالباطِلِ
مالَ شَهِيدًا بَيْنَ أسْيافِكُمْ ... شُلَّتْ يَدا وحْشِيِّ مِنْ قاتِلِ
أيَّ امْرِئٍ غادَرَ في أَلّةٍ ... مَطْرُورةٍ مارِنةِ العامِلِ
أظْلَمَتِ الأرْضُ لِفقْدانِهِ ... واسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ النّاصِلِ
صَلّى عَلَيْهِ اللهُ في جَنّةٍ ... عالِيةٍ مُكْرَمةِ الدّاخِلِ
كُنّا نَرى حَمْزَةَ حِرْزًا لَنا ... في كُلِّ أمْرٍ نابَنا نازِلِ

(١) قال أبو ذر الخشني في «شرحه للسيرة» (ص: ٢٦١): «والسفائح: جمع سفيح، وهو من قداح الميسر».

وَكانَ في الإسْلامِ ذا تُدْرَأٍ ... يَكْفيكَ فقْدَ القاعِدِ الخاذِلِ
لا تَفْرَحِي يا هِنْدُ واسْتَحْلِبِي ... دَمْعًا وأذْرِي عَبْرَةَ الثّاكِلِ
وابْكِي على عُتْبَةَ إذْ قَطَّهُ ... بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الجائِلِ
إذ خرَّ في مَشْيَخةٍ مِنْكُمُ ... مِنْ كُلِّ عاتٍ قَلْبُهُ جاهِلِ
أرْداهُمُ حَمْزةُ في أُسْرةٍ ... يَمْشُونَ تَحْتَ الحَلَقِ الفاضِلِ
غَداةَ جِبْرِيلَ وزِيرٌ لَهُ ... نِعْمَ وزِيرُ الفارِسِ الحامِلِ

وَقالَ في القَصِيدةِ اللّامِيّةِ: «ذِي[١] الخُرُصِ الذّابِلِ»، يُرِيدُ: الرُّمْحَ، والخُرُصُ: سِنانُهُ، وجَمْعُهُ: خُرْصانٌ.

وفيهِ: [من السريع]

شَلَّتْ يَدا وَحْشِيٍّ مِنْ قاتِلِ

تَرَكَ التّنْوِينَ لِلضّرُورةِ لمّا كانَ اسْمًا عَلَمًا، والعَلَمُ قَدْ يُتْرَكُ صَرْفُهُ كَثِيرًا[٢]، ومَنَعَ مِنْ ذَلِكَ البَصْرِيُّونَ، واحْتَجّ الكُوفيّونَ في إجازَتِهِ بأنّ الشّاعِرَ قَدْ يَحْذِفُ الحَرْفَ والحَرْفَيْنِ، نَحْوُ قَوْلِ عَلقَمةَ[٣]: «بسبا الكتّان»؛ أيْ: بِسَبائِب، وقَوْلِ

---

(١) في (ف): «ذو».

(٢) انظر: «أمالي السهيلي» (ص: ٢٦) وما بعدها.

(٣) هو علقمة بن عَبدة، والبيت بتمامه:

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بسبا الكتانِ مَلْثومُ

والبيت في «ما يحتمل الشعر» للسيرافي: (ص: ١٠٣)، و«المفضليات» (ص: ٤٠٢). يروى: «مرثوم». والمُفدَّم: المغطى فمه بالفدام، وهو ما يوضع على الفم سِدادًا له. والسبائب: جمع سبيبة، وهي الشقة الرقيقة من الكتان، ومرثوم: مكسورٌ أنفه. وملثوم: شدّ على فمه الفدام.

لَبيدٍ[1]: [من الرمل]

كالحَمالِيجِ بِأيْدِي التَّلامِ

أيِ: التّلامِيذِ.

وَقالَ ابنُ السَّرّاجِ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ: لَيْسَ التّنْوِينُ مِنْ هَذا في شَيْءٍ؛ لِأنّهُ زائدٌ لمعنًى، وما زِيد لمعنًى لا يُحْذَفُ[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) لم أجده للبيد، وهو منسوب للطرماح في «التهذيب» و«اللسان» (تلم)، وصدره:

تتقي الشّـمسَ بمَدْرِيّةٍ

والبيت من المديد، على أنه روي في «المسائل العضديات» (ص: ١٧٨)، و«العسكرية» (ص: ٢١٦):

مثل المحاليج بأيدي التلام

على أنه من البحر السريع.

و«المحاليج» كذا في (ص)، (ج)، وفي غيرها: «كالحلاميج»، ولم أجده. والحماليج: جمع حملاج، وهو قرن الثور والظبي، ومنفاخ الصائغ أيضًا.

يقول الأزهري: هذا البيت للطرماح يصف بقرة، وقال: التلام اسم أعجمي ويراد به: الصاغة. وذكر أنه يروي البيت بإثبات الياء في القافية، وبالسكون، فمن رواه: التَّلامي أراد به التلاميذ، ومن رواه التِّلام فإنما أراد جمع تِلْم، وكل غلام تِلْم.

(٢) كذا، والمحتج عليهم هو السيرافي لا ابن السراج الذي قال في «الأصول» (٣: ٤٣٩): «لو صحت الرواية في ترك صرف ما ينصرف في الشعر، لما كان حذف التنوين بأبعد من حذف الواو في قوله: (فبيناه يشري رحله) لأن التنوين زائد». ورد عليه السيرافي في «ما يحتمل الشعر» (ص: ٥٢) بقوله: «الذي قاله وجه، غير أنه حذفُ التنوين عندي ـ وإن كان زائدًا ـ أقبح من حذف الواو في (هو)؛ لأن التنوين علامة تفرق بين ما ينصرف وما لا ينصرف، وسقوطه يوقع اللبس».

[شِعْرُ كَعْبٍ فِي بُكَاءِ حَمْزَةَ]

وَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَبْكِي حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ:

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فالرُّقادُ مُسَهَّدُ ... وجَزِعْتَ أنْ سُلِخَ الشَّبابُ الأغْيَدُ

وَدَعَتْ فُؤادَكَ للهوى ضَمْرِيّةٌ ... فهَواكَ غَوْرِيٌّ وصَحْوُكَ مُنْجِدُ

فَدَعِ التَّمادِيَ في الغَوايةِ سادِرًا ... قَدْ كُنْتَ في طَلَبِ الغَوايةِ تُفْنَدُ

وَلَقَدْ أنى لَكَ أنْ تَناهى طائِعًا ... أوْ تَسْتَفيقَ إذا نَهاكَ المُرْشِدُ

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدّةً ... ظَلَّتْ بَناتُ الجَوْفِ مِنْها تَرْعَدُ

وَلَوَ انَّهُ فُجِعَتْ حِراءُ بِمِثْلِهِ ... لَرَأَيْتُ راسِيَ صَخْرِها يَتَبَدَّدُ

قَرْمٌ تَمَكَّنَ في ذُؤابةِ هاشِمٍ ... حَيْثُ النّبوّة والنّدى والسّؤدَدُ

والعاقِرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غَدَتْ ... رِيحٌ يَكادُ الماءُ مِنْها يَجْمُدُ

والتّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلًا ... يَوْمَ الكَرِيهةِ والقَنا يَتَقَصَّدُ

وَتَراهُ يَرْفُلُ في الحَدِيدِ كَأنَّهُ ... ذُو لِبْدةٍ شَثْنُ البَراثِنِ أرْبَدُ

عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وصَفِيُّهُ ... ورَدَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ المَوْرِدُ

وَأتى المَنِيّةَ مُعْلِمًا في أُسْرةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ ومِنْهُم المُسْتَشْهَدُ

وَلَقَدْ إخالُ بِذاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ ... لتُمِيتَ داخِلَ غُصّةٍ لا تَبْرُدُ

مِمّا صَبَحْنا بالعَقَنْقَلِ قَوْمَها ... يَوْمًا تَغَيَّبَ فيهِ عَنْها الأسْعَدُ

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ ... جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوائِنا ومُحَمَّدُ

حَتّى رَأَيْتُ لَدى النَّــبِيِّ سَراتَهُمْ قِسْــمَيْنِ: يَقْتُلُ مَنْ نَشاءُ ويَطْرُدُ
فَأقامَ بِالعَطَــنِ المُعَطَّــنِ مِنْهُمُ سَــبْعُونَ: عُتْبَةُ مِنْهُمُ والأَسْــوَدُ
وابــن المُغِيرةِ قَــدْ ضَرَبنا ضَرْبَةً فوْقَ الوَرِيــدِ لَهَا رَشــاشٌ مُزْبِدُ
وَأُمَيّــةُ الجُمَــحِيُّ قَــوَّمَ مَيْلَــهُ عَضْبٌ بِأيْــدِي المُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ
فَأتــاكَ فَــلُّ المُشْرِكِــينَ كَأَنَّهُمْ والخَيْــلُ تَثْفِنُهُــمْ نَعــامٌ شُرَّدُ
شَــتّانَ مَنْ هُوَ في جَهَنَّــمَ ثاوِيًا أبَدًا ومَــنْ هُوَ في الجِنــانِ مُخَلَّدُ

وفي شِعْرِ كَعْبٍ: [من الكامل]

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فالرُّقادُ مُسَهَّدُ

أرادَ: فالرُّقادُ مُسَهَّدٌ صاحِبُهُ، فحَذَفَ المُضافَ وأقامَ المُضافَ إِلَيْهِ مُقامَهُ، وهُوَ الضّميرُ المَخْفُوضُ، فصارَ الضّمِيرُ مَفْعُولًا لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، فاسْتَتَرَ في المُسَهَّد. ومِثلهُ[1]: [من الكامل]

وَجَزِعْتَ أنْ سُلِخَ الشّبابُ الأغْيَدُ

أي: الأغْيَدُ صاحِبُهُ، وهُوَ النّاعِمُ.

وَقَوْلُهُ: «والخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ[2]»، أيْ: تَتَبعُ آثارَهُمْ، وأصْلُهُ مِنْ ثَفِناتِ البَعِيرِ، وهُوَ ما حَوْلَ الخُفّ مِنْهُ.

* * *

(١) هذا عجز بيت كعب المتقدم.

(٢) في (ف): «تثفن».

وَقالَ كَعْبٌ أيْضًا يَبْكِي حَمْزَةَ:

صَفيــةُ قُــومِي ولا تَعْجِــزِي	وبَكِّــي النِّســاءَ على حَمْزةِ
وَلا تَسْــأمِي أنْ تُطِيــلِي الْبُــكا	على أسَــدِ الله في الهِــزّةِ
فَقَـــدْ كـــانَ عِــزًّا لِأَيْتامِنــا	ولَيْــثَ المَلاحِــمِ في الــبِزّةِ
يُرِيــدُ بِــذاكَ رِضــا أحْمَــدٍ	ورِضْوانَ ذِي العَرْشِ والعِزّةِ

وَقَوْلُ كعبٍ في الشعر الزّاوِيِّ: [من المتقارب]

وَلَيْــثُ المَلاحِمِ فــي البِزّةِ

البِزّةُ: الشّارةُ الحَسَنةُ، والبِزّةُ: السِّلاحُ أيْضًا، وهُوَ مِنْ بَزَزْتُ الرّجُلَ: إذا سَلَبْتَهُ بِزَّتَهُ، يُقالُ: مَنْ عَزَّ بَزَّ[1]؛ أيْ: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، والبُزابِزُ: الرّجُلُ الشّدِيدُ.

[شِعْرُ كَعْبٍ في أُحُدٍ]

وَقالَ كَعْبٌ أيْضًا في أُحُدٍ:

إنَّــكِ عَمْــرَ أبيــك الكَرِيـ	ـم أنْ تَسْأَلِي عَنْكِ مَنْ يَجْتَدِينا
فَإنْ تَسْــأَلِي ثَــمَّ لا تُكْذَبِي	يُخَبِّرْكَ مَنْ قَدْ سَأَلْتِ اليَقِينا

(١) هذا مثل، انظره في: «أمثال» أبي عبيد: (ص: ١١٣).

بِأنّـا ليـالِيَ ذات العِظـا ... م كُنّا ثِمـالًا لِمَـنْ يَعْتَرِينا
تَلُـوذُ البُجُـودُ بِأذْرائِنـا ... مِن الضُّرِّ في أزَماتِ السِّـنِينا
بِجَدْوى فُضُـولِ أُولِي وُجْدِنا ... وبِالصَّبْرِ والبَذْلِ في المُعْدِمِينا
وَأبْقَتْ لنا جَلَمـاتُ الحرو ... ب مِمَّنْ نُوازِي لَدُنْ أنْ بُرِينا
مَعاطِـنَ تَهْـوِي إلَيْها الحُقُو ... ق يَحْسِـبُها مَنْ رَآها الفَتِينا
تُخَيِّـسُ فيها عتـاقُ الجما ... ل صُحْمًا دَواجِنَ حُمْرًا وُجُونا
وَدُفّـاع رَجْلٍ كَمَـوْجِ الفُرا ... تِ يَقْدُمُ جَأْواء جُولًا طَحُونا
تَرى لَوْنَها مثـل لون النّجو ... م رَجْراجةً تُـبْرِقُ النّاظِرِينا
فَإنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنا جاهِلًا ... فسَلْ عَنْهُ ذا العِلْمِ مِمَّنْ يَلِينا
بِنا كَيْفَ نَفْعَـلُ إنْ قَلَّصَتْ ... عَوانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونا؟
أَلَسْـنا نَشُـدُّ عَلَيْها العِصا ... بَ حَـتّى تَدُرَّ وحَـتّى تَلِينا؟
وَيَـوْمٌ لَهُ وهَـجٌ دائِـمٌ ... شَدِيدُ التَّهاوُلِ حامِي الأرِينا
طَوِيـلٌ شَـدِيدُ أُوارِ القِتـا ... ل تَنْـفي قَواحِـزُهُ المُقْرِفينا
تَخـالُ الكُمـاةَ بِأعْراضِـهِ ... ثِمـالًا على لَذّةٍ مُنْزِفِينـا
تَعـاوَرُ أيْمانُهـم بَينَهـم ... كؤوس المَنايا بِحَدِّ الظُّبِينا
شَـهِدْنا فكُنّا أُولِي بَأْسِـهِ ... وتَحْتَ العَمايـةِ والمُعْلِمِينا
بِخُرْسِ الحَسِيسِ حِسانٍ رِواءٍ ... وبُصْرِيّـةٍ قَدْ أَجِمْـنَ الجُفونا
فَمـا يَنْفَلِلْنَ ومـا يَنْحَنِينَ ... ومـا يَنْتَهِـينَ إذا مـا نُهِينا
كَبَرْقِ الخَرِيفِ بِأيْدِي الكُماةِ ... يُفَجِّعْنَ بِالظِّلِّ هامًا سُكُونا
وَعَلَّمَنـا الـضَّرْبَ آباؤُنـا ... وسَـوْفَ نُعَلِّمُ أيْضًـا بَنِينا
جِلادَ الكُماةِ، وبَـذْلَ التِّلا ... دِ عَنْ جُلِّ أحْسابِنا ما بَقِينا
إذا مَـرَّ قَـرْنٌ كَفى نَسْـلُهُ ... وأوْرَثَـهُ بَعْـدَهُ آخَرِينـا

نَشِبُّ وتَهْلِكُ آباؤُنا ... وبَيْنا نُرَبِّي بَنِينا فنِينا
سَأَلْتُ بِكَ ابنَ الزِّبَعْرى فلَمْ ... أُنَبَّأْكَ في القَوْمِ إلّا هَجِينا
خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ المُنْدِياتُ ... مُقِيمًا على اللُّؤْمِ حِينًا فحِينا
تَبَجَّسْتَ تهجو رَسُولَ المليـ ... ـكِ قاتَلَكَ اللهُ جِلْفًا لَعِينا
تَقُولُ الخَنا ثُمَّ تَرْمِي بِهِ ... نَقِيَّ الثِّيابِ تَقِيًّا أَمِينا

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي بَيْتَهُ: «بِنا كَيْفَ نَفْعَلُ»، والبَيْتَ الَّذي يَلِيهِ، والبَيْتَ الثّالِثَ مِنْهُ، وصَدْرَ الرّابِعِ مِنْهُ، وقَوْلَهُ: «نَشِبُّ وتَهْلِكُ آباؤُنا»، والبَيْتَ الَّذي يَلِيهِ، والبَيْتَ الثّالِثَ مِنْهُ، أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيْضًا، في يَوْمِ أُحُدٍ:

سائِلْ قُرَيْشًا غَداةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ: ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا مِن الهَرَبِ؟
كُنّا الأُسُودَ وكانُوا النُّمْرَ إذْ زَحَفُوا ... ما إنْ نُراقِبُ مِنْ آلٍ ولا نَسَبِ
فَكَمْ تَرَكْنا بِها مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامِي الذِّمارِ كَرِيمِ الجَدِّ والحَسَبِ
فينا الرَّسُولُ شِهابٌ ثُمَّ يَتْبَعُهُ ... نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ على الشُّهُبِ
الحَقُّ مَنْطِقُهُ والعَدْلُ سِيرَتُهُ ... فمَنْ يُجِبْهُ إلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ
نَجْدُ المُقَدَّمِ، ماضِي الهَمِّ، مُعْتَزِمٌ ... حِينَ القُلُوبِ على رَجْفٍ مِن الرُّعُبِ
يَمْضِي ويَذْمُرنا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ... كَأَنَّهُ البَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ على الكَذِبِ
بَدا لَنا فاتَّبَعْناهُ نُصَدِّقُهُ ... وكَذَّبُوهُ فكُنّا أَسْعَدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فما فاؤُوا وما رَجَعُوا ... ونَحْنُ نَثْفِنُهُمْ لَمْ نَأْلُ في الطَّلَبِ
لَيْسا سَواءً وشَتّى بَيْنَ أَمْرِهِما ... حِزْبُ الإلَهِ وأَهْلُ الشِّرْكِ والنُّصُبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي مِنْ قَوْلِهِ: «يَمْضِي ويَذْمُرنا» إلى آخِرِها، أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ.

وَقالَ أَيْضًا في القَصِيدةِ النُّونِيّةِ: [من المتقارب]

تَلُوذُ البُجُــودُ بِأَذْرائِنا

البُجُودُ: جَمْعُ بَجْدٍ، وهُمْ جَماعةٌ مِنَ النّاسِ، ويُرْوى: «النَّجُودُ» بِالنُّونِ، وهي المَرْأةُ المَكْرُوبةُ. والنَّجُودُ مِنَ الإبِلِ: القَوِيّةُ.

وقَوْلُهُ: «بِأَذْرائِنا»، جَمْعُ ذَرا، مِنْ قَوْلِهِمْ: كنت في ذَرا فُلانٍ؛ أيْ: في سِتْرِهِ، وتَقُولُ العَرَبُ: لَيْسَ في الشَّجَرِ أَذْرى مِنَ السَّلَمِ؛ أيْ: أَدْفَأُ ذَرًا مِنْهُ؛ [لِأَنّهُ][1] يُقالُ: ما ماتَ أَحَدٌ صَرْدًا[2] [قَطّ][3] في ذَرا سَلَمةٍ. [وما ذكرتُ من تفسيرِ النَّجودِ[4] وأنّها المرأةُ المكروبةُ لم نأخذْهُ من كتبِ اللُّغة، وإنّما ألفيتُهُ في حاشيةِ كتابِ الشَّيخِ أبي بحرٍ][5].

وَقَوْلُهُ: «جَلَماتُ الحُرُوبِ». مِنْ قَوْلِك جَلَمْتُ الشَّيْءَ وجَزمتُه إذا قَطَعْتَه، ومِنْهُ: الجَلَمانُ.

وقَوْلُهُ: «لَدُنْ أنْ بُرِينا»؛ أيْ: خُلِقْنا، والبارِي: الخالِقُ سُبْحانَهُ، أيْ: هذا حالُنا من لَدُن خُلِقنا.

وَقَوْلُهُ: «يَحْسِبُها مَنْ رَآها الفَتِينا»، هي الصُّخُورُ السُّودُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنّها تُشْبِهُ ما فُتِنَ بِالنّارِ؛ أيْ: أُحْرِقَ. وفي التَّنْزِيلِ: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وأَصْلُ الفَتْنِ: الِاخْتِبارُ، وإنّما قِيلَ: فتَنْتُ الحَدِيدةَ في النّارِ؛ لِأَنّك تَخْتَبِرُ طَيِّبَها

---

(١) ليس في (ب).
(٢) صَرِد صردًا فهو صَرِد: بَرَد وهبطت حرارته.
(٣) ليس في (ب).
(٤) انظر: «شرح السير» للخشني: (ص: ٢٦٦)، و«تاج العروس» (نجد).
(٥) عن (ص).

مِنْ خَبيثِها.

وقَوْلُهُ: «دَواجِن حُمْرًا وجُونا»؛ أيْ: حُمْرًا وسُودًا.

وقَوْلُهُ: «جَأْواء»، أيْ: كَتِيبة لَوْنُها لَوْنُ الحَدِيدِ.

وقَوْلُهُ: «جُولًا طَحُونا»: الجُولُ: جانِبُ البِئْرِ. والجول أيضًا: العقل، وأحسَبُهُ إنما أراد معنى الجولانِ والحركةِ في الأرضِ، أو شبَّهها بجُولِ البئرِ لأنَّها مُهلِكةٌ كالبئر.

وَقَوْلُهُ: «إنْ[1] قَلّصَتْ»، يَعْنِي: الحَرْبَ، ثُمّ وصَفَها فقالَ: «عَضُوضًا» مِن العَضِّ، «حَجُونا» مِنْ حَجَنْتُ العُودَ: إذا لويتَه.

وقوله: [من المتقارب]

أَلَسْنا نَشُــدُّ عَلَيْها العِصا ... بَ حَتى تَــدُرَّ وحَتى تَلِينا

هَذا كُلُّهُ مِنْ صِفةِ الحَرْبِ، شَبَّهَها بِناقةٍ صَعْبةٍ قَلَّصَتْ؛ أيْ: صارَتْ قَلُوصًا؛ أي: إنا نُذَلِّلُ صعبها، ونُلَيِّنُ مِنْ ضِراسِها.

وقَوْلُهُ: [من المتقارب]

ويَوْمٌ لَهُ رَهَجٌ[2] دائِم

الرَّهَجُ: الغُبارُ.

وَقَوْلُهُ: «شَدِيدُ التّهاويلِ»: جَمْعُ تَهْوِيلٍ، والتَّهويل[3] والتّهاوِيلُ: ألوانٌ

(١) عن (ب)، (س)، (ف).

(٢) في «السيرة»: «وهج».

(٣) «والتهويل» ليس في (ف).

مُخْتَلِفةٌ، قالَ الشّاعِرُ يَصِفُ رَوْضًا[(١)]: [من البسيط]

وَعازِبٍ قَدْ عَلا التّهْوِيلُ جَنْبَتَهُ ... لا تَنْفَعُ النّعْلُ في رَقْراقِهِ الحافي

وَقَوْلُهُ: «حامِي الأرينا»: جَمْعُ إرةٍ، وهُوَ مُسْتَوْقَدُ النّارِ، يَجُوزُ أنْ يَكُونَ وزْنُها عِلةً مِن الأُوارِ، وهُوَ الحَرُّ، فحُذِفَتِ الهَمْزةُ، وهُمِزَتِ الواو لانكسارها، وجائزٌ أن يكونَ وزنُها فِعةً مِنْ تَأرّيْتُ بِالمَكانِ؛ لِأنّهُمْ يَتَأرَّوْنَ حَوْلَها، وهَذا الوَجْهُ هُوَ الصّحِيحُ؛ لِأنّهُمْ جَمَعُوها عَلى إرِين مِثْل سِنِين، ولا يُجْمَعُ هَذا الجَمْعُ المُسْلَّمُ كجمعِ مَن يَعقِلُ إلّا إذا حُذِفتْ لامُهُ، وكانَ مُؤَنّثًا، وكانَ لامُ الفِعْلِ حَرْفَ عِلّةٍ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ مُذَكّرٌ كالأمةِ، فإذا اجْتَمَعَتْ فيهِ هَذِهِ الشُّرُوطُ الأرْبَعَةُ جُمِعَ بِالواوِ والنُّونِ في الرّفْعِ، والياءِ والنُّونِ في النَّصبِ والخَفْضِ، كسِنِين وعِضِين، غَيْرَ أنّهُمْ قَدْ قالُوا: رِقِين في جَمْعِ الرِّقةِ، وهي الوَرِقُ، وقَدْ تكَلّمْنا عَلى سِرِّ هَذا الجَمْعِ وسِرِّ أرضِينَ في «نَتائِجِ الفِكرِ»[(٢)] بِما فيهِ جَلاءٌ والحَمْدُ لله.

وَقَوْلُهُ[(٣)]: [من الوافر]

---

(١) هو عبد المسيح بن حكيم بن عُفَير الشيباني، ونُسب إلى أمه فقيل له: بن عَسَلة، شاعر جاهلي، والبيت في «المفضليات» ضمن أبيات خمسة، و«أمالي القالي» (١: ٢٥١)، و«اللسان» (حول). والعازب: الكلأ البعيد، والتهاويل: الألوان المختلفة، والجنبة: ضرب من النبات، والرقراق: ندى يقع على النبت. لا تنفع النعل: لكثرة نداه لا تنفع النعل لابسها.

(٢) انظر: «نتائج الفكر» (ص: ١٥٥) وما بعدها.

(٣) هذا عجز بيت للكميت في «ديوانه» (١: ٤٢٢)، وهو من شواهد النحاة، وصدره:

يرى الراؤون بالشـــرفات منها

ويبدو أن السهيلي قد وهم بذكره، فأما قول كعب في قصيدته النونية فهو:

كـــؤوس المنايا بجـــدِّ الظبينا

كَنارِ أَبِـي حُباحِبَ والظُّبِينا

[جمع ظُبةٍ][١] يُقالُ: أَبُو حُباحِب: ذُبابٌ يَلمَعُ بِاللَّيْلِ، وقِيلَ: كانَ رَجُلًا لَئِيمًا لا يَرْفَعُ نارَهُ خَشْيَةَ الأضْيافِ، ولا يُوقِدُها إلّا ضَعِيفةً، وتُرِكَ صَرْفُهُ ولَمْ يُخْفَضْ وهُوَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ؛ لِما قَدّمْناهُ مِنْ أنّ الِاسْمَ إذا تُرِكَ صَرْفُهُ ضَرُورةً أوْ غَيْرَ ضَرُورةٍ لَمْ يَدْخُلْهُ الخَفْضُ كَما لا يَدْخُلُهُ التّنْوِينُ؛ لِئَلّا يُشْبِهَ ما يُضِيفُهُ المُتَكَلِّمُ إلى نَفْسِهِ. وقالَ أَبُو حَنِيفةَ: لا أدْرِي ما حُباحِبُ ولا أَبُو حُباحِبَ، ولا بَلَغَنِي عَنِ العَرَبِ فيهِ شَيْءٌ[٢]، وقالَ في الإرةِ عَنْ قَوْمٍ حَكى قَوْلَهُمْ: هُوَ مِنْ أرَيْتُ الشّيْءَ إذا عملتَه، وقال: الأَرْي هو من[٣] عملِ النَّحلِ وفعلها، ثُمّ سُمِّيَ العَسَلُ أرْيًا لِهَذا كَما يُسَمّى مَزْجًا، وأنشد[٤]: [من الطويل]

وجاءَ[٥] بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إلّا أَنّهُ عَمَلُ النّحْلِ

قالَ: والضَّحْكُ: الزُّبْدُ الأبْيَضُ، وقِيلَ: الثَّغْرُ، وقِيلَ: الطَّلْعُ، وقِيلَ: العَجَبُ[٦].

وَقَوْلُهُ: «والظُّبِينا»: جَمْعُ ظُبةٍ، جَمَعَها عَلى هَذا الجَمْعِ المُسَلَّمِ؛ لِما قَدّمْناهُ في الإرِينَ والسِّنِينَ، غَيْرَ أنّهُم لَمْ يَكْسِروا[٧] أوّلَ الكَلِمةِ كَما كُسِرَت السِّينُ مِنْ

---

(١) عن (أ)، (س)، (ف).

(٢) «النبات» (ص: ١٣٣).

(٣) «من» ليس في (ف).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في «ديوان الهذليين» (١: ٤٢)، و«النبات» (ص: ٢٦٠).

(٥) في النسخ: «وجاؤوا»، وسياق الأبيات في القصيدة بالإفراد. والمثبت عن «الديوان» و«النبات».

(٦) انظر: «النبات» (ص: ٢٦٠-٢٦١).

(٧) كذا في (أ)، (ج). وفي غيرهما: «غير أنه لم يكسر».

سِنِينَ؛ إشْعارًا بِالجَمْعِ؛ لِأَنّ ظُبِينَ لا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ واحِدًا؛ إذْ لَيْسَ في الأَسْماءِ فُعِيلٌ، وكَسَرُوا أوّلَ سِنِينَ إيذانًا بِأَنّهُ جَمْعٌ؛ كَيلا يُتَوَهَّمَ أَنّهُ اسْمٌ عَلى فُعُولٍ، إذْ لَيْسَ في الأَسْماءِ فِعِيلٌ ولا فُعُولٌ، ولَمْ يَبْلُغْ سِيبَوَيْهِ أَنَّ ظُبَةً تُجْمَعُ عَلى ظُبِينَ[١]، وقَدْ جاءَ في هَذا الشّعْرِ وفي غَيْرِهِ كَما تَراهُ.

وَقَوْلُهُ: «قَواحِزُهُ»: جَمْعُ قاحِزٍ، وهُوَ الوَثّابُ القَلِقُ، يُقالُ: قَحَز قَحزانًا إذا وثَبَ وقَلِقَ.

وقَوْلُهُ: «بِخُرْسِ الحَسِيسِ»، يَصِفُ السُّيُوفَ [يَصِفها بِالخَرَسِ][٢]؛ لِوُقُوعِها في اللّحْمِ والدَّمِ.

وَقَوْلُهُ: «حِسانٍ رِواءٍ» أي: رِواءٍ مِنَ الدّمِ.

وقَوْلُهُ: «بُصْرِيّةٍ»: مَنْسُوبةٌ إلى بُصْرى مِنْ أَرْضِ الشّامِ، كما أَنّ المشرفيّة مَنْسُوبةٌ إلى مَشارِفَ مِنْ أَرْضِ الشّامِ؛ لِأَنّها تُصْنَعُ فيها.

وَقَوْلُهُ: «قَدْ أَجِمْنَ الجُفُونَ»؛ أَيْ: كَرِهْنَ المُقامَ فيها ومَلَلنَهُ، ومِنْهُ قَوْلُ هِشامٍ لِسالِمِ بنِ عبدِ اللهِ[٣]: ما غِذاؤُكَ؟ قالَ: الخُبْزُ بِالزّيْتِ، قالَ: أما تَأْجِمُهُما[٤]؟ قالَ: إذا أَجَمْتُهما تَرَكْتُهما حَتّى أَشْتَهِيَهُما.

وَقَوْلُهُ: [من المتقارب]

(١) انظر: «الكتاب» (٣: ٤٠١، ٥٩٨).

(٢) ليس في (ب).

(٣) هو الإمام الزاهد حفيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كان حافظًا، مفتيًا للمدينة، وُلد في خلافة عثمان رضي الله عنه، وتوفي سنة (١٠٦هـ). انظر أخباره وأخبار زهده في: «سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٥٧-٤٦٧).

(٤) أجم الطعام وغيره: لعله من المداومة عليه.

وتَحْتَ العَمايــةِ والمُعْلِمِينا

بِإسْقاطِ الواوِ مِنْ أوّلِ القَسِيمِ الثّانِي وقَعَ في الأصْلِ، وفي الحاشِيةِ: «وتَحْتَ العَمايةِ» بِواوِ العَطْفِ وقَعَ في الأصْلَيْنِ، وبِها يَكْمُلُ الوَزْنُ، ولا يَجُوزُ إسْقاطُها إلّا عَلى مَذْهَبِ الأخْفَشِ الّذِي يُجِيزُ الخَرْمَ[١] في أوّلِ القَسِيمِ الثّانِي مِن البَيْتِ، كَما يُجِيزُهُ العَرُوضِيُّونَ في أوّلِ البَيْتِ.

وَقَوْلُهُ: «تُطِيفُ بِك المُنْدِياتُ»؛ أيِ: الأُمُورُ الشّنِيعةُ.

وَقَوْلُهُ: «تَبَجَّسْتَ [تَهجُو]»[٢]، مِنْ تَبَجّسَ الماءُ إذا انفجر.

* * *

(١) في (ج)، (ص): «الثرم»، وكلاهما صواب، ذلك أن فعولن له صورتان: صورة سلامة، وصورة قبض، فإن دخله الخرم وهو سالم سُمي ذلك الخرم: ثلمًا، وإن دخله وهو مقبوض سمي ذلك: ثرمًا. انظر: «العيون الغامزة» (ص: ١٢٠-١٢١)، و«العمدة» لابن رشيق: (١: ٢٧١).

(٢) عن (س).

[شِعْرُ ابنِ رَواحةَ في بُكاءِ حَمْزةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ يَبْكِي حَمْزةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِيها أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ.

بَكَتْ عَيْنِي وحُقَّ لَها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيلُ

على أسَدِ الإلَهِ غَداةَ قالُوا: ... أحَمْزَةُ ذاكُم الرَّجُلُ القَتِيلُ

أُصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا ... هُناكَ وقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ

أبا يَعْلَى لَكَ الأرْكانُ هُدَّتْ ... وأنْتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ

عَلَيْكَ سَلامُ رَبِّكَ في جِنانٍ ... مُخالِطُها نَعِيمٌ لا يَزُولُ

ألا يا هاشِمَ الأخْيارِ صَبْرًا ... فكُلُّ فِعالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ

رَسُولُ الله مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأمْرِ الله يَنْطِقُ إذْ يَقُولُ

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤَيًّا ... فبَعْدَ اليَوْمِ دائِلَةٌ تَدُولُ

وَقَبْلَ اليَوْمِ ما عَرَفُوا وذاقُوا ... وقائِعَنا بِها يُشْفى الغَلِيلُ

نَسِيتُمْ ضَرْبَنا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَداةَ أتاكُم المَوْتُ العَجِيلُ

غَداةَ ثَوى أبو جَهْلٍ صَرِيعًا ... عَلَيْهِ الطَّيْرُ حائِمَةٌ تَجُولُ

وَعُتْبَةُ وابنُهُ خَرّا جَمِيعًا ... وشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

وَمَتْرَكُنا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبًّا ... وفي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ

وَهامَ بَنِي رَبِيعةَ سائِلُوها ... فَفِي أسْيافِنا مِنْها فُلُولُ

ألا يا هِنْـــدُ فابْكِي لا تَمَلِّي ... فأنْتِ الــوالِهُ العَبْرى الهَبُولُ
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِي شِــماتًا ... بِحَمْــزَةَ إنَّ عِزَّكُــمُ ذَلِيلُ

[شِعْرُ كَعْبٍ في أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ:

أبْلِـغْ قُرَيْشًـا على نَأْيِهـا ... أتَفْخَـرُ مِنّـا بِمـا لَـمْ تَلِي
فَخَرْتُـمْ بِقَتْـلى أصابَتْهُـمُ ... فواضِــلُ مِنْ نِعَـمِ المُفْضِلِ
فحلّوا جِنانًـا وأبْقَوْا لَكُمْ ... أُسُـودًا تُحامِي عَن الأشْـبُلِ
تُقاتِــلُ عَنْ دِينِها، وسْـطَها ... نَـبِيٌّ عَن الحَـقِّ لَـمْ يَنْكُلْ
رَمَتْــهُ مَعَدٌّ بِعُــورِ الكَلامِ ... ونَبْــلِ العَــداوةِ لا تَأْتَــلِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي قَوْلَهُ: «لَمْ تَلِي»، وقَوْلَهُ: «مِنْ نِعَمِ المُفْضِلِ» أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ.

[شِعْرُ ضِرارٍ في أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ في يَوْمِ أُحُدٍ:

ما بالُ عَيْنِكَ قَدْ أزْرى بِها السُّهُدُ ... كَأنَّما جالَ في أجْفانِها الرَّمَدُ؟
أمِنْ فِراقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... قَدْ حالَ مِنْ دُونِهِ الأعْداءُ والبُعُدُ؟
أمْ ذاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لا جَداءَ بِهِمْ ... إذ الحُرُوبُ تَلَظَّتْ نارُها تَقِدُ؟
ما يَنْتَهُونَ عَن الغَيِّ الَّذي رَكِبُوا ... وما لَهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ ويْحَهُمْ عَضُدُ
وَقَدْ نَشَــدْناهُمُ بــاللهِ قاطِبَةً ... فما تَرُدُّهُم الأرْحامُ والنِّشَــدُ
حَــتّى إذا ما أبَــوْا إلّا مُحارَبَةً ... واسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنا الأضْغانُ والحِقَدُ

سِرْنا إِلَيْهِـمْ بِجَيْشٍ في جَوانِبِهِ قَوانِسُ البَيْضِ والمَحْبُوكَةُ السُّرُدُ
والجُرْدُ تَرْفُلُ بِالأَبْطالِ شازِبَةً كَأَنَّهـا حِـدَأٌ في سَـيْرِها تُؤَدُ
جَيْشٌ يَقُودُهُمُ صَخْرٌ ويَرْأَسُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْـثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِدُ
فَأَبْرَزَ الحَيْنُ قَوْمًا مِنْ مَنازِلِهِمْ فكانَ مِنّا ومِنْهُـمْ مُلْتَقًى أُحُدُ
فَغُـودِرَتْ مِنْهُمُ قَتْـلى مُجَدَّلَةٌ كالمَعْـزِ أَصْرَدَهُ بالصَّرْدِ البَرَدُ
قَتْلى كِرامٌ بَنُو النَّجّارِ وسْطَهُمُ ومُصْعَبٌ مِنْ قَنانا حَوْلَهُ قِصَدُ
وَحَمْزَةُ القَرْمُ مَصْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ ثَكْلى وقَدْ حُزَّ مِنْهُ الأَنْفُ والكَبِدُ
كَأَنَّهُ حِـينَ يَكْبُو في جَدِيَّتِهِ تَحْتَ العَجاجِ وفيهِ ثَعْلَبٌ جَسِدُ
حُوارُ نـابٍ وقَدْ ولّى صَحابَتُهُ كَما تَوَلّى النَّعامُ الهارِبُ الشُّرُدُ
مُجَلِّحِـينَ ولا يَلْوُونَ قَدْ مُلِئُوا رُعْبًا، فَنَجَّتْهُمُ العَوْصاءُ والكُؤُدُ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِساءٌ لا بُعُولَ لَها مِنْ كُلِّ سـالِبَةٍ أَثْوابُهـا قِدَدُ
وَقَدْ تَرَكْناهُـمُ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةً ولِلضِّباعِ إلى أَجْسـادِهِمْ تَفِدُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِضِرارٍ.

[رَجَزُ أَبي زَعْنَةَ يَوْمَ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ أَبو زَعْنَةَ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ عُتْبَةَ، أَخُو بَنِي جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، يَوْمَ أُحُدٍ:

أنا أَبو زَعْنَةَ يَعْـدُو بِي الهُزَمْ لَمْ تُمْنَعِ المَخْـزاةُ إلّا بِالأَلَمْ
يَحْمِي الذِّمارَ خَزْرَجِيٌّ مِنْ جُشَمْ

[رَجَزٌ يُنْسَبُ لِعَلِيٍّ في يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَها رَجُلٌ

مِن المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ غَيْرُ عَلِيٍّ، فيما ذَكَرَ لِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ، ولَمْ أرَ أحَدًا مِنْهُمْ يعرفها لعلي ـ:

لاهُمَّ إنَّ الحـارِثَ بنَ الصِّمَّهْ كانَ وفيًّـا وبِنـا ذا ذِمَّـهْ
أقْبَـلَ في مَهامَـهٍ مُهِمَّـهْ كَلَيلَـةٍ ظَلْمـاءَ مُدْلَهِمَّـهْ
بَيْنَ سُـيُوفٍ ورِمـاحٍ جَمَّهْ يَبْغِي رَسُـولَ الله فيمـا ثَمَّهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «كَلَيلةٍ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاق.

[رَجَزُ عِكْرِمةَ في يَوْمِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ في يَوْمِ أُحُدٍ:

كُلُّهُـمُ يَزْجُـرُهُ أرْحِبْ هَلا ولَـنْ يَرَوْهُ اليَـوْمَ إلّا مُقْبِلا
يَحْمِلُ رُمْحًا ورَئِيسًا جَحْفَلا

[شِعْرُ الأعْشى التَّمِيمِيِّ في بُكاءِ قَتْلى بَنِي عَبْدِ الدّارِ يَوْمَ أُحُدٍ]

وَقالَ الأعْشى بنُ زُرارةَ بنِ النَّبّاشِ التَّمِيمِيُّ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ثُمَّ أحَدُ بَنِي أسَدِ بن عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ ـ يَبْكِي قَتْلى بَنِي عَبْدِ الدّارِ يَوْمَ أُحُدٍ:

حُـيِّيَ مِـنْ حَيٍّ على نَأْيِهِـم بَنُـو أبي طَلْحـةَ لا تُصْرَفُ
يَمُرُّ سـاقِيهِمْ عَلَيْهِـمْ بِها وكُلُّ سـاقٍ لَهُـمُ يَعْـرِفُ
لا جارُهُمْ يَشْكُو ولا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بـابٌ لَهُمْ يَصْرِفُ

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى يَوْمَ أُحُدٍ:

قَتَلْنا ابنَ جَحْشٍ فاغْتَبَطْنا بِقَتْلِهِ وحَمْزةَ في فُرْسـانِهِ وابنَ قَوْقَلِ
وَأفْلَتَنا مِنْهُـمْ رِجالٌ فأسْرَعُوا فلَيْتَهُـمُ عاجُوا ولَـمْ نَتَعَجَّلِ

أقامُوا لَنا حَتّى تَعَضَّ سُيُوفُنا سَراتَهُمُ وكُلُّنا غَيْرُ عُزَّلِ
وَحَتّى يَكُونَ القَتْلُ فينا وفيهِمُ ويَلْقَوْا صَبُوحًا شَرُّهُ غَيْرُ مُنْجَلِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَوْلُهُ: «وَكُلُّنا»، وقَوْلُهُ: «وَيَلْقَوْا صَبُوحًا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ صَفيةَ في بُكاءِ حَمْزةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ صَفيةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ تَبْكِي أخاها حَمْزةَ ابنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ:

أسائِلَةٌ أصْحابَ أُحْدٍ مَخافَةً بَناتُ أبي مِنْ أعْجَمٍ وخَبِيرِ
فَقالَ الخَبِيرُ إنَّ حَمْزةَ قَدْ ثَوى وزِيرُ رَسُولِ اللهِ خَيْرُ وزِيرِ
دَعاهُ إلَهُ الحَقِّ ذُو العَرْشِ دَعْوةً إلى جَنّةٍ يَحْيا بِها وسُرُورِ
فَذلك ما كُنّا نُرَجِّي ونَرْتَجِي لِحَمْزةَ يَوْمَ الحَشْرِ خيرُ مَصيرِ
فواللهِ لا أنْساكَ ما هَبَّت الصَّبا بُكاءً وحُزْنًا مَحْضَرِي ومَسِيرِي
على أسَدِ اللهِ الَّذي كانَ مِدْرَهًا يَذُودُ عَنِ الإسْلامِ كُلَّ كَفُورِ
فيا لَيْتَ شِلْوِي عِنْدَ ذاكَ وأعْظُمِي لَدى أَضْبُعٍ تَعْتادُني ونُسُورِ
أقُولُ وقَدْ أعلى النَّعِيُّ عَشِيرَتِي جَزى اللهُ خَيْرًا من أخٍ ونَصيرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَها:

بُكاءً وحُزْنًا مَحْضَرِي ومَسِيرِي

[شِعْرُ نُعْمٍ في بُكاءِ شَمّاسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ نُعْمُ، امْرَأةُ شَمّاسِ بنِ عُثْمانَ، تَبْكِي شَمّاسًا، وأُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ:

يا عَيْنُ جُودِي بِفيضٍ غَيْرِ إبْساسِ ... على كَرِيمٍ مِنَ الفِتْيانِ أبّاسِ
صَعْبِ البَدِيهةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ ... حَمّالِ ألْوِيةٍ رَكّابِ أفْراسِ
أقُولُ لَمّا أتى النّاعِي لَهُ جَزَعًا ... أوْدى الجَوادُ وأوْدى المُطْعِمُ الكاسِي
وَقُلْتُ لَمّا خَلَتْ مِنْهُ مَجالِسُهُ ... لا يُبْعِدُ اللهُ عَنّا قُرْبَ شَمّاسِ

[شِعْرُ أبي الحَكَمِ في تَعْزِيَةِ نُعْمٍ]

فَأجابَها أخُوها، وهُوَ أبو الحَكَمِ بنُ سَعِيدِ بنِ يَرْبُوعٍ، يُعَزِّيها، فقالَ:

اقْنَيْ حَياءَكِ في سِتْرٍ وفي كَرَمٍ ... فإنَّما كانَ شَمّاسٌ مِنَ النّاسِ
لا تَقْتُلِي النَّفْسَ إذْ حانَتْ مَنِيَّتُهُ ... في طاعةِ اللهِ يَوْمَ الرَّوْعِ والباسِ
قَدْ كانَ حَمْزةُ لَيْثَ اللهِ فاصْطَبِرِي ... فذاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمّاسِ

[شِعْرُ هِنْدَ بَعْدَ عَوْدَتِها مِنْ أُحُدٍ]

وَقالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ حِينَ انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ:

رَجَعْتُ وفي نَفْسِي بَلابِلُ جَمّةٌ ... وقَدْ فاتَنِي بَعْضُ الَّذي كانَ مَطْلَبِي
مِنَ اصْحابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وغَيْرِهِمْ ... بَنِي هاشِمٍ مِنْهُمْ ومِنْ أهْلِ يَثْرِبِ
وَلَكِنَّنِي قَدْ نِلْتُ شَيْئًا ولَمْ يَكُنْ ... كَما كُنْتُ أرْجُو في مَسِيرِي ومَرْكَبِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَها:

وَقَدْ فاتَنِي بَعْضُ الَّذي كانَ مَطْلَبِي

وَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُها لِهِنْدٍ، واللهُ أعْلَمُ.

ذِكْرُ يَوْمِ الرَّجِيعِ في سَنَةِ ثَلاثٍ

وقَوْلُ ضِرارٍ في قَصِيدَتِهِ الدّالِيّةِ: «يَكْبُو في جَدِيّتِهِ»؛ أيْ: في دَمِهِ.

وَقَوْلُهُ: «ثَعْلَبٌ جَسِدُ»، يُرِيدُ ثَعْلَبَ الرُّمْحِ، وجَسِد مِنَ الجِسادِ وهُوَ الدَّمُ.

وَقَوْلُهُ: «البغضاء والحِقِدُ»، حَرّكَ القافَ بالكَسْرِ ضَرُورةً، ولَوْ وقَفَ عَلى الدّالِ بِالسُّكُونِ، وكانَ الِاسْمُ مَخْفُوضًا، كانَ الكَسْرُ أحْسَنَ في الوقف، كما قال: «واصطِفاقًا بِالرِّجِلْ»[(١)]، أيْ: بالرِّجْلِ.

وَقَوْلُهُ: «العَوْصاءُ والكُؤُدُ»، يُرِيدُ الرَّمْلَةَ العَوِيصَ مَسْلَكُها، والكُؤُدُ جَمْعُ عَقَبةٍ كَؤُودٍ، وهي الشاقّةُ.

وَقَوْلُ عِكْرِمةَ: «أَرْحِبْ هَلا»[(٢)]، هُوَ مِنْ زَجْرِ الخَيْلِ، وكَذَلِكَ هِقِطْ وهِقَطْ، [وهِقِبْ وهِقَبْ][(٣)].

وذَكَرَ قَوْلَ نُعْم [امرأةِ شماس][(٤)]: [من البسيط]

يا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْساسِ

الإِبْساسُ: أنْ تَسْتَدِرَّ لَبَنَ النّاقةِ بِأنْ تَمْسَحَ ضَرْعَها، وتَقُولَ لَها: بَسْ بَسْ، فاسْتَعارَتْ هَذا المَعْنى لِلدّمْعِ الفائِضِ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ ولا اسْتِدْرارٍ لَهُ.

---

(١) من رجز ذكر أبو عمرو أنه سمع أبا سوار الغنوي ينشده، والبيت في «نوادر أبي زيد» (ص: ٢٠٥)، وانظر تخريجنا له في «المقاصد الشافية» (٨: ٧٤)، وهو بتمامه:

علَّمنـا أخوالُنـا بنـي عجِـلْ شُرْبَ النبيذِ واصطفاقًا بالرِّجِلْ

والصفق: الضرب الذي يُسمع له صوت، والاصطفاق: الاضطراب.

(٢) يقال للخيل: أَرحِبْ وأرحِبي، وهما زجران للفرس، أي: توسَّعي وتباعدي. وهو كذلك زجر للخيل، قال الكميت بن معروف:

نُعَلِّمهـا هبي وهـلًا وأرحِبْ

(٣) عن (س)، (ف). وانظر: «الكامل» للمبرد: (١: ٣٥٨)، و«اللسان»: هقب، وهقط.

(٤) سقط من (ب)، (ف).

[وَقَوْلُها: «صَعْبِ البَدِيهةِ» أيْ: بَدِيهَتُهُ لا تُعارَضُ ولا تُطاقُ، فكَيْفَ رَوِيَّتُهُ واحْتِفالُهُ][1].

وَفي شِعْرِ كَعْبٍ في اللاميّةِ: [من الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي وحُـقَّ لَها بُكاها ... وما يُغْنِي البُـكاءُ ولا العَوِيلُ

وَضَعَ المَقْصُورَ في مَوْضِعِهِ، والمَمْدُودَ في مَوْضِعِهِ؛ لِأَنّ البكا مقصورًا بمعنى الحُزْنِ والعَبَرِ، وإذا كانَ مَمْدُودًا فهُوَ الصُّراخُ، وكَذَلِكَ قِياسُ الأَصْواتِ أَنْ تكُونَ عَلى فُعالٍ، فقَوْلُهُ: «حُقّ لَها بُكاها» أيْ: حُقّ لَها حُزْنُها؛ لِأَنّهُ الّذِي[2] يَحِقُّ دُونَ الصّراخِ. ثُمّ قالَ: وما يُغْنِي البُكاءُ؛ أيْ: لَيْسَ يَنْفَعُ الصِّياحُ ولا الصُّراخُ، ولا يُجْدِي عَلى أحَدٍ، فَتَنَزّلَتْ كُلُّ كَلِمةٍ مَنْزِلَتَها.

وَقَوْلُهُ: «حُقَّ لَها»؛ أيْ: حَقَّ، والأَصْلُ: حَقُقَ عَلى فَعُلَ، فبُكاها: فاعِلٌ لا مَفْعُولٌ، وكُلُّ فعل إذا أَرَدْتَ المُبالَغَةَ في الأَمْرِ ومَعْنى[3] التّعَجّبِ نَقَلْتَ الضّمّةَ مِنْ عَيْنِ الفِعْلِ إلى فائِهِ، فتَقُولُ: حُسْن زَيْدٌ؛ أيْ: حَسُنَ جِدًّا، فإنْ لَمْ تُرِدْ مَعْنى التّعَجُّبِ لَمْ يَجُزْ إلّا الضّمّ أوِ التّسْكِينُ، تَقُولُ: كَبُرَ زَيْدٌ وكَبْر زَيْدٌ، ولا تَقُولُ: كُبْرَ إلّا مَعَ قَصْدِ التّعَجّبِ. قالَ الشّاعِرُ[4]: [من الطويل]

وحُبَّ بِها مَقْتُولةً حِينَ تُقْتَلُ

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): «لأنه هو الذي».

(٣) في (أ): «وفي التعجب».

(٤) هو الأخطل، «ديوانه» (ص: ٢٦٣). وفيه يروى: «فأطيب بها». وصدره:

فقلتُ: اقتلوها عنكمُ بمزاجها

وهو من شواهد «الأصول» (١: ٧٣)، و«شرح الكافية» للرضي: (٤: ٢٥٧)، و«شرح الشافية» له: (١: ٤٣).

يَعْنِي الخَمْرَ.

[وقالَ آخَرُ[١]: [من البسيط]

لَمْ يَمْنَعِ القَوْمُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولا أُعْطِيهِمُ ما أرادُوا حُسْنَ ذا أدَبا

أيْ: حَسُنَ][٢].

[وقالَ آخَرُ[٣]: [من الطويل]

ألا حُبَّ بِالبَيْتِ الَّذِي أنْتَ زائِرُه[٤]

وَقالَ: «بِالبَيْتِ» لِأنّ مَعْناهُ كَمَعْنى أحْبِبْ بِالبَيْتِ؛ تَعَجُّبًا.

وقَوْلُ كَعْبٍ][٥]: [من الوافر]

أبا يَعْلى لَكَ الأرْكانُ هُدَّتْ

كانَ حَمْزةُ يُكَنّى أبا يَعْلى بابنِهِ يَعْلى، ولَمْ يَعِشْ لِحَمْزةَ ولَدٌ غَيْرُهُ، وأعْقَبَ يَعْلى خَمْسة مِن البَنِينَ، ثُمّ انْقَرضَ عَقِبُهُمْ فيما ذَكَرَ مُصْعَبٌ[٦]، ويُكَنّى حَمْزةُ

---

(١) هو سهم بن حنظلة الغنوي، شاعر مخضرم. انظر: «الأصمعيات» (ص: ٥٦)، و«خزانة الأدب» (٩: ٤٣٤)، وقد ينسب إلى غيره. وانظر: «شرح الكافية» للرضي: (٤: ٥٧).

(٢) سقط من صلب (س) وذُكر في حاشيتها.

(٣) هو ابن الدمينة، منسوب إلى أمه، وهو عبد الله بن عبيد الله، خثعمي، عاش في القرن الثاني للهجرة، والبيت في «ديوانه» (ص: ١٨٣)، وروايته فيه:

ألا حبَّ بالبيتِ الذي أنتَ هاجِرُهْ وأنتَ بتَلماحٍ من الطـرفِ زائرُهْ

وكذلك رُوي في «أمالي القالي» (١: ٧٧). والتَّلْماح: اختلاس النظر.

(٤) في (ف): «زائر».

(٥) سقط من (ص).

(٦) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ١٧)، ولم أجده في كتاب «نسب قريش» لمصعب.

أيْضًا أبا عُمارةَ، وقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُهُ في المَبْعَثِ بِهَذِهِ الكُنْيةِ[١]، قِيلَ: إنّ عُمارةَ بِنْتٌ لَهُ كُنّي بِها، وهي الّتِي وقَعَ ذِكْرُها في «السُّنَنِ» لِلدّارَقُطْنِيّ[٢]: أنّ مَوْلًى لِحَمْزة ماتَ، وتَرَكَ بِنْتًا فوَرِثَتْ مِنْهُ النِّصْفَ، ووَرِثَتْ بِنْتُ حَمْزةَ النِّصْفَ الآخَرَ[٣]. ولَمْ يُسَمِّها في «السّنَنِ»، ولَكِنْ جاءَ اسْمُها في كِتابِ «أحْكامِ القُرْآنِ» لِبَكْرِ ابنِ العَلاءِ[٤]، واللهُ أعْلَمُ، وقَدْ رُوِيَ أنّ الوَلاءَ كانَ لَها، وأنّها كانَت المُعْتِقةَ لا حَمْزة[٥].

* * *

(١) انظر: نص «السيرة»: (٣: ٥٦).

(٢) «سنن الدارقطني» (٤: ٨٣-٨٤).

(٣) (ص): «الثاني».

(٤) هو أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري المالكي، صاحب التصانيف، وكتابه «أحكام القرآن» مختصر من كتاب «أحكام القرآن» لإسماعيل بن إسحاق القاضي. توفي بمصر سنة (٣٤٤هـ)، انظر: «فهرسة ابن خير» (٥٢-٥٣)، و«طبقات المفسرين» (١: ١١٨-١٢٠).

(٥) بعده في (ب): «والله أعلم».

[قُدومُ وَفْدٍ مِن عَضَل والقارةِ إلى الرسول ﷺ]

قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: حَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، قالَ: قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ والقارةِ.

[نَسَبُ عَضَلٍ والقارةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَضَلٌ والقارةُ، مِن الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ بنِ مُدْرِكةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: الهُونُ، بِضَمِّ الهاءِ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالُوا: يا رَسُولَ الله، إنَّ فينا إسْلامًا، فابْعَثْ مَعَنا نَفَرًا مِنْ أصْحابِكَ يُفَقِّهُونَنا في الدِّينِ، ويُقْرِئُونَنا القُرْآنَ، ويُعَلِّمُونَنا شَرائِعَ الإسْلامِ. فبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ نَفَرًا سِتّةً مِنْ أصْحابِهِ، وهُمْ: مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ، حَلِيفُ حَمْزةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ اللَّيْثِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، وعاصِمُ ابنُ ثابِتِ بنِ أبي الأقْلَحِ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، أخُو بَنِي جَحْجَبى بنِ كُلْفةَ بن عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وزَيْدُ ابنُ الدَّثِنّةِ بنِ مُعاوِيةَ، أخُو بَنِي بَياضةَ بنِ عَمْرِو بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثةَ ابنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وعَبْدُ الله بنُ طارِقٍ حَلِيفُ بَنِي ظَفَرِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ.

[غَدْرُ عَضَلٍ والقارةِ بِالنَّفَرِ السِّتَّةِ]

وَأَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على القَوْمِ مَرْثَدَ بنَ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، فخَرَجَ مَعَ القَوْمِ، حَتّى إذا كانُوا على الرَّجِيعِ ـ ماءٍ لِهُذَيْلٍ بِناحِيَةِ الحِجازِ ـ على صُدُورِ الهَدْأةِ غَدَرُوا بِهِمْ، فاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا، فلَمْ يَرُعِ القَوْمَ وهُمْ في رِحالِهِمْ، إلّا الرِّجالُ بِأيْدِيهِم السُّيُوفُ، قَدْ غَشُوهُمْ، فأخَذُوا أسْيافَهُمْ لِيُقاتِلُوهُمْ، فقالُوا لَهُمْ: إنّا واللهِ ما نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، ولَكِنّا نُرِيدُ أنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أهْلِ مَكَّةَ ولَكُمْ عَهْدُ اللهِ ومِيثاقُهُ ألّا نَقْتُلَكُمْ.

[مَقْتَلُ مَرْثَدٍ وابنِ البُكَيْرِ وعاصِمٍ]

فَأَمّا مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ، وعاصِمُ بنُ ثابِتٍ، فقالُوا: واللهِ لا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا ولا عَقْدًا أبَدًا، فقالَ عاصِمُ بنُ ثابِتٍ:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابِلُ ... والقَوْسُ فيها وتَرٌ عُنابِلُ
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِها المَعابِلُ ... المَوْتُ حَقٌّ والحَياةُ باطِلُ
وَكُلُّ ما حَمَّ الإلَهُ نازِلُ ... بِالمَرْءِ والمَرْءُ إلَيْهِ آئِلُ
إنْ لَمْ أُقاتِلْكُمْ فأُمِّي هابِلُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: هابِلٌ: ثاكِلٌ.

مَقْتَلُ خُبَيبِ بنِ عديٍّ[1] وأصْحابِهِ

وذَكَرَ غَدْرَ عَضَلٍ والقارةِ، وهُما بَطْنانِ مِنْ بَنِي الهُونِ، والهُونُ هُمْ بَنُو

(١) «بن عدي» ليس في (ف).

الرِّيشِ ويَثِيع[١] ابنَي الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ بنِ [مُدْركة][٢]. وقد تقدَّمَ التعريفُ بمعنى القارة[٣]، وبالمثل الذي جَرى فيهِمْ، والقارةُ: الحَرّةُ، وذَكَرْنا السَّبَبَ في تَسْمِيَتِهِمْ بِها.

وَذَكَرَ أنّ أصْحابَ خُبَيبٍ كانُوا سِتّةً، وفي «الجامِعِ الصّحِيحِ» لِلبُخارِيِّ أنّهُمْ كانُوا عَشَرةً[٤]، وهُوَ أصَحُّ، واللهُ أعْلَمُ.

وَذَكَرَ أَسَماءَ السِّتّة، وقد نسبَهُم فيما تقدَّم، فأما خُبَيْبٌ فهُوَ مِنْ بَنِي جَحْجَبى[٥] بنِ كُلفةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، وزَيْدُ بنُ الدَّثِنّةِ ابنِ مُعاوِيةَ، والدَّثِنّةُ مَقْلُوبٌ مِن الثّدَنةِ والثَّدَنُ: اسْتِرْخاءُ اللّحْمِ.

وَذَكَرَ فيهِمْ عاصِمَ بنَ ثابتٍ وقَوْلَهُ: [من الرجز]

ما عِلَّتِي وأنـا جَلْدٌ نابلُ والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ

والعُنابِلُ: الشَّدِيدُ، وكَأنّهُ من العَبالَةِ، وهي[٦] القوّة، والنُّون زائدة، والعَبالَةُ أيْضًا: شَجَرةٌ صُلبةٌ[٧]، وفي الخَبَرِ أنّ عَصا مُوسى عليه السلام كانَتْ [مِنْ][٨] عَبالةٍ، وقَدْ رُوِيَ أنّ عَصا مُوسى [كانَتْ][٩] ....

(١) في النسخ: «يُثَيع». والمثبت عن «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ٢٩٧).
(٢) عن (س).
(٣) انظر: (٣: ٢٩).
(٤) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٠٨-٣٠٩).
(٥) في (ب): «فهو ابن هججبى».
(٦) في (ف): «وهو».
(٧) انظر: «النبات» (ص: ٣٥٣).
(٨) ليس في (أ).
(٩) ليس في (ب).

مِنْ عَيرٍ[١] وَرَقةِ آسِ الجَنّةِ. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَنْحُوتًا مِنْ أصْلَيْنِ: مِنَ العَنَنِ والنَّبْلِ، كَأَنّهُ يُصِيبُ ما عنَّ له بِنَبْلِهِ.

وَقالَ عاصِمُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

أبو سُـــلَيْمانَ وريشُ المُقْعَدِ   وضالةٌ مِثْـــلُ الجَحِيمِ المُوقَدِ
إذا النَّواجِي افْتُرِشْتِ لَمْ أُرْعَدِ   ومُجْنَأٌ مِـــنْ جِلْدِ ثَـــوْرٍ أجْرَدِ
وَمُؤْمِـــنٌ بِمـــا على مُحَمَّـــدِ

وَقالَ عاصِمُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

أبو سُـــلَيْمانَ ومثلي رامى   وكانَ قَـــوْمِي مَعْشَرًا كِراما

وَكانَ عاصِمُ بنُ ثابِتٍ يُكَنّى: أبا سُلَيْمانَ. ثُمَّ قاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ وقُتِلَ صاحِباهُ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ: [من الرجز]

أبُو سُـــلَيْمانَ ورِيشُ المُقْعَدِ

قَوْلُهُ: «أبُو سُلَيْمانَ» أيْ: أنا أبُو سُلَيْمانَ قَدْ عُرِفْتُ في الحُرُوبِ، وعِنْدِي نَبْلٌ قد راشَها المُقْعَدُ، وكانَ رائِشًا صانِعًا. ورِيشُ السَّهْمِ المَحْمُودُ فيهِ اللُّؤامُ، وهُوَ أنْ تَكُونَ الرِّيشةُ بَطْنُها إلى ظهرِ الأُخرى، واللُّغابُ بعكس ذَلِكَ؛ أنْ يَكُونَ ظَهْرُ واحِدةٍ إلى ظَهْرِ الأخرى، وهو الظُّهار أيضًا، ومن اللُّؤامِ أُخِذَ اللَّأْمُ، وهُوَ

(١) في (س)، (ص): «غير». وفي «كتاب النبات» لأبي حنيفة: (ص: ٣٧٩): «وعير كل ورقة هو القضيب الذي في وسطها. والآس: شجر دائم الخضرة، بيضي الورق، أبيض الزهر أو ورديه».

السَّهْمُ المُرَيَّشُ، قالَ امْرُؤُ القَيْسِ[1]: [من السريع]

كَــرَّكَ لَأْمَيْــنِ عَلى نابِل

وسُئِلَ رُؤْبةُ عَنْ مَعْنى هَذا البَيْتِ، فقالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قالَ حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي، وكانَتْ في بَنِي دارِمٍ، قالَتْ: سَأَلتُ امْرَأَ القَيْسِ وهو يشربُ طِلاءً لَهُ مَعَ عَلقَمةَ بنِ عَبَدةَ: ما مَعْنَى قَوْلِك: «كَرِّكَ لَأْمَيْنِ عَلى نابِلِ»؟ فقالَ: مررتُ بنابِلٍ[2] وصاحِبُهُ يناوِلُهُ الرِّيشَ لُؤامًا وظُهارًا، فما رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ مِنْهُ، ولا أَحْسَنَ، فشَبَّهْتُ بِهِ. [ذَكَرَه أَبُو حَنِيفةَ][3].

وقَوْلُهُ: «وضالَّةٌ»؛ أَيْ: سِهامٌ قِداحُها مِنَ الضّالِ، وهُوَ السِّدْرُ. قالَ الشّاعِرُ: [من الوافر]

قَطَعْتُ إذا تَخَوَّفَتِ العَواطِي ضُرُوبَ السِّدْرِ عُبْرِيًّا وضالا

فالعُبْرِيُّ [مِنْها][4]: ما كانَ عَلى شُطُوطِ الأنْهارِ، والضّال: ما كانَ في البَرِّيَّةِ، والعَواطِي: هي الماشِيةُ تَعْطُو[5]؛ أيْ: تَتَناوَلُ، وإنّما تَتَناوَلُ أَطْرافَ الشَّجَرِ في الصَّيْفِ، فمَعْناهُ: قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّحْراءَ في هذا الوقت، وتَخَوَّفَتْ؛ أي: تَنَقَّصَتْ، مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧].

---

(١) «ديوانه» (ص: ١٤٨)، وصدره:

نطعنهم سُلكى ومخلوجةً

وسُلكى: طعنًا مستويًا أو أمام الوجه. والمخلوجة: المعوجة عن يمين وشمال.

(٢) في (ب): «على نابل».

(٣) كذا في (أ)، (ب)، (س)، (ف). ولفظ (س): «ذكر هذا». ومكانه في (ص)، (ج): «من كتاب النبات». وانظر: ما طبع من «النبات» (ص: ٣٥١، ٣٩٦).

(٤) ليس في (ب).

(٥) في (س): «تعطوه».

[حَديثُ حِمايةِ الدَّبْرِ لِعاصِمٍ]

فَلَمّا قُتِلَ عاصِمٌ أرادَتْ هُذَيْلٌ أخْذَ رَأْسِهِ؛ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلافةَ بِنْتِ سَعْدِ ابنِ شُهَيْدٍ، وكانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أصابَ ابنَيْها يَوْمَ أُحُدٍ: لَئِنْ قَدَرَتْ على رَأْسِ عاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفِهِ الخَمْرَ، فمَنَعَتْهُ الدَّبْرُ، فلَمّا حالَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ الدَّبْرُ، قالُوا: دَعُوهُ يُمْسِي فتَذْهَبَ عَنْهُ، فنَأْخُذَهُ. فبَعَثَ اللهُ الوادِيَ، فاحْتَمَلَ عاصِمًا، فذَهَبَ بِهِ. وقَدْ كانَ عاصِمٌ قَدْ أعْطى اللهَ عَهْدًا ألّا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، ولا يَمَسَّ مُشْرِكًا أبَدًا؛ تَنَجُّسًا، فكانَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أنَّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ: يَحْفَظُ اللهُ العَبْدَ المُؤْمِنَ، كانَ عاصِمٌ نَذَرَ ألّا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، ولا يَمَسَّ مُشْرِكًا أبَدًا في حَياتِهِ، فمَنَعَهُ اللهُ بَعْدَ وفاتِهِ، كما امْتَنَعَ مِنْهُ في حَياتِهِ.

[مَقْتَلُ ابنِ طارِقٍ، وبَيْعُ خُبَيْبٍ وابنِ الدَّثِنَّةِ]

وَأمّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنّةِ وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وعَبْدُ اللهِ بنُ طارِقٍ، فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبُوا في الحَياةِ، فأعْطَوْا بِأيْدِيهِمْ، فأسَرُوهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا إلى مَكّةَ لِيَبِيعُوهُمْ بِها، حَتّى إذا كانُوا بِالظَّهْرانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللهِ بنُ طارِقٍ يَدَهُ مِن القِرانِ، ثُمَّ أخَذَ سَيْفَهُ، واسْتَأْخَرَ عَنْهُ القَوْمُ، فرَمَوْهُ بِالحِجارةِ حَتّى قَتَلُوهُ، فقَبْرُهُ، رَحِمَهُ اللهُ، بِالظَّهْرانِ، وأمّا خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ وزَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ فقَدِمُوا بِهِما مَكّةَ.

قالَ ابن هِشام: فباعوهما مِنْ قُرَيْشٍ بِأسِيرَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ كانا بِمَكّةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فابْتاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بنُ أبي إهابٍ التَّمِيمِيُّ، حَلِيفُ

بَنِي نَوْفَلٍ، لِعُقْبَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عامِرِ بنِ نَوْفَلٍ، وكانَ أبو إهابٍ أخا الحارِثِ ابنِ عامِرٍ لِأُمِّهِ لِقَتْلِهِ بِأبيهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحارثُ بنُ عامِرٍ، خالُ أبي إهابٍ، وأبو إهابٍ أحَدُ بَنِي أُسَيِّدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، ويُقالُ: أحَدُ بَنِي عُدَسَ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ دارِمٍ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

[مَقْتَلُ ابنِ الدَّثِنَّةِ، ومَثَلٌ مِنْ وفائِهِ لِلرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأمّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَّةِ فابْتاعَهُ صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأبيهِ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وبَعَثَ بِهِ صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ، يُقالُ لَهُ: نِسْطاسٌ، إلى التَّنْعِيمِ، وأخْرَجُوهُ مِن الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، واجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فيهِمْ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، فقالَ لَهُ أبو سُفيانَ حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أنْشُدُكَ الله يا زَيْدُ، أتُحِبُّ أنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنا الآنَ في مَكانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وأنَّكَ في أهْلِكَ؟ قالَ: والله ما أُحِبُّ أنَّ مُحَمَّدًا الآنَ في مَكانِهِ الَّذي هُوَ فيهِ تُصِيبُهُ شَوْكة تؤذيه، وأنّي جالِسٌ في أهْلِي. قالَ: يَقُولُ أبو سُفيانَ: ما رَأيْتُ مِن النّاسِ أحَدًا يُحِبُّ أحَدًا كَحُبِّ أصْحابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. ثُمَّ قَتَلَهُ نِسْطاسٌ، يَرْحَمُهُ الله.

[مَقْتَلُ خُبَيْبٍ وحَدِيثُ دَعْوَتِهِ]

وَأمّا خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، أنَّهُ حُدِّثَ عَنْ ماوِيَّةَ مَوْلاةِ حُجَيْرِ بنِ أبي إهابٍ، وكانَتْ قَدْ أسْلَمَتْ، قالَتْ: كانَ خُبَيْبٌ عِنْدِي، حُبِسَ في بَيْتِي، فلَقَد اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا، وإنَّ في يَدِهِ لَقِطْفًا مِنْ عِنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ، وما أعْلَمُ في أرْضِ الله عِنَبًا يُؤْكَلُ!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وعَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجيحٍ جَميعًا، أنَّها قالَتْ: قالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ القَتْلُ: ابْعَثِي إلَيَّ بِحَدِيدةٍ أتَطَهَّرُ بِها لِلْقَتْلِ، قالَتْ: فأعْطَيْتُ غُلامًا مِن الحَيِّ المُوسى، فقُلْتُ: ادْخُلْ بِها على هذا الرَّجُلِ البَيْتَ، قالَت: فواللهِ ما هُوَ إلّا أنْ ولّى الغُلامُ بِها إلَيْهِ، فقُلْتُ: ماذا صَنَعْتُ؟! أصابَ واللهِ الرَّجُلُ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هذا الغُلامِ، فيكُونُ رَجُلًا بِرَجُلٍ، فلَمّا ناوَلَهُ الحَدِيدةَ أخَذَها مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قالَ: لَعَمْرُكَ، ما خافَتْ أُمُّكَ غَدْرِي حِينَ بَعَثَتْكَ بِهَذِهِ الحَدِيدةِ إلَيَّ! ثُمَّ خَلّى سَبِيلَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: إنَّ الغُلامَ ابنُها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ عاصِمٌ: ثُمَّ خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ، حَتّى إذا جاؤُوا بِهِ إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ، قالَ لَهُمْ: إنْ رَأَيْتُمْ أنْ تَدَعُونِي حَتّى أرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فافْعَلُوا، قالُوا: دُونَكَ فارْكَعْ. فرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أتَمَّهُما وأحْسَنَهُما، ثُمَّ أقْبَلَ على القَوْمِ، فقالَ: أما واللهِ لَوْلا أنْ تَظُنُّوا أنِّي إنَّما طَوَّلْتُ جَزَعًا مِن القَتْلِ لاسْتَكْثَرْتُ مِن الصَّلاةِ.

قالَ: فَكانَ خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ أوَّلَ مَنْ سَنَّ هاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ. قالَ:

ثُمَّ رَفَعُوهُ على خَشَبةٍ، فلَمّا أوْثَقُوهُ، قالَ: اللهُمَّ إنّا قَدْ بَلَّغْنا رِسالةَ رَسُولِكَ، فبَلِّغْهُ الغَداةَ ما يُصْنَعُ بِنا، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا، ولا تُغادِرْ مِنْهُمْ أحَدًا. ثُمَّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللهُ.

فَكانَ مُعاوِيةُ بنُ أبي سُفيانَ يَقُولُ: حَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ فيمَنْ حَضَرَهُ مَعَ

أَبِي سُفيانَ، فلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُلْقِينِي إلى الأَرْضِ فَرقًا مِنْ دَعْوةِ خُبَيْبٍ، وكانُوا يَقُولُونَ: إنَّ الرَّجُلَ إذا دُعِيَ عَلَيْهِ، فاضْطَجَعَ لِجَنْبِهِ زالَتْ عَنْهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، عَنْ عُقْبَةَ بنِ الحارِثِ، قالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ما أنا واللهِ قَتَلْتُ خُبَيْبًا؛ لِأَنِّي كُنْتُ أصْغَرَ مِنْ ذلك، ولَكِنَّ أبا مَيْسَرةَ أخا بَنِي عَبْدِ الدّارِ، أَخَذَ الحَرْبةَ فجَعَلَها في يَدِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وبِالحَرْبةِ، ثُمَّ طَعَنَهُ بِها حَتّى قَتَلَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أصْحابِنا، قالَ: كانَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بنَ عامِرِ بنِ حِذْيَمٍ الجُمَحِيَّ على بَعْضِ الشّامِ، فكانَتْ تُصِيبُهُ غَشْيةٌ وهُوَ بَيْنَ ظَهْرَيِ القَوْمِ، فذُكِرَ ذلك لِعُمَرِ بنِ الخَطّابِ، وقِيلَ: إنَّ الرَّجُلَ مُصابٌ، فسَأَلَهُ عُمَرُ في قَدْمةٍ قَدِمَها عَلَيْهِ، فقالَ: يا سَعِيدُ، ما هذا الَّذي يُصِيبُكَ؟ فقالَ: واللهِ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ما بِي مِنْ بَأْسٍ، ولَكِنِّي كُنْتُ فيمَنْ حَضَرَ خُبَيْبَ بنَ عَدِيٍّ حِينَ قُتِلَ، وسمعت دَعوته، فواللهِ ما خَطَرَتْ على قَلْبِي وأنا في مَجْلِسٍ قَطُّ إلّا غُشِيَ عَلَيَّ. فزادَتْهُ عِنْدَ عُمَرَ خَيْرًا.

قالَ ابنُ هِشام: أقامَ خُبَيبٌ في أيْدِيهِمْ حَتّى انْقَضَت الأَشْهُرُ الحُرُمُ، ثُمَّ قَتَلُوهُ!

[ما نَزَلَ في سَرِيّةِ الرَّجِيعِ مِن القُرْآنِ]

قالَ: قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا نَزَلَ مِن القُرْآنِ في تِلْكَ السَّرِيّةِ؛ كَما حَدَّثَنِي مَوْلًى لِآلِ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، عَنْ عِكْرِمةَ مَوْلى ابنِ عَبّاسٍ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ ابنِ جُبَيْرٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ. قالَ: قالَ ابنُ عَبّاسٍ: لَمّا أُصِيبَت السَّرِيّةُ الَّتِي

كانَ فيها مَرْثَدٌ وعاصِمٌ بِالرَّجِيعِ، قالَ رِجالٌ مِن المُنافِقِينَ: يا ويْحَ هَؤُلاءِ المَفْتُونِينَ الَّذينَ هَلَكُوا هَكَذا، لا هُمْ قَعَدُوا في أَهْلِيهِمْ، ولا هُمْ أَدَّوْا رِسالةَ صاحِبِهِمْ! فأنْزَلَ الله تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِ المُنافِقِينَ، وما أصابَ أُولَئِكَ النَّفَرَ مِن الخَيْرِ بِالَّذِي أصابَهُمْ، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤]؛ أي: لِما يُظْهِرُ مِن الإسْلامِ بِلِسانِهِ، ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وهُوَ مُخالِفٌ لِما يَقُولُ بِلِسانِهِ، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]؛ أي: ذُو جِدالٍ إذا كَلَّمَكَ وراجَعَكَ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الألَدُّ: الَّذي يَشْغَبُ، فتَشْتَدُّ خُصُومَتُهُ، وجَمْعُهُ: لُدٌّ، وَفي كِتابِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ [مريم: ٩٧]، وقالَ المُهَلْهِلُ بنُ رَبِيعةَ التَّغْلِبِيُّ، واسْمُهُ: امْرُؤُ القَيْسِ، ويُقالُ: عَدِيُّ بنُ رَبِيعةَ:

إنَّ تَحْتَ الأحْجارِ حَدًّا ولِينًا … وخَصِيمًا أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ

وَيُرْوى: «ذا مِغْلاقِ» فيما قالَ ابنُ هِشامٍ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، وهُوَ الألَنْدَدُ.

قالَ الطِّرِمّاحُ بنُ حَكِيمٍ الطّائِيُّ يَصِفُ الحِرْباءَ:

يُوفِي على جِذْمِ الجُذُولِ كَأَنَّهُ … خَصْمٌ أَبَرَّ على الخُصُومِ أَلَنْدَدُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ تَعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ أي: خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ أي: لا يُحِبُّ عَمَلَهُ ولا يَرْضاهُ،

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦ - ٢٠٧]؛ أي: قَدْ شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مِن الله بِالجِهادِ في سَبِيلِهِ، والقِيامِ بِحَقِّهِ، حَتّى هَلَكُوا على ذلك؛ يَعْنِي: تِلْكَ السَّرِيّةَ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَشْرِي نَفْسَهُ: يَبِيعُ نَفْسَهُ، وشَرَوْا: باعُوا. قالَ يَزِيدُ بنُ رَبِيعةَ بنِ مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيُّ:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ

بُرْدٌ: غُلامٌ لَهُ باعَهُ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وشَرى أَيْضًا: اشْتَرى.

قالَ الشّاعِرُ:

فَقُلْتُ لَهَا: لا تَجْزَعِي أُمَّ مالِكٍ ... على ابنَيْكَ إنْ عَبْدٌ لَئِيمٌ شَراهُما

[شِعْرُ خُبَيْبٍ حِينَ أُرِيدَ صَلْبُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا قِيلَ في ذلك مِن الشِّعْرِ، قَوْلُ خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ القَوْمَ قد اجْتَمَعُوا لِصَلْبِهِ:

ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لَهُ ـ

لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزابُ حَوْلِي وأَلَّبُوا ... قَبائِلَهُمْ واسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي العَداوةِ جاهِدٌ ... عَلَيَّ لِأَنِّي في وِثاقٍ بِمَضْيَعِ
وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْناءَهُمْ ونِساءَهُمْ ... وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إلى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وما أَرْصَدَ الأَحْزابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي

فَذا العَرْشِ، صَبِّرْنِي على ما يُرادُ بِي ... فقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وقَدْ ياسَ مَطْمَعِي
وَذلِـكَ في ذاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَـأْ ... يُبـارِكْ على أوْصالِ شِـلْوٍ مُمَزَّعِ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الكُفْرَ والمَوْتُ دُونَهُ ... وقَدْ هَمَلَتْ عَيْناي مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ
وَمـا بِي حِذارُ المَـوْتِ، إنِّي لَمَيِّتٌ ... ولَكِنْ حِـذارِي جَحْمُ نار ملفّعِ
فواللهِ مـا أرْجُو إذا مِتُّ مُسْـلِمًا ... على أيِّ جَنْبٍ كانَ في اللهِ مَصْرَعِي
فَلَسْـتُ بِمُبْـدٍ لِلْعَـدُوِّ تَخَشُّـعًا ... ولا جَـزَعًا إنِّي إلى اللهِ مَرْجِـعِي

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ خُبَيْبٍ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا:

ما بـالُ عَيْنِكِ لا تَرْقـا مَدامِعُها ... سَحًّا على الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ القَلِقِ؟
على خُبَيْبٍ فتى الفِتْيانِ قَدْ عَلِمُوا ... لا فشِـلٍ حِـينَ تَلْقـاهُ ولا نَزِقِ
فاذْهَبْ خُبَيْبُ جَـزاكَ اللهُ طَيِّبَةً ... وجَنَّةَ الخُلْدِ عِنْدَ الحُـورِ في الرُّفُقِ
ماذا تَقُولُونَ إنْ قـالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... حِينَ المَلائِكَـةُ الأبْرارُ في الأُفُقِ
فيـمَ قَتَلْتُـمْ شَـهِيدَ اللهِ في رَجُلٍ ... طاغٍ قَدَ اوْعَثَ في البُلْدانِ والرُّفَقِ؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «الطُّرُقِ». وتَرَكْنا ما بَقِيَ مِنْها؛ لِأنَّهُ أقْذَعَ فيها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَبْكِي خُبَيْبًا:

يا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ ... وابْكِي خُبَيْبًا مَعَ الفِتْيانِ لَمْ يَؤُبِ
صَقْرًا تَوَسَّـطَ في الأنْصارِ مَنْصِبُهُ ... سَمْحَ السَّجِيّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ
قَدْ هـاجَ عَيْنِي على عِلّاتِ عَبْرَتِها ... إذْ قيل: نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخشبِ
يا أيها الرّاكِـبُ الغـادِي لِطِيَّتِهِ ... أبْلِغْ لَدَيْكَ وعِيـدًا لَيْسَ بِالكَذِبِ
بَنِي كُهَيْبَةَ أنَّ الحَـرْبَ قَدْ لَقِحَتْ ... مَحْلُوبُها الصّابُ إذْ تُمْرى لَمُحْتَلِبِ
فيها أُسُـودُ بَنِي النَّجّـارِ تَقْدُمُهُمْ ... شُهْبُ الأسِنّةِ في مَعْصَوْصِبٍ لَجِبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ القَصِيدةُ مِثْلُ الَّتِي قَبْلَها، وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهُما لِحَسّانَ، وقَدْ تَرَكْنا أشْياءَ قالَها حَسّانُ في أمْرِ خُبَيْبٍ؛ لِما ذَكَرْتُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

لَوْ كانَ في الدّارِ قَــرْمٌ ماجِدٌ بَطَلٌ ... ألْوى مِن القَــوْمِ صَقْرٌ خالُهُ أنَسُ
إذَنْ وجَدْتَ خُبَيْبًا مَجْلِسًا فسِحًا ... ولَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السِّجْنُ والحَرَسُ
وَلَمْ تَسُــقْكَ إلى التَّنْعِيــمِ زِعْنِفةٌ ... مِن القَبائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدُسُ
دَلَّوْكَ غَدْرًا وهُمْ فيها أُولُو خُلُفٍ ... وأنْتَ ضَيْمٌ لَهــا في الدّارِ مُحْتَبَسُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنَسٌ: الأصَمُّ السُّلَمِيُّ: خالُ مُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ ابن عَبْدِ مَنافٍ.

وقَوْلَهُ: «مَنْ نَفَتْ عُدُسُ»؛ يَعْنِي: حُجَيْرَ بنَ أبي إهابٍ، ويُقالُ: الأعْشى ابنُ زُرارةَ بنِ النَّبّاشِ الأسَدِيُّ، وكانَ حَلِيفًا لِبَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ.

[مَن اجْتَمَعُوا لِقَتْلِ خُبَيْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ الَّذينَ أجْلَبُوا على خُبَيْبٍ في قَتْلِهِ حِينَ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ: عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وسَعِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدٍّ، والأخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ الثَّقَفي، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ، وعُبَيْدةُ بنُ حَكِيمِ بنِ أُمَيّةَ ابنِ حارِثَةَ بنِ الأوْقَصِ السُّلَمِيُّ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وأُمَيّةُ ابنُ أبي عُتْبةَ، وبَنُو الحَضْرَمِيِّ.

[شِعْرُ حَسّانَ في هِجاءِ هُذَيْلٍ لِقَتْلِهِمْ خُبَيْبًا]

وَقالَ حَسّانُ أيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا فيما صَنَعُوا بِخُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ:

أبْلِــغْ بَنِي عَمْــرٍو بِــأَنَّ أخاهُمُ شَراه امرؤٌ قــد كانَ لِلْغَدْرِ لازِما
شَراهُ زُهَــيْرُ بــنُ الأغَــرِّ وجامِعٌ وكانــا جَمِيعًا يَرْكَبــانِ المَحارِما
أجَرْتُمْ فلَمّــا أنْ أجَرْتُمْ غَدَرْتُمُ وكُنْتُــمْ بِأكْنافِ الرَّجِيــعِ لَهاذِما
فَلَيْــتَ خُبَيْبًــا لَمْ تَخُنْــهُ أمانةٌ ولَيْــتَ خُبَيْبًــا كانَ بِالقَوْمِ عالِما

قالَ ابنُ هِشامٍ: زُهَيْرُ بنُ الأغَرِّ وجامِعٌ: الهُذَلِيّانِ اللَّذانِ باعا خُبَيْبًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

إنْ سَرَّكَ الغَدْرُ صِرْفًا لا مِزاجَ لَهُ فأْتِ الرَّجِيعَ فسَلْ عَنْ دارِ لِحْيانِ
قَــوْمٌ تَواصَوْا بِأكْلِ الجــارِ بَيْنَهُمُ فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنْسانُ مِثْلانِ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قامَ يَخْطُبُهُمْ وكانَ ذا شَرَفٍ فيهِــمْ وذا شــانِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ قَوْلَهُ:

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قامَ يَخْطُبُهُمْ وكانَ ذا شَرَفٍ فيهِــمْ وذا شــانِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

ســالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِما سالَتْ ولَمْ تُصِبِ
سالُوا رَسُــولَهُمُ ما لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ حَتّى المَماتِ، وكانُوا سُبَّةَ العَرَبِ
وَلَــنْ تَــرى لِهُذَيْلٍ داعِيًــا أبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمةٍ عَنْ مَنْزِلِ الحَرَبِ
لَقَدْ أرادُوا خِلالَ الفُحْشِ ويْحَهُمُ وأنْ يُحِلُّــوا حَرامًا كانَ في الكُتُبِ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

لَعَمْرِي لَقَدْ شانَتْ هُذَيْلَ بنَ مُدْرِكٍ أحادِيثُ كانَــتْ في خُبَيْبٍ وعاصِمِ
أحادِيــثُ لِحْيانٍ صَلَــوْا بِقَبِيحِها ولِحْيــانُ جَرّامُــونَ شَرَّ الجَرائِــمِ
أُناسٌ هُمُ مِــنْ قَوْمِهِمْ في صَمِيمِهِمْ بِمَنْزِلَــةِ الزَّمْعــانِ دُبْــرَ القَوادِمِ

هُمُ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وأَسْلَمَتْ أمانَتُهُـمْ ذا عِفَّـةٍ ومَـكارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ الله غَدْرًا ولَمْ تَكُنْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَـراتِ المَحارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمُ بِقَتْلِ الَّذي تَحْمِيـهِ دُونَ الحَرائِمِ
أبابِيـلُ دَبْرٍ شُـمَّسٍ دُونَ لَحْمِهِ حَمَتْ لَحْمَ شَـهّادٍ عِظامَ المَلاحِمِ
لَعَلَّ هُذَيْـلًا أنْ يَـرَوْا بِمصابِهِ مَصارِعَ قَتْـلى أوْ مَقامًـا لِمَأْتَمِ
وَنُوقِـعَ فيهِمْ وقْعَـةً ذاتَ صَوْلَةٍ يُوافي بِها الرُّكْبانُ أهْلَ المَواسِـمِ
بِأمْـرِ رَسُـولِ الله إنَّ رَسُـولَهُ رَأى رَأْيَ ذِي حَزْمٍ بِلِحْيانَ عالِمِ
قُبَيِّلَـةٌ لَيْـسَ الوَفـاءُ يُهِمُّهُـمْ وإنْ ظُلِمُـوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظالِمِ
إذا النّاسُ حَلُّوا بِالفَضاءِ رَأيْتَهمْ بِمَجْرى مَسِيلِ الماءِ بَيْنَ المَخارِمِ
مَحَلُّهُـمُ دارُ البَـوارِ ورَأْيُهُـمْ إذا نابَهُـمْ أمْـرٌ كَـرَأْيِ البَهائِمِ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَهْجُو هُذَيْلًا:

لَحى الله لِحْيانًا فلَيْسَـتْ دِماؤُهُمْ لَنـا مِـنْ قَتِيـلَيْ غَـدْرَةٍ بِوَفاءِ
هُمُو قَتَلُوا يَـوْمَ الرَّجِيعِ ابنَ حُرَّةٍ أخـا ثِقَـةٍ في وُدِّهِ وصَفـاءِ
فَلَـوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيـعِ بِأسْرِهِمْ بِـذِي الدَّبْرِ ما كانُـوا لَهُ بِكِفاءِ
قَتِيلٌ حَمَتْـهُ الدَّبْرُ بَـيْنَ بُيُوتِهِمْ لَدى أهْـلِ كُفْرٍ ظاهِـرٍ وجَفاءِ
فَقَـدْ قَتَلَتْ لِحْيانُ أكْـرَمَ مِنْهُمُ وباعُـوا خُبَيْبًـا ويْلَهُـمْ بِلَفاءِ
فَـأُفٍّ لِلِحْيـانٍ على كُلِّ حالَـةٍ على ذِكْرِهِمْ في الذِّكْـرِ كُلَّ عَفاءِ
قُبَيِّلَةٌ بِاللُّـؤْمِ والغَـدْرِ تَغْتَرِي فلَمْ تُمْـسِ يَخْفى لُؤْمُهـا بِخَفاءِ
فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تُـوفِ مِنْهُ دِماؤُهُمْ بَـلى إنَّ قَتْـلَ القاتِلِيهِ شِـفائِي
فإلّا أمُـتْ أذْعَرْ هُذَيْـلًا بِغارَةٍ كَغـادِي الجَهامِ المُغْتَـدِي بِإفاءِ

بِأمْــرِ رَسُــولِ اللهِ والأمْــرُ أمْرُهُ يَبِيــتُ لِلحْيــانَ الخَنــا بِفِنــاءِ
يُصَبِّــحُ قَوْمًــا بِالرَّجِيــعِ كَأنَّهُمْ جِداءُ شِــتاءٍ بِــتْنَ غَــيْرَ دِفاءِ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

فَــلا واللهِ، مــا تَــدْرِي هُذَيْلٌ أصافٍ مــاءُ زَمْزَمَ أمْ مَشُــوبُ؟
وَلا لَهُــمُ إذا اعْتَمَــرُوا وحَجُّوا مِن الحِجْرَيْنِ والمَسْــعى نَصِيبُ
وَلَكِــنَّ الرَّجِيــعَ لَهُــمْ مَحَــلٌّ بِــهِ اللُّــؤْمُ المُبَــيَّنُ والعُيُــوبُ
كَأنَّهُــمُ لَدى الكَنّــاتِ أُصْــلًا تُيُــوسٌ بِالحِجــازِ لَهــا نَبِيــبُ
هُــمُ غَــرّوا بِذِمَّتِهِــمْ خُبَيْبًــا فبِئْسَ العَهْــدُ عَهْدُهُم الكَذُوبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: آخِرُها بَيْتًا عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ.

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ خُبَيْبٍ وأصْحابِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا وأصْحابَهُ:

صَــلّى الإلَهُ على الَّذيــنَ تَتابَعُوا يَــوْمَ الرَّجِيــعِ فأُكْرِمُــوا وأُثِيبُوا
رَأْسُ السَّرِيّــةِ مَرْثَــدٌ وأمِيرُهُمْ وابنُ البُكَــيْرِ إمامُهُــمْ وخُبَيْبُ
وابنٌ لِطــارِقَ وابنُ دَثْنــةَ مِنْهُمُ وافــاهُ ثَــمَّ حِمامُــهُ المَكْتُــوبُ
والعاصِــمُ المَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَــبَ المَعــالِيَ إنَّهُ لَكَسُــوبُ
مَنَــعَ المَقــادةَ أنْ ينالُــوا ظَهْرَهُ حَــتّى يُجــالِدَ إنَّــهُ لَنَجِيــبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

حَــتّى يُجَدَّلَ إنَّــهُ لَنُجِيبُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانَ.

وذَكَرَ أنّ حُجَيْرَ بنَ أبي إهابٍ هُوَ الّذِي اشْتَرى خُبَيْبًا، وكانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الحارِثَ بنَ نَوْفَلٍ أخا حُجَيْرٍ لِأُمّهِ، وقالَ مَعْمَرُ بنُ راشِدٍ: اشْتَرى خُبَيْبًا بَنُو الحارِثِ بنِ نَوْفَلٍ لِأنّهُ قَتَلَ أباهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، والمَعْنى قَرِيبٌ مِمّا ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ.

وقوله: «ماوِيّة مولاة حُجَيْرٍ» بالواوِ رَواهُ يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ عن ابن إسْحاقَ، ورَواهُ غَيْرُهُ عَنِ ابنِ إسْحاقَ: مارِيّةُ بِالرّاءِ، وبالواوِ وقَعَ في النُّسَخِ العَتِيقةِ مِنْ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ، كَما رَواهُ ابنُ بُكَيْرٍ، وقَدْ تَكَلّمْنا عَلى اشْتِقاقِ هَذا الِاسْمِ في صَدْرِ [هَذا][1] الكِتابِ[2]، فأغْنى عَنْ إعادَتِهِ، وذَكَرْنا أنّ المارِيَةَ بِالتّخْفِيفِ هي البَقَرةُ، وبِتَشْدِيدِ الياءِ: هي القَطاةُ المَلْساء[3].

وأمّا الغُلامُ الّذِي أعْطَتْهُ المُدْيةَ فقِيلَ: هُوَ أبُو حُسَين بنُ الحارِثِ بنِ عَدِيٍّ ابنِ نوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، قالَهُ الزُّبَيْرُ، وهُوَ جَدُّ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ أبِي حُسَيْنٍ[4] الّذِي يَرْوِي عَنْهُ مالِكٌ في «المُوَطّأ».

وَذَكَرَ أنّ أبا مَسَرّةَ هُوَ الّذِي طَعَنَ خُبَيْبًا في الخشبة، وهو أبو مَسَرّة بنُ عَوْفِ بنِ السّبّاقِ بنِ عبدِ الدّارِ، والّذِي طَعَنَهُ مَعَهُ عُقْبةُ بنُ الحارِثِ، يُكَنّى: أبا سِرْوَعةَ، ويُقالُ: إنّ أبا سِرْوَعةَ وعُقْبةَ أخَوانِ أسْلَما جَمِيعًا[5]، ولِعُقْبةَ بنِ الحارِثِ حَدِيثٌ واحِدٌ في الرَّضاعِ وشَهادةِ امْرَأةٍ واحِدةٍ فيهِ، وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: (١: ١٣٧).

(٣) انظر: (١: ١٣٧).

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين النوفلي المكي، روى عن طاوس، وعطاء، وعكرمة، وعنه: شعبة ومالك، وسفيان بن عيينة، وثّقه أحمد وأبو زرعة. «تهذيب الكمال» (١٥: ٢٠٦). (ج)

(٥) انظر: «أسد الغابة» (٦: ١٣٦).

في الصِّحاحِ[١]، فيهِ أنّهُ قالَ: تَزَوّجْتُ بِنْتَ [أبِي][٢] إهابِ بنِ عَزيزٍ، فجاءَتِ امْرَأَةٌ سَوْداءُ فقالَتْ: إنّي قَدْ أرْضَعْتُكُما، وذَكَرَ الحَدِيثَ، وزادَ فيهِ الدّارَقُطْنِيّ[٣] قالَ: جاءَتِ امْرَأَةٌ سَوْداءُ تَسْأَلُ، فلَمْ نُعْطِها شَيْئًا، فقالَتْ: [إنّي][٤] واللهِ قد أرْضَعْتُكُما، فذَكَرَ ذَلِكَ لرسولِ الله ﷺ وقالَ: إنّها كاذِبةٌ يا رَسُولَ اللهِ، فقالَ لَهُ النبي ﷺ: «كَيْفَ وقَدْ قِيلَ؟». فطَلّقَها، ونَكَحَتْ ضريبَ بنَ الحارِثِ، فوَلَدَتْ لَهُ أُمّ قِتالٍ، وهي امْرَأَةُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وأُمُّ ابنَيهِ مُحَمّدٍ ونافِعِ ابني جُبيرٍ، واسْمُ هذه المرأة التي طلّقها عُقبة: غَنِيّةُ، وتُكَنّى أُمَّ يَحيى، ذَكَرَ اسْمَها أبُو الحَسَنِ الدّارَقُطْنِيّ في «المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ»[٥]، ولَمْ يَذْكُرْهُ أبُو عُمَرَ في «كِتابِ النّساءِ»، ولا كَثِيرٌ مِمّنْ ألّفَ في علم الحَدِيثِ[٦].

وَذَكَرَ قِصّةَ عاصِمٍ حِينَ حَمَتْهُ الدّبْرُ فلم يُقْدَر عليه. الدَّبْرُ ههُنا: الزَّنابِيرُ، وأمّا الدِّبْرُ فصِغارُ الجَرادِ، ومِنْهُ يُقالُ مالٌ دِبْرٌ؛ قالَهُ أبُو حَنِيفةَ[٧]، قالَ: وقَدْ يُقالُ [لِلنّحْلِ][٨] أيْضًا: دَبْرٌ بِالفَتْحِ، وواحِدَتُها دَبْرةٌ، قالَ: ويُقالُ لَهُ: خَشْرَمٌ، ولا واحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، هَذِهِ رِوايةُ أبِي عُبَيْدٍ[٩] عَنِ الأصْمَعِيّ، ورواية غيره عنه أن

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الشهادات: (٥: ٢٦٨)، وانظر: «تحفة الأشراف» للمزي: (٧: ٣٧٨).
(٢) ليس في (ب).
(٣) «سنن الدارقطني»، كتاب الرضاع: (٤: ١٧٥-١٧٧).
(٤) ليس في (ب).
(٥) «المؤتلف والمختلف» (٣: ١٦٥٦).
(٦) انظر «أسد الغابة» (٧: ٤١٠).
(٧) «النبات» (ص: ٢٧٠-٢٧١).
(٨) ليس في (ب).
(٩) في «النبات»: «أبي عبيدة». والصواب ما أثبت، وأبو عبيد القاسم بن سلام يروي عن الأصمعي وعن أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى، وكانا شيخين في عصرهما يؤخذ عنهما.

واحدَه: خَشْرَمةٌ[١]. والثَّوْل جَماعةُ النَّحْلِ أيْضًا، ولا واحِدَ لَها، وكَذَلِكَ النُّوبُ واللُّوبُ. ومِنَ اللُّوبِ: حَدِيثُ زَبّان[٢] بنِ قِسْوَر، قالَ: رَأيْتُ النّبيّ ﷺ وهُوَ نازِلٌ بِوادِي الشوحطِ فكَلّمْته، فقُلت: يا رَسُولَ اللهِ، إنّ لُوبًا لَنا[٣] ـ يعني نحلًا ـ كانَتْ في عَيْلَمٍ لَنا له[٤] طِرْمٌ وشَمْعٌ[٥]، فجاء رجلٌ فضربَ ميتين فأنتجَ حيًّا، وكفّنهُ بالثُّمام[٦] ـ يعني نارًا مِنْ زَنْدَيْنِ ـ ونحسهُ ـ يَعْنِي: دَخّنَهُ ـ فطارَ اللُّوبُ هاربًا، ودلى مشواره[٧] في العَيْلم، فاشْتارَ العَسَلُ، فمَضى بِهِ، فقالَ رسول الله ﷺ: «مَلعُونٌ مَلعُونٌ مَنْ سَرَقَ شَوْرَ[٨] قومٍ فأضَرّ بِهِمْ، أفَلا تَبِعْتُمْ أثَرَهُ، وعَرَفْتُمْ خَبَرَهُ؟» قالَ: قُلت: يا رَسُولَ اللهِ، إنّهُ دَخَلَ في قَوْمٍ لَهُمْ مَنَعةٌ، وهُمْ جِيرتُنا مِنْ هُذَيْلٍ، فقالَ رسول الله ﷺ: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِد نَهرَ الجَنّةِ، وإنّ سَعَتَهُ كَما بَيْنَ اللقيقةِ والسحيقةِ[٩]، يَتَسَبْسَبُ جَرْيًا بِعَسَلٍ صافٍ من قذاهُ ما تقيّأه لُوبٌ ولا مجّه نُوبٌ».

فالعَيْلم البئر، وأراد بها هاهنا وَقْبةَ النّحلِ أوِ الخَلِيّةَ[١٠]، وقَدْ يُقالُ لِمَوْضِعِ النّحْلِ إذا كانَ صَدْعًا في جَبَلٍ: شِيقٌ، وجَمْعُهُ: شِيقانٌ، ويُقالُ لِكُلّ دُخانٍ:

(١) انظر: «النبات» (ص: ٢٧٠).

(٢) حديث زبان في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ١٠٨٥-١٠٨٦).

(٣) في النسخ: «إن معنا لوبًا لنا»، والمثبت عن «المؤتلف».

(٤) في غير (ج)، (ص): «به طرم». والطرم بفتح الطاء وكسرها: العسل.

(٥) في «المؤتلف»: «وشِبرق»، وهو نبت.

(٦) الثمام: نبت ضعيف.

(٧) المشوار: عود يُجمع به العسل.

(٨) في (ج): «شرد»، وفي غيرها: «شرو». ولم أجده، ولعل الصواب ما أثبت، والشَّور: العسل المشور، أي: المستخرج من الخلية. وفي «المؤتلف»: «شبرق قوم».

(٩) لم أجدهما.

(١٠) في (ف): «والخلية».

نُحاسٌ، ولا يُقالُ: إيّامٌ إلّا لِدُخانِ النّحْلِ خاصّةً، يُقالُ: آمَها يؤُومُها: إذا دَخَّنَها، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أنّ خُبَيْبًا أوّلُ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ. قَوْلُهُ هَذا يَدُلُّ على أنّهُما سُنّةٌ جارِيةٌ، وكَذَلِكَ فعَلَهُما حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ الأدْبَرِ[1] حِينَ قَتَلَهُ مُعاوِيةُ رَحِمه اللهُ تعالى، وذَلِكَ أنّ زِيادًا كَتَبَ مِنَ البَصْرةِ إلى مُعاوِيةَ يَذْكُرُ أنّ حُجْرًا وأصْحابَهُ قَدْ خَرَجُوا عَلى السُّلطانِ، وشَقُّوا عَصا المُسْلِمِينَ، ووَجّهَ مَعَ الكِتابِ بِصَكٍّ فيهِ شَهادةُ سَبْعِينَ رَجُلًا، فيهِمْ[2] الحَسَنُ بنُ أبِي الحَسَنِ البَصْرِيُّ وابنُ سِيرِينَ والرّبِيعُ بنُ زِيادٍ وجَماعةٌ مِنْ عِليةِ التّابِعِينَ ذَكَرَهُم الطّبَرِيّ[3] يَشْهَدُونَ بما قالَ زِيادٌ مِنْ خُرُوجِ حُجْر بنِ عَدِيٍّ عَلَيْهِ، وكانَ حُجْرٌ شَدِيدَ الإنْكارِ لِلظُّلم، غَلِيظًا عَلى الأُمَراءِ، وأنْكَرَ عَلى زِيادٍ أُمُورًا مِنَ الظُّلمِ، فخَرَجَ عَلَيْهِ، ولَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ الخُرُوجَ عَلى مُعاوِيةَ، فَلَمّا حُمِلَ حُجْرٌ إلى مُعاوِيةَ في خَمْسةٍ مِنْ أصْحابِهِ قالَ لَهُ: السَّلامُ عَلَيْك يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فقالَ مُعاوِيةُ: أوأنا لِلمُؤْمِنينَ أمِيرٌ؟! ثُمّ أمَرَ بِقَتْلِهِ، فعِنْدَ ذَلِكَ صَلّى حُجْرٌ الرّكْعَتَيْنِ، ثُمّ لَقِيَ مُعاوِيةُ عائِشةَ رضي الله عنها بالمدينة، فقالت له: أما اتّقَيْتَ اللهَ يا مُعاوِيةُ في حُجْر بنِ عَدِيّ وأصْحابِهِ؟ فقالَ: أوَأنا[4] قَتَلتُهم؟ إنّما قَتَلَهُمْ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ، فَلَمّا أكْثَرَتْ عَلَيْهِ قالَ لَها:

---

(١) في النسخ: «بن الأدبر». والأدبر لقب أبيه. انظر: «أسد الغابة» (١: ٤٦١)، و«سير أعلام النبلاء» (٣: ٤٦٢-٤٦٧)، والخبر فيهما.

(٢) في (ص): «فيهم شهادة الحسن».

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٥: ٢٦٨-٢٧٠).

(٤) في (ف): «وأنا».

دَعِينِي وحُجْرًا فإنّي مُلاقِيهِ غَدًا عَلى الجادّةِ، قالَتْ: فَأَيْنَ عَزَبَ عَنْك حِلْمُ أَبِي سُفْيانَ؟ فقالَ: حِينَ غابَ عَنِّي مِثلُك من قَوْمي.

وَإنّما صارَ فِعْلُ خُبَيْبٍ سُنّةً حَسَنةً، والسُّنّةُ إنّما هي أَقْوالٌ مِنْ رسول الله ﷺ وأفْعالٌ وإقْرارٌ؛ لِأَنّهُ فعَلَها في حياةِ رسول الله ﷺ، فاستحسنَ ذلك من فعله، واستحسَنهُ المسلمون، مَعَ أنّ الصّلاةَ خَيْرُ ما خُتِمَ بِهِ عَمَلُ العبدِ، وقَدْ صَلّى هاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ أَيْضًا زَيْدُ بنُ حارِثةَ مَوْلى رسول الله ﷺ، وذَلِكَ في حَياتِهِ عَلَيْهِ السّلامُ.

حَدّثَنا أَبُو بَكْرِ بنُ طاهِرٍ الإشْبِيلِيُّ، قالَ: حدثنا أَبُو عَلِيّ الغَسّانِيّ، قالَ: حدثنا أبو عُمرَ النَّمَريُّ، قالَ: حدثنا أَبُو القاسِمِ عبدُ الوارِثِ بنُ سُفْيانَ بنِ جَبْرُون، قالَ: حدثنا أَبُو مُحَمّدٍ قاسِمُ بنُ أَصْبَغَ، قالَ: حدثنا أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي خَيْثَمةَ، حدثنا ابنُ مَعِينٍ، قالَ: حدثنا يَحْيى بنُ عبدِ اللهِ بنِ بُكَيْرٍ المِصْرِيّ، قالَ: حدثنا اللّيْثُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: بَلَغَنِي أَنّ زَيْدَ بنَ حارِثةَ اكْتَرى من رجُلٍ بَغْلًا مِنَ الطّائِفِ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ الكَرِيُّ أَنْ يُنْزِلَهُ حَيْثُ شاءَ، قالَ: فمالَ بِهِ إلى خَرِبةٍ، فقال له: انزِلْ فنزل، فإذا في الخَرِبةِ قَتْلى كَثِيرةٌ، قالَ: فلَمّا أرادَ أَنْ يَقْتُلَهُ قالَ له: دَعْنِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قالَ: صَلِّ فقَدْ صَلّى قَبْلَك هَؤُلاءِ فلَمْ تَنْفَعْهُمْ صَلاتُهُمْ شَيْئًا، قالَ: فلَمّا صَلّيْتُ أتانِي لِيَقْتُلَنِي، قالَ: فَقُلت: يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، قالَ: فسَمِعَ صَوْتًا: لا تَقْتُلْهُ، قالَ: فهابَ ذَلِكَ فخَرَجَ يَطْلُبُ فلَمْ يَرَ شَيْئًا، فرَجَعَ إلَيّ، فنادَيْت: يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، ففَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثًا، فإذا أنا بِفارِسٍ على فَرَسٍ بِيَدِهِ حَرْبةُ حَدِيدٍ في رَأْسِها شُعْلةٌ مِنْ نار، فطَعَنَهُ بِها، فأَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فوَقَعَ مَيّتًا، ثُمّ قالَ [لي][1]: لمّا دَعَوْتَ المَرّةَ[2] الأُولى: يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ كُنْتُ في السّماءِ

---

(١) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٢) في (ص): «الدعوة»، وفي (ج): «لما دعوت الله».

السّابعةِ، فلَمّا دَعَوْتَ المَرّةَ الثّانيةَ: يا أرْحَمَ الرّاحِمِينَ، كُنْتُ في السّماءِ الدّنْيا، فلَمّا دَعَوْتَ المَرّةَ الثّالِثةَ: يا أرْحَمَ الرّاحِمِينَ أتَيْتُك.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ ما أنْزَلَ اللهُ في خَبَرِ خُبَيْبٍ وأصْحابِهِ مِنْ قَوْلِ المُنافِقِينَ فيهِمْ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾... الآيات [البقرة: ٢٠٤-٢٠٧]، وأكْثَرُ أهْلِ التّفْسِيرِ عَلى خِلافِ قَوْلِهِ وأنّها نَزَلَتْ في الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ [الثّقَفيّ، رَواهُ أبُو مالِكٍ عَن ابنِ عَبّاسٍ، وقالَهُ مُجاهِدٌ، وقالَ ابنُ الكَلبيّ: كُنْتُ بِمَكّةَ، فسُئِلتُ عَنْ هَذِهِ الآية، فقلت: نَزَلَتْ في الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ][1]، فسَمِعَنِي رَجُلٌ مِنْ ولَدِهِ، فقالَ [لِي][2]: يا هَذا، إنّما أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلى أهْلِ مَكّةَ، فلا تُسَمِّ أحدًا ما دُمْتُ فيها، وكَذَلِكَ قالُوا في قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، نَزَلَتْ في صُهَيْبِ بنِ سِنانٍ حِينَ هاجَرَ، وتَرَكَ جَمِيعَ مالِهِ لِقُرَيْشٍ ويَدْعُونَهُ يُهاجِرُ بِنَفْسِهِ إلى اللهِ ورَسُولِهِ.

واسْتَشْهَدَ ابنُ هِشامٍ عَلى تَفْسِيرِ الألَدِّ بِقَوْلِ مُهَلْهِلٍ، قالَ: واسْمُهُ: امْرُؤُ القَيْسِ، ويُقالُ: عَدِيّ، وقَدْ صَرّحَ مُهَلهِلٌ بِاسْمِ نَفْسِهِ في الشّعْرِ الّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ ابنُ هِشامٍ، فقالَ[3]: [من الخفيف]

ضَرَبَتْ صَدْرَها إلَيَّ وقالَتْ   يا عَدِيًّا لَقَدْ وقَتْكَ الأواقي

---

(١) سقط من (ب).

(٢) عن (س)، (ف).

(٣) البيت في «الخزانة» (٢: ١٦٥)، وهو من شواهد النحو. [وهو في «ديوان المهلهل» (ص: ٥٩). (ج)].

وَفيهِ البَيْتُ الَّذِي ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ: [من الخفيف]

إنّ تَحْتَ الأحْجارِ حَزْمًا وجُودًا وخَطيبًا أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ

وَيُرْوى: «مِغْلاقِ» بالغَينِ المُعْجَمةِ، والمِعْلَق والمِعْلاقُ: اللّسانُ، وأمّا المِغْلاقُ، بالغِينِ المعْجَمة: فالقَوْلُ الّذِي يُغْلِقُ فمَ الخَصْمِ ويُسْكِتُهُ. وبعده[1]: [من الخفيف]

حيّة في الوِجارِ أَرْبَدُ لا ينْـ ـفَعُ منها السَّليمَ نفْثُ الرّاقي

وَسُمِّيَ مُهَلهِلًا بِقَوْلِهِ[2]: [من الكامل]

لمّا تَوَقَّلَ في الكُراعِ هَجِينُهُمْ هَلْهَلْتُ أثأرُ مالكًا[3] أوْ صِنْبِلا

«هَلهَلتُ» أيْ: كِدْتُ وقارَبْت، وأمّا الألَدّ فهُوَ مِن اللّدِيدَيْنِ، وهُما جانِبا العُنُقِ، فالألَدُّ الّذِي يُرِيغُ[4] الحُجّةَ مِنْ جانِبٍ إلى جانِبٍ، يُقالُ: تَرَكْتُه يَتَلَدَّدُ.

وقالَ الزَّجّاجُ: الخِصامُ جَمْعُ [خَصْم][5] في هَذِهِ الآيَةِ[6]، ولا يَسْتَقِيمُ أنْ يَكُونَ مَعْناهُ المُخاصَمةَ؛ لِأنّ أفعَلَ الّذِي يُرادُ بِهِ التّفْضِيلُ إنّما يَكُونُ بَعْضَ ما

---

(١) البيت في «الأغاني» (٤: ١٦٩٩).

(٢) البيت في «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٦١)، و«المبهج» لابن جني: (ص: ١٢٩)، و«شرح أبيات مغني اللبيب» (٥: ٧٥). والكراع: أنف ممتد في الحَرّة، وهي أرض ذات حجارة. وتوقل في الكراع: صعد فيها. والهجين: مَن أمُّهُ أَمة. ومالك وصنبل رجلان.

(٣) في النسخ: «وجابرا».

(٤) في (ب)، (س): «يزيغ»، وفي (ج): «يرفع» ولا معنى له، والأقرب إلى الصواب: «يُريغ» بالراء المهملة، والمعنى: أنه يميل بالحجة ولا يسلك طريق الحق لشدة جدله وخصومته.

(٥) عن (ج)، (ص).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: (١: ٢٧٧).

أُضِيفَ إلَيْهِ، تقُولُ: زَيْدٌ أفْصَحُ النّاسِ، ولا تَقُولُ: [زَيْدٌ][١] أفْصَحُ الكَلامِ.

قالَ المؤلِّف [أبو القاسم][٢]: وهَذا الّذِي قالَهُ حَسَنٌ إنْ كانَ «ألَدّ» مِنْ هَذا البابِ الّذِي مُؤَنّثُهُ الفُعْلى، أمّا إنْ كانَ مِنْ بابِ أفْعَل الّذِي مُؤَنّثُهُ فعْلاء، نَحْوُ: أخْرَس وخَرْساء، فالخِصامُ مَصْدَرُ خاصمته، وهُوَ ظاهِرُ قَوْلِ المُفَسِّرِينَ؛ فإنّهُمْ فسَّرُوهُ بالشّدِيدِ الخُصُومةِ، فاللَّدَدُ[٣] إذًا مِنْ صِفةِ المُخاصَمةِ، وإنْ وُصِفَ بِهِ الرّجُلُ مَجازًا، ويُقَوِّي هَذا قَوْلُهُ: «وخَطيبًا[٤] ألَدَّ»، ولَمْ يُضِفْهُ، ولا قالَ: ألَدّ مِنْ كَذا، فجَعَلَهُ مِنْ بابِ أصَمَّ وأشَمَّ ونَحْوِهِ، ويُقَوِّيهِ أيْضًا قَوْلُهُمْ في الجَمْعِ: قَوْمٌ لُدٌّ، رَوَتْ عائِشةُ رضي الله عنها عَنْ رسول الله ﷺ أنّهُ قالَ: «أبْغَضُ الخَلقِ إلى اللهِ تعالى الخَصِمُ الألدُّ»[٥].

وقَرَأ ابنُ مُحَيْصِنٍ: «وَيَشهَدُ اللهُ عَلَىٰ مَا فِى قَلۡبِهِۦ»[٦] [البقرة: ٢٠٤]، بِفَتْحِ الياءِ والهاءِ ورَفْعِ الهاءِ مِنِ اسْمِ اللهِ تبارك وتَعالى؛ أيْ: ويَعْلَمُ اللهُ ما في قلبه.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ ابنُ إسحاق شِعْرَ حَسّانَ في قِصّةِ خُبَيْبٍ، وقَوْلَهُ فيهِ: [من البسيط]

مِنَ القَبائِلِ مِنْهُــم مَنْ نَفَتْ عُدُسُ

(١) ليس في (ب).
(٢) ليس في (ص)، (ج).
(٣) في (ف)، (س): «واللدد».
(٤) نص السيرة: «وخَصيمًا».
(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة البقرة، انظر: «فتح الباري» (٨: ١٨٨).
(٦) «تفسير الطبري» (٢: ٣١٥).

قَوْلُهُ: «مَنْ نَفَتْ عُدُسُ»، يَعْنِي: حُجَيْرَ[١] بنَ أَبِي إهابِ بن عَزيز، وهُوَ يُنسَبُ إلى بَنِي عُدُسِ بنِ زَيْدِ بنِ عبدِ اللهِ بن دارِمِ بنِ مالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ[٢]، ويُقالُ: بَل هُوَ مِنْ بَنِي رَبيعةَ بنِ مالِكِ بنِ حنظلة، ومن هاهنا ذَكَرَ نَفْيَ بَنِي عُدُس لَهُ، مِنْ أَجْلِ الِاخْتِلافِ في نَسَبِهِ. وعُدُس بِضَمِّ الدّالِ في تَمِيمٍ، وهُوَ هَذا، وكُلُّ عُدَس في العَرَبِ سِواهُ فهُوَ[٣] بِفَتْحِ الدّالِ[٤]، وهُوَ مِنْ عَدَسَ في الأَرْضِ إذا ذَهَبَ فيها، واللهُ أَعْلَمُ، فمِنَ المَفْتُوحِ الدّالِ عُدَس بنُ عُبَيْدٍ في الأَنْصارِ، ثُمّ في بَنِي النَّجّارِ، وهُوَ جَدُّ أَبِي أُمامةَ أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ، وقَدْ قالَ بعضُ النسّابين في عُدُس بنِ زَيْدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ دارِمٍ الّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ: عُدَس بِفَتْحِ الدّالِ، والأَوّلُ أَعْرَفُ وأَشْهَرُ.

وَذَكَرَ قَوْلَ خُبَيْبٍ حِينَ رَفَعُوهُ في الخَشَبةِ: اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا، فمَنْ رواه «بِدَدًا» بكسر الباء، فهو جمعُ بِدّةٍ، وهي الفرقةُ والقِطعةُ من الشيءِ المُتبَدِّد، ونصبهُ على الحال من المدعُوِّ عليهم، ومن رواه «بَدَدًا» بفتح الباء، فهو مصدرٌ بمعنى التّبدُّد؛ أي: ذَوَي بَدَدٍ. فإنْ قِيلَ: فهَل أُجِيبَتْ فيهِمْ دَعْوةُ خُبَيْبٍ، والدَّعْوةُ على تِلكَ الحالِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ العبدِ مُسْتَجابةٌ؟

قُلنا: أصابَتْ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ في عِلمِ اللهِ أَنْ يَمُوتَ كافِرًا، ومن أسلمَ منهم فلم يَعْنِه خُبَيْبٌ ولا قَصَدَهُ بِدُعائِهِ، ومَنْ قُتِلَ [مِنْهُمْ][٥] كافِرًا بَعْدَ هَذِهِ الدّعْوةِ فإنّما قُتِلُوا بَدَدًا غَيْرَ مُعَسْكِرِينَ ولا مُجْتَمِعِينَ كاجْتِماعِهِمْ في أُحُد، وقَبْلَ

---

(١) في غير (أ)، (ج)، (ص): «حجر». انظر: «مغازي الواقدي» (١: ٣٥٧).

(٢) في (ص): «مالك بن عبد الله بن حنظلة». انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٢٢٢، ٢٢٣).

(٣) «فهو» ليست في (ف).

(٤) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٦١٦).

(٥) ليس في (أ).

ذَلِكَ في بَدْرٍ، وإنْ كانَت الخَنْدَقُ بَعْدَ قِصّةِ خُبَيْبٍ فقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ فيها آحادٌ مُتَبَدِّدُونَ، ثُمّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَمْعٌ ولا مُعَسْكَرٌ غَزَوْا فيهِ، فَنَفَذَتِ الدّعْوةُ عَلى صُورَتِها، وفيمَنْ[1] أرادَ خُبَيْبٌ رَحِمَهُ اللهُ، وحاشا لَهُ أنْ يَكْرَهَ إيمانَهُمْ وإسْلامَهُمْ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أشْعارَ حَسّانَ في خُبَيْبٍ وأصْحابِهِ، ولَيْسَ فيها مَعْنًى خَفيٌّ، ولا لَفْظٌ غَرِيبٌ وحْشِيّ فَيُحْتاجَ إلى تفسيره، لكن في بعضها: [من البسيط]

بَنِي كُهَيْبَةَ إنّ الحَـرْبَ قَدْ لَقِحَتْ

جَعَلَ كُهَيْبَةَ كَأنّهُ اسْمٌ علمٌ لِأُمّهِمْ، وهَذا كَما يُقالُ: بَنِي ضَوْطَرى، وبَنِي الغَبْراءِ، وبَنِي دَرْزةَ، قالَ الشّاعِرُ[2]: [من الكامل]

أَوْلادُ دَرْزةَ أَسْلَمُوكَ وطارُوا

وَهَذا كُلُّهُ اسْمٌ لكل من يُسَبُّ، وعِبارةٌ عَن السِّفْلَةِ مِن النّاسِ، وكُهَيْبةُ مِن الكُهْبَةِ، وهي الغُبْرةُ، وهَذا كَما قالُوا: بَنِي الغَبْراءِ، وأَكْثَرُ أشْعارِ حَسّانَ في هَذِهِ القِصّةِ، نالَ فيها مِنْ هُذَيْلٍ؛ لِأَنّهُمْ إخْوةُ القارةِ، والمُشارِكُونَ لَهُمْ في الغَدْرِ

---

(١) (س): «فيمن»، دون عطف.

(٢) هو حبيب بن جَدَرة، ويقال: جُدْرة الهلالي، كذا قال المبرد. وقال الأخفش: الصحيح عندنا ابن خِدرة، بالخاء وكسرها. وهو من شعراء الخوارج، قال: يخاطب زيد بن علي، والبيت في «الكامل» للمبرد: (٣: ١٣٧١)، وصدره:

يا أبا حُسَين والجديرُ إلى بلًى

وفي «اللسان» (درز): «ويقال: أراد به الخياطين، وقد كانوا خرجوا معه فتركوه وانهزموا».

بِخُبَيْبٍ وأصْحابِهِ، وهُذَيلٌ وخُزَيْمةُ أبناءُ مُدْرِكةَ بنِ إلياسَ، وعَضَلُ والقارةُ مِنْ بَنِي خُزَيْمةَ.

وَقَوْلُهُ: «وابنُ طارِق منهم»[١]، حَذَفَ التنوين كما تقدَّم في قوله: [من السريع]

شَـلَّتْ يَدا وحْشِيٍّ مِنْ قاتِلِ

ولَوْ أنّهُ حِينَ حَذَفَ التّنْوينَ نَصَبَ، وجَعَلَهُ كالِاسْمِ الّذِي لا يَنْصَرِفُ، وهُوَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ مَفْتُوحٌ، لكان وجْهًا وقِياسًا صَحِيحًا؛ لِأنّ الخَفْضَ تابِعٌ للتّنْوينِ، فإذا زالَ التّنْوينُ زالَ الخَفْضُ؛ لِئَلّا يَلتَبِسَ بِالمُضافِ إلى ضَمِيرِ المُتَكَلّمِ؛ لِأنّ ضَمِيرَ المُتَكَلّمِ وإنْ كانَ ياءً فقَدْ يُحْذَفُ ويُكْتَفى بِالكِسْرةِ مِنْهُ، وزَوالُ التّنْوينِ في أكْثَرِ ما لا يَنْصَرِفُ إنّما هُوَ لِاسْتِغْناءِ الِاسْمِ عَنْهُ؛ إذْ هُوَ عَلامةُ الِانْفِصالِ عَن الإضافةِ، فكُلُّ اسْمٍ لا تُتَوَهّمُ[٢] فيهِ الإضافةُ لا يَحْتاجُ إلى التّنْوينِ[٣]، لَكِنّهُ إذا لَمْ يُنَوّنْ لَمْ يُخْفَضْ؛ لِما ذَكَرْناهُ مِن التِباسِهِ بِالمُضافِ إلى المُتَكَلِّمِ، وقَدْ تَقَدّمَ في أشْعارِ أُحُدٍ[٤]: [من الوافر]

كَنارِ أبِي حُباحِبَ والظُّبِينا

---

(١) رواية «السيرة» و«الديوان» (١: ١٧٩):

وابنٌ لطارقَ وابــنُ دثنةَ منهمُ

وقد ذكره السهيلي في «الأمالي» (ص: ٢٧) فقال:

زيدُ بنُ دثنــةَ وابنُ طارقَ منهمُ

(٢) في (ف): «يتوهم».

(٣) انظر: «نتائج الفكر» (ص: ٨٦-٨٧، ١٣٤، ١٩٤-١٩٥)، و«الأمالي» (ص: ١٩-٣٩).

(٤) انظر: (٦: ١٣٩).

بِفَتْحِ الباءِ مِنْ حُباحِبَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ، وكانَ حَقُّ كُلِّ عَلَمٍ ألّا يُنَوَّنَ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنِ الإضافةِ، كَما لَمْ يُنَوَّنْ جَمِيعُ أنْواعِ المَعارِفِ، ولَكِنَّهُ نُوِّنَ ما نُوِّن منه للسِّرِّ الَّذي بَيَّنّاهُ في أَسْرارِ ما لا يَنْصَرِفُ مِنَ الأسْماءِ، وقَدْ أَمْلَيْنا في ذَلِكَ جُزءًا[1]، ولَكِنِ الخَفْضُ في طارِقٍ ووَحْشِيٍّ مَرْوِيٌّ، ووَجْهُهُ أَنَّهُ لَمّا كانَ ضَرُورةَ شِعْرٍ، ولَمْ يَكْثُرْ في كَلامِهِمْ، لَمْ يُتْبِعُوا الخَفْضَ فيهِ التَّنْوينَ؛ إذْ لا يُتَوَهَّمُ إضافَتُهُ إلى المُتَكَلِّمِ، إذْ لا يَقَعُ إلّا نادِرًا في شِعْرٍ، فاللَّبْسُ فيهِ بَعِيدٌ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

وابنُ البُكَيْرِ إمامُهُمْ وخُبَيْبُ

أَرْدَفَ حَرْفَ الرَّوِيِّ بِياءٍ مَفْتُوحٍ ما قَبْلَها، وقَدْ تَقَدَّمَ القَوْلُ فيهِ مَرَّتَيْنِ[2].

وخُبَيْبٌ في اللُّغةِ تَصْغِيرُ خِبٍّ، وهو الماكرُ من الرِّجال الخدّاع، ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرَ خاب مِنَ الخببِ، فيَكُونُ مِنْ بابِ تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ، وهُوَ التصغير الَّذي يَنْبَنِي[3] عَلى حَذْفِ الزَّوائِدِ.

وأَمّا هُذَيْلٌ فقالُوا فيه: إنه مصغَّر تصغير التَّرخيم؛ لِأَنَّهُ مِنْ هَوْذَل الرَّجُلُ بِبَوْلِهِ إذا باعَدَ بِهِ، فكَأَنَّهُ تَصْغِيرُ مُهَوْذِلٍ عَلى حَذْفِ الزَّوائِدِ، ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرَ هُذْلُولٍ، وهُوَ التَّلّ الصَّغِيرُ مِن الرَّمْلِ عَلى تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ أَيْضًا.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

سالَتْ هُذَيْلٌ رسول الله فاحِشَةً

---

(١) «أمالي السهيلي» (ص: ١٩-٣٩).

(٢) انظر: (٢: ٦٠)، (٦: ٣٧).

(٣) في (س): «يبتنى».

لَيسَ عَلى تَسْهِيلِ الهَمْزةِ في سألْتُ[١]، ولَكِنّها لُغةٌ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ: تسايَلَ القَوْمُ، ولَوْ كانَ تَسْهِيلًا لَكانَتِ الهَمْزةُ بَيْنَ بَيْنَ، ولَمْ يَسْتَقِمْ وزْنُ الشِّعْرِ بِها؛ لِأنّها كالمُتَحَرِّكةِ، وقَدْ تُقْلَبُ ألِفًا ساكِنةً كَما قالُوا: المِنْساةُ[٢]، ولَكِنّهُ شَيْءٌ لا يُقاسَ عَلَيْهِ، وإذا كانَتْ «سالَ» لُغةً في «سَألَ» فيَلزَمُ أنْ يَكُونَ المُضارِعُ [منه][٣] يَسِيلُ، ولَكِنْ حَكى يُونُسُ: سِلتَ تَسالُ[٤] مِثْلَ خِفْتَ تَخافُ، وهِي[٥] عِنْدَهُ مِنْ ذَواتِ الواوِ، وقالَ الزّجّاجُ[٦]: الرّجُلانِ يَتَسايَلانِ، وقالَ النّحّاسُ [والمُبَرّدُ][٧]: يَتَساوَلانِ، وهُوَ مِثْلُ ما حَكى يُونُسُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «لسان العرب» (سأل).

(٢) الهمز لغة تميم، وأما الألف فلغة الحجاز، وبألف محضة قرأ نافع: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤]، وبهمزة مفتوحة قرأ الباقون. انظر: «الدر المصون» (٩: ١٦٣-١٦٤).

(٣) عن (ص).

(٤) «الكتاب» (٣: ٥٥٥).

(٥) في (ف): «وهو».

(٦) في (ص): «وقال الزجاج والمبرد». وقول المبرد سيأتي مع قول النحاس.

(٧) ليس في (ب)، (ص). وقول المبرد في «المقتضب» (١: ٣٠٣).

حَدِيثُ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ

[بَعْثُ بِئْرِ مَعُونَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بَقِيّةَ شَوّالٍ وذا القَعْدةِ وذا الحِجّةِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ والمُحَرَّمَ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ أصْحابَ بِئْرِ مَعُونَةَ في صَفَرٍ، على رَأْسِ أرْبَعةِ أشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ.

[سَبَبُ إرْسالِهِ]

وَكانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ؛ كَما حَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَن المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الحارِثِ بنِ هِشامٍ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرو بن حزم، وغَيْرُهُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، قالُوا: قَدِمَ أبو بَراءٍ عامِرُ بنُ مالِكِ ابنِ جَعْفَرٍ مُلاعِبُ الأسِنّةِ على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، فعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ الإسْلامَ، ودَعاهُ إلَيْهِ، فلَمْ يُسْلِمْ ولَمْ يَبْعُدْ مِن الإسْلامِ، وقالَ: يا مُحَمَّدُ، لَوْ بَعَثْتَ رِجالًا مِنْ أصْحابِكَ إلى أهْلِ نَجْدٍ، فدَعَوْهُمْ إلى أمْرِكَ، رَجَوْتُ أنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنِّي أخْشى عَلَيْهِمْ أهْلَ نَجْدٍ»، قالَ أبو بَراءٍ: أنا لَهُمْ جارٌ، فابْعَثْهُمْ فلْيَدْعُوا النّاسَ إلى أمْرِكَ.

[رِجالُ البَعْثِ]

فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ المُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو، أخا بَنِي ساعِدَةَ، المُعْنِقَ لِيَمُوتَ

في أرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أصْحابِهِ، مِنْ خِيارِ المُسْلِمِينَ، مِنْهُمُ: الحارِثُ بنُ الصِّمَّةِ، وحَرامُ بنُ مِلْحانَ أخُو بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ، وعُرْوةُ بنُ أسْماءَ بنِ الصَّلْتِ السُّلَمِيُّ، ونافِعُ بنُ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ الخُزاعِيُّ، وعامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، في رِجالٍ مُسَمَّيْنَ مِنْ خِيارِ المُسْلِمِينَ، فسارُوا حتّى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وهِيَ بَيْنَ أرْضِ بَنِي عامِرٍ وحَرّةِ بَنِي سُلَيْمٍ، كِلا البَلَدَيْنِ مِنْها قَرِيبٌ، وهِيَ إلى حَرّةِ بَنِي سُلَيْمٍ أقْرَبُ.

[غَدْرُ عامِرٍ بِهِمْ]

فَلَمّا نَزَلُوها بَعَثُوا حَرامَ بنَ مِلْحانَ بِكِتابِ رَسُولِ الله ﷺ إلى عَدُوِّ الله عامِرِ بنِ الطُّفيلِ، فلَمّا أتاهُ لَمْ يَنْظُرْ في كِتابِهِ حَتّى عَدا على الرَّجُلِ فقَتَلَهُ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ بَنِي عامِرٍ، فأبَوْا أنْ يُجِيبُوهُ إلى ما دَعاهُمْ إلَيْهِ، وقالُوا: لَنْ نُخْفِرَ أبا بَراءٍ، وقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدًا وجِوارًا، فاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبائِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْ عُصَيّةَ ورِعْلٍ وذَكْوانَ، فأجابُوهُ إلى ذلك، فخَرَجُوا حتّى غَشُوا القَوْمَ، فأحاطُوا بِهِمْ في رِحالِهِمْ، فلَمّا رَأوْهُمْ أخَذُوا سُيُوفَهُمْ، ثُمَّ قاتَلُوهُمْ حَتّى قُتِلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ، يَرْحَمُهُم الله، إلّا كَعْبَ بنَ زَيْدٍ، أخا بَنِي دِينارِ ابنِ النَّجّارِ؛ فإنَّهُمْ تَرَكُوهُ وبِهِ رَمَقٌ، فارْتُثَّ مِنْ بَيْنِ القَتْلى، فعاشَ حَتّى قُتِلَ يَوْمَ الخَنْدَقِ شَهِيدًا، رَحِمَهُ الله.

[ابنُ أُمَيّةَ والمُنْذِرُ ومَوْقِفُهُما مِن القَوْمِ بَعْدَ عِلْمِهِما بِمَقْتَلِ أصْحابِهِما]

وَكانَ في سَرْحِ القَوْمِ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ الضَّمْرِيُّ، ورَجُلٌ مِن الأنْصارِ، أحَدُ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ المُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُقْبةَ بنِ أُحَيحةَ بنِ الجُلاحِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمْ يُنْبِئْهُما بِمُصابِ أصْحابِهِما إلّا الطَّيْرُ تَحُومُ على العَسْكَرِ، فقالا: واللهِ إنَّ لِهَذِهِ الطَّيْرِ لَشَأْنًا، فأقْبَلا لِيَنْظُرا، فإذا القَوْمُ في دِمائِهِمْ، وإذا الخَيْلُ الَّتِي أصابَتْهُمْ واقِفةٌ، فقالَ الأنْصارِيُّ لِعَمْرِو بنِ أُمَيّةَ: ما تَرى؟ قالَ: أرى أنْ نَلْحَقَ برَسُولِ اللهِ ﷺ، فنُخْبِرَهُ الخَبَرَ، فقالَ الأنْصارِيُّ: لَكِنِّي ما كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فيهِ المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، وما كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرِّجالُ، ثُمَّ قاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ، وأَخَذُوا عَمْرَو بنَ أُمَيّةَ أسِيرًا، فلَمّا أخْبَرَهُمْ أنَّهُ مِنْ مُضَرَ، أطْلَقَهُ عامِرُ بنُ الطُّفيلِ، وجَزَّ ناصِيَتَهُ، وأعْتَقَهُ عَنْ رَقَبةٍ زَعَمَ أنَّها كانَتْ على أُمِّهِ.

[قَتْلُ العامِرِيَّيْنِ]

فَخَرَجَ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ، حَتّى إذا كانَ بِالقَرْقَرةِ مِنْ صَدْرِ قَناةٍ، أقْبَلَ رَجُلانِ مِنْ بَنِي عامِرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ثُمَّ مِنْ بَنِي كِلابٍ، وذَكَرَ أبو عَمْرٍو المَدَنِيُّ أنَّهُما مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى نَزَلا مَعَهُ في ظِلٍّ هُوَ فيهِ. وكانَ مَعَ العامِرِيَّيْنِ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وجِوارٌ، لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ، وقَدْ سَأَلَهُما حِينَ نَزَلا: مِمَّنْ أنْتُما؟ فقالا: مِنْ بَنِي عامِرٍ. فأمْهَلَهُما، حَتّى إذا ناما عَدا عَلَيْهِما فقَتَلَهُما، وهُوَ يَرى أنَّهُ قَدْ أصابَ بِهِما ثُؤْرةً مِنْ بَنِي عامِرٍ، فيما أصابُوا مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلَمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ، لَأَدِيَنَّهُما!».

[حُزْنُ الرَّسُولِ مِنْ عَمَلِ أبي بَراءٍ]

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: هذا عَمَلُ أبي بَراءٍ، قَدْ كُنْتُ لِهذا كارِهًا مُتَخَوِّفًا. فبَلَغَ ذلك أبا بَراءٍ، فشَقَّ عَلَيْهِ إخْفارُ عامِرٍ إيّاهُ، وما أصابَ أصْحابَ رَسُولِ الله ﷺ بِسَبَبِهِ وجِوارِهِ، وكانَ فيمَنْ أُصِيبَ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ.

[أمْرُ ابنِ فُهَيْرَةَ بَعْدَ مَقْتَلِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني هِشامُ بنُ عُرْوَةَ، عَنْ أبيهِ: أنَّ عامِرَ بنَ الطُّفيلِ كانَ يَقُولُ: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمّا قُتِلَ رَأَيْتُهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، حَتّى رَأَيْتُ السَّماءَ مِنْ دُونِهِ؟ قالُوا: هُوَ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ.

[سَبَبُ إسْلامِ بن سَلْمى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ وقَدْ حَدَّثَني بَعْض بَني جَبّارِ بنِ سَلْمى بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرٍ، قالَ: وكانَ جَبّارٌ فيمَنْ حَضَرَها يَوْمَئِذٍ مَعَ عامِرٍ ثُمَّ أسْلَمَ، قالَ: فكانَ يَقُولُ:

إنَّ مِمّا دَعاني إلى الإسْلامِ أنِّي طَعَنْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالرُّمْحِ بَيْنَ كَتِفَيهِ، فنَظَرْتُ إلى سِنانِ الرُّمْحِ حِينَ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، فسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فُزْتُ واللهِ! فقُلْتُ في نَفْسِي: ما فازَ؟! ألَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرَّجُلَ؟! قالَ: حَتّى سَألْتُ بَعْدَ ذلك عَنْ قَوْلِهِ، فقالُوا: لِلشَّهادةِ، فقلت: فازَ لعمر والله.

خَبَرُ بِئْرِ مَعُونةَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانُوا أرْبَعِينَ رَجُلًا، والصَّحِيحُ أنَّهُمْ كانُوا سَبْعِينَ، كَذا

وقَعَ في «صَحِيحِ البُخارِيّ» و«مُسْلِمٍ»(١).

وذَكَرَ أبا بَراءٍ مُلاعِبَ الأسِنّةِ، وأنّهُ أجارَ أصْحابَ بِئْرِ مَعُونةَ مِنْ أهْلِ نَجْدٍ، وهُوَ عامِرُ بنُ مالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، سُمِّيَ مُلاعِبَ الأسِنّةِ في يَوْمِ سُوبان، وهُوَ يَوْمٌ كانَتْ فيهِ وقِيعةٌ في أيّامِ جَبَلةَ، وهي أيّامُ حَرْبٍ كانَتْ بَيْنَ قَيْسٍ وتَمِيمٍ، وجَبَلةُ اسْمٌ لِهَضْبةٍ عالِيةٍ، [وفي أيام جَبَلةَ كان مولدُ رسول الله ﷺ](٢)، وقَدْ تَقَدّمَ طَرَفٌ مِنْ هَذا الحَدِيثِ في أوّلِ الكِتابِ(٣)، وكانَ سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ في يَوْمِ سُوبانَ مُلاعِبَ الأسِنّةِ أنّ أخاهُ الّذِي يُقالُ لَهُ: فارِسُ قُرْزُل ـ وهُوَ طُفَيْلُ بنُ مالِكٍ، وقَدْ ذَكَرْنا في أوّلِ الكِتابِ(٤) مَعْنى قُرْزُل ـ كانَ أسْلَمَهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ وفَرّ، فقالَ شاعِرٌ(٥): [من الطويل]

فَرَرْتَ وأسْلَمْتَ ابنَ أُمِّك عامِرًا ... يُلاعِبُ أطرافَ الوَشِيجِ المُزَعْزَعِ

فَسُمِّيَ: مُلاعِبَ الرِّماحِ [ومُلاعِبَ الأسِنّةِ، قالَ لَبِيد(٦): [من الرجز]

وأَبِّنا(٧) مُلاعبَ الرِّماحِ](٨) ... ومِدْرَهَ الكَتِيبةِ الرَّداحِ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٨٥)، ومسلم، كتاب المساجد: (١: ٤٦٩).
(٢) عن (ج)، (ص)، ومكانها في (ص) بعد قوله: «في أول الكتاب» الآتي قريبًا.
(٣) انظر: (١: ٢٠١).
(٤) انظر: (٢: ٢٥٧).
(٥) «ديوان أوس بن حجر» (ص: ٥٨). (ج)
(٦) «شرح ديوان لبيد» (ص: ٣٣٢-٣٣٣).
(٧) في النسخ: «وأنني».
(٨) سقط من (س).

وَهُوَ عَمُّ لَبِيدِ بنِ رَبيعةَ، وكانُوا إخْوةً خَمْسةً: طُفَيْلٌ فارِسُ قُرْزل، وعامِرٌ مُلاعِبُ الأسِنّةِ، ورَبِيعةُ المُقْتِرِينَ وهُوَ والِدُ لَبِيدٍ، وعُبَيْدةُ الوَضّاحُ، ومعاوية مُعَوِّدُ الحُكَماءِ، وهو الذي يقول[1]: [من الوافر]

إذا سَقَطَ السّماءُ بِأرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْناهُ وإنْ كانُوا غِضابا

وَفي هَذا الشّعْرِ يَقُولُ[2]: [من الوافر]

يُعَوِّدُ مِثْلَها الحُكَماءَ بَعْدِي ... إذا ما الأمْرُ في الحَدَثانِ نابا

وَبِهَذا البَيْتِ سُمِّيَ[3]: مُعَوِّدَ الحُكَماءِ.

وَإيّاهُمْ عَنى لَبِيدٌ حِينَ[4] قالَ بَيْنَ يَدَيِ النّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ[5]: [من الرجز]

نَحْنُ بَنِي أُمِّ البَنِينَ الأربعه ... المطعِمونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ

والضّارِبُونَ الهامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ ... يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَه

ثُمّ ذَكَرَ الرّبِيعَ بنَ زِيادٍ فقالَ: [من الرجز]

مَهْلًا أبَيْتَ اللّعْنَ لا تأْكُلْ مَعَهْ

إلى آخِرِ الرّجَزِ في خَبَرٍ طَوِيلٍ، وإنّما قالَ: الأرْبَعة، وهُمْ خَمْسةٌ؛ لِأنّ أباهُ رَبيعةَ قَدْ كانَ ماتَ قَبْلَ ذَلِكَ، لا كَما قالَ بَعْضُ النّاسِ، وهُوَ قَوْلٌ يُعْزى إلى الفَرّاءِ أنّهُ قالَ: إنّما قالَ: أرْبَعة، ولَمْ يَقُل: خَمْسة مِنْ أجْلِ القَوافي، فيُقالُ لَهُ: لا يَجُوزُ

---

(١) من قصيدة له في «المفضليات» (ص: ٣٥٩).

(٢) «المفضليات» ٣٥٨)، وفيها: أُعَوِّد... إذا ما ألحق في الأشياع.

(٣) في (ف): «يسمى».

(٤) (ص): «حيث».

(٥) «شرح ديوان لبيد» (ص: ٣٤١-٣٤٣). والمدعدعة: المملوءة. والخيضعة: البيضة التي تُلبس على الرأس.

لِلشّاعِرِ أَنْ يَلحَنَ لِإقامةِ وزْنِ الشِّعْرِ، فكَيْفَ بأَنْ يَكْذِبَ لِإقامةِ الوَزْنِ. وأعْجَبُ مِنْ هَذا أَنّهُ اسْتَشْهَدَ بِهِ عَلى تَأْوِيلٍ فاسِدٍ تَأوّلَهُ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقالَ: أرادَ جَنّةً واحِدةً، وجاءَ بلفظِ التّثنية لتتّفِقَ رؤوسُ الآيِ، أوْ كَلامًا هَذا مَعْناهُ[١]، فصَمِّي صَمامِ[٢]، ما أشْنَعَ هَذا الكَلامَ وأبْعَدَهُ عَن العِلمِ وفَهْمِ القُرْآنِ، وأَقَلَّ هَيْبَةَ قائِلِهِ مِنْ أنْ يَتَبَوّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ، فحَذارِ مِنْهُ حَذارِ!

ومِمّا يَدُلُّك أَنّهُمْ كانُوا أَرْبَعةً حِينَ قالَ لَبِيدٌ هَذِهِ المَقالةَ أنّ في الخَبَرِ ذِكْرَ يُتْمِ لَبِيدٍ وصِغَرِ سِنّه، وأنّ أعْمامَهُ الأَرْبَعةَ اسْتَصْغَرُوهُ أنْ يُدْخِلُوهُ مَعَهُمْ عَلى النُّعْمانِ حِينَ هَمَّهُمْ ما قاوَلَهُمْ بِهِ الرّبِيعُ بنُ زِيادٍ[٣]، فسَمِعَهُمْ لَبِيدٌ يَتَحَدّثُونَ بِذَلِكَ، ويَهْتَمُّونَ لَهُ، فسَأَلَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهُ مَعَهُمْ عَلى النّعْمانِ، وزَعَمَ أَنّهُ سيُفْحِمُه، فتهاوَنُوا بقوله، حَتّى اخْتَبَرُوهُ بأَشْياءَ مَذْكُورةٍ في الخَبَرِ، فبانَ بِهَذا كُلِّهِ أَنّهُمْ كانُوا أرْبَعةً، ولَوْ سَكَتَ الجاهِلُ لَقَلّ الخِلافُ، والحَمْدُ للهِ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ عَنْ هِشامِ بنِ عُرْوةَ عَنْ أبِيهِ أَنَّ عامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ قالَ يَوْمئِذٍ: مَنْ رَجُلٌ[٤] لمّا طَعَنْتُه رُفِعَ حَتّى رَأيْت السّماءَ دُونَه؟ هَذِهِ رِوايةُ البَكّائي عَن ابنِ إسْحاقَ، ورَوى يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ عَنْهُ بِهَذا الإسْنادِ أنّ عامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ قَدِمَ المَدِينةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وقالَ لِلنّبِيّ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يا مُحَمّدُ لمّا طَعَنْتُه رُفِعَ إلى السّماءِ؟ فقالَ: هُوَ عامِرُ بنُ فُهَيْرةَ. ورَوى عبدُ الرّزّاقِ وابنُ المُبارَكِ أنّ عامِرَ ابنَ فُهَيْرةَ التُمِسَ في القَتْلى يَوْمئِذٍ ففُقِدَ، فَيَرَوْنَ أنّ المَلائِكةَ رَفَعَتْهُ أوْ دَفَنَتْهُ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣: ١١٨)، و«أمالي السهيلي» (ص: ١٢٢-١٢٣).

(٢) يقال للداهية: صَمِّي صَمامِ ـ وهي الداهية ـ أي: زيدي.

(٣) انظر الخبر في: «الأغاني» (١٨: ٦٤٧٤-٦٤٧٨).

(٤) في (س): «من رجل منهم يا محمد».

(٥) انظر: «أسد الغابة» (٣: ١٣٧).

[شِعْرُ حَسّانَ في تَحْرِيضِ بَنِي أبي بَراءٍ على عامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يُحَرِّضُ بَنِي أبي بَراءٍ على عامِرِ ابنِ الطُّفيلِ:

بَـنِي أُمِّ البَنِينَ أَلَـمْ يَرُعْكُمْ وأنْتُـمْ مِنْ ذَوائِـبِ أهْلِ نَجْدِ
تَهَكُّـمُ عامِـرٍ بِـأبي بَراءٍ لِيُخْفِـرَهُ؟ وما خَطَـأٌ كَعَمْدِ
ألا أبْلِـغْ رَبِيعةَ ذا المَسـاعِي فما أحْدَثْتَ في الحَدَثانِ بَعْدِي
أبوكَ أبـو الحُرُوبِ أبـو بَراءٍ وخالُكَ ماجِدٌ حَكَمُ بنُ سَعْدِ

[نَسَبُ حَكَمٍ وأُمِّ البَنِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَكَمُ بنُ سَعْدٍ: مِن القَيْنِ بنِ جَسْرٍ، وأُمُّ البَنِينَ: بِنْتُ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، وهِيَ أُمُّ أبي بَراءٍ.

[طَعْنُ رَبِيعةَ لِعامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَمَلَ رَبِيعةُ بنُ عامِرِ بنِ مالِكٍ على عامِرِ بنِ الطُّفيلِ، فطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ، فوَقَعَ في فخِذِهِ، فأشْواهُ، ووَقَعَ عَنْ فرَسِهِ، فقالَ: هذا عَمَلُ أبي بَراءٍ، إنْ أمُتْ فدَمِي لِعَمِّي، فلا يُتْبَعَنَّ بِهِ، وإنْ أعِشْ فسَأرى رَأْيِي فيما أُتِيَ إلَيَّ.

وَذَكَرَ قَوْلَ حَسّانَ: [من الوافر]

بَنِـي أمِّ البنينَ أَلَـمْ يَرُعْكُمْ وأنْتُمْ في ذَوائِبِ أهْلِ نَجْدِ

وَهَذِهِ أُمُّ البَنِينَ الَّتِي ذَكَرَ لَبِيدٌ في قَوْلِهِ: [من الرجز]

نَحْنُ بَنِـي أُمِّ البَنِينَ الأَربَعة

واسْمُها: لَيْلى بِنْتُ عامِرٍ[١] فيما ذَكَرُوا، وقَدْ ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ نَسَبَها، ولَمْ يَذْكُرِ اسْمَها.

[مَقْتَلُ ابنِ ورْقاءَ، ورِثاءُ ابنِ رَواحةَ لَهُ]

وَقالَ أَنَسُ بنُ عَبّاسٍ السُّلَمِيُّ، وكانَ خالَ طُعَيْمةَ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلٍ، وقَتَلَ يَوْمَئِذٍ نافِعَ بنَ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ الخُزاعِيَّ:

تَرَكْتُ ابنَ ورْقاءَ الخُزاعِيَّ ثاوِيًا ... بِمُعْتَرَكٍ تَسْفي عَلَيْهِ الأعاصِرُ
ذَكَـرْتُ أبا الرَّيّانِ لَمّـا رَأَيْتُهُ ... وأيْقَنْتُ أنِّي عِنْـدَ ذلك ثائِرُ

وَأبو الرَّيّانِ: طُعَيْمةُ بنُ عَدِيٍّ.

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ يَبْكِي نافِعَ بنَ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ:

رَحِـمَ الله نافِـعَ بـنَ بُدَيْلٍ ... رَحْمةَ المُبْتَغِي ثَـوابَ الجِهادِ
صابِـرٌ صـادِقٌ وفِيٌّ إذا مـا ... أَكْثَرَ القَوْمُ قالَ قَوْلَ السَّـدادِ

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ قَتْلى بِئْرِ مَعُونةَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي قَتْلى بِئْرِ مَعُونةَ، ويَخُصُّ المُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو:

على قَتْـلى مَعُونةَ فاسْـتَهِلِّي ... بِدَمْعِ العَيْنِ سَـحًّا غَيْرَ نَزْرِ
على خَيْلِ الرَّسُولِ غَداةَ لاقَوْا ... مَناياهُـمْ ولاقَتْهُـمْ بِقَـدْرِ
أصابَهُـم الفَناءُ بِعَقْـدِ قَوْمٍ ... تُخُـوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِـمُ بِغَدْرِ
فيـا لَهْـفي لِمُنْـذِرَ إذْ تَوَلّى ... وأعْنَـقَ في مَنِيَّتِـهِ بِصَـبْرِ

---

(١) في (س): «بنت عمرو بن عامر». وهو ما ذكره ابن هشام في نسبها. وانظر: «شرح ديوان لبيد» (ص: ٣٤١).

وَكائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَداةَ ذاكُمْ   مِنَ ابْيَضَ ماجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي آخِرَها بَيْتًا أبو زَيْدٍ الأنصارِيُّ.

وَذَكَرَ[١] قَوْلَ أَنَسِ بنِ عَبّاسٍ السُّلَمِيِّ: [من الطويل]

تَرَكْتُ ابن وَرْقاء الخُزاعيَّ ثاويًا   بمُعتَركٍ تسفي عَلَيْهِ الأعاصِرُ

ذَكَرْتُ أبا الزَّبّانِ لَمّا رَأَيْتهُ   وأيْقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثائِرُ

[هَكَذا وقَعَ في النّسْخةِ: «أبا الزَّبّانِ» وفي رِوايةِ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ: «أبا الرَّيّانِ» بِالرّاءِ[٢] المُهْمَلةِ، وبِالياءِ أُخْتِ الواوِ، وهَكَذا ذَكَرَهُ الدّارَقُطْنِيّ في «المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ»[٣]، كَما في رِوايةِ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ][٤].

[شِعْرُ كَعْبٍ في يَوْمِ بِئْرِ مَعُونَةَ]

وَأَنْشَدَنِي لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ في يَوْمِ بِئْرِ مَعُونَةَ، يُعَيِّرُ بَنِي جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ:

تَرَكْتُمْ جارَكُمْ لِبَنِي سُلَيْمٍ   مَخافةَ حَرْبِهِمْ عَجْزًا وهُونا

فَلَوْ حَبْلًا تَناوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ   لَمَدَّ بِحَبْلِها حَبْلًا مَتِينا

أو القُرَطاءُ ما إنْ أَسْلَمُوهُ   وقِدْمًا ما وفَوْا إذْ لا تَفُونا

---

(١) في (ف): «وقد ذكر».

(٢) في (ص): «براء مهملة».

(٣) «المؤتلف والمختلف» (٢: ١٠٧٢).

(٤) سقط من (ب).

[نَسَبُ القُرَطاءِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: القُرَطاءُ: قَبِيلةٌ مِنْ هَوازِنَ، ويُرْوى: «مِنْ نُفيلٍ» مَكانَ «مِنْ عُقَيْلٍ»، وهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ القُرَطاءَ مِنْ نُفيلٍ قَرِيبٌ.

وَذَكَرَ شِعْرَ كَعْبٍ، وفيهِ: [من الوافر]

أوِ القُرطــاءِ ما إنْ أسْــلَمُوهُ

القُرطاء: هُمْ بَنُو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقَرِيطٍ[1]، وهُمْ[2] أبطُنٌ مِنْ بَنِي عامِرٍ ثُمّ مِنْ بَنِي كِلابٍ.

ولمّا قُتِلَ أصْحابُ بِئْرِ مَعُونةَ نَزَلَ فيهِمْ قُرْآنٌ، ثُمّ رُفِعَ: «أنْ أبْلِغُوا قَوْمَنا أنْ قَدْ لَقِينا رَبّنا فرَضِيَ عَنّا ورَضِينا عَنْهُ»، ثَبَتَ هَذا في الصّحِيحِ[3]، ولَيْسَ عَلَيْهِ رَوْنَقُ الإعْجازِ، فيُقالُ: إنّهُ لَمْ يُنْزَل بِهَذا النّظْمِ، ولَكِنْ بِنَظْمٍ مُعْجِزٍ كَنَظْمِ القُرْآنِ.

فَإنْ قِيلَ: إنّهُ خَبَرٌ، والخَبَرُ لا يُنْسَخُ.

قُلنا: لَمْ يُنْسَخْ مِنْهُ الخَبَرُ، وإنّما نُسِخَ مِنْهُ الحُكْمُ؛ فإنّ حُكْمَ القُرْآنِ أنْ يُتْلى في الصّلاةِ، وألّا يَمَسّهُ إلّا طاهِرٌ، وأنْ يُكْتَبَ بَيْنَ اللّوْحَيْنِ، وأنْ يَكُونَ تَعَلُّمُهُ مِنْ فرُوضِ الكِفايةِ، فكُلُّ ما نُسِخَ ورُفِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الأحْكامُ، وإنْ بَقِيَ مَحْفُوظًا، فإنّهُ مَنْسُوخٌ، فإنْ تَضَمّنَ حُكْمًا جازَ أنْ يَبْقى ذَلِكَ الحُكْمُ مَعْمُولًا بِهِ، وأنْكَرَتْ

---

(١) انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ٣٢٢-٣٢٣)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٢٨٢).

(٢) في (ص): «وهما بطنان»، وفي (ج): «وهم بطنان».

(٣) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٨٥).

ذَلِكَ المُعْتَزِلةُ، وإنْ تَضمّنَ خبَرًا بَقِيَ ذَلِكَ الخَبَرُ مُصَدَّقًا بِهِ، وأَحْكامُ التّلاوةِ مَنْسُوخةٌ عَنْهُ، كَما قَدْ نَزَلَ: «لَوْ أنّ لِابنِ آدَمَ وادِيًا مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغى [لَهُ][1] ثانيًا، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إلّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ تاب».

وَيُرْوى: «ولا يَمْلَأُ عَيْنَي ابنِ آدَمَ»، و«فَمَ ابنِ آدَم»، كلها في الصّحِيحِ.

وكَذَلِكَ رُوِيَ: «وادِيًا مِنْ مالٍ» أيْضًا[2].

فهَذا خَبَرٌ حَقّ، والخَبَرُ لا يُنْسَخُ، ولَكِنْ نُسِخَ مِنْهُ أَحْكامُ التّلاوةِ لَهُ، وكانَتْ هذه الآيةُ ـ أعني قوله: «لو أنّ لِابنِ آدَمَ» ـ في سُورةِ يُونُسَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، كَذَلِكَ قالَ ابنُ سلام، وأمّا الحُكْمُ الّذِي بَقِيَ، وكانَ قُرْآنًا يُتْلى فـ(الشّيْخُ والشّيْخةُ إذا زَنَيا، فارْجُمُوهُما أَلبَتّةَ نَكالًا مِنَ اللهِ، ولا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنّ ذَلِكَ كُفْرٌ بِكُمْ»[3]، فهَذا حُكْمٌ كانَ نَسْخُهُ جائِزًا حِينَ نُسِخَ حُكْمُ التّلاوةِ، وكانَ جائِزًا [أيضًا][4] أنْ يَبْقى حُكْمُ التّلاوةِ ويُنْسَخَ هَذا الحُكْمُ بِخِلافِ الخَبَرِ كما تقدّم. [والله أعلم][5].

* * *

(١) ليس في (ب).

(٢) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٢٥٣)، ومسلم، كتاب الزكاة: (٢: ٧٢٥)، و«عارضة الأحوذي»، كتاب المناقب: (١٤: ٢٦٣-٢٦٥).

(٣) انظر: «الموطأ»، كتاب الحدود: (٢: ٨٢٤)، «مسند الإمام أحمد» (٥: ٨٨٣)، «سنن ابن ماجه»، كتاب الحدود: (٢: ٨٥٣-٨٥٤)، «تفسير ابن كثير» (٦: ٢٤).

(٤) عن (ص)، (ج).

(٥) عن (أ).

أَمْرُ إجْلاءِ بَنِي النَّضِيرِ في سَنةِ أَرْبَعٍ

[خُرُوجُ الرَّسُولِ إلى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ في دِيَةِ قَتْلى بَنِي عامِرٍ، وهَمُّهُمْ بِالغَدْرِ بِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ في دِيةِ ذَيْنِكَ القَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجِوارِ الَّذي كانَ رَسُولُ الله ﷺ عَقَدَ لَهُما، كَما حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، وكانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وبَيْنَ بَنِي عامِرٍ عَقْدٌ وحِلْفٌ.

فَلَمّا أَتاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ في دِيَةِ ذَيْنِكَ القَتِيلَيْنِ، قالُوا: نَعَمْ يا أَبا القاسِمِ، نُعِينُكَ على ما أَحْبَبْتَ مِمّا اسْتَعَنْتَ بِنا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فقالُوا: إنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ على مِثْلِ حالِهِ هَذِهِ ورَسُولُ الله ﷺ إلى جَنْبِ جِدارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قاعِدٌ، فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو على هذا البَيْتِ، فيلْقِي عَلَيْهِ صَخْرةً، فيرِيحَنا مِنْهُ؟ فانْتَدَبَ لِذلك عَمْرُو بنُ جِحاشِ بنِ كَعْبٍ، أَحَدُهُمْ، فقالَ: أنا لِذلك، فصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرةً كَما قالَ، ورَسُولُ الله ﷺ في نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ، فيهِمْ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعَلِيٌّ، رِضْوانُ الله عَلَيْهِم.

[انْكِشافُ نِيَّتِهِمْ لِلرَّسُولِ، واسْتِعْدادُهُ لِحَرْبِهِمْ]

فَأَتى رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرُ مِن السَّماءِ بِما أَرادَ القَوْمُ، فقامَ وخَرَجَ راجِعًا

إلى المَدِينةِ. فلَمّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيَّ ﷺ أصْحابُهُ، قامُوا في طَلَبِهِ، فلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِن المَدِينةِ، فسَأَلُوهُ عَنْهُ، فقالَ: رَأَيْتُهُ داخِلًا المَدِينةَ. فأَقْبَلَ أصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى انْتَهَوْا إلَيْهِ ﷺ، فأَخْبَرَهُم الخَبَرَ بِما كانَت اليَهُودُ أرادَتْ مِن الغَدْرِ بِهِ، وأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ، والسَّيْرِ إلَيْهِمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ سارَ بِالنّاسِ حَتّى نَزَلَ بِهِمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذلك في شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ، فحاصَرَهُمْ سِتَّ لَيالٍ، ونَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ.

[حِصارُ الرَّسُولِ لَهُمْ، وتَقْطِيعُ نَخْلِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فتَحَصَّنُوا مِنْهُ في الحُصُونِ، فأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ والتَّحْرِيقِ فيها، فنادَوْهُ أنْ: يا مُحَمَّدُ، قَدْ كُنْتَ تَنْهى عَن الفَسادِ، وتَعِيبُهُ على مَنْ صَنَعَهُ، فما بالُ قَطْعِ النَّخْلِ وتَحْرِيقِها؟

[تَحْرِيضُ الرَّهْطِ لَهُمْ ثُمَّ مُحاوَلَتُهُم الصُّلْحَ]

وَقَدْ كانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، مِنْهُمْ: عَدُوُّ الله عَبْدُ الله ابنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، ووَدِيعةُ ومالِكُ بنُ أبِي قَوْقَلٍ، وسُوَيْدٌ وداعِسٌ، قَدْ بَعَثُوا إلى بَنِي النَّضِيرِ: أن اثْبُتُوا وتَمَنَّعُوا؛ فإنّا لَنْ نُسْلِمَكُمْ، إنْ قُوتِلْتُمْ قاتَلْنا مَعَكُمْ، وإنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنا مَعَكُمْ، فتَرَبَّصُوا ذلك مِنْ نَصْرِهِمْ، فلَمْ يَفْعَلُوا، وقَذَفَ الله في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ، وسَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أنْ يُجْلِيَهُمْ ويَكُفَّ عَنْ دِمائِهِمْ، على أنَّ لَهُمْ ما حَمَلَت الإبِلُ مِنْ أمْوالِهِمْ إلّا الحَلْقَةَ،

ففَعَلَ. فاحْتَمَلُوا مِنْ أمْوالِهِمْ ما اسْتَقَلَّتْ بِهِ الإبِلُ، فكانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجافِ بابِهِ، فيضَعُهُ على ظَهْرِ بَعِيرِهِ فينْطَلِقُ بِهِ. فخَرَجُوا إلى خَيْبَرَ، ومِنْهُمْ مَنْ سارَ إلى الشّامِ.

[مَنْ هاجَرَ مِنْهُمْ إلى خَيْبَرَ]

فَكانَ أشْرافُهُمْ مَنْ سارَ مِنْهُمْ إلى خَيْبَرَ: سَلّامُ بنُ أبي الحُقَيقِ، وكِنانةُ ابنُ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيقِ، وحُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، فلَمّا نَزَلُوها دانَ لَهُمْ أهْلُها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّهُم اسْتَقَلُّوا بِالنِّساءِ والأبناءِ والأمْوالِ، مَعَهُم الدُّفُوفُ والمَزامِيرُ، والقِيانُ يَعْزِفْنَ خَلْفَهُمْ، وإنَّ فيهِمْ لَأُمَّ عَمْرٍو صاحِبَةَ عُرْوةَ بنِ الوَرْدِ العَبْسِيِّ، الَّتِي ابْتاعُوا مِنْهُ، وكانَتْ إحْدى نِساءِ بَنِي غِفارٍ، بِزهاءٍ وفَخْرٍ ما رُئِيَ مِثْلُهُ مِنْ حَيٍّ مِن النّاسِ في زَمانِهِمْ.

[تَقْسِيمُ الرَّسُولِ أمْوالَهُمْ بَيْنَ المُهاجِرِينَ]

وَخَلَّوُا الأمْوالَ لرَسُولِ الله ﷺ، فكانَت لِرَسُول الله ﷺ خاصّةً، يَضَعُها حَيْثُ يَشاءُ، فقَسَّمَها رَسُولُ الله ﷺ على المُهاجِرِينَ الأوَّلِينَ دُونَ الأنْصارِ، إلّا أنَّ سَهْلَ بنَ حُنَيْفٍ وأبا دُجانةَ سِماكَ بن خَرَشةَ ذَكَرا فقْرًا، فأعْطاهُما رَسُولُ الله ﷺ.

[مَنْ أسْلَمَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ]

وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إلّا رَجُلانِ: يامِينُ بنُ عُمَيْرٍ، أبو كَعْبِ بنُ عَمْرِو بن جِحاشٍ، وأبو سَعْدِ بنُ وهْبٍ، أسْلَما على أمْوالِهِما فأحْرَزاها.

[تَحْرِيضُ يامِينَ على قَتْلِ ابنِ جِحاشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ وقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ يامِينَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِيامِينَ: ألَمْ تَرَ ما لَقِيتُ مِن ابنِ عَمِّكَ، وما هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟ فجَعَلَ يامِينُ ابن عُمَيْرٍ لِرَجُلٍ جُعْلًا على أنْ يَقْتُلَ لَهُ عَمْرَو بنَ جِحاشٍ، فقَتَلَهُ فيما يَزْعُمُونَ.

[ما نَزَلَ في بَنِي النَّضِيرِ مِن القُرْآنِ]

وَنَزَلَ في بَنِي النَّضِيرِ سُورةُ الحَشْرِ بِأسْرِها، يَذْكُرُ فيها ما أصابَهُم الله بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ، وما سَلَّطَ عَلَيْهِمْ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، وما عَمِلَ بِهِ فيهِمْ، فقالَ تَعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر: ٢]، وذلك لِهَدْمِهِمْ بُيُوتَهُمْ عَنْ نُجُفِ أبْوابِهِمْ إذا احْتَمَلُوها. ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ [الحشر: ٢-٣]: وكانَ لَهُمْ مِن الله نِقْمَةً ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [الحشر: ٣]؛ أيْ: بِالسَّيْفِ، ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر: ٣]: مَعَ ذلك. ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ [الحشر: ٥]، واللِّينةُ: ما خالَفَ العَجْوةَ مِن النَّخْلِ، ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٥]؛ أيْ: فبِأمْرِ الله قُطِعَتْ، لَمْ يَكُنْ فسادًا، ولَكِنْ كانَ نِقْمةً مِن الله ﴿ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: اللِّينةُ: مِن الألْوانِ، وهِيَ ما لَمْ تَكُنْ بَرْنِيّةً ولا عَجْوةً مِن النَّخْلِ، فيما حَدَّثَنا أبو عُبَيْدةَ. قالَ ذُو الرُّمّةِ:

كَأَنَّ قُتُودِي فوْقَها عُشُّ طائِرٍ   على لِينةٍ سَوْقاءَ تَهْفُو جُنُوبُها

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ [الحشر: ٦]؛ قالَ ابنُ إسْحاقَ: يَعْنِي مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، ﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦]؛ أيْ: لَهُ خاصّةً.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أوْجَفْتُمْ: حَرَّكْتُمْ وأتْعَبْتُمْ في السَّيْرِ. قالَ تَمِيمُ بنُ أُبَيِّ بنِ مُقْبِلٍ أحَدُ بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ:

مَذاوِيدُ بِالبِيضِ الحَدِيثِ صِقالُها   عَنِ الرَّكْبِ أحْيانًا إذا الرَّكْبُ أوْجَفُوا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، وهُوَ الوَجِيفُ. وقالَ أبو زُبَيْدٍ الطّائِيُّ، واسْمُهُ: حَرْمَلةُ بنُ المُنْذِرِ:

مُسْنِفاتٌ كَأنَّهُنَّ قَنا الهِنْـ   ـدِ لِطُولِ الوَجِيفِ جَدْبَ المَرُودِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: السِّنافُ: البِطانُ. والوَجِيفُ أيْضًا: وجِيفُ القَلْبِ والكَبِدِ، وهُوَ الضَّرَبانُ. قالَ قَيْسُ بنُ الخَطِيمِ الظَّفَرِيُّ:

إنّا وإنْ قَدَّمُوا الَّتِي عَلِمُوا   أكْبادُنا مِنْ ورائِهِمْ تَجِفُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٧]؛ قالَ ابنُ إسْحاقَ: ما يُوجِفُ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ بِالخَيْلِ والرِّكابِ، وفُتِحَ بِالحَرْبِ عَنْوةً،

فلله ولِلرَّسُولِ ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؛ يَقُولُ: هذا قِسْمٌ آخَرُ فيما أُصِيبَ بِالحَرْبِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، على ما وَضَعَهُ الله عَلَيْهِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [الحشر: ١١]؛ يَعْنِي: عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ وأَصْحابَهُ، ومَنْ كانَ على مِثْلِ أمْرِهِمْ ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١]؛ يَعْنِي: بَنِي النَّضِيرِ، إلى قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٥]؛ يَعْنِي: بَنِي قَيْنُقاعَ. ثُمَّ القِصّةُ... إلى قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

غَزْوةُ بَنِي النّضِيرِ وما نَزَلَ فيها

ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ هَذِهِ الغَزْوةَ في هَذا المَوْضِعِ، وكانَ يَنْبَغِي أنْ يَذْكُرَها بَعْدَ بَدْرٍ؛ لِما رَوى عُقَيْلُ بنُ خالِدٍ[1] وغَيْرُهُ عَنِ الزُّهْرِيّ، قالَ: كانَتْ غَزْوةُ بَنِي النّضِيرِ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتّةِ أشْهُرٍ[2].

وَذَكَرَ نُزُولَ رسول الله ﷺ بِبَنِي النَّضِيرِ، وسَيْرَهُ إلَيْهِمْ حِينَ نَقَضُوا العَهْدَ

(١) هو عُقَيل بن خالد الأيلي، مترجم في «سير أعلام النبلاء» (٦: ٣٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بإسناده إلى عُقيل. انظر: «تفسير ابن كثير»، سورة الحشر: (٨: ٣٤٧١).

الّذي كانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ، وهَمُّوا بِقَتْلِهِ، فلَمّا تَحَصَّنُوا في حُصُونِهِمْ وحَرَّقَ نَخْلَهُمْ نادَوْهُ: أنْ يا أبا القاسم، قَدْ كُنْتَ تَنْهى عَنِ الفَسادِ [وتَعِيبُهُ على مَن صَنَعَه](١) فما هذا الفساد؟! وذَكَرَ الحَدِيثَ.

قالَ أهْلُ التَّأْوِيلِ: وقَعَ في نُفُوسِ بعضِ المُسْلِمِينَ مِنْ هَذا الكَلامِ شَيْءٌ، حَتّى أنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥]، واللِّينةُ ألوانُ التّمْرِ ما عَدا العَجْوةَ والبَرْنِيَّ، ففي هَذِهِ الآيةِ أنّ رسول الله ﷺ لم يُحرِقْ من نَخْلِهِم إلّا ما لَيْسَ بِقُوتٍ لِلنّاس، وكانُوا يَقْتاتُونَ العَجْوةَ، وفي الحَدِيثِ: «العَجْوةُ مِنَ الجَنّةِ»(٢)، وثَمَرُها يَغْذُو أحْسَنَ غِذاءٍ، والبَرْنِيّ أيْضًا كَذلِكَ. وقالَ أبُو حَنِيفةَ: مَعْناهُ بِالفارِسِيّةِ حِمْلٌ مُبارَكٌ؛ لِأنّ «بَرّ» مَعْناهُ: حِملٌ، و«نِيّ» مَعْناهُ جَيّدٌ أوْ مُبارَكٌ، فعَرّبَتْهُ العَرَبُ وأدْخَلَتْهُ في كَلامِها(٣)، وفي حديثِ وفدِ عبدِ القيسِ أنَّ رسول الله ﷺ قال لهم، وذكر البَرْنِيَّ: «إنّهُ مِنْ خَيْرِ تَمْرِكُمْ، وإنّهُ دَواءٌ ولَيْسَ بداء»(٤)، رَواهُ مِنْهُمْ مَزيدةُ(٥) العَصَرِيّ، ففي قَوْلِهِ سبحانه: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [الحشر: ٥]، ولَمْ يَقُل: مِنْ نَخْلةٍ عَلى العُمُومِ: تَنْبِيهٌ عَلى كَراهةِ قَطْعِ ما يُقْتاتُ ويَغْذُو مِنْ شَجَرِ العَدُوّ إذا رُجِيَ أنْ يَصِيرَ إلى المُسْلِمِينَ.

وقَدْ كانَ أبو بكر الصّدّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُوصِي الجُيُوشَ ألّا يَقْطَعُوا شَجَرًا

---

(١) عن (س). وهو في «السيرة».

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه في كتاب الطب. انظر: «عارضة الأحوذي» (٨: ٢٢٥-٢٢٧)، وابن ماجه: (٢: ١١٤٢-١١٤٣).

(٣) في «تاج العروس» عن أبي حنيفة: «إنما هو بارنيّ، فالبار: الحمل، ونيّ تعظيم ومبالغة».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بنحوه بإسناده إلى بعض وفد عبد القيس، «المسند» (٣: ٤٣٢-٤٣٣).

(٥) اختلف في ضبط «مزيدة». انظر: «أسد الغابة» (٥: ١٥٠-١٥١).

مُثْمِرًا، وأخَذَ بذَلِكَ الأوْزاعِيّ، فإمّا تأوّلُوا حَدِيثَ بَنِي النّضِيرِ، وإمّا رَأوْهُ خاصًّا لِلنّبيّ عَلَيْهِ السّلامُ، ولَمْ يَخْتَلِفُوا أنّ سُورةَ الحَشْرِ نَزَلَتْ في بَنِي النّضِيرِ، ولا اخْتَلَفُوا في أمْوالِهِمْ؛ لِأنّ المُسْلِمِينَ لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْها بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ، وإنّما قُذِفَ الرُّعْبُ في قُلُوبِهِمْ وجَلَوْا عَنْ مَنازِلِهِمْ إلى خَيْبَرَ، ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ قِتالٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لَهُمْ، فقَسَمَها رسول الله ﷺ بَيْنَ المُهاجِرِينَ لِيَرْفَعَ بذَلِكَ مُؤْنَتَهُمْ[١] عَنِ الأنْصارِ؛ إذْ كانُوا قَدْ ساهَمُوهُمْ في الأمْوالِ والدّيارِ، غَيْرَ أنّهُ أعْطى أبا دُجانَةَ وسَهْلَ بنَ حُنَيْفٍ لِحاجَتِهِما، وقالَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ: وأعْطى ثَلاثةً مِنَ الأنْصارِ، وذَكَرَ الحارِثَ بنَ الصِّمّةِ فيهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي:يُخرِبونها مِنْ داخِلٍ، والمُؤْمِنُونَ مِنْ خارِجٍ، وقِيلَ: مَعْنى ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: بِما كَسَبَتْ أيْدِيهِمْ مِنْ نَقْضِ العَهْدِ ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِجِهادِهِمْ[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، رَوى مُوسى بنُ عُقْبةَ أنّهُمْ قالُوا لَهُ: إلى أين نَخْرج يا مُحَمّد؟ قالَ: «إلى الحَشْرِ»؛ يَعْنِي: أرْضَ المَحْشَرِ، وهي الشّامُ، وقالَ: إنّهُمْ [كانُوا][٣] مِنْ سِبطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلاءٌ قَبْلَها؛ فلِذَلِكَ قالَ: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ والحَشْرُ: الجَلاءُ، وقِيلَ: إنّ الحَشْرَ الثّانِيَ هُوَ حَشْرُ النّارِ الّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، فتَحْشُرُ النّاسَ إلى المَوْقِفِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتَقِيلُ مَعَهُمْ حيثُ قالُوا، وتَأْكُلُ مَنْ تَخَلّفَ[٤].

---

(١) في (أ)، (ص): «مؤنتهم»، وكلٌّ صواب.

(٢) في (ف): «أي: بجهادهم».

(٣) ليس في (أ).

(٤) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الفتن: (٤: ٢٢٢٥-٢٢٢٧).

والآيةُ مُتَضَمِّنةٌ لِهَـذِهِ الأقْـوالِ كُلِّها، ولِزائِدٍ عَلَيْها؛ فإنّ قَوْلَهُ: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] يُؤْذِنُ أنَّ ثَمَّ حَشْرًا آخَرَ، فكانَ هَذا الحَشْرُ والجَلاءُ إلى خَيْبَرَ، ثُمّ أجْلاهُمْ عُمَرُ مِنْ خَيْبَرَ إلى تَيْماءَ وأرِيحاءَ، وذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُ التَّثَبُّتُ عَنْ رسول الله ﷺ أنّهُ قالَ: «لا يَبْقَيَنّ دِينانِ بِأرْضِ العَرَبِ»[1].

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢]، يُقالُ: نَزَلَتْ في قَتْلِ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ.

وَقَوْلُهُ سبحانه: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، رُوِيَ عَنْ مالِكٍ أنّهُ قالَ: هُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وأهْلُ التّأْوِيلِ عَلى أنّها عامّةٌ في جَمِيعِ القُرى المُفْتَتَحةِ عَلى المُسْلِمِينَ، وإن اخْتَلَفُوا في حُكْمِها؛ فرأى قومٌ قَسْمَها كَما تُقْسَمُ الغَنائِم، ورَأى بَعْضُهُمْ لِلإمامِ أنْ يَقِفَها، وسَيَأْتِي بَيانُ هَذِهِ المَسْألةِ في غَزْوةِ خَيْبَرَ إنْ شاءَ اللهُ.

* * *

(١) أخرجه مالك؛ «الموطأ»، كتاب الجامع: (٢: ٨٩٢-٨٩٣).

[ما قِيلَ في بَنِي النَّضِيرِ مِن الشِّعْرِ]

وَكانَ مِمّا قِيلَ في بَنِي النَّضِيرِ مِن الشِّعْرِ قَوْلُ ابنِ لُقَيْمٍ العَبْسِيِّ ـ ويُقالُ: قالَهُ قَيْسُ بنُ بَحْرِ بنِ طَرِيفٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: قَيْسُ بنُ بَحْرٍ الأَشْجَعِيُّ ـ فقالَ:

أَهْلِي فِداءٌ لِامْرِئٍ غَيْرِ هالِكٍ ... أَحَلَّ اليَهُودَ بِالحَسِيِّ المُزَنَّمِ
يَقِيلُونَ في جَمْرِ الغَضاةِ وبُدِّلُوا ... أُهَيْضِبَ عُودي بِالوَدِيِّ المُكَمَّمِ
فَإنْ يَكُ ظَنِّي صادِقًا بِمُحَمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلا ويَرَمْرَمِ
يَؤُمُّ بِها عَمْرَو بنَ بُهْثَةَ إنَّهُمْ ... عَدُوٌّ وما حَيٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ
عَلَيْهِنَّ أَبْطالٌ مَساعِيرُ في الوَغى ... يَهُزُّونَ أَطْرافَ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ
وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ ... تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمانِ عادٍ وجُرْهُمِ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسالَةً ... فَهَلْ بَعْدَهُمْ في المَجْدِ مِنْ مُتَكَرِّمِ
بِأَنَّ أخاكُمْ فاعْلَمُنَّ مُحَمَّدًا ... تَلِيدُ النَّدى بَيْنَ الحَجُونِ وزَمْزَمِ
فَدِينُوا لَهُ بِالحَقِّ تَجْسُمْ أُمُورُكُمْ ... وتَسْمُوا مِن الدُّنْيا إلى كُلِّ مُعْظَمِ
نَبِيٌّ تَلاقَتْهُ مِن اللهِ رَحْمَةٌ ... ولا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ
فَقَدْ كانَ في بَدْرٍ لعمريَ عِبْرَةٌ ... لكم يا قُرَيْشًا والقَلِيبِ المُلَمَّمِ
غَداةَ أتى في الخَزْرَجِيّةِ عامِدًا ... إلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ المُكَرَّمِ
مُعانًا بِرُوحِ القُدْسِ يُنْكِي عَدُوَّهُ ... رَسُولًا مِن الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ
رَسُولًا مِن الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتابَهُ ... فَلَمّا أَنارَ الحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ
أرى أَمْرَهُ يَزْدادُ في كُلِّ مَوْطِنٍ ... عُلُوًّا لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مُحْكَمِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمْرُو بنُ بُهْثَةَ مِنْ غَطَفانَ. وقَوْلُهُ «بِالحَسِيِّ المُزَنَّمِ»، عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ يَذْكُرُ إجْلاءَ بَنِي النَّضِيرِ، وقَتْلَ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَها رَجُلٌ مِن المُسْلِمِينَ غَيْرُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، فيما ذَكَرَ لِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ، ولَمْ أرَ أحَدًا مِنْهُمْ يَعْرِفُها لِعَلِيٍّ.

عَرَفْتُ ومَـــنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ وأيْقَنْتُ حَقًّا ولَـــمْ أصْدِفِ
عَنِ الكَلِمِ المُحْكَمِ اللّاءِ مِنْ لَدى اللهِ ذِي الرَّأْفَـــةِ الأرْأفِ
رَســـائِلُ تُدْرَسُ في المُؤْمِنِينَ بِهِنَّ اصْطَفى أحْمَدَ المُصْطَفِي
فَأصْبَــحَ أحْمَدُ فينــا عَزِيزًا عَزِيـــزَ المُقامَـــةِ والمَوْقِفِ
فيا أيُّهــا المُوعِدُوهُ سَــفاهًا ولَمْ يَأْتِ جَـوْرًا ولَمْ يَعْنُفِ
ألَسْـــتُمْ تَخافُونَ أدْنى العَذابِ ومـــا آمِـــنُ اللهِ كالأخْـــوَفِ
وَأنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أسْـــيافِهِ كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أبِي الأشْرَفِ
غَـــداةَ رَأى اللهُ طُغْيانَـــهُ وأعْرَضَ كالجَمَـــلِ الأجْنَفِ
فَأنْـــزَلَ جِبْرِيـــلَ في قَتْلِـــهِ بِـــوَحْيٍ إلى عَبْـــدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرَّسُـــولُ رَسُـــولًا لَهُ بِأبْيَـــضَ ذِي هَبَّـــةٍ مُرْهَفِ
فَباتَـــتْ عُيُـــونٌ لَهُ مُعْوِلاتٍ مَـــتى يُنْعَ كَعْبٌ لَهـــا تَذْرِفِ
وَقُلْـــنَ لِأحْمَدَ ذَرْنـــا قَلِيلًا فإنّا مِـــنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْـــتَفِ
فَخَلّاهُـــمُ ثُمَّ قـــالَ: اظْعَنُوا دُحُـــورًا على رَغْـــمِ الآنُفِ
وَأجْـــلى النَّضِـــيرَ إلى غُرْبَةٍ وكانُـــوا بِـــدارٍ ذَوِي زُخْرُفِ
إلى أذْرِعاتٍ رُدافى وهُـــمْ على كُلِّ ذِي دَبَـــرٍ أعْجَـــفِ

فَأجابَهُ سِماكٌ اليَهُودِيُّ، فقالَ:

إنْ تَفْخَـــرُوا فهْوَ فخْرٌ لَكُمْ ... بِمَقْتَلِ كَعْــبٍ أبي الأشْرَفِ
غَــداةَ غَدَوْتُــمْ على حَتْفِهِ ... ولَمْ يَأْتِ غَــدْرًا ولَمْ يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيــالِي وصَرْفُ الدُّهُورِ ... يُدِيلُ مِن العــادِلِ المُنْصِفِ
بِقَتْــلِ النَّضِيرِ وأحْلافِها ... وعَقْرِ النَّخِيــلِ ولَمْ تُقْطَفِ
فَإنْ لا أمُــتْ نَأْتِكُمْ بِالقَنا ... وكُلِّ حُســامٍ مَعًــا مُرْهَفِ
بِكَــفِّ كَــمِيٍّ بِــهِ يَحْتَمِي ... مَــتى يَلْــقَ قِرْنًــا لَهُ يُتْلِفِ
مَــعَ القَوْمِ صَخْرٌ وأشْــياعُهُ ... إذا غاوَرَ القَــوْمَ لَمْ يَضْعُفِ
كَلَيْثٍ بِــتَرْجٍ حَــمى غِيلَهُ ... أخِي غابــةٍ هــاصِرٍ أجْوَفِ

[شِعْرُ كَعْبٍ في إجْلاءِ بَنِي النَّضِيرِ وقَتْلِ ابنِ الأشْرَفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَذْكُرُ إجْلاءَ بَنِي النَّضِيرِ، وقَتْلَ كَعْبِ بن الأشْرَفِ:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِها الحُبُورُ ... كَذاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذلِــكَ أنَّهُمْ كَفَــرُوا بِرَبٍّ ... عَزِيــزٍ أمْــرُهُ أمْــرٌ كَبِــيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًــا فهْمًا وعِلْمًا ... وجاءَهُــمُ مِــن اللهِ النَّذِيرُ
نَذِيــرٌ صــادِقٌ أدّى كِتابًــا ... وآيــاتٍ مُبَيَّنَــةً تُنِــيرُ
فَقالُوا: مــا أتَيْتَ بِأمْرِ صِدْقٍ ... وأنْــتَ بِمُنْكَرٍ مِنّــا جَدِيرُ
فَقــالَ: بَلى لَقَــدْ أدَّيْتُ حَقًّا ... يُصَدِّقُــنِي بِهِ الفَهِــمُ الخَبِيرُ
فَمَــنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْــدٍ ... ومَنْ يَكْفُــرْ بِهِ يُجْزَ الكَفُورُ
فَلَمّــا أُشْرِبُوا غَــدْرًا وكُفْرًا ... وحادَ بِهِمْ عَــنِ الحَقِّ النُّفُورُ

أرى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ ... وكانَ اللهُ يَحْكُمُ لا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وكانَ نَصِيرَهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيعًا ... فذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
على الكَفَّينِ ثَمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إذْ دَسَّ لَيْلًا ... إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَماكَرَهُ فأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... ومَحْمُودٌ أخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدارِ سَوْءٍ ... أبارَهُمُ بِما اجْتَرَمُوا المُبِيرُ
غَداةَ أتاهُمُ في الزَّحْفِ رَهْوًا ... رسولُ الله وهْوَ بِهِمْ بَصِيرُ
وَغَسّانُ الحُماةُ مُوازِرُوهُ ... على الأعْداءِ وهْوَ لَهُمْ وزِيرُ
فَقالَ: السِّلْمُ ويْحَكُمُ فصَدُّوا ... وحالَفَ أمْرَهُمْ كَذِبٌ وزُورُ
فَذاقُوا غِبَّ أمْرِهِمُ وبالًا ... لِكُلِّ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
وَأُجْلُوْا عامِدِينَ لِقَيْنُقاعٍ ... وغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ ودُورُ

[شِعْرُ سِماكٍ في الرَّدِّ على كَعْبٍ]

فَأَجابَهُ سِماكٌ اليَهُودِيُّ، فقالَ:

أرِقْتُ وضافَنِي هَمٌّ كَبِيرُ ... بِلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ
أرى الأحْبارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا ... وكُلُّهُمُ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرُ
وَكانُوا الدّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ ... بِهِ التَّوْراةُ تَنْطِقُ والزَّبُورُ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الأحْبارِ كَعْبًا ... وقِدْمًا كانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ
تَدَلّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أخِيهِ ... ومَحْمُودٌ سَرِيرَتُهُ الفُجُورُ
فَغادَرَهُ كَأَنَّ دَمًا نَجِيعًا ... يَسِيلُ على مَدارِعِهِ عَبِيرُ

فَقَـدْ وأبيكُـمُ وأبي جَمِيعًا ... أُصِيبَتْ إذْ أُصِيبَ بِهِ النَّضِيرُ
فَإنْ نَسْلَمْ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجالًا ... بِكَعْبٍ حَوْلَهُـمْ طَيْرٌ تَدُورُ
كَأَنَّهُـمُ عَتائِـرُ يَـوْمِ عِيدٍ ... تُذَبَّحُ وهْيَ لَيْـسَ لَهَا نَكِيرُ
بِبِيضٍ لا تُلِيـقُ لَهُنَّ عَظْمًا ... صَوافِي الحَدِّ أكْثَرُهـا ذُكُورُ
كَما لاقَيْتُـمُ مِنْ بَأْسِ صَخْرٍ ... بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ

[شِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ في امْتِداحِ رِجالِ بَنِي النَّضِيرِ]

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أخُو بَنِي سُلَيْمٍ، يَمْتَدِحُ رِجالَ بَنِي النَّضِيرِ:

لَوْ أنَّ أهْـلَ الدّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا ... رَأَيْتَ خِلالَ الدّارِ مَلْهًى ومَلْعَبا
فَإنَّكَ عَمْرِي هَلْ أُرِيكَ ظَعائِنًا ... سَلَكْنَ على رُكْنِ الشَّطاةِ فتَيْأَبا
عَلَيْهِنَّ عِينٌ مِـنْ ظباءِ تَبالَةٍ ... أوانِسُ يُصْبِينَ الحَلِيمَ المُجَرِّبا
إذا جاءَ باغِي الخَيْرِ قُلْنَ فُجاءَةً ... لَهُ بِوُجُـوهٍ كالدَّنانِـيرِ: مَرْحَبا
وَأهْلًا فلا مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ ... ولا أنْتَ تَخْشَى عِنْدَنا أنْ تُؤَنَّبا
فَلا تَحْسَبَنِّي كُنْتُ مَوْلَى ابنِ مِشْكَمٍ ... سَلامٍ ولا مَوْلَى حُيَيِّ بنِ أخْطَبا

[شِعْرُ خَوّاتٍ في الرَّدِّ على ابنِ مِرْداسٍ]

فَأجابَهُ خَوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فقالَ:

تُبَـكِّي على قَتْـلى يَهُودَ وقَـدْ تَرى ... مِنَ الشَّـجْوِ لَوْ تَبْكِي أحَبَّ وأقْرَبا
فَهَـلّا على قَتْـلى بِبَطْـنِ أُرَيْنِقٍ ... بَكَيْتَ ولَمْ تُعْوِلْ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهِبا
إذا السِّـلْمُ دارَتْ في صَدِيقٍ رَدَدْتَها ... وفي الدِّينِ صَدّادًا وفي الحَرْبِ ثَعْلَبا
عَمَـدْتَ إلى قَدْرٍ لِقَوْمِـكَ تَبْتَغِي ... لَهُـمْ شَـبَهًا كَيْمـا تَعِـزَّ وتَغْلِبا
فَإنَّـكَ لَمّـا أنْ كَلِفْـتَ تَمَدُّحًـا ... لِمَـنْ كانَ عَيْبًا مَدْحُـهُ وتَكَذُّبا

رَحَلْــتَ بِأمْرٍ كُنْتَ أهْــلًا لِمِثْلِهِ ... ولَمْ تُلْفِ فيهِمْ قائِلًا لَكَ: مَرْحَبا
فَهَلّا إلى قَــوْمٍ مُلُــوكٍ مَدَحْتَهُمْ ... تَبَنَّوْا مِــن العَزِّ المُؤَثَّــلِ مَنْصِبا
إلى مَعْشَرٍ صــارُوا مُلوكًا وكُرِّمُوا ... ولَمْ يُلْفَ فيهِمْ طالِبُ العُرْفِ مُجْدِبا
أُولَئِكَ أحْرى مِــنْ يهودَ بمدْحةٍ ... نراهم وفيهِمْ عِــزَّةُ المَجْدِ تُرْتُبا

[شِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ في الرَّدِّ على خَوّاتٍ]

فَأجابَهُ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ، فقالَ:

هَجَوْتَ صَرِيــحَ الكاهِنَيْنِ وفيكُمُ ... لَهُمْ نِعَــمٌ كانَتْ مِن الدَّهْــرِ تُرْتُبا
أُولَئِكَ أحْرى لَــوْ بَكَيْتَ عَلَيْهِمُ ... وقَوْمُــكَ لَوْ أدَّوْا مِــن الحَقِّ مُوجَبا
مِن الشُّكْرِ إنَّ الشُّــكْرَ خَيْرٌ مغبّةً ... وأوْفَقُ فِعْــلًا لِــلَّذِي كانَ أصْوَبا
فَكُنْتَ كَمَنْ أمْسى يُقَطِّعُ رَأْسَــهُ ... لِيَبْلُــغَ عِــزًّا كانَ فيــهِ مُرَكَّبــا
فَبَكِّ بَــنِي هارُونَ واذْكُــرْ فِعالَهُمْ ... وقَتْلَهُــمُ لِلْجُوعِ إذْ كُنْــتَ مُجْدِبا
أخَوّاتُ أذْرِ الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ وابْكِهِمْ ... وأعْرِضْ عَن المَكْرُوهِ مِنْهُمْ ونَكِّبا
فَإنَّــكَ لَــوْ لاقَيْتَهُــمْ في دِيارِهِمْ ... لَأُلْفيتَ عَمّــا قَدْ تَقُــولُ مُنَكِّبا
سِراعٌ إلى العَلْيــا كِرامٌ لَدى الوَغى ... يُقــالُ لِباغِي الخَيْرِ: أهْــلًا ومَرْحَبا

[شِعْرٌ لِكَعْبٍ أو ابنِ رَواحةَ في الرَّدِّ على ابنِ مِرْداسٍ]

فَأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ، أوْ عَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ ـ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ فقالَ:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رحى الحَرْبِ بعدما ... أطارَتْ لُؤَيًّــا قَبْلُ شَرْقًــا ومَغْرِبا
بَقِيّــةَ آلِ الكاهِنَــيْنِ وعِزَّهــا ... فعــادَ ذَلِيــلًا بَعْدَمــا كانَ أغْلَبا
فَطاحَ سَــلامٌ وابنُ سَــعْيةَ عَنْوةً ... وقِيدَ ذَلِيــلًا لِلْمَنايا ابــنُ أخْطَبا

وَأجْلَبَ يَبْغِي العزّ والذلّ يبتغي خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنى حِينَ أجْلَبا
كَتارِكِ سَهْلِ الأرْضِ والحَزْنُ هَمُّهُ وقَدْ كانَ ذا في النّاسِ أكْدى وأصْعَبا
وَشَأْسٌ وعَزّالٌ وقَدْ صَلِيا بِها وما غُيِّبا عَنْ ذاكَ فيمَنْ تَغَيَّبا
وَعَوْفُ بنُ سَلْمى وابنُ عَوْفٍ كِلاهُما وكَعْبٌ رَئِيسُ القَوْمِ حانَ وخُيِّبا
فَبُعْدًا وسُحْقًا لِلنَّضِيرِ ومِثْلِها إنَ اعْقَبَ فَتْحٌ أوْ إنِ اللهُ أعْقَبا

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ أبو عَمْرٍو المَدَنِيُّ: ثُمَّ غزا رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَ بَنِي النَّضِيرِ بَنِي المُصْطَلِقِ. وسَأذْكُرُ حَدِيثَهُمْ إنْ شاءَ الله في المَوْضِعِ الَّذي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ فيهِ.

وَذَكَرَ شِعْرَ العبسِيِّ في إجْلاءِ اليَهُودِ، فقالَ: [من الطويل]

أَحَلّ اليَهُودَ بِالحَسِيِّ المُزَنَّمِ

يُرِيدُ: أحَلَّهُمْ بِأرْضِ غُرْبَةٍ، وفي غَيْرِ عَشائِرِهِمْ، والزَّنِيمُ والمُزَنَّمُ: الرّجُلُ يَكُونُ في القَوْمِ، ولَيْسَ مِنْهُمْ؛ أيْ: أحلَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الحَسِيّ؛ أيِ: المُبْعَدِ الطّرِيدِ، وإنّما جَعَلَ الطّرِيدَ الذّلِيلَ حَسِيًّا؛ لِأنّهُ عُرْضَةٌ لأكْلٍ، والحَسِيُّ والحَسْوُ ما يُحْسى مِن الطّعامِ حَسْوًا، أيْ: أنّهُ لا يَمْتَنِعُ عَلى آكِلٍ، ويَجُوزُ أنْ يُرِيدَ بِالحَسِيِّ مَعْنى الغَذِيّ مِنَ الغَنَمِ، وهُوَ الصّغِيرُ الضّعِيفُ الّذِي لا يَسْتَطِيعُ الرّعْيَ، يقول: بُدِّلُوا بِالمالِ الدّثْرِ والإبِلِ[1] الكُومِ رُذالَ المالِ وغِذاءَ الغَنَمِ، والمُزَنّمُ[2] مِنْهُ، فهَذا وجْهٌ يُحْتَمَلُ، وقَدْ أكْثَرْتُ التنْقِيرَ ....

---

(١) في (ف): «وبالإبل».
(٢) الدَّثْر: الكثير. والكوم: القطعة من الإبل. والرُّذال: الأرذل. وغِذاء: جمع غَذِيّ مثل فصيل وفصال: والمزنّم: الصغار.

عَنِ[1] الحَسِيّ في مَظانِّهِ مِنَ اللّغةِ فلَمْ أجِدْ[2] نَصًّا شافيًا[3] أكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أبي عَلِيّ: والحَسِيّةُ والحَسِيّ ما يُحْسى مِنَ الطّعام، وإذْ قَدْ وجَدْنا الغَذِيّ واحِدَ غِذاءِ الغَنَمِ، فالحَسِيُّ في مَعْناهُ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ أنْ يُقالَ، واللهُ أعْلَمُ. والمُزَنّمُ أيْضًا: صِغارُ الإبِلِ.

وسائر هذا الشِّعر مع ما بعده مِنَ الأشْعارِ لَيْسَ فيهِ[4] عَوِيصٌ مِنَ الغَرِيبِ، ولا مُسْتَغْلَقٌ مِنَ الكَلامِ.

وَما ذَكَرَ مِنْ أمْرِ الكاهِنَيْنِ فهُما قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ، وفي الحَدِيثِ: «يَخْرُجُ في الكاهِنَيْنِ رَجُلٌ يَدْرُسُ القُرْآنَ دَرْسًا لَمْ يَدْرُسْهُ أحَدٌ قَبْلَهُ، ولا يَدْرُسُهُ أحَدٌ بَعْدَهُ»[5]، فكانُوا يَرَوْنَ أنّهُ مُحَمّدُ بنُ كَعْب بنِ عَطِيّةَ القُرَظي، وسَيَأْتِي خَبَرُ جَدّهِ عَطِيّةَ في بَنِي قُرَيْظَةَ[6]. والكاهِنُ في اللّغةِ بِمَعْنى الكاهل، وهو الذي يَقُومُ بِحاجةِ أهْلِهِ إذا خَلَفَ عَلَيْهِمْ، يُقالُ: هُوَ كاهِنُ أبيهِ وكاهِلُهُ[7]. قالَهُ الهَرَوِيّ، فيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ سُمِّيَ الكاهِنانِ بِهَذا. والله أعلم.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ خُرُوجَ بَنِي النّضِيرِ إلى خَيْبَرَ، وأنّهُم اسْتَقَلُّوا ومعهم

---

(١) في (أ)، (ب): «على».

(٢) في (ف): «فلم أجده».

(٣) في (ص)، (ج): شافيًا عليه.

(٤) في (س): «فيها».

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦: ١٠-١١).

(٦) انظر ترجمة محمد بن كعب القرظي في: «التاريخ الكبير» للبخاري: (١: ٢١٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: (٥: ٦٥-٦٨).

(٧) في (ص): «هو كاهل أبيه وكاهنه».

النِّساءُ والأبناءُ والقِيانُ يَعْزِفنَ بالدُّفُوفِ، والمَزامِيرُ خَلفَهُمْ، وفيهِمْ[١] أُمُّ عَمْرٍو صاحِبَةُ عُرْوةَ بنِ الوردِ الَّتِي ابْتاعُوا مِنْهُ، وكانَتْ من بَنِي غِفارٍ. انْتَهى كَلامُ ابنِ إسْحاقَ، ولَمْ يَذْكُر اسْمَها في رِوايةِ البَكّائِيِّ عَنْهُ، وذَكَرَهُ في غَيْرِها، وهي سَلمى، قالَ الأصْمَعِيّ: اسْمُها: لَيْلى بِنْتُ شَعْواءَ، وقالَ أبُو الفَرَجِ: هي سَلمى أُمُّ وهْبٍ امْرَأَةٌ مِنْ كنانة، كانتْ ناكحًا[٢] في مُزَينة، فأغارَ عليهم عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ فَسَباها، وذَكَرَ الحَدِيثَ[٣].

وقَوْلُ أبِي الفَرَجِ: إنَّها مِنْ كِنانةَ لا يَدْفَعُ قَوْلَ ابنِ إسْحاقَ: إنَّها مِنْ غِفارٍ؛ لِأنَّ غِفارًا مِنْ كِنانةَ: غِفارُ[٤] بنُ مُلَيْلِ بنِ ضَمْرةَ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عبدِ مناة بن كِنانةَ. وعُرْوةُ بنُ الوَرْدِ بنِ زَيْدٍ، ويُقالُ: ابنُ عمرو بنِ ناشبٍ[٥] بنِ هدم بنِ عَوْذِ ابنِ غالِبِ بنِ قُطَيعةَ بنِ عبسٍ، فهُوَ عبسِيٌّ غَطَفانِيٌّ قَيْسِيٌّ؛ لِأنَّ عبسًا هُوَ ابنُ بَغِيضِ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، قالَ فيهِ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ: ما يَسُرُّنِي أنَّ أحَدًا مِنَ العَرَبِ ولَدَنِي إلّا عُرُوةُ بنُ الوَرِدِ؛ لقوله: [من الطويل]

أتهزأُ منِّي أنْ سَمِنْتَ وقَدْ تَرى ... بِجِسْمِيَ مَسَّ الحَقِّ والحقُّ جاهدُ
وإنِّي امرُؤٌ عافي إنائي شِرْكَةٌ ... وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِك واحِدُ[٦]
أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسُومٍ كثيرةٍ ... وأحسُو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ[٧]

(١) في (س): «وأن فيهم».
(٢) أي: متزوجة.
(٣) «الأغاني» (٣: ٩٢١-٩٢٢).
(٤) في (س): «وغفار».
(٥) كذا في النسخ. والذي في «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ٤٥٢)، و«الأغاني» (٣: ٩١٩): «ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب».
(٦) العافي: من جاءك يطلب فضلًا أو رزقًا.
(٧) «ديوانه» (ص: ٢٩)، و«الأغاني» (٣: ٩٢٠).

وَكانَ يقول: مَنْ قالَ: إنّ حاتِمًا أسْمَحُ العَرَبِ، فقَدْ ظَلَمَ عُرْوةَ بنَ الوَرْدِ، قالَ أبُو الفَرَجِ: وكانَ عُرْوةُ يَتَرَدَّدُ عَلى بَنِي النَّضِيرِ فيَسْتَقْرِضُهُمْ إذا احْتاجَ، ويَبِيعُ مِنْهُمْ إذا غَنِمَ، فرَأَوْا عِنْدَهُ سَلمى، فأعْجَبَتْهُمْ، فسَألُوهُ أنْ يَبِيعَها[١] مِنْهُمْ، فأبى، فسَقَوْهُ الخَمْرَ، واحْتالُوا عَلَيْهِ حَتّى ابْتاعُوها مِنْهُ، وأشْهَدُوا عَلَيْهِ، وفي ذَلِكَ يقول[٢]: [من الوافر]

سَقَوني الخمرَ ثم تكَنَّفُوني عُـــداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

ورُوِيَ أيْضًا أنّ قَوْمَها افْتَدَوْها مِنْهُ، وكانَ يَظُنُّ أنّها لا تَخْتارُ عَلَيْهِ أحَدًا ولا تُفارِقُهُ، فَخَيَّرَها فاخْتارَتْ قَوْمَها، فنَدِمَ، وكانَ لَهُ مِنْها بَنُونَ، فقالَتْ لَهُ: واللهِ ما أعْلَمُ امْرَأةً مِن العَرَبِ أرْخَتْ سِتْرًا عَلى بَعْلٍ مِثْلِكَ أغَضَّ طرفًا، ولا أنْدى كَفًّا، ولا أغْنى غَناءً، وإنّك لَرَفيعُ العِمادِ، كَثِيرُ الرّمادِ، خَفيفٌ عَلى ظُهُورِ الخَيْلِ، ثَقِيلٌ عَلى مُتُونِ الأعْداءِ، راضٍ لِلأهْلِ والجارِ، وما كُنْتُ لأُوثِرُ عليك أهْلِي، لَوْلا أنّي كُنْتُ أسْمَعُ بَناتِ عَمِّك يَقُلنَ: قالتْ أَمةُ عروة، وفعَلَتْ أَمةُ عُرْوةَ، فأجِدُ مِنْ ذَلِكَ المَوْتَ، واللهِ لا يُجامِعُ وجْهِي وجْهَ غَطَفانِيّةٍ أبَدًا، فاسْتَوْصِ بِبَنِيك خَيْرًا.

قالَ: ثُمّ تَزَوّجَها بَعْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النّضِيرِ، فسَألَها أنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِ في نادِي قَوْمِهِ كَما أثْنَتْ عَلى عُرْوةَ، فقالَتْ: أعْفِنِي؛ فإنّي لا أقُولُ إلّا ما عَلِمْتُه. فأبى أنْ يُعْفيَها، فجاءَتْ حَتّى وقَفَتْ عَلى النّادِي وهُوَ فيهِ، فقالَتْ: عِمُوا صَباحًا، ثُمّ قالَتْ: إنَّ هَذا أمَرَني أنْ أُثْنِيَ عَلَيْهِ بِما عَلِمْتُ[٣]، ثُمّ قالَتْ لَهُ: والله إنَّ شِمْلَتَك

---

(١) أي: يعطيها إياهم بثمن.

(٢) البيت من شواهد النحو على نصب «عداة» على الذم، ويجوز الرفع على القطع. انظر: «كتاب» سيبويه: (٢: ٧٠)، و«الكامل» للمبرد: (٢: ٩٣٢).

(٣) في (أ): «علمت منه».

لالتفافٌ[١]، وإنّ شُرْبكَ لاشتفافٌ، وإنَّ ضِجعتَكَ لانجِعاف، وإنّك لَتَشْبَعُ لَيْلةَ تُضافُ، وتَنامُ لَيْلةَ تَخافُ، فقالَ لَهُ قَوْمُهُ: قَدْ كُنْتَ في غِنًى عَنْ هَذا. وفيها يَقُولُ عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ[٢]: [من الوافر]

أرِقْتُ وصُحْبَتِي بِمَضِيقِ عُمْقٍ ... لِبَـرْقٍ فـي تِهامـةَ مُسْـتَطِيرِ
إذا قُلتُ: اسْـتَهَلّ عَلـى قُدَيْدٍ ... يَحُـورُ رَبابُهُ حَورَ الكَسِـيرِ[٣]
سَقى سَلمى وأيْنَ مَحَلُّ سَلمى ... إذا حَلَّـتْ مُجـاوِرةَ السَّـرِيرِ
إذا حَلّـتْ بِـأرْضِ بَنِـي عَلِيٍّ ... وأهْلُـك بَيْـنَ إمَّـرةٍ وكِيرِ[٤]
ذَكَرْت مَنـازِلًا مِـنْ أُمِّ وهْبٍ ... مَحَلّ الحَيِّ أسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ[٥]
وَآخِـرُ مَعْهَـدٍ مِـنْ أُمِّ وهْبٍ ... مُعَرَّسُـنا فُوَيْـقَ بَنِـي النّضِيرِ
وَقالَتْ: ما تَشاءُ، فقُلت: ألْهُو ... إلـى الإصْباحِ آثِـرَ ذِي أثِيرِ[٦]
بِآنِسـةِ الحَدِيـثِ رُضابُ فيها ... بُعَيْدَ النّـوْمِ كالعِنبِ العصيرِ[٧]
أطَعْتُ الآمِرِينَ بِصَرْمِ سَـلمى ... فطـارُوا في بِـلادِ اليَسْـتَعُورِ
سَقَوْنِي الخَمْرَ[٨] ثُمّ تكَنَّفُونِي ... عُـداةَ اللهِ مِـن كـذِبٍ وزُورِ

---

(١) في «الأغاني»: «لالتحاف». واشتفَّ ما في الإناء: استقصاه ولم يدع فيه شيئًا، وجَعَفه: قَلَبه، تصف هيئة ضجوعه، والشأن فيها أن يضع جنبه على الأرض ونحوها، لكنه كان إذا اضطجع انقلب.

(٢) «ديوانه» (ص: ٣١-٣٣).

(٣) استهل المطر: اشتد انصبابه. وحار: رجع.

(٤) إمَّرة: اسم ماء على طريق مكة من البصرة. وكير: جبلان في أرض غطفان.

(٥) النقير: موضع بين هجر والبصرة.

(٦) آثر ذي أثير: أي أنزل كل شيء. وانظر البيت في «الخصائص» (٢: ٤٣٣).

(٧) الآنسة: الفتاة الطيبة النّفس المحبوب قربها وحديثها، يؤنس بها.

(٨) في (ص) و«الديوان» و«اللسان»: «النَّسْءَ»، وهو شراب يزيل العقل، وفي (أ)، (س)، =

وقالوا: لستَ بَعْدَ فِداءِ سَلمى ... بِمُفْنٍ ما لَدَيْكَ ولا فقِيرِ
وَلا وأبيك لَوْ كاليَوْمِ أمْرِي ... ومَنْ لَكَ في التّدَبُّرِ في الأُمُورِ؟
إذن لَمَلَكْت عِصْمةَ أُمِّ وهْبٍ ... عَلى ما كانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ[1]
فَيا لِلنّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي ... عَلى شَيْءٍ ويَكْرَهُهُ ضَمِيرِي؟!

قَوْلُهُ: «السَّرير» مَوْضِعٌ في ناحِيةِ كِنانةَ، وقَوْلُهُ: «اليَسْتَعُورِ» هُوَ مَوْضِعٌ قِبَلَ حَرّةِ المَدِينةِ، فيهِ عِضاهٌ مِنْ سَمُرٍ وطَلحٍ، وقالَ أبُو حَنِيفةَ: اليَسْتَعُورُ: شَجَرٌ يُسْتاكُ بِهِ، يَنْبُتُ بِالسّراةِ، واليَسْتَعُورُ أيْضًا مِنْ أسْماءِ الدّواهِي، والياءُ في اليَسْتَعُورِ أصْلِيّةٌ[2].

فهَذا شَرْحُ ما أوْمَأ إلَيْهِ ابنُ إسْحاقَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَمْرٍو، وإنّما هي أُمُّ وهْبٍ كَما تَكَرّرَ في شِعْرِهِ.

* * *

= (ف): «النشّ» وهو صوت الماء وغيره كالخمر إذا غلي، وفي (ب): «النشء»، وهو ريح الخمر، وفي (ج): «النسّ» ولا أجد له معنًى مناسبًا.

(١) الحَسَك: الحقد والغضب، يقال: حَسِك عليه فهو حَسِكٌ.

(٢) «الكتاب» (٤: ٣١٣)، قال سيبويه: «وأما يستعور فالياء فيه بمنزلة عين عضرفوطٍ؛ لأن الحروف الزوائد لا تلحق بنات الأربعة أولًا...».

غَزْوةُ ذاتِ الرِّقاعِ في سَنةِ أرْبَعٍ

[الأُهْبةُ لَهَا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ بَعْدَ غَزْوةِ بَنِي النَّضِيرِ شَهْرَ رَبِيعٍ الآخِرِ وبَعْضَ جُمادى، ثُمَّ غَزا نَجْدًا يُرِيدُ بَنِي مُحارِبٍ وبَنِيَ ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفانَ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ أبا ذَرٍّ الغِفارِيَّ، ويُقالُ: عُثْمانَ بن عَفّانَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ:

[سَبَبُ تَسْمِيَتِها بِذاتِ الرِّقاعِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى نَزَلَ نَخْلًا، وهِيَ غَزْوةُ ذاتِ الرِّقاعِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما قِيلَ لَهَا: غَزْوةُ ذاتِ الرِّقاعِ؛ لِأَنَّهُمْ رَقَّعُوا فيها راياتِهِمْ، ويُقالُ: ذاتُ الرِّقاعِ: شَجَرةٌ بِذلك المَوْضِعِ، يُقالُ لَهَا: ذاتُ الرِّقاعِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَقِيَ بِها جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ غَطَفانَ، فتَقارَبَ النّاسُ، ولَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وقَدْ خافَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتّى صَلّى رَسُولُ الله ﷺ بِالنّاسِ صَلاةَ الخَوْفِ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِالنّاسِ.

غَزْوةُ ذاتِ الرِّقاعِ

وسُمِّيَتْ ذاتَ الرِّقاعِ لِأَنَّهُمْ رَقَّعُوا فيها راياتِهِمْ في قَوْلِ ابنِ هشام، قال: ويقالُ أيضًا: ذاتُ الرِّقاعِ: شَجَرةٌ بِذَلِكَ المَوْضِعِ يُقالُ لَها: ذاتُ الرِّقاعِ، وذَكَرَ

غَيْرُهُ أنّها أرْضٌ فيها بُقَعٌ سُودٌ وبُقَعٌ بيض، كأنها مُرَقَّعة بِرقاع مختلفة[١]، فسُمّيَتْ ذاتَ الرِّقاع بذَلِكَ، [وكانُوا قَدْ نَزَلُوا فيها في تِلكَ الغَزاةِ][٢]. وأصَحُّ مِنْ هَذِهِ الأقْوالِ كُلِّها ما رَواهُ البُخارِيّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُوسى الأشْعَرِيّ، قالَ: «خَرَجْنا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ، ونَحْنُ سِتّةُ نَفَر بَيْنَنا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ[٣]، فنَقِبَتْ أَقْدامُنا، ونقِبتْ قدماي، وسقطتْ أظفاري، فكنّا نَلُفُّ عَلى أرْجُلِنا الخِرَقَ، فسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذاتِ الرِّقاع؛ لِما كُنّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلى أرْجُلِنا». وحَدّثَنا[٤] أَبُو مُوسى بِهَذا، ثُمّ كَرِهَ ذَلِكَ، فقالَ: ما كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ. كَأنّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْءٌ[٥] مِنْ عَمَلِهِ أفْشاهُ[٦].

* * *

(١) بعده في (ص)، (ج): «ومن ذلك قيل للخرقة التي يمسح بها الكاتب: الرقيعة، قاله أبو جعفر».

(٢) سقط من (ب).

(٣) أي: نتناوبه ونتداوله في الركوب، فيركب الواحد نوبة، ويعقبه الآخر.

(٤) في غير (ج) (ص) «فحدث».

(٥) في غير (ج)، (ص): «شيئًا».

(٦) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤١٧).

[صَلاةُ الخَوْفِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا عَبْدُ الوارِثِ بنُ سَعِيدٍ التَّنُّورِيُّ وكانَ يُكَنَّى: أبا عُبَيْدَةَ، قالَ: حَدَّثَنا يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ، عَنِ الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ في صَلاةِ الخَوْفِ، قالَ: صَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وطائِفَةٌ مُقْبِلُونَ على العَدُوِّ. قالَ: فجاؤُوا فصَلّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنا عَبْدُ الوارِثِ، قالَ: حَدَّثَنا أَيُّوبُ، عَنْ أبي الزُّبَيْرِ، عَنْ جابِرٍ، قالَ: صَفَّنا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفينِ، فرَكَعَ بِنا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وسَجَدَ الصَّفُّ الأوَّلُ، فلَمّا رَفَعُوا سَجَدَ الَّذينَ يَلُونَهُمْ بِأنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأخَّرَ الصَّفُّ الأوَّلُ، وتَقَدَّمَ الصَّفُّ الآخِرُ حَتّى قامُوا مَقامَهُمْ، ثُمَّ رَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وسَجَدَ الَّذينَ يَلُونَهُ مَعَهُ، فلَمّا رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ سَجَدَ الآخَرُونَ بِأنْفُسِهِمْ، فرَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ جَمِيعًا، وسَجَدَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما بِأنْفُسِهِمْ سَجْدَتَيْنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا عَبْدُ الوارِثِ بنُ سَعِيدٍ التَّنُّورِيُّ، قالَ: حَدَّثَنا أَيُّوبُ، عَنْ نافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ، قالَ: يَقُومُ الإمامُ وتَقُومُ مَعَهُ طائِفَةٌ، وطائِفَةٌ مِمّا يَلِي عَدُوَّهُمْ، فيَرْكَعُ بِهِم الإمامُ ويَسْجُدُ بِهِمْ، ثُمَّ يَتَأخَّرُونَ فيَكُونُونَ مِمّا يَلِي العَدُوَّ، يَتَقَدَّمُ الآخَرُونَ فيَرْكَعُ بِهِم الإمامُ رَكْعَةً، ويَسْجُدُ بِهِمْ، ثُمَّ تُصَلِّي كُلُّ طائِفَةٍ بِأنْفُسِهِمْ رَكْعَةً، فكانَتْ لَهُمْ مَعَ الإمامِ رَكْعَةً رَكْعَةً، وصَلَّوْا بِأنْفُسِهِمْ رَكْعَةً رَكْعَةً.

[غَوْرَثٌ وما هَمَّ بِهِ مِنْ قَتْلِ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ، عَن الحَسَنِ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحارِبٍ، يُقالُ لَهُ: غَوْرَثٌ، قالَ لِقَوْمِهِ مِنْ غَطَفانَ ومُحارِبٍ: ألا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟ قالُوا: بَلى، وكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قالَ: أَفْتِكُ بِهِ. قالَ: فأَقْبَلَ إلى رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ جالِسٌ، وسَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ في حِجْرِهِ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، انْظُرُ إلى سَيْفِكَ هذا، قالَ: «نَعَمْ» وكانَ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، قالَ: فأَخَذَهُ فاسْتَلَّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَهُزُّهُ، ويَهُمُّ، فيَكْبِتُهُ الله، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، أما تَخافُنِي؟ قالَ: «لا، وما أَخافُ مِنْكَ؟». قالَ: أما تَخافُنِي وفي يَدِي السَّيْفُ؟ قالَ: «لا، يَمْنَعُنِي الله مِنْكَ». ثُمَّ عَمَدَ إلى سَيْفِ رسولِ الله ﷺ، فرَدَّهُ عَلَيْهِ. قالَ: فأَنْزَلَ الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ: أَنَّها إنَّما أُنْزِلَتْ في عَمْرِو ابنِ جِحاشٍ، أَخِي بَنِي النَّضِيرِ وما هَمَّ بِهِ، فالله أَعْلَمُ أَيَّ ذلك كانَ.

[جابِرٌ وقِصَّتُهُ هُوَ وجَمَلُهُ مَعَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي وهْبُ بنُ كَيْسانَ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إلى غَزْوَةِ ذاتِ الرِّقاعِ مِنْ نَخْلٍ، على جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ، فلَمّا قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺ، قالَ: جَعَلَت الرِّفاقُ تَمْضِي، وجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ، حَتّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «ما لك يا جابِرُ؟»، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هذا، قالَ: «أَنِخْهُ»، قالَ: فَأَنَخْتُهُ، وأَناخَ

رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قالَ: «أَعْطِنِي هَذِهِ العَصا مِنْ يَدِكَ، أو اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرةٍ»، قالَ: ففعَلْتُ. قالَ: فأخَذَها رَسُولُ الله ﷺ فنَخَسَهُ بِها نَخَساتٍ، ثُمَّ قالَ: «ارْكَبْ»، فرَكِبْتُ، فخَرَجَ، والَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، يُواهِقُ ناقَتَهُ مُواهَقةً.

قالَ: وتَحَدَّثْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لِي: «أتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هذا يا جابِرُ؟» قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، بَلْ أهَبُهُ لَكَ، قالَ: «لا، ولَكِنْ بِعْنِيهِ»، قالَ: قُلْتُ: فسُمْنِيهِ يا رَسُولَ الله، قالَ: «قَدْ أخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ»، قالَ: قُلْتُ: لا، إذًا تَغْبِنُنِي يا رَسُولَ الله! قالَ: «فبِدِرْهَمَيْنِ»، قالَ: قُلْتُ: لا. قالَ: فلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ الله ﷺ في ثَمَنِهِ حَتّى بَلَغَ الأُوقِيَّةَ. قالَ: فقُلْتُ: أفَقَدْ رَضِيتَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فهُوَ لَكَ، قالَ: «قَدْ أخَذْتُهُ». قالَ: ثُمَّ قالَ: «يا جابِرُ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟»، قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله، قالَ: «أثَيِّبًا أمْ بِكْرًا؟»، قالَ: قُلْتُ: لا، بَلْ ثَيِّبًا، قالَ: «أفَلا جارِيَةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ!»، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّ أبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وتَرَكَ بَناتٍ لَهُ سَبْعًا، فنَكَحْتُ امْرَأةً جامِعةً، تَجْمَعُ رُؤُوسَهُنَّ، وتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قالَ: «أصَبْتَ إنْ شاءَ الله، أما إنّا لَوْ قَدْ جِئْنا صِرارًا أمَرْنا بِجَزُورٍ فنُحِرَتْ، وأقَمْنا عَلَيْها يَوْمَنا ذاكَ، وسَمِعَتْ بِنا، فنَفَضَتْ نَمارِقَها». قالَ: قُلْتُ: والله يا رَسُولَ الله، ما لَنا مِنْ نَمارِقَ، قالَ:

«إنَّها سَتَكُونُ، فإذا أنْتَ قَدِمْتَ فاعْمَلْ عَمَلًا كَيِّسًا». قالَ: فلَمّا جِئْنا صِرارًا أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِجَزُورٍ فنُحِرَتْ، وأقَمْنا عَلَيْها ذلك اليَوْمَ، فلَمّا أمْسى رَسُولُ الله ﷺ دَخَلَ ودَخَلْنا، قالَ: فحَدَّثْتُ المَرْأةَ الحَدِيثَ وما قالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، قالَتْ: فدُونَكَ، فسَمْعٌ وطاعةٌ.

قالَ: فلَمّا أصْبَحْتُ أخَذْتُ بِرأسِ الجَمَلِ، فأقْبَلْتُ بِهِ حتّى أنَخْتُهُ على بابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: ثُمَّ جَلَسْتُ في المَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ، قالَ: وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فرَأى الجَمَلَ، فقالَ: «ما هذا؟» قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، هذا جَمَلٌ جاءَ بِهِ جابِرٌ، قالَ: «فأيْنَ جابِرٌ؟»، قالَ: فدُعِيتُ لَهُ، قالَ: فقالَ: «يا ابن أخِي، خُذْ بِرأسِ جَمَلِكَ، فهُوَ لَكَ»، ودَعا بِلالًا، فقالَ لَهُ: «اذْهَبْ بِجابِرٍ، فأعْطِهِ أُوقِيّةً». قالَ: فذَهَبْتُ مَعَهُ، فأعْطانِي أُوقِيّةً، وزادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا. قالَ: فواللهِ ما زالَ يَنْمِي عِنْدِي، ويَرى مَكانَهُ مِنْ بَيْتِنا، حَتّى أُصِيبَ أمْسِ فيما أُصِيبَ لَنا؛ يَعْنِي: يَوْمَ الحَرّةِ.

فَصْلٌ[١]

وذَكَرَ صَلاةَ الخَوْفِ، وأوْرَدَها مِنْ طُرُقٍ ثَلاثٍ، وهي مَرْوِيّةٌ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفةٍ أكْثَرَ مِمّا ذَكَرَ. سَمِعْتُ شَيْخَنا أبا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: فيها سِتَّ عَشْرَةَ رِوايةً، وقَدْ خَرَّجَ المُصَنِّفُونَ أصَحَّها، وخَرَّجَ أبُو داوُدَ مِنْها جُمْلةً[٢]، ثُمّ اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ في التّرْجِيحِ، فقالَت طائِفةٌ: يُعْمَلُ مِنْها بِما كانَ أشْبَهَ بظاهر القُرْآنِ، وقالَتْ طائِفةٌ: يُجْتَهَدُ في طَلَبِ الآخِرِ مِنْها؛ فإنّهُ النّاسِخُ لِما قَبْلَهُ، وقالَتْ طائِفةٌ: يُؤْخَذُ بأصَحِّها نَقْلًا، وأعْلاها رُواةً، وقالَتْ طائِفةٌ ـ وهُوَ مَذْهَبُ شَيْخِنا ـ: يُؤْخَذُ بِجَمِيعِها على حَسَبِ اخْتِلافِ أحْوالِ الخَوْفِ، فإذا اشْتَدّ الخَوْفُ أُخِذَ بأيْسَرِها مَؤُونةً، فإذا تَفاقَمَ الخَوْفُ صَلَّوْا بِغَيْرِ إمامٍ لِقِبْلةٍ أوْ لِغَيْرِ قِبْلةٍ. وقَدْ رَوى ابنُ سَلامٍ

---

(١) من هنا وقع سقط كبير في (ب)، شمل باقي هذا الفصل والذي يليه، ونحو سطرين من الفصل الثالث.

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (٢: ١١-١٧).

عَنْ طائِفةٍ مِن السّلَفِ أنّ صَلاةَ الخَوْفِ قَدْ تَؤولُ إلى أنْ تَكُونَ أرْبَعَ تَكْبيراتٍ، وذَلِكَ عِنْدَ مَعْمَعةِ القِتالِ. وسَيأْتِي بَقِيّةُ القَوْلِ في صَلاةِ الخَوْفِ في خَبَرِ بَنِي قُرَيْظة إنْ شاءَ اللهُ.

ومِمّا تُخالِفُ بِهِ[1] صَلاةُ الخَوْفِ حُكْمَ غَيْرِها أنّهُ لا سَهْوَ فيها عَلى إمامٍ، ولا عَلى مَأْمُومٍ، رَواهُ الدّارَقُطْنِيّ بِسَنَدٍ ثابِتٍ عَنْ رسول الله ﷺ، أنّهُ قالَ: «لا سَهْوَ في صَلاةِ الخَوْفِ»[2].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ جابِرٍ حِينَ أبْطَأ بِهِ جَمَلُهُ، فنَخَسَهُ رسول الله ﷺ فأسرعَ بِهِ، وجعلَ يُواهِقُ ناقة رسول الله ﷺ مُواهَقةً.

المُواهَقةُ كالمُسابَقةِ والمُجاراةِ، وأنْشَدَ سِيبَوَيْهِ: [من الطويل]

تُواهِقُ رِجْلاها يَداها ورَأْسُهُ ... لَها قَتَبٌ خَلفَ الحَقِيبةِ رادِفُ[3]

رَفَعَ (يَداها ورِجْلاها) رَفْعَ الفاعِلِ؛ لِأنّ المُواهَقةَ لا تَكُونُ إلّا مِن اثْنَيْنِ، فكُلُّ واحِدٍ مِنْهُما فاعِلٌ في المَعْنى؛ كَما ذَكَرُوا في قَوْلِ الرّاجِزِ[4]: [من الرجز]

---

(١) في (ف): «فيه».

(٢) «سنن الدارقطني»، باب صفة صلاة الخوف: (٢: ٥٨).

(٣) «كتاب» سيبويه: (١: ٢٨٧). والبيت لأوس بن حجر، وهو في «ديوانه» (ص: ٧٣). ورواية الديوان: «يديه ورأسه»، «فوق الحقيبة». والقتَب: الرحل الصغير على قدر السنام. والحقيبة: العجز. ورواية «الديوان» أجود. يصف حمارًا وحشيًّا يجري وراء أتان، وأن رجليها توافقان يديه، ورأسه كأنه رحلٌ لها فوق عجزها.

(٤) الرجز في «الكتاب» (١: ٢٨٧)، و«معاني القرآن» للفراء: (٣: ١١)، ونُسب إلى غير واحد، فنُسب إلى العجاج، وإلى أبي حيان الفقعسي، ومساور العبسي. =

قَدْ سالَمَ الحَيّاتُ مِنْهُ القَدَما الأُفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَما

هَكَذا تَأَوّلَهُ سِيبَوَيْهِ، ولَعَلّ هَذا الشّاعِرَ كانَ مِنْ لُغَتِهِ أنْ يَجْعَلَ التّثْنِيةَ بِالألِفِ في الرّفْعِ والنّصْبِ والخَفْضِ، كَما قالَ[1]: [من الطويل]

تَزَوّدَ مِنّا بَيْنَ أُذْناهُ طَعْنَةً [دَعَتْهُ إلى هابِي التُّرابِ عَقِيمِ][2]

وَكَما قالَ الآخَرُ[3]: [من الرجز]

قَدْ بَلَغا في المَجْدِ غايَتاها

وَهي لُغَةُ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ. وقالَ النّحّاسُ في الكِتابِ «المقنع»: وهي أيضًا لغةٌ لخَثْعَم وطَيِّئٍ وأبْطُنٍ مِنْ كِنانَةَ، والبَيْتُ - أعْنِي: «تُواهِقُ...» - هُوَ[4] لِأوْسِ بنِ حَجَرٍ الأُسَدِيِّ، ولَيْسَ مِمّنْ هَذِهِ لُغَتُهُ، فالبَيْتُ إذًا عَلى ما قالَه سِيبوَيه.

وَذَكَرَ مُساوَمةَ النّبِيّ ﷺ لِجابِرٍ في الجَمَلِ، حين[5] اشْتَراهُ مِنْهُ بأوقيّةٍ، وأنّهُ أعْطاهُ أوّلًا دِرْهَمًا، فقالَ: تَغْبِنُنِي يا رسول الله، ....

= والأفعوان: ذكر الأفاعي. والشجاع: نوع من الحيات. يصف راعيًا بخشونة قدميه وغلظ جلدهما، وأن الحيات لا تؤثر فيهما، فكأن بينهما مسالمة.

(١) نُسب في «اللسان» (صرع) إلى هوبر الحارثي، وهو من شواهد «شذور الذهب» (ص: ٤٩). وهابي التراب: ما دقَّ منه وارتفع.

(٢) عن (ج)، (ص).

(٣) يُنسب إلى أبي النجم العجلي في «ديوانه» (ص: ٢٧٨)، وهو في ملحقات «ديوان رؤبة» (ص: ١٦٨)، و«أمالي السهيلي» (ص: ١١٤). وقبله:

إن أباها وأبا أباها

(٤) «هو» ليست في (ف).

(٥) في (ف): «حتى».

فإنْ كانَ أعْطاهُ[١] الدِّرْهَمَ مازِحًا فقَدْ كانَ يَمْزَحُ، ولا يَقُولُ إلّا حَقًّا، فإذا كانَ حَقًّا ففيهِ مِن الفِقْهِ إباحةُ المُكايَسةِ الشَّدِيدةِ في البَيْعِ، وأنْ يُعْطِيَ في السِّلعةِ ما لا يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ ثَمَنًا لَها[٢] بِنَصِّ هذا الحَدِيثِ، وفي دَلِيلِهِ أنّ مَنِ اشْتَرى سِلعةً بما لا يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ ثَمَنًا لَها، وهُوَ عاقِلٌ بَصِيرٌ، ولَمْ يَكُنْ في البَيْعِ تَدْلِيسٌ عَلَيْهِ، فهُوَ بيعٌ ماضٍ لا رُجُوعَ فيهِ. [ورُوِيَ مِنْ وجْهٍ صَحِيحٍ[٣] أنّهُ كانَ يَقُولُ لَهُ كُلَّما زادَه[٤] دِرْهَمًا: «قَدْ أخَذْتُه بِكَذا واللهُ يَغْفِرُ لَك»[٥]، فكَأنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ أرادَ بإعْطائِهِ إيّاهُ دِرْهَمًا دِرْهَمًا أنْ يُكْثِرَ اسْتِغْفارَهُ لَهُ][٦].

وفي جَمَلِ جابِرٍ هَذا أُمُورٌ[٧] مِن الفِقْهِ سِوى ما ذَكَرْنا[٨]، وذَلِكَ أنّ طائِفةً مِن الفُقَهاءِ احْتَجُّوا بِهِ في جَوازِ بَيْعٍ وشَرْطٍ؛ لِأنّ رسول الله ﷺ شَرَطَ لَهُ ظَهْرَهُ إلى المَدِينةِ، وقالَتْ طائِفةٌ: لا يَجُوزُ بَيْعٌ وشَرْطٌ، وإنْ وقَعَ فالشَّرْطُ باطِلٌ، والبَيْعُ باطِلٌ، واحْتَجُّوا بِحَدِيثِ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أبِيهِ شُعَيْبٍ، عَنْ جدِّ أبيه عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِي[٩]، أنّ رسول الله ﷺ نَهى عَنْ بَيْعٍ وشَرْطٍ[١٠]، وعَنْ بَيْعٍ وسَلَفٍ.

---

(١) في (ص)، (ج): «أعطاه فيه».
(٢) في (ف): «ثمنها».
(٣) في (ف): «صحيح له».
(٤) في (ف): «زاد له».
(٥) أخرجه النسائي في كتاب البيوع: (٧: ٢٩٩)، وابن ماجه في كتاب التجارات: (٢: ٧٤٣).
(٦) ليس في (ج)، (ص).
(٧) في (أ): «أمر من أمور الفقه».
(٨) في (ف): «ذكرناه».
(٩) في (ف): «العاص».
(١٠) في غير (ج)، (ص): «شرط وبيع».

وَقَدْ رَوى أَبُو داوُدَ هَذا الحَدِيثَ فقالَ: عَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو[١].

وَهَذِهِ رِوايَةٌ مُسْتَغْرَبَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ جِدًّا؛ لِأَنّ المَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ أَنّ شُعَيْبًا إنّما يَرْوِي عَنْ جدِّه عبد الله، لاعن أَبِيهِ مُحَمّدٍ؛ لِأَنّ أباهُ مُحَمّدًا ماتَ قَبْلَ جَدِّهِ عبدِ اللهِ، فقِفْ عَلى هَذِهِ[٢] التّنْبِيهةِ [في هَذا الحَدِيثِ][٣]، فقَلَّ مَنْ تَنَبّهَ إلَيْها، وقالوا: لا حُجّةَ في حَدِيثِ جابِرٍ لِما فيهِ مِن الِاضْطِرابِ، فقَدْ رُوِيَ أَنّهُ قالَ: أَفْقَرَنِي[٤] ظَهْرَهُ إلى المَدِينةِ، ورُوِيَ أَنّهُ قالَ: اسْتَثْنَيْتُ ظَهْرَهُ إلى المَدِينةِ[٥]، ورُوِيَ أَنّهُ قالَ: شَرَطَ لِي ظَهْرَهُ [إلى المدينة][٦]، وقالَ البُخارِيّ: الِاشْتِراطُ أَكْثَرُ وأَصَحُّ[٧]. وكَذَلِكَ اضْطَرَبُوا في الثّمَنِ؛ فقال بعضهم: بِعْته مِنْهُ بِأُوقِيّةٍ، وقالَ بَعْضُهُمْ: بِأَرْبَعِ أَواقٍ، وقالَ بَعْضُهُمْ: بِخَمْسِ أَواقٍ، وقالَ بَعْضُهُمْ بِخَمْسةِ دَنانِيرَ، وقالَ بَعْضُهُمْ: بِأَرْبَعةِ دَنانِيرَ، وهُوَ في مَعْنى الأُوقِيّةِ، وكُلُّ هَذِهِ الرّواياتِ قَدْ ذَكَرَها البُخارِيّ، [وقالَ مُسْلِمٌ في بَعْضِ رِواياتِهِ: دِينارَيْنِ ودِرْهَمَيْنِ][٨]، وقالَتْ طائِفةٌ بِإِبْطالِ الشّرْطِ، وجَوازِ البَيْعِ، واحْتَجُّوا بِحَدِيث

(١) «سنن أبي داود»، كتاب البيوع: (٣: ٣٨٣). ورواه كذلك الترمذي والنسائي في أبواب البيوع. انظر: «عارضة الأحوذي» (٥: ٢٣٤)، والنسائي: (٧: ٢٩٥).

(٢) في (س): «هذا التنبيه».

(٣) عن (ص).

(٤) أي: أَعِرْنيه للركوب.

(٥) أي: اشترطت ركوبه إلى المدينة.

(٦) ليس في: (ص)، (ج)، (ف).

(٧) بعده في (ص)، (ج): «كما تقدم». والحديث أخرجه البخاري في كتاب الشروط، «فتح الباري» (ص: ٣١٤).

(٨) ليس في (ص)، (ج). وانظر: «صحيح مسلم»، كتاب المساقاة: (٣: ١٢٢١-١٢٢٤).

بَريرةَ حِينَ باعَها أَهْلُها مِنْ عائِشةَ واشترطوا الولاءَ، فأجازَ رسول الله ﷺ البَيْعَ وأبْطَلَ الشَّرْطَ[١]، واسْتَعْمَلَ مالِكٌ رحمه الله هَذِهِ الأحادِيثَ جُمَعَ، فقالَ بِإبْطالِ الشَّرْطِ والبَيْعِ عَلى صُورةٍ، وبِجوازِهِما جميعًا عَلى صُورةٍ أُخْرى، وبِإبْطالِ الشَّرْطِ وجَوازِ البَيْعِ عَلى صُورةٍ أَيْضًا، وذَلِكَ بَيِّنٌ في المَسائِلِ لِمَنْ تَدَبَّرَها، وأبْيَنُ ما تُوجَدُ مُحْكَمَةَ الأُصُولِ، مُسْتَثْمَرةَ الجَنا والفُصُولِ، في كِتابِ «المُقَدِّماتِ» لِابنِ رُشْدٍ، فلْيَنْظُرْها هُنالِكَ مَنْ أرادَها[٢].

فَصْلٌ

ومِنْ لَطِيفِ العِلمِ في حَدِيثِ جابرٍ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ قَطْعًا أَنّ رسول الله ﷺ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا، بَل كانَتْ أفْعالُهُ مَقْرُونةً بالحِكْمةِ، ومُؤَيَّدةً بالعِصْمةِ، فاشْتِراؤُهُ الجَمَلَ مِنْ جابرٍ ثُمّ إعطاؤه الثّمَنَ، وزيادتُه عَلَيْهِ زِيادةً[٣]، ثُمّ رَدُّ الجَمَلِ عَلَيْهِ، وقَدْ كانَ يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ ذَلِكَ العَطاءَ دُونَ مُساوَمةٍ [في الجَمَلِ][٤] ولا اشْتِراءٍ ولا شَرْطِ تَوْصِيلٍ، فالحِكْمةُ في ذَلِكَ بَدِيعةٌ جِدًّا، فلْتُنْظَرْ بعَيْنِ الِاعْتِبارِ: وذَلِكَ أَنّهُ سَأَلَهُ: «هَل تَزَوَّجْتَ؟». ثُمّ قالَ[٥]: «هَلّا بِكْرًا [تُلاعِبُها وتُلاعِبُك]»[٦]، فذَكَرَ لَهُ مَقْتَلَ أَبيهِ، وما تخَلّفَ[٧] مِنَ البَناتِ، وقَدْ كانَ الرسولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ

---

(١) «الموطأ»، كتاب العتق والولاء: (٢: ٧٨١).

(٢) إلى هنا انتهى السقط الواقع في (ب)، والذي بدأ من (ص: ٢١٩).

(٣) في (أ)، (س)، (ص): «ثم أعطاه الثمن وزاده عليه زيادة»، وفي (ب): «ثم إعطاؤه الثمن وزاده عليه زيادة»، وفي (ج): «ثم إعطاؤه وزيادة عليه».

(٤) ليس في (ب).

(٥) في (ص)، (ج): «ثم قال له».

(٦) كذا في (س)، وفي (أ): «هلا بكرًا تلاعبها».

(٧) في (أ): «خلّف».

جابرًا بأنّ اللهَ قَدْ أحيا أباهُ، وردّ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وقالَ: ما تَشْتَهِي فأزِيدَكَ؟ فأكّدَ الرسول ﷺ هَذا الخَبَرَ بمَثَلٍ يُشبِهُهُ، فاشْتَرى مِنْهُ الجَمَلَ، وهُوَ مَطِيّتُهُ، كَما اشْتَرى اللهُ تَعالى من أبيه ومن الشُّهداء[1] أنفسَهم بثَمَنٍ هُوَ الجَنّةُ، ونَفْسُ الإنْسانِ مَطِيّتُهُ، كَما قالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ نَفْسِي مَطِيّتِي. ثُمّ زادَهُمْ زِيادةً فقالَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ثُمّ رَدّ عَلَيْهِمْ أنْفُسَهُم الّتِي اشْتَرى مِنْهُمْ فقالَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيَةَ، فأشارَ عَلَيْهِ السّلامُ باشْتِرائِهِ الجَمَلَ مِنْ جابِرٍ وإعْطائِهِ الثّمَنَ وزِيادَتِهِ عَلى الثّمَنِ، ثُمّ رَدِّ الجَمَلِ المُشْتَرى عَلَيْهِ، أشارَ بِذَلِكَ كُلِّهِ إلى تَأْكِيدِ الخَبَرِ الّذِي أخْبَرَ بِهِ عَنْ فِعْلِ اللهِ تَعالى بِأبِيهِ، فتَشاكَلَ الفِعْلُ مَعَ الخَبَرِ، كَما تَراهُ، وحاشَى لِأفْعالِهِ أنْ تَخْلُوَ مِنْ حِكْمَةٍ، بَل هي كُلُّها ناظِرَةٌ إلى القُرْآنِ ومُنْتَزَعةٌ مِنْهُ، والحمد لله.

فَصْلٌ

وحدَّثَ عن عمرو بنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ جابِرِ بنِ عبد الله، وذَكَرَ حَدِيثَ غَوْرَث، وقَدْ ذَكَرَهُ البُخارِيُّ، فقالَ فيهِ: غَوْرَث بن الحارِثِ[2]، وقَدْ ذَكَرَهُ الخَطّابِيّ فقالَ فيهِ: إنّهُ لمّا هَمّ بقَتْلِ النّبيّ ﷺ رُمِيَ بالزُّلّخةِ فنَدَرَ السّيْفُ مِنْ يَدِهِ، وسَقَطَ إلى الأرْضِ[3]. والزُّلّخةُ: وجَعٌ يَأْخُذُ في الصُّلبِ.

وأمّا رِوايَتُهُ الحَدِيثَ عَنْ عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ فأعْجَبُ شَيْءٍ سِياقَتُهُ إيّاهُ عَنْ عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ، وقَدْ رَواهُ الأثْباتُ عَنْ جابِرٍ، وعَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ مُتّفَقٌ على وهْنِ

(١) في (أ)، (ب): «ومن المؤمنين الشهداء».
(٢) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٢٦).
(٣) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٣٠٨).

حَدِيثِهِ[١]، وتَرْكِ الرّوايةِ عَنْهُ؛ لِما اشْتَهَرَ مِنْ بِدْعَتِه، وسوء نِحْلَته؛ فإنّهُ حُجّةُ القَدَرِيّةِ فيما يُسْنِدُونَ إلى الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ القَوْلِ بالقَدَرِ، وقَدْ بَرّأَهُ اللهُ مِنْهُ، وكانَ عِنْدَ اللهِ وجِيهًا، وأمّا عَمْرُو بنُ عُبَيْدِ بن بابٍ فقَدْ كانَ عَظِيمًا في زَمانِهِ عالِيَ الرّتْبَةِ في الوَرَعِ، حَتّى افتُتِنَ بِهِ وبِمَقالَتِهِ أُمّةٌ فصارُوا قَدَرِيّة، وقد نُبِزَ بِمَذْهَبِهِ قَوْمٌ مِنَ أهْلِ الحَدِيثِ فلَمْ يُسْقَطْ حَدِيثُهُمْ؛ لِأَنّهُمْ لَمْ يُجادِلُوا على مَذْهَبِهِمْ، ولا طَعَنُوا في مُخالِفِيهِمْ مِنْ أهْلِ السّنّةِ كَما فعَلَ عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ. فمِمَّنْ نُبِزَ بالقَدَرِ: ابنُ أبِي ذِئْبٍ[٢]، وقَتادةُ[٣]، وداوُدُ بنُ الحُصَيْنِ[٤]، وعبدُ الحَمِيدِ بنُ جَعْفَرٍ[٥]، وطائِفَةٌ سِواهُمْ مِنَ الأثْباتِ في عِلمِ الحَدِيثِ[٦].

وعَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ يُكَنّى: أبا عُثْمانَ، وأبُوهُ عُبَيْدُ بنُ بابٍ كانَ صاحِبَ شُرْطةٍ فيما ذَكَرُوا، وسَمِعَ يَوْمًا ناسًا يقولون في ابنِهِ: هَذا خَيْرُ النّاسِ ابنُ شَرِّ النّاسِ، فالتَفَتَ إلَيْهِمْ وقالَ: وما يُعْجِبُكُمْ مِنْ هَذا؟ هُوَ كَإبْراهِيمَ وأنا كَآزَرَ، وكانَ

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن بابٍ، وكان شيخ المعتزلة في عصره، عُرف بالزهد والورع، وُلد سنة (٨٠هـ)، وتوفي بطريق مكة سنة (١٤٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦: ١٠٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٦: ٢٤٦).

(٢) هو أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن، شيخ الإسلام، سمع المتقدمين، وُلد سنة (٨٠هـ)، وتوفي بالكوفة سنة (١٥٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٧: ١٣٩).

(٣) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز، كان حافظ عصره، ولد سنة (٦٠هـ)، وتوفي سنة (١١٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (٥: ٢٦٩).

(٤) هو أبو سليمان داود بن الحصين الأموي الفقيه، حدث عن أبيه وعكرمة والأعرج، وروى عنه مالك وابن إسحاق، توفي سنة (١٣٥هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٨: ٣٧٩)، «الوافي بالوفيات» (١٣: ٢٩١). (ج)

(٥) هو أبو سعد عبد الحميد بن جعفر بن عبيد الله، مديني، كان إمامًا في الحديث، ثقة، توفي سنة (١٥٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (٧: ٢٠).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٦: ١٠٥).

أَبُو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ: ما بَقِيَ أَحَدٌ يُسْتَحْيا مِنْهُ بَعْدَ عمرو، وكان يقول: [من الرجز]

كُلُّكُمْ خاتِلُ صَيْدْ كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدْ
غَيْرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْدْ

وَقَدْ نُبِزَ ابنُ إسْحاقَ بِالقَدَرِ أَيْضًا، ورِوايَتُهُ عَنْ عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ تُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ عَزاهُ إلى القدر، واللهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قول جابر: والله ما زالَ يَنْمِي عِنْدَنا، ويُرى مَكانُهُ مِنْ بَيْتِنا[١] حَتّى أُصِيبَ [أمسِ][٢] فيما أُصِيبَ مِنّا يَوْمَ الحَرّةِ - يَعْنِي: وقْعَةَ الحَرّةِ الّتِي كانَتْ بِالمَدِينةِ أيّامَ يَزِيدَ بنِ مُعاوِيةَ - عَلى يَدَي مُسْلِمِ بنِ عُقْبَةَ المُرّيّ الّذِي يُسَمِّيهِ أهْلُ المَدِينةِ مُسْرِفَ بنَ عُقْبَةَ، وكانَ سَبَبُها أنّ أهْلَ المَدِينةِ خَلَعُوا يَزِيدَ بنَ مُعاوِيةَ وأخْرَجُوا مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ وبَنِي أُمَيّة، وأمّرُوا عَلَيْهِمْ عبدَ اللهِ بنَ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ الّذِي غَسَّلَتْ أباهُ المَلائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، ولَمْ يُوافِقْ أهلَ المدينة عَلى هَذا الخَلعِ أَحَدٌ مِنْ أكابِرِ أصحاب رسول الله ﷺ الّذِينَ كانُوا فيهِمْ.

رَوى البُخارِيّ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ لمّا أرْجفَ[٣] أهْلُ المَدِينةِ بِيَزِيدَ دَعا بَنِيهِ ومَوالِيَهُ، وقالَ لَهُمْ: [إنّا][٤] قَدْ بايَعْنا هَذا الرّجُلَ عَلى بَيْعةِ اللهِ وبَيْعةِ رَسُولِهِ،

(١) في (أ)، (ب)، (ج): «بينما».
(٢) عن (س) والسيرة.
(٣) في (ب): «أرجف الناس».
(٤) ليس في (ب).

وإنّهُ واللهِ لا يَبْلُغَنّي عَنْ أحَدٍ مِنْكُمْ أنّهُ خَلَعَ يَدًا[١] مِنْ طاعَتِهِ إلّا كانَت الفَيْصَلَ بَيْنِي وبَيْنَهُ[٢]، ثُمّ لَزِمَ بَيْتَهُ، ولَزِمَ أبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ بَيْتَهُ، فدُخِلَ عَلَيْهِ في تِلكَ الأيّامِ الّتِي انْتُهِبَت المَدِينةُ فيها، فقِيلَ لَهُ: مَنْ أنْتَ أيّها الشّيْخُ؟ فقالَ: أنا أبو سعيدٍ الُخدريُّ صاحِبُ رسول الله ﷺ، فقالُوا لَهُ: قَدْ سَمِعْنا خَبَرَك، ولَنِعْمَ ما فعَلتَ حِينَ كَفَفْتَ يَدَكَ ولَزِمْتَ بَيْتَك، ولَكِنْ هاتِ المالَ، فقالَ: قَدْ أخَذَهُ الّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَكُمْ عَلَيّ، وما عِنْدِي شَيْءٌ، فقالُوا: كَذَبْتَ، ونَتَفُوا لِحْيَتَهُ، وأخَذُوا ما وجَدُوا حَتّى صُوفَ الفَرْشِ، وحَتّى أخَذُوا زَوْجَيْنِ مِنْ حَمامٍ كانَ صِبْيانُهُ يَلعَبُونَ بِهِما.

وأمّا جابرُ بنُ عبدِ اللهِ الّذِي كُنّا بِمَساقِ حَدِيثِهِ، فخَرَجَ في ذَلِكَ اليَوْمِ يَطُوفُ في أزِقّةِ المَدِينةِ وهُوَ أعْمى، والبُيُوتُ تُنْتَهَبُ، وهُوَ يَعْثِرُ في القَتْلى ويَقُولُ: تَعِسَ مَنْ أخافَ رسول الله ﷺ، فقالَ لَهُ قائِلٌ: ومَنْ أخافَ رسول الله ﷺ؟ فقالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أخافَ المَدِينةَ، فقَدْ أخافَ ما بَيْنَ جَنْبَيّ»[٣]، فحَمَلُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ، فأجارَهُ مِنْهُمْ مَرْوانُ، وأدْخَلَهُ بَيْتَهُ.

وقُتِلَ في ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ وُجُوهِ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ ألفٌ وسَبْعُ مِئةٍ، وقُتِلَ مِنْ أخْلاطِ النّاسِ عَشَرةُ آلافٍ سِوى النِّساءِ والصِّبْيانِ، فقَدْ ذَكَرُوا أنّ امْرَأةً مِنَ الأنْصارِ دَخَلَ عَلَيْها رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الشّامِ وهي تُرْضِعُ صَبِيّها، وقَدْ أُخِذَ ما كانَ عِنْدَها، فقالَ لَها: هاتِ الذّهَبَ وإلّا قَتَلتُكِ وقَتَلتُ صَبِيَّكِ، فقالَتْ له: ويْحَكَ، إنْ قَتَلتَه فأبُوهُ أبُو كَبْشةَ صاحِبُ رسول الله ﷺ، وأنا مِن النِّسْوةِ اللّاتِي بايَعْنَ

---

(١) أي: خرج عن طاعة سلطانه.

(٢) «فتح الباري»، كتاب الفتن: (١٣ : ٦٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد: (٣: ٣٥٤).

رسول الله ﷺ، وما خُنْتُ اللهَ في شَيْءٍ بايَعْتُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ. فانْتَفَضَ[١] الصَّبِيَّ مِنْ حَجْرِها، وثَدْيُها في فيهِ، وضَرَبَ بِهِ الحائِطَ حَتّى انْتَثَرَ دِماغُهُ في الأَرْضِ، والمَرْأَةُ تَقُولُ: [يا بُنَيّ][٢] لَوْ كان عندي شيءٌ نَفْدِيك بِهِ لَفَدَيْتُك[٣]. فما خَرَجَ مِنَ البَيْتِ حَتّى اسْوَدَّ نِصْفُ وجْهِهِ وصارَ مُثْلَةً في الناس.

قالَ المُؤَلِّفُ: وأَحْسَبُ هَذِهِ المَرْأَةَ جَدّةً للصَّبي، لا أُمًّا لَهُ؛ إذْ يَبْعُدُ في العادةِ أنْ تُبايِعَ النَّبِيَّ ﷺ وتكُونَ يَوْمَ الحرّة في سِنِّ مَنْ تُرضِع.

والحَرّةُ الّتِي يُعْرَفُ بِها هَذا اليَوْمُ يُقالُ لَها: حَرّةُ زُهْرةَ، وفي الحَدِيثِ أنّ رسول الله ﷺ وقَفَ بِها وقالَ: «لَيُقْتَلَنّ بِهَذا المَكانِ رِجالٌ هُمْ خِيارُ أُمّتِي[٤] بَعْدَ أَصْحابِي»[٥]، ويُذْكَرُ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سَلام أنّهُ قالَ: لَقَدْ وجَدْتُ صِفَتَها في كِتابِ يهوذا بنِ يَعْقُوبَ الّذِي لَمْ يَدْخُلهُ تَبْدِيلٌ، وأنّهُ يُقْتَلُ فيها قَوْمٌ صالِحُونَ يَجِيئُونَ يَوْمَ القِيامةِ وسِلاحُهُمْ عَلى عَواتِقِهِمْ، وذَكَرَ الحَدِيثَ.

وَعُرِفَتْ حَرّةُ زُهْرةَ بِقَرْيةٍ كانَتْ لِبَنِي زُهْرةَ؛ قَوْمٍ مِن اليَهُودِ، فقيل للقرية: زُهرة، وكانَتْ كَبيرةً في الزّمانِ الأوّلِ، يُقالُ: كانَ فيها ثَلاثُ مِئةِ صانعٍ، ذَكَرَ هَذا الزّبَيْرُ في «فضائِل المَدِينةِ» لَهُ. وكانَتْ هَذِهِ الوَقْعةُ سَنةَ ثَلاثٍ وسِتّينَ، وقَدْ كانَ يزيدُ بنُ مُعاوِيةَ قَدْ أعْذَرَ إلَيْهِمْ فيما ذَكَرُوا، وبَذَلَ إليهم مِنَ العَطاءِ أَضْعافَ ما يُعْطِي النّاسَ، واجْتَهَدَ في اسْتِمالَتِهِمْ إلى الطّاعةِ، وتَحْذِيرِهِمْ مِنَ

---

(١) في (ج): «أنفض». لعل معنى انتفض: انتزع. والحَجر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ: الحِضن.

(٢) ليس في (س).

(٣) في (ج): «شيء افتديتك به»، وفي (ص): «شيء أفديك به لفديتك».

(٤) في (ب): «الأمة».

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ٣٤٣-٣٤٤).

الخِلافِ، ولَكِنْ أبى اللهُ إلّا ما أرادَ[(١)]، واللهُ يَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِهِ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

[ابنُ ياسِرٍ وابنُ بِشْرٍ، وقِيامُهُما على حِراسةِ جَيْشِ الرَّسُولِ، وما أُصِيبا بِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَمِّي صَدَقةُ بنُ يَسارٍ، عَنْ عَقِيلِ بنِ جابِرٍ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأنْصارِيِّ، قالَ: خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوةِ ذاتِ الرِّقاعِ مِنْ نَخْلٍ، فأصابَ رَجُلٌ امْرَأةَ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فلَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قافِلًا، أتى زَوْجُها وكانَ غائِبًا، فلَمّا أُخْبِرَ الخَبَرَ حَلَفَ لا يَنْتَهِي حَتّى يُهْرِيقَ في أصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَمًا، فخَرَجَ يَتْبَعُ أثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلًا، فقالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنا لَيْلَتَنا هَذِهِ؟»، قالَ: فانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ، ورَجُلٌ آخَرُ مِنَ الأنْصارِ، فقالا: نَحْنُ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: فكُونا بِفَمِ الشِّعْبِ. قالَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأصْحابُهُ قَدْ نَزَلُوا إلى شِعْبٍ مِنَ الوادِي، وهُما: عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، وعَبّادُ بنُ بِشْرٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا خَرَجَ الرَّجُلانِ إلى فمِ الشِّعْبِ، قالَ الأنْصارِيُّ لِلْمُهاجِرِيِّ: أيَّ اللَّيْلِ تُحِبُّ أنْ أكْفيكَهُ: أوَّلَهُ أمْ آخِرَهُ؟ قالَ: بَل اكْفِنِي أوَّلَهُ، قالَ: فاضْطَجَعَ المُهاجِرِيُّ فنامَ، وقامَ الأنْصارِيُّ يُصَلِّي، قالَ: وأتى الرَّجُلُ، فلَمّا رَأى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أنَّهُ رَبِيئةُ القَوْمِ. قالَ: فرَمى بِسَهْمٍ، فوَضَعَهُ فيهِ، قالَ: فنَزَعَهُ ووَضَعَهُ، فثَبَتَ قائِمًا، قالَ: ثُمَّ رَماهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فوَضَعَهُ فيهِ،

(١) في (ف): «يريد».

قالَ: فَنَزَعَهُ فوَضَعَهُ، وثَبَتَ قائِمًا، ثُمَّ عادَ لَهُ بِالثّالِثِ، فوَضَعَهُ فيهِ، قالَ: فنَزَعَهُ فوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وسَجَدَ، ثُمَّ أهَبَّ صاحِبَهُ، فقالَ: اجْلِسْ فقَدْ أُثْبِتُّ، قالَ: فوَثَبَ، فَلَمّا رَآهُما الرَّجُلُ عَرَفَ أنْ قَدْ نَذِرا بِهِ، فهَرَبَ. قالَ: ولَمّا رَأى المُهاجِرِيُّ ما بِالأنْصارِيِّ مِن الدِّماءِ، قالَ: سُبْحانَ اللهِ! أفَلا أهْبَبْتَنِي أوَّلَ ما رَماكَ؟ قالَ: كُنْتُ في سُورةٍ أقْرَؤُها فلَمْ أُحِبَّ أنْ أقْطَعَها حَتّى أُنْفِدَها، فلَمّا تابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فأذِنْتُكَ، وايْمُ اللهِ، لَوْلا أنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أنْ أقْطَعَها أوْ أُنْفِدَها.

[رُجُوعُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أُنْفِذَها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ مِنْ غَزْوةِ الرِّقاعِ، أقامَ بِها بَقِيّةَ جُمادى الأُولى وجُمادى الآخِرةِ ورَجَبًا.

غَزْوةُ بَدْرٍ الآخِرةِ في شَعْبانَ سَنةَ أرْبَعٍ

[خُرُوجُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ في شَعْبانَ إلى بَدْرٍ، لِمِيعادِ أبي سُفيانَ، حَتّى نَزَلَهُ.

[اسْتِعْمالُهُ ابنَ أُبَيٍّ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ الأنْصارِيَّ.

[رُجُوعُ أبي سُفيانَ في رِجالِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ عَلَيْهِ ثَمانِي لَيالٍ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ، وخَرَجَ أبو سُفيانَ في أهْلِ مَكّةَ حَتّى نَزَلَ مَجَنّةَ مِنْ ناحِيةِ الظَّهْرانِ، وبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ: قَدْ بَلَغَ عُسْفانَ، ثُمَّ بَدا لَهُ في الرُّجُوعِ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّهُ لا يُصْلِحُكُمْ إلّا عامٌ خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فيهِ الشَّجَرَ، وتَشْرَبُونَ فيهِ اللَّبَنَ، وإنَّ عامَكُمْ هذا عامُ جَدْبٍ، وَإنِّي راجِعٌ، فارْجِعُوا، فرَجَعَ النّاسُ. فسَمّاهُمْ أهْلُ مَكّةَ: جَيْشَ السَّوِيقِ، يَقُولُونَ: إنَّما خَرَجْتُمْ تَشْرَبُونَ السَّوِيقَ.

[الرَّسُولُ ومَخْشِيٌّ الضَّمْرِيُّ]

وَأقامَ رَسُولُ الله ﷺ على بَدْرٍ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ لِميعادِهِ، فأتاهُ مَخْشِيُّ بنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ، وهُوَ الَّذي كانَ وادَعَهُ على بَنِي ضَمْرةَ في غَزْوةِ ودّانَ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أجِئْتَ لِلِقاءِ قُرَيْشٍ على هذا الماءِ؟ قالَ: نَعَمْ، يا أخا بَنِي ضَمْرةَ، وإنْ شِئْتَ مَعَ ذلك رَدَدْنا إلَيْكَ ما كانَ بَيْنَنا وبَيْنَكَ، ثُمَّ جالَدْناكَ حَتّى يَحْكُمَ الله بَيْنَنا وبَيْنَكَ، قالَ: لا والله يا مُحَمَّدُ، ما لَنا بِذلك مِنْكَ مِنْ حاجةٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ الأنْصارِيِّ والمُهاجِرِيِّ، وهُما: عَبّادُ بنُ بِشْرٍ، وعَمّارُ بنُ ياسِرٍ، وأنّ رَجُلًا مِنَ العَدُوّ رَمى الأنْصارِيَّ بِسَهْمٍ وهُوَ يُصَلّي لمّا عَلِمَ أنّهُ رَبِيئة.

الرّبِيئةُ هُوَ الطّلِيعةُ، يُقالُ: رَبَأَ عَلى القَوْمِ يَرْبَأُ فهُوَ رَبّاءٌ ورَبِيئةٌ، قالَ الشّاعِرُ[1]:

(١) المتنخل الهذلي، واسمه: مالك بن عويمر، والبيت في «ديوان الهذليين» (٢: ٣٧). لقُلَّتها: لرأسها، والأوب: جماعة النحل، والسَّبَل: القَطر حين يسيل. يقول: لا يعلو هذه الهَضْبة =

[من البسيط]

رِبّـاء شـمّاء لا يـأْوِي لِقُلّتِها إلا السّحابُ وإلّا الأوْبُ والسَّبَلُ

فَرِبّاءُ: فَعّالٌ مِنْ رَبَأَ إذا نَظَرَ مِنْ مَكانٍ مُرْتَفِعٍ، وشَماء: يُرِيدُ هَضْبةً شَماءَ.

وإنّما قالُوا: «رَبِيئةٌ» بِهاءِ التّأْنِيثِ و«طَلِيعةٌ» لِأَنّهُما في مَعْنى العَيْنِ، والعَيْنُ مُؤَنّثةٌ، تَقُولُ: ثَلاثُ أعْيُنٍ، وإنْ كانُوا رِجالًا، يَعْنِي الطّلائِعَ؛ لِأنّ الطّلِيعةَ والرّبِيئةَ إنّما يُرادُ مِنْهُ عَيْنُهُ النّاظِرةُ، كَما تَقُولُ في ثَلاثةِ أعْبُدٍ: أعْتَقْتُ ثَلاثَ رِقابٍ، فتُؤَنّثُ؛ لِأنّ الرّقَبةَ تَرْجَمةٌ عَنْ جَمِيعِ العبدِ، كَما أنّ العَيْنَ الّذِي هُوَ الطّلِيعةُ كَذَلِكَ.

ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ الهاءُ في رَبِيئةٍ وطَلِيعةٍ لِلمُبالَغةِ، كَما هي في عَلّامةٍ ونَسّابةٍ، فعَلى الوَجْهِ الأوّلِ تَقُولُ: ثَلاثُ طَلائِعَ، وثَلاثُ رَبايا في جَمْعِ رَبِيئةٍ[1]، كَما تَقُولُ: ثَلاثُ أعْيُنٍ؛ لِأنّهُ بابٌ واحِدٌ مِنَ التّأْنِيثِ، وإذا كانَتِ الهاءُ لِلمُبالَغةِ قُلت: ثَلاثة وأرْبَعة؛ لِأنّك تَقْصِدُ التّذْكِيرَ؛ لِأنّ هاءَ المُبالَغةِ لا تُوجِبُ تَأْنِيثَ المُسَمّى؛ لِأنّها في الصّفةِ، والصّفةُ بَعْدَ المَوْصُوفِ؛ ولِذَلِكَ تَقُولُ: هَذا عَلّامةٌ، ولا تَقُولُ: هذه علّامة، بخلاف الرَّقبة والعين؛ لِأنّك تَقُولُ في العبدِ الذّكَرِ: هَذِهِ رَقَبةٌ فأعْتِقْها، وفي العَيْنِ: هَذِهِ عَيْنٌ، وهَذِهِ طَلِيعةٌ، وأنْت تَعْنِي الرّجُلَ. فهَذا مَعْنى الفَرْقِ بَيْنَهُما.

وَفي هَذا الحَدِيثِ مِنَ الفِقْهِ: صَلاةُ المَجْرُوحِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ[2] دَمًا، كَما فعَلَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضي الله عنه، وقَدْ تَرْجَمَ بَعْضُ المُصَنّفِينَ عليه لموضع

= من طولها إلا السحاب والأوب.

(١) في (ب): «في جمع أعين وربيئة».

(٢) أي: يسيل.

هذا الفِقْهِ، وفيهِ مُتَعَلَّقٌ لِمَنْ يَقُولُ: إنّ غُسْلَ النّجاسةِ[١] لا تُعَدُّ في شُرُوطِ صِحّةِ الصّلاةِ.

وفيهِ مِنَ الفِقْهِ أيْضًا تَعْظِيمُ حُرْمةِ الصّلاةِ، وأنّ لِلمُصَلِّي أنْ يَتَمادى[٢] عَلَيْها وإنْ جَرّ إلَيْهِ ذَلِكَ القَتْلَ، وتَفْوِيتَ النّفْسِ، مَعَ أنّ التّعَرُّضَ لِفَواتِ النّفْسِ لا يَحِلُّ إلّا في حالِ المُحارَبةِ، ألا تَرى إلى قَوْلِهِ: «لَوْلا أنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أمَرَنِي رسول الله ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أن أُنْفِذَها»[٣] يَعْنِي: السّورةَ الّتِي كانَ يَقْرَؤُها.

* * *

(١) في (ب)، (س): «الجنابة».

(٢) أي: يحرِص عليها، يقال: تمادى في الأمر: مضى فيه بلا مبالاة.

(٣) أي: أؤديها وأقضيها.

[مَعْبَدٌ وشِعْرُهُ في ناقةٍ لِلرَّسُولِ هَوَتْ]

فَأقامَ رَسُول الله ﷺ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ، فمَرَّ بِهِ مَعْبَدُ بنُ أبي مَعْبَدٍ الخُزاعِيُّ، فقالَ وقَدْ رَأى مَكانَ رَسُول الله ﷺ وناقَتُهُ تَهْوي بِهِ:

قَدْ نَفَرَتْ مِــنْ رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ   وعَجْوَةٍ مِــنْ يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ
تَهْوي على دِيــنِ أبيها الأتْلَدِ   قَدْ جَعَلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وَماءَ ضَجْنانَ لَها ضُحى الغَدِ

[شِعْرٌ لِابنِ رَواحةَ أوْ كَعْبٍ في بَدْرٍ]

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ في ذلك ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِيها أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ ـ:

وَعَدْنا أبا سُفيانَ بَدْرًا فلَمْ نَجِدْ   لِمِيعــادِهِ صِدْقًا وما كانَ وافيا
فَأُقْسِــمُ لَوْ وافيتَنــا فلَقِيتنا   لَأُبْتَ ذَمِيمًا وافْتَقَدْتَ المَوالِيا
تَرَكْنا بِهِ أوْصــالَ عُتْبةَ وابنَهُ   وعَمْرًا أبا جَهْــلٍ تَرَكْناهُ ثاوِيا
عَصَيْتُمْ رَسُول الله أُفٍّ لِدِينِكُمْ   وأمْرِكُم السَّيْءِ الَّذي كانَ غاوِيا
فَــإنِّي وإنْ عَنَّفْتُمُــونِي لَقائِلٌ   فِدًى لِرســول الله أهْلِي ومالِيا
أطَعْنــاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فينــا بِغَيْرِهِ   شِهابًا لَنا في ظُلْمةِ اللَّيْلِ هادِيا

وَذَكَرَ قَوْلَ مَعْبَدٍ: [من الرجز]

وَعَجْوةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ

العُنْجُدُ: حَبُّ الزّبِيبِ، وقَدْ يُقالُ للزبيب نَفْسِهِ أيْضًا: عنْجدٌ، وأمّا العِنَبُ، فيُقالُ لِعَجْمِهِ: الفِرْصِد.

والأتلد: الأقدَمُ[1]، من المالِ التَّليد.

[شِعْرُ حَسّانَ في بَدْرٍ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في ذلك:

دَعُوا فلَجاتِ الشّامِ قَدْ حالَ دُونَها ... جِلادٌ كَأفْواهِ المَخاضِ الأوارِكِ
بِأيْدِي رِجالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ... وأنْصارِهِ حَقًّا وأيْدِي المَلائِكِ
إذا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عالِجٍ ... فقُولا لَها لَيْسَ الطّرِيقُ هنالِكِ
أقَمْنا على الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمانِيا ... بِأرْعَنَ جَرّارٍ عَرِيضِ المَبارِكِ
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ ... وقُبٍّ طِوالٍ مُشْرِفاتِ الحَوارِكِ
تَرى العَرْفَجَ العامِيَّ تَذْرِي أُصُولَهُ ... مَناسِمُ أخْفافِ المَطِيِّ الرَّواتِكِ
فَإنْ نَلْقَ في تَطْوافِنا والتِماسِنا ... فُراتَ بنَ حَيّانٍ يَكُنْ رَهْنَ هالِكِ
وَإنْ تَلْقَ قَيْسَ بنَ امْرِئِ القَيْسِ بَعْدَهُ ... يُزَدْ في سَوادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حالِكِ
فَأبْلِغْ أبا سُفيانَ عَنِّي رِسالَةً ... فإنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجالِ الصَّعالِكِ

وقَوْلُ حَسّانَ: «دَعُوا فلَجاتِ الشّام»[2]، جَمْعُ فَلَجٍ، وهُوَ الماءُ الجارِي، سُمِّيَ فلَجًا لِأنّهُ قَدْ خدَّ في الأرْضِ وفُرّقَ بَيْنَ جانِبَيْهِ، مَأْخُوذٌ مِنْ فَلَجِ الأسْنانِ، وهو مِنَ الفَلْجِ، وهُوَ القَسْمُ، والفالِجُ: مِكْيالٌ يُقْسَمُ بِهِ. والفَلْجُ والفالِجُ بَعِيرٌ ذُو

(١) في (ص): «القديم».
(٢) بعده في (ب): «قد حال دونها».

سَنامَيْنِ؛ وهُوَ مِنْ هَذا الأَصْلِ، ورَواهُ أَبُو حَنِيفَةَ: [فلحات](١) بِالحاءِ، وقالَ: الفَلحةُ: المَزْرَعةُ.

[شِعْرُ أبي سُفيانَ في الرَّدِّ على حَسّانَ]

فَأجابَهُ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَ:

أَحَسّانُ إنّا يا ابنَ آكِلَةِ الفَغى ... وجَدِّكَ نَغْتالُ الخُرُوقَ كَذلكِ
خَرَجْنا وما تَنْجُو اليَعافيرُ بَيْنَنا ... ولَوْ وأَلَتْ مِنّا بِشَدٍّ مُدارِكِ
إذا ما انْبَعَثْنا مِنْ مُناخٍ حَسِبْتَهُ ... مُدَمَّنَ أَهْلِ المَوْسِمِ المُتَعارِكِ
أَقَمْتَ على الرَّسِّ النَّزُوعِ تُرِيدُنا ... وتَتْرُكُنا في النَّخْلِ عِنْدَ المَدارِكِ
على الزَّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنا ورِكابُنا ... فما وطِئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِالدَّكادِكِ
أَقَمْنا ثَلاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وفارِعٍ ... بِجُرْدِ الجِيادِ والمَطِيِّ الرَّواتِكِ
حَسِبْتُمْ جِلادَ القَوْمِ عِنْدَ قِبابِهِمْ ... كَمَأْخَذِكُمْ بِالعَيْنِ أَرْطالَ آنُكِ
فَلا تَبْعَثِ الخَيْلَ الجِيادَ وقُلْ لَها ... على نَحْوِ قَوْلِ المُعْصِمِ المُتَماسِكِ
سَعِدْتُمْ بِها وغَيْرُكُمْ كانَ أَهْلَها ... فوارِسُ مِنْ أبناءِ فِهْرِ بنِ مالِكِ
فَإنَّكَ لا في هِجْرَةٍ إنْ ذَكَرْتَها ... ولا حُرُماتِ الدِّينِ أَنْتَ بِناسِكِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَقِيَتْ مِنْها أَبْياتٌ تَرَكْناها؛ لِقُبْحِ اخْتِلافِ قَوافيها. وأَنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ هذا البَيْتَ:

خَرَجْنا وما تَنْجُو اليَعافيرُ بَيْنَنا

والبَيْتَ الَّذي بَعْدَهُ لِحَسّانَ بنِ ثابِتٍ في قَوْلِهِ:

(١) عن (ج)، (ص).

دَعُوا فلَجاتِ الشَّأْمِ قَدْ حالَ دُونَها
وَأَنْشَدَنِي لَهُ فيها بَيْتَهُ: «فَأَبْلِغْ أبا سُفيانَ».

وَذَكَرَ في شِعْرِ أبي سفيان: «... يا ابن آكِلةِ الفَغى»؛ الفَغى: ضَرْبٌ مِنَ التّمْرِ، ويُقالُ: هي غَبَرةٌ تَعْلُو البُسْرَ. والغَفى لُغةٌ في الفَغى.

وفيه: [من الطويل]

كمَأخَذِكُــمْ بالعَينِ أرطالَ آنُكِ

أَلفَيْتُ عَلى هَذا البَيْتِ في حاشِيةِ[١] أَبِي بَحْرٍ ما هَذا نَصُّهُ: ذَكَرَ مُحَمّدُ بنُ سَلامٍ في «الطّبَقاتِ» [لَهُ][٢] هَذا البَيْتَ[٣]: [من الطويل]

حَسِــبْتُمْ جِلادَ القَوْمِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ
كَمَأْخَذِكُم في العَيْنِ أَرْطالَ آنُكِ[٤]

وَوَصَلَ بِهِ أنْ قالَ: فقالَ أَبُو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ لِأَبِي سُفْيانَ بنِ الحارِثِ: يا ابنَ أخِي، لِمَ جَعَلتها آنُكًا؟! إنْ كانَتْ لَفِضَّةً بَيْضاءَ جَيّدةً.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

(١) بعده في (ف): «الشيخ».
(٢) ليس في (ب).
(٣) «طبقات فحول الشعراء» (ص: ٢٤٩).
(٤) كذا في (ب)، (ج)، (ف)، و«الطبقات»، وفي غيرها: «بين بيوتكم». وفي (ف)، و«الطبقات»: «في العير». وقد ذكر الخشني: (ص: ٢٩٨): «العين هنا: المال الحاضر، والعين أيضًا: الدرّ، وكلاهما يصلح ههنا. ومن رواه «بالعير» فالعير: الرفقة من الإبل».

سَعِدْتُمْ بِها وغَيْرُكُمْ كانَ أَهْلَها

وَفي حاشِيةِ الشَّيْخِ: [من الطويل]

شَقِيتُمْ بِها وغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِها

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

خَرَجْنا ومـا تنجُو اليعافيرُ بيننا

اليعافير: الظِّباءُ العُفْرُ[١]. يُرِيدُ أَنَّهُمْ لِكَثْرةِ عَدَدِهِمْ لا تَنْجُو منهم اليعافير.

* * *

(١) في (ب): «الغُبْر». وعَفِر الظبي: خالط بياضَه حُمرةٌ فصار لونه كالعَفَر، والعَفَرُ: التراب.

غَزْوةُ دُوْمةِ الجَنْدَلِ في شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ سَنةَ خَمْسٍ

[مَوْعِدُها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ، فأقامَ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِها أشْهُرًا حتّى مَضى ذُو الحِجّةِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ وهِيَ سَنةَ أرْبَعٍ، ثُمَّ غَزا رَسُولُ اللهِ ﷺ دُوْمةَ الجَنْدَلِ.

[اسْتِعْمالُ ابنِ عُرْفُطةَ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: في شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ الغِفارِيَّ.

[رُجُوعُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلَيْها، ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فأقامَ بِالمَدِينةِ بَقِيّةَ سَنَتِه.

غَزْوةُ دُومةِ الجَنْدَلِ

قالَ أبُو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ: سُمّيَتْ دُومةَ الجَنْدَلِ بِدُومى بنِ إسْماعِيلَ، كانَ نَزَلَها[1].

---

(١) «معجم ما استعجم» (١: ٥٦٤-٥٦٥). وقال البكري في سبب تسميتها بذلك: «وسُميت برومان بن إسماعيل عليه السلام، كان ينزلها».

غَزْوةُ الخَنْدَقِ في شَوّالٍ سَنةَ خَمْسٍ

[تارِيخُها]

حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: ثُمَّ كانَتْ غَزْوةُ الخَنْدَقِ في شَوّالٍ سَنةَ خَمْسٍ.

غَزْوةُ الخَنْدَقِ

[وحَفْرُ الخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ مِنْ شأنِ العَرَبِ، ولَكِنّهُ][١] مِنْ مَكايِدِ الفُرْسِ في حُرُوبِها[٢]، ولِذَلِك أشارَ بِهِ[٣] سَلمانُ الفارِسِيّ، وأوّلُ مَنْ خَنْدَقَ الخَنادِقَ [فيما ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ مِنُوشِهْرُ بنُ أيرج][٤] [بنُ أفْرِيدُونَ، وقَدْ قِيلَ في أفْرِيدُونَ: إنّهُ ابنُ إسْحاقَ عَلَيْهِ السّلامُ، وأكْثَرُهُمْ يَقُولُ فيهِ: هُوَ ابنُ أثْفيانَ، وهُوَ أوّلُ مَن اتّخَذَ آلَةَ الرّمْيِ][٥]، [وإلى رَأْسِ سِتّينَ سَنةً مِنْ مُلكِهِ بُعِثَ مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ][٦].

---

(١) مكانه في (ص)، (ج): «واتخاذ الخندق».

(٢) في غير (ص)، (ج): «وحروبها».

(٣) في (ج): «تفطر لها»، وفي (ص): «بصر بها» أو نحوها.

(٤) مكانه في (ص)، (ج): «من ملوك الفرس فيما نقل أصحاب الأخبار منوشهر بن أيرج».

(٥) عن (ب)، (ص)، (ج).

(٦) ليس في (ص)، (ج).

[وقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُ الكَمائِنِ في الحُرُوبِ، وأنّ أوّلَ مَنْ فعَلَها بُخْتَنَصّرُ في قَوْل الطّبَرِيّ][(١)].

[تَحرِيضُ اليَهُودِ لِقُرَيْشٍ، وما نَزَلَ فيهِمْ]

فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ مَوْلى آلِ الزُّبَيْرِ عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، ومَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، ومُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، والزُّهْرِيِّ، وعاصِمِ بن عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وعَبْدِ الله بنِ أبي بَكْرٍ، وغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمائِنا، كُلُّهُمْ قَد اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ في الحَدِيثِ عَن الخَنْدَقِ، وبَعْضُهُمْ يُحَدِّثُ ما لا يُحَدِّثُ بِهِ بَعْضٌ، قالُوا: إنَّهُ كانَ مِنْ حَدِيثِ الخَنْدَقِ: أَنَّ نَفَرًا مِن اليَهُودِ، مِنْهُمْ: سَلّامُ بنُ أبي الحُقَيقِ النَّضْرِيُّ، وحُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ، وكِنانةُ بنُ أبي الحُقَيقِ النَّضْرِيُّ، وهَوْذةُ بنُ قَيْسٍ الوائِلِيُّ، وأبو عَمّارٍ الوائِلِيُّ، في نَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، ونَفَرٍ مِنْ بَنِي وائِلٍ، وهُم الَّذينَ حَزَّبُوا الأَحْزابَ على رَسُولِ الله ﷺ، خَرَجُوا حَتّى قَدِمُوا على قُرَيْشٍ مَكّةَ، فدَعَوْهُمْ إلى حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ، وقالُوا: إنّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ، حَتّى نَسْتَأْصِلَهُ، فقالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ:

يا مَعْشَرَ يَهُودَ، إنَّكُمْ أَهْلُ الكِتابِ الأَوَّلِ والعِلْمِ بِما أَصْبَحْنا نَخْتَلِفُ فيهِ نَحْنُ ومُحَمَّدٌ، أَفَدِينُنا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وأَنْتُمْ أَوْلى بِالحَقِّ مِنْهُ. فهُم الَّذينَ أَنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

(١) مكانه في (ص)، (ج): «وقد تقدم في أول الكتاب أن بختنصَّر كان أول من اتخذ الكمائن في الحروب حين أغار على قطور». وفي (ج) مكان «قطور»: «حصون».

نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١-٥٢]، إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]؛ أي: النُّبُوّةِ، ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

[تَحْرِيضُ اليَهُودِ لِغَطَفانَ]

قالَ: فلَمّا قالُوا ذلك لِقُرَيْشٍ، سَرَّهُمْ ونَشِطُوا لِما دَعَوْهُمْ إلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ، فاجْتَمَعُوا لِذلك واتَّعَدُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَ، حَتّى جاؤُوا غَطَفانَ، مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ، فدَعَوْهُمْ إلى حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ، وأخْبَرُوهُمْ أنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وأنَّ قُرَيْشًا قَدْ تابَعُوهُمْ على ذلك، فاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فيهِ.

وَذَكَرَ تَحْزِيبَ بَنِي قُرَيْظَةَ الأحْزابَ، ونَسَبَ طائِفَةً مِنْ بَنِي النَّضِيرِ فقالَ فيهِم: النَّضَرِيّ، وهَكَذا تَقَيّدَ في النّسْخةِ العَتِيقةِ، وقِياسُهُ: النَّضِيرِيّ، إلّا أنْ يَكُونَ مِنْ بابِ قَوْلِهِمْ: ثَقَفيٌّ وقُرَشِيٌّ، وهُوَ خارِجٌ عَنِ القِياسِ، وإنما يقال: فَعَليٌّ في النّسب إلى فَعِيلة.

* * *

[خُرُوجُ الأحْزابِ مِن المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وقائِدُها أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، وخَرَجَتْ غَطَفانُ، وقائِدُها عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ، في بَنِي فَزارةَ، والحارِثُ بن عَوْفِ بنِ أبي حارِثةَ المُرِّيُّ، في بَنِي مُرّةَ، ومِسْعَرُ بنُ رُخَيْلةَ بنِ نُوَيْرةَ بنِ طَرِيفِ بنِ سُحْمةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ هِلالِ بنِ خَلاوةَ بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، فيمَنْ تابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ من أشْجَعَ.

وَذَكَرَ قائِدَ غَطَفانَ يَوْمَ الأحْزابِ، وهُوَ عُيَيْنةُ بنُ حِصْنٍ، واسْمُهُ حُذَيْفةُ، وسُمِّيَ عيينة لشَتَرٍ كان بِعَيْنِهِ، وهُوَ الّذِي قالَ فيهِ النبي ﷺ: «الأحْمَقُ المُطاع»[1]؛ لِأنّهُ كانَ مِن الجَرّارِينَ، يتْبَعُهُ عَشَرةُ آلافِ قَناةٍ، وهُوَ الّذِي قالَ فيهِ النّبِيّ ﷺ: «إنّ شَرّ النّاسِ مَنْ وَدَعَهُ النّاسُ اتّقاءَ شَرِّهِ»[2]، وفي رِوايةٍ أُخْرى أنّهُ قالَ: «إنّي أُدارِيهِ لِأنّي أخْشى أنْ يُفْسِدَ عَلَيّ خَلقًا كَثِيرًا»[3]. وفي هَذا بَيانُ مَعْنى الشّرّ الّذِي اتّقى مِنْهُ.

وكانَ دَخَلَ عَلى النّبِيّ ﷺ بِغَيْرِ إذْنٍ، فلَمّا قالَ لَهُ: «أيْنَ الإذْنُ؟» قالَ: ما

---

(١) «الإصابة» لابن حجر: (٤: ٦٣٩)، و«مغازي الواقدي» (٣: ٩٣٧)، و«البيان والتبيين» للجاحظ: (٣: ٢٥٣)، و«العقد الفريد» (٧: ١٥٠).

(٢) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٤٥٢-٤٥٥).

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، كما في «المطالب العالية»، كتاب البر والصلة: (٣: ٣٥)، وانظر: «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٢٩).

اسْتَأْذَنْتُ عَلى مُضَرِيٍّ قَبْلَك، وقالَ: ما هَذِهِ الحُمَيْراءُ مَعَك يا مُحَمّدُ؟ قالَ: «هي عائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ»، فقالَ: طَلِّقها وأنْزِلُ لَك عَنْ أُمّ البَنِينَ. في أُمُورٍ كَثِيرةٍ تُذْكَرُ مِنْ جَفائِهِ، أَسْلَمَ ثُمّ ارْتَدّ، وآمَنَ بِطُلَيْحةَ حِينَ تَنَبّأ، وأُخِذَ أسِيرًا، فأُتِيَ بِهِ أبُو بَكْرٍ الصِّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَمَنَّ عَلَيْهِ، ولَمْ يَزَل مُظْهِرًا لِلإسْلامِ عَلى جَفْوَتِهِ وعُنْجُهِيّتِهِ ولُوثةِ أعْرابِيّتِهِ حَتّى ماتَ. قالَ الشّاعِرُ[1]: [من الطويل]

وَإنّي عَلى ما كانَ مِنْ عُنْجُهِيّتي ولُوثَةِ أعْرابِيّتي لَأدِيبُ[2]

[حَفْرُ الخَنْدَقِ، وتَخاذُلُ المُنافِقِينَ، وجِدُّ المُؤْمِنِينَ]

فَلَمّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُول الله ﷺ، وما أَجْمَعُوا لَهُ مِن الأمْرِ، ضَرَبَ الخَنْدَقَ على المَدِينةِ، فعَمِلَ فيهِ رَسُول الله ﷺ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ في الأجْرِ، وعَمِلَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ فيهِ، فدَأَبَ فيهِ ودَأبوا، وأبْطَأَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وعَنِ المُسْلِمِينَ في عَمَلِهِمْ ذلك رِجالٌ مِن المُنافِقِينَ، وجَعَلُوا يُوَرُّونَ بِالضَّعِيفِ مِن العَمَلِ، ويَتَسَلَّلُونَ إلى أهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، ولا إذْنٍ، وجَعَلَ الرَّجُلُ مِن المُسْلِمِينَ إذا نابَتْهُ النّائِبَةُ مِن الحاجةِ الّتِي لا بُدَّ لَهُ مِنْها، يَذْكُرُ ذلك لِرَسُولِ الله ﷺ، ويَسْتَأْذِنُهُ في اللُّحُوقِ بِحاجَتِهِ، فيأْذَنُ لَهُ، فإذا قَضى حاجَتَهُ رَجَعَ إلى ما كانَ فيهِ مِنْ عَمَلِهِ؛ رَغْبةً في الخَيْرِ، واحْتِسابًا لَهُ.

(١) البيت في «الصحاح» و«اللسان» و«التاج» (عنجه) غير منسوب.

(٢) في النسخ: «عنجهيتي». وفي المعاجم السابقة: «عيدهيتي». والعيدهية: سوء الخلق، والعنجهية: الكبر والعظمة. وفي النسخ أيضًا: «لأديب». وفي المعاجم السابقة: «لأريب»، وكأنه الأقرب.

[ما نَزَلَ في العامِلِينَ في الخَنْدَقِ مُؤْمِنِينَ ومُنافِقِينَ]

فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى في أُولَئِكَ مِن المُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]. فنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فيمَنْ كانَ مِن المُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الحِسْبةِ والرَّغْبةِ في الخَيْرِ، والطّاعةِ لله ولِرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قالَ تَعالى يَعْني المُنافِقِينَ الَّذينَ كانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِن العَمَلِ، ويَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إذْنٍ مِن النَّبيِّ ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: اللِّواذُ: الِاسْتِتارُ بِالشَّيْءِ عِنْدَ الهَرَبِ؛ قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنّا لِواذًا ... أنْ يُقِيمُوا وخَفَّ مِنْها الحُلُومُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، قَدْ ذَكَرْتها في أشْعارِ يَوْمِ أُحُدٍ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]؛ قالَ ابنُ إسْحاقَ: مِنْ صِدْقٍ أوْ كَذِبٍ.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤].

[ارْتِجازُ المُسْلِمِينَ في حَفْرِ الخَنْدَقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَمِلَ المُسْلِمُونَ فيهِ حَتّى أحْكَمُوهُ، وارْتَجَزُوا فيهِ بِرَجُلٍ مِن المُسْلِمِينَ، يُقالُ لَهُ: جُعَيْلٌ، سَمّاهُ رَسُول الله ﷺ: عَمْرًا، فقالُوا:

سَــمّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرا   وكانَ لِلْبائِـسِ يَوْمًـا ظَهْرا

فَإذا مَرُّوا «بِعَمْرٍو» قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَمْرًا»، وإذا مَرُّوا «بِظَهْرٍ» قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ظَهْرًا».

[ما ظَهَرَ مِن المُعْجِزاتِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ في حَفْرِ الخَنْدَقِ أحادِيثُ بَلَغَتْنِي، فيها مِن الله تَعالى عِبْرَةٌ في تَصْدِيقِ رَسُول الله ﷺ، وتَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ، عايَنَ ذلك المُسْلِمُونَ.

[مُعْجِزَةُ الكُدْيةِ]

فَكانَ مِمّا بَلَغَنِي أنَّ جابِرَ بن عَبْدِ الله كانَ يُحَدِّثُ: أنَّهُ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ في بَعْضِ الخَنْدَقِ كُدْيةٌ، فشَكَوْها إلى رَسُولِ الله ﷺ، فدَعا بِإناءٍ مِنْ ماءٍ، فتَفَلَ فيهِ، ثُمَّ دَعا بِما شاءَ الله أنْ يَدْعُوَ بِهِ، ثُمَّ نَضَحَ ذلك الماءَ على تِلْكَ الكُدْيةِ، فيقُولُ من حضرها: فوالّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ نبيًّا، لانهالت حَتّى عادَتْ كالكَثِيبِ، لا تَرُدُّ فأْسًا ولا مِسْحاةً.

[البَرَكةُ في تَمْرِ ابنةِ بَشِيرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ مِينا، أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ ابنةً لِبَشِيرِ بنِ سَعْدٍ، أُخْتِ النُّعْمانِ بن بَشِيرٍ، قالَتْ: دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرةُ بِنْتُ رَواحةَ، فأعْطَتْنِي حَفْنةً مِنْ تَمْرٍ في ثَوْبِي، ثُمَّ قالَتْ؛ أي: بُنَيّةُ، اذْهَبِي إلى أبيكِ وخالِكِ عَبْدِ الله

ابنِ رَواحةَ بِغدائِهِما. قالَتْ: فأَخَذْتُها، فانْطَلَقْتُ بِها، فمَرَرْتُ برَسُولِ الله ﷺ وأنا أَلْتَمِسُ أبي وخالِي، فقالَ: «تَعالَيْ يا بُنَيّةُ، ما هذا مَعَكِ؟» قالَتْ: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، هذا تَمرٌ، بَعَثَتْنِي بِهِ أُمِّي إلى أبي بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ، وخالِي عَبْدِ الله ابنِ رَواحةَ يَتَغَدَّيانِهِ، قالَ: «هاتِيهِ»، قالَتْ: فصَبَبْتُهُ في كَفَّيْ رَسُولِ الله ﷺ، فما مَلأتهما، ثُمَّ أمَرَ بِثَوْبٍ فبُسِطَ لَهُ، ثُمَّ دَحا بِالتَّمرِ عَلَيْهِ، فتَبَدَّدَ فوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قالَ لِإِنْسانٍ عِنْدَهُ: «اصْرُخْ في أهْلِ الخَنْدَقِ: أنْ هَلُمَّ إلى الغَداءِ». فاجْتَمَعَ أهْلُ الخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وجَعَلَ يَزِيدُ، حَتّى صَدَرَ أهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهُ، وإنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أطْرافِ الثَّوْبِ.

[البَرَكةُ في طَعامِ جابِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ مِينا، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: عَمِلْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في الخَنْدَقِ، فكانَتْ عِنْدِي شُوَيْهةٌ غَيْرُ جِدِّ سَمِينةٍ، قالَ: فقُلْتُ: والله لَوْ صَنَعْناها لِرَسُولِ الله ﷺ، قالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فطَحَنَتْ لَنا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، فصَنَعَتْ لَنا مِنْهُ خُبْزًا، وذَبَحْتُ تِلْكَ الشّاةَ، فشَوَيْناها لِرَسُولِ الله ﷺ. قالَ: فلَمّا أمْسَيْنا وأرادَ رَسُولُ الله ﷺ الِانْصِرافَ عَنِ الخَنْدَقِ، قالَ: وكُنّا نَعْمَلُ فيهِ نَهارَنا، فإذا أمْسَيْنا رَجَعْنا إلى أهالِينا، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهةً كانَتْ عِنْدَنا، وصَنَعْنا مَعَها شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هذا الشَّعِيرِ، فأُحِبُّ أنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إلى مَنْزِلِي، وإنَّما أُرِيدُ أنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ وحْدَهُ.

قالَ: فلَمّا أنْ قُلْتُ لَهُ ذلك، قالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ أمَرَ صارِخًا فصَرَخَ: «أنِ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إلى بَيْتِ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله»، قالَ: قُلْتُ: إنّا لله

وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ! قالَ: فأقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ، وأقْبَلَ النّاسُ مَعَهُ، قالَ: فجَلَسَ وأخْرَجْناها إلَيْهِ. قالَ: فبَرَّكَ وسَمّى الله، ثُمَّ أكَلَ، وتَوارَدَها النّاسُ، كُلَّما فرَغَ قَوْمٌ قامُوا وجاءَ ناسٌ، حَتّى صَدَرَ أهْلُ الخَنْدَقِ عَنْها.

[ما أرى اللهُ رَسُولَهُ مِن الفَتْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ عَنْ سَلْمانَ الفارِسِيِّ أنَّهُ قالَ: ضَرَبْتُ في ناحِيةٍ مِن الخَنْدَقِ، فغَلُظَتْ عَلَيَّ صَخْرةٌ، ورَسُولُ الله ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي، فلَمّا رَآنِي أضْرِبُ ورأى شِدّةَ المَكانِ عَلَيَّ، نَزَلَ فأخَذَ المِعْوَلَ مِنْ يَدِي، فضَرَبَ بِهِ ضَرْبةً لَمَعَتْ تَحْتَ المِعْوَلِ بُرْقةٌ، قالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبةً أُخْرى، فلَمَعَتْ تَحْتَهُ بُرْقةٌ أُخْرى، قالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثّالِثَةَ، فلَمَعَتْ تَحْتَهُ بُرْقةٌ أُخْرى، قالَ: قُلْتُ: بأبي أنْتَ وأُمِّي يا رَسُولَ الله! ما هذا الَّذي رَأيْتُ لَمَعَ تَحْتَ المِعْوَلِ وأنْتَ تَضْرِبُ؟

قالَ: «أوَقَدْ رَأيْتُ ذلك يا سَلْمانُ؟ قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: «أمّا الأُولى فإنَّ الله فتَحَ عَلَيَّ بِها اليَمَنَ، وأمّا الثّانِيةُ فإنَّ الله فتَحَ عَلَيَّ بِها الشّامَ والمَغْرِبَ، وأمّا الثّالِثةُ فإنَّ الله فتَحَ عَلَيَّ بِها المَشْرِقَ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ أبي هُرَيْرةَ، أنَّهُ كانَ يَقُولُ حِينَ فُتِحَتْ هَذِهِ الأمْصارُ في زَمانِ عُمَرَ وزَمانِ عُثْمانَ وما بَعْدَهُ: افْتَتِحُوا ما بدا لكم، فوالّذي نفس أبي هُرَيْرةَ بِيَدِهِ، ما افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينةٍ ولا تَفْتَتِحُونَها إلى يَوْمِ القِيامةِ إلّا وقَدْ أعْطى الله سُبْحانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَفاتِيحَها قَبْلَ ذلك.

وَذَكَرَ حَفْرَهُ للخَنْدَقِ، وأنّهُ عَرَضَتْ لَهُ صَخْرةٌ، ووَقَعَ في غَيْرِ السِّيرةِ: عَبْلَةٌ، وهي الصّخْرةُ الصّمّاءُ، وجَمْعُها عَبلاتٌ، ويُقالُ لَها: العبلاءُ والأعْبَلُ أيْضًا، وهي صَخْرةٌ بَيْضاءُ.

[وَذكَرَ أنّهُ لَمَعَتْ لَهُ مِنْ تِلكَ الصّخْرةِ بَرْقةٌ بَعْدَ بَرْقةٍ، الحديث، وخَرّجَهُ النّسَوِيُّ[١] مِنْ طَرِيقِ البَراءِ بنِ عازِبٍ بِأتَمّ مِمّا وقَعَ في السّيرةِ، قالَ: لمّا أمَرَنا رسول الله ﷺ أن نَحْفِرَ الخَنْدَقَ، عَرَضَ لَنا فيه حَجَرٌ لا يَأْخُذُ فيهِ المِعْوَلُ، فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فألقى ثوبَهُ وأخَذَ المِعْوَلَ[٢] وقالَ: «بِاسْمِ اللهِ» فضَرَبَ ضَرْبةً فكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرةِ، قالَ: «اللهُ أكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ الشّامِ، واللهِ إنّي لَأُبْصِرُ قُصُورَها الحُمْرَ الآن مِنْ مَكانِي هَذا»، قالَ: ثُمّ ضَرَبَ أُخْرى وقالَ: «بِاسْمِ اللهِ»، وكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ وقالَ: «اللهُ أكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ فارِسَ، واللهِ إنّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ المَدائِنِ الأبْيَضَ الآنَ»، ثُمّ ضَرَبَ ثالِثةً وقالَ: «بِاسْمِ اللهِ»، فقَطَعَ الحَجَرَ، وقالَ: «اللهُ أكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ اليَمَنِ، والله إنى لأُبصِرُ بابَ صَنْعاءَ»][٣].

وقَوْلُهُ: «فأْسًا[٤] ولا مِسْحاةً». المِسْحاةُ: مِفْعَلةٌ مِنْ سَحَوْتُ الطّينَ: إذا قَشَرْتَه، ويُقالُ لِحَدِّ الفَأْسِ والمِسْحاةِ: الغُرابُ، ولِنَصابِها: الفِعالُ بِكَسْرِ الفاءِ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ.

---

(١) في (ب): «الترمذي»، والحديث أخرجه النسائي في «سننه الكبرى» في كتاب السير كما في «تحفة الأشراف» للمزي: (٢: ٦٥).

(٢) في (ب): «وأخذ المعول بيده».

(٣) ليس في (ج) (ص).

(٤) في النسخ: «فاس».

وفي حَدِيثِ سَلمانَ التَّيْمِيّ عَنْ أَبِي عُثْمانَ النَّهْدِيّ، أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ ضَرَبَ في الخندق قال[١]: [من الرجز]

بِسْــمِ الإلــهِ وبِــهِ بَدِينا ولَــوْ عَبَدْنا غَيْرَهُ شــقِينا

فحبّذا ربًّــا وحبَّ دِينا[٢]

[نُزُولُ قُرَيْشٍ المَدِينَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا فرَغَ رَسُول الله ﷺ مِن الخَنْدَقِ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ الأَسْيالِ مِنْ رُومةَ، بَيْنَ الجُرُفِ وزَغابَةَ في عَشَرةِ آلافٍ مِنْ أحابِيشِهِمْ، ومَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنانةَ وأَهْلِ تِهامةَ، وأَقْبَلَتْ غَطَفانُ ومَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتّى نَزَلُوا بِذَنَبِ نَقْمى، إلى جانِبِ أُحُدٍ، وخَرَجَ رَسُول الله ﷺ والمُسْلِمُونَ، حَتّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إلى سَلْعٍ، في ثَلاثةِ آلافٍ مِن المُسلمين، فضرب هنالِكَ عَسْكَرَهُ، والخَنْدَقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ القَوْمِ.

[اسْتِعْمالُ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَمَرَ بِالذَّرارِيِّ والنِّساءِ فجُعِلُوا في الآطامِ.

وَقَوْلُهُ: «حَتّى نَزَلُوا بَيْنَ الجُرُفِ وزَغابَةَ». زَغابةُ: اسْمُ مَوْضِعٍ، بِالغَيْنِ المَنْقُوطةِ والزّايِ المَفْتُوحةِ، وذَكَرَهُ البَكْرِيّ[٣] بِهَذا اللَّفْظِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ

(١) ينسب الرجز للصحابي عبد الله بن رواحة، وهو في «ديوانه» (ص: ١٠٧)، و«لسان العرب» (بدا).
(٢) في النسخ: «حبذا ربًّا». وفي (ب)، (ف): «وحبذا دينًا».
(٣) «معجم ما استعجم» (١: ٦٩٨).

القَوْلَ بِأَنّهُ زُعابةُ بِضَمّ الزّايِ والعَيْنِ المُهْمَلةِ، وحَكى عَن الطّبَرِيّ أنّهُ قالَ في هَذا الحَدِيثِ: «بَيْنَ الجُرُفِ والغابةِ»، واخْتارَ هَذِهِ الرّوايةَ وقالَ: لِأنّ زَغابة لا تُعْرَفُ.

قالَ المُؤَلّفُ: والأعْرَفُ عِنْدِي في هَذِهِ الرّوايةِ رِوايةُ مَنْ قالَ: «زَغابةَ» بالغَيْنِ المَنْقُوطةِ؛ لِأنّ في الحَدِيثِ المُسْنَدِ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قالَ في ناقةٍ أهداها إليه أعرابيٌّ، فكافَأهُ بِستّ بَكَراتٍ، فلَمْ يَرْضَ، فقالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «ألا تَعْجَبُونَ لِهَذا الأعْرابِيّ! أهْدى إلَيّ ناقتي أعْرِفُها بِعَيْنِها [أو كما قال](1) ذَهَبَتْ مِنّي يَوْمَ زَغابةَ، وقَدْ كافَأْته بِستٍّ [بكَراتٍ](2) فسَخِطَ»(3) الحَدِيثَ.

وقالَ: ذَنَب نُقُمٍ ونَقَمى(4) مَعًا.

* * *

(١) عن (ب).

(٢) عن (ب)، وبكرات: جمع بكرة، أنثى بَكر، وهو الفتي من الإبل.

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٣: ٢٩٤-٢٩٥). و«مسند الإمام أحمد» (٢: ٢٩٢). وقد نقل ياقوت هذا عن السهيلي في «معجم البلدان» (زغابة).

(٤) قال ياقوت في «معجمه»: «نَقَمى: بالتحريك والقصر، موضع من أعراض المدينة»، ثم نقل مقالة ابن إسحاق، وقال: ويروى: نقم.

[حَمْلُ حُيَيٍّ كَعْبًا على نَقْضِ عَهْدِهِ لِلرَّسُولِ]

قالَ: وخَرَجَ عَدُوُّ الله حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ، حَتّى أتى كَعْبَ بن أَسَدٍ القُرَظِيَّ، صاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وعَهْدِهِمْ، وكانَ قَدْ وادَعَ رَسُولَ الله ﷺ على قَوْمِهِ، وعاقَدَهُ على ذلك وعاهَدَهُ، فلَمّا سَمِعَ كَعْبٌ بِحُيَيِّ بنِ أخْطَبَ أغْلَقَ دُونَهُ بابَ حِصْنِهِ، فاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فأبى أنْ يَفْتَحَ لَهُ، فناداهُ حُيَيٌّ: ويْحَكَ يا كَعْبُ! افْتَحْ لِي، قالَ: ويْحكَ يا حُيَيُّ! إنَّكَ امْرُؤٌ مَشْؤُومٌ، وإنِّي قَدْ عاهَدْتُ مُحَمَّدًا، فلَسْتُ بِناقِضٍ ما بَيْنِي وبَيْنَهُ، ولَمْ أرَ مِنْهُ إلّا وفاءً وصِدْقًا. قالَ: ويْحَكَ افْتَحْ لِي أُكَلِّمْكَ، قالَ: ما أنا بِفاعِلٍ، قالَ: واللهِ إنْ أغْلَقْتَ دُونِي إلّا عَنْ جَشِيشَتِكَ أنْ آكُلَ مَعَكَ مِنْها. فأَحْفَظَ الرَّجُلَ، ففَتَحَ لَهُ، فقالَ: ويْحَكَ يا كَعْبُ، جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وبِبَحْرٍ طامٍّ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ على قادَتِها وسادَتِها، حَتّى أنْزَلْتُهمْ بِمُجْتَمَعِ الأسْيالِ مِنْ رُومةَ، وبِغَطَفانَ على قادَتِها وسادَتِها حَتّى أنْزَلْتُهُمْ بِذَنَبِ نَقْمى إلى جانِبِ أُحُدٍ، قَدْ عاهَدُونِي وعاقَدُونِي على ألا يَبْرَحُوا حَتّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا ومَنْ مَعَهُ.

قالَ: فقالَ لَهُ كَعْبٌ: جِئْتَنِي واللهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ، وبِجَهامٍ قَدْ هَراقَ ماءَهُ، فهُوَ يَرْعَدُ ويَبْرُقُ، لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ، ويْحَكَ يا حُيَيُّ! فدَعْنِي وما أنا عَلَيْهِ؛ فإنِّي لَمْ أرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إلّا صِدْقًا ووَفاءً. فلَمْ يَزَلْ حُيَيٌّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ في الذِّرْوةِ والغارِبِ، حَتّى سَمَحَ لَهُ على أنْ أعْطاهُ عَهْدًا مِن الله ومِيثاقًا: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ، ولَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا، أنْ أدْخُلَ مَعَكَ في حِصْنِكَ حَتّى يُصِيبَنِي ما أصابَكَ. فنَقَضَ كَعْبُ بنُ أسَدٍ عَهْدَهُ، وبَرِئَ مِمّا كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ.

وَذَكَرَ حُيَيَّ بنَ أَخْطَبَ، وما قالَ لِكَعْبٍ، وأَنَّهُ لَمْ يَزَل يَفْتِلُ في الذِّرْوةِ والغارِبِ. هَذا مَثَلٌ[1]، وأَصْلُهُ في البَعِيرِ يُسْتَصْعَبُ عَلَيْك فتَأْخُذُ القُرادَ مِنْ ذِرْوَتِهِ وغارِبِ سَنامِهِ، وتَفْتِلُ هُناكَ، فيَجِدُ البَعِيرُ لَذّةً فيَأْنَسُ عِنْدَ ذَلِكَ، فضُرِبَ هَذا الكَلامُ مَثَلًا في المُراوَضةِ والمُخاتَلةِ، وكَذَلِكَ جاءَ في حَدِيثِ الزُّبَيْرِ[2] حِينَ[3] أَرادَ عائِشَةَ عَلى الخُرُوجِ إِلى البَصْرةِ، فأَبَتْ عَلَيْهِ، فجَعَلَ يَفْتِلُ في الذِّروة والغاربِ حتّى أجابته. وقال الحُطَيئةُ[4]: [من الوافر]

لَعَمْـرُكَ ما قُـرادُ بَنِي بَغِيضٍ إذا نُـزِعَ القُـرادُ بِمُسْـتَطاعِ

يُرِيدُ: أَنّهُمْ لا يُخْدَعُونَ ولا يُسْتَذَلُّونَ.

* * *

(١) «الأمثال» لأبي عبيد: (١: ٨١-٨٢)، و«النهاية» لابن الأثير: (٢: ١٥٩-١٦٠).

(٢) في النسخ: «ابن الزبير»، و«ابن» مضروب عليها في (أ). وانظر المرجعين السابقين.

(٣) في (ف): «لما».

(٤) «ديوانه» (ص: ٢٠٢)، وفيه: «بني رياح». وانظر: «المعاني الكبير» لابن قتيبة: (ص: ٦٢٩، ١١١٢).

[تَحَرِّي الرَّسُولِ عَنْ نَقْضِ كَعْبٍ لِلْعَهْدِ]

فَلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ الخَبَرُ وإلى المُسْلِمِينَ، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بنَ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأوْسِ، وسَعْدَ بنَ عُبادةَ بنِ دُلَيْمٍ، أحَدَ بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، ومَعَهُما عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ، أخُو بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وخَوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فقالَ: انْطَلِقُوا حَتّى تَنْظُرُوا، أحَقٌّ ما بَلَغَنا عَنْ هَؤُلاءِ القَوْمِ أمْ لا؟ فإنْ كانَ حَقًّا فالحَنُوا لِي لَحْنًا أعْرِفُهُ، ولا تَفُتُّوا في أعْضادِ النّاسِ، وإنْ كانُوا على الوَفاءِ فيما بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ فاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاسِ. قالَ: فخَرَجُوا حَتّى أتَوْهُمْ، فوَجَدُوهُمْ على أخْبَثِ ما بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ فيما نالُوا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وقالُوا: مَنْ رَسُول الله؟ لا عَهْدَ بَيْنَنا وبَيْنَ مُحَمَّدٍ ولا عَقْدَ. فشاتَمَهُمْ سَعْدُ بن مُعاذٍ وشاتَمُوهُ، وكانَ رَجُلًا فيهِ حِدّةٌ، فقالَ لَهُ سَعْدُ بنُ عُبادةَ: دَعْ عَنْكَ مُشاتَمَتَهُمْ، فما بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ أرْبى مِن المُشاتَمةِ. ثُمَّ أقْبَلَ سَعْدٌ وسَعْدٌ ومَنْ مَعَهُما، إلى رَسُولِ الله ﷺ، فسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قالُوا: عَضَلٌ والقارةُ؛ أي: كَغَدْرِ عَضَلٍ والقارةِ بِأصْحابِ الرَّجِيعِ: خُبَيْبٍ وأصْحابِهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله أكْبَرُ، أبْشِرُوا يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ».

[ما عَمَّ المُسْلِمِينَ مِن الخَوْفِ، وظُهُورُ نِفاقِ المُنافِقِينَ]

قالَ: وعَظُمَ عِنْدَ ذلك البَلاءُ، واشْتَدَّ الخَوْفُ، وأتاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فوْقِهِمْ ومِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتّى ظَنَّ المُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، ونَجَمَ النِّفاقُ مِنْ بَعْضِ

المُنافِقِينَ، حَتّى قالَ مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: كانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنا أنْ نأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرى وقَيْصَرَ، وأحَدُنا اليَوْمَ لا يَأْمَنُ على نَفْسِهِ أنْ يَذْهَبَ إلى الغائِطِ.

وذَكَرَ قَوْلَ رسول الله ﷺ: «الحَنُوا لِي لَحْنًا أعْرِفُهُ، ولا تَفُتُّوا في أعْضادِ النّاسِ».

اللَّحْنُ: العُدُولُ بِالكَلام عن الوَجْهِ المَعْرُوفِ عِنْدَ النّاسِ إلى وجْهٍ لا يَعْرِفُهُ إلّا صاحِبُك[1]، كَما أنَّ اللَّحْنَ الَّذِي هُوَ الخَطَأُ عُدُولٌ عَنِ الصّوابِ المَعْرُوفِ.

قالَ السِّيرافيّ: ما عَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَعْنى النّحْوِ[2] إلّا مِنْ مَعْنى اللَّحْنِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ؛ فإنّ اللَّحْنَ عُدُولٌ عَنْ طَرِيقِ الصّوابِ، والنّحْوُ قَصْدٌ إلى الصّوابِ[3]، وأمّا اللَّحَنُ بِفَتْحِ الحاءِ فأصْلُهُ مِنْ هَذا؛ لأنه[4] إذا لَحَنَ لَك لِتَفْهَمَ عَنْهُ فَفَهِمْتَ سُمِّيَ ذَلِكَ الفَهْمُ لَحَنًا، ثُمّ قِيلَ لِكُلّ مَنْ فهِمَ: لَحِنَ بكسر الحاءِ، وأصْلُهُ ما ذَكَرْناهُ مِن الفَهْمِ عَن اللاحن، وقال الجاحظ في قول مالك بن أسْماءَ[5]:

[من الخفيف]

مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلحَنُ أحْيا ... نًا وخَيْرُ الحَدِيثِ ما كانَ لَحْنا

---

(١) كذا في (ب)، (ج). وفي غيرهما: «صاحبه».

(٢) في (ب): «ما عرفت حقيقة النحو».

(٣) في (ب): «الطريق الصواب».

(٤) في (ف): «فإنه».

(٥) «البيان والتبيين» (١: ١٤٧).

أرادَ أنّ اللّحنَ الذي هو الخطأُ قد يُستَملَحُ ويُستطابُ من الجاريةِ الحديثةِ السّنِّ، وخُطّئ[١] الجاحِظُ في هَذا التّأْويلِ، وأُخْبِرَ بما قالَهُ الحجّاجُ بن يُوسُفَ لِامْرَأتِهِ هِنْدَ بِنْتِ أسْماءَ بنِ خارِجةَ، حِينَ لَحَنَتْ فأنْكرَ عَلَيْها اللّحْنَ، فاحْتَجَّتْ[٢] بِقَوْلِ أخِيها مالِكِ بنِ أسْماءَ: [من الخفيف]

......وَخَيْرُ الحَدِيثِ ما كانَ لَحْنا

فَقالَ لَها الحَجّاجُ: لَمْ يُرِدْ أخُوك هَذا، إنّما أرادَ اللّحْنَ الّذِي هُوَ التّوْرِيةُ والإلغازُ، فسَكَتَتْ، فلَمّا حُدِّثَ الجاحِظُ بِهَذا الحَدِيثِ قالَ: لَوْ كانَ بَلَغَنِي هَذا قَبْلَ أنْ أُؤَلِّفَ كِتابَ «البيَانِ» ما قُلتُ في ذَلِكَ ما قُلتُ، فقِيلَ لَهُ: أفَلا تُغَيِّرُهُ؟ فقالَ: وكَيْفَ وقَدْ سارَتْ بِهِ البغالُ الشُّهْبُ وأنْجَدَ في البِلادِ وغارَ. وَكَما قالَ الجاحِظُ في مَعْنى «تَلحَنُ أحْيانًا» قالَ ابنُ قُتَيْبةَ مثله أو قريبًا منه[٣].

وَقَوْلُهُ: «يَفُتُّ في أعْضادِ النّاسِ»؛ أيْ: يَكْسِرُ مِنْ قُوّتِهِمْ ويُوهِنُهُمْ، وضُرِبَ العَضُدُ مَثَلًا، والفَتُّ: الكَسْرُ، وقالَ: «في أعْضادِهِمْ» ولَمْ يَقُل: «يَفُتُّ أعْضادَهُمْ» لِأنّهُ كِنايةٌ عَنِ الرُّعْبِ الدّاخِلِ في القَلبِ، ولَمْ يُرِدْ كَسْرًا حَقِيقِيًّا، ولا العَضُدَ الّذِي هُوَ العُضْوُ[٤]، وإنّما هُوَ عِبارةٌ عَمّا يَدْخُلُ في القَلبِ مِنَ الوَهْنِ، وهُوَ مِنْ أفْصَحِ الكَلامِ.

* * *

(١) انظر الخبر في: «الأغاني» (١٨: ٦٥٣٦-٦٥٣٧)، و«تاريخ بغداد» للخطيب: (١٢: ٢١٤).

(٢) في (ف): «واحتجت».

(٣) انظره في: «غريب الحديث» له: (٢: ٤١٩).

(٤) في (ب)، (ج): «العضد».

[رَأْيُ ابنِ هِشامٍ في نِفاقِ مُعَتِّبٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ مُعَتِّبَ بنَ قُشَيْرٍ لَمْ يَكُنْ مِن المُنافِقِينَ، واحْتَجَّ بِأَنَّهُ كانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَتّى قالَ أَوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ، أَحَدُ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ مِن العَدُوِّ، وذلك عَنْ مَلَأٍ مِنْ رِجالِ قَوْمِهِ، فأْذَنْ لَنا أنْ نَخْرُجَ فنَرْجِعَ إلى دارِنا؛ فإنَّها خارِجٌ مِن المَدِينةِ. فأقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأقامَ عَلَيْهِ المُشْرِكُونَ بِضْعًا وعِشْرِينَ لَيْلَةً، قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إلّا الرِّمِّيا بِالنَّبْلِ، والحِصارُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: الرَّمْيا.

وَذَكَرَ أَوْسَ بنَ قَيْظِيّ، وهُوَ القائِلُ: «إنَّ بُيُوتَنا عَوْرةٌ» وابنُهُ: عَرابةُ بنُ أَوْسٍ كانَ سَيِّدًا، ولا صُحْبَةَ لَهُ، وقَدْ قِيلَ: لَهُ صُحْبَةٌ، وقَدْ ذَكَرْناهُ فيمَن اسْتُصْغِرَ يومَ أُحدٍ[1]، وهو الذي يقولُ فيهِ الشّمّاخُ[2]: [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلقّاهــا عَرابةُ باليمينِ

ولعِرابةَ أخٌ اسمه: كَباثَةُ مَذْكُورٌ في الصّحابةِ أيْضًا[3].

(١) انظر: (٥: ٤٢٣).

(٢) «ديوان الشماخ» (ص: ٣٣٦)، وانظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤: ١٨-١٩).

(٣) «أسد الغابة» (٤: ٤٥٧).

[هَمَّ الرَّسُولُ بِعَقْدِ الصُّلْحِ بَيْنَهُ وبَيْنَ غَطفانَ ثُمَّ عَدَلَ]

فَلَمّا اشْتَدَّ على النّاسِ البَلاءُ، بَعَثَ رَسُول الله ﷺ ـ كَما حَدَّثَنِي عاصِمُ ابنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ ومَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمِ بنِ عُبَيْدِ الله بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ ـ إلى عُيَيْنةَ بنِ حِصْنِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ، وإلى الحارِثِ بنِ عَوْفِ بنِ أبي حارِثَةَ المُرِّيِّ، وهُما قائِدا غَطَفانَ، فأعْطاهُما ثُلُثَ ثِمارِ المَدِينةِ على أنْ يَرْجِعا بِمَنْ مَعَهُما عَنْهُ وعَنْ أصْحابِهِ، فجَرى بَيْنَهُ وبَيْنَهُما الصُّلْحُ، حَتّى كَتَبُوا الكِتابَ ولَمْ تَقَع الشَّهادةُ ولا عَزِيمةُ الصُّلْحِ، إلّا المُراوَضةُ في ذلك، فلَمّا أرادَ رَسُول الله ﷺ أنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إلى سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وسَعْدِ بنِ عُبادةَ، فذَكَرَ ذلك لَهُما، واسْتَشارَهُما فيهِ، فقالا لَهُ: يا رَسُولَ الله، أمْرًا نُحِبُّهُ فنَصْنَعُهُ، أمْ شَيْئًا أمَرَكَ الله بِهِ، لا بُدَّ لَنا مِن العَمَلِ بِهِ، أمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنا؟ قالَ: «بَلْ شَيْءٌ أصْنَعُهُ لَكُمْ، والله ما أصْنَعُ ذلك إلّا لِأنَّنِي رَأيْتُ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ واحِدةٍ، وكالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، فأرَدْتُ أنْ أكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إلى أمْرٍ ما».

فقالَ لَهُ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ: يا رَسُولَ الله، قَدْ كُنّا نَحْنُ وهَؤُلاءِ القَوْمُ على الشِّرْكِ بالله وعِبادةِ الأوْثانِ، لا نَعْبُدُ الله ولا نَعْرِفُهُ، وهُمْ لا يَطْمَعُونَ أنْ يَأْكُلُوا مِنْها تَمْرةً إلّا قِرًى أوْ بَيْعًا، أفَحِينَ أكْرَمَنا اللهُ بالإسْلامِ وهَدانا لَهُ وأعَزَّنا بِكَ وبِهِ، نُعْطِيهِمْ أمْوالَنا؟! والله ما لَنا بِهذا مِنْ حاجةٍ، والله لا نُعْطِيهِمْ إلّا السَّيْفَ حَتّى يَحْكُمَ الله بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ. قالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«فأنْتَ وذاكَ». فتَناوَلَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ الصَّحِيفةَ، فمَحا ما فيها مِن الكِتابِ، ثُمَّ قالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنا.

[عُبورُ نَفَرٍ مِن المُشْرِكِينَ الخَنْدَقَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ، وعَدُوُّهُمْ مُحاصِرُوهُمْ، ولَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتالٌ، إلّا أنَّ فوارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ: عَمْرُو بنُ عَبْدِ وُدِّ ابنِ أبي قَيْسٍ، أخُو بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ.

ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَمْرُو بنُ عَبْدِ بنِ أبي قَيْسٍ ـ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وهُبَيْرةُ بنُ أبي وهْبٍ المَخْزُومِيّانِ، وضِرارُ بنُ الخَطّابِ الشّاعِرُ ابن مِرْداسٍ، أخُو بَنِي مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، تَلَبَّسُوا لِلْقِتالِ، ثُمَّ خَرَجُوا على خَيْلِهِمْ، حَتّى مَرُّوا بِمَنازِلِ بَنِي كِنانةَ، فقالُوا: تَهَيَّؤُوا يا بَنِي كِنانةَ لِلْحَرْبِ، فسَتَعْلَمُونَ مَن الفُرْسانُ اليَوْمَ. ثُمَّ أقْبَلُوا تُعْنِقُ بِهِمْ خَيْلُهُمْ، حَتّى وقَفُوا على الخَنْدَقِ، فلَمّا رَأوْهُ قالُوا: والله إنَّ هَذِهِ لَمَكِيدةٌ ما كانَت العَرَبُ تَكِيدُها.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ما هَمّ بِهِ النّبيُّ ﷺ مِنْ مُصالَحةِ الأحْزابِ عَلى ثُلُثِ تَمْرِ المَدِينةِ، وفيهِ مِن الفِقْهِ جَوازُ إعْطاءِ المال للعَدوِّ إذا كان فيه نَظَرٌ للمسلمين وحِياطةٌ لَهُمْ، وقَدْ ذَكَرَ أبُو عُبَيْدٍ هَذا الخبر، وأنه أمرٌ مَعْمُولٌ بِهِ، وذَكَرَ أنَّ مُعاوِيةَ صالَحَ مَلِكَ الرُّومِ عَلى الكَفِّ عَنْ ثُغُورِ الشّام بِمالٍ دَفَعَهُ إلَيْهِ، قِيلَ: كانَ مِئةَ ألفِ دِينارٍ، وأخَذَ مِن الرُّومِ رُهُنًا، فغَدَرَتِ الرُّومُ ونَقَضَتِ الصُّلحَ، فلَمْ يَرَ مُعاوِيةُ

رضي الله عنه قَتْلَ الرّهائِنِ، وأطْلَقَهُمْ، وقالَ: وفاءٌ بِغَدْرٍ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ بِغَدْرٍ قالَ: وهُوَ مَذْهَبُ الأوْزاعِيّ وأهْلِ الشّامِ ألّا تُقْتَلَ الرّهائِنُ، وإنْ غَدَرَ العَدُوّ[١].

[سَلْمانُ وإشارَتُهُ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: يُقالُ: إنَّ سَلْمانَ الفارِسِيَّ أشارَ بِهِ على رَسُولِ الله ﷺ.

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ المُهاجِرِينَ يَوْمَ الخَنْدَقِ قالُوا: سَلْمانُ مِنّا، وقالَتِ الأنْصارُ: سَلْمانُ مِنّا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «سَلْمانُ مِنّا أهْلَ البَيْتِ».

وذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «سَلمانُ مِنّا أهْلَ البَيْتِ»[٢] بِالنّصْبِ عَلى الاخْتِصاصِ، أوْ عَلى إضْمارِ أعْنِي، وأمّا الخَفْضُ عَلى البَدَلِ فلَمْ يَرَهُ سِيبَوَيْهِ جائِزًا مِنْ ضَمِيرِ المُتَكَلّمِ، ولا مِنْ ضَمِيرِ المُخاطَبِ؛ لِأنّهُ في غايةِ البَيانِ، وأجازَهُ الأخفشُ[٣].

* * *

---

(١) «الأموال» لأبي عبيد: (ص: ١٧٤-١٧٦).

(٢) في «المعجم الكبير» للطبراني (٦: ٢١٢) برقم (٦٠٤٠) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦: ١٣) وعزاه للطبراني وقال: فيه كثير بن عبد الله المُزني، وقد ضعّفه الجمهور، وحسّن الترمذي حديثه، وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) انظر في هذا: «ارتشاف الضرب» (٢: ٢٢٤٨).

[قَتْلُ عَلِيٍّ لِعَمْرِو بنِ عَبْدِ وُدٍّ، وشِعْرُهُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكانًا ضَيِّقًا مِن الخَنْدَقِ، فضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فاقْتَحَمَتْ مِنْهُ، فجالَتْ بِهِمْ في السَّبْخةِ بَيْنَ الخَنْدَقِ وسَلْعٍ، وخَرَجَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ في نَفَرٍ مَعَهُ مِن المُسْلِمِينَ، حَتّى أخَذُوا عَلَيْهِم الثَّغْرَةَ الَّتِي أقْحَمُوا مِنْها خَيْلَهُمْ، وَأقْبَلَت الفُرْسانُ تُعْنِقُ نَحْوَهُمْ، وكانَ عَمْرُو ابنُ عَبْدِ وُدٍّ قَدْ قاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتّى أثْبَتَتْهُ الجِراحةُ، فلَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ، فلَمّا كانَ يَوْمُ الخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِيُرِيَ مَكانَهُ، فلَمّا وقَفَ هُوَ وخَيْلُهُ، قالَ: مَنْ يُبارِزُ؟ فبَرَزَ لَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فقالَ لَهُ: يا عَمْرُو، إنَّكَ قَدْ كُنْتَ عاهَدْتَ اللهَ ألّا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى إحْدى خَلَّتَيْنِ إلّا أخَذْتَها مِنْهُ، قالَ لَهُ: أجَلْ، قالَ لَهُ عَلِيٌّ: فإنِّي أدْعُوكَ إلى اللهِ، وإلى رَسُولِهِ، وإلى الإسْلامِ، قالَ: لا حاجةَ لِي بِذلك، قالَ: فإنِّي أدْعُوكَ إلى النِّزالِ، فقالَ لَهُ: لِمَ يا ابن أخي؟ فواللهِ ما أُحِبُّ أنْ أقْتُلَكَ، قالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَكِنِّي واللهِ أُحِبُّ أنْ أقْتُلَكَ، فحَمِيَ عَمْرٌو عِنْدَ ذلك، فاقْتَحَمَ عَنْ فرَسِهِ، فعَقَرَهُ، وضَرَبَ وجْهَهُ، ثُمَّ أقْبَلَ على عَلِيٍّ، فتَنازَلا وتَجاوَلا، فقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مُنْهَزِمةً، حَتّى اقْتَحَمَتْ مِن الخَنْدَقِ هارِبةً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ مِنْ سَفاهةِ رَأْيِهِ ... ونَــصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوابِي

فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلًا ... كالجِذْعِ بَــيْنَ دَكادِكٍ وروابِي

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوابِهِ ولَوَ انَّني ... كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّني أَثْوابِي

لا تَحْسِبُنَّ اللهَ خاذِلَ دِينِهِ ... ونَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزابِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَكْثَرُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يَشُكُّ فيها لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ.

فَصْلٌ

وذكرَ خبرَ عمرِو بنِ [عبدِ][1] [وُدٍّ][2] العامِرِيِّ، ومُبارَزَتَهُ لِعَلِيٍّ إلى آخِرِ القِصّةِ، ووَقَعَ في «مَغازي ابنِ إسْحاقَ» مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ عَن البَكّائِيّ فيها زِيادةٌ حَسَنةٌ، رَأَيْتُ أَنْ أُورِدَها هُهُنا تَتْمِيمًا لِلخَبَرِ.

قالَ ابنُ إسحاق: إنَّ عمرو بنَ عبدِ وُدٍّ خَرَجَ فنادى: هَل مَنْ يبارزني؟ فَقامَ عَلِيّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهُوَ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ، فقالَ: أنا لَهُ يا نَبيَّ اللهِ[3]، فقالَ: «إنّهُ عَمْرٌو، اجْلِسْ»[4]. ونادى عَمْرٌو: ألا رَجُلٌ، وهو يُؤَنِّبُهُمْ ويَقُولُ: أيْنَ جَنّتُكُم الّتِي تَزْعُمُونَ أنّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخَلَها، أفَلا تُبرِزُونَ لِي رَجُلًا؟! فقام عليٌّ رضي الله عنه فقالَ: [أنا يا رسول الله][5]، فقالَ: «اجْلِسْ؛ إنّهُ عَمْرٌو». ثُمّ نادى الثّالِثَةَ وقالَ[6]: [من مجزوء الكامل]

---

(١) عن حاشية (أ).

(٢) كذا في (أ)، وفي النسخ الأخرى: «أدّ» بالهمزة. انظر: «جمهرة» الكلبي: (ص: ١١)، وابن حزم: (ص: ١٦٨).

(٣) في (ف): «يا رسول الله».

(٤) في (أ): «فاجلس».

(٥) سقط من (س).

(٦) في (ب): «فقال». والأبيات في «زهر الآداب» للحصري: (١: ٨٣-٨٤)، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد: (١٣: ٢٩١-٢٩٢)، (١٩: ٦٣).

وَلَقَدْ بَحِحْتُ مِنَ النِّدا ءِ بِجَمْعِكُمْ: هَل مِنْ مُبارِزْ؟[١]
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ المُشَجَّـ عُ مَوْقِفَ القِرْنِ المُناجِزْ[٢]
وَكَذاكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الهَزاهِزْ[٣]
إِنَّ الشَّجاعَةَ فِي الفَتى والجُودَ مِنْ خَيْرِ الغَرائِزْ

فَقامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فقالَ: يا رسول الله، أنا لَهُ. فقالَ: «إِنَّهُ عَمْرٌو». فقالَ: وإِنْ كانَ عَمْرًا، فأذِنَ لَهُ رسول الله ﷺ، فمَشى إِلَيْهِ عَلِيٌّ حَتّى أتاهُ وهُوَ يَقُولُ[٤]: [من مجزوء الكامل]

لا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أتا كَ مُجيبُ صَوتِكَ غير عاجِزْ
ذو نِيَّةٍ وبَصِيرةٍ والصِّدْقُ مُنْجِي كُلِّ فائِزْ
إِنِّي لَأَرْجُو أنْ أُقِـ يمَ عَلَيْكَ نائِحَةَ الجَنائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاءَ يَبْـ قى ذِكْرُها عِنْدَ الهَزاهِزْ

فَقالَ لَهُ عَمْرٌو: مَنْ أنْتَ؟ فقالَ: أنا عليٌّ، قال: ابنُ عبد مَنافٍ؟ فقال: أنا عليُّ بنُ أبي طالِب، فقال: غَيرُك يا ابن أخِي مِنْ أعْمامِك مَنْ هُوَ أَسَنُّ[٥] مِنْك، فإِنِّي أكْرَهُ أنْ أُهَرِيقَ دَمَك[٦]، فقالَ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَكِنِّي واللهِ ما

(١) في النسخ: «بجحت»، بجيم فحاء، ولا يناسب سياق البيت. وبَحَّ صوته يَبَحُّ - كمَلَّ يَمَلُّ - غلظ وخشن من داء أو كثرة الصياح.

(٢) كذا في النسخ: «المُشَجَّع»، وفي زهر الآداب: «الشجاع بموقف». والبيت في اللسان: (نجز)، وفيه: «وشجَّعه تشجيعًا: قوّى قلبَه وجرَّأه».

(٣) الهزاهز: الشدائد.

(٤) في (ب): «قال».

(٥) في هامش (س) عن نسخة: «أشد».

(٦) بعده في (س): «فإن أباك كان لي صديقًا». وسينبه السهيلي فيما بعد أنها من زيادات غير ابن إسحاق.

أَكْرَهُ أَنْ أُهَرِيقَ دَمَك. فغَضِبَ ونَزَلَ[١] فسَلَّ[٢] سَيْفَهُ كَأَنّهُ شُعْلَةُ نار، ثُمّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ مُغْضَبًا. وذُكِرَ أَنّهُ كانَ عَلى فرَسِهِ، فقال له عليٌّ: كيف أُقاتِلُكَ وأَنْتَ عَلى فرَسِك، ولَكِنِ انْزِل مَعِي، فنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، ثُمّ أَقْبَلَ نَحْوَه، فاسْتَقْبَلَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِدَرَقَتِهِ[٣]، فضَرَبَهُ عَمْرٌو فيها فَقَدَّها وأَثْبَتَ فيها السَّيْفَ، وأصابَ رَأْسَهُ فشَجّهُ، وضَرَبَهُ عَلِيّ رضي الله عنه على حَبْلِ العاتِقِ فسَقَطَ، وثارَ العَجاجُ، وسَمِعَ رسول الله ﷺ التّكْبيرَ فعَرَفَ أنّ عَلِيًّا قَدْ قَتَلَهُ، فثَمّ يَقُولُ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عنه[٤]: [من الكامل]

أعليَّ تَقْتَحِمُ الفَوارِسُ هَكَذا ... عَنِّي وعَنْهُ أَخِّرُوا أَصْحابِي[٥]
فاليَوْمَ يمْنَعُنِي الفِرارَ حَفيظَتِي ... ومُصَمِّمٌ في الرَّأْسِ لَيْسَ بِنابِ[٦]
أَدّى عُمَيْرٌ حِينَ أُخْلِصَ صَقْلُهُ ... صافي الحَدِيدَةِ يَسْتَفيضُ ثَوابِي
فَغَدَوْتُ أَلْتَمِسُ القِراعَ بِمُرْهَفٍ ... عَضْبٍ مَعَ البَتْراءِ في أَقْرابِ[٧]
قالَ ابنُ عبدٍ حِينَ شَدّ أَلِيّةً ... وحَلَفْتُ فاسْتَمِعُوا مِنَ الكَذّابِ[٨]
أَلّا يَفِرَّ ولا يُهَلِّلَ فالتَقى ... رَجُلانِ يَلتَقِيانِ كُلَّ ضِرابِ[٩]

---

(١) بعده في (س): «عن فرسه».
(٢) في (ف): «وسل».
(٣) الدَّرَقة: تُرْس يُتَّقى به المحارب.
(٤) ديوانه: (ص: ١٨)، و«حماسة البحتري» (ص: ٣٧-٣٨).
(٥) في الديوان: «خيروا أصحابي».
(٦) الحفيظة: الغضب والحمية. والمصمّم: السيف القاطع يمر في العظام.
(٧) أرهف السيف: رققه، فهو مُرهَف. والعضب: السيف القاطع. والبتراء: دِرع قصيرة، والأقراب: جمع قُرْب، وهي الخاصرة.
(٨) الألية: اليمين، أقسم يمينًا.
(٩) في (أ)، (ج): «يهلك». ولا معنى له. وهَلَّل: حمل على قِرْنه ثم جبن. وفي حاشية (س): =

وَبَعْدَهُ: «نَصَرَ الحِجارةَ...» إلى آخِرِ الأبْياتِ، إلّا أنّهُ رُوِيَ: «عَبَدَ الحِجارةَ وعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمّدٍ»، ورُوِيَ في مَوْضِعِ «ولَقَدْ بَحِحْتُ»[١]: «ولَقَدْ عَجِبْتُ»، ويُرْوى: [من الكامل]

...............فالتَقـى أسَـدانِ يلتقيـانِ كلّ ضرابِ

وفيهِ إنْصافٌ مِنْ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ: «أسَدانِ» ونَسَبَهُ إلى الشّجاعةِ والجرأةِ.

وقَوْلُهُ: «أدّى عُمَيْرٌ» إلى قَوْلِهِ: «ثَوابِي»، أيْ: أَدى إلَيّ ثوابِي، وأحْسَنَ جَزائِي حِينَ أخْلَصَ صَقْلَهُ.

ثُمّ أقْبَلَ نَحْوَ رسول الله ﷺ وهُوَ مُتَهَلِّلٌ، فقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: هَلّا سَلَبْتَه دِرْعَهُ؛ فإنّهُ لَيْسَ في العَرَبِ دِرْعٌ خَيْرٌ مِنْها، فقالَ: إنِّي حِينَ ضَرَبْتُه اسْتَقْبَلَنِي بِسَوْأتِهِ، فاسْتَحْيَيْتُ ابنَ عَمِّي أنْ أسْتَلِبَهُ. وخَرَجَتْ خَيْلُهُ مُنْهَزِمةً حَتّى اقْتَحَمَتِ الخَنْدَقَ[٢]، فمِنْ هُنا[٣] لَمْ يَأْخُذْ عَلِيٌّ سَلَبَهُ، وقِيلَ: تَنَزَّهَ عَنْ أخْذِها، وقِيلَ: إنّهُمْ كانُوا في الجاهِلِيّةِ إذا قَتَلُوا القَتِيلَ لا يَسْلُبُونَهُ ثِيابَهُ.

وَقَوْلُ عَمْرِو لِعَلِيٍّ: «إني واللهِ أكره أن أُهَرِيقَ دمك» زادَ فيهِ غَيْرُهُ: «فإنَّ[٤] أباكَ كانَ لِي صَدِيقًا»، قالَ الزّبَيْرُ: كانَ أبُو طالِبٍ يُنادِمُ مُسافِرَ بنَ أبِي عَمْرٍو، فلَمّا هَلَكَ اتّخَذَ عَمْرَو بنَ أدٍّ نَدِيمًا؛ فلِذَلِكَ قالَ لِعَلِيٍّ حِينَ بارَزَهُ ما قال.

= «يقتتلان، يضطربان».

(١) في النسخ: «بجحت». وسبق التعليق عليه.

(٢) بعده في (س): «هاربة».

(٣) في (ص)، (ج): «هنالك».

(٤) في (ص)، (ج): «لأن».

[شِعْرُ حَسّانَ في فِرارِ عِكْرِمَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وألْقى عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ رُمْحَهُ يَوْمَئِذٍ وهُوَ مُنْهَزِمٌ عَنْ عَمْرٍو، فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في ذلك:

فَــرَّ وأَلْــقى لَنــا رُمْحَــهُ لَعَلَّــكَ عِكْــرِمَ لَــمْ تَفْعَلِ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيمِ ما إنْ تَجُــورُ عَــن المَعْدِلِ
وَلَــمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِسًــا كَأَنَّ قَفــاكَ قَفــا فُرْعُــلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: الفُرْعُلُ: صَغِيرُ الضِّباعِ، وهَذِهِ الأَبْياتُ في أَبْياتٍ لَهُ.

[شِعارُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ الخَنْدَقِ]

وَكانَ شِعارُ أَصْحابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وبَنِي قُرَيْظَةَ: «حم، لا يُنْصَرُونَ».

وذكر قولَ حسان في عكرمة: [من المتقارب]

كأنّ قَفاهُ قَفا فُرْعُلِ(١)

الفُرْعُلُ: وَلَدُ الضَّبُعِ.

❊ ❊ ❊

(١) كذا في النسخ. وفي «السيرة»، و«الديوان» (١: ٥٠٩): «قفاك». ولعله من قبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

[شَأْنُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبو لَيْلى عَبْدُ الله بنُ سَهْلِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ سَهْلٍ الأنْصارِيُّ، أخُو بَنِي حارِثَةَ: أنَّ عائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ كانَتْ في حِصْنِ بَنِي حارِثَةَ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وكانَ مِنْ أحْرَزِ حُصُونِ المَدِينَةِ. قالَ: وكانَتْ أُمُّ سَعْدِ ابنِ مُعاذٍ مَعَها في الحِصْنِ، فقالَتْ عائِشَةُ وذلك قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عَلَيْنا الحِجابُ: فمَرَّ سَعْدٌ وعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ مُقَلَّصةٌ، قَدْ خَرَجَتْ مِنْها ذِراعُهُ كُلُّها، وفي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقَدُّ بِها ويَقُولُ:

لَبِّـثْ قَلِيلًا يَشْـهَدِ الهَيْجا جَمَلْ ... لا بَأْسَ بِالمَـوْتِ إذا حانَ الأجَلْ

قالَ فقالَتْ لَهُ أُمُّهُ: الحقّ؛ أي: ابني، فقَدْ والله أخَّرْتَ، قالَتْ عائِشَةُ: فقُلْتُ لَها: يا أُمَّ سَعْدٍ، والله لَوَدِدْتُ أنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كانَتْ أسْبَغَ مِمّا هِيَ، قالَتْ: وَخِفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أصابَ السَّهْمُ مِنْهُ، فرُمِيَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ بِسَهْمٍ، فقَطَعَ مِنْهُ الأكْحَلَ، رَماهُ ـ كَما حَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ ـ حِبّانُ ابنُ قَيْسِ بنِ العَرِقةِ، أحَدُ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، فلَمّا أصابَهُ، قالَ: خُذْها مِنِّي وأنا ابنُ العَرِقةِ، فقالَ لَهُ سَعْدٌ: عَرَّقَ الله وجْهَكَ في النّارِ، اللهُمَّ إنْ كُنْتَ أبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فأبْقِنِي لَها؛ فإنَّهُ لا قَوْمَ أحَبَّ إلَيَّ أنْ أُجاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وكَذَّبُوهُ وأخْرَجُوهُ، اللهُمَّ وإنْ كُنْتَ قَدْ وضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ فاجْعَلْهُ لِي شَهادةً، ولا تُمِتْنِي حَتّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظةَ.

[شِعْرٌ لِأُسامةَ يَدُلُّ على أنَّهُ قاتِلُ سَعْدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ عَبْدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ؛ أنَّهُ كانَ يَقُولُ: ما أصابَ سَعْدًا يَوْمَئِذٍ إلّا أبو أُسامةَ الجُشَمِيُّ، حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ.

وَقَدْ قالَ أبو أُسامةَ في ذلك شِعْرًا لِعِكْرِمةَ بنِ أبي جَهْلٍ:

أعِكْــرِمَ هَلّا لُمْتَــنِي إذْ تَقُولُ لِي ... فِــداكَ بِآطــامِ المَدِينــةِ خالِدُ

ألَسْتُ الَّذي ألْزَمْتُ سَعْدًا مُرِشّةً ... لَهــا بَيْنَ أثْنــاءِ المَرافِــقِ عانِدُ؟

قَضى نَحْبَهُ مِنْها سُــعَيدٌ فأعْوَلَتْ ... عَلَيْهِ مَعَ الشُّمْطِ العَذارى النَّواهِدُ

وَأنْتَ الَّذي دافَعْتَ عَنْهُ وقَدْ دَعا ... عُبَيْــدةُ جَمْعًا مِنْهُــمُ إذْ يُكابِدُ

على حِينِ ما هُمْ جائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ ... وآخَرُ مَرْغُوبٌ عَن القَصْدِ قاصِدُ

واللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

[قاتِلُ سَعْدٍ في رَأْيِ ابنِ هشامٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: إنَّ الَّذي رَمى سَعْدًا: خَفاجةُ بنُ عاصِمِ بنِ حِبّانَ.

وَذَكَرَ قَوْلَ سعدٍ: [من الرجز]

لَبِّثْ قَلِيلًا يَلحَــقِ الهَيْجا حَمَلْ(١)

هُوَ بَيْتٌ تَمَثَّلَ بِهِ، عَنى بِهِ: حَمَلَ بنَ سَعْدانةَ بنِ حارثةَ بنِ مَعْقِلِ بنِ كعبِ ابنِ عُلَيْمِ بنِ جَنابٍ الكَلبِيَّ.

---

(١) الرجز في «الأمثال» لأبي عبيد: (ص: ٣١٧)، وقال البكري في «فصل المقال» (ص: ٤٤٠): «عنى به: حمل بن بدر الفزاري».

وقَوْلُهُ: «يَرْقَدُّ بِالحَرْبَةِ»؛ أيْ: يُسْرِعُ بِها، يُقالُ: ارْقَدّ وارْمَدّ بِمَعْنى واحد. قال ذو الرُّمّة[1]: [من البسيط]

يرقدُّ في إثر عَرّاصٍ ويتْبَعُهُ[2] صَهْباءُ شامِيّةٌ عُثْنُونُها حَصِبُ

يَعْنِي: الرِّيحَ.

وابنُ العَرِقةِ الّذِي رَمى سَعْدًا هُوَ حِبّانُ بنُ العَرِقةِ، والعَرِقةُ هي قِلابةُ بِنْتُ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، تُكَنّى أُمَّ فاطِمةَ، سُمِّيَت العَرِقةَ لِطِيبِ رِيحِها، وهي جَدّةُ خَدِيجةَ، أُمُّ أُمِّها هالةُ، وحِبّانُ هُوَ ابنُ عبدِ مَنافِ بنِ مُنْقِذ بنِ عمرِو بنِ مَعِيصِ بنِ عامرِ بن لُؤَي. وَأُمّ سَعْدٍ اسْمُها: كَبْشةُ بِنْتُ رافِعٍ.

وحَدِيثُ اهْتِزازِ العَرْشِ [لروحه][3] ثابتٌ مِنْ وُجُوهٍ، وفي بَعْضِ ألفاظِهِ أنّ جبريلَ عَلَيْهِ السّلامُ نَزَلَ حِينَ ماتَ سَعْدٌ مُعْتَجِرًا بِعِمامةٍ مِنْ إسْتَبْرَقٍ، وقالَ: «يا مُحَمّدُ، مَنْ هَذا المَيّتُ الّذِي فُتِّحَتْ لَهُ أبْوابُ السّمَوات، واهْتَزّ لَهُ عَرْشُ الرحمن؟». وفي حَدِيثٍ آخَرَ: قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بن مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطئوا الأرْضَ قَبْلَها»[4]، ويُذْكَرُ أنَّ قَبْرَهُ وُجِدَ مِنْهُ رائِحةُ المِسْكِ، وقالَ عَلَيْهِ

---

(١) «ديوانه» (١: ١٢٦).

في إثر عَرّاص: أي في إثر غيم كثير البرق. وفي الديوان: «ويطرده حفيف نافجة»، والنافجة: هي الريح الشديدة. وهنا: «ويتبعه صهباء شامية». وكأنه أراد أن الريح يضرب لونها إلى الحمرة، و«عثنونها حصب»، يقول: أوائل هذه الريح حين هبت فيها حصباء وتراب. والعثنون في الأصل: شعرات أسفل اللحيين. ويقول: إن الظَّلِيم ـ وهو ذَكَر النعام ـ كان يعدو ويسرع في ظل غيم كثير البرق، وتتبعه هذه الريح الشديدة ذات الحصباء.

(٢) في (ف): «وتتبعه».

(٣) عن (ص)، (ج).

(٤) رواه البزار كما في «مجمع الزوائد» (٩: ٣٠٨).

السّلامُ: «لَوْ نَجا أحَدٌ مِنْ ضَغْطةِ القَبْرِ لَنَجا مِنْه[١] سَعْد»[٢]، وفي كِتابِ «الدّلائِل»[٣]: أنّ رسول الله ﷺ جَلَسَ عَلى قَبْرِ سَعْدٍ حِينَ وُضِعَ فيهِ، فقالَ: [«سُبْحانَ اللهِ][٤] سبحان الله لِهَذا العبدِ الصالحِ، ضُمَّ في قَبْرِهِ ضَمّةً، ثُمّ فُرِّجَ عَنْهُ».

وأمّا ضغطةُ القبرِ الّتِي ذَكَر في الحَدِيثِ، فقَدْ رُوِيَ عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أنّها قالَتْ: يا رسول الله، ما انْتَفَعْتُ بِشَيْءٍ مُنْذُ سَمِعْتُك تَذْكُرُ ضَغْطةَ القَبْرِ وضَمَّتَهُ، فقالَ[٥]: «يا عائِشةُ، إنّ ضَغْطةَ القَبْرِ عَلى المُؤْمِنِ ـ أوْ قالَ: ضَمّة القَبْرِ عَلى المُؤْمِنِ ـ كَضَمّةِ[٦] الأُمِّ الشّفيقةِ يَدَيْها عَلى رَأْسِ ابنِها يَشْكُو إلَيْها الصُّداعَ، وصَوْتُ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ كالكُحْلِ في العَيْنِ، ولَكِنْ يا عائِشةُ ويْلٌ لِلشّاكِّينَ، أُولَئِكَ الّذِينَ يُضْغَطُونَ في قُبُورِهِمْ ضَغْطةَ[٧] البَيْضِ عَلى الصّخْرِ». ذَكَرَهُ أبُو سَعِيدِ بنُ الأعْرابِيّ[٨] في كِتابِ «المُعْجَمِ».

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ الشّيْبانِيّ[٩] عَنْهُ، قالَ: حَدَّثَنِي أميّةُ بنُ عبدِ اللهِ،

(١) في غير (أ)، (ب)، (ج): «منها».
(٢) أخرجه ابن حبّان في «صحيحه» (٧: ٣٧٩) رقم (٣١١٢) من حديث عائشة رضيَ الله عنها، والطبراني في «الكبير» (١٠: ٣٣٤)، رقم (١٠٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (ج)
(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (٤: ٢٩).
(٤) سقط من (ب).
(٥) في (ب): «فقال لها».
(٦) في (ب): «كضم».
(٧) في (ف): «ضغط».
(٨) هو الإمام أحمد بن محمد بن زياد، الإمام المحدث، نزيل مكة وشيخ الحرم، عاش بين سنتي (٢٤٦-٣٤٠هـ)، وكتابه «المعجم» في أسماء شيوخه. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥: ٤٠٧-٤١٢).
(٩) في (ب): «في كتاب».

قالَ: قُلتُ لِبَعْضِ أَهْلِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ: ما بَلَغَكُمْ في هَذا[١]؟ يَعْنِي: الضَّمّةَ[٢] الّتِي انْضَمَّها القَبْرُ عَلَيْهِ؟ قالَ: كانَ يُقَصِّرُ في بعضِ الطُّهُور من البولِ بعضَ التَّقصير.

[صَفيةُ وحَسّانُ وما ذَكَرَتْهُ عَنْ جُبنِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، قالَ: كانَتْ صَفيةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ في فارِعٍ، حِصْنِ حَسّانِ ابنِ ثابِتٍ، قالَتْ: وَكانَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ مَعَنا فيهِ مَعَ النِّساءِ والصِّبْيانِ، قالَتْ صَفيةُ: فمَرَّ بِنا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فجَعَلَ يُطِيفُ بِالحِصْنِ، وقَدْ حارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وقَطَعَتْ ما بَيْنَها وبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ، ولَيْسَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ أحَدٌ يَدْفَعُ عَنّا، ورَسُول الله ﷺ والمُسْلِمُونَ في نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لا يَسْتَطِيعُونَ أنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إلَيْنا إنْ أتانا آتٍ، قالَتْ: فقُلْتُ: يا حَسّانُ، إنَّ هذا اليَهُودِيَّ كَما تَرى يُطِيفُ بِالحِصْنِ، وإنِّي والله ما آمَنُهُ أنْ يَدُلَّ على عَوْرَتِنا مَنْ وراءَنا مِنْ يَهُودَ، وقَدْ شُغِلَ عَنّا رَسُولُ الله ﷺ وأصْحابُهُ، فانْزِلْ إلَيْهِ فاقْتُلْهُ، قالَ: يَغْفِرُ الله لَكَ يا بنتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، والله لَقَدْ عَرَفْتِ ما أنا بِصاحِبِ هذا!

قالَتْ: فَلَمّا قالَ لِي ذلك، ولَمْ أرَ عِنْدَهُ شَيْئًا، احْتَجَزْتُ ثُمَّ أخَذْتُ عَمُودًا، ثُمَّ نَزَلْتُ مِن الحِصْنِ إلَيْهِ، فضَرَبْتُهُ بِالعَمُودِ حَتّى قَتَلْتُهُ. قالَتْ: فلَمّا فرَغْتُ مِنْهُ، رَجَعْتُ إلى الحِصْنِ، فقُلْتُ: يا حَسّانُ، انْزِلْ إلَيْهِ فاسْلُبْهُ؛ فإنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلَبِهِ إلّا أنَّهُ رَجُلٌ، قالَ: ما لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حاجةٍ يا بنتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

---

(١) في (س): «... في هذا حديث».

(٢) في (ج): «الضغطة».

[شَأْنُ نُعَيْمٍ فِي تَخْذِيلِ المُشْرِكِينَ عَنِ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأقامَ رَسُولُ الله ﷺ وأصْحابُهُ، فيما وصَفَ اللهُ مِن الخَوْفِ والشِّدّةِ، لِتَظاهُرِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وإتْيانِهِمْ إيّاهُمْ مِنْ فوْقِهِمْ ومِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ.

قالَ: ثُمَّ إنَّ نُعَيْمَ بنَ مَسْعُودِ بنِ عامِرِ بنِ أُنَيْفِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ قُنْفُدِ بنِ هِلالِ بنِ خَلاوةَ بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، أتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قَدْ أسْلَمْتُ، وإنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بإسْلامِي، فمُرْنِي بما شِئْتَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّما أنْتَ فينا رَجُلٌ واحِدٌ، فخَذِّلْ عَنّا إن اسْتَطَعْتَ؛ فإنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ».

فخَرَجَ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ حَتّى أتى بَنِي قُرَيْظَةَ، وكانَ لَهُمْ نَدِيمًا في الجاهِلِيّةِ، فقالَ: يا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إيّاكُمْ، وخاصّةَ ما بَيْنِي وبَيْنَكُمْ، قالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنا بِمُتَّهَمٍ. فقالَ لَهُمْ: إنَّ قُرَيْشًا وغَطَفانَ لَيْسُوا كَأنْتُمْ، البَلَدُ بَلَدُكُمْ، فيهِ أمْوالُكُمْ وأبناؤُكُمْ ونِساؤُكُمْ، لا تَقْدِرُونَ على أنْ تَحَوَّلُوا مِنْهُ إلى غَيْرِهِ، وإنَّ قُرَيْشًا وغَطَفانَ قَدْ جاؤُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ، وقَدْ ظاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وبَلَدُهُمْ وأمْوالُهُمْ ونِساؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فلَيْسُوا كَأنْتُمْ، فإنْ رَأَوْا نُهْزَةً أصابُوها، وإنْ كانَ غَيْرُ ذلك لَحِقُوا بِبِلادِهِمْ وخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، ولا طاقةَ لَكُمْ به إنْ خَلا بِكُمْ، فلا تُقاتِلُوا مَعَ القَوْمِ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أشْرافِهِمْ، يَكُونُون بِأيْدِيكُمْ ثِقةً لَكُمْ على أنْ تُقاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتّى تُناجِزُوهُ، فقالُوا لَهُ: لَقَدْ أشَرْتَ بالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى قُرَيْشًا، فقالَ لِأبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ومَنْ مَعَهُ مِنْ رِجالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وفِراقِي مُحَمَّدًا، وإنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أمْرٌ قَدْ رَأيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أنْ أُبْلِغَكُمُوهُ؛ نُصْحًا لَكُمْ، فاكْتُمُوا عَنِّي، فقالُوا: نَفْعَلُ، قالَ: تَعلَّمُوا أنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا على ما صَنَعُوا فيما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وقَدْ أرْسَلُوا إلَيْهِ: إنّا قَدْ نَدِمْنا على ما فعَلْنا، فهَلْ يُرْضِيكَ أنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ القَبِيلَتَيْنِ؛ مِنْ قُرَيْشٍ وغَطَفانَ رِجالًا مِنْ أشْرافِهِمْ فنُعْطِيَكَهُمْ، فتَضْرِبَ أعْناقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونَ مَعَكَ على مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فأرْسَلَ إلَيْهِمْ أنْ: «نَعَمْ»، فإنْ بَعَثَتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجالِكُمْ فلا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا واحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى غَطَفانَ، فقالَ: يا مَعْشَرَ غَطَفانَ، إنَّكُمْ أصْلِي وعَشِيرَتِي، وأحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، ولا أراكُمْ تَتَّهِمُونِي، قالوا: صَدَقْتَ، ما أنْتَ عِنْدَنا بِمُتَّهَمٍ، قالَ: فاكْتُمُوا عَنِّي، قالُوا: نَفْعَلُ، فما أمْرُكَ؟ ثُمَّ قالَ لَهُمْ مِثْلَ ما قالَ لِقُرَيْشٍ وحَذَّرَهُمْ ما حَذَّرَهُمْ.

[دَبِيبُ الفُرْقَةِ بَيْنَ المُشْرِكِينَ]

فَلَمّا كانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ، وكانَ مِنْ صُنْعِ اللهِ لِرَسُولِهِ ﷺ أنْ أرْسَلَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ورُؤُوسُ غَطَفانَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بنَ أبِي جَهْلٍ، في نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وغَطَفانَ، فقالُوا لَهُمْ: إنّا لَسْنا بِدارِ مُقامٍ، قَدْ هَلَكَ الخُفُّ والحافِرُ، فاغْدُوا لِلْقِتالِ حَتّى نُناجِزَ مُحَمَّدًا، ونَفْرُغَ مِمّا بَيْنَنا وبَيْنَهُ، فأرْسَلُوا إلَيْهِمْ: إنَّ اليَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، وهُوَ يَوْمٌ لا نَعْمَلُ فيهِ شَيْئًا، وقَدْ كانَ أحْدَثَ فيهِ بَعْضُنا] حَدَثًا، فأصابَهُ ما لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ،

ولَسْنا مَعَ ذلك بِالَّذِينَ نُقاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتّى تُعْطُونا رُهُنًا مِنْ رِجالِكُمْ، يَكُونُونَ بِأيْدِينا ثِقةً لَنا حَتّى نُناجِزَ مُحَمَّدًا؛ فإنّا نَخْشى إنْ ضَرَّسَتْكُمُ الحَرْبُ، واشْتَدَّ عَلَيْكُم القِتالُ، أن تنشروا إلى بِلادِكُمْ وتَتْرُكُونا، والرَّجُلَ في بَلَدِنا، ولا طاقةَ لَنا بِذلك مِنْهُ.

فَلَمّا رَجَعَتْ إلَيْهِم الرُّسُلُ بِما قالَتْ بَنُو قُرَيْظةَ، قالَتْ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ: والله إنَّ الَّذي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ، فأرْسِلُوا إلى بَنِي قُرَيْظَةَ: إنّا والله لا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلًا واحِدًا مِنْ رِجالِنا، فإنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ القِتالَ فاخْرُجُوا فقاتِلُوا، فقالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، حِينَ انْتَهَت الرُّسُلُ إلَيْهِمْ بِهذا: إنَّ الَّذي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ، ما يُرِيدُ القَوْمُ إلّا أنْ يُقاتِلُوا، فإنْ رَأوْا فُرْصةً انْتَهَزُوها، وإنْ كانَ غَيْرَ ذلك انْشَمَرُوا إلى بِلادِهِمْ. وخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الرَّجُلِ في بَلَدِكُمْ، فأرسِلُوا إلى قُرَيْشٍ وغَطَفانَ: إنّا والله لا نُقاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتّى تُعْطُونا رُهُنًا، فأبَوْا عَلَيْهِمْ، وخَذَّلَ الله بَيْنَهُمْ، وبَعَثَ الله عَلَيْهِم الرِّيحَ في لَيالٍ شاتِيَةٍ بارِدةٍ شَدِيدةِ البَرْدِ، فجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وتَطْرَحُ أبنِيَتَهُمْ.

[أرْسَلَ الرَّسُولُ حُذَيْفةَ لِيَتَعَرَّفَ ما حَلَّ بِالمُشْرِكِينَ]

قالَ: فلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ ما اخْتَلَفَ مِنْ أمْرِهِمْ، وما فرَّقَ الله مِنْ جَماعَتِهِمْ، دَعا حُذَيْفةَ بنَ اليَمانِ، فبَعَثَهُ إلَيْهِمْ؛ لِيَنْظُرَ ما فعَلَ القَوْمُ لَيْلًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ زِيادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قالَ: قالَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الكُوفةِ لِحُذَيْفةَ بنِ اليَمانِ: يا أبا عَبْدِ الله، أرَأيْتُمْ

رَسُولَ اللهِ ﷺ وصَحِبْتُمُوهُ؟ قالَ: نَعَمْ يا ابن أخِي، قالَ: فكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قالَ: واللهِ لَقَدْ كُنّا نَجْهَدُ، قالَ: فقالَ: واللهِ لَوْ أدْرَكْناهُ ما تَرَكْناهُ يَمْشِي على الأرْضِ ولَحَمَلْناهُ على أعْناقِنا. قالَ: فقالَ حُذَيْفَةُ: يا ابن أخِي، واللهِ لَقَدْ رَأيْتُنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالخَنْدَقِ، وصَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوِيًّا مِن اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إلَيْنا، فقالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فينْظُرُ لَنا ما فعَلَ القَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعةَ - أسْألُ اللهَ تَعالى أنْ يَكُونَ رَفيقِي في الجَنّةِ؟». فما قامَ رَجُلٌ مِن القَوْمِ؛ مِنْ شِدّةِ الخَوْفِ، وشِدّةِ الجُوعِ، وشِدّةِ البَرْدِ، فلَمّا لَمْ يَقُمْ أحَدٌ، دَعانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِن القِيامِ حِينَ دَعانِي، فقالَ: «يا حُذَيْفةُ، اذْهَبْ فادْخُلْ في القَوْمِ، فانْظُرْ ماذا يَصْنَعُونَ، ولا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتّى تَأْتِيَنا». قالَ: فذَهَبْتُ فدَخَلْتُ في القَوْمِ والرِّيحُ وجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ بِهِمْ ما تَفْعَلُ، لا تُقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا ولا نارًا ولا بِناءً، فقامَ أبو سُفيانَ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قالَ حُذَيْفةُ: فأخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذي كانَ إلى جَنْبِي، فقُلْتُ: مَنْ أنْتَ؟ قالَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ.

[مُناداةُ أبي سُفيانَ فيهِمْ بِالرَّحِيلِ]

ثُمَّ قالَ أبو سُفيانَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّكُمْ واللهِ ما أصْبَحْتُمْ بِدارِ مُقامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الكُراعُ والخُفُّ، وأخْلَفَتْنا بَنُو قُرَيْظَةَ، وبَلَغَنا عَنْهُم الَّذي نَكْرَهُ، ولَقِينا مِنْ شِدّةِ الرِّيحِ ما تَرَوْنَ، ما تَطْمَئِنُّ لَنا قِدْرٌ، ولا تَقُومُ لَنا نارٌ، ولا يَسْتَمْسِكُ لَنا بِناءٌ، فارْتَحِلُوا فإنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قامَ إلى جَمَلِهِ وهُوَ مَعْقُولٌ، فجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ، فوَثَبَ بِهِ على ثَلاثٍ، فواللهِ ما أطْلَقَ عِقالَهُ إلّا وهُوَ قائِمٌ، ولَوْلا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلَيَّ «ألّا تُحْدِثَ شَيْئًا حَتّى تَأْتِيَنِي»، ثُمَّ شِئْتُ، لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

[رُجُوعُ حُذَيْفةَ إلى الرَّسُولِ بِتَخاذُلِ المُشْرِكِينَ وانْصِرافِهِمْ]

قالَ حُذَيْفةُ: فرَجَعْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسائِهِ، مَراجِلَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: المَراجِلُ: ضَرْبٌ مِنْ وَشْيِ اليَمَنِ.

فَلَمّا رَآنِي أدْخَلَنِي إلى رِجْلَيْهِ، وطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ المِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وسَجَدَ، وإنِّي لِفيهِ، فلَمّا سَلَّمَ أخْبَرْتُهُ الخَبَرَ، وسَمِعَتْ غَطَفانُ بِما فعَلَتْ قُرَيْشٌ، فانْشَمَرُوا راجِعِينَ إلى بِلادِهِمْ.

[انْصِرافُ الرَّسُولِ عَن الخَنْدَقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا أصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ انْصَرَفَ عَن الخَنْدَقِ راجِعًا إلى المَدِينةِ والمُسْلِمُونَ، ووَضَعُوا السِّلاحَ.

غَزْوةُ بَنِي قُرَيْظَةَ في سَنةِ خَمْسٍ

[أمْرُ الله لِرَسُولِهِ على لِسانِ جِبْرِيلَ بِحَرْبِ بَنِي قُرَيْظَةَ]

فَلَمّا كانَت الظُّهْرُ، أتى جِبْرِيلُ رَسُولَ الله ﷺ - كَما حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ - مُعْتَجِرًا بِعِمامةٍ مِنْ إسْتَبْرَقٍ، على بَغْلةٍ عَلَيْها رِحالةٌ، عَلَيْها قَطِيفةٌ مِنْ دِيباجٍ، فقالَ: «أوَقَدْ وضَعْتَ السِّلاحَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: نَعَمْ، فقالَ جِبْرِيلُ: فَما وضَعَت المَلائِكةُ السِّلاحَ بَعْدُ، وما رَجَعَت الآنَ إلّا مِنْ طَلَبِ القَوْمِ، إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَأْمُرُكَ يا مُحَمَّدُ بِالمَسِيرِ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ؛ فإنِّي عامِدٌ إلَيْهِم فمُزَلْزِلٌ بِهِمْ».

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ حَسّانَ حِينَ جُعِلَ في الآطامِ مَعَ النِّساءِ والذَّراريّ، وما قالَتْ لَهُ صَفيّةُ في أمْرِ اليَهُودِيّ حِينَ قَتَلَتْهُ، وما قالَ لَها، ومَحْمَلُ هَذا الحَدِيثِ عند الناس على أَنَّ حسّانًا كانَ جَبانًا شَدِيدَ الجُبنِ، وقَدْ دَفَعَ هَذا بَعْضُ أهل العلم وأنْكَرَهُ، وذَلِكَ أنّهُ حَدِيثٌ مُنْقَطِعُ الإسْنادِ، وقالَ: لَوْ صَحَّ هَذا لَهُجِيَ بِهِ حَسّانُ؛ فإنّهُ كانَ يُهاجِي الشُّعَراءَ كَضِرارٍ وابنِ الزِّبَعْرى وغيرهم، وكانوا يُناقِضُونَهُ ويَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فما عَيّرَهُ[1] أحَدٌ مِنْهُمْ بِجُبنٍ[2]، ولا وسَمَهُ بِهِ، فدَلّ عَلى ضَعْفِ حَدِيثِ ابنِ إسْحاقَ، وإنْ صَحَّ فلَعَلَّ حَسّانَ أنْ يَكُونَ مُعْتَلًّا في ذَلِكَ اليَوْمِ بعلّةٍ مَنعتْه مِنْ شُهُودِ القِتالِ، وهَذا أوْلى ما تُؤوِّلَ عَلَيْهِ، والله أعلم، ومِمّنْ أنْكَرَ أنْ يَكُونَ هَذا صَحِيحًا أبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ في كِتابِ «الدُّرَرِ» لَهُ[3].

* * *

---

(١) في (ف): «عيرهم».

(٢) في (ف): «بجبنه».

(٣) كتاب «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص: ١٨٦).

[دَعْوةُ الرَّسُولِ المُسْلِمِينَ لِلْقِتالِ]

فَأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ مُؤَذِّنًا، فأذَّنَ في النّاسِ: «مَنْ كانَ سامِعًا مُطِيعًا، فلا يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إلّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ».

[اسْتِعْمالُ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ على المَدِينةِ]

واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[تَقَدُّمُ عَلِيٍّ وتَبْلِيغُهُ الرَّسُولَ ما سَمِعَهُ مِنْ سُفَهائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ بِرايَتِهِ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ، وابْتَدَرَها النّاسُ، فسارَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، حَتّى إذا دَنا مِن الحُصُونِ سَمِعَ مِنْها مَقالةً قَبِيحةً لِرَسُولِ الله ﷺ، فرَجَعَ حَتّى لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ بِالطَّرِيقِ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، لا عَلَيْكَ ألّا تَدْنُوَ مِنْ هَؤُلاءِ الأخابِثِ، قالَ: «لِمَ؟ أظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أذًى؟» قالَ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله، قالَ: «لَوْ رَأوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذلك شَيْئًا». فلَمّا دَنا رَسُولُ الله ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ. قالَ: «يا إخْوانَ القِرَدةِ، هَلْ أخْزاكُم الله وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ؟» قالُوا: يا أبا القاسِمِ، ما كُنْتَ جَهُولًا.

[سَأَلَ الرَّسُولُ عَمَّنْ مَرَّ بِهِمْ، فقِيلَ: دِحْيةُ، فعَرَفَ أنَّهُ جِبْرِيلُ]

وَمَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِنَفَرٍ مِنْ أصْحابِهِ بِالصَّوْرَيْنِ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ، فقالَ: «هَلْ مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ؟» قالُوا: يا رَسُولَ الله، قَدْ مَرَّ بِنا دِحْيةُ

ابنُ خَلِيفةَ الكَلْبِيُّ، على بَغْلةٍ بَيْضاءَ عَلَيْها رِحالةٌ، عَلَيْها قَطِيفةُ دِيباجٍ.

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ذلك جِبْرِيلُ، بُعِثَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ، ويَقْذِفُ الرُّعْبَ في قُلُوبِهِمْ». ولَمّا أتى رَسُولُ الله ﷺ بَنِي قُرَيْظَةَ، نَزَلَ على بِئْرٍ مِنْ آبارِها مِنْ ناحِيَةِ أمْوالِهِمْ، يُقالُ لَهَا: بِئْرُ أُنا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بِئْرُ أُنَّي.

فَصْلٌ

وذَكَرَ خروج رسول الله ﷺ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ مَرّ بالصَّوْرَيْنِ، والصَّوْرُ: القِطْعةُ مِن النّخْلِ، فسَألَهُم، فقالُوا: مَرّ بنا دحْيةُ بنُ خَلِيفةَ الكَلبِيّ. هُوَ: دَحْيةُ بِفَتْحِ الدّالِ، ويُقالُ: [دِحْيةُ][1] بِكَسْرِ الدّالِ أيْضًا، والدِّحْيةُ بِلسانِ اليَمَنِ: الرّئِيسُ، وجَمْعُهُ دِحاءٌ، وفي مَقْطُوعِ الأحادِيثِ أنّ النّبِيّ ﷺ رَأى البَيْتَ المَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألفَ دِحية، تَحْتَ [يَدِ][2] كُلِّ دِحْيةٍ سَبْعُونَ ألف مَلَكٍ، ذَكَرَهُ القُتَبِيّ[3]، ورَواهُ ابنُ سُنْجُر[4] في «تَفْسِيرِهِ» مُسْنَدًا إلى عبدِ اللهِ بنِ [أبي][5] الهُذَيْلِ، رَواهُ عَنْهُ أبُو التّيّاح[6]، وذَكَرَ أنّ حَمّادَ بنَ سَلَمةَ قالَ لِأبِي التّيّاحِ حِينَ حَدَّثَهُ بِهَذا الحَدِيثِ: ما الدِّحْيةُ؟ قالَ: الرّئِيسُ.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) ليس في (ص)، (ج).

(٣) «غريب الحديث» له: (٣: ٧٣٦).

(٤) لعله محمد بن عبد الله بن سنجر. يراجع «الأعلام» (٦: ٢٢٣).

(٥) سقط من النسخ، انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٥: ١٩٦).

(٦) هو يزيد بن حميد الضُّبَعي كما في «المقتنى» للذهبي: (ص: ١٣٥).

وأَمّا نَسَبُ دِحْيَةَ فهُوَ ابنُ خَلِيفةَ بنِ فَرْوةَ بنِ فَضالةَ بنِ زَيْدِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ ابنِ الخَزْجِ، والخَزْجُ العَظِيمُ هو زَيْدُ[١] مَناةَ بن عامِرِ بنِ بَكْرِ بنِ عامِرٍ الأكْبَرِ بنِ عوفِ[٢] بنِ عُذرةَ بنِ زيد اللّات بنِ رُفَيْدةَ بنِ ثَوْرِ بنِ كَلبٍ، يُذْكَرُ مِنْ جَمالِهِ أنّهُ كانَ إذا قَدِمَ المَدِينةَ لَمْ تَبْقَ مُعْصِرٌ - وهي المُراهِقةُ لِلحَيْضِ - إلّا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إلَيْهِ.

[تَلاحُقُ المُسْلِمِينَ بِالرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وتَلاحَقَ بِهِ النّاسُ، فأتى رِجالٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ العِشاءِ الآخِرةِ، ولَمْ يُصَلُّوا العَصْرَ؛ لِقَوْلِ رَسُول الله ﷺ: «لا يُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ»، فشَغَلَهُمْ ما لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ في حَرْبِهِمْ، وأبَوْا أنْ يُصَلُّوا؛ لِقَوْلِ رَسُول الله ﷺ: «حَتّى تَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ». فصَلَّوُا العَصْرَ بِها بَعْدَ العِشاءِ الآخِرةِ، فما عابَهُم الله بِذلك في كِتابِهِ، ولا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُول الله ﷺ.

حَدَّثَنِي بِهذا الحَدِيث أبِي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ مَعْبَدِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ الأنْصارِيِّ.

[حِصارُهُمْ ومَقالةُ كَعْبِ بنِ أسَدٍ لَهُمْ]

قالَ: وحاصَرَهُمْ رَسُول الله ﷺ خَمْسًا وعِشْرِينَ لَيْلةً، حَتّى جَهَدَهُم الحِصارُ، وقَذَفَ الله في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ.

---

(١) في (أ)، (س): «الخزرج، والخزرج العظيم بن زيد». وهو تحريف. انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٩٣٤)، و«أسد الغابة» (٢: ١٥٨).

(٢) في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٤٥٨)، و«أسد الغابة»: «عوف بن بكر بن عوف بن عذرة».

وَقَدْ كانَ حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ دَخَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ في حِصْنِهِمْ، حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ؛ وفاءً لِكَعْبِ بنِ أَسَدٍ بِما كانَ عاهَدَهُ عَلَيْهِ، فلَمّا أَيْقَنُوا بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عَنْهُمْ حَتّى يُناجِزَهُمْ، قالَ كَعْبُ ابن أَسَدٍ لَهُمْ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الأَمْرِ ما تَرَوْنَ، وإِنِّي عارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلالًا ثَلاثًا، فخُذُوا أَيَّها شِئْتُمْ، قالُوا: وما هِيَ؟ قالَ: نُتابِعُ هذا الرجل ونصدّقه، فواللهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وأَنَّهُ لَلَّذِي تَجِدُونَهُ في كِتابِكُمْ، فتَأْمَنُونَ على دِمائِكُمْ وأَمْوالِكُمْ وأَبنائِكُمْ ونِسائِكُمْ، قالُوا: لا نُفارِقُ حُكْمَ التَّوْراةِ أَبَدًا، ولا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ، قالَ: فإذا أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فهَلُمَّ فلْنَقْتُلْ أبناءَنا ونِساءَنا، ثُمَّ نَخْرُجُ إلى مُحَمَّدٍ وأَصْحابِهِ رِجالًا مُصْلِتِينَ السُّيُوفَ، لَمْ نَتْرُكْ وراءَنا ثَقَلًا، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وبَيْنَ مُحَمَّدٍ، فإِنْ نَهْلِكْ نَهْلِكْ ولَمْ نَتْرُكْ وراءَنا نَسْلًا نَخْشى عَلَيْهِ، وإِنْ نَظْهَرْ فلَعَمْرِي لِنَجِدَنَّ النِّساءَ والأَبناءَ، قالُوا: نَقْتُلُ هَؤُلاءِ المَساكِينَ! فما خَيْرُ العَيْشِ بَعْدَهُمْ؟ قالَ: فإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وإِنَّهُ عَسى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وأَصْحابُهُ قَدْ أَمِنُونا فيها، فانْزِلُوا لَعَلَّنا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وأَصْحابِهِ غِرَّةً، قالُوا: نُفْسِدُ سَبْتَنا عَلَيْنا، ونُحْدِثُ فيهِ ما لَمْ يُحْدِثْ مَنْ كانَ قَبْلَنا إِلّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فأَصابَهُ ما لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ مِن المَسْخِ؟! قالَ: ما باتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مُنْذُ ولَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً واحِدةً مِن الدَّهْرِ حازِمًا.

وذَكَرَ قَوْلَهُ ﷺ: «لا يُصَلِّيَنّ أَحَدُكُم العَصْرَ إِلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ»، فغَرَبَتْ لهم الشَّمْسُ قَبْلَها، فصَلَّوْا عِشاءً، فما عابَ اللهُ عليهم ذَلِكَ ولا رَسُولُهُ[1]، وفي

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، «فتح الباري» (٢: ٤٣٦).

هَذا مِن الفِقْهِ أنّهُ لا يُعابُ عَلى مَنْ أخَذَ بِظاهِرِ حَدِيثٍ أوْ آيةٍ، فقَدْ صَلّتْ مِنْهُمْ طائفةٌ قَبْلَ أنْ تَغْرُبَ الشّمْسُ، وقالُوا: لَمْ يُرِدْ رسول الله ﷺ إخْراجَ الصّلاةِ عَنْ وقْتِها، وإنّما أرادَ الحَثَّ والإعْجالَ، فما عُنِّفَ أحَدٌ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، وفي هَذا دَلِيلٌ عَلى أنّ كُلّ مُخْتَلِفَيْنِ في الفُرُوعِ مِن المُجْتَهِدِينَ مُصِيبٌ.

وفي حُكْمِ داوُدَ وسُلَيْمانَ صلى الله عليهما في الحَرْثِ أصْلٌ لِهَذا الأصْلِ أيْضًا؛ فإنّهُ قالَ سُبْحانَهُ وتعالَى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولا يَسْتَحِيلُ أنْ يَكُونَ الشّيْءُ صَوابًا[1] في حَقِّ إنْسانٍ وخَطَأً في حَقِّ غَيْرِهِ، فيَكُونُ مَنِ اجْتَهَدَ في مَسْألَةٍ فأدّاهُ اجْتِهادُهُ إلى التَّحْلِيلِ مُصِيبًا في اسْتِحْلالِهِ[2]، وآخَرُ اجْتَهَدَ فأدّاهُ اجْتِهادُهُ ونَظَرُهُ إلى تَحْرِيمِها، مُصِيبًا في تَحْرِيمِها، وإنّما المُحالُ أنْ يُحْكَمَ في النّازِلَةِ بِحُكْمَيْنِ مُتَضادّيْنِ في حَقّ شَخْصٍ واحِدٍ.

وإنّما عَسُرَ فهْمُ هَذا الأصْلِ عَلى طائفَتَيْنِ: الظّاهِرِيّةِ والمُعْتَزِلَةِ، أمّا الظّاهِرِيّةُ فإنّهُمْ عَلّقُوا الأحْكامَ بِالنُّصُوصِ، فاسْتَحالَ عِنْدَهُمْ أنْ يَكُونَ النّصُّ [يَأْتِي][3] بِحَظْرٍ وإباحةٍ مَعًا إلّا عَلى وجْهِ النَّسْخِ، وأمّا المُعْتَزِلَةُ فإنّهُمْ عَلّقُوا الأحْكامَ بِتَقْبِيحِ العَقْلِ وتَحْسِينِهِ، فصارَ حُسْنُ الفِعْلِ عِنْدَهُمْ أوْ قُبْحُهُ صِفةَ عَيْنٍ، فاسْتَحالَ عِنْدَهُمْ أنْ يَتّصِفَ فِعْلٌ بِالحُسْنِ في حَقِّ زَيْدٍ والقُبْحِ في حَقِّ عَمْرٍو، كَما يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ في الألْوانِ والأكْوانِ وغَيْرِهِما مِن الصِّفاتِ القائمةِ بِالذَّواتِ[4].

---

(١) في (ف): «ولا يستحيل الشيء أن يكون صوابًا».

(٢) في (ص): «تحليلها».

(٣) ليس في (س).

(٤) في (ص): «بالذات».

وأمّا ما عَدا هاتَيْنِ الطّائِفتَيْنِ مِنْ أرْبابِ الحَقائِقِ، فلَيْسَ الحَظْرُ عِنْدَهُمْ والإباحةُ بِصِفاتِ أعْيانٍ، وإنّما هي صِفاتُ أحْكامٍ، والحُكْمُ مِنَ اللهِ تَعالى يَحْكُمُ بِالحَظْرِ في النازلةِ على مَنْ أدّاه نظرُهُ واجْتِهادُهُ إلى الحَظْرِ، وكَذَلِكَ الإباحةُ والنّدْبُ والإيجابُ والكَراهةُ، كُلُّها صِفاتُ أحْكامٍ، فكُلُّ مُجْتَهِدٍ وافَقَ اجْتِهادُهُ وجْهًا مِنَ التّأْوِيلِ، وكانَ عِنْدَهُ مِنْ أدَواتِ الاجْتِهادِ ما يَتَرَفَّعُ بِهِ عَنْ حَضِيضِ التّقْلِيدِ إلى هَضْبةِ النّظَرِ، فهُوَ مُصِيبٌ في اجْتِهادِهِ مُصِيبٌ لِلحُكْمِ الّذِي تَعَبَّدَ بِهِ، وإنْ تَعَبَّدَ غَيْرُهُ في تِلكَ النّازِلةِ بِعَيْنِها بِخِلافِ ما تَعَبَّدَ هُوَ بِهِ، فلا بُعْدَ في ذَلِكَ إلّا عَلى مَنْ لا يَعْرِفُ الحَقائِقَ أوْ عَدَلَ بِهِ الهَوى عن أوضَحِ الطرائِقِ.

❊ ❊ ❊

[أبو لُبابةَ وتَوْبَتُهُ]

قالَ: ثُمَّ إنَّهُمْ بَعَثُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ: أن ابْعَثْ إلَيْنا أبا لُبابةَ بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، أخا بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وكانُوا حُلَفاءَ الأوْسِ؛ لِنَسْتَشِيرَهُ في أمْرِنا، فأرْسَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلَيْهِمْ، فلَمّا رَأوْهُ قامَ إلَيْهِ الرِّجالُ، وجَهَشَ إلَيْهِ النِّساءُ والصِّبْيانُ يَبْكُونَ في وجْهِهِ، فرَقَّ لَهُمْ، وقالُوا لَهُ: يا أبا لُبابةَ، أتَرى أنْ نَنْزِلَ على حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وأشارَ بِيَدِهِ إلى حَلْقِهِ: إنَّهُ الذَّبْحُ. قالَ أبو لبابة: فواللهِ ما زالَتْ قَدَمايَ مِنْ مَكانِهِما حَتّى عَرَفْتُ أنِّي قَدْ خُنْتُ اللهَ ورَسُولَهُ ﷺ. ثُمَّ انْطَلَقَ أبو لُبابةَ على وجْهِهِ ولَمْ يَأْتِ رَسُولَ الله ﷺ حَتّى ارْتَبَطَ في المَسْجِدِ إلى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ، وقالَ: لا أبْرَحُ مَكانِي هذا حَتّى يَتُوبَ الله عَلَيَّ مِمّا صَنَعْتُ، وعاهَدَ الله ألّا أطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أبَدًا، ولا أُرى في بَلَدٍ خُنْتُ الله ورَسُولَهُ فيهِ أبَدًا.

[ما نَزَلَ في خِيانةِ أبي لُبابةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْزَلَ الله تَعالى في أبي لُبابةَ ـ فيما قالَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ، عَنْ إسْماعِيلَ بنِ أبي خالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ أبي قَتادةَ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

[مَوْقِفُ الرَّسُولِ مِنْ أبي لُبابةَ، وتَوْبةُ الله عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ خَبَرُهُ، وكانَ قَد اسْتَبْطَأهُ، قالَ:

«أما إِنَّهُ لَوْ جاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فأمّا إذْ قَدْ فعَلَ ما فعَلَ، فما أنا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكانِهِ حَتّى يَتُوبَ الله عَلَيْهِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ قُسَيْطٍ: أنَّ تَوْبَةَ أبِي لُبابَةَ نَزَلَتْ على رَسُولِ الله ﷺ مِن السَّحَرِ، وهُوَ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمةَ.

فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فسَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ مِن السَّحَرِ وهُوَ يَضْحَكُ، قالَتْ: فقُلْتُ: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسُولَ الله، أضْحَكَ الله سِنَّكَ؟ قالَ: «تِيبَ على أبِي لُبابَةَ»، قالَتْ: قُلْتُ: أفَلا أُبَشِّرُهُ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «بَلى، إنْ شِئْتِ». قالَ: فقامَتْ على بابِ حُجْرَتِها، وذلك قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الحِجابُ، فقالَتْ: يا أبا لُبابَةَ، أبْشِرْ؛ فقَدْ تابَ الله عَلَيْكَ. قالَتْ: فثارَ النّاسُ إلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ، فقالَ: لا والله حَتّى يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ الَّذي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ. فلَمّا مَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ خارِجًا إلى صَلاةِ الصُّبْحِ أطْلَقَهُ.

[ما نَزَلَ في التَّوْبةِ على أبي لُبابَةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أقامَ أبو لُبابَةَ مُرْتَبِطًا بِالجِذْعِ سِتَّ لَيالٍ، تَأْتِيهِ امْرَأتُهُ في كُلِّ وقْتِ صَلاةٍ، فتَحُلُّهُ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ يَعُودُ فيرْتَبِطُ بِالجِذْعِ، فيما حَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، والآيةُ الَّتِي نَزَلَتْ في تَوْبَتِهِ: قَوْلُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

[إسْلامُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَدْلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيةَ، وأُسَيْدَ بنَ سَعْيةَ، وأسَدَ بنَ عُبَيْدٍ، وهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي هَدْلٍ، لَيْسُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظةَ ولا النَّضِيرِ، نَسَبُهُمْ

فوْقَ ذلك، هُمْ بَنُو عَمِّ القَوْمِ، أَسْلَمُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فيها بَنُو قُرَيْظَةَ على حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ.

[أمْرُ عَمْرِو بنِ سُعْدى]

وَخَرَجَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَمْرُو بنُ سُعْدى القُرَظِيُّ، فمَرَّ بِحَرَسِ رَسُولِ الله ﷺ، وعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فلَمّا رَآهُ قالَ: مَنْ هذا؟ قالَ: أنا عَمْرُو بنُ سُعْدى. وكانَ عَمْرٌو قَدْ أبى أنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ في غَدْرِهِمْ برَسُولِ الله ﷺ، وقالَ: لا أغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أبدًا، فقالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ: اللهُمَّ لا تَحْرِمْنِي إقالةَ عَثَراتِ الكِرامِ. ثُمَّ خَلّى سَبِيلَهُ.

فَخَرَجَ على وجْهِهِ حَتّى أتى بابَ مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ بِالمَدِينةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ ذَهَبَ فلَمْ يُدْرَ أيْنَ تَوَجَّهَ مِن الأرْضِ إلى يَوْمِهِ هذا، فذُكِرَ لِرَسُولِ الله ﷺ شَأْنُهُ، فقالَ: ذاكَ رَجُلٌ نَجّاهُ الله بِوَفائِهِ. وبَعْضُ النّاسِ يَزْعُمُ أنَّهُ كانَ أُوثِقَ بِرُمّةٍ فيمَنْ أُوثِقَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، حِينَ نَزَلُوا على حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، فأصْبَحَتْ رُمَّتُهُ مُلْقاةً، ولا يُدْرى أيْنَ ذَهَبَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ فيهِ تِلْكَ المَقالةَ. والله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

[نُزُولُ بَنِي قُرَيْظَةَ على حُكْمِ الرَّسُولِ، وتَحْكِيمُ سَعْدٍ]

قالَ فلَمّا أصْبَحُوا نَزَلُوا على حُكْمِ رَسُول الله ﷺ، فتَواثَبَت الأوْسُ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، إنَّهُمْ مَوالِينا دُونَ الخَزْرَجِ، وقَدْ فعَلْتَ في مَوالِي إخْوانِنا بِالأمْسِ ما قَدْ عَلِمْتَ. وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حاصَرَ بَنِي قَيْنُقاعَ، وكانُوا حُلَفاءَ الخَزْرَجِ، فنَزَلُوا على حُكْمِهِ، فسَألَهُ إيّاهُمْ عَبْدُ الله ابنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، فوَهَبَهُمْ لَهُ، فلَمّا كَلَّمَتْهُ الأوْسُ قالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأوْسِ أنْ يَحْكُمَ فيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالُوا: بَلى، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فذاكَ إلى سَعْدِ بنِ مُعاذٍ». وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ في خَيْمةٍ لِامْرَأةٍ مِنْ أسْلَمَ، يُقالُ لَها: رُفيدةُ، في مَسْجِدِهِ، كانَتْ تُداوِي الجَرْحى، وتَحْتَسِبُ بِنَفْسِها على خِدْمةِ مَنْ كانَتْ بِهِ ضَيْعةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أصابَهُ السَّهْمُ بِالخَنْدَقِ: «اجْعَلُوهُ في خَيْمةِ رُفيدةَ حَتّى أعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ».

فلَمّا حَكَّمَهُ رَسُولُ الله ﷺ في بَنِي قُرَيْظةَ، أتاهُ قَوْمُهُ فحَمَلُوهُ على حِمارٍ قَدْ وطَّؤُوا لَهُ بِوِسادةٍ مِنْ أدَمٍ، وكانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا، ثُمَّ أقْبَلُوا مَعَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وهُمْ يَقُولُونَ: يا أبا عَمْرٍو، أحْسِنْ في مَوالِيكَ؛ فإنَّ رَسُولَ الله ﷺ إنَّما ولّاكَ ذلك لِتُحْسِنَ فيهِمْ. فلَمّا أكْثَرُوا عَلَيْهِ، قالَ: لقد أَنى لِسَعْدٍ ألا تَأْخُذَهُ في الله لَوْمةُ لائِمٍ. فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إلى دارِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، فنَعى لَهُمْ رِجال بَنِي قُرَيْظةَ، قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ. فلَمّا انْتَهى سَعْدٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ والمُسْلِمِينَ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ» فأمّا المُهاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فيقُولُونَ: إنَّما أرادَ رَسُولُ الله ﷺ الأنْصارَ، وأمّا الأنْصارُ، فيقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِها رَسُولُ الله ﷺ، فقامُوا إلَيْهِ، فقالُوا: يا أبا عَمْرٍو، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ولّاكَ أمْرَ مَوالِيكَ لِتَحْكُمَ فيهِمْ، فقالَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ: عَلَيْكُمْ بِذلك عَهْدُ الله ومِيثاقُهُ، أنَّ الحُكْمَ فيهِمْ لَما حَكَمْتُ؟ قالُوا: نَعَمْ: وعلى مَن هـهُنا؟ في النّاحِيةِ الَّتِي فيها رَسُول الله ﷺ، وهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إجْلالًا لَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، قالَ سَعْدٌ: فإنِّي أحْكُمُ فيهِمْ أنْ تُقْتَلَ الرِّجالُ، وتُقَسَّمَ الأمْوالُ، وتُسْبى الذَّرارِيُّ والنِّساءُ.

[رِضاءُ الرَّسُولِ بِحُكْمِ سَعْدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ، عَنْ عَلْقَمةَ بنِ وقّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فيهِمْ بِحُكْمِ الله مِنْ فوْقِ سَبْعةِ أرْقِعةٍ».

[سَبَبُ نُزُولِ بَنِي قُرَيْظةَ على حُكْمِ سَعْدٍ في رَأْيِ ابنِ هِشامٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَني بَعْضُ مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ صاحَ وهُمْ مُحاصِرُو بَنِي قُرَيْظةَ: يا كَتِيبةَ الإيمانِ، وتَقَدَّمَ هُوَ والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وقالَ: والله لَأذُوقَنَّ ما ذاقَ حَمْزةُ، أوْ لَأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ. فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، نَنْزِلُ على حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ.

[مَقْتَلُ بَنِي قُرَيْظةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ اسْتُنْزِلُوا، فحَبَسَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ في دارِ بِنْتِ الحارِثِ، امْرَأةٍ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى سُوقِ المَدِينةِ، الَّتِي هِيَ سُوقُها اليَوْمَ، فخَنْدَقَ بِها خَنادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إلَيْهِمْ، فضَرَبَ أعْناقَهُمْ في تِلْكَ الخَنادِقِ، يُخْرَجُ بِهِمْ إلَيْهِ أرْسالًا، وفيهِمْ عَدُوُّ الله حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وكَعْبُ بنُ أسَدٍ، رَأْسُ القَوْمِ، وهم ستّ مئة أو سبع مئة، والمُكْثِّرُ لَهُمْ يَقُولُ: كانُوا بَين الثمان مئة والتسع مئة. وقَدْ قالُوا لِكَعْبِ بنِ أسَدٍ، وهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إلى رَسُولِ الله ﷺ أرْسالًا: يا كَعْبُ، ما تَراهُ يصْنَعُ بِنا؟ قالَ: أفي كُلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلُونَ؟ ألا تَرَوْنَ الدّاعِيَ لا يَنْزِعُ، وأنَّهُ مَنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُ؟ هُوَ والله القَتْلُ! فلَمْ يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حَتّى فرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أبا لُبابَةَ، واسْمُهُ رِفاعةُ بنُ عبدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَر، وقِيلَ: اسْمُهُ مُبَشِّرٌ، وتَوْبَتَهُ ورَبْطَهُ نَفْسَهُ حتى تابَ اللهُ عَلَيْه. وذَكَرَ فيهِ أنّهُ أقْسَمَ ألّا يَحُلَّهُ إلّا رسول الله ﷺ، ورَوى حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ عن عليِّ بنِ زَيْدٍ عَنْ عَلِيّ[1] بنِ الحُسَيْنِ أنّ فاطِمَةَ أرادَتْ حَلّهُ حِينَ نَزَلَتْ تَوْبَتُهُ، فقالَ: قَدْ أقْسَمْتُ ألّا يَحُلَّنِي إلّا رسول الله ﷺ، فقالَ رسول الله ﷺ: «إنّ فاطِمَةَ مُضْغَةٌ مِنّي»، فـ ﷺ وعَلى فاطِمَةَ، فهَذا حَدِيثٌ يَدُلُّ عَلى أنّ مَنْ سَبَّها فقَدْ كَفَرَ، وأنّ مَنْ صَلّى عَلَيْها فقَدْ صَلّى عَلى أبيها ﷺ.

وفيهِ أنْزَلَ اللهُ سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾ الآيةَ [التوبة: ١٠٢] غَيْرَ أنّ المُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا في ذَنْبِهِ ما كانَ، فقالَ ابنُ إسْحاقَ ما ذَكَرَهُ في السِّيرةِ مِنْ إشارَتِهِ عَلى بَنِي قُرَيْظَةَ، وقالَ آخَرُونَ: كانَ مِن المُخَلَّفِينَ الّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رسول الله ﷺ في غَزْوةِ تَبُوكَ، فنَزَلَتْ تَوْبةُ اللهِ عَلَيْهِ في هَذِهِ الآيةِ.

فَإنْ قِيلَ: لَيْسَ في الآيةِ نَصٌّ عَلى تَوْبَتِهِ وتَوْبةِ اللهِ عَلَيْهِ أكْثَرُ مِنْ قَوْلِهِ سبحانه: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

فالجَوابُ: أنّ «عَسى» مِنَ اللهِ واجِبةٌ وخَبَرُ صِدْقٍ.

فإن قيل، وهو سؤال يَجِبُ الاعْتِناءُ بِهِ: إنّ القُرْآنَ نَزَلَ بِلِسانِ العَرَبِ، ولَيْسَتْ «عَسى» في كَلامِ العَرَبِ [بِخَبَرٍ][2]، ولا تَقْتَضِي وُجُوبًا، فكَيْفَ تَكُونُ «عَسى» واجِبةً في القُرْآنِ، ولَيْسَ بِخارِجٍ عَنْ كَلامِ العَرَبِ؟

---

(١) في (ج)، (ص): «بن علي». وهو خطأ، وعلي بن زيد هو ابن جدعان، يروي عنه حماد بن سلمة. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٦: ١٨٦).

(٢) ليس في (ب).

وَأيْضًا فإنّ «لَعَلَّ»[١] تُعْطِي مَعْنى التّرَجّي، ولَيْسَتْ مِنَ اللهِ واجِبةً، فقَدْ قالَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فلَمْ يَشْكُرُوا، وقالَ: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، فلَمْ يَتَذَكّرْ ولَمْ يَخْشَ، فما الفَرْقُ بَيْنَ لَعَلّ وعَسى حَتّى صارَتْ عَسى واجِبةً [دونَ لعلّ][٢]؟

قُلنا: «لَعَلَّ» تُعْطِي التّرَجّيَ، وذَلِكَ التّرَجّي مَصْرُوفٌ إلى الخَلقِ، و«عَسى» مِثْلُها في التّرَجّي، وتَزِيدُ عَلَيْها في المُقارَبةِ[٣]، ولِذَلِكَ قالَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ومَعْناهُ التّرَجّي مَعَ الخَبَرِ[٤] بِالقُرْبِ، كَأنّهُ قالَ: قَرُبَ أنْ يَبْعَثَك، فالتّرَجّي مَصْرُوفٌ إلى العبدِ، [كَما في «لَعَلّ»][٥]، والخَبَرُ عَنِ القُرْبِ والمُقارَبةِ مَصْرُوفٌ إلى اللهِ تَعالى، وخَبَرُهُ حَقٌّ ووَعْدُهُ حَتْمٌ، فما تَضَمّنَتْهُ مِن الخَبَرِ فهُوَ الواجِبُ دُونَ التّرَجّي الّذِي هُوَ مُحالٌ عَلى اللهِ، ومَصْرُوفٌ إلى العبدِ، ولَيْسَ في «لَعَلَّ» مِنْ تَضَمُّنِ الخَبَرِ مِثْلُ ما في «عَسى»، فمِنْ ثَمّ كانَتْ «عَسى» واجِبةً إذا تَكَلَّمَ اللهُ بِها، ولَمْ تكُنْ كَذَلِكَ «لَعَلّ».

فَإنْ قِيلَ: فهَل يَجُوزُ في «لَيْتَ» ما جاز في «لَعَلّ»[٦] مِنْ وُرُودِها في كَلامِ البارِي سُبْحانَهُ، عَلى أنْ يَكُونَ التّمَنّي مَصْرُوفًا إلى العبدِ، كَما كانَ التّرَجّي في «لَعَلّ» كَذَلِكَ؟

---

(١) في (ف): «وأيضًا فلعل».

(٢) ليس في (أ)، (س)، (ف).

(٣) في (ص)، (ج): «بالمقاربة».

(٤) في (أ): «عن الخبر».

(٥) ليس في (أ).

(٦) في (أ): «ما في لعل»، وفي (ب): «ما كان يجوز في لعل»، وفي (س)، (ف): «ما كان في لعل».

قُلنا: هَذا غَيْرُ جائِزٍ، وإنّما جازَ ذَلِكَ في «لَعَلّ» عَلى شَرْطٍ وصُورةٍ، نَحْوُ أنْ يَكُونَ قَبْلَها فِعْلٌ، وبَعْدَها فِعْلٌ، والأوّلُ سَبَبٌ لِلثّانِي، نَحْوُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقالَ بَعْضُ النّاسِ: «لَعَلّ» هاهُنا بِمَعْنى «كَيْ»، أيْ: كَيْ تَذَكّروا، وأنا أقُولُ: لَمْ يَذْهَبْ مِنْها مَعْنى التّرَجّي؛ لِأنّ المَوْعِظَةَ مِمّا يُرْجى أنْ تكُونَ سَبَبًا لِلتّذَكُّرِ، فعَلى هَذِهِ الصُّورةِ ورَدَتْ في القُرْآنِ، ونَحْوُ قَوْلِهِ أيْضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] هي هاهُنا تَوَقُّعٌ وتَخَوُّفٌ، أيْ: ما أصابَك مِنَ التّكْذِيبِ مِمّا يُتَخَوَّفُ ويُتَوَقّعُ مِنْهُ ضِيقُ الصَّدْرِ، فهَذا هُوَ الجائِزُ في «لَعَلّ»، وأمّا[1] أنْ تَرِدَ في القُرْآنِ داخِلةً عَلى الِابْتِداءِ والخَبَرِ، مِثْل أنْ تَقُولَ مُبْتَدِئًا: «لَعَلّ زَيْدًا يُؤْمِنُ[2]»، فهَذا[3] غَيْرُ جائِزٍ؛ لِأنَّ الرّبَّ سُبْحانَهُ لا يَتَرَجّى، وإنْ صُرِفَ التّرَجّي إلى حَقِّ المَخْلُوقِ، ومَوْضُوعُها في كَلامِ العَرَبِ أنْ يَكُونَ التكلُّم[4] بِها لا يَسْتَقِيمُ [أيْضًا][5] إلّا عَلى الصُّورةِ الّتِي قَدَّمْنا[6] مِنْ كَوْنِها بِمَعْنى «كَيْ»، ووُقُوعِها بَيْنَ السَّبَبِ والمُسَبَّبِ، وإذا ثَبَتَ هَذا فلا إشْكالَ في «لَيْتَ» أنّها لا تكُونُ في كَلامِ الباري سُبْحانَهُ؛ لِأنّ التّمَنِّيَ مُحالٌ عَلَيْهِ، والتّرَجِّي كذلك، والتّوَقُّعُ والتّخَوُّفُ كَذَلِكَ حَتّى يزِيلَها عَنِ المَوْضِعِ الّذِي يَكُونُ مَعْناها فيهِ لِلمُتَكَلِّمِ بِها.

---

(١) في (ب): «فأما».

(٢) في (ف): «أن يؤمن».

(٣) في (أ): «فهو».

(٤) في النسخ: «المتكلم».

(٥) عن (أ)، (ص)، (ف). وفي (س): «أيضًا لا يستقيم».

(٦) في (ب): «قدمناها».

فَصْلٌ

وذَكَرَ حُكْمَ سَعْدٍ في بَنِي قُرَيْظَةَ، وقَوْلَ النَّبيِّ ﷺ لَهُ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فوْقِ سَبْعةِ أرْقِعةٍ»، هَكَذا في السِّيرةِ: «أرْقِعةٍ»، وفي الصحيح: «من فوقِ سبعِ سمَوات»[1]، والمَعْنى واحِدٌ؛ لِأنَّ الرَّقِيعَ مِنْ أسْماءِ السَّماءِ؛ لِأنّها رُقِعَتْ[2] بِالنُّجُومِ، ومِنْ أسْمائِها: الجَرْباءُ وبِرْقِعٌ[3].

وفي غَيْرِ رِوايةِ البَكّائِيِّ أنَّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قالَ في حُكْمِ سَعْدٍ: «بِذَلِكَ طَرَقَنِي المَلَكُ سَحَرًا».

وَفيهِ مِن الفِقْهِ تَعْلِيمُ حُسْنِ اللَّفْظِ إذا تَكَلَّمْتَ بِالفَوْقِ مُخْبِرًا عَنِ اللهِ سُبْحانَهُ، ألا تَراهُ كَيْفَ قالَ: «بحُكمِ اللهِ من فوقَ سبعِ سمَوات»، ولَمْ يَقُل: «فوْقُ» عَلى الظَّرْفِ، فدَلَّ على أنّ الحُكْمَ نازِلٌ مِنْ فوْقَ، وهُوَ حُكْمُ اللهِ تَعالى، وهَذا نَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] أيْ: يَخافُونَ عِقابًا يَنْزِلُ مِنْ فوْقِهِمْ، وهُوَ عِقابُ رَبِّهِمْ.

فإن قيل: أوليس بِجائِزٍ أنْ يُخْبَرَ عَنْهُ سُبْحانَهُ أنَّهُ فوْقَ سبع سمَوات؟

قُلنا: لَيْسَ في هَذِهِ الآيةِ، ولا في هَذا الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلى إطْلاقِ ذَلِكَ اللفظ، فإنْ جازَ فبِدَلِيلٍ آخَرَ، وكَذَلِكَ قَوْلُ زَيْنَبَ: «زَوَّجَنِي اللهُ تعالى من نبيِّهِ من فوقِ سبعِ سمَوات»[4]، إنّما مَعْناهُ: أنّ تَزْوِيجَهُ إيّاها نَزَلَ مِنْ فوق سبع

---

(١) أخرجه النسائي في «سننه الكبرى» من طريق محمد بن صالح، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر ابن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص. انظر: «النكت الظراف على الأطراف» لابن حجر العسقلاني: (٣: ٣٢٧)، و«فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤١٢).

(٢) أي: دُعِمت بها، يقال: رقع البناء: دعمه.

(٣) كزِبرِج.

(٤) «فتح الباري»، كتاب التوحيد: (١٣: ٤٠٣-٤٠٤).

سمواتٍ، ولا يَبْعُدُ في الشّرْعِ وصْفُهُ سُبْحانَهُ بِالفَوْقِ عَلى المَعْنى الّذِي يَلِيقُ بِجَلالِهِ، لا عَلى المَعْنى الّذِي يَسْبِقُ لِلوَهْمِ مِنَ التّحْدِيدِ، ولَكِنْ لا يُتَلَقّى إطْلاقُ ذَلِكَ الوَصْفِ مِمّا تَقَدَّمَ مِنَ الآيَةِ والحَدِيثَيْنِ لِارْتِباطِ حَرْفِ الجَرّ بالفِعْلِ، حَتّى صارَ وصْفًا لَهُ لا وصْفًا لِلبارِي سُبْحانَهُ، وقَدْ أمْلَيْنا في حَدِيثِ الأَمَةِ الّتِي قالَ لَها [نبيُّ الله ﷺ][1]: «أيْنَ اللهُ؟ قالَتْ: في السّماءِ[2] مسألةً بديعةً نافعةً شافيةً رافعةً لكلِّ لبسٍ، والحمد لله.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَبْسَ بَنِي قُرَيْظَةَ في دارِ بِنْتِ الحَدَثِ، كَذا وقَعَ في هَذا الكِتابِ، والصَّحِيحُ فيه عِنْدَهُمْ: بِنْت الحارِثِ، وكذلك قال البخاري[3]، واسْمُها: كَيِّسةُ[4] بِنْتُ الحارِثِ بنِ كُرَيْزِ بنِ حَبِيبِ بنِ عبدِ شَمْسٍ، وكانَتْ تَحْتَ مُسَيْلِمةَ الكَذّابِ، ثُمّ خَلَفَ عَلَيْها عبدُ اللهِ بنُ عامِرِ بنِ كُرَيْزٍ[5]، وكَيِّسةٌ أُخْرى مَذْكُورةٌ في النّساءِ، وهي بِنْتُ[6] عبدِ الحَمِيدِ بنِ عامِرِ بنِ كُرَيْزٍ، وكَيِّسةُ[7] بِنْتُ أَبِي بَكْرة

---

(١) عن (س).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضيَ الله عنه. (ج)

(٣) «صحيح البخاري»: كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي، رقم (٤٣٧٨)، وفيه: «أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث، وكان تحته بنت الحارث بن كريز». (ج)

(٤) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤: ١٩٥٦، ١٩٧٣).

(٥) بعده في (س): «بن حبيب بن عبد شمس»، وقد سبق في نسب كيِّسة.

(٦) «المؤتلف» للدارقطني (٤: ١٩٧٣).

(٧) المرجع نفسه (٤: ١٩٧٢).

رَوَتْ عَنْ أَبِيها عَنْ رسول الله ﷺ أَنّهُ كانَ يَنْهى عَنِ الحِجامةِ يَوْمَ الثّلاثاءِ أَشَدَّ النّهْيِ[١]، ويَقُولُ: «فيهِ ساعةٌ لا يَرْقَأُ فيها الدّمُ»[٢]. وأمّا كَيْسةُ بِسُكُونِ الياءِ فهي بِنْتُ أَبِي كَثِيرٍ[٣] تَرْوِي عَنْ أُمّها عَنْ عائِشةَ في الخمر: «لا طَيَّب اللهُ من تَطَيَّبَ بها[٤]، ولا شَفى مَن اسْتَشْفى بِها»، ذَكَرَهُ البُخارِيّ في «الأَشْرِبةِ» في بَعْضِ رِواياتِ الكِتابِ[٥]، ووَقَعَ اسْمُها في السِّيرةِ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشام: زَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ النّجّارِيّةُ، [وهذا واللهُ أَعْلَمُ هو الصَّحيح][٦]. وأمّا كَيِّسةُ بِنْتُ الحارِثِ، فهي الّتِي أُنْزِلَ في دارِها وفْدُ بَنِي حَنِيفةَ، وسَيأْتِي ذِكْرُها.

وَذَكَرَ[٧] رُفَيْدةَ[٨]، وهي امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ التي كانَ سَعْدٌ يُمَرَّضُ في خَيْمَتِها، لَمْ يَذْكُرْها أَبُو عُمَرَ، وزادَها أَبُو عَلِيٍّ الغَسّانِيّ في كِتابِ أَبِي عُمَرَ، حَدّثَنِي بِتِلْكَ الزّوائِدِ أَبُو بَكْرِ بنُ طاهِرٍ عَنْهُ، وحَدّثَنِي عَنْهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ أَنّهُ قالَ لِأَبِي عَلِيٍّ: أمانةُ اللهِ في عُنُقِك، مَتى عَثَرْتَ عَلى اسْمٍ مِنْ أَسْماءِ الصّحابةِ لَمْ أَذْكُرْهُ؛ إِلّا أَلحَقْته في كِتابِي الّذِي في الصّحابةِ[٩].

---

(١) المرجع نفسه (٤: ١٩٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب متى تُستحب الحجامة، رقم (٣٨٦٢) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. (ج)

(٣) «المؤتلف» للدارقطني (٤: ١٩٧٣).

(٤) قيل: إن حديث كيسة في التطبب لا في الطيب، وإن البخاري خرجه في «كتاب الأشربة»، وهو كتاب صنفه مفردًا خارج «الصحيح». انظر: «المؤتلف» للدارقطني، تعليق المحقق: (٤: ١٩٧٤).

(٥) ينظر التعليق السابق.

(٦) مكانه في (أ)، (ف): «فالله أعلم».

(٧) في (ص): «وذكر ابن إسحاق».

(٨) بعده في (س): «بنت الحارث».

(٩) «الاستيعاب» (٤: ١٨٣٨).

فَصْلٌ

وذَكَرَ في غَزْوةِ الخَنْدَقِ ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيةَ، وأسَدَ بنَ سَعْيةَ[١]، [وَأَسِيدَ بنَ سَعْيةَ][٢]، وهُمْ مِنْ بَنِي هَدَلٍ، وقَدْ تَكَلَّمْنا في الجُزْءِ الثّانِي مِنْ هذا الكِتابِ عَلى سَعْيةَ وسُعْنةَ بِالنُّونِ، وذَكَرْنا الِاخْتِلافَ في أَسِيدٍ وأُسَيْدٍ، وذَكَرْنا خَبَرًا عَجِيبًا لِزَيْدِ بنِ سَعْيةَ بِالياءِ، ومَنْ قالَ مِن النَّسّابِينَ: هَدْلٌ بِسُكُونِ الدّالِ في بَنِي هَدَلٍ، فأغْنى ذَلِكَ عَنْ إعادَتِهِ.

* * *

(١) في «السيرة»: «أسد بن عبيد»، وانظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١٣٨٥)، و«تفسير ابن كثير» (٢: ٧٥٨).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من: (ف)، (ص).

[مَقْتَلُ ابنِ أخْطَبَ، وشِعْرُ ابنِ جَوّالٍ فيهِ]

وَأُتِيَ بِحُيَيِّ بنِ أخْطَبَ عَدُوِّ الله، وعَلَيْهِ حُلّةٌ لَهُ فُقّاحِيّةٌ، قالَ ابنُ هِشامٍ: فُقّاحِيّةٌ: ضَرْبٌ مِن الوَشْي قَدْ شَقَّها عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ قَدْرَ أُنْمُلةٍ أُنْمُلةٍ لِئَلّا يُسْلَبَها، مَجْموعةً يَداهُ إلى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، فلَمّا نَظَرَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: أما والله ما لُمْتُ نَفْسِي في عَداوَتِكَ، ولَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلْ، ثُمَّ أقْبَلَ على النّاسِ، فقالَ: أيُّها النّاسُ، إنَّهُ لا بَأْسَ بِأمْرِ الله، كِتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحَمةٌ كَتَبَها الله على بَنِي إسْرائِيلَ، ثُمَّ جَلَسَ فضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

فَقالَ جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثَّعْلَبِيُّ:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسَهُ ... ولَكِنَّهُ مَنْ يَخْـذُلِ الله يُخْذَلِ
لَجاهَدَ حَتّى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها ... وقَلْقَلَ يَبْـغِي العِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ

[قَتَلَ مِنْ نِسائِهِم امْرَأةً واحِدةً]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أنَّها قالَتْ: لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسائِهِمْ إلّا امْرَأةٌ واحِدةٌ. قالَتْ: والله إنَّها لعندي تَحَدَّثُ مَعِي، وتَضْحَكُ ظَهْرًا وبَطْنًا، ورَسُولُ الله ﷺ يَقْتُلُ رِجالَها في السُّوقِ؛ إذْ هَتَفَ هاتِفٌ بِاسْمِها: أيْنَ فُلانةُ؟ قالَتْ: أنا والله، قالَتْ: قُلْتُ لَها: ويلكِ، ما لكِ؟ قالَتْ: أُقْتَلُ، قُلْتُ: ولِمَ؟ قالَتْ: لِحَدَثٍ أحْدَثْتُهُ، قالَتْ: فانْطُلِقَ بِها، فضُرِبَتْ عُنُقُها، فكانَتْ عائِشةُ

تَقول: فواللهِ ما أنْسى عَجَبًا مِنْها؛ طِيبَ نَفْسِها، وكَثْرَةَ ضَحِكِها، وقَدْ عَرَفَتْ أنَّها تُقْتَلُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ الَّتِي طَرَحَت الرَّحا على خَلّادِ بنِ سُوَيْدٍ، فقَتَلَتْهُ.

[شَأْنُ الزَّبيرِ بنِ باطا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ ثابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ ـ كَما ذَكَرَ لِي ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ ـ أتى الزَّبيرَ بنَ باطا القُرَظِيَّ، وكانَ يُكَنّى: أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وكانَ الزَّبيرِ قَدْ مَنَّ على ثابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمّاسٍ في الجاهِلِيّةِ. ذَكَرَ لِي بَعْضُ ولَدِ الزَّبيرِ أنَّهُ كانَ مَنَّ عَلَيْهِ يَوْمَ بُعاثَ، أخَذَهُ فجَزَّ ناصِيَتَهُ، ثُمَّ خَلّى سَبِيلَهُ، فجاءَهُ ثابِتٌ وهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فقالَ: يا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قالَ: وهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَكَ؟! قالَ: إنِّي قَدْ أرَدْتُ أنْ أجْزِيَكَ بِيَدِكَ عِنْدِي، قالَ: إنَّ الكَرِيمَ يَجْزِي الكَرِيمَ. ثُمَّ أتى ثابِتُ بنُ قَيْسٍ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ قَدْ كانَتْ لِلزَّبيرِ عَلَيَّ مِنّةٌ، وقَدْ أحْبَبْتُ أنْ أجْزِيَهُ بِها، فهَبْ لِي دَمَهُ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هُوَ لَكَ»، فأتاهُ فقالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ وهَبَ لِي دَمَكَ، فهُوَ لَكَ. قالَ: شَيْخٌ كَبِيرٌ لا أهْلَ لَهُ ولا ولَدَ، فما يَصْنَعُ بِالحَياةِ؟ قالَ: فأتى ثابِتٌ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: بِأبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسُولَ الله، هَبْ لِي امْرَأتَهُ ووَلَدَهُ، قالَ: «هُمْ لَكَ». قالَ: فأتاهُ، فقالَ: قَدْ وهَبَ لِي رَسُول الله ﷺ أهْلَكَ ووَلَدَكَ، فهُمْ لَكَ، قالَ: أهْلُ بَيْتٍ بِالحِجازِ لا مالَ لَهُمْ، فما بَقاؤُهُم على ذلك؟ فأتى ثابِتٌ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، مالُهُ، قالَ: «هُوَ لَكَ». فأتاهُ ثابِتٌ، فقالَ: قَدْ أعْطانِي رَسُولَ الله ﷺ مالَكَ، فهُوَ لَكَ. قالَ: أي ثابِتُ، ما فعَلَ الَّذي كَأنَّ وجْهَهُ مِرْآةٌ

صِينِيَّةٌ يَتَراءى فيها عَذارى الحَيِّ، كَعْبُ بنُ أسَدٍ؟ قالَ: قُتِلَ، قالَ: فما فعَلَ سَيِّدُ الحاضِرِ والبادِي حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ؟ قالَ: قُتِلَ، قالَ: فما فعَلَ مُقَدِّمَتُنا إذا شَدَدْنا، وحامِيَتُنا إذا فرَرْنا، عَزّالُ بنُ سَمَوْأَلَ؟ قالَ: قُتِلَ، قالَ: فما فعَلَ المُجْلِسانِ؟ يَعْنِي: بَنِي كَعْبِ بنِ قُرَيْظَةَ، وبَنِي عَمْرِو بنِ قُرَيْظَةَ، قالَ: ذَهَبُوا قُتِلُوا؟ قالَ: فإنِّي أسْألُكَ يا ثابِتُ بِيَدِي عِنْدَكَ إلّا ألحَقْتَنِي بالقوم، فواللهِ ما في العَيْشِ بَعْدَ هَؤُلاءِ مِنْ خَيْرٍ، فما أنا بِصابِرٍ لله فَتْلةَ دَلْوٍ ناضِحٍ حَتّى ألْقى الأحِبّةَ. فقَدَّمَهُ ثابِتٌ، فضَرِبَ عُنُقَهُ.

فَلَمّا بَلَغَ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَوْلَهُ: «ألْقى الأحِبّةَ»، قالَ: يَلْقاهُمْ واللهِ في نارِ جَهَنَّمَ خالِدًا فيها مُخَلَّدًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قِبْلَةَ دَلْوٍ ناضِحٍ. وقالَ زُهَيْرُ بنُ أبِي سَلْمى في «قِبْلَةٍ»:

وَقابِلٍ يَتَغَــنّى كُلَّما قَدَرَتْ   على العَراقِي يَداهُ قائِمًا دَفَقا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «وقابِلٍ يَتَلَقّى»؛ يَعْنِي: قابِلَ الدَّلْوِ يَتَناوَلُ.

[أمْرُ عَطِيّةَ ورِفاعةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ أنْبَتَ مِنْهُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي شُعْبةُ بنُ الحَجّاجِ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَطِيّةَ القُرَظِيِّ، قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ قَدْ أمَرَ أنْ يُقْتَلَ مِنْ بَنِي قُرَيْظةَ كُلُّ مَنْ أنْبَتَ مِنْهُمْ، وكُنْتُ غُلامًا، فوَجَدُونِي لَمْ أُنْبِتْ، فخَلَّوْا سَبِيلِي.

وَأمّا حَدِيثُ المَرْأةِ المَقْتُولةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظةَ، ففيها دَلِيلٌ لِمَنْ قالَ بقَتْلِ المُرْتَدّةِ مِن النِّساءِ؛ أخْذًا بعُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «مَنْ بَدّلَ دِينَهُ فاضْرِبُوا عُنُقَهُ»[١]. وفي هَذا الحَدِيثِ[٢] مَعَ العُمُومِ قُوّةٌ أُخْرى، وهُوَ تَعْلِيقُ الحُكْمِ بالعِلّةِ، وهُوَ التّبْدِيلُ والرّدّةُ، ولا حُجّةَ مَعَ هَذا لِمَنْ زعمَ من أهْلِ [العِراق][٣] بِألا تُقْتَلَ المرتدّةُ؛ لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السّلامُ عَنْ قَتْلِ النّساءِ والوِلدانِ. ولِلاحْتِجاجِ على الفَرِيقَيْنِ وما نَزَع بِهِ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ مَوْطِنٌ غَيْرُ هَذا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ ثابِتِ بنِ قَيْسٍ[٤] مَعَ الزَّبِيرِ [بن باطا القُرظيِّ، وهو الزَّبير][٥] بفَتْحِ الزّاي وكَسْرِ الباءِ جَدّ الزَّبِيرِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ المَذْكُورِ في «المُوَطّأ» في كِتابِ النّكاحِ[٦]، واخْتُلِفَ في الزَّبِيرِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ؛ فقِيلَ: الزَّبِيرُ بفَتْحِ الزّاي وكَسْرِ الباءِ كاسْمِ جَدِّهِ، وقِيلَ: الزُّبَيْرُ، وهُوَ قَوْلُ البُخارِيّ في «التّارِيخِ»[٧].

وَذَكَرَ قَوْلَ الزَّبِيرِ: «لستُ صابرًا فتْلةَ دَلوِ ناضِحٍ».

وَقالَ ابنُ هِشامٍ: إنّما هُوَ «قَبلة دَلو» بالقافِ والباءِ، وقابِلُ الدَّلوِ هُوَ الّذِي يَأْخُذُها مِن المُسْتَقِي[٨][٩]. وَذَكَرَ أبُو عُبَيْدٍ الحَدِيثَ في «الأموالِ» عَلى غَيْرِ

(١) «فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ١٤٩)، وكتاب استتابة المرتدين: (١٢: ٢٧٦).
(٢) في (ب): «وفي هذا العموم قوة...».
(٣) ليس في (س).
(٤) بعده في (س): «بن الشماس». (٥) سقط من (أ).
(٦) «الموطأ»، كتاب النكاح: (٢: ٥٣١).
(٧) «التاريخ الكبير» (٣: ٤٠٩-٤١٠)، لكنها بضم الزاي.
(٨) في (ف): «المستسقى».
(٩) قال أبو ذر في «شرح السيرة» (ص: ٣٠٧): «أراد بقوله: «فتْلة دلو ناضح» مقدار ما يأخذ=

ما قالاهُ جَمِيعًا، فقالَ: قالَ الزَّبيرُ: يا ثابِتُ، ألحِقْنِي بِهِمْ، فلَسْتُ صابِرًا عَنْهُمْ إفْراغَةَ دَلوٍ[١].

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَطِيّةَ القُرَظِيّ، وهُوَ جَدّ مُحَمّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيّ[٢]، وذَكَرَ أنّهُ لَمْ يَكُنْ أنْبَتَ فتُرِكَ، ففي هَذا أنّ الإنْباتَ أصْلٌ في مَعْرِفةِ البُلُوغِ إذا جُهِلَ الاحْتِلامُ، ولَمْ تُعرف سِنُوّه.

وَذَكَرَ حُيَيَّ بنَ أخْطَبَ حِينَ قُدِّمَ إلى القَتْلِ، وعَلَيْهِ حُلَّةٌ فُقّاحِيّةٌ. الحُلّةُ: إزارٌ ورداءٌ، وأصْلُ تَسْمِيَتِها بِهَذا إذا كانَ الثّوْبانِ جَدِيدَيْنِ، كَما حُلَّ طَيُّهُما، فقِيلَ لَهُ: حُلّةٌ لِهَذا، ثُمّ اسْتَمَرّ عَلَيْها الِاسْمُ، قالَهُ الخَطّابِيّ[٣].

وَقَوْلُهُ: فُقّاحِيّةٌ نُسِبَتْ إلى الفُقّاحِ، وهُوَ الزَّهْرُ إذا انْشَقّتْ أكِمّتُهُ، وانْضَرَجَتْ بَراعِيمُهُ، وتَفَتّقَتْ أخْفيَتُهُ، فيُقالُ لَهُ حِينَئِذٍ: فقَّحَ، وهُوَ فُقَّاحٌ. والقَنابِعُ أيْضًا في مَعْنى البَراعِيمِ، واحِدُها: قُنْبُعةٌ، وأمّا الفقاعُ بِالعَيْنِ فهُوَ الفُطْرُ، ويُقالُ لَهُ أيْضًا: آذانُ الكَمْأةِ. مِنْ كِتابِ «النّباتِ»[٤].

وَيُرْوى [أيضًا][٥]: حُلّة شُقَحيّة، وهو من شَقَّحَ البُسْرُ إذا تَلَوّنَ. قالَهُ الخَطّابِيّ.

= الرجل الدلو إذا خرجت فيصبها في الحوض يفتلها أو يردها إلى موضعها. ومن رواه: «قَبلة» بالقاف والباء، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض ثم يصرفها. وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة».

(١) «الأموال» (ص: ١٢١)، وفيه: «إفراغ دلو».

(٢) ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧: ٨)، فقال: «عطية القرظي له صحبة، ورُوي عنه أنه قال: كنتُ فيمَن حكمَ سعدٌ (كذا)، فنظروا إلى عانتي، فوجدوا (كذا) لم تطلُع، فألقوني في الذرية».

(٣) «غريب الحديث» (١: ٤٩٨). وهو في «النهاية» لابن الأثير: (١: ٤٣٢-٤٣٣).

(٤) لم أجده في المطبوع من «كتاب النبات». وانظر: «اللسان» (ف ق ح).

(٥) ليس في (ص).

وفي خبر حُيَيٍّ: [من الطويل]

وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

بِنَصْبِ الهاءِ مِن اسْمِ اللهِ، ويُصَحِّحُ هَذِهِ الرِّوايةَ أنَّ في الخَبَرِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ [له][1]: «أَلَمْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْك؟» فقالَ: بَلى، ولَقَدْ قَلقَلتُ كُلَّ مُقَلقَلٍ، ولَكِنْ مَنْ يَخْذُلْك يُخْذَل[2]، فقَوْلُهُ: يَخْذُلك[3] كَقَوْلِ الآخَرِ في البَيْتِ: [من الطويل]

وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ

لِأَنَّهُ إنّما نَظَمَ في البَيْتِ كَلامَ حُيَيٍّ.

❊ ❊ ❊

(١) عن (ص)، (ف).

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر: (١: ٢٧١) (ترجمة جبل بن جوال). وفي «البداية والنهاية» لابن كثير (طبعة هجر): (٦: ٩٢): قال جبل بن جوال في قتل حيي بن أخطب يوم غزوة بني قريظة:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابنُ أخطب نفسَهُ ... ولكنه مَـن يَخْـذُلِ الله يُخْذَلِ

لَجاهَدَ حتى أَبْلَغَ النفسَ عُذْرَها ... وقَلْقَـلَ يَبْغي العـزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

(٣) في (ف): «يخذل».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أَيُّوبُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ الله بنِ أبي صَعْصَعةَ أخُو بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ: أنَّ سَلْمى بِنْتَ قَيْسٍ، أُمَّ المُنْذِرِ، أُخْتَ سَليطِ بنِ أُخْتِ سَلِيطِ بنِ قَيْسٍ، وكانَتْ إحْدى خالاتِ رَسُولِ الله ﷺ، قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ القِبْلَتَيْنِ، وبايَعَتْهُ بَيْعةَ النِّساءِ، سَأَلَتْهُ رِفاعةَ بنَ سَمَوْأَلٍ القُرَظِيَّ، وكانَ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ، فلاذَ بِها، وكانَ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذلك، فقالَتْ: يا نَبِيَّ الله، بأبي أنْتَ وأُمِّي، هَبْ لِي رِفاعةَ؛ فإنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَيُصَلِّي ويَأْكُلُ لَحْمَ الجَمَلِ. قالَ: فَوَهَبَهُ لَها، فاسْتَحْيَتْهُ.

[قَسْمُ فيْءِ بَنِي قُرَيْظَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَسَمَ أمْوالَ بَنِي قُرَيْظَةَ ونِساءَهُمْ وأبناءَهُمْ على المُسْلِمِينَ، وأعْلَمَ في ذلك اليَوْمِ سُهْمانَ الخَيْلِ وسُهْمانَ الرِّجالِ، وأخْرَجَ مِنْها الخُمُسَ، فكانَ لِلْفارِسِ ثَلاثةُ أسْهُمٍ؛ لِلْفَرَسِ سَهْمانِ ولِفارِسِهِ سَهْمٌ، ولِلرّاجِلِ ـ مَنْ لَيْسَ لَهُ فرَسٌ ـ سَهْمٌ. وكانَت الخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتّةً وثَلاثِينَ فرَسًا، وكانَ أوَّلَ فيْءٍ وقَعَتْ فيهِ السُّهْمانُ، وأُخْرِجَ مِنْها الخُمُسُ، فعلى سُنَّتِها وما مَضى مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فيها وقَعَت المَقاسِمُ، ومَضَت السُّنّةُ في المَغازِي.

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بنَ زَيْدٍ الأنْصارِيَّ، أخا بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، بِسَبايا مِنْ سَبايا بَنِي قُرَيْظَةَ إلى نَجْدٍ، فابْتاعَ لَهُمْ بِها خَيْلًا وسِلاحًا.

[شَأْنُ رَيْحانَةَ]

قالَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَد اصْطَفى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسائِهِمْ رَيْحانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بنِ خُنافةَ، إحْدى نِساءِ بَنِي عَمْرِو بنِ قُرَيْظَةَ، فكانَتْ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى تُوُفِّيَ عَنْها وهِيَ في مِلْكِهِ، وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ عَرَضَ عَلَيْها أنْ يَتَزَوَّجَها، ويَضْرِبَ عَلَيْها الحِجابَ، فقالَتْ: يا رَسُولَ الله، بَلْ تَتْرُكُنِي في مِلْكِكَ، فهُوَ أخَفُّ عَلَيَّ وعَلَيْكَ، فتَرَكَها. وقَدْ كانَتْ حِينَ سَباها قَدْ تَعَصَّتْ بالإسْلامِ، وأبَتْ إلّا اليَهُودِيّةَ، فعَزَلَها رَسُولُ الله ﷺ، ووَجَدَ في نَفْسِهِ لِذلك مِنْ أمْرِها، فبَيْنا هُوَ مَعَ أصْحابِهِ، إذْ سَمِعَ وقْعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ، فقالَ: «إنَّ هذا لَثَعْلَبَةُ بنُ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِي بِإسْلامِ رَيْحانَةَ»، فجاءَهُ فقالَ: يا رَسُولَ الله، قَدْ أسْلَمَتْ رَيْحانةُ. فسَرَّهُ ذلك مِنْ أمْرِها.

وَذَكَرَ حَدِيثَهُ عَنْ أيُّوبَ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ أبِي صَعْصَعةَ، وألْفَيْتُ في حاشِيةِ الشّيْخِ رحمه الله قالَ: وقَعَ في تارِيخِ البُخارِيّ أنّ أيوبَ نَفْسَهُ هُوَ المُخْبِرُ أنّ سَلمى بِنْتَ قَيْسٍ، وفي نسخةٍ أخرى: أيُّوبَ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عبدِ اللهِ[١] وهُوَ الصّحِيحُ، واللهُ أعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: عَنْ سَلمى بِنْتِ قَيْسٍ، [هي سَلمى بِنْتُ قَيْسِ][٢] بنِ عَمْرِو بنِ عُبَيْدِ ابنِ مالِكِ بنِ عَمْرِو بنِ عَدِيٍّ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيّ بنِ النّجّارِ[٣].

(١) في (ص): «عن عبد الله». وهو خطأ.

(٢) سقط من (س).

(٣) انظر: «أسد الغابة» (٧: ١٤٩).

[ما نَزَلَ في الخَنْدَقِ وبَنِي قُرَيْظَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأنْزَلَ الله تَعالى في أمْرِ الخَنْدَقِ، وأمْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ مِن القُرْآنِ القِصّةَ في سُورةِ الأحْزابِ، يَذْكُرُ فيها ما نَزَلَ مِن البَلاءِ، ونِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، وكِفايَتَهُ إيّاهُمْ حِينَ فرَّجَ ذلك عَنْهُمْ، بَعْدَ مَقالةِ مَنْ قالَ مِنْ أهْلِ النِّفاقِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

والجُنُودُ: قُرَيْشٌ، وغَطَفانُ، وبَنُو قُرَيْظَةَ. وكانَت الجُنُودُ الَّتِي أرْسَلَ الله عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ المَلائِكةَ؛ يَقُولُ الله تَعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

فالَّذِينَ جاؤُوهُمْ مِنْ فوْقِهِمْ: بَنُو قُرَيْظَةَ، والَّذِينَ جاؤُوهُم مِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ: قُرَيْشٌ وغَطَفانُ؛ يَقُولُ الله تَبارَكَ وتعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١١-١٢]؛ لِقَوْلِ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيْرٍ إذْ يَقُولُ ما قالَ. ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]؛ لِقَوْلِ أوْسِ بنِ قَيْظِيٍّ ومَنْ كانَ على رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ، ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ [الأحزاب: ١٤]؛ أي: المَدِينةُ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأقْطارُ: الجَوانِبُ، وواحِدُها: قُطْرٌ، وهِيَ الأقْتارُ، وواحِدُها: قُتْرٌ.

قالَ الفَرَزْدَقُ:

كَمْ مِنْ غِنًى فتَحَ الإلَهُ لَهُمْ بِهِ والخَيْــلُ مُقْعِيــةٌ على الأقْطارِ

وَيُرْوى: «على الأقْتارِ»، وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وَقَوْلُهُ سبحانه: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠]، والقلبُ لا ينتقلُ من موضعه، ولَوِ انْتَقَلَ إلى الحَنْجَرةِ لَماتَ صاحِبُهُ، واللهُ سُبْحانَهُ وتعالى لا يَقُولُ إلّا الحَقّ. ففي هَذا دَلِيلٌ عَلى أنّ التَّكَلُّمَ بِالمَجازِ عَلى جِهةِ المُبالَغةِ، فهُوَ حَقٌّ إذا فَهِمَ المُخاطَبُ عَنْك، وهَذا كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف: ٧٧]؛ أيْ: مَثَلُهُ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أنْ يفعلَ الفعلَ ويَهمّ بِهِ، فهُوَ مِنْ مَجازِ التّشْبِيهِ، وكَذَلِكَ هَؤُلاءِ مَثَلُهُمْ فيما بَلَغَهُمْ مِن الخَوْفِ والوَهَلِ وضِيقِ الصَّدْرِ كَمَثَلِ المُنْخَلِعِ قَلبُهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، وقِيلَ: هُوَ عَلى حَذْفِ المُضافِ، تَقْدِيرُهُ: بَلَغَ وَجِيفُ القُلُوبِ الحَناجِرَ. وأمّا قَوْلُهُ: ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: ١٨] فلا مَعْنى لِحَمْلِهِ عَلى المَجازِ؛ لِأنّهُ في صِفةِ هَوْلِ القِيامةِ، والأمْرُ فيهِ أشَدُّ مِمّا تَقَدّمَ، لا سِيّما وقَدْ قالَ في أُخْرى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أيْ: قَدْ فارَقَ القَلبُ الفُؤادَ، وبَقِيَ فارِغًا هَواءً، وفي هَذا دَلِيلٌ عَلى [أنّ](١) القَلبَ غَيْرُ الفُؤادِ، كَأنّ الفُؤادَ هُوَ غِلافُ القَلبِ، ويُؤَيِّدُهُ قَوْلُ

(١) سقط من (ب)

النّبيّ ﷺ في أهْلِ اليَمنِ: «ألينُ قُلوبًا وأرقّ أفْئِدةً»(١)، مَعَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ولم يقل: للقاسيةِ أفئدتُهم، والقسوةُ ضِدُّ اللِّين، فتأمَّله(٢).

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [الأحزاب: ١٤]؛ أي: الرُّجُوعَ إلى الشِّرْكِ، ﴿لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٤، ١٥]، فهُمْ بَنُو حارِثَة، وهُم الَّذينَ هَمُّوا أنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ بَنِي سَلِمةَ حَيْنَ هَمَّتا بِالفَشَلِ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ عاهَدُوا الله ألّا يَعُودُوا لِمِثْلِها أبدًا، فذَكَرَ لَهُم الَّذي أعْطَوْا مِنْ أنْفُسِهِمْ، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٦-١٨]؛ أي: أهْلَ النِّفاقِ، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦-١٨]؛ أيْ: إلّا دَفْعًا وتَعْذِيرًا، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أيْ: لِلضِّغْنِ الَّذي في أنْفُسِهِمْ، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أيْ: إعْظامًا لَهُ وفَرَقًا مِنْهُ، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أيْ: في القَوْلِ بِما لا تُحِبُّونَ؛ لِأنَّهُمْ لا يَرْجُونَ آخِرةً، ولا تَحْمِلُهُمْ حِسْبَةٌ، فهُمْ يَهابُونَ المَوْتَ هَيْبَةَ مَنْ لا يَرْجُو ما بَعْدَهُ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٨: ٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ٢٧٣)، و«مسند أحمد» (٤: ١٥٤).

(٢) في (ف): «فافهمه».

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿سَلَقُوكُم﴾: بالَغُوا فيكُمْ بِالكَلامِ، فأحْرَقُوكُمْ وآذَوْكُمْ. تَقُولُ العَرَبُ: خَطِيبٌ سَلّاقٌ، وخَطِيبٌ مِسْلَقٌ ومِسْلاقٌ. قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

فيهِم المجد والسّماحة والنجـ دة فيهِمْ والخاطِبُ السَّـلّاقُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ [الأحزاب: ٢٠]: قُرَيْشٌ وغَطَفانُ، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]، ثُمَّ أقْبَلَ على المُؤْمِنِينَ، فقالَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ أيْ: لِئَلّا يَرْغَبُوا بِأنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ولا عَنْ مَكانٍ هُوَ بِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ المُؤْمِنِينَ وصِدْقَهُمْ وتَصْدِيقَهُمْ بِما وعَدَهُم الله مِن البَلاءِ يَخْتَبِرُهُمْ بِهِ، فقالَ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]؛ أي: صَبْرًا على البَلاءِ، وتَسْلِيمًا لِلْقَضاءِ، وتَصْدِيقًا لِلْحَقِّ، لِما كانَ الله تَعالى وعَدَهُمْ ورَسُولُهُ ﷺ.

ثُمَّ قالَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أي: فرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، ورجَعَ إلى رَبِّهِ؛ كَمَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ ويَوْمَ أُحُدٍ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَضى نَحْبَهُ: ماتَ، والنَّحْبُ: النَّفْسُ؛ فيما أَخْبَرَنِي أبو عُبَيْدَةَ، وجَمْعُهُ: نُحُوبٌ. قالَ ذُو الرُّمَّةِ:

عَشِـيّةَ فرّ الحارثيّون بعدما ... قضى نحبَهُ في ملتقى الخَيل هَوْبَرُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وهَوْبَرُ: مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ، أرادَ: يَزِيدَ ابن هَوْبَرٍ.

والنَّحْبُ أيْضًا: النَّذْرُ. قالَ جَرِيرُ بنُ الخَطَفى:

بِطِخْفةَ جالَدْنا المُلُوكَ وخَيْلُنا ... عَشِيّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يَقُولُ: على نَذْرٍ كانَتْ نَذَرَتْ أنْ تَقْتُلَهُ فقَتَلَتْهُ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، وبِسْطامٌ: بِسْطامُ بنُ قَيْسِ بنِ مَسْعُودٍ الشَّيْبانِيُّ، وهُوَ ابنُ ذِي الجَدَّيْنِ. حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ: أنَّهُ كانَ فارِسَ رَبِيعةَ بنِ نِزارٍ. وطِخْفةُ: مَوْضِعٌ بِطَرِيقِ البَصْرةِ، والنَّحْبُ أيْضًا: الخِطارُ، وهُوَ: الرِّهانُ. قالَ الفَرَزْدَقُ:

وَإذْ نَحَبَـتْ كَلْـبٌ على النّاسِ أيُّنا ... على النَّحْبِ أعْطى لِلْجَزِيلِ وأفْضَلُ

والنَّحْبُ أيْضًا: البُكاءُ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: يَنْتَحِبُ. والنَّحْبُ أيْضًا: الحاجةُ والهِمّةُ، تَقُولُ: ما لِي عِنْدَهُمْ نَحْبٌ؛ قالَ مالِكُ بنُ نُوَيْرةَ اليَرْبُوعِيُّ:

وَما لِيَ نَحْـبٌ عِنْدَهُمْ غَـيْرَ أنَّنِي ... تَلَمَّسْتُ ما تَبْغِي من الشُّدُن الشُّجْرِ

وَقالَ نَهارُ بنُ تَوْسِعةَ، أحَدُ بَنِي تَيْمِ اللّاتِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عُكابةَ بنِ صَعْبِ ابنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هَؤُلاءِ موالِ بَنِي حَنِيفةَ:

وَنَجّى يُوسُـفَ الثَّقَفيَّ رَكْضٌ دِراكٌ بَعْدَمـا وقَـعَ اللِّواءُ
وَلَـوْ أدْرَكْنَهُ لَقَضَـيْنَ نَحْبًا بِـهِ ولِـكُلِّ مُخْطَـأةٍ وِقـاءُ

والنَّحْبُ أيْضًا: السَّيْرُ الخَفيفُ المُرُّ.

وَقَوْلُـهُ سبحـان: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨]؛ أيْ: المُخَذِّلِينَ لِإخْوانِهِمْ: فيُعَوِّقُونَهُمْ بالتَّخْذيلِ عَنِ الطّاعةِ، لِقَوْلِهِمْ[1]: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]. تَقُولُ: عاقَنِي الأمْرُ عَنْ كَذا، وعَوَّقَنِي فُلانٌ عَنْ كَذا، أيْ صَرَفَنِي عَنْهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أيْ: ما وعَدَ اللهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ، والشَّهادةِ على ما مَضى عَلَيْهِ أصْحابُهُ. يَقُولُ اللهُ تَعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أي: ما شَكُّوا وما تَرَدَّدُوا في دِينِهِمْ، وما اسْتَبْدَلُوا بِهِ غَيْرَهُ. ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤ - ٢٥]؛ أي: قُرَيْشًا وغَطَفانَ ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٦]؛ أي: بَنِي قُرَيْظَةَ، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، والصَّياصِي: الحُصُونُ والآطامُ الَّتِي كانُوا فيها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الحَسْحاسِ، وبَنُو الحَسْحاسِ مِنْ بَنِي أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ:

---

(١) في (ب): «بقولهم».

وَأَصْبَحَتِ الثِّيرانُ صَرْعى وأَصْبَحَتْ   نِســاءُ تَمِيمٍ يَبْتَــدِرْنَ الصَّياصِيا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

والصَّياصِي أيْضًا: القُرُونُ. قالَ النّابِغةُ الجَعْدِيُّ:

وَســادةِ رَهْطِــيَ حَــتّى بَقِيـ   ـتُ فــرْدًا كَصِيصِيةِ الأَعْضَبِ

يَقُولُ: أصابَ المَوْتُ سادةَ رَهْطِي. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ أبو دُوادٍ الإِيادِيُّ:

فَذَعَرْنا سُــحْمَ الصَّياصِي بِأَيْدِيـ   ـهِنَّ نَضْــحٌ مِن الكُحَيْــلِ وقارُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وَذَكَرَ الصّياصِيَّ وأنّها الحُصُونُ، واسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ سُحَيْمٍ يَصِفُ سَيْلًا[١]:

[من الطويل]

وَأَصْبَحَتِ الثِّيرانُ صَرْعى، وأَصْبَحَتْ

نِســاءُ تَمِيــمٍ يَبْتَــدِرْنَ الصَّياصِيا

وَأَلفَيْتُ في حاشِيةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلى هَذا البَيْتِ [قال][٢]: الصَّياصِي [في هذا البيت][٣]: قرونُ الثِّيران المذكورة فيه، لا ما توهَّم ابنُ هِشامٍ أنّها الحُصُونُ والآطامُ، يَقُولُ: لمّا أهلكَ هذا السَّيلُ الثِّيران وغرَّقها أصبحتْ

(١) «ديوانه» (ص: ٣٣).

(٢) عن (ب)، (ص).

(٣) عن (ب).

نساءُ تميمٍ[١] يَبْتَدِرْنَ أَخْذَ قُرُونِها لِيَنْسِجْنَ بِها البُجُدَ، وهي الأكْسِيةُ، قالَ هَذا يَعْقُوبُ عَنِ الأصْمَعِيّ. ويُصَحّحُ هَذا أَنّهُ لا حُصُونَ في بادِيةِ الأعْرابِ[٢].

قال المؤلف: ويُصَحِّحُ هَذا التّفْسِيرَ أيْضًا رِوايةُ أحْمَدَ بنِ داوُدَ لَهُ؛ فإنّهُ أنْشَدَهُ في كِتابِ «النّباتِ» [لَهُ][٣]، فقال فيه: «يلتقطن الصَّياصِيا» ولم يقل: «يَبْتدِرْنَ»، وأنشد: [من الخفيف]

فَذَعَرْنا سُحْمَ الصّياصي بأيديـ ـهِنَّ نَضْحٌ من الكُحَيل وقارُ

الكُحَيل: القَطِران، والقارُ: الزِّفْتُ. شَبّهَ السَّوادَ الّذِي في أيْدِيهِنّ بِنَضْحٍ مِنْ ذَلِكَ الكُحَيْلِ والقارِ، يَصِفُ بَقَر وحْشٍ[٤].

والصَّياصِي أيْضًا: الشّوْكُ الّذي لِلنَّسّاجِينَ، فيما أخْبَرَنِي أبو عُبَيْدَةَ.

وأنْشَدَنِي لِدُرَيْدِ بنِ الصِّمّةِ الجُشَمِيِّ، جُشَمُ بنُ مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ:

نَظَرْتُ إلَيْهِ والرِّماحُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والصَّياصِي أيْضًا: الّتِي تَكُونُ في أرْجُلِ الدِّيَكةِ ناتِئةً كَأنَّها القُرُونُ الصِّغارُ. والصَّياصِي أيْضًا: الأُصُولُ. أخْبَرَنِي أبو عُبَيْدَةَ أنَّ العَرَبَ تَقُولُ: جَذَّ اللهُ صِيصِيتَهُ؛ أي: أصْلَهُ.

---

(١) في (ف): «بني تميم».
(٢) انظر: «اللسان» (صيص، صيا).
(٣) ليس في (ص).
(٤) في (ف): «الوحش».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٦]؛ أيْ: قَتَلَ الرِّجالَ، وسَبى الذَّرارِيَّ والنِّساءَ، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ [الأحزاب: ٢٧]؛ يَعْنِي: خَيْبَرَ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

وأَنْشَدَ لِدُرَيْدِ بنِ الصِّمّةِ [الجُشميّ][1]: [من الطويل]

كَوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ[2]

وَحَمَلَهُ الأَصْمَعِيُّ عَلى ما تَقَدّمَ في البَيْتِ قَبْلَ هَذا مِنْ أَنّها القُرُونُ الّتِي يُنْسَجُ بِها، لا أَنّها شَوْكٌ كَما قالَ ابنُ هِشامٍ.

* * *

(١) عن (س).

(٢) «ديوان الحماسة بشرح المرزوقي» (ص: ٨١٦). يشبه وقع الرماح بأخيه عبد الله بوقع الصياصي في النسيج الممدود إذا أُريدَ تمييز طاقات السّدى بعضها من بعض.

[وَفاةُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وما ظَهَرَ مَعَ ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْقَضى شَأْنُ بَنِي قُرَيْظةَ انْفَجَرَ بِسَعْدِ بنِ مُعاذٍ جُرْحُهُ، فماتَ مِنْهُ شَهِيدًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُعاذُ بنُ رِفاعةَ الزُّرَقِيُّ، قالَ: حَدَّثَنِي مَنْ شِئْتُ مِنْ رِجالِ قَوْمِي: أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أتى رَسُولَ الله ﷺ حِينَ قُبِضَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعِمامةٍ مِنْ إسْتَبْرَقٍ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، مَنْ هذا المَيِّتُ الَّذي فُتِّحَتْ لَهُ أبْوابُ السَّماءِ، واهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ؟ قالَ: فقامَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيعًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ إلى سَعْدٍ، فوَجَدَهُ قَدْ ماتَ!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قالَتْ: أقْبَلَتْ عائِشةُ قافِلةً مِنْ مَكّةَ، ومَعَها أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، فلَقِيَهُ مَوْتُ امْرَأةٍ لَهُ، فحَزِنَ عَلَيْها بَعْضَ الحُزْنِ، فقالَتْ لَهُ عائِشةُ: يَغْفِرُ الله لَكَ يا أبا يَحْيى، أتَحْزَنُ على امْرَأةٍ وقَدْ أُصِبْتَ بِابنِ عَمِّكَ، وقَد اهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ؟!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، قالَ: كانَ سَعْدٌ رَجُلًا بادِنًا، فلَمّا حَمَلَهُ النّاسُ وجَدُوا لَهُ خِفّةً، فقالَ رِجالٌ مِن المُنافِقِينَ: والله إنْ كانَ لَبادِنًا، وما حَمَلْنا مِنْ جِنازةٍ أخَفَّ مِنْهُ. فبَلَغَ ذلك رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: «إنَّ لَهُ حَمَلةً غَيْرَكُمْ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَد اسْتَبْشَرَتِ المَلائِكةُ بِرُوحِ سَعْدٍ، واهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مُعاذُ بنُ رِفاعةَ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: لَمّا دُفِنَ سَعْدٌ ونَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، سَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ فسَبَّحَ النّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرَ النّاسُ مَعَهُ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قالَ: «لَقَدْ تَضايَقَ على هذا العَبْدِ الصّالِحِ قَبْرُهُ، حَتّى فرَّجَهُ الله عَنْهُ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومَجازُ هذا الحَدِيثِ قَوْلُ عائِشَةَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمّةً، لَوْ كانَ أحَدٌ مِنْها ناجِيًا لَكانَ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولِسَعْدٍ يَقُولُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ:

وَما اهْتَزَّ عَرْشُ الله مِنْ مَوْتِ هالِكٍ ... سَمِعْنا بِهِ إلّا لِسَعْدٍ أبي عَمْرِو

وَقالَتْ أُمُّ سَعْدٍ حِينَ احْتُمِلَ نَعْشُهُ وهِيَ تَبْكِيهِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ كُبَيْشَةُ بِنْتُ رافِعِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ بنِ الأبْجَرِ، وهُوَ خُدْرَةُ بنُ عَوْفِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ:

وَيْلُ امِّ سَعْدٍ سَعْدا ... صَرامَةً وحَدّا

وَسُؤدَدًا ومَجْدا ... وفارِسًا مُعَدّا

سُدَّ بِهِ مَسَدّا ... يَقُدُّ هامًا قَدّا

يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ نائِحَةٍ تَكْذِبُ، إلّا نائِحَةَ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ».

[شُهَداءُ يَوْمِ الخَنْدَقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمْ يُسْتَشْهَدْ مِن المُسْلِمِينَ يَوْمَ الخَنْدَقِ إلّا سِتّةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ: سَعْدُ بنُ مُعاذٍ، وأنَسُ بنُ أوْسِ بنِ عَتِيكِ بنِ عَمْرٍو، وعَبْدُ الله بنُ سَهْلٍ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُشَمَ]

وَمِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: الطُّفيلُ بنُ النُّعْمانِ، وثَعْلَبَةُ بنُ غَنْمَةَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي دِينارٍ: كَعْبُ بنُ زَيْدٍ، أصابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فقَتَلَهُ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ، بِإضافةٍ وغَيْرِ إضافةٍ، وهُوَ الَّذي لا يُعْرَفُ مِنْ أيْنَ جاءَ، ولا مَنْ رَمى بِهِ.

[قَتْلى المُشْرِكِينَ]

وَقُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُنَبِّهُ بنُ عُثْمانَ بنِ عُبَيْدِ بنِ السَّبّاقِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، أصابَهُ سَهْمٌ، فماتَ مِنْهُ بِمَكّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ عُثْمانُ بنُ أُمَيّةَ بنِ مُنَبِّهِ بنِ عُبَيْدِ بنِ السَّبّاقِ.

[عَرْضُ المُشْرِكِينَ على الرَّسُولِ شِراءَ جَسَدِ نَوْفَلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ الله بنِ المُغِيرةِ، سَألُوا رَسُولَ الله ﷺ أنْ يَبِيعَهُمْ جَسَدَهُ، وكانَ اقْتَحَمَ الخَنْدَقَ، فتَوَرَّطَ فيهِ، فقُتِلَ، فغَلَبَ المُسْلِمُونَ على جَسَدِهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا حاجَةَ لَنا في جَسَدِهِ ولا بِثَمَنِهِ»، فخَلّى بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أعْطَوْا رَسُولَ الله ﷺ بِجَسَدِهِ عَشَرةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فيما بَلَغَنِي عَن الزُّهْرِيِّ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ حِسْلٍ: عَمْرُو بنُ عَبْدِ وُدٍّ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي الثِّقةُ أنَّهُ حُدِّثَ عَن ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، أنَّهُ قالَ: قَتَلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَمْرَو بنَ عَبْدِ وُدٍّ، وابنَهُ حِسْلَ بنَ عَمْرٍو.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَمْرُو بنُ عَبْدِ وُدٍّ، ويُقالُ: عَمْرُو بنُ عَبْدٍ.

[شُهَداءُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: واسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ مِن المُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: خَلّادُ بنُ سُوَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرٍو، طُرِحَتْ عَلَيْهِ رَحًى، فشَدَخَتْهُ شَدْخًا شَدِيدًا، فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ لَهُ لَأجْرَ شَهِيدَيْنِ».

وَماتَ أبو سِنانِ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ، أخُو بَنِي أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ مُحاصِرٌ بَنِي قُرَيْظَةَ، فدُفِنَ في مَقْبَرةِ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّتِي يَدْفِنُونَ فيها اليَوْمَ، وإلَيْهِ دَفَنُوا أمْواتَهُمْ في الإسْلامِ.

[بَشَّرَ الرَّسُولُ المُسْلِمِينَ بِغَزْوِ قُرَيْشٍ]

وَلَمّا انْصرَفَ أهْلُ الخَنْدَقِ عَن الخَنْدَقِ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنِي: «لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عامِكُمْ هذا، ولَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ». فلَمْ تَغْزُهُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ ذلك، وكانَ هُوَ الَّذي يَغْزُوها، حَتّى فتحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكّةَ.

وَذَكَرَ اهْتِزازَ العَرْشِ، وقَدْ تكَلّمَ النّاسُ في مَعْناهُ، وظَنُّوا أنّهُ مُشْكِلٌ، وقد قالَ بَعْضُهُم: الِاهْتِزازُ هاهُنا بِمَعْنى الِاسْتِبْشارِ بِقُدُومِ رُوحِهِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: يُرِيدُ حَمَلةَ العَرْشِ ومَنْ عِنْدَهُ مِنَ المَلائِكةِ؛ اسْتِبْعادًا مِنْهُمْ لِأنْ[1] يَهْتَزّ العَرْشُ عَلى الحَقِيقةِ، ولا بُعْدَ فيهِ؛ لِأنّهُ مَخْلُوقٌ تَجُوزُ عَلَيْهِ الحَرَكةُ والهَزّةُ، ولا يُعْدَلُ عَنْ ظاهِرِ اللّفْظِ ما وُجِدَ إليه سبيلٌ، وحديثُ اهتزازِ العرشِ لموتِ سَعْدٍ صَحِيحٌ؛ قالَ أبُو عُمَرَ: هُوَ ثابِتٌ مِنْ طُرُقٍ[2] مُتَواتِرةٍ، وما رُوِيَ مِنْ قَوْلِ[3] البَراءِ بنِ عازِبٍ في مَعْناهُ: «إنّهُ سَرِيرُ سَعْدٍ اهْتَزّ» لَمْ يَلتَفِتْ إلَيْهِ العُلَماءُ، وقالُوا[4]: كانَتْ

---

(١) في (ف): «أن».

(٢) في (ف): «طريق».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار: (٧: ١٢٢-١٢٣).

(٤) القائل هو جابر راوي الحديث، وفسر الخطابي مقالة جابر بأنّ سعدًا كان من الأوس والبراء خزرجي، والخزرج لا تقر للأوس بفضل. كذا قال الخطابي. ورُدَّ عليه بأنّ البراء أيضًا أوسيّ، أما الذي هو من الخزرج فجابر، وقال ذلك اعترافًا بالفضل لأهله، وكأنه قال: أنا وإن كنتُ خزرجيًّا، وكان بين الحيين ما كان، لا يمنعني ذلك أن أقول الحق. انظر: «فتح الباري» (٧: ١٢٣).

بَيْنَ هَذَيْنِ الحَيّيْنِ [مِنَ الأنْصارِ][١] ضَغائِنُ. وفي لفظ الحَدِيثِ: «اهْتَزّ عَرْشُ الرّحْمَنِ»، رَواهُ أبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جابِرٍ يَرْفَعُهُ، ورَواهُ البُخارِيّ مِنْ طَرِيقِ الأعْمَشِ عَنْ أبِي صالِحٍ وأبِي سُفْيانَ، كِلاهُما عَنْ جابِرٍ، ورَواهُ مِنَ الصّحابَةِ جَماعةٌ غَيْرُ جابِرٍ، مِنْهُمْ أبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ، وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، ورُمَيْثَةُ بِنْتُ عَمْرٍو، ذَكَرَ ذَلِكَ التّرْمِذِيّ[٢]. والعَجَبُ لِما رُوِيَ عَنْ مالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ إنْكارِهِ لِلحَدِيثِ، وكَراهِيَتِهِ لِلتّحَدُّثِ بِهِ مَعَ صِحّةِ نَقْلِهِ، وكَثْرةِ الرُّواةِ لَهُ، ولَعَلّ هَذِهِ الرّوايةَ لَمْ تَصِحّ عَنْ مالِكٍ، واللهُ أعْلَمُ.

* * *

(١) ليس في (ب).

(٢) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٤: ٢٣٤-٢٣٥).

ما قِيلَ مِن الشِّعْرِ في أمْرِ الخَنْدَقِ وبَنِي قُرَيْظَةَ

[شِعْرُ ضِرارٍ]

وَقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ بنِ مِرْداسٍ، أخُو بَنِي مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، في يَوْمِ الخَنْدَقِ:

وَمُشْـفِقةٍ تَظُنُّ بِنا الظَّنُونا ... وقَدْ قُدْنا عَرَنْدَسَـةً طَحُونا
كَأنَّ زُهاءَهـا أُحُـدٌ إذا ما ... بَـدَتْ أرْكانُـهُ لِلنّاظِرِينـا
تَرى الأبْدانَ فيها مُسْبِغاتٍ ... على الأبْطالِ واليَلَبَ الحَصِينا
وَجُرْدًا كالقِداحِ مُسَـوَّماتٍ ... نَؤُمُّ بهـا الغُـواةَ الخاطِئِينا
كَأنَّهُـمُ إذا صالُـوا وصُلْنا ... ببـابِ الخَنْدَقَيْنِ مُصافِحُونا
أُناسٌ لا نَرى فيهِمْ رَشِـيدًا ... وقَدْ قالُوا: ألَسْـنا راشِدِينا؟
فَأحْجَرْناهُـمُ شَـهْرًا كَرِيتًا ... وكُنّـا فوْقَهُـمْ كالقاهِرِينـا
نُراوِحُهُـمْ ونَغْـدُو كُلَّ يَوْمٍ ... عَلَيْهِمْ في السِّلاحِ مُدَجَّجِينا
بِأيْدِينـا صَـوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... نَقُدُّ بها المفارِقَ والشُّـؤونا
كَأنَّ ومِيضَهُـنَّ مُعَرَّيـاتٍ ... إذا لاحَتْ بِأيْـدِي مُصْلِتِينا
وَمِيضُ عَقِيقـةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ ... تَرى فيها العَقائِقَ مُسْـتَبِينا
فَلَوْلا خَنْـدَقٌ كانُـوا لَدَيْهِ ... لَدَمَّرْنـا عَلَيْهِـمْ أجْمَعِينـا
وَلَكِنْ حـالَ دُونَهُمُ وكانُوا ... بِـهِ مِـنْ خَوْفِنـا مُتَعَوِّذِينا

فَإِنْ نَرْحَلْ فإنّا قَدْ تَرَكْنا لَدى أَبْياتِكُمْ سَعْدًا رَهِينا
إذا جَنَّ الظَّلامُ سَمِعْتَ نَوْحى على سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الحَنِينا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمّا قَرِيبٍ كَما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينا
بِجَمْعٍ مِنْ كِنانَةَ غَيْرِ عُزْلٍ كَأُسْدِ الغابِ قَدْ حَمَتِ العَرِينا

فَصْلٌ في أَشْعارِ يَوْمِ الخَنْدَقِ

ذَكَرَ فيها من شِعْرِ ضِرارِ بنِ الخَطّابِ: [من الوافر]

عَلى الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينا

اليلب: التِّرَسةُ[1]، وقِيلَ: الدّرَقُ، وقِيلَ: بَيْضاتٌ ودُرُوعٌ كانَتْ تُتَّخَذُ مِنْ جُلُودِ الإبِلِ، ويَشْهَدُ لِهَذا قَوْلُ حبيب[2]: [من البسيط]

هذي الأَسِنّةُ والماذِيُّ قَدْ كَثُرا فلا الصَّياصِي لَها قَدْرٌ ولا اليَلَبُ

أيْ: لا حاجةَ بَعْدَ وُجُودِ الدُّرُوعِ الماذِيّةِ إلى اليَلَبِ، وبَعْدَ الأَسِنّةِ إلى الصَّياصِي، وهي القُرُونُ، كانَتْ أَسِنّتُهُمْ مِنْها في الجاهِلِيّةِ. قالَ الشّاعِرُ[3]: [من الوافر]

يُهَزْهِزُ[4] صَعْدةً جَرْداءَ فيها نَقِيعُ السُّمِّ أَوْ قَرْنٌ مُحِيقُ

* * *

(١) التِّرَسة: جمع تُرْس، وهو ما كان يتوقى به في الحرب. والدرق: واحده درقة، وهي الترس من جلد. والبيضة: الخوذة.
(٢) «ديوان أبي تمام» (ص: ٥٠). والماذي: كل سلاح من حديد.
(٣) هو المفضل النكري، والبيت من قصيدته المنصفة، في «الأصمعيات» (ص: ٢٠١).
(٤) في (ف): «تهزهز».

[شِعْرُ كَعْبٍ في الرَّدِّ على ضرار]

فَأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ، أخُو بَنِي سَلِمَةَ، فقالَ:

وَسـائِلةٍ تُسـائِلُ: ما لَقِينا؟ وَلَوْ شَـهِدَتْ رَأتْنا صابِرِينا
صَبَرْنـا لا نَـرى لله عَدْلًا على مـا نابَنـا مُتَوَكِّلِينـا
وَكانَ لَنا النَّـبِيُّ وزِيرَ صِدْقٍ بِـهِ نَعْلُـو البَرِيَّـةَ أجْمَعِينا
نُقاتِلُ مَعْـشَرًا ظَلَمُوا وعَقُّوا وكانُـوا بِالعَـداوةِ مُرْصِدِينا
نُعاجِلُهُـمْ إذا نَهَضُـوا إلَيْنا بِضَرْبٍ يُعْجِـلُ المُتَسَرِّعِينا
تَرانا في فضافِضَ سـابِغاتٍ كَغُدْرانِ المَـلا مُتَسَرْبِلِينا
وَفي أيْمانِنـا بِيـضٌ خِفافٌ بِها نَشْـفِي مِراحَ الشّاغِبِينا
بِبابِ الخَنْدَقَيْنِ كَأنَّ أُسْـدًا شَـوابِكُهُنَّ يَحْمِينَ العَرِينا
فوارِسُـنا إذا بَكَرُوا وراحُوا على الأعْداءِ شُوسًـا مُعْلِمِينا
لِنَنْـصُرَ أحْمَـدًا واللهَ حَتّى نَكُونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينا
وَيَعْلَمَ أهْلُ مَكّةَ حِينَ سارُوا وأحْـزابٌ أتَـوْا مُتَحَزِّبِينا
بِـأنَّ اللهَ لَيْـسَ لَهُ شَرِيكٌ وأنَّ اللهَ مَـوْلى المُؤْمِنِينـا
فَإمّا تَقْتُلُوا سَـعْدًا سَـفاهًا فَـإنَّ اللهَ خَـيْرُ القادِرِينـا
سَـيُدْخِلُهُ جِنانًـا طَيِّباتٍ تَكُـونُ مُقامَـةً لِلصّالِحِينا
كَما قَدْ رَدَّكُـمْ فَلًّا شَرِيدًا بِغَيْظِكُـمُ خَزايـا خائِبِينا
خَزايـا لَـمْ تَنالُوا ثَـمَّ خَيْرًا وكِدْتُـمْ أنْ تَكُونُوا دامِرِينا
بِرِيحٍ عاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ فكُنْتُـمْ تَحْتَهـا مُتَكَمِّهِينا

[شِعْرُ ابنِ الزِّبَعْرى]

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ في يَوْمِ الخَنْدَقِ:

حَتّى الدِّيارَ مَحا مَعارِفَ رَسْـمِها ... طُولُ البِلى وتَـراوُحُ الأحقابِ
فَكَأنَّما كَتَبَ اليَهُودُ رُسُـومَها ... إلّا الكَنِيـفَ ومَعْقِدَ الأطْنابِ
قَفْرًا كأنَّكَ لَـمْ تَكُنْ تَلْهُو بِها ... في نِعْمـةٍ بِأوانِـسٍ أتْـرابِ
فاتْرُكْ تَذَكُّرَ ما مَضى مِنْ عِيشَةٍ ... ومَحِلَّـةٍ خَلَـقِ المَقـامِ يَبابِ
واذْكُرْ بَلاءَ مَعاشِرٍ واشْـكُرْهُمُ ... سـارُوا بِأجْمَعِهِمْ مِن الأنْصابِ
أنْصابِ مَكَّةَ عامِدِيـنَ لِيَثْرِبٍ ... في ذِي غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ
يَدَعُ الحُـزُونَ مَناهِجًا مَعْلُومَةً ... في كُلِّ نَـشْرٍ ظاهِـرٍ وشِـعابِ
فيها الجِيـادُ شَـوازِبٌ مَجْنُوبَةٌ ... قُـبُّ البُطُونِ لَواحِـقُ الأقْرابِ
مِنْ كُلِّ سَـلْهَبةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كالسِّـيدِ بادَرَ غَفْلَـةَ الرُّقّابِ
جَيْـشُ عُيَيْنَةُ قاصِـدٌ بِلِوائِهِ ... فيهِ وصَخْـرٌ قائِـدُ الأحْزابِ
قَرْمانِ كالبَدْرَيْـنِ أصْبَحَ فيهِما ... غَيْثُ الفَقِيرِ ومَعْقِـلُ الهُرّابِ
حَتّى إذا ورَدُوا المَدِينَةَ وارْتَدَوْا ... لِلْمَـوْتِ كُلَّ مُجَـرَّبٍ قَضّـابِ
شَـهْرًا وعَشْرًا قاهِرِيـنَ مُحَمَّدًا ... وصِحابُهُ في الحَرْبِ خَيْرُ صِحابِ
نادَوْا بِرِحْلَتِهِـمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمُ ... كِدْنا نَكُونُ بِها مَـعَ الخُيّابِ
لَوْلا الخَنادِقُ غادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ ... قَتْـلى لِطَـيْرٍ سُـغَّبٍ وذِئابِ

وَذَكَرَ في شِعْرِ كَعْبٍ: [من الوافر]

فَكُنْتُمْ تَحْتَها مُتَكَمِّهِينا

مُتَفَعِّلِينَ مِن الكَمَهِ وهُوَ العَمى، والأظهر في الأكمه أنه الذي يُولَدُ أعْمى،

وقَـدْ قِيلَ فيـهِ: إنّهُ الّذِي لا يُبْصِـرُ بِاللّيْلِ شَيْئًا، ذَكَـرَ هَذا القَوْلَ البُخـارِيُّ في التّفْسِيرِ(١).

[شِعْرُ حَسّانَ]

فَأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ، فقالَ:

هَلْ رَسْمُ دارِسَـةِ المَقامِ يَبابِ ... مُتَكَلِّـمٌ لِمُحـاوِرٍ بِجَـوابِ؟
قَفْرٌ عَفا رِهَمُ السَّحابِ رُسُومَهُ ... وهُبُـوبُ كُلِّ مُطِلَّـةٍ مِرْبابِ
وَلَقَدْ رَأيْتُ بها الحُلولَ يَزِينُهُمْ ... بِيضُ الوُجُوهِ ثَواقِبُ الأحْسابِ
فَدَعِ الدِّيـارَ وذِكْرَ كُلِّ خَرِيدةٍ ... بَيْضاءَ آنِسَـةِ الحَدِيثِ كَعابِ
واشْكُ الهُمُومَ إلى الإلَهِ وما تَرى ... مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضابِ
سـارُوا بِأجْمَعِهِمْ إلَيْـهِ وألَّبُوا ... أهْلَ القُرى وبَوادِيَ الأعْرابِ
جَيْشُ عُيَيْنَةَ وابنُ حَرْبٍ فيهِمُ ... مُتَخَمِّطُونَ بِحَلْبَـةِ الأحْزابِ
حَتّى إذا ورَدُوا المَدِينةَ وارْتَجَوْا ... قَتْلَ الرَّسُولِ ومَغْنَمَ الأسْلابِ
وَغَدَوْا عَلَيْنا قادِرِينَ بِأيْدِهِمْ ... رُدُّوا بِغَيْظِهِـمُ على الأعْقابِ
بِهُبُوبِ مُعْصِفةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ ... وجُنُـودِ رَبِّكَ سَـيِّدِ الأرْبابِ
فَكَـفى الإلَهُ المُؤْمِنِينَ قِتالَهُمْ ... وأثابَهُمْ في الأجْـرِ خَيْرَ ثَوابِ
مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا ففَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... تَنْزِيلُ نَـصْرِ مَلِيكِنا الوَهّابِ
وَأقَرَّ عَـيْنَ مُحَمَّـدٍ وصِحابِهِ ... وأذَلَّ كُلَّ مُكَـذِّبٍ مُرْتـابِ
عاتِي الفُـؤادِ مُوَقَّـعٍ ذِي رِيبةٍ ... في الكُفْرِ لَيْسَ بِطاهِرِ الأثْوابِ
عَلِقَ الشَّـقاءُ بِقَلْبِـهِ ففُؤادُهُ ... في الكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الأحْقابِ

(١) «صحيح البخاري»: كتاب أحاديث الأنبياء (٤: ١٦٤). (ج)

وَفيهِ قَوْلُهُ[١]: [من الكامل]

مِنْ نصرِ رَبِّكَ سَيّدِ الأرْبابِ

فيهِ شاهِدٌ لِمَنْ زَعَمَ أنّ السّيّدَ مِنْ أسْماءِ اللهِ، وقد كره [أكثرُ][٢] العلماء أن يُقال في الدُّعاءِ: يا سَيّدِي، وأجازَهُ بَعْضُهُمْ، واحْتَجّ بِحَدِيثٍ لَيْسَ إسْنادُهُ بِالقَوِيّ؛ أنّ رسول الله ﷺ قالَ لَهُ رَجُلٌ: يا سَيِّدِي[٣]، فقالَ [له][٤]: «السّيّدُ اللهُ».

وَأمّا مَذْهَبُ القاضِي[٥] في مِثْلِ هَذا مِنَ الأسْماءِ الّتِي يُرادُ بِها المَدْحُ والتّعْظِيمُ فذِكْرُ اللهِ بِهِ جائِزٌ ما لم يردْ نهيٌ عنه، أو تُجمِع الأُمّةُ عَلى تَرْكِ الدّعاءِ بِهِ، كَما أجْمَعُوا ألّا يُسَمّى بِفَقِيهٍ ولا عاقِلٍ ولا سَخِيٍّ، وإنْ كانَ في ذَلِكَ مَدْحٌ.

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسم: والّذِي أقُولُ في السَّيِّدِ: إنّهُ اسْمٌ يُعْتَبَرُ بالإضافةِ؛ لِأنّهُ في أصْلِ الوَضْعِ بَعْضُ ما أُضِيفَ إلَيْهِ. تَقُولُ: فُلانٌ سَيّدُ قَيْسٍ، إذا كانَ واحِدًا مِنْهُمْ، ولا يُقالُ في قَيْسِيٍّ: هُوَ سَيّدُ تَمِيمٍ؛ لِأنّهُ لَيْسَ واحِدًا مِنْهُمْ، فكَذَلِكَ[٦] لا يُقالُ في اللهِ عزّ وجلّ: هُوَ سَيِّدُ النّاسِ، ولا سَيِّدُ المَلائِكَةِ، وإنّما يُقالُ: رَبّهُمْ، فإذا قُلت: سَيّدُ الأرْبابِ، وسَيّدُ الكُرَماءِ، جازَ؛ لِأنّ مَعْناهُ أكْرَمُ الكُرَماءِ، وأعْظَمُ الأرْبابِ، ثُمّ يُشْتَقُّ لَهُ مِن اسْمِ الرّبِّ فيُوصَفُ بالرُّبوبيّة، ومن

---

(١) في (س): «وفيه من شعر حسان بن ثابت قوله».

(٢) ليس في (أ).

(٣) في (ف): «سيد».

(٤) عن (أ)، (ص).

(٥) هو القاضي الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٧: ١٩٠).

(٦) في غير (ص)، (ب)، (ف): «فلذلك».

اسم الإله فيوصَفُ بالإلهية، ولا يُشتَقُّ له من السيِّد فيوصَفُ بالسُّؤدَدِ][(١)؛ لأنه ليس باسمٍ لَهُ عَلى الإطْلاقِ، وقَدْ جاءَ في شِعْرِ حسّان الذي رثى به النبيَّ ﷺ:

............وذا[(٢)] العلا والسُّودَدِ

يَصِفُ الرّبّ. ولَكِنْ لا تَقُومُ الحُجّةُ في إطْلاقِ هَذِهِ الأسْماءِ إلّا أنْ يَسْمَعَها[(٣)] الرَّسُولُ ﷺ فلا يُنْكِرَها، كَما سَمِعَ شِعْرَ كَعْبٍ [فلَمْ يُنْكِرْهُ][(٤)]، وإنّما يُوصَفُ عَلى الوَجْهِ الّذِي قَدّمْناهُ، وعَلى المَعْنى الّذِي بَيّنّاهُ.

* * *

(١) عن (ج)، (ص). ومكانه في غيرهما: «ولا يوصف بالسؤدد».

(٢) في النسخ: «إذا». وسيأتي في نهاية «السيرة» (٢: ٦٧٠)، والبيت في «ديوانه» (١: ٢٦٩) وهو بتمامه:

في جنةِ الفــردوسِ واكتُبها لنا ... يا ذا الجلالِ وذا العلا والسؤددِ

(٣) في (أ): «إذا سمعها».

(٤) سقط من (ب).

[شِعْرُ كَعْبٍ]

وَأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيْضًا، فقالَ:

أبْقى لَنا حَـدَثُ الحُـرُوبِ بَقِيّةً ... مِنْ خَـيْرِ نِحْلَـةِ رَبِّنـا الوَهّابِ
بَيْضاءَ مُشْرِفَـةَ الذُّرى ومَعاطِنًا ... حُـمَّ الجُذُوعِ غَزِيـرَةَ الأحْلابِ
كاللُّوبِ يُبْـذَلُ جَمُّهـا وحَفيلُها ... لِلْجـارِ وابـنِ العَـمِّ والمُنْتابِ
وَنَزائِعًـا مِثْلَ الـسِّراجِ نَمى بِها ... عَلَفُ الشَّـعِيرِ وجِزَّةُ المِقْضابِ
عَرِيَ الشَّوى مِنْها وأرْدَفَ نَحْضَها ... جُـرْدَ المُتُـونِ وسـائِرِ الآرابِ
قُودًا تَـراحُ إلى الصِّياحِ إذْا غَدَتْ ... فِعْـلَ الـضِّراءِ تَـراحُ لِلْكُلّابِ
وَتَحُـوطُ سـائِمَةَ الدِّيـارِ وتارةً ... تُرْدِي العِدا وتَؤُوبُ بالأسْـلابِ
حُوشَ الوُحُوشِ مُطارةً عِنْدَ الوَغى ... عُبْـسَ اللِّقاءِ مُبِينـةَ الإنْجابِ
عُلِفتْ على دَعةٍ فصـارَتْ بُدَّنًا ... دُخْسَ البَضِيعِ خَفيفةَ الأقْصابِ
يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ المُضاعَفِ شَكُّهُ ... وبِمُتْرَصاتٍ في الثِّقـافِ صِيابِ
وَصَـوارِمٌ نَزَعَ الصَّياقِـلُ غَلْبَها ... وبِكُلِّ أرْوَعَ ماجِدِ الأنْسـابِ
يَصِلُ اليَمِـينَ بِمـارِنٍ مُتَقارِبٍ ... وُكِلَـتْ وقِيعَتُـهُ إلى خَبّـابِ
وَأغَـرَّ أزْرَقَ في القَنـاةِ كَأنَّـهُ ... في طُخْيَةِ الظَّلْماءِ ضَوْءُ شِـهابِ
وَكَتِيبـةٍ يَنْـفِي القِـرانَ قَتِيرُها ... وتَـرُدُّ حَـدَّ قَواحِـزِ النُّشّـابِ
جَـأْوى مُلَمْلِمـةً كَأنَّ رِماحَها ... في كُلِّ مَجْمَعَـةٍ ضَرِيمـةُ غابِ
يَـأْوِي إلى ظِـلِّ اللِّـواءِ كَأنَّـهُ ... في صَعْـدةِ الخَطِّـيِّ فَيْءُ عُقابِ
أعْيَتْ أبـا كَرِبٍ وأعْيَـتْ تُبَّعًا ... وأبَـتْ بَسـالَتُها على الأعْرابِ

وَمَواعِظٌ مِنْ رَبِّنا نُهْدى بِها ... بِلِسانٍ أزْهَرَ طَيِّبِ الأثْوابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنا فاشْتَهَيْنا ذِكْرَها ... مِنْ بَعْدِ ما عُرِضَتْ على الأحْزابِ
حِكَمًا يَراها المُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ ... حَرَجًا ويَفْهَمُها ذَوُو الألْبابِ
جاءَتْ سَخِينةُ كَيْ تُغالِبَ رَبَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَني مَنْ أثِقُ بِهِ، قالَ: حَدَّثَني عَبْدُ المَلِكِ بنُ يَحْيى ابنِ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: لَمّا قالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ:

جاءَتْ سَخِينةُ كَيْ تُغالِبَ رَبَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

قالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «لَقَدْ شَكَرَكَ الله يا كَعْبُ على قَوْلِكَ هذا».

وَقَوْل كَعْبٍ: [من الكامل]

بيضاءَ مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطِنًا

يَعْنِي: الآطامَ، وقَوْلُهُ: «ومَعاطِنًا» يَعْنِي: مَنابِتَ النَّخْلِ عند الماء، شبَّهها بِمَعاطِنِ الإبِلِ، وهي مَبارِكُها عِنْدَ الماءِ.

وَقَوْلُهُ: «حُمَّ الجُذُوعِ»، وصَفَها بِالحُمّةِ، وهي السَّوادُ؛ لِأنَّها تَضْرِبُ إلى السَّوادِ، مِن الخُضْرةِ والنّعْمةِ، وشَبّهَ ما يُجْتَنى مِنْها بِالحَلَبِ فقالَ: «غَزِيرةَ الأحْلابِ».

وَقَوْلُهُ: «كاللُّوبِ» اللُّوبُ: جَمْعُ لُوبةٍ، واللّابُ جَمْعُ لابةٍ وهي الحَرّةُ، يُقالُ: ما بَيْنَ لابَتَيْها مِثْلُ فُلانٍ، ولا يُقالُ ذَلِكَ في كُلّ بَلَدٍ، فقَدْ قالَ شَبِيبُ بنُ شَيبةَ[1] لِرَجُلٍ نَسَبَهُ إلى التّصْحِيفِ في حَدِيثِ السِّقْطِ: «إنّهُ يَظَلُّ مُحْبَنْطِيًا عَلى

(١) هو: شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري أبو معمر البصري الخطيب البليغ، =

بابِ الجَنّةِ»[١]، فقالَ: شَبيبٌ: بِالظّاءِ مَنْقُوطةً[٢]، فقالَ لهُ الرّجُلُ: أخْطَأْتَ، إنّما هُوَ[٣] بِالطّاءِ. قالَ الرّاجِزُ[٤]: [من الرجز]

إنّي إذا اسْتُنْشِدْتُ لا أحْبَنْطِي ... ولا أُحِبُّ كَثْرةَ التَّمَطِّي

فَقالَ لَهُ شَبِيبٌ: أتُلَحِّنُني وما بَيْنَ لابَتَيْها أفْصَحُ مِنِّي؟! فقالَ لَهُ الرّجُلُ: وَهَذِهِ لَحْنةٌ أُخْرى، أوَللبصرةِ لابتان؟! إنما اللّابتان للمدينةِ والكوفةِ[٥].

وَقَوْلُهُ: «يُبْذَلُ جَمُّها وحَفيلُها»، أيْ: الكَثِيرُ مِنْها. والمُنْتاب: الزّائِرُ، مُفْتَعِلٌ مِنْ نابَ يَنُوبُ إذا ألَمّ.

وَقَوْلُهُ: «ونَزائِعًا مِثْلَ السّراجِ»، يَعْنِي الخَيْلَ الغَرِيبةَ[٦] الّتِي نُزِعَتْ مِنَ الأعْداءِ.

وَقَوْلُهُ: «مِثْلَ السّراجِ» بِالجِيمِ، كَذا وقَعَ في الأصْلِ، أيْ كُلُّ واحِدٍ مِنْها كالسّراجِ، ووَقَعَ في الحاشِيةِ بِالحاءِ، وفَسّرَهُ فقالَ: جَمْعُ سِرْحانٍ، وهُوَ الذِّئْبُ، وهَذا الجَمْعُ إنّما جازَ عَلى تَقْدِيرِ حَذْفِ الزّائِدَتَيْنِ مِنَ الِاسْمِ، وهي الألِفُ والنّونُ، ولَوْ جَمَعَهُ عَلى لَفْظِهِ لَقالَ: سَراحِين.

= أخباري، صدوق يهم في الحديث، من السابعة، توفّي في حدود ١٧٠هـ. «تقريب التهذيب» (ص: ٢٦٣). (ج)

(١) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ١٣٠). وتكملته: «فيقال له: ادخل. فيقول: حتى يدخل أبواي». والمحبنطئ: المتغضب المستبطئ للشيء.

(٢) في (ص): «المعجمة».

(٣) في (ص): «هو مستبطي بالطاء».

(٤) الرجز في «اللسان» (حبط).

(٥) أخرج الخبر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٣: ١٣٥). (ج)

(٦) كذا في (ص)، (ج)، (ف). وما عداها: «العربية».

وَقَوْلُهُ: «وجِزَّةُ المِقْضابِ»: المِقْضابُ: مَزْرَعةُ القَضْب[١]، وجِزّتُها: ما يُجزُّ مِنْها لِلخَيْلِ.

وقَوْلُهُ: «عَرِيَ الشّوى مِنْها»، يَعْنِي القَوائِمَ. والنَّحْضُ: اللّحْمُ. والآرابُ: المَفاصِلُ، واحِدُهُما إرْبٌ، وفي الحَدِيثِ: «أُمِرْت أنْ أسْجُدَ عَلى سَبْعةِ آرابٍ»[٢].

وَقَوْلُهُ: «قُودًا» أيْ: طِوال الأعْناقِ. والضِّراءُ: الكِلابُ الضّارِيةُ، وفي الحَدِيثِ: «إنّ قَيْسًا ضِراءُ اللهِ في الأرض»[٣]؛ أي: أُسْدُه الضّارِيةُ. والكُلّابُ: جَمْعُ كالِبٍ، وهُوَ صاحِبُ الكِلابِ التي يَصِيدُ بِها.

وَقَوْلُهُ: «عُبْس اللّقاءِ»: جَمْعُ عَبُوسٍ.

وَقَوْلُهُ: «دُخْسَ البَضِيعِ». البَضْعُ: اللّحْمُ المُسْتَطِيلُ، والدَّخِيسُ مِن اللّحْمِ: الكَثِيرُ.

وَقَوْلُهُ: «خَفيفةَ الأقْصابِ»، يَعْنِي: جَمْعَ قُصْبٍ وهُوَ المِعى، ومِنْهُ سُمِّيَ الجَزّارُ قَصّابًا[٤].

وقَوْلُهُ: «يَغدُونَ بِالزَّغْفِ» أيْ: بِالدُّرُوعِ.

---

(١) القَضْب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها والشجر الرطب يُقطع مرة بعد أخرى.

(٢) «فتح الباري»، كتاب الأذان: (٢: ٢٩٧)، ومسلم، كتاب الصلاة: (١: ٣٥٤)، ولفظهما: «على سبعة أعضاء». ورواية الترمذي: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب». انظر: «عارضة الأحوذي»، أبواب الصلاة: (ص: ٧٢).

(٣) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٣٩٤)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠: ٤٩).

(٤) «قصابًا» ليست في (ف).

وَقَوْلُهُ: «شكُّهُ: [أي][(١)]: حِلَقُهُ ونَسْجُهُ.

وقَوْلُهُ: [من الكامل]

وَبِمُتْرَصاتٍ في الثِّقافِ صِبابِ

المُتْرَصاتُ: المُحْكَمةُ، يَعْنِي: الرِّماحَ المُثَقَّفةَ.

وَقَوْلُهُ: «نَزَعَ الصَّياقِلُ عَلبَها»[(٢)]؛ أيْ: جُسْأتَها وخُشْنةَ ذَرَئِها[(٣)]، يُقالُ: عَلِبَ اللَّحْمُ إذا لَمْ يَكُنْ رَخْصًا، وعَلِبَ النَّباتُ إذا جَسَأَ.

وَقَوْلُهُ: «بِمارِنٍ»[(٤)]. المارِنُ: اللَّيِّنُ، ووَقِيعَتُهُ: صَقْلُهُ، وخَبّاب: اسْمُ صَيْقَلٍ.

وَقَوْلُهُ: «وأغَرّ أزْرَقَ»، يَعْنِي الرّمْحَ، وطُخْيةُ الظَّلماءِ، أيْ: شِدّتُها، وطَخاءُ القَلبِ: ظُلمَتُهُ، ومِنْهُ قَوْلُ النبي ﷺ في السّفَرْجَلِ: «إنّهُ يَذْهَبُ بِطَخاءِ القَلبِ»[(٥)].

وَقَوْلُ كَعْبٍ: [من الكامل]

جاءَتْ سَخِينةُ كَيْ تُغالِبَ رَبَّها

---

(١) عن (أ)، (س)، (ف).

(٢) في «السيرة»: «غلبها» بالغين المعجمة، وهو تصحيف؛ ففي «التاج»: «العَلْب: الشيء الصلب، يقال: عَلِب اللحم ـ بالكسر ـ عَلَبًا: اشتد وغلظ، وعَلَب أيضًا ـ بالفتح ـ يَعْلُب: غلظ وصلُب ولم يكن رخصًا، قاله السهيلي».

(٣) جَسَأ الشيء جَسْئًا وجُسُوءًا وجُسْأة: خشن وصلب. وفي «المخصص» (٦: ٢٣) عن أبي زيد: «صَدِئ السيفُ صَدَأً وصُدْأةً: ذَرِئ». ولم يقع لي الصدر، فأثبته قياسًا. وفي «المخصص» أيضًا عن ابن السكيت: «والذَّرِئ: طبع السيف. قال أبو علي: هو الدَّرِيء والذَّريء معًا». والطبع: صدأ السيف.

(٤) في (ب)، (ص): «بمارن متقارب».

(٥) الحديث في «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ١٩٧)، (٤: ٤٩٢).

كانَ هَذا الاِسْمُ مِمّا سُمِّيَتْ بِهِ قُرَيْشٌ قديمًا، ذكروا أنَّ قُصيًّا كان إذا ذُبحَتْ ذَبيحةٌ أوْ نُحِرَتْ نَحِيرةٌ بِمَكّةَ أُتِيَ بعَجُزِها، فصَنَعَ مِنْها خَزِيرةً، وهُوَ لَحْمٌ يُطْبَخُ بِبُرٍّ، فيُطْعِمُهُ النّاسَ، فسُمِّيَتْ قُرَيْشٌ بِها سَخِينة. وقِيلَ: إنّ العَرَبَ كانُوا إذا أَسْنَتُوا أكَلُوا العِلهِزَ، وهُوَ الوَبَرُ والدَّمُ، وتَأْكُلُ قُرَيْشٌ الخَزِيرةَ واللَّفيتة[1]، فنَفِسَتْ عَلَيْهِم العربُ ذَلِكَ فلَقّبُوهُمْ سَخِينة، ولَمْ تكُنْ قُرَيْشٌ تكْرَهُ هَذا اللّقَبَ، ولَوْ كَرِهَتْهُ ما اسْتَجازَ [كَعْبٌ][2] أنْ يَذْكُرَهُ، ورسول الله ﷺ مِنْهُمْ، ولَتَرَكَهُ أدَبًا مَعَ رسول الله ﷺ؛ إذْ كانَ قُرَشِيًّا، ولَقَد اسْتُنْشِدَ[3] عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ ما قالَهُ الهَوازِنِيّ في قُرَيْشٍ[4]: [من البسيط]

يا شَــدّةً ما شَــدَدْنا غَيْرَ كاذِبةٍ ... عَلى سَخِينةَ لَوْلا اللّيْلُ والحَرَمُ

فَقالَ: ما زادَ هَذا عَلى أنِ اسْتَثْنى. ولَمْ يَكْرَهْ سَماعَ التَّلقِيبِ بِسَخِينة، فَدَلَّ عَلى أنّ هَذا اللّقَبَ لَمْ يَكُنْ مكروهًا عندهم، ولا كان فيه تعييرٌ لَهُمْ بِشَيْءٍ يُكْرَهُ.

* * *

---

(١) قال أبو عبيد في «غريبه» (٣: ٢٥٩): «وأما اللفيتة فإنها ضرب من الطبيخ لا أقف على حدّه، وأراه كالحساء». وفي «النهاية» (لفت): «العصيدة المغلظة». والعصيدة: دقيق يُلت بالسَّمن ويُطبخ.

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ب)، (س): «استشهد... بما قاله».

(٤) هو خداش بن زهير. والبيت في «طبقات فحول الشعراء» (ص: ١٤٥)، و«العقد الفريد» (٦: ٩١)، ويقول ابن سلام: «سخينة: شيء تُعيَّر به قريش، فجعله اسمًا لها». وهذا الشعر قاله خداش في يوم نخلة، وقوله: «لولا الليل والحرم»، يريد أن قريشًا في هذه الحرب ظلت تقاتل حتى دخلت الحرم وجنّ عليهم الليل، فكفّوا عن القتال.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يَوْمِ الخَنْدَقِ:

مَـــنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِــعُ بَعْضُهُ ... بَعْضًا كَمَعْمَعةِ الأَبــاءِ المُحْرَقِ
فَلْيَأْتِ مَأْسَــدةً تَسُــنُّ سُــيُوفَها ... بَيْنَ المَذادِ وبَــيْنَ جَزْعِ الخَنْدَقِ
دَرِبُوا بِضَرْبِ المُعْلِمِينَ وأَسْلَمُوا ... مُهَجاتِ أَنْفُسِــهِمْ لِرَبِّ المَشْرِقِ
في عُصْبــةٍ نَــصَرَ الإلَهُ نَبِيَّــهُ ... بِهِــمُ وكانَ بِعَبْــدِهِ ذا مَرْفَــقِ
في كُلِّ ســابِغةٍ تَخُــطُّ فُضُولُهــا ... كالنَّهْيِ هَبَّــتْ رِيحُــهُ المُتَرَقْرِقِ
بَيْضــاءَ مُحْكَمــةً كَأَنَّ قَتِيرَهــا ... حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتَ شَــكٍّ مُوثَقِ
جَــدْلاءَ يَحْفِزُهــا نِجــادُ مُهَنَّدٍ ... صافي الحَدِيدةِ صــارِمٍ ذِي رَوْنَقِ
تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوى تَكُونُ لِباسَنا ... يَوْمَ الهِياجِ وكُلَّ ســاعةِ مَصْدَقِ
نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا ... قُدُمًــا ونُلْحِقُهــا إذا لَــمْ تَلْحَقِ
فَتَرى الجَماجِــمَ ضاحِيًا هاماتُها ... بَلْــهَ الأَكُــفَّ كَأَنَّها لَــمْ تُخْلَقِ
نَلْقى العَــدُوَّ بِفَخْمــةٍ مَلْمُومةٍ ... تَنْفي الجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ المُشْرِقِ
ونُعِــدُّ لِلْأَعْــداءِ كُلَّ مُقَلَّــصٍ ... وَرْدٍ ومَحْجُــولِ القَوائِــمِ أَبْلَــقِ
تَــرْدِي بِفُرْســانٍ كَأَنَّ كُماتَهُــمْ ... عِنْدَ الهِياجِ أُسُــودُ طَــلٍّ مُلْثِقِ
صُدُقٍ يُعاطُــونَ الكُماةَ حُتُوفَهُمْ ... تَحْتَ العَمايةِ بِالوَشِــيجِ المُزْهِقِ
أَمَــرَ الإلَهُ بِرَبْطِهــا لِعَــدُوِّهِ ... في الحَــرْبِ إنَّ اللهَ خَــيْرُ مُوَفِّقِ
لِتَكُونَ غَيْظًــا لِلْعَــدُوِّ وحُيَّطًا ... لِــلدّارِ إنْ دَلَفَتْ خُيُــولُ النُّزَّقِ
ويُعِينُنــا اللهُ العَزِيــزُ بِقُــوّةٍ ... مِنْهُ وصِدْقِ الصَّبْرِ ســاعةَ نَلْتَقِي

وَنُطِيعُ أمْرَ نَبِيِّنا ونُجِيبُهُ ... وإذا دَعا لِكَرِيهةٍ لَمْ نُسْبَقِ

وَمَتى يُنادِ إلى الشَّدائِدِ نَأْتِها ... ومَتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِقِ

مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فإنَّهُ ... فينا مُطاعُ الأمْرِ حَقُّ مُصَدَّقِ

فَبِذاكَ يَنْصُرنا ويُظْهِرُ عِزَّنا ... ويُصِيبُنا مِنْ نَيْلِ ذاكَ بِمِرْفَقِ

إنَّ الَّذينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا ... كَفَرُوا وضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ المُتَّقِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي بَيْتَهُ:

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوى تَكُونُ لِباسَنا

وَبَيْتَهُ:

مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ

أبو زَيْدٍ.

وأنْشَدَنِي:

تَنْفِي الجُمُوعَ كَرَأْسِ قُدْسِ المُشْرِقِ

وَفي شِعْرِ كَعْبٍ أيْضًا: [من الكامل]

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ

المَعْمَعةُ: صَوْتُ النّارِ فيما عَظُمَ وكَثُفَ من الشَّعراءِ والقَصْباءِ ونحوِها. والكَلحَبة: صوتُها فيما دَقّ كالسِّراجِ ونَحْوِهِ. والغطْمَطةُ: صَوْتُ الغَلَيانِ، وكَذَلِكَ الغرْغَرةُ والجَعْجَعةُ صَوْتُ الرّحى، والدّرْدَبةُ: صَوْتُ الطَّبل.

وقوله: «الأباء» [هو][١] القصَب، واحدتُها: أَباءةٌ، والهَمْزةُ الآخِرةُ فيها بَدَلٌ مِنْ ياءٍ، قالَهُ ابنُ جِنّيّ[٢]؛ لِأَنّهُ عِنْدَهُ مِن الأبايةِ، كَأنّ القَصَبَ يَأْبى على مَنْ أرادَهُ بِمَضْغٍ ونَحْوِهِ[٣]. ويَشْهَدُ لِما قالَهُ ابنُ جِنّيّ قَوْلُ الشّاعِرِ[٤]: [من الوافر]

يَراهُ النّاسُ أخْضَـرَ مِنْ بَعِيدٍ ... وتَمْنَعُــهُ المَــرارةُ والإبــاءُ

وَقَوْلُهُ: «فليَـأْتِ مَأْسَـدةً»، هي الأرْضُ الكَثِيرةُ الأُسْدِ، وكَذَلِكَ المَسْبَعةُ: الكَثِيرةُ[٥] السِّبـاعِ، ويَجُـوزُ أنْ يَكُـونَ مَأْسَدة جَمْعَ أَسَدٍ كَما قالُوا: مَشْيَخة ومَعلجة، حَكى سِيبَوَيْهِ مَشْيَخةً ومَشْيُوخاءَ، ومَعْلَجةً ومَعْلُوجاءَ[٦]، وألْفَيْتُ أيْضًا في «النّباتِ»: مَسْلُوماءَ لِجَماعةِ السَّلَمِ، ومَشْيُوحاءَ للشِّيحِ الكثير[٧].

وَقَوْلُهُ: «تَسُنُّ سُيُوفَها» بِنَصْبِ الفاءِ، وهُوَ الأَصَحُّ[٨] عند القاضي أبي الوليد، ووقع في الأصل عِنْدَ أَبِي بَحْرٍ: «تُسَنُّ سُيُوفُها» بِالرّفْعِ، ومَعْنى الرِّوايةِ الأُولى: تَسُنّ؛ أيْ: تَصْقُلُ، ومَعْنى الرّوايةِ الثّانِيةِ؛ أيْ: تُسَنُّ[٩] لِلأبْطالِ، ولِمَنْ بَعْدَها مِن الرِّجالِ سُنّةَ الجُرْأةِ والإقْدامِ.

وَقَوْلُهُ في وصْفِ الدِّرْعِ: [من الكامل]

---

(١) عن (ب).

(٢) انظر: «اللسان» (أبى)، وقد نقله ابن جني عن أبي بكر بن السراج.

(٣) في (أ)، (ص): «أو نحوه».

(٤) هو بشر بن أبي خازم، جاهلي، والبيت في «ديوانه» (ص: ٥٧).

(٥) في (ب)، (ج): «الأرض الكثيرة».

(٦) «الكتاب» (٢: ٣٥).

(٧) لم أجده فيما طُبع من «كتاب النبات».

(٨) في (ف): «وهو أصح».

(٩) في (ب): «تُسَنُّ سيوفها للأبطال...».

جَدْلاء يَحْفِزُهـا نِجادُ مُهَنَّدِ

جَدْلاء مِنَ الجَدْلِ، وهُوَ قُوّةُ الفَتْلِ، ومِنْهُ الأجْدَلُ: الصّقْر، وفي هَذا البَيْتِ دَلِيلٌ عَلى قُوّةِ امْتِناع الصَّرْفِ في أجْدَلَ، وأنّهُ مِنْ بابِ أفْعَلَ الّذِي مُؤَنّثُهُ فعْلاءُ، ومَنْ صَرَفَهُ شَبّهَهُ بِأَرْنَبٍ وأفْكَلٍ، وهُوَ أضْعَفُ الوَجْهَيْنِ، وإنْ كانُوا قَدْ قالُوا في جَمْعِهِ: أجادِلُ مِثْل أرانِبَ فقَدْ قالُوا أيْضًا: الأباطِحُ والأجارِعُ[1] في جَمْعِ أبْطَحَ وأجْرَعَ، ولَكِنّهُمْ لا يَصْرِفُونَهُما مِنْ حَيْثُ قالُوا في المُؤَنّثِ: بَطْحاء وجَرْعاء، وكَذَلِكَ القَوْلُ في أبْرَقَ وبَرْقاءَ.

وَقَوْلُهُ: «يَحْفِزُها نِجادُ مُهَنّدٍ»، كقول ابنِ الأسْلَتِ[2] في وصْفِ الدِّرْعِ: [من الرجز]

أحْفِزُها عَنِّـي بِذِي رَوْنَقٍ   أبْيَضَ مِثْـلِ المِلْحِ قَطّاعِ

وَذَلِكَ أنّ الدِّرْعَ إذا طالَتْ فُضُولُها حَفَزُوها، أيْ: شَمَّرُوها فرَبَطُوها بِنِجادِ السّيْفِ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

تِلكُمْ مَعَ التّقْوى تكُونُ لِباسَـنا[3]

مِنْ أجْوَدِ الكَلامِ وأمْلَحِ الِالتِفات؛ لِأنّهُ قَوْلٌ انْتَزَعَهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وقالَ الشّاعِرُ[4]: [من البسيط]

---

(١) في (ب): «أباطح وأجادل».

(٢) هو أبو قيس، واسمه: صيفي. مترجم في «أسد الغابة». والبيت من قصيدة في «المفضليات» (ص: ٢٨٤).

(٣) في (ف): «لباسها».

(٤) البيت لسوار بن المضرب كما في «الحماسة». انظر: «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي: =

إنّي كَأنّي أرى مَنْ لا وفاءَ[١] لَهُ ولا أمانةَ وسْـطَ القَوْمِ عُرْيانا

وَمَوْضِعُ الإجادةِ والإحْسانِ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ أنّهُ جَعَلَ لِباسَ الدُّرُوعِ تبَعًا لِلباسِ التّقْوى؛ لِأنّ حَرْفَ «مَعَ» تُعْطِي في الكَلامِ أنّ ما بَعْدَهُ هو المتبوع، ولَيْسَ بِتابِعٍ، وقَدِ احْتَجّ الصِّدِّيقُ عَلى الأنْصارِ يَوْمَ السَّقِيفةِ بِأنْ قالَ لَهُمْ: أنْتُم الّذِينَ آمَنُوا، ونَحْنُ الصّادِقُونَ، وإنّما أمَرَكُم اللهُ تعالى أنْ تَكُونُوا مَعَنا فقالَ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

والصّادِقُـونَ هُـم المُهاجِرُونَ. قـالَ اللهُ سبحانـه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ [الحشر: ٨]، إلى قَوْلِهِ عز وجل: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وَقَوْلُهُ: «بَلهَ الأكُفِّ»، بِخَفْضِ الأكُفِّ هُوَ الوَجْهُ، وقَدْ رُوِيَ بِالنّصْبِ؛ لِأنّهُ مَفْعُولٌ؛ أيْ: دَعِ الأكُفّ، فهَذا كَما تَقُولُ: رُوَيْدَ زَيْدٍ، ورُوَيْدَ زَيْدًا بِلا تَنْوِينٍ مَعَ النّصْبِ، و«بَلْهَ» كَلِمةٌ معناها «دَعْ»، وهي مِن المَصادِرِ المُضافةِ إلى ما بَعْدَها، وهي عِنْدِي مِنْ لَفْظِ البَلَهِ والتّبالُهِ، وهي[٢] الغَفْلةُ؛ لِأنّ مَنْ غَفَلَ عَنْ شيْءٍ[٣] تَرَكَهُ، ولَمْ يسْألْ عَنْهُ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «بَلهَ الأكُفّ»؛ أيْ: لا تَسْأل عَن الأكُفّ إذا كانَت الجَماجِمُ ضاحِيةً مُقَطّعةً، وفي الحَدِيثِ: «يَقُولُ اللهُ تَعالى: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، بَلْهَ ما أُطلعتمُ[٤] عَلَيْهِ»[٥].

وَقَوْلُهُ: «بِفَخْمةٍ مَلْمُومةٍ»، أيْ: كَتِيبةٍ مَجْمُوعةٍ.

= (٢: ١٣٧). (ج)

(١) في (ب): «لا حياءَ».

(٢) في (ف)، (أ): «وهو من الغفلة».

(٣) في (ف): «عن الشيء».

(٤) في (أ)، (ج): «أطلعتهم»، وفي (ب)، (ص): «أطلعتكم».

(٥) «فتح الباري»، تفسير سورة السجدة: (٨: ٥١٥-٥١٦).

وقَوْلُهُ: «كفصدِ[1] رأسِ المَشْرِقِ[2]»، الصّحِيحُ فيهِ ما رَواهُ ابنُ هِشامٍ عَنْ أبي زَيْدٍ: «كَرَأْسِ قُدْسِ المَشْرِقِ[3]»؛ لِأنّ «قُدْسَ» جَبَلٌ مَعْرُوفٌ مِنْ ناحِيَةِ المَشْرِقِ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

عِنْدَ الهِياجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلثِقِ

الطّلّ مَعْرُوفٌ. واللّثَقُ ما يَكُونُ عَنِ الطَّلِّ مِنْ زَلَقٍ وطِينٍ، والأُسْدُ أجْوَعُ ما تكُونُ وأجْرَأُ في ذَلِكَ الحِينِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يَوْمِ الخَنْدَقِ:

لَقَدْ عَلِمَ الأحْزابُ حِينَ تَألَّبُوا عَلَيْنا ورامُوا دِينَنا ما نُوادِعُ
أضامِيمُ مِنْ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ أُصْفِقَتْ وخِنْدِف لَمْ يَدْرُوا بِما هُوَ واقِعُ
يَذُودُونَنا عَنْ دِينِنا ونَذُودُهُمْ عَن الكُفْرِ والرَّحْمَنُ راءٍ وسامِعُ
إذا غايَظُونا في مَقامٍ أعانَنا على غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِن الله واسِعُ
وَذلِك حِفْظُ الله فِينا وفَضْلُهُ عَلَيْنا ومَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللهُ ضائِعُ
هَدانا لِدِينِ الحَقِّ واخْتارَهُ لَنا ولله فَوْقَ الصّانِعِينَ صَنائِعُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ الأبْياتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

---

(١) في (أ)، (س)، (ص): «كقصب».

(٢) في (ب): «المُشرق» بضم الميم.

(٣) في (ب): «المُشرق» بضم الميم.

وَقَوْلُهُ في العَيْنِيّةِ: [من الطويل]

أضامِيمُ مِنْ قَيْـسِ بنِ عَيْلانَ جُمِّعتْ

واحِدُ الأضامِيمِ: إضْمامةٌ، وهُوَ كُلُّ شَيْءٍ مُجْتَمِعٍ، يُقالُ: إضْمامةٌ مِن النّاسِ، وإضْمامةٌ مِنْ كُتُبٍ.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ»، هُوَ المَشْهُورُ عِنْدَ أهْلِ النّسَبِ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إنّ قَيْسًا هُوَ عَيْلانُ لا ابنُهُ، قالَ: وعُرِفَ قَيْسُ عَيْلانَ بفَرَسٍ لَهُ كانَ يُسَمّى عَيْلانَ، كَما عُرِفَ قَيْسُ كُبّةَ مِنْ بَجِيلةَ بِفَرَسٍ اسْمُهُ: كُبّةُ، وكانَ هُوَ وقَيْسُ عَيْلانَ مُتَجاورَيْنِ، فكانَ إذا ذُكِرَ أحَدُهُما وقِيلَ: أيّ القَيْسَيْنِ هُوَ؟ [قِيلَ][1]: قَيْسُ عَيْلانَ أوْ قَيْسُ كُبّةَ، وقِيلَ: إنّ عَيْلانَ اسْمُ كَلبٍ كانَ لَهُ، وقِيلَ: عَيْلانُ اسْمُ جَبَلٍ وُلِدَ عِنْدَهُ، وقِيلَ: اسْمُ غُلامٍ لِمُضَرَ كانَ حَضَنَهُ، وقِيلَ: كانَ جَوادًا أتْلَفَ مالَهُ فأدركته عَيْلةٌ فسُمِّيَ عَيْلانَ. ومِمّا يُحْتَجّ بِهِ لِلقَوْلِ الآخَرِ قَوْلُ رُؤْبةَ[2]: [من الرجز]

وَقَيْـسَ عَيْلانَ ومَنْ تَقَيّسـا



(١) سقط من (أ).

(٢) كذا، ولم أجده في «ديوانه»، وهو في «ديوان العجاج» (ص: ١٣٨)، من أرجوزة طويلة يمدح فيها المصعب بن الزبير، وقد نبه ابن بري على صواب نسبتها إلى العجاج لا رؤبة. انظر: «اللسان» (قيس).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يَوْمِ الخَنْدَقِ:

ألا أبْلِــغْ قُرَيْشًــا أنَّ سَــلْعًا ... وما بَــيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمادِ
نَواضِحُ في الحُــرُوبِ مُدَرَّباتٌ ... وخوصٌ ثُقِّبَــتْ مِنْ عَهْدِ عادِ
رَواكِــد يَزْخَــرُ المُــرّارُ فيها ... فلَيْسَــتْ بِالجِمامِ ولا الثِّمادِ
كَأنَّ الغــابَ والــبَرْدِيَّ فيها ... أجَــشُّ إذا تَبَقَّــعَ لِلْحَصــادِ
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجارَتَنا اشْــتِراءَ الْـ ... ـــحَمِيرِ لِأرْضِ دَوْسٍ أوْ مُرادِ
بِــلادٌ لَــمْ تَــثُرْ إلّا لِكَيْمــا ... نُجــالِدَ إنْ نَشِــطْتُمْ لِلْجِــلادِ
أثَرْنــا سِــكَّةَ الأنْبــاطِ فيها ... فلَمْ تَــرَ مِثْلَها جَلَهــاتِ وادِ
قَصَرْنا كُلَّ ذِي حُــضْرٍ وطَوْلٍ ... على الغايــاتِ مُقْتَــدِرٍ جَوادِ
أجِيبُونــا إلى مــا نَجْتَدِيكُمْ ... مِــنَ القَوْلِ المُبَيَّنِ والسَّــدادِ
وَإلّا فاصْــبِرُوا لِجِــلادِ يَــوْمٍ ... لَكُــمْ مِنّا إلى شَــطْرِ المَذادِ
نُصَبِّحُكُمْ بِكُلِّ أخِي حُرُوبٍ ... وكُلِّ مُطَهَّــمٍ سَــلِسِ القِيــادِ
وَكُلِّ طِمِــرّةٍ خَفِــقٌ حَشــاها ... تَدِفُّ دَفِيفَ صَفْــراءِ الجَرادِ
وَكُلِّ مُقَلَّــصِ الآرابِ نَهْــدٍ ... تَمِيمِ الخَلْقِ مِــنْ أُخُرٍ وهادِي
خُيُولٌ لا تُضــاعُ إذا أُضِيعَتْ ... خُيُولُ النّاسِ في السَّنةِ الجَمادِ
يُنازِعْــنَ الأعِنّــةَ مُصْغِياتٍ ... إذا نادى إلى الفَــزَعِ المُنادِي
إذا قالَتْ لَنا النُّذُرُ: اسْــتَعِدُّوا ... تَوَكَّلْنــا على رَبِّ العِبــادِ
وَقُلْنا: لَــنْ يُفَرِّجَ مــا لَقِينا ... سِوى ضَرْبِ القَوانِسِ والجِهادِ
فَلَمْ تَــرَ عُصْبةً فيمَــنْ لَقِينا ... مِــنَ الأقْوامِ مِنْ قــارٍ وبادِي

أشَـدَّ بَسـالةً مِنّـا إذا مـا ... أرَدْنـاهُ وألْـيَنَ في الـوِدادِ
إذا ما نَحْـنُ أشْرَجْنـا عَلَيْها ... جِيادَ الجُدْلِ في الأُرَبِ الشِّدادِ
قَذَفْنـا في السَّـوابِغِ كُلَّ صَقْرٍ ... كَرِيمٍ غَـيْرِ مُعْتَلِـثِ الزِّنادِ
أشَـمَّ كَأنَّـهُ أسَـدٌ عَبُوسٌ ... غَداةَ بَـدا بِبَطْنِ الجزعِ غادِي
يُغَـشِّي هامةَ البَطَـلِ المُذَكّى ... صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النِّجادِ
لِنُظْهِـرَ دِينَـكَ اللهُـمَّ إنّـا ... بِكَفِّكَ فاهْدِنا سُـبُلَ الرَّشادِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَيْتُهُ:

قَصَرْنا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وطَوْلٍ

والبَيْتُ الَّذي يَتْلُوهُ، والبَيْتُ الثّالِثُ مِنْهُ، والبَيْتُ الرّابِعُ مِنْهُ، وبَيْتُهُ:

أشَمَّ كَأنَّهُ أسَدٌ عَبُوسٌ

والبَيْتُ الَّذي يَتْلُوهُ، عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ.

[شِعْرُ مُسافِعٍ في بُكاءِ عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ مُسافِعُ بنُ عَبْدِ مَنافِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، يَبْكِي عَمْرَو بنَ عَبْدِ وُدٍّ، ويَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ إيّاهُ:

عَمْرُو بنُ عَبْدٍ كانَ أوَّلَ فارِسٍ ... جَزَعَ المَذادَ وكانَ فارِسَ يَلْيَلِ
سَـمْحُ الخَلائِقِ ماجِدٌ ذُو مِرّةٍ ... يَبْغِي القِتالَ بِشِـكّةٍ لَمْ يَنْكُلْ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ ولَّوْا عَنْكُمُ ... أنَّ ابنَ عَبْدٍ فيهِـمُ لَمْ يَعْجَلِ
حَتّى تَكَنَّفَهُ الكُمـاةُ وكُلُّهُمْ ... يَبْغِي مَقاتِلَهُ ولَيْـسَ بِمُؤْتَلِي
وَلَقَدْ تَكَنَّفَتِ الأسِـنّةُ فارِسًا ... بِجُنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نِكْسٍ أمْيَلِ

تَسَـــلُ النِّزالَ عَلَيَّ فارِسَ غالِبٍ ... بِجُنُــوبِ سَــلْعٍ، لَيْتَهُ لَــمْ يَنْزِلِ
فاذْهَبْ عَلَيَّ فمــا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ ... فخْرًا ولا لاقَيْتَ مِثْلَ المُعْضِلِ
نَفْسِي الفِداءُ لِفارِسٍ مِنْ غالِبٍ ... لاقى حِمامَ المَــوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ
أَعْنِي الَّذي جَــزَعَ المَذادَ بِمُهْرِهِ ... طَلَبًــا لِثَــأْرِ مَعاشِرٍ لَــمْ يُخْذَلِ

[شِعْرُ مُسافِعٍ في تَأْنِيبِ الفُرْسانِ الَّذينَ كانُوا مَعَ عَمْرٍو]

وَقالَ مُسافِعٌ أيْضًا يُؤَنِّبُ فُرْسانَ عَمْرٍو الَّذينَ كانُوا مَعَهُ، فأجْلَوْا عَنْهُ وتَرَكُوهُ:

عَمْرُو بنُ عَبْدٍ والجِيادُ يَقُودُها ... خَيْــلٌ تُقــادُ لَهُ وخَيْــلٌ تُنْعَلُ
أجْلَــتْ فوارِسُــهُ وغادَرَ رَهْطُهُ ... رُكْنًــا عَظِيمًا كانَ فيهــا أوَّلُ
عَجَبًا وإنْ أعْجَبْ فقَدْ أبْصَرْتُهُ ... مَهْما تَسُــومُ عَلَيَّ عَمْــرًا يَنْزِلُ
لا تَبْعَــدَنَّ فقَدْ أُصِبْــتُ بِقَتْلِهِ ... ولَقِيتُ قَبْلَ المَــوْتِ أمْرًا يَثْقُلُ
وَهُبَــيْرَةُ المَسْــلُوبُ ولّى مُدْبِرًا ... عِنْــدَ القِتالِ مَخافَــةً أنْ يُقْتَلُوا
وَضِرارُ كانَ البَــأْسُ مِنْهُ مُحْضَرًا ... ولّى كَمــا ولّى اللَّئِيــمُ الأعْزَلُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لَهُ.

وقَوْلُهُ: «عَمْرًا يَنْزِلُ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ هُبَيْرَةَ في بُكاءِ عَمْرٍو والِاعْتِذارِ مِنْ فِرارِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرارِهِ، ويَبْكِي عَمْرًا، ويَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إيّاهُ:

لَعَمْرِيَ ما ولَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا ... وأصْحابَهُ جُبْنًا ولا خِيفَةَ القَتْلِ
وَلَكِنَّــنِي قَلَّبْتُ أمْرِي فلَمْ أجِدْ ... لِسَيْفِي غَناءً إنْ ضَرَبْتُ ولا نَبْلِي

وَقَفْتُ فلَمّا لَـمْ أجِدْ لِي مُقَدَّمًا ... صَدَدْتُ كَضِرْغامٍ هِزَبْرٍ أبي شِبْلِ

ثَنى عِطْفَهُ عَنْ قِرْنِهِ حِينَ لَمْ يجد ... مَكَرًّا وقِدْمًا كانَ ذلك مِنْ فِعْلِي

فَلا تَبْعَدَنْ يا عَمْرُو حَيًّا وهالِكًا ... وحُقَّ لِحُسْنِ المَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي

وَلا تَبْعَدَنْ يا عَمْرُو حَيًّا وهالِكًا ... فقَدْ بِنْتَ مَحْمُودَ الثَّنا ماجِدَ الأصْلِ

فَمَنْ لِطِرادِ الخَيْلِ تُقْدَعُ بِالقَنا ... ولِلْفَخْـرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرةِ البُزْلِ

هُنالِكَ لَـوْ كانَ ابنُ عَبْدٍ لَزارَها ... وفَرَّجَها حَقًّا فـتًى غَيْرُ ما وَغْلِ

فَعَنْكَ عَلِيُّ لا أرى مِثْلَ مَوْقِفٍ ... وقَفْتَ على نَجْدِ المُقَدَّمِ كالفَحْلِ

فَما ظَفِرَتْ كَفّـاكَ فخْرًا بِمِثْلِهِ ... أمِنْتَ بِهِ ما عِشْتَ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

[شِعْرٌ آخَرُ لِهُبَيْرَةَ في بُكاءِ عَمْرٍو]

وَقالَ هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ يَبْكِي عَمْرَو بنَ عَبْدِ وِدٍ، ويَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إيّاهُ:

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيا لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... لَفارِسُـها عَمْرٌو إذا نابَ نائِبُ

لَفارِسُـها عَمْرٌو إذا ما يَسُومُهُ ... عَـلِيٌّ وإنَّ اللَّيْـثَ لا بُدَّ طالِبُ

عَشِـيَّةَ يَدْعُـوهُ عَـلِيٌّ وإنّـه ... لَفارِسُـها إذ خامَ عَنْهُ الكَتائِبُ

فيا لَهْفَ نَفْسِي إنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ ... بِيَثْرِبَ لا زالَتْ هُناكَ المَصائِبُ

[شِعْرُ حَسّانَ في الفَخْرِ بِقَتْلِ عَمْرٍو]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ وُدٍ:

بَقِيَّتُكُمْ عَمْـرٌو أبَحْناهُ بِالقَنا ... بِيَثْرِبَ نَحْـمِي والحُمـاةُ قَلِيلُ

وَنَحْنُ قَتَلْناكُـمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ... ونَحْـنُ وُلاةُ الحَرْبِ حِينَ نَصُولُ

وَنَحْنُ قَتَلْناكُمْ بِبَدْرٍ فأصْبَحَتْ ... مَعاشِرُكُـمْ في الهالِكِينَ تَجُولُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا في شَأْنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ وُدٍ:

أمْسى الفَتى عَمْرُو بنُ عَبْدٍ يَبْتَغِي بِجُنُوبِ يَثْرِبَ ثَأْرُهُ لَمْ يُنْظَرِ
فَلَقَدْ وجَدْتَ سُيُوفَنا مَشْهُورةً ولَقَدْ وجَدْتَ جِيادَنا لَمْ تُقْصَرِ
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَداةَ بَدْرٍ عُصْبةً ضَرَبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الحُسَّرِ
أصْبَحْتَ لا تُدْعى لِيَوْمِ عَظِيمةٍ يا عَمْرُو أوْ لِجَسِيمِ أمْرٍ مُنْكَرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

ألا أبْلِغْ أبا هِدْمٍ رَسُولًا مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ بِها المَطِيُّ
أكُنْتُ ولِيَّكُمْ في كُلِّ كُرْهٍ وغَيْرِي في الرَّخاءِ هُوَ الوَلِيُّ؟
وَمِنْكُمْ شاهِدٌ ولَقَدْ رَآنِي رُفِعْتُ لَهُ كَما احْتُمِلَ الصَّبِيُّ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وتُرْوى هَذِهِ الأبْياتُ لِرَبِيعةَ بنِ أُمَيّةَ الدَّيْلِيِّ، ويُرْوى فيها آخِرُها:

كَبَبْتَ الخَزْرَجِيَّ على يَدَيْهِ وكانَ شِفاءَ نَفْسِي الخَزْرَجِيُّ

وَتُرْوى أيْضًا لِأبي أُسامةَ الجُشَمِيِّ.

[شِعْرُ حَسّانَ في يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وبُكاءُ ابنِ مُعاذٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ يَبْكِي سَعْدَ ابنَ مُعاذٍ، ويَذْكُرُ حُكْمَهُ فيهِمْ:

لَقَدْ سَجَمَتْ مِنْ دَمْعِ عَيْنِيَ عَبْرةٌ وحُقَّ لِعَيْنِي أنْ تَفِيضَ على سَعْدِ

قَتِيلٌ ثَــوى في مَعْــرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ عُيُونٌ ذَوارِي الدَّمْــعِ دائِمةُ الوَجْدِ
على مِلّــةِ الرَّحْمَــنِ وارِثِ جَنّــةٍ مَعَ الشُّــهَداءِ وفْدُها أكْــرَمُ الوَفْدِ
فَإنْ تَــكُ قَــدْ ودَّعْتَنــا وتَرَكْتَنا وأمْسَــيْتَ في غَبْراءَ مُظْلِمةِ اللَّحْدِ
فَأنْتَ الَّذي يا سَــعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ كَرِيمٍ وأثْــوابِ المَــكارِمِ والحَمْدِ
بِحُكْمِــكَ في حَيَّيْ قُرَيْظَــةَ بِالَّذِي قَضى اللهُ فيهِمْ ما قَضَيْتَ على عَمْدِ
فَوافَقَ حُكْــمَ اللهِ حُكْمُكَ فيهِمُ ولَمْ تَعْفُ إذْ ذُكِّرْتَ ما كانَ مِنْ عَهْدِ
فَإنْ كانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أمْضاكَ في الأُلى شَرَوْا هَــذِهِ الدُّنْيــا بِجَنّاتِها الخُلْدِ
فَنِعْــمَ مَصِيرُ الصّادِقِــينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ يَوْمًــا لِلْوَجاهــةِ والقَصْدِ

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ ابنِ مُعاذٍ وغَيْرِهِ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا، يَبْكِي سَعْدَ بنَ مُعاذٍ، ورِجالًا مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن الشُّهَداءِ، ويَذْكُرُهُمْ بِما كانَ فيهِمْ مِن الخَيْرِ:

ألا يــا لَقَــوْمِي هَلْ لِما حُــمَّ دافِعُ؟ وهَلْ ما مَضى مِنْ صالِحِ العَيْشِ راجِعُ؟
تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضى فتَهافَتَتْ بَناتُ الحَشــا وانْهَلَّ مِنِّي المَدامِعُ
صَبابــةُ وجْــدٍ ذَكَّرَتْــنِي أحِبّــةً وقَتْلى مَــضى فيها طُفيْــلٌ ورافِعُ
وَسَعْدٌ فأضْحَوْا في الجِنانِ وأوْحَشَتْ مَنازِلُهُمْ فــالأرْضُ مِنْهُــمْ بَلاقِعُ
وَفَوْا يَوْمَ بَــدْرٍ لِلرَّسُــولِ وفَوْقَهُمْ ظِــلالُ المَنايا والسُّــيُوفُ اللَّوامِعُ
دَعا فأجابُــوهُ بِحَــقٍّ وكُلُّهُــمْ مُطِيــعٌ لَهُ في كُلِّ أمْــرٍ وســامِعُ
فَما نَكَلُــوا حَتّى تَوَلَّــوْا جَماعةً ولا يَقْطَــعُ الآجــالَ إلّا المَصارِعُ
لِأنَّهُــمُ يَرْجُــونَ مِنْــهُ شَــفاعةً إذا لَمْ يَكُــنْ إلّا النَّبِيُّونَ شــافِعُ
فَذلك يــا خَــيْرَ العِبــادِ بَلاؤُنا إجابَتُنــا للهِ والمَــوْتُ ناقِــعُ

لَنــا القَدَمُ الأُولى إلَيْــكَ وخَلْفُنا ... لِأوَّلِنــا في مِلّــةِ الله تابِــعُ
وَنَعْلَــمُ أنَّ المُلْــكَ لله وحْــدَهُ ... وأنَّ قَضــاءَ الله لا بُــدَّ واقِــعُ

[شِعْرٌ لِحَسّانَ في يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا في يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما سَــآها ... وما وجَــدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصيرِ
أصابَهُــمُ بَــلاءٌ كانَ فيــهِ ... سِوى ما قَدْ أصابَ بَنِي النَّضِيرِ
غَداةَ أتاهُــمُ يَهْــوِي إلَيْهِمْ ... رسُــول الله كالقَمَــرِ المُنِيرِ
لَهُ خَيْــلٌ مُجَنَّبَــةٌ تَعــادى ... بِفُرْســانٍ عَلَيْهــا كالصُّقُورِ
تَرَكْناهُمْ وما ظَفِــرُوا بِشَيْءٍ ... دِماؤُهُــمُ عَلَيْهِــمْ كالغَدِيرِ
فَهُمْ صَرْعى تَحُومُ الطَّيْرُ فيهِمْ ... كَذاكَ يُدانُ ذُو العَنَدِ الفَجُورِ
فَأنْذِرْ مِثْلَها نُصْحًا قُرَيْشًــا ... مِن الرَّحْمَنِ إنْ قَبِلَتْ نَذِيرِى

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في بَنِي قُرَيْظَةَ:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما سَــآها ... وحَــلَّ بِحِصْنِهــا ذُلٌّ ذَلِيــلُ
وَسَــعْدٌ كانَ أنْذَرَهُمْ بِنُصْحٍ ... بِــأنَّ إلَهَكُــمْ رَبٌّ جَلِيــلُ
فَما بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حَتّى ... فلاهُــمْ في بِلادِهُمُ الرَّسُــولُ
أحــاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِــنْ حَــرٍّ وقْعَتِهِمْ صَلِيلُ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا في يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ:

تَفاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًــا ... ولَيْــسَ لَهُــمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ
هُمُ أُوتُوا الكِتــابَ فضَيَّعُوهُ ... وهُــمْ عُمْيٌ مِن التَّــوْراةِ بُورُ
كَفَرْتُــمْ بِالقُرانِ وقَدْ أتَيْتُمْ ... بِتَصْدِيــقِ الَّذي قالَ النَّذِيرُ

فَهـانَ على سَراةِ بَـني لُؤَيٍّ حَريـقٌ بِالبُوَيْرةِ مُسْـتَطِيرُ

[شِعْرُ أبي سُفيانَ في الرَّدِّ على حَسّانَ]

فَأجابَهُ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَ:

أدامَ اللهُ ذلـكَ مِـنْ صَنِيعٍ وحَرَّقَ في طَرائِقِها السَّـعِيرُ
سَـتَعْلَمُ أيُّنـا مِنْهـا بِـنُزْهٍ وتَعْلَـمُ أيَّ أرْضَيْنـا تَضِيرُ
فَلَـوْ كانَ النَّخِيـلُ بِها رِكابًا لَقالُوا: لا مُقامَ لَكُمْ فسِيرُوا

[شِعْرُ ابنِ جَوّالٍ في الرَّدِّ على حَسّانَ]

وَأجابَهُ جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثَّعْلَبِيُّ أيْضًا، وبَكى النَّضِيرَ وقُرَيْظَةَ، فقالَ:

ألا يا سَعْدُ سَـعْدَ بَنِي مُعاذٍ لِمـا لَقِيَتْ قُرَيْظَـةُ والنَّضِيرُ
لَعَمْـرُكَ إنَّ سَـعْدَ بَنِي مُعاذٍ غَـداةَ تَحَمَّلُوا لَهُـوَ الصَّبُورُ
فَأمّـا الخَزْرَجِيُّ أبـو حُبابٍ فقـالَ لِقَيْنُقاعٍ لا تَسِـيرُوا
وَبُدِّلَت المَـوالِي مِنْ حُضَيْرٍ أُسَـيْدًا والدَّوائِرُ قَـدْ تَدُورُ
وَأقْفَرَت البُوَيْرةُ مِنْ سَـلامٍ وسَعْيَةَ وابنِ أخْطَبَ فهْيَ بُورُ
وَقَدْ كانُـوا بِبَلْدَتِهِـمْ ثِقالًا كَما ثَقُلَتْ بِمَيْطانَ الصُّخُورُ
فَإنْ يَهْلِكْ أبو حَكَمٍ سَلامٌ فلا رَثُّ السِّـلاحِ ولا دَثُورُ
وَكُلُّ الكاهِنَـيْنِ وكانَ فيهِـمْ مَعَ اللِّينِ الخَضارِمةُ الصُّقُورُ
وَجَدْنا المَجْدَ قَدْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ بِمَجْـدٍ لا تُغَيِّبُـهُ البُـدُورُ
أقِيمُوا يـا سَراةَ الأوْسِ فيها كَأنَّكُمُ مِـنَ المَخْزاةِ عُورُ
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُـمْ لا شَيْءَ فيها وقِـدْرُ القَوْمِ حامِيـةٌ تَفُورُ

وَقَوْلُهُ في الدّالِيّةِ: «بَيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمادِ». العُرَيْضُ: مَوْضِعٌ، والصِّمادُ: جَمْعُ صَمْدٍ، وهُوَ ما غَلُظَ مِنَ الأرْضِ.

وَقَوْلُهُ: «نَواضِحُ في الحُروث»[1]. يَعْنِي: حَدائِقُ نخلٍ تُسقى بالنَّضح. وأرادَ بِالخُوصِ آبارًا[2]، وإنّما جَعَلَ[3] البِئْرَ خَوصاء لِأنّ العَيْنَ الخَوْصاءَ هي الغائِرةُ، وجَمْعُها خُوصٌ، فعُيُونُ الماءِ في الآبارِ كَذَلِكَ غائِرةٌ. أنْشَدَ أبُو عُبَيْدٍ في وصْفِ الإبِلِ[4]: [من الطويل]

مُخيَّسةً بُزْلًا كَأنّ عُيُونَها ... عُيُونُ الرَّكايا أنْكَزَتْها المَواتِحُ

وَقَوْلُهُ: «يَزْخَرُ المُرّارُ فيها». المُرّارُ: اسْمُ نَهرٍ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

كَأنّ الغابَ والبَرْدِيَّ فيها ... أَجَشُّ إذا تَبَقَّعَ لِلحَصادِ

يُرِيدُ: صَوْت حَفيفِ الرِّيحِ فيها كَصَوْتِ الأَجَشِّ، وهُوَ الأبَحُّ، وقَدْ يُوصَفُ النَّباتُ أيْضًا بِالغُنّةِ مِنْ أجْلِ حَفيفِ الرِّيحِ فيهِ، فيُقالُ: رَوْضةٌ غَنّاءُ، وقَدْ قِيلَ[5]: إنّما ذَلِكَ مِنْ أجْلِ صَوْتِ الذُّبابِ الّذِي يَكُونُ فيهِ، قالَهُ (ح)[6].

---

(١) كذا في (ح)، (س). وفي غيرهما: «الحروب». وكأن «الحروث» أقرب إلى ما فسّر السهيلي.

(٢) في (ب)، (س): «أبآرًا».

(٣) في (ب): «جعل الخوص بئرًا».

(٤) البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ٤٢) منسوبًا لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (٢: ٨٨٦)، وفيهما يروى صدره:

«على حِمْيَريات كأنَّ...»، ومُخَيَّسة: مُذَلَّلة، والبُزْل: جمع بَزُول، وهي التي طلع نابها، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة، وأنكزتها: أنفذت ماءها.

(٥) في (أ)، (س): «وقيل».

(٦) في (ص): «قاله أبو حنيفة».

وَقَوْلُهُ: «تَبَقَّعَ لِلحَصادِ»؛ أَيْ: صارَتْ فيهِ بُقَعٌ بيضٌ مِنَ اليَبْسِ، يُقالُ لِلزَّرْعِ إذا صارَ كَذَلِكَ: ازْقاطَّ، واشخامّ[١] [واصحارَّ][٢]، وإذا أَخَذَ السُّنبلُ الحَبَّ قِيلَ: أَلحَمَ. ومِنَ السّفى: أَسْفى[٣]، وأَشَعّ مِن الشَّعاع بِفَتْحِ الشِّينِ وكَسْرِها، وهي[٤] السَّفا، ويُقالُ[٥]: أَسْبَلَ الزَّرْعُ مِنَ السنبلِ، كَما يُقالُ: بَعِيرٌ حَظِلٌ، وأَحْظَلَ المَكانُ مِنَ الحَنْظَلِ، وهي لُغةُ أَهْلِ الحِجازِ، وبَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ: سنبل، وأمّا هَمْدان فيُسَمُّونَ السُّنْبُلَ سُبُولًا[٦]، والواحِدةُ سُبُولةٌ، فقِياسُ لُغَتِهِمْ أَنْ يُقالَ: أَسْبَلَ.

وإنّما فخَرَتِ الأَنْصارُ في هَذا الشّعْرِ والّذِي قَبْلَهُ بِنَخْلِها وآطامِها؛ إشارةً إلى عِزِّها ومَنَعَتِها، وأنّها لَمْ تُغْلَبْ عَلى بِلادِها عَلى قَدِيمِ الدَّهْرِ، كَما أُجْلِيَتْ أَكْثَرُ الأعارِيبِ عَنْ مَحالِّها، وأَزْعَجَها الخَوْفُ عَنْ مَواطِنِها، وهَذا المَعْنى أَرادَ حَسّانُ في قَوْلِهِ[٧]: [من الكامل]

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَـوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ابنِ مارِيةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

---

(١) في النسخ: «استحام»، ولعل الصواب ما أثبت، ففي «المخصص» (١٠: ١٩٧): «اشخام نبت الأرض: اختلط الرطب باليابس، وذلك في إدباره، وهو أن يبيض منه ورق، وورق لَوِيّ». والورق اللوِيّ: اليابس.

(٢) ليس في (ح)، (س)، وفي غيرهما: «اسحارّ». ولعل صوابه ما أثبت؛ ففي «المخصص» (١٠: ١٩٩): «وقد اصحارّ العشب: إذا كانت صفرته غير خالصة». هذا وبعد «اصحار»: «واصفار» وليس ثابتًا في (ب)، (ص).

(٣) أسفى الزرع: خشن أطراف سنبله، وشعاع السنبل: سفاه إذا يبس.

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) في (ب): «وقيل».

(٦) «المخصص» (١١: ٥٢).

(٧) «ديوانه» (١: ٧٤).

لِأنّ إقامَتَهُمْ حَوْلَ قُبُورِ آبائِهِمْ وأجْدادِهِمْ دَلِيلٌ عَلى مَنَعَتِهِمْ، وأن لا مُغالِبَ لَهُمْ عَلى ما تَخَيّرُوهُ مِنْ بِقاعِ الأرْضِ، وآثَرُوهُ عِنْدَ ارْتِيادِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

أثَرْنا سِكّةَ الأنْباطِ فيها

السِّكّةُ: النَّخْلُ المُصْطَفُّ؛ أيْ: حَرَثْناها وغَرَسْناها، كَما تَفْعَلُ الأنْباطُ في أمْصارِها لا تَخافُ عَلَيْها كَيْدَ كائِدٍ، وإيّاها أرادَ النّبيّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «خَيْرُ المالِ سِكّةٌ مَأْبُورةٌ»[١]. والسِّكّةُ أيْضًا: السِّنّةُ، وهي الحَدِيدةُ الّتِي يَشُقّ بِها الفَدّانُ[٢] الأرْضَ، ويُقالُ لَها أيْضًا: المانُ[٣]، وهُوَ تَفْسِيرُ الأصْمَعِيّ، وفَسّرَهُ أبُو عُبَيْدٍ عَلى المَعْنى الآخَرِ، وأنّها النّخْلُ[٤]، ويُقالُ أيْضًا: أُبِيثَتِ [الأرْضُ في مَعْنى أُثِيرَتْ، قالَهُ (ح)[٥]. ويُروى في «الحماسة»[٦]: [من الطويل]

هَلُــمّ إلَيْها قَدْ أُبِيثَــتْ][٧] زُرُوعُها

(١) «مسند أحمد» (٣: ٤٦٨). والمأبورة: الملقحة.

(٢) الفدان: المحراث.

(٣) يقال: مان الأرض: شقها للزراعة. والمان: السِّنّةُ يُحرث بها. فارسية. وذكرها ابن سيده في (م ون). وعن ابن الأعرابي أنها من (م ي ن).

(٤) «غريب الحديث» له: (١: ٣٤٩).

(٥) أي أبو حنيفة الدينوري مصنف «كتاب النبات». (ج)

(٦) البيت للمتلمس، وهو في «الحماسة» (ص: ٦٦١)، ويروى: «قد أثيرت زروعها». وعجز البيت:

وعادت عليهــا المنجنون تكدَّس

يخاطب النعمان، و«إليها»؛ أي: إلى اليمامة. وهذا الكلام تهكم. يقول له: إن قدرت. هذا وانظر: «ديوان المتلمس» (ص: ١٢٢).

(٧) سقط من (أ)، (ف).

أيْ: أُثِيرَتْ. وفي «الغَرِيبِ المُصَنَّفِ»[١]: [من الوافر]

وَحَقُّ بَنِي شِـغارةَ أنْ يَقُولُوا لِصَخْرِ الغَيّ: ماذا تَسْـتَبِيثُ؟

وَغَلِطَ أبُو عُبَيْدٍ فجَعَلَ «تَسْتَبِيثُ» مِنْ نَبِيثَةِ البِئْرِ، وهُوَ تُرابُها، ولَوْ كانَ كَذَلِكَ لَقالَ: تَسْتَنْبِثُ بِنُونٍ قَبْلَ الباءِ.

وَقَوْلُهُ: «جَلهاتِ وادِ»، الجَلْهةُ[٢] مِن الوادِي: ما كَشَفَتْ عَنْهُ السّيُولُ الشَّعْراءَ[٣] فأبْرَزَتْهُ، وهُوَ مِن الجَلَهِ، وهُوَ انْحِسارُ الشَّعْرِ عَنْ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ.

وَقَوْلُهُ: «صَفْراءِ الجَرادِ»، وهي الخَيْفانةُ مِنْها، وهي الّتِي ألقَتْ سُرُؤَها، أيْ: بَيْضَها، وهي أخَفُّ طَيَرانًا. والكُتْفانُ[٤] من الجراد أكبرُ من الخَيْفان، وأوّلُ أمْرِ الجَرادِ دُودٌ ويُقالُ لَهُ: القمصُ، يُلقِيهِ بَحْرُ اليَمَنِ، ولَهُ عَلامةٌ قَبْلَ خُرُوجِهِ، وهُوَ بَرْقٌ يَلمَعُ مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ سَبْعَ عَشْرةَ مَرّةً، فيَعْلَمُونَ بِخُرُوجِ الجَرادِ، قالَهُ (ح)[٥].

وَقَوْلُهُ: «غَيْرِ مُعْتَلِثِ الزِّنادِ»، الزِّنادُ المُعْتَلِثُ: هُوَ الّذِي لا يُدْرى مِنْ أيِّ عُودٍ هُوَ، وأصْلُ الِاعْتِلاثِ الِاخْتِلاطُ: يُقالُ: عَلَثْتُ الطّعامَ إذا خَلَطْتَ حِنْطةً بِشَعِيرٍ، والعُلاثةُ: الزَّنْدُ الّذِي لا يُورِي نارًا.

---

(١) البيت في «ديوان الهذليين» (٢: ١٢٤)، منسوبًا إلى المثلّم، شاعر جاهلي. وانظر: اللسان: (بوث).

(٢) الجلهة: جانب الوادي وشطّه.

(٣) الشَّعْراء والشعران: حمضة ليس لها ورق، ولها هَدَب، والإبل تحرص عليها. انظر: «المخصص» (١١: ١٧٣).

(٤) في «المخصص» (٨: ١٧٣): «وسمي بذلك لأنه خرجت أوائل أجنحته فكتفته. وقيل: سُمِّي كتفانًا لأنه يكتف المشي، أي: أنه إذا مشى حرَّكَ كتفيه، الواحدة: كتفانة». انظر: «النبات» لأبي حنيفة: (ص: ٥٣-٥٤، ٦٦).

(٥) «كتاب النبات» لأبي حنيفة الدينوري: (ص: ٢٨٤). وفيه: «إحدى عشرة ليلة» بدل من: «سبع عشرة مرة». (ج)

مَقْتَلُ سَلّامِ بنِ أبي الحُقَيْقِ

[اسْتِئْذانُ الخَزْرَجِ الرَّسُولَ في قَتْلِ ابنِ أبي الحُقَيْقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا انْقَضى شَأْنُ الخَنْدَقِ، وأمْرُ بَنِي قُرَيْظَةَ، وكانَ سَلّامُ بنُ أبي الحُقَيْقِ - وهُوَ أبو رافِعٍ - فيمَنْ حَزَّبَ الأحْزابَ على رَسُولِ الله ﷺ، وكانَت الأوْسُ قَبْلَ أُحُدٍ قَدْ قَتَلَتْ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ، في عَداوَتِهِ لِرَسُولِ الله ﷺ وتَحْرِيضِهِ عَلَيْهِ، اسْتَأْذَنَت الخَزْرَجُ رَسُولَ الله ﷺ في قَتْلِ سَلّامِ بنِ أبي الحُقَيْقِ وهُوَ بِخَيْبَرَ، فأذِنَ لَهُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الله ابنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، قالَ: وكانَ مِمّا صَنَعَ الله بِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ: أنَّ هَذَيْنِ الحَيَّيْنِ مِن الأنْصارِ والأوْسِ والخَزْرَجِ، كانا يَتَصاوَلانِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ تَصاوُلَ الفَحْلَيْنِ، لا تَصْنَعُ الأوْسُ شَيْئًا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ غَناءً إلّا قالَت الخَزْرَجُ: والله لا تَذْهَبُونَ بِهَذِهِ فضْلًا عَلَيْنا عِنْدَ رَسُول الله ﷺ وفي الإسْلامِ. قالَ: فلا يَنْتَهُونَ حَتّى يُوقِعُوا مِثْلَها، وإذا فعَلَت الخَزْرَجُ شَيْئًا قالَت الأوْسُ مِثْلَ ذلك.

ولَمّا أصابَت الأوْسُ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ في عَداوَتِهِ لِرَسُولِ الله ﷺ، قالَت الخَزْرَجُ: والله لا تَذْهَبُونَ بِها فضْلًا عَلَيْنا أبَدًا، قالَ: فتَذاكَرُوا: مَنْ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ في العَداوةِ كابنِ الأشْرَفِ؟ فذَكَرُوا ابنَ أبي الحُقَيْقِ، وهُوَ بِخَيْبَرَ، فاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ الله ﷺ في قَتْلِهِ، فأذِنَ لَهُمْ.

[النَّفَرُ الَّذينَ خَرَجُوا لِقَتْلِ ابنِ أبي الحُقَيْقِ وقِصَّتُهُمْ]

فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِن الخَزْرَجِ مِنْ بَنِي سَلِمةَ خَمْسةُ نَفَرٍ: عَبْدُ الله بنُ عَتِيكٍ، ومَسْعُودُ بنُ سِنانٍ، وعَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ، وأبو قَتادةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيٍّ، وخُزاعِيُّ ابنُ أَسْوَدَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أَسْلَمَ، فخَرَجُوا وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ عَبْدَ الله بنَ عَتِيكٍ، ونَهاهُمْ عَنْ أنْ يَقْتُلُوا ولِيدًا أو امْرَأَةً، فخَرَجُوا حَتّى إذا قَدِمُوا خَيْبَرَ، أَتَوْا دارَ ابنِ أبي الحُقَيْقِ لَيْلًا، فلَمْ يَدَعُوا بَيْتًا في الدّارِ إلّا أغْلَقُوهُ على أهْلِهِ.

قالَ: وَكانَ في عِلِّيّةٍ لَهُ إلَيْها عَجَلةٌ، قالَ: فأَسْنَدُوا فيها، حَتّى قامُوا على بابِهِ، فاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فخَرَجَتْ إلَيْهِمُ امْرَأَتُهُ، فقالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالُوا: ناسٌ مِن العَرَبِ نَلْتَمِسُ المِيرةَ. قالَتْ: ذاكُمْ صاحِبُكُمْ، فادْخُلُوا عَلَيْهِ، قالَ: فلَمّا دَخَلْنا عَلَيْهِ، أغْلَقْنا عَلَيْنا وعَلَيْها الحُجْرةَ؛ تَخَوُّفًا أنْ تَكُونَ دُونَهُ مُجاوَلةٌ تَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَهُ، قالَ: فَصاحَت امْرَأتُهُ، فنَوَّهَتْ بِنا، وابْتَدَرْناهُ وهُوَ على فراشه بأسيافِنا، فواللهِ ما يَدُلُّنا عَلَيْهِ في سَوادِ اللَّيْلِ إلّا بَياضُهُ كَأَنَّهُ قُبْطِيّةٌ مُلْقاةٌ. قالَ: ولَمّا صاحَتْ بِنا امْرَأَتُهُ، جَعَلَ الرَّجُلُ مِنّا يَرْفَعُ عَلَيْها سَيْفَهُ، ثُمَّ يَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولَ الله ﷺ فيكُفُّ يَدَهُ، ولَوْلا ذلك لَفَرَغْنا مِنْها بِلَيْلٍ.

قالَ: فلَمّا ضَرَبناهُ بِأسْيافِنا، تَحامَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ بِسَيْفِهِ في بَطْنِهِ حَتّى أنْفَذَهُ وهُوَ يَقُولُ: قَطْنِي قَطْنِي؛ أي: حَسْبِي حَسْبِي. قالَ: وخَرَجْنا، وكانَ عَبْدُ الله بنُ عَتِيكٍ رجلًا سيئ البَصَرِ، قالَ: فوَقَعَ مِن الدَّرَجةِ فَوُثِئَتْ يَدُه وَثْئًا شَدِيدًا ـ ويُقالُ: رِجْلُهُ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ وحَمَلْناهُ حَتّى نَأْتِيَ بِهِ

مَنْهَرًا مِنْ عُيُونِهِمْ، فنَدْخُلَ فيهِ. قالَ: فَأَوْقَدُوا النِّيرانَ، واشْتَدُّوا في كُلِّ وجْهٍ يَطْلُبُونَنا، قالَ: حَتّى إذا يَئِسُوا رَجَعُوا إلى صاحِبِهِمْ، فاكْتَنَفُوهُ وهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ. قالَ: فقُلْنا: كَيْفَ لَنا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ عَدُوَّ اللهِ قَدْ ماتَ؟ قالَ: فقالَ رَجُلٌ مِنّا: أنا أذْهَبُ فأَنْظُرُ لَكُمْ. فانْطَلَقَ حَتّى دَخَلَ في النّاسِ، قالَ: فوَجَدْتُ امْرَأَتَهُ ورِجالَ يَهُودَ حَوْلَهُ وفي يَدِها المِصْباحُ تَنْظُرُ في وجْهِهِ، وتُحَدِّثُهُمْ وتَقُولُ: أما واللهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابنِ عَتِيكٍ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وقُلْتُ: أَنّى ابنُ عَتِيكٍ بِهَذِهِ البِلادِ؟ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَنْظُرُ في وجْهِهِ، ثُمَّ قالَتْ: فاظَ وإلَهِ يَهُودَ. فما سَمِعْتُ مِنْ كَلِمةٍ كانَتْ أَلَذَّ إلى نَفْسِي مِنْها.

قالَ: ثُمَّ جاءَنا الخَبَرُ، فاحْتَمَلْنا صاحِبَنا فقَدِمْنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَخْبَرْناهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللهِ، واخْتَلَفْنا عِنْدَهُ في قَتْلِهِ، كُلُّنا يَدَّعِيهِ. قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هاتُوا أَسْيافَكُمْ»، قالَ: فجِئْناهُ بِها، فنَظَرَ إلَيْها، فقالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللهِ بنِ أُنَيْسٍ: «هذا قَتَلَهُ؛ أرى فيهِ أَثَرَ الطَّعامِ».

[شِعْرُ حَسّانَ في قَتْلِ ابنِ الأَشْرَفِ وابنِ أبي الحُقَيْقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ وهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، وقَتْلَ سَلّامِ بنِ أبي الحُقَيْقِ:

لله دَرُّ عِصابةٍ لاقَيْتَهُمْ ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأَنْتَ يا ابنَ الأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالبِيضِ الخِفافِ إلَيْكُمُ ... مَرَحًا كَأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِفِ
حَتّى أَتَوْكُمْ في مَحَلِّ بِلادِكُمْ ... فسَقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «ذُفَّفِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

مَقْتَلُ ابنِ أبي الحُقَيقِ

ذكر فيه النّفَرَ الخَمْسةَ الّذِينَ قَتَلُوهُ وسَمّاهُمْ، وذَكَرَ فيهِم ابنَ عُقبةَ أسعدَ بنَ حَرامٍ، ولا يُعْرَفُ أحَدٌ ذَكَرَهُ غَيْرُهُ.

وَذَكَرَ في الحَدِيثِ: قَطْنِي قَطْنِي، قال معناه: حَسْبِي [حَسْبِي][1].

قالَ المُؤَلِّفُ: وهَـذِهِ الكَلِمةُ أصْلُهـا مِن القَـطِّ، وهُـوَ القَطْعُ، ثُمّ خُفِّفَتْ وأُجْرِيَتْ مُجْرى الحرُوفِ[2].

وكَذَلِكَ «قَدْ» في مَعْنى قَطْ هي أيْضًا مِن القَدِّ، وهُوَ القَطْعُ طُولًا، والقَطُّ[3] هُوَ القَطْعُ عَرْضًا، يُقالُ: إنّ عَلِيًّا رضي الله عنه كانَ إذا اسْتَعْلى الفارِسَ قَدَّهُ، واذا اسْتَعْرَضَهُ قَطّهُ[4]، ولمّا كانَ الشّيْءُ الكافي الّذِي لا يُحْتاجُ مَعَهُ إلى غَيْرِهِ يَدْعُو إلى قَطْعِ الطّلَبِ وتَرْكِ المَزِيدِ جَعَلُوا قَدْ وقَطْ تُشْعِرُ بِهَذا المَعْنى، فإذا ذَكَرْتَ نَفْسَك قُلت: قَدِي وقَطِي، كَما تَقُولُ: حَسْبِي، وإنْ شِئْتَ ألحَقْتَ نُونًا فقُلتَ: قَدْنِي وقَطْنِي، وذَلِكَ مِنْ أجْلِ سُكُونِ آخِرِها، فكَرِهُوا تَحْرِيكَهُ مِنْ أجْلِ الياءِ، كَما كَرِهُوا تَحْرِيكَ آخِرِ الفِعْلِ، فقالُوا: ضَرَبَنِي، وكَذَلِكَ كَرِهُوا تَحْرِيكَ آخِرِ «لَيْتَ» بالكسر فقالُوا: لَيْتَنِي. وقَدْ يَقُولُونَ: لَيْتِي، وهُوَ قَلِيلٌ، وقالُوا: لَعَلَّنِي ولَعَلّي، وقالُوا: مِنْ لَدُنِّي فأدْخَلُوها عَلى الياءِ المَخْفُوضةِ بِالظّرْفِ كَما أدْخَلُوها عَلى الياءِ المَخْفُوضةِ بِمِنْ وعن، فعلوا هذا وقايةً لأواخِرِ هذه الكَلِمِ مِنَ الخَفْضِ، وخَصُّوا النّونَ بِهَذا؛ لِأنّها إذا كانَتْ تَنْوِينًا في آخِرِ الِاسْمِ آذَنَتْ

---

(١) عن (أ).

(٢) في (ب)، (ج): «الحرف».

(٣) في (ب)، (ص): «بالطاء».

(٤) في (ف): «قطعه».

بِامْتِناعِ الإضافةِ، وكَذَلِكَ في هَذِهِ المَواطِنِ الّتِي سَمَّيْنا تُشْعِرُ بِامْتِناعِها مِنَ الخَفْضِ، وتُشْعِرُ في الفِعْلِ والحُرُوفِ بِامْتِناعِها مِنَ الإضافةِ أيْضًا؛ لِأنّ الحَرْفَ لا يُضافُ، وكَذَلِكَ الفِعْلُ، مَعَ أنّ النُّونَ مِنْ عَلاماتِ الإضْمارِ في فَعَلْنا وفَعَلَنا في ضَمِيرِ المَفْعُولِ، فأمّا قَدْ وقَطْ فاسْمانِ، وكَذَلِكَ لَدُنْ، ولَكِنْ كَرِهُوا تَحْرِيكَ أواخِرِها لِشَبَهِها بِالحُرُوفِ.

فإنْ قِيلَ: فما مَوْضِعُ «نِي» مِنْ «قَطْنِي»؟

قُلنا: مَوْضِعُها خَفْضٌ بِالإضافةِ، كَما هي في لَدُنِّي.

فإنْ قُلتَ: كَيْفَ تَكُونُ ضَمِيرَ المَفْعُولِ والمَنْصُوبِ في ضَرَبَنِي ولَيْتَنِي، ثُمّ تَقُولُ: إنّها في مَوْضِعِ خَفْضٍ؟

قُلنا: الضّمِيرُ في الحَقِيقةِ هي الياءُ وحْدَها في الخَفْضِ والنَّصب، كَما أنَّ الكافَ والهاءَ كَذَلِكَ، وقَدْ قالُوا: مِنّي وعَنّي، وهُوَ ضَمِيرُ خَفْضٍ، وفيهِ النُّونُ، وقالُوا: لَيْتِي ولَعَلّي، وهُوَ ضَمِيرُ نَصْبٍ ولَيْسَ فيهِ نُونٌ.

فإنْ قِيلَ: فَما مَوْضِعُ الِاسْمِ مِن الإعْرابِ إذا قُلت: قَدِي وقَطِي؟

قُلنا: إعْرابُهُما كَإعْرابِ «حَسْبِي» مُبْتَدَأٌ وخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، وإنّما لَزِمَ حَذْفُ خَبَرِهِ لِما دَخَلَهُ مِنْ مَعْنى الأمْرِ، ومِنْ هَذا البابِ قَوْلُ جَهَنّمَ أعاذَنا اللهُ مِنْها: «قَطِي، وعِزَّتِكَ قَطِي»، ويُرْوى: «قَطْنِي»[1]، وذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، فإذا وُضِعَتْ فيها القَدَمُ، وزَوى بَعْضُها إلى بَعْضٍ، قالَتْ: قَطِي. وقَدْ جَمَعَ الراجِزُ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ فقال[2]: [من الرجز]

---

(١) «فتح الباري» (٨: ٥٩٤)، وفي الحديث روايات: قَطْ قَطْ، وقَطِي قَطِي، وقطني قطني.

(٢) الرجز في «الكتاب» (٢: ٣٧١)، و«الخزانة» (٥: ٣٨٢)، منسوبًا إلى غير واحد. =

قَدْني مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبينِ قَدِي

فَهَذا ما في قَطِي الّتِي هي بِمَعْنى حَسْبِي.

فأمّا قَطُّ المَبنِيّةُ عَلى الضّمّ، فهي ظَرْفٌ لِما مَضى، وهي تُقال بالتَّخفيف والتَّثقيل، وهي مِنَ القَطِّ أيْضًا الّذِي بِمَعْنى القَطْعِ، وفي مُقابَلَتِها في المُسْتَقْبَلِ: عَوْض، تقول: ما فعَلته[1] قَطُّ، ولا أفْعَلُهُ[2] عَوْضُ، مِثْلِ: قَبْلُ وبَعْدُ.

* * *

= والخبيبين: مثنى خبيب أو جمع خبيب، وخبيب هو ابن عبد الله بن الزبير. وقيل: أراد أبا خبيب، وهو عبد الله بن الزبير، والمقصود برواية التثنية: عبد الله ومصعب ابنا الزبير، وبرواية الجمع: عبد الله ومن معه.

(١) في (ف)، (أ)، (ص): «فعلتها».

(٢) في (ص): «أفعلها».

إسْلامُ عَمْرِو بنِ العاصِ وخالِدِ بنِ الوَلِيدِ

[ذَهابُ عَمْرٍو مَعَ آخَرِينَ إلى النَّجاشِي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبي حَبِيبٍ، عَنْ راشِدٍ مَوْلى حَبِيبِ ابنِ أبي أوْسٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بنِ أبي أوْسٍ الثَّقَفي، قالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو ابنُ العاصِ مِنْ فيهِ، قالَ: لَمّا انْصَرَفْنا مَعَ الأحْزابِ عَنِ الخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجالًا مِنْ قُرَيْشٍ، كانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، ويَسْمَعُونَ مِنِّي، فقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ واللهِ أنِّي أرى أمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وإنِّي قَدْ رَأيْتُ أمْرًا، فما تَرَوْنَ فيهِ؟ قالُوا: وماذا رَأيْتَ؟ قالَ: رَأيْتُ أنْ نَلْحَقَ بِالنَّجاشِي فنَكُونَ عِنْدَهُ، فإنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ على قَوْمِنا كُنّا عِنْدَ النَّجاشِي، فإنّا أنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أحَبُّ إلَيْنا مِنْ أنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وإنْ ظَهَرَ قَوْمُنا فنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فلَنْ يَأْتِيَنا مِنْهُمْ إلّا خَيْرٌ. قالُوا: إنَّ هذا الرَّأْيُ.

قُلْتُ: فاجْمَعُوا لَنا ما نُهْدِيهِ لَهُ، وكانَ أحَبَّ ما يُهْدى إلَيْهِ مِنْ أرْضِنا الأدَمُ، فَجَمَعْنا لَهُ أدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنا حَتّى قَدِمْنا عَلَيْهِ.

[سُؤالُهُ النَّجاشِيَ في قَتْلِ عَمْرٍو الضَّمْرِيِّ، ورده عَلَيْهِ]

فواللهِ إنّا لَعِنْدَهُ إذْ جاءَهُ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ الضَّمْرِيُّ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إلَيْهِ في شَأْنِ جَعْفَرٍ وأصْحابِهِ، قالَ: فدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ،

قالَ: فقُلْتُ لِأصْحابِي: هذا عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ على النَّجاشِي وسَألْتُهُ إيّاهُ فأعْطانِيهِ، فضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فإذا فعَلْتُ ذلك رَأتْ قُرَيْشٌ أنِّي قَدْ أجْزَأْتُ عَنْها حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قالَ: فدَخَلْتُ عَلَيْهِ فسَجَدْتُ لَهُ كَما كُنْتُ أصْنَعُ، فقالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أهْدَيْتَ إلَيَّ مِنْ بِلادِكَ شَيْئًا؟ قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أيُّها المَلِكُ، قَدْ أهْدَيْتُ إلَيْكَ أدَمًا كَثِيرًا، قالَ: ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إلَيْهِ، فأعْجَبَهُ واشْتَهاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أيُّها المَلِكُ، إنِّي قَدْ رَأيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنا، فأعْطِنِيهِ لِأقْتُلَهُ؛ فإنَّهُ قَدْ أصابَ مِنْ أشْرافِنا وخِيارِنا، قالَ: فغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فضَرَبَ بِها أنْفَهُ ضَرْبةً ظَنَنْتُ أنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فلَو انْشَقَّتْ لِي الأرْضُ لَدَخَلْتُ فيها فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أيّها المَلِكُ، واللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أنَّكَ تَكْرَهُ هذا ما سَألْتُكَهُ، قالَ: أتَسْألُنِي أنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النّامُوسُ الأكْبَرُ الَّذي كانَ يَأْتِي مُوسى لِتَقْتُلَهُ؟! قالَ: قُلْتُ: أيُّها المَلِكُ، أكَذاكَ هُوَ؟ قالَ: ويْحَكَ يا عَمْرُو، أطِعْنِي واتَّبِعْهُ؛ فإنَّهُ واللهِ لَعلى الحَقِّ، ولَيَظْهَرَنَّ على مَنْ خالَفَهُ، كَما ظَهَرَ مُوسى على فِرْعَوْنَ وجُنُودِهِ، قالَ: قُلْتُ: أفَتُبايِعُنِي لَهُ على الإسْلامِ؟ قالَ: نَعَمْ، فبَسَطَ يَدَهُ، فبايَعْتُهُ على الإسْلامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إلى أصْحابِي وقَدْ حالَ رَأْيِي عَمّا كانَ عَلَيْهِ، وكَتَمْتُ أصْحابِي إسْلامِي.

[اجْتِماعُ عَمْرٍو وخالِدٍ على الإسْلامِ]

ثُمَّ خَرَجْتُ عامِدًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فلَقِيتُ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، وذلك قُبَيْلَ الفَتْحِ وهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكّةَ، فقُلْتُ: أيْنَ يا أبا سُلَيْمانَ؟

قالَ: واللهِ لَقَد اسْتَقامَ المَنْسِمُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أذْهَبُ واللهِ فأُسْلِمُ، فحَتّى مَتى؟ قالَ: قُلْتُ: واللهِ ما جِئْتُ إلّا لأسلم، قالَ: فقَدِمْنا المَدِينةَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فتَقَدَّمَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ فأسْلَمَ وبايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي أُبايِعُكَ على أنْ يُغْفَرَ لِي ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، ولا أذْكُرُ ما تَأخَّرَ، قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا عَمْرُو، بايِعْ؛ فإنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ ما كانَ قَبْلَهُ، وإنَّ الهِجْرةَ تَجُبُّ ما كانَ قَبْلَها»، قالَ: فبايَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: فإنَّ الإسْلامَ يَحُتُّ ما كانَ قَبْلَهُ، وإنَّ الهِجْرةَ تَحُتُّ ما كانَ قَبْلَها.

[إسْلامُ ابنِ طَلْحةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ، وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ: أنَّ عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ بنِ أبي طَلْحةَ، كانَ مَعَهُما حِينَ أسْلَما.

[شِعْرٌ لِلسَّهْمِيِّ في إسْلامِ ابنِ طَلْحةَ وخالِدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ ابنُ الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ:

أنْشُدُ عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ حِلْفَنا ... ومُلْقى نِعالِ القَوْمِ عِنْدَ المُقَبَّلِ
وَما عَقَدَ الآباءُ مِنْ كُلِّ حِلْفةٍ ... وما خالِدٌ مِنْ مِثْلِها بِمُحَلَّلِ
أمِفْتاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي؟ ... وما يُبْتَغى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثَّلِ؟
فَلا تَأْمَنَنَّ خالِدًا بَعْدَ هَذِهِ ... وعُثْمانُ جاءَ بِالدُّهَيْمِ المُعَضَّلِ

وَكانَ فتْحُ بَنِي قُرَيْظةَ في ذِي القَعْدةِ وصَدْرِ ذِي الحَجّةِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ.

إسْلامُ عَمْرِو بنِ العاصِ[١] وخالِدِ بنِ الوَلِيدِ رضي الله عنهما

رَوَيْنا مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الخَطِيبِ بِإِسْنادٍ يَرْفَعُهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «يَقْدَمُ عَلَيْكُم اللَّيْلَةَ رَجُلٌ حَكِيمٌ»، فقَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ[٢] مُهاجِرًا[٣].

وذَكَرَ فيهِ اجْتِماعَهُ مَعَ خالِدٍ في الطَّرِيقِ وقَوْلَ خالِدٍ لَهُ: «قد اسْتَقامَ المِيسَمُ». مَنْ رَواهُ «المِيسَمُ» بِالياءِ، فهي العَلامةُ، أيْ: قَدْ تَبَيَّنَ الأَمْرُ واسْتَقامَتِ الدّلالةُ، ومَنْ رَواهُ «المَنْسِمُ» بِفَتْحِ المِيمِ وبِالنّونِ، فمَعْناهُ: اسْتَقامَ الطَّرِيقُ ووَجَبَتِ الهِجْرَةُ، والمَنْسِمُ: مُقَدَّمُ خُفِّ البَعِيرِ، وكُنِّيَ بِهِ عَنِ الطَّرِيقِ؛ لِلتَّوَجُّهِ بِهِ فيهِ.

وَذَكَرَ الزُّبَيْرُ خَبَرَ عَمْرٍو هَذا، وزادَ فيهِ: «أَنَّ عُثْمانَ بنَ طَلحةَ بنِ أَبِي طَلحةَ صَحِبَهُما في تِلْكَ الطَّرِيقِ، فلَمّا قَدِمُوا عَلى رسول الله ﷺ، قالَ عَمْرٌو: وَكُنْتُ أَسَنَّ مِنْهُما، فأَرَدْت أَنْ أَكِيدَهُما، فقَدَّمْتهما قَبْلِي لِلبَيْعةِ، فبايَعا، واشْتَرَطا أَنْ يُغْفَرَ [لهما][٤] ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِما، فأَضْمَرْتُ في نَفْسِي أَنْ أُبايع[٥] عَلى أَنْ يُغْفر لِي ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وما تَأَخَّرَ، فلَمّا بايَعْتُ ذَكَرْت ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وأُنْسِيت أَنْ أَقُولَ: وما تأَخَّر»[٦].

وَذَكَرَ فيهِ[٧] قُدُومَ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيّ عَلى النّجاشِيّ بِكِتابِ النَّبِيّ ﷺ،

---

(١) في (ف): «العاصي».

(٢) في (ف): «العاصي».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١ : ٤٧). (ج)

(٤) عن (ص)، (ج).

(٥) في (ف): «نبايع».

(٦) انظر: كتاب «نسب قريش» لمصعب الزبيري: (ص: ٤٠٩-٤١٠).

(٧) «فيه» ليس في (ف).

وكانَ في الكِتابِ ما تَكَلّمَ بِهِ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ، فإنّهُ لَمّا قَدِمَ عَلَيْهِ قالَ [لَهُ][(١)]: يا أَصْحَمةُ، إنّ عَلَيّ القَوْلَ وعَلَيْك الِاسْتِماعَ، إنَّك كَأنّك في الرِّقّةِ عَلَيْنا مِنّا، وكَأنّا بِالثِّقةِ بك منك؛ لأنا لم نظُنَّ بِك خَيْرًا [قَطّ][(٢)] إلّا نِلناهُ، ولَمْ نَخَفْكَ على شيء قطُّ إلّا أمِنّاهُ، وقَدْ أخَذْنا الحُجّةَ عَلَيْك مِنْ فيك، الإنجيلُ بَيْنَنا وبَيْنَك شاهِدٌ لا يُرَدّ، وقاضٍ لا يَجُورُ، وفي ذَلِكَ وقْعُ الحَزّ وإصابةُ المَفْصِلِ، وإلّا فأنْتَ في هَذا النّبِيّ الأُمِّيّ كاليَهُودِ في عِيسى ابنِ مَرْيَمَ، وقَدْ فَرّقَ النّبيُّ ﷺ رُسُلَهُ إلى النّاسِ، فرَجاك لِما لَمْ يَرْجُهُمْ لَهُ، وأمِنَك على ما خافَهُمْ عَلَيْهِ لِخَيْرِ سالِفٍ وأجْرٍ يُنْتَظَرُ، فقالَ النّجاشِيّ: أشْهَدُ باللهِ أنّهُ النّبِيُّ الأُمّيُّ الّذِي يَنْتَظِرُهُ أهْلُ الكِتابِ، وأنّ بشارةَ مُوسى بِراكِبِ الحِمارِ كَبشارةِ عِيسى بِراكِبِ الجَمَلِ، وإنّ العِيانَ لَهُ [لَيْسَ][(٣)] بأشْفى مِن الخَبَرِ عَنْهُ، ولَكِنّ أعْوانِي مِنَ الحَبَشِ[(٤)] قَلِيلٌ، فأنْظِرْنِي حَتّى أُكَثِّرَ الأعْوانَ وأُلَيِّنَ القُلُوبَ، وسَنَذْكُرُ فيما بَعْدُ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ ما قالَتْهُ أرْسالُ[(٥)] رسول الله ﷺ إلى المُلُوكِ، وما رَدَّتْ عَلَيْها.

فَإنّ دِحْيةَ كانَ رَسُولَهُ إلى قَيْصَرَ، وخارِجةَ[(٦)] بنَ حُذافةَ كانَ رَسُولَهُ إلى كِسْرى، وشُجاعَ بنَ وهْبٍ إلى جَبَلةَ بنِ الأيْهَمِ الغَسّانِيّ، وسَلِيطَ بنَ عَمْرٍو إلى هَوْذةَ بنِ عَلِيّ الحَنَفِيِّ صاحِبِ اليَمامةِ، والعَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيّ إلى المُنْذِرِ بن

(١) عن (أ)، (ص)، (ف).
(٢) عن (ص)، (ف).
(٣) ليس في (ب).
(٤) في (ف): «الجيش».
(٥) أرسال: جمع رَسَل ـ بفتح الراء والسين ـ وهي الأفواج والفرق يتلو بعضهم بعضًا.
(٦) كذا في النسخ، والمعروف أنه عبد الله بن حذافة السهمي. انظر: «جوامع السيرة» لابن حزم: (ص: ٢٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢١٢).

ساوى، والمُهاجِرَ بنَ أبي أُمَيّةَ إلى الحارثِ بنِ عبدِ كُلالٍ، وعَمْرَو بنَ العاصِي إلى الجُلَنْدى[١] صاحِبِ عُمانَ، وحاطِبَ بنَ أبي بَلْتَعةَ إلى المُقَوْقَسِ صاحِبِ مِصْرَ، وعَمْرَو بنَ أُمَيّةَ إلى النّجاشِيّ كَما تَقَدّمَ، ولِكُلٍّ واحِدٍ مِنْهُمْ كَلامٌ قالَهُ، وشِعْرٌ نَظَمَهُ سَنَذْكُرُهُ بَعْدُ إنْ شاءَ اللهُ[٢].

فَصْلٌ

ما وقَعَ[٣] في أشْعارِ «السِّيرةِ» مِنْ ذِكْرِ السَّمْهَرِيّةِ [مِنَ الرِّماحِ][٤][٥]، فمَنْسُوبةٌ[٦] إلى سَمْهَرٍ وكانَ صَنَعًا[٧] - فيما زَعَمُوا - يَصْنَعُ الرِّماحَ، وكانَت امْرَأتُهُ رُدَيْنَةُ تَبِيعُها، فقِيلَ لِلرِّماحِ: الرُّدَيْنِيّةُ لِذَلِكَ، وأمّا الماسِخِيّةُ[٨] مِنَ القِسِيّ فمَنْسُوبةٌ إلى ماسِخةَ، واسْمُهُ نُبَيْشةُ[٩] بنُ الحارِثِ أحَدُ بَنِي نَصْرِ بنِ الأزْدِ، وقالَ الجَعْدِيّ[١٠]: [من المتقارب]

بِعِيسٍ تُعَطِّفُ أعْناقَها ... كَما عَطّفَ الماسِخِيُّ القِياسا

---

(١) كذا، والذي في «جوامع السيرة» (ص: ٢٩): «إلى جيفر وعباد ابني الجلندى». وانظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٨٤).

(٢) انظر: (٧: ٤٧٦).

(٣) «ما وقع» في (ف): «ووقع».

(٤) ليس في (ب).

(٥) انظر ذكرها في «السيرة» (ص: ١٠٩). (ج)

(٦) في غير (ص): «منسوبة».

(٧) في (ب)، (س): «صانعًا». والصَّنَعُ: الماهر الحاذق في الصناعة.

(٨) في (أ)، (ج)، (س)، (ف): «الماسخي».

(٩) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٤٩٠)، وتعليق المحقق، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٧٦).

(١٠) «ديوان النابغة الجعدي» (ص: ٨٢).

وَقَدْ تُنْسَبُ القِسِيُّ أيْضًا إلى زارة، وهي امْرَأةُ ماسِخةَ. قالَ صَخْرُ الغَيّ[١]:

[من الخفيف]

وسَمْحةٌ[٢] مِنْ قِسِيِّ زارةَ حَمْرا ءَ هَتوفٍ عِدادُها غَرِدُ

مِنْ كِتابِ «النّباتِ» لِلدّينَوَرِيّ[٣].

واليَزَنِيّةُ مَنْسُوبةٌ إلى عُبيدٍ الطّعّان، وهو المعروف بيزن[٤] بنِ هَمادي. والماذِيّةُ مَنْسُوبةٌ إلى ماذِي بنِ يافث بن نوح، قاله الطبري[٥]، وزَعَم أنَّ أوَّلَ مَنْ عَمِلَ السُّيُوفَ حـم[٦]، وهُوَ رابعُ مُلُوكِ الأرْضِ.

* * *

(١) «ديوان الهذليين» (٢: ٦٠). سمحة: سهلة. وعدادها: صوتها. وغَرِد: بعيد الصوت.

(٢) في (ف): «سمحة».

(٣) «النبات» (ص: ٣٠٠-٣٠١).

(٤) «تاريخ الرسل والملوك» (٢: ٢٧٥).

(٥) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ٢٠٥).

(٦) لم أجد هذه الإضافة في «تاريخ الطبري».

غَزْوةُ بَنِي لِحْيانَ

[خُرُوجُ الرَّسُولِ إلى بَنِي لِحْيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ ذا الحَجّةِ والمُحَرَّمَ وصَفَرًا وشَهْرَيْ رَبيعٍ، وخَرَجَ في جُمادى الأُولى على رَأْسِ سِتّةِ أشْهُرٍ مِنْ فتْحِ قُرَيْظةَ، إلى بَنِي لِحْيانَ يَطْلُبُ بِأصْحابِ الرَّجِيعِ: خُبَيْبِ بن عَدِيٍّ وأصْحابِهِ، وأظْهَرَ أنَّهُ يُرِيدُ الشّامَ؛ لِيُصِيبَ مِن القَوْمِ غِرّةً.

[اسْتِعْمالُهُ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ على المَدِينةِ]

فَخَرَجَ مِن المَدِينةِ ﷺ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[طَرِيقُهُ إلَيْهِمْ، ثُمَّ رُجُوعُهُ عَنْهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فسَلَكَ على غُرابٍ، جَبَلٍ بِناحِيةِ المَدِينةِ على طَرِيقِهِ إلى الشّامِ، ثُمَّ على مَحِيصٍ، ثُمَّ على البَتْراءِ، ثُمَّ صَفَّقَ ذاتَ اليَسارِ، فخَرَجَ على بَيْنٍ، ثُمَّ على صُخَيْراتِ اليَمامِ، ثُمَّ اسْتَقامَ بِهِ الطَّرِيقُ على المَحَجّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكّةَ، فأغَذَّ السَّيْرَ سَرِيعًا، حَتّى نَزَلَ على غُرانَ، وهِيَ مَنازِلُ بَنِي لِحْيانَ، وغُرانُ: وادٍ بَيْنَ أمَجَّ وعُسْفانَ، إلى بَلَدٍ يُقالُ لَهُ: سايةُ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذِرُوا وتَمَنَّعُوا في رُؤُوسِ الجِبالِ، فلَمّا نَزَلَها رَسُولُ الله ﷺ وأخْطَأهُ مِنْ غِرَّتِهِمْ ما أرادَ، قالَ: «لَوْ أنّا هَبَطْنا عُسْفانَ لَرَأى أهْلُ مَكّةَ أنّا قَدْ جِئْنا مَكّةَ»، فخرج

فِي مِئَتِي راكِبٍ مِنْ أَصْحابِهِ حَتّى نَزَلَ عُسْفانَ، ثُمَّ بَعَثَ فارِسَيْنِ مِنْ أَصْحابِهِ حَتّى بَلَغا كُراعَ الغَمِيمِ، ثُمَّ كَرَّ وراحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قافِلًا.

[مَقالةُ الرَّسُولِ في رُجُوعِهِ]

فَكانَ جابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ وجَّهَ راجِعًا: آيبون، تائِبُونَ إنْ شاءَ اللهُ لِرَبِّنا حامِدُونَ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ وعْثاءِ السَّفَرِ، وكَآبةِ المُنْقَلَبِ، وسُوءِ المَنْظَرِ في الأَهْلِ والمالِ.

[شِعْرُ كَعْبٍ في غَزْوةِ بَنِي لِحْيانَ]

والحَدِيثُ في غَزْوةِ بَنِي لِحْيانَ، عَنْ عاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وعَبْدِ اللهِ ابنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، فقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في غَزْوةِ بَنِي لِحْيانَ:

لَــوَ انَّ بَنِي لِحْيانَ كانُــوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَبًا في دارِهِمْ ذاتَ مَصْدَقِ

لَقُوا سَرَعانًا يَمْــلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ ... أَمــامَ طَحُــونٍ كالمَجَــرّةِ فيلَقِ

وَلَكِنَّهُــمْ كانُــوا وِبــارًا تَتَبَّعَتْ ... شِــعابَ حِجازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفَّقِ

غَزْوةُ بَنِي لِحْيانَ

لَيْسَ فيها ما يُشْكِلُ، وفيها [مِنْ][1] شِعْرِ حَسّانَ[2]: [من الطويل]

لَقُوا سَــرَعانًا يَمْلَأُ السَّــرْبَ رَوْعُهُ

(١) ليس في (أ).

(٢) كذا، والشعر لكعب بن مالك، كما في «السيرة».

سَرَعانُ النّاسِ: سُبّاقُهُمْ، والسَّرْبُ: المالُ الرّاعِي، كَأَنَّهُ جَمْعُ سارِبٍ، ويُقالُ: هُوَ آمِنٌ في سَرْبِهِ[1]؛ أي: لَمْ يُذْعَرْ، ولا خافَ عَلى مالِهِ مِنَ الغارةِ، ومَنْ قالَ: [في][2] سِرْبِهِ؛ بِكَسْرِ السِّينِ، فهُوَ مَثَلٌ؛ لِأنّ السِّرْبَ هُوَ القَطِيعُ مِنَ الوَحْشِ أو من الطَّيْرِ، فمَعْنى[3]: آمِنٌ في سِرْبِهِ، أيْ: لَمْ يُذْعَرْ هُوَ نَفْسُهُ ولا ذُعِرَ أهْلُهُ؛ ولِهَذا المَعْنى أشارَ مَنْ قالَ مِنْ أهْلِ اللّغةِ: مَعْنى «في سِرْبِهِ»؛ أيْ: في نَفْسِهِ، لَمْ يُرِدْ أنّ النّفْسَ يُقالُ لَها: سِرْبٌ، وإنّما أرادَ أنه لم يُذعرْ هُوَ ولا مَنْ مَعَهُ، [لا][4] كالآخَرِ الّذي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ، [وقِيلَ فيهِ: «آمِنٌ في سَرْبِهِ» بِفَتْحِ السِّينِ، فكأنّ الواحِدَ[5] آمِنٌ في مالِهِ، والآخَرَ آمِنٌ في نَفْسِهِ][6]، ويُقالُ: «في سَرْبِهِ»، أيْ: في طَرِيقِهِ أيْضًا.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

أَمامَ طَحُــونٍ كالمجرّةِ فَيْلَقِ

يَعْنِي: كَتِيبةً، جَعَلَها كالمَجَرّةِ لِلَمَعانِ السُّيُوفِ والأسِنّةِ فيها كالنّجُوم حَوْلَ المَجَرّةِ؛ لِأنّ النّجُومَ أكْثَرَ ما تَكُونُ حَوْلَها، وقَدْ قِيلَ: إنّ المَجَرّةَ نَفْسَها نُجُومٌ صِغارٌ مُتَلاصِقةٌ، فبَياضُ المَجَرّةِ مِنْ ضياء تِلكَ النُّجُومِ، وقَدْ رُوِيَ في حَدِيثٍ مُنْقَطِعٍ: «أنّ المَجَرّةَ الّتِي في السّماءِ هي مِنْ لُعابِ حَيّةٍ تَحْتَ العَرْشِ»، وفي

---

(١) ورد ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه في كتاب الزهد، «عارضة الأحوذي» (٩: ٢٠٨)، وابن ماجه: (ص: ١٣٨٧).
(٢) ليس في (أ)، (ج).
(٣) في (ف): «ومعنى».
(٤) ليس في (ب).
(٥) لعل الصواب: «فكأن الأول».
(٦) عن (ب)، (ص)، (ف).

حَديثِ مُعـاذِ بنِ جَبَـلٍ: أنّ رسول الله ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ قالَ لَهُ: «إنّك سَتَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ يَسْألُونَك عَنِ المَجَرّةِ، فقُل: هي مِنْ عَرَقِ الأفْعى الّتِي تَحْتَ العَرْشِ»، لَكِنّ إسْنادَ هَذا الحَدِيثِ ضَعِيفٌ عِنْدَ أهْلِ النّقْلِ لا يُعَرّجُ عَلَيْهِ، ذَكَرَهُ العُقَيْلِيّ[١]، وعَنْ عَلِيٍّ: «أنّها شَرَجُ[٢] السّماءِ الّذِي تَنْشَقّ مِنْهُ»[٣]، وأمّا قَوْلُ المُنَجِّمِينَ غَيْرِ الإسْلامِيّينَ في مَعْنى المَجَرّةِ، فذَكَرَ لَهُم القاضِي في «النّقْضِ الكَبِيرِ»[٤] نَحْوًا مِنْ عَشَرةِ أقْوالٍ أو أكْثَرَ، مِنْها ما يُجَوِّزُهُ العَقْلُ، ومِنْها ما هُوَ شِبْهُ الهَذَيانِ، واللهُ أعْلَمُ.

وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «كالمَجَرّةِ»؛ أيْ: أثَرُ هَذِهِ الكَتِيبةِ الطّحُونِ كَأثَرِ المَجَرِّ[٥] تَقْشِرُ ما مَرّتْ عَلَيْهِ وتَكْنُسُهُ.

والفَيْلَقُ: فَيْعَلٌ مِنَ الفِلقِ، وهي الدّاهِيةُ، كَأنّها تَفْلِقُ القُلُوبَ، وهي الفِلقةُ أيْضًا. قالَ ابن أحمر[٦]: [من الرجز]

(١) «الضعفاء الكبير» للعقيلي: (٣: ٦٠). (ج)

(٢) في «المخصص» (٩: ٨): «ويقال للمجرة أيضًا: شَرَج السماء، أي: مجمعها، كشرج القُبّة». وشَرَجُ القبة: عُراها، جمع عُرْوة، وهي ما يُستمسَكُ به.

(٣) أخرجه البخاري في: «الأدب المفرد» (ص: ٢٦٨). (ج)

(٤) بعده في (ج)، (ص): «يوم القيامة». وانظر «تاج العروس» (ج ر ر).

(٥) في النسخ: «المجرة»، والمثبت عن «الصحاح» (ج ر ر)، و«المخصص» (٩: ٨). ولفظ «المخصص»: «وفي السماء مجرتها، سُمِّيت بذلك على التشبيه؛ لأنها كأنها أثر المَسْحَب والمجر».

(٦) كذا، والرجز لخلف الأحمر، وهو أبو محرز خلف بن حيان، كان عالمًا بالغريب والنحو والنسب والأخبار، شاعرًا مجيدًا. وانظر الرجز في: «البيان والتبيين» (٤: ٦٧)، والبيت الثالث في «الكامل» (١: ١٤١)، و«اللسان» (طبق، طرق). وانظر: «المعاني الكبير» لابن قتيبة: (٢: ٦٧٤).
=

قَدْ طَرّقَتْ بِبِكْرِها أُمّ طَبَقْ   فذمّروهُ خَبَرًا ضَخْمَ العُنُقْ

فَقِيلَ له: وما ذاكَ؟ فقالَ: [من الرجز]

مَوْتُ الإمام فِلقةٌ من الفِلَقْ

غَزْوَةَ ذِي قَرَدٍ

[غارةُ ابنِ حِصْنٍ على لِقاحِ الرَّسُولِ]

ثُمَّ قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينةَ، فلَمْ يُقِمْ بِها إلّا لَيالِيَ قَلائِلَ، حَتّى أغارَ عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ الفَزارِيُّ، في خَيْلٍ مِنْ غَطَفانَ، على لِقاحٍ لِرَسُولِ الله ﷺ بِالغابةِ، وفيها رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفارٍ وامْرَأةٌ لَهُ، فقَتَلُوا الرَّجُلَ، واحْتَمَلُوا المَرْأةَ في اللِّقاحِ.

[بَلاءُ ابنِ الأكْوَعِ في هَذِهِ الغَزْوةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، ومَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَ في غَزْوةِ ذِي قَرَدٍ بَعْضَ الحَدِيثِ: أنَّهُ كانَ أوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ سَلَمةُ بنُ عَمْرِو ابنِ الأكْوَعِ الأسْلَمِيُّ، غَدا يُرِيدُ الغابةَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ونَبْلَهُ، ومَعَهُ غُلامٌ لِطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله مَعَهُ فرَسٌ لَهُ يَقُودُهُ، حَتّى إذا عَلا ثَنِيّةَ الوَداعِ نَظَرَ إلى

= وطرَّقت المرأة، وكل حامل تُطرّق: إذا خرج من الولد نصف ثم نشب. وأم طبق: حيّة، سُمِّيت بذلك لإطباقها على من تلسعه. والتذيير: أن يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكرٌ جنينُها أم أنثى؟ والفلقة: الداهية.

بَعْضِ خُيُولِهِمْ، فأشْرَفَ في ناحيةِ سَلْعٍ، ثم صرخَ: واصَباحاه، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ في آثارِ القَوْمِ، وكانَ مِثْلَ السَّبُعِ، حَتّى لَحِقَ بِالقَوْمِ، فجَعَلَ يَرُدُّهُمْ بِالنَّبْلِ، ويَقُولُ إذا رَمى:

خُذْها وانا ابنُ الأكْوَعْ اليَــوْمُ يَــوْمُ الرُّضَّــعْ

فإذا وُجِّهَت الخَيْلُ نَحْوَهُ انْطَلَقَ هارِبًا، ثُمَّ عارَضَهُمْ، فإذا أمْكَنَهُ الرَّمْيُ رَمى، ثُمَّ قالَ:

خُذْها وانا ابنُ الأكْوَعْ اليَــوْمُ يَــوْمُ الرُّضَّــعْ

قالَ: فيقُولُ قائِلُهُمْ: أُوَيْكِعُنا هُوَ أوَّلَ النَّهارِ.

[صُراخُ الرَّسُولِ وتَسابُقُ الفُرْسانِ إلَيْهِ]

قالَ: وبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ صِياحُ ابنِ الأكْوَعِ، فصَرَخَ بِالمَدِينةِ: «الفَزَعَ الفَزَعَ»، فتَرامَت الخُيُولُ إلى رَسُولِ الله ﷺ.

وَكانَ أوَّلَ مَن انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ مِن الفُرْسانِ: المِقْدادُ بن عَمْرٍو، وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: المِقْدادُ بنُ الأسْوَدِ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ، ثُمَّ كانَ أوَّلَ فارِسٍ وقَفَ على رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ المِقْدادِ مِن الأنْصارِ: عَبّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وقْشِ ابنِ زُغْبَةَ بنِ زَعُوراءَ، أحَدُ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، وسَعْدُ بن زَيْدٍ، أحَدُ بَنِي كَعْبِ ابنِ عَبْدِ الأشْهَلِ، وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ، أخُو بَنِي حارِثَةَ بن الحارِثِ، يُشَكُّ فيهِ، وعُكّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ، أخُو بَنِي أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلةَ، أخُو بَنِي أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، وأبو قَتادةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيٍّ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، وأبو عَيّاشٍ، وهُوَ عُبَيْدُ بنُ زَيْدِ بنِ الصّامِتِ، أخُو بَنِي زُرَيْقٍ.

فلَمّا اجْتَمَعُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ أمَّرَ عَلَيْهِمْ سَعْدَ بن زَيْدٍ فيما بَلَغَنِي، ثُمَّ قالَ: اخْرُجْ في طَلَبِ القَوْمِ، حتّى ألْحَقَكَ في النّاسِ.

[الرَّسُولُ ونَصِيحَتُهُ لِأبي عَيّاشٍ بِتَرْكِ فرَسِهِ]

وَقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنِي عَنْ رِجالٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ـ لِأبي عَيّاشٍ: «يا أبا عِياشٍ، لَوْ أعْطَيْتَ هذا الفَرَسَ رَجُلًا هُوَ أفْرَسُ مِنْكَ فلَحِقَ بِالقَوْمِ». قالَ أبو عَيّاشٍ: فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أنا أفْرَسُ النّاسِ، ثُمَّ ضربتُ الفرسَ، فوالله ما جَرى بِي خَمْسِينَ ذِراعًا حَتّى طَرَحَنِي، فعَجِبْتُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أعْطَيْتَهُ أفْرَسَ مِنْكَ»، وأنا أقُولُ: أنا أفْرَسُ النّاسِ!

فزَعَمَ رِجالٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أعْطى فرَسَ أبي عَيّاشٍ مُعاذَ بنَ ماعِصٍ، أوْ عائِذَ بنَ ماعِصِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدَةَ، وكانَ ثامِنًا، وبَعْضُ النّاسِ يَعُدُّ سَلَمَةَ بنَ عَمْرِو بنِ الأكْوَعِ أحَدَ الثَّمانِيةِ، ويَطْرَحُ أُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ، أخا بَنِي حارِثَةَ، والله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

ولَمْ يَكُنْ سَلَمَةُ يَوْمَئِذٍ فارِسًا، وقَدْ كانَ أوَّلَ مَنْ لَحِقَ بِالقَوْمِ على رِجْلَيْهِ. فخَرَجَ الفُرْسانُ في طَلَبِ القَوْمِ حَتّى تَلاحَقُوا.

[سَبْقُ مُحْرِزٍ إلى القَوْمِ، ومَقْتَلُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ: أنَّ أوَّلَ فارِسٍ لَحِقَ بِالقَوْمِ: مُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ، أخُو بَنِي أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، وكانَ يُقالُ لِمُحْرِزٍ: الأخْرَمُ، ويُقالُ لَهُ: قُمَيْرٌ، وأنَّ الفَزَعَ لَمّا كانَ، جالَ فرَسٌ لِمَحْمُودِ بنِ مَسْلَمَةَ في الحائِطِ حِينَ سَمِعَ صاهِلَةَ الخَيْلِ، وكانَ فرَسًا صَنِيعًا جامًّا، فقالَ نِساءٌ مِنْ نِساءِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ حِينَ رَأيْنَ الفَرَسَ يَجُولُ في الحائِطِ بِجِذْعِ نَخْلٍ هُوَ

مَرْبُوطٌ فيهِ: يا قُمَيْرُ، هَلْ لَكَ في أنْ تَرْكَبَ هذا الفَرَسَ؟ فإنَّهُ كَما تَرى، ثُمَّ تَلْحَقَ برَسُولِ اللهِ ﷺ وبِالمُسْلِمِينَ؟ قالَ: نَعَمْ، فأعْطَيْنَهُ إيّاهُ، فخَرَجَ عَلَيْهِ، فلَمْ يَلْبَثْ أنْ بَذَّ الخَيْلَ بِجِمامِهِ، حَتّى أدْرَكَ القَوْمَ، فوَقَفَ لَهُم بَيْنَ أيْدِيهِمْ، ثُمَّ قالَ: قِفُوا يا مَعْشَرَ بَنِي اللَّكِيعةِ حَتّى يَلْحَقَ بِكُمْ مَنْ وراءَكُم مِنْ أدْبارِكُمْ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ. قالَ: وحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فقَتَلَهُ، وجالَ الفَرَسُ، فلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ حَتّى وقَفَ على أرِيّةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، فلَمْ يُقْتَلْ مِن المُسْلِمِينَ غَيْرُهُ.

[رَأْيُ ابنِ هِشامٍ فيمَنْ قُتِلَ مَعَ مُحْرِزٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِن المُسْلِمِينَ مَعَ مُحْرِزٍ، وقّاصُ بنُ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيُّ، فيما ذَكَرَ غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ.

[أَسماءُ أفْراسِ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ اسْمُ فرَسِ مَحْمُودٍ: ذا اللِّمّةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ اسْمَ فرَسِ سَعْدِ بنِ زَيْدٍ: لاحِقٌ، واسْمَ فرَسِ المِقْدادِ: بَعْزَجةُ، ويُقالُ: سُبْحةُ، واسْمَ فرَسِ عُكّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ: ذُو اللِّمّةِ، واسْمَ فرَسِ أبي قَتادةَ: حَزْوةُ، وفَرَسِ عَبّادِ بنِ بِشْرٍ: لَمّاعٌ، وفَرَسِ أُسَيْدِ بنِ ظُهَيْرٍ: مَسْنُونٌ، وفَرَسِ أبي عَيّاشٍ: جُلْوةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني بَعْضُ مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ كَعْبِ ابنِ مالِكٍ: أنَّ مُجَزِّزًا إنَّما كانَ على فرَسٍ لِعُكّاشةَ بنِ مِحْصَنٍ، يُقالُ لَهُ: الجَناحُ، فقُتِلَ مُجَزِّزٌ واسْتُلِبَت الجَناحُ.

[القَتْلى مِن المُشْرِكِينَ]

وَلَمّا تَلاحَقَت الخَيْلُ قَتَلَ أبو قَتادةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيٍّ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، حَبِيبَ بنَ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ، وغَشّاهُ بُرْدَهُ، ثُمَّ لَحِقَ بِالنّاسِ.

وَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ في المُسْلِمِينَ.

[اسْتِعْمالُ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فإذا حَبِيبٌ مُسَجًّى بِبُرْدِ أبي قَتادةَ، فاسْتَرْجَعَ النّاسُ وقالُوا: قُتِلَ أبو قَتادةَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَيْسَ بِأبي قَتادةَ، ولكنه قَتِيلٌ لِأبي قَتادةَ، وضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ؛ لِتَعْرِفُوا أنَّهُ صاحِبُهُ. وأدْرَكَ عُكّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ أوْبارًا وابنَهُ عَمْرَو بنَ أوْبارٍ، وهُما على بَعِيرٍ واحِدٍ، فانْتَظَمَهما بِالرُّمْحِ، فقَتَلَهُما جَمِيعًا، واسْتَنْقَذُوا بَعْضَ اللِّقاحِ، وسارَ رَسُولُ الله ﷺ حَتّى نَزَلَ بِالجَبَلِ مِنْ ذِي قَرَدٍ، وتَلاحَقَ بِهِ النّاسُ، فنَزَلَ رَسُول الله ﷺ بِهِ، وأقامَ عَلَيْهِ يَوْمًا ولَيْلةً، وقالَ لَهُ سَلَمةُ بنُ الأكْوَعِ: يا رَسُولَ الله، لَوْ سرحتني في مئةِ رَجُلٍ لاسْتَنْقَذْتُ بَقِيّةَ السَّرْحِ، وأخَذْتُ بِأعْناقِ القَوْمِ. فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فيما بَلَغَنِي: «إنَّهُم الآنَ لَيُغْبَقُونَ في غَطَفانَ».

[تَقْسِيمُ الفيءِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ]

فَقَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ في أصْحابِهِ في كل مئةِ رَجُلٍ جَزُورًا، وأقامُوا عَلَيْها، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ قافِلًا حَتّى قَدِمَ المَدِينةَ.

غَزْوةُ ذِي قَرَدٍ

ويُقالُ فيهِ: «قُرُدٌ» بِضَمّتَيْنِ؛ [هَكَذا أَلفَيْته مُقَيَّدًا عَنْ أَبِي عَلِيّ][١]، والقَرَدُ في اللُّغةِ: الصُّوفُ الرّدِيءُ، يُقالُ في مثل[٢]: عَثَرَتْ عَلى الغَزْلِ بِأَخَرَهْ، فلَمْ تَدَعْ بِنَجْدٍ قَرَدَهْ[٣].

وَذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ في هَذِهِ الغَزْوةِ أَسْماءَ خَيْلِ جَماعةٍ مِمّنْ حضرها، فذَكَرَ بَعْزَجةَ فرَسَ المِقْدادِ، والبَعْزَجةُ: شِدّةُ جَرْيٍ في مُغالَبةٍ، كَأَنّهُ مَنْحُوتٌ [من أصلين][٤] مِنْ «بَعَجَ»: إذا شَقّ، و«عَزَّ»: إذا[٥] غَلَبَ.

وأَمّا سُبْحةُ فمِنْ «سَبَحَ» إذا عَلا عُلُوًّا في اتّساع، ومِنْهُ: سُبْحانَ اللهِ، وسُبُحاتُ[٦] اللهِ: عَظَمَتُهُ وعُلُوّهُ؛ لِأنّ النّاظِرَ المُفَكِّرَ في سُبْحاتِهِ يَسْبَحُ في بَحْرٍ لا ساحِلَ لَهُ، وقَدْ ذَكَرْنا في مَعْنى هَذِهِ الكَلِمةِ حَقائِقَ ودَقائِقَ أَسْرارٍ في شَرْحِ: «سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ».

وأَمّا حَزْوةُ، فمِنْ حَزَوْتُ الطّيْرَ؛ إذا زَجَرْتَها، أَوْ مِنْ حَزَوْتُ الشّيْءَ؛ إذا أَظْهَرْتَه، قالَ الشّاعِرُ[٧]: [من الطويل]

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من: (ف)، (أ).

(٢) في (ف): «في المثل».

(٣) «الأمثال» لأبي عبيد: (ص: ٢٤٧)، أصل المثل ـ كما قال الأصمعي ـ: «أن تدع المرأة الغزل وهي تجد ما تغزله؛ من قطن أو كَتان أو غيره، حتى إذا فاتها تتبّعت القَرَد في القمامات تلتقطها فتغزلها».

(٤) ليس في (ب)، (ص).

(٥) في غير (أ): «أي».

(٦) في (ب): «وسبحان».

(٧) البيت لتميم بن مقبل في «ديوانه» (ص: ٣٩). (ج)

تَــرى الأمْعَزَ المَحْــزُوَّ فيــهِ كَأَنّهُ
مِنَ الحَرِّ واسْتِقْبالِهِ الشَّمْسَ مَسْطَحُ

وَ«جُلوةٌ» مِنْ جَلَوْتُ السّيْفَ، وجَلَوْتُ العَرُوسَ، كأنها تجلو الغَمَّ عَنْ قَلبِ صاحِبِها.

و«مَسْنُونٌ» مِنْ سَنَنْتُ الحَدِيدَةَ؛ إذا صَقَلتَها.

وَذَكَرَ [فيه][1] سَلَمَةَ بنَ الأكْوَعِ، واسْمُ الأكْوَعِ: سِنانٌ، وخَبَرُ سَلَمَةَ في ذَلِك اليَوْمِ أطْوَلُ مِمّا ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ، وأعْجَبُ؛ فإنّهُ اسْتَلَبَ[2] وحْدَهُ في ذَلِك اليَوْمِ[3] مِنَ العَدُوِّ وهُوَ راجِلٌ قَبْلَ أنْ تَلحَقَ بِهِ الخَيْلُ ثَلاثِينَ بُرْدةً وثَلاثِينَ دَرَقةً[4]، وقَتَلَ مِنْهُمْ بِالنّبْلِ كَثِيرًا، فكُلّما[5] هَرَبُوا أدْرَكَهُمْ، وكلما راموه أفلت مِنْهُمْ، وشُهْرةُ حَدِيثِهِ تُغْنِي عَنْ سَرْدِهِ؛ فإنّهُ في كُتُبِ الحَدِيثِ المَشْهُورةِ[6]، وقِيلَ: إنّ سَلَمةَ هَذا هُوَ الّذِي كَلّمَهُ الذّئْبُ[7]، وقِيلَ: إنّ الّذِي كَلّمَهُ الذّئْبُ هُوَ أُهْبانُ بنُ صَيْفيٍّ، وهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ.

وَقَوْلُهُ: [من مجزوء الرجز]

اليَوْمُ يَــوْمُ الرُّضَّعِ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من: (ف)، (أ).
(٢) في (ب): «سلب».
(٣) في (ف): «في ذلك اليوم وحده».
(٤) الدَّرَقة: التُّرس من جِلد ليس فيه خشب، والترس: ما كان يُتوقّى به في الحرب.
(٥) في (ف): «فلما».
(٦) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٦٠)، ومسلم، كتاب الجهاد: (٣: ١٤٣٢-١٤٤١).
(٧) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٤٢٣).

يُرِيدُ يَوْمَ اللِّئام، أيْ: يَوْمُ حِينِهم[١]، وفي قَوْلِهِمْ: «لَئِيمٌ راضِعٌ» أقْوالٌ، ذَكَرَها ابنُ الأنْبارِيّ[٢]؛ قِيلَ: الرّاضِعُ [هُوَ][٣] الّذِي رَضَعَ اللُّؤْمَ في ثَدْيَيْ أُمّهِ؛ أيْ: غُذِّيَ بِهِ، وقِيلَ: هُوَ الّذِي يَرْضَعُ ما بَيْنَ أسْنانِهِ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الجَشَعِ بِذَلِك. وشاهِدُ هَذا القَوْلِ قَوْلُ امْرَأةٍ مِنَ العَرَبِ تَذُمُّ رَجُلًا: «إنّهُ لَأُكُلَةٌ تكُلَةٌ يأكُلُ مِنْ جَشَعِهِ خِلَلَهُ»[٤]، أيْ: ما يَتَخَلّلُ بَيْنَ أسْنانِهِ. قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: ولَمْ أسْمَعْ في الجَشَعِ والحِرْصِ أبْلَغَ مِنْ هَذا، ومِنْ قَوْلِهِمْ: هُوَ يُثِيرُ الكِلابَ عن مرابضِها[٥]، أيْ: يَلتَمِسُ تَحْتَها عَظْمًا يَتَعَرَّقُهُ، وقِيلَ في اللّئِيمِ الرّاضِعِ غَيْرُ ما ذَكَرْناهُ مِمّا هُوَ معروفٌ عند الناسِ ومذكورٌ في كُتُبِهم.

وَقَوْلُهُ: [من مجزوء الرجز]

اليَوْمُ يَــوْمُ الرُّضَّعِ

بِالرّفْعِ فيهِما، وبِنَصْبِ الأوّلِ ورَفْعِ الثّانِي، حَكى سِيبَوَيْهِ: اليَوْمَ يَوْمُك[٦]، عَلى أنْ يجْعَلَ[٧] «اليَوْمَ» ظَرْفًا في مَوْضِعِ خَبَرٍ لِلثّانِي؛ لِأنَّ ظُرُوفَ الزَّمانِ يُخْبَرُ بِها عَنْ زَمانٍ مِثْلِها إذا كانَ الظّرْفُ يَتّسِعُ، ولا يَضِيقُ عن الثّانِي، مِثْلُ أنْ تَقُولَ: السّاعةَ يَوْمُك، وقَدْ قِيلَ في قَوْلِهِ سبحانه: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩]،

(١) في (ح)، (س): «جبنهم»، وفي «النهاية» لابن الأثير: (رضع): «اليوم يوم هلاك اللئام».
(٢) «الزاهر» لأبي بكر بن الأنباري: (١: ١٧٣). (ج)
(٣) ليس في (ب)، (س).
(٤) وُكَلة تُكَلة: عاجز، يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. والخِلَل: بقية الطعام بين الأسنان، واحدته: خِلَلة، وخِلّة.
(٥) انظر: كتاب «المعاني الكبير» لابن قتيبة: (١: ٢٤١).
(٦) «الكتاب» (١: ٤١٩).
(٧) في (ف): «تجعل».

أنّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظَرْفٌ لِـ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؛ وذَلِك أنّ ظُرُوفَ الزَّمانِ أحْداثٌ، ولَيْسَتْ بِجُثَثٍ، فلمْ يَمْتَنِعْ فيها مِثْلُ هَذا، كَما لا يَمْتَنِعُ في سائِرِ الأحْداثِ[1].

[امْرَأةُ الغِفارِيِّ وما نَذَرَتْ مَعَ الرَّسُولِ]

وَأقْبَلَت امْرَأةُ الغِفارِيِّ على ناقةٍ مِنْ إبِلِ رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ فأخْبَرَتْهُ الخَبَرَ، فلَمّا فرَغَتْ، قالَتْ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قَدْ نَذَرْتُ لله أنْ أنْحَرَها إنْ نَجّانِي الله عَلَيْها، قالَ: فتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قالَ: «بِئْسَ ما جَزَيْتِها أنْ حَمَلَكِ اللهُ عَلَيْها ونَجّاكِ بِها، ثُمَّ تَنْحَرِينَها! إنَّهُ لا نَذْرَ في مَعْصِيةِ الله ولا فيما لا تَمْلِكِينَ، إنَّما هِيَ ناقةٌ مِنْ إبِلِي، فارْجِعِي إلى أهْلِكِ على بَرَكةِ الله».

والحَدِيثُ عَن امْرَأةِ الغِفارِيِّ وما قالَتْ، وما قالَ لَها رسولُ الله ﷺ، عَنْ أبي الزُّبَيْرِ المَكِّيِّ، عَن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ لِلغِفارِيّةِ - واسْمُها لَيْلى، ويُقالُ: هي امْرَأةُ أبِي ذَرّ - حِينَ أخْبَرَتْهُ أنّها نَذَرَتْ إنِ اللهُ نَجّاها عَلَيْها أنْ تَنْحَرَها، فقالَ: «لا نَذْرَ لأحدٍ في مَعْصِيةِ اللهِ، ولا فيما لا تَمْلِكِينَ، إنما هي ناقةٌ من إبلي»[2]، فيهِ حُجّةٌ لِلشّافِعِيّ ومَنْ قالَ بِقَوْلِهِ: إنّ ما أحْرَزَهُ العَدُوُّ مِنْ مالِ المسلمين أنّهُ لَهُمْ بلا ثَمَنٍ قَبْلَ القَسْمِ وبَعْدَهُ؛ لِأنّهُ لا يُخرِجُهُ مِنْ مِلكِهِ حَوْزُ العَدُوِّ لَهُ، وقالَ مالِكٌ: هُوَ أوْلى

(١) انظر: «الدر المصون» (١٠: ٥٣٩-٥٤٠).

(٢) بعده في (س): «ارجعي إلى أهلك على بركة الله تعالى». وانظر الحديث في «صحيح مسلم»، كتاب النذر: (٣: ١٢٦٢-١٢٦٣)، و«سنن أبي داود»، كتاب الأيمان والنذور: (٣: ٢٣٩-٢٤٠)، و«مجمع الزوائد»، كتاب الأيمان والنذور: (٣: ١٨٧).

بِهِ قَبْلَ القَسْمِ، وصاحِبُهُ بَعْدَ القَسْمِ أوْلى بِهِ بالثّمَنِ، وفيها قَوْلانِ آخَرانِ لِأَهْلِ العِراقِ.

وَقَوْلُ النبي عليه السلام: «لا نَذْرَ لِأحَدٍ فيما لا يَمْلِكُ، ولا طَلاقَ لِأحَدٍ فيما لا يَمْلِكُ، ولا عِتْقَ لِأحَدٍ فيما لا يَمْلِكُ» حَدِيثٌ مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقِ عبدِ اللهِ ابنِ عَمْرٍو، ومِنْ طَرِيقِ أبِي هُرَيْرةَ، ولَكِنّهُ لَمْ يُخَرّجْ في الصّحِيحَيْنِ لِعِلَلٍ في أسانِيدِهما[1]، وقَدْ قالَ بِهذا الحَدِيثِ «أنْ لا طَلاقَ قَبْلَ المِلكِ» جَماعةٌ مِن الصّحابةِ وفُقَهاءِ التّابِعِينَ وفُقَهاءِ الأمْصارِ، وسَواءٌ عِنْدَهُمْ عَيّنَ امْرَأةً، أوْ لَمْ يُعَيِّنْ، وإلَيْهِ مالَ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، ورَواهُ ابنُ كِنانةَ[2] عَنْ مالِكٍ، وابنِ وهْبٍ، واحْتَجّ ابنُ عَبّاسٍ في هَذِهِ المَسْألةِ بِقَوْلِ الله سبحانه: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، قالَ: فَإذن لا طَلاقَ إلّا بَعْدَ نِكاحٍ[3]، وقالَ شَرِيكٌ القاضِي[4]: النّكاحُ عَقْدٌ، والطّلاقُ حَلّ، فلا يَكُونُ الحَلّ إلّا بَعْدَ العَقْدِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر حديث عبد الله بن عمرو في «مسند الإمام أحمد» (٢: ١٨٩-١٩٠)، وفي كتاب الطلاق من «سنن أبي داود» (٢: ٢٥٨)، و«عارضة الأحوذي» (٥: ١٤٧-١٤٨)، وابن ماجه: (١: ٦٦٠).

(٢) بعده في (ج)، (ص): «فيما أحسب».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦: ٦٢٧)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٦: ٢٨٢٨).

(٤) هو شريك بن عبد الله، أبو عبيد الله، عالم بالحديث، ولي قضاء المنصور والمهدي، وُلِد سنة (٩٥هـ) في بخارى، وتُوفي سنة (١٧٧هـ) بالكوفة.

[شِعْرُ حَسّانَ في ذِي قَرَدٍ]

وَكانَ مِمّا قِيلَ مِن الشِّعْرِ في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ: قَوْلُ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ:

لَوْلا الَّذي لاقَتْ ومَسَّ نُسُورَها ... بِجَنُوبِ سايَةَ أَمْسِ في التَّقْوادِ

لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حامِي الحَقِيقَةِ ماجِدِ الأَجْدادِ

وَلَسَرَّ أَوْلادَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فَوارِسِ المِقْدادِ

كُنّا ثَمانِيَةً وكانُوا جَحْفَلًا ... لَجِبًا فشُكُّوا بِالرِّماحِ بَدادِ

كُنّا مِن القَوْمِ الَّذينَ يَلُونَهُمْ ... ويُقَدِّمُونَ عِنانَ كُلِّ جَوادِ

كَلّا ورَبِّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوادِ

حَتّى نُبِيلَ الخَيْلَ في عَرَصاتِكم ... ونَؤُوبَ بِالمَلَكاتِ والأَوْلادِ

رَهْوًا بِكُلِّ مُقَلِّصٍ وطِمِرَّةٍ ... في كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ روادي

أَفْنى دَوابِرَها ولاحَ مُتُونَها ... يَوْمٌ تُقادُ بِهِ ويَوْمُ طِرادِ

فَكَذاكَ إنَّ جِيادَنا مَلْبُونَةٌ ... والحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوادِ

وَسُيُوفُنا بِيضُ الحَدائِدِ تَجْتَلِي ... جُنَنَ الحَدِيدِ وهامَةَ المُرْتادِ

أَخَذَ الإلَهُ عَلَيْهِمُ لِحَرامِهِ ... ولِعِزَّةِ الرَّحْمَنِ بِالأَسْدادِ

كانُوا بِدارٍ ناعِمِينَ فبُدِّلُوا ... أَيّامَ ذِي قَرَدٍ وُجُوهَ عِبادِ

[غَضَبُ سَعْدٍ على حَسّانَ، ومُحاوَلَةُ حَسّانَ اسْتِرْضاءَهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فلَمّا قالَها حَسّانُ غَضِبَ عَلَيْهِ سَعْدُ بنُ زَيْدٍ، وحَلَفَ أَلّا يُكَلِّمَهُ أبدًا، قالَ: انْطَلَقَ إلى خَيْلِي وفَوارِسِي فجَعَلَها لِلْمِقْدادِ! فاعْتَذَرَ

إِلَيْهِ حَسّانُ، وقالَ: واللهِ ما ذاكَ أَرَدْتُ، ولَكِنَّ الرَّوِيَّ وافَقَ اسْمَ المِقْدادِ، وقالَ أبْياتًا يُرْضِي بِها سَعْدًا:

إذا أَرَدْتُــم الأشَــدَّ الجَــلْدا أوْ ذا غَناءٍ فعَلَيْكُمْ سَــعْدا

سَــعْدَ بنَ زَيْدٍ لا يُهَدُّ هَدّا

فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ سَعْدٌ ولَمْ يُغْنِ شَيْئًا.

وَذَكَرَ شِعْرَ حَسّانَ: [من الكامل]

لَوْلا الّذِي لاقَتْ ومَسَّ نُسُورَها

يَعْنِي: الخَيْلَ، والنَّسْر كالنَّواةِ في باطِنِ الحافِرِ، وفي الفَرَسِ عِشْرُونَ عُضْوًا، كُلُّ عُضْوٍ مِنْها يُسَمّى[1] باسْمِ طائِرٍ، فمِنْها النّسْرُ والنّعامةُ، والهامةُ والسَّمامةُ، والسَّعْدانةُ ـ وهي الحَمامةُ ـ والقَطاةُ والذُّباب، والعُصْفُورُ والغُرابُ، والصُّرَدُ والصَّقْرُ، والخَرَبُ والنّاهِضُ، وهُوَ فرْخُ العُقابِ [والخُطّاف][2]، ذَكَرَها وبَقِيَّتَها الأَصْمَعِيّ، ورَوى فيها شِعْرًا [لِأبِي حَزْرَةَ جَرِيرٍ][3]، [وهُوَ][4]: [من الكامل]

وَأَقَــبَّ كالسِّــرْحانِ تَــمَّ لَهُ مــا بَيْــنَ هامَتِــهِ إلى النَّسْــرِ

رَحُبَــتْ نَعامَتُهُ ووُفِّــرَ فرْخُهُ وتَمَكَّنَ الصُّــرْدانُ في النَّحْرِ

وَأَنافَ بِالعُصْفُورِ في سَــعَفٍ هــامٍ أشَــمَّ مُوَثَّــق الجِــدرِ

(١) «يسمى» ليست في (ف). (٢) ليس في (أ).

(٣) عن (أ)، (س)، (ف). ومكانه في (ب)، (ج)، (ص): «ذهب عني الآن». وكلمة «جرير» ساقطة من (ح).

(٤) عن (أ)، (ف).

[وازْدانَ بِالدِّيكَيْـنِ صَلصَلُـهُ ... ونَبَتْ دَجاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ][1]

والنّاهِضـانِ أُمِـرّ حرُّهمـا ... فكَأنّمـا عُثِمـا عَلـى كَسْـرِ

مُسْحَنْفِرُ الجَنْبَيْـنِ مُلتَئِـمٌ ... مـا بَيْـنَ شِـيمَتِهِ إلـى العُـرِّ

وَصَفَـتْ سُـماناهُ وحافِـرُهُ ... وأدِيمُـهُ ومَنابِـتُ الشُّـعْرِ

وَسَـما الغُـرابُ لِمَوْقِعَيْهِ مَعًا ... فأُبِيـنَ بَيْنَهُمـا عَلـى قَـدْرِ

واكْتَـنَّ دُونَ قَبِيحِـهِ خُطّافُـهُ ... وثَأَتْ سُـمانتُه عَلـى الصَّقْرِ

وَتَقَدّمَـتْ عَنْـهُ القَطـاةُ لَـهُ ... فنَـأَتْ بِمَوْقِعِهـا علـى الحُرِّ

وَسَـما عَلى نُغَرَيْهِ دُونَ حِداتِهِ ... خَرَبـانُ بَيْنَهُمـا مَدى الشِّـبْرِ

يَـدَعُ الرَّضِيمَ إذا جَـرى فِلَقًا ... بتوائِمٍ كمواسِـمٍ سُـمْرِ

رُكِّبنَ في مَحْضِ الشَّوى سَبِطٍ ... كَفْتِ الوُثُوبِ مُشَـدَّدِ الأسْـرِ

وَقَوْلُهُ: «فَشُكُّوا بِالرِّماحِ بَدادِ». وبَداد: مِنَ التَّبَدُّدِ، وهُوَ التَّفَرُّقُ، وهُوَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ غَيْرَ أنّهُ مَبنِيٌّ، ونَصْبُهُ كانْتِصابِ المَصْدَرِ، إذا قُلت: مَشَيْتُ القَهْقَرى، وقَعَدْتُ القُرْفُصاءَ، وكَأنّهُ[2] قالَ: طُعِنُوا الطَّعْنَةَ الّتِي يُقالُ لَها: بَدادِ، وبَدادِ مِثْلُ «فجارِ» من قَوْلِهِ: احْتَمَلتَ فجارِ[3]، جَعَلُوهُ[4] اسْمًا عَلَمًا لِلمَصْدَرِ، كَما قالُوا: فحَمَلت بَرّةَ، فجُعِلَ «بَرّة» [اسمًا][5] عَلَمًا لِلبرِّ، وسِرُّ

---

(١) سقط من (ح).

(٢) في (ف): «فكأنه».

(٣) من قول النابغة:

إنـا اقتسـمنا خطَّتينـا بيننـا ... فحملتُ برةَ واحتملت فَجارِ

انظر: «ديوانه» (ص: ٥٥)، و«كتاب سيبويه» (٣: ٢٧٥).

(٤) في (ب): «جعله، كما قال».

(٥) عن (أ)، (س).

هَذِهِ العَلَمِيّةِ في هَذا المَوْطِنِ: أَنّهُمْ أرادُوا الفِعْلَ الأَتَمّ الّذِي يُسَمّى بِاسْمِ ذَلِكَ الفِعْلِ حَقِيقَةً، فقَدْ يَقُولُ الإِنْسانُ: بَرّ فُلانٌ وفَجَرَ؛ أيْ: قارَبَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِك، أَوْ فعَلَ [مِنْهُ][1] بَعْضَهُ، فإذا قالَ: فعَلتُ بَرّةَ، فإنّما يُرِيدُ البِرّ الّذِي يُسَمّى بِرًّا عَلى الحَقِيقَةِ، فجاءَ بِالِاسْمِ العَلَمِ الّذِي هُوَ عِبارةٌ عَنْ مُسَمّاهُ حَقِيقَةً؛ إِذْ لا يُتَصَوّرُ هَذا الضّرْبُ مِنَ المَجازِ في الأَعْلامِ، وكَذَلِكَ إذا أرادَ الفُجُورَ عَلى الحَقِيقَةِ، وأرادَ رَفْعَ المَجازِ سَمّاهُ، فَجارِ تَحْقِيقًا لِلمَعْنى، أيْ: مِثْلَ هَذِهِ الفَعْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُسَمّى بِاسْمِ الفُجُورِ حَقِيقَةً، وكَذَلِكَ قالُوا في النّداءِ: يا فساقِ، ويا فُسَقُ، فجاؤوا بِالصِّيغةِ المَعْرُوفةِ للعَلَمِيّةِ مَعَ النِّداءِ خاصّةً، أيْ: إنّ هَذا الِاسْمَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اسْمَهُ الّذِي يُدْعى بِهِ؛ إذ الِاسْمُ العَلَمُ أَلْزَمُ لِمُسَمّاهُ مِنَ اسْمٍ مُشْتَقٍّ مِنْ فِعْلٍ فَعَلَهُ؛ لِأَنّ الفِعْلَ لا يَثْبُتُ، والِاسْمَ العَلَمَ يَثْبُتُ، فهَذا هُوَ مَغزاهُمْ في هَذِهِ الأَسْماءِ الّتِي هي عَلى صِيَغِ الأَعْلامِ في هَذِهِ المواطن، فتأمّلْها، وقد بسَطْنا هذا الغَرَضَ بَسْطًا شافيًا في أسْرارِ ما يَنْصَرِفُ وما لا يَنْصَرِفُ، فلتُنْظَرْ[2] هُناكَ[3]، فثَمّ تَرى سِرَّ بِنائِها عَلى الكَسْرِ مَعَ ما يَتّصِلُ بِمَعانِيها إنْ شاءَ اللهُ.

وألفَيْتُ في حاشِيةِ الحافظ الشّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ عَلى قَوْلِهِ: [فشُكُّوا بالرّماحِ][4]: فَشُلُّوا، بِاللّامِ هي الرّوايةُ الصّحِيحةُ، وحَقِيقةُ المَعْنى، ووَقَعَ في الأَصْلَيْنِ: «فَشُكُّوا» بِالكافِ كَما [هو][5] في هَذا الأَصْلِ. إلى هُهُنا انْتَهى كَلامُ

(١) ليس في (أ).
(٢) في (ف): «فلينظر».
(٣) انظر: «أمالي السهيلي» (ص: ٣٢-٣٣).
(٤) سقط من (ب).
(٥) ليس في (ب)، (ج).

الشّيْخِ، والشَّلُّ بِاللّامِ: الطّرْدُ، والشّكّ بِالكافِ: الطَّعْنُ، كَما قالَ[١]: [من البسيط]

شَــكَّ الفَرِيصةَ بِالمِدْرى فأنْفَذَها

وَقَوْلُهُ: «رَهْوًا»؛ أيْ: مَشْيًا بِسُكُون، ويُقالُ لِمُسْتَنْقَعِ الماءِ أيْضًا: رَهْوٌ، والرّهْوُ من أسْماءِ الكُرْكِيّ[٢]، والرَّهو: المرآة الواسعة.

وَقَوْلُهُ: «رَوادِ»[٣]؛ أيْ: تَرْدِي بِفُرْسانِها؛ أيْ: تُسْرِعُ.

* * *

---

(١) النابغة الذبياني، «ديوانه» ١٠)، وعجزه:

طعن المبيطر إذ يشفى من العَضدِ

وانظر: «نتائج الفكر» ٣٤٠).

(٢) الكُركيّ: طائر كبير أغبر اللون، طويل العنق والرِّجلين، أبتر الذنَب، قليل اللحم، يأوي إلى الماء أحيانًا.

(٣) في مطبوعة «السيرة»: «وراد»، وفي (س): «رِواد»، بكسر الراء. ويقول أبو ذرّ الخشني في «شرحه» (ص: ٣٣١): «ومن رواه بكسر الراء فهو من المشي الرويد، وهو الذي فيه فتور».

[شِعْرٌ آخَرُ لِحَسّانَ في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ:

أظَـنَّ عُيَيْنَـةُ إذْ زارَهـا بِأنْ سَـوْفَ يَهْدِمُ فيها قُصُورا
فَأُكْذِبْـتَ ما كُنْـتَ صَدَّقْتَهُ وقُلْتُـمْ سَـنَغْنَمُ أمْـرًا كَبِيرا
فَعِفْـتَ المَدِينَـةَ إذْ زُرْتَهـا وآنَسْـتَ لِلْأُسْـدِ فيها زَئِيرًا
فَوَلَّـوْا سِراعًا كَشَـدِّ النَّعامِ ولَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍّ حَصِيرا
أمِـيرٌ عَلَيْنا رَسُـولُ المَلِيكِ أحْبِـبْ بِـذاكَ إلَيْنـا أمِيرا
رَسُـولٌ نُصَـدِّقُ ما جـاءَهُ ويَتْلُـو كِتابًا مُضِيئًـا مُنِيرا

[شِعْرُ كَعْبٍ في يومِ ذي قَرَدٍ]

وَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ لِلْفوارِسِ:

أتَحْسَـبُ أوْلادُ اللَّقِيطَـةِ أنَّنـا على الخَيْلِ لَسْنا مِثْلَهُمْ في الفَوارِسِ
وَإنّـا أُنـاسٌ لا نَرى القَتْلَ سُـبَّةً ولا نَنْثَـنِي عِنْدَ الرِّماحِ المَداعِسِ
وَإنّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرا ونَضْرِبُ رَأْسَ الأبْلَخِ المُتَشـاوِسِ
نَرُدُّ كُمـاةَ المُعْلَمِـينَ إذا انْتَخَوْا بِضَرْبٍ يُسَـلِّي نَخْـوَةَ المُتَقاعِسِ
بِكُلِّ فتًى حـامِي الحَقِيقَةَ ماجِدٍ كَرِيـمٍ كَسِرْحانِ الغَضـاةِ مُخالِسِ
يَذُودُونَ عَنْ أحْسـابِهِمْ وتِلادِهِمْ بِبِيـضٍ تَقُدُّ الهامَ تَحْـتَ القَوانِسِ
فَسـائِلْ بَنِي بَـدْرٍ إذا مـا لَقِيتَهُمْ بِما فعَـلَ الإخْوانُ يَـوْمَ التَّمارُسِ
إذا ما خَرَجْتُمْ فاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمُ ولا تَكْتُمُوا أخْبارَكُمْ في المَجالِسِ

وَقُولُوا: زَلَلْنا عَــنْ مَخالِبِ خادِرٍ بِهِ وَحَرٌ في الصَّــدْرِ ما لَمْ يُمارِسِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي بَيْتَهُ: «وَإنّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ» أبو زَيْدٍ.

[شِعْرُ شَدّادٍ لِعُيَيْنَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ شَدّادُ بنُ عارِضٍ الجُشَمِيُّ، في يَوْمِ ذِي قَرَدٍ، لِعُيَيْنَةَ ابنِ حِصْنٍ، وكانَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ يُكَنّى بِأبي مالِكٍ:

فَهَــلّا كَــرَرْتَ أبــا مالِكٍ وخَيْلُــكَ مُدْبِــرَةٌ تُقْتَــلُ

ذَكَرْتَ الإيابَ إلى عَسْــجَرٍ وهَيْهــاتَ قَدْ بَعُــدَ المُقْفَلُ

وَطَمَّنْــتَ نَفْسَــكَ ذا مَيْعةٍ مِسَــحَّ الفَضاءِ إذا يُرْسَــلُ

إذا قَبَّضَتْــه إلَيْــكَ الشّــما لُ جاشَ كَما اضْطَرَمَ المِرْجَلُ

فَلَمّــا عَرَفْتُــمْ عِبــادَ الإلَـ ـهِ لَــمْ يَنْظُــرِ الآخِــرَ الأوَّلُ

عَرَفْتُــمْ فوارِسَ قَــدْ عُوِّدُوا طِرادَ الكُمــاةِ إذا أسْــهَلُوا

إذا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشْــقى بِهِمْ فِضاحًا وإنْ يُطْــرَدُوا يَنْزِلُوا

فيعْتَصِمُــوا في سَــواءِ المقا مِ بِالبِيضِ أخْلَصَها الصَّيْقَلُ

وَقَوْلُ حَسّانَ في خَيْلِ عُيَيْنَةَ: [من المتقارب]

فَوَلَّــوا سِــراعًا كَشَــدِّ النَّعامِ ولم يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍّ حَصِيرا

أيْ: لَمْ يَغْنَمُوا بَعِيرًا، ولا كَشَفُوا عَنْهُ حَصِيرًا، يَعْنِي: بالحَصِيرِ ما يُكَنَّفُ بِهِ حَوْلَ الإبِلِ مِنْ عِيدانِ الحَظِيرةِ، والمُلِطّ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَطَّتِ النّاقَةُ، وألَطَّتْ بِذَنَبِها: إذا أدْخَلَتْهُ بَيْنَ رِجْلَيْها.

* * *

غَزْوةُ بَنِي المُصْطَلِقِ

[وَقْتُها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ بَعْضَ جُمادى الآخِرةِ ورَجَبًا، ثُمَّ غَزا بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ، في شَعْبانَ سَنةَ سِتٍّ.

[اسْتِعْمالُ أبي ذَرٍّ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ أبا ذَرٍّ الغِفارِيَّ، ويُقالُ: نُمَيْلةُ ابنُ عَبْدِ الله اللَّيْثِيُّ.

غَزْوةُ بَنِي المُصْطَلِقِ

وهُمْ بَنُو جَذِيمةَ بنِ كَعْبٍ[1] مِنْ خُزاعةَ، فجَذِيمةُ هُوَ المُصْطَلِقُ، وهُوَ مُفْتَعِلٌ مِن الصَّلقِ، وهُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ.

* * *

(١) كذا، وجذيمة بن سعد بن عمرو، كما في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٢٣٩، ٤٨٩)، وكما في ترجمة جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ، في «أسد الغابة» (٧: ٥٦).

[سَبَبُ غَزْوِ الرَّسُول لَهُم]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، ومُحَمَّدُ بنُ يَحْيي بنِ حِبّانَ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضَ حَدِيثِ بَنِي المُصْطَلِقِ، قالُوا: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أنَّ بَنِي المُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وقائِدُهُم الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ أبو جُوَيْرِيةَ بِنْتِ الحارِثِ، زَوْجِ رَسُول الله ﷺ، فلَمّا سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ، حَتّى لَقِيَهُمْ على ماءٍ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: المُرَيْسِيعُ، مِنْ ناحِيةِ قُدَيدٍ إلى السّاحِلِ، فتَزاحَفَ النّاسُ واقْتَتَلُوا، فهَزَمَ اللهُ بَنِي المُصْطَلِقِ، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، ونَفَّلَ رَسُولُ الله ﷺ أبناءَهُم ونِساءَهُم وأمْوالَهُمْ، فأفاءَهُم عَلَيْهِ.

[مَوْتُ ابنِ صُبابةَ]

وَقَدْ أُصِيبَ رَجُلٌ مِن المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبِ بنِ عَوْفِ بنِ عامِرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرٍ، يُقالُ لَهُ: هِشامُ بنُ صُبابةَ، أصابَهُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ مِنْ رَهْطِ عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، وهُوَ يَرى أنَّهُ مِن العَدُوِّ، فقَتَلَهُ خَطَأً.

وَذَكَرَ المُرَيْسِيعَ، وهُوَ ماءٌ لِخُزاعةَ، وهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَسَعَتْ عَيْنُ الرَّجل: إذا دَمَعَتْ من فساد.

* * *

[جَهْجاهٌ وسِنانٌ وما كانَ مِن ابنِ أُبَيٍّ]

فَبَيْنا رَسُولُ الله ﷺ على ذلك الماءِ، ورَدَتْ وارِدةُ النّاسِ، ومَعَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ أجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفارٍ، يُقالُ لَهُ: جَهْجاهُ بنُ مَسْعُودٍ، يَقُودُ فرَسَهُ، فازْدَحَمَ جَهْجاهٌ وسِنانُ بنُ وبَرٍ الجُهَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ على الماءِ، فاقْتَتَلا، فصَرَخَ الجُهَنِيُّ: يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، وصَرَخَ جَهْجاهٌ: يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ، فغَضِبَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، وعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ، فيهِمْ: زَيْدُ بنُ أرْقَمَ، غُلامٌ حَدَثٌ، فقالَ: أوَقَدْ فعَلُوها؟ قَدْ نافَرُونا وكاثَرُونا في بِلادِنا، والله ما أَعُدُّنا وجَلابِيبَ قُرَيْشٍ إلّا كَما قالَ الأوَّلُ: «سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ»، أما والله لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ. ثُمَّ أقْبَلَ على مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فقالَ لَهُمْ: هذا ما فعَلْتُمْ بِأنْفُسِكُمْ، أحْلَلْتُمُوهُم بِلادكُمْ، وقاسَمْتُمُوهُمْ أمْوالَكُمْ، أما والله لَوْ أمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ ما بِأيْدِيكُمْ لَتحَوَّلُوا إلى غَيْرِ دارِكُمْ. فسَمِعَ ذلك زَيْدُ بنُ أرْقَمَ، فمَشى بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وذلك عِنْدَ فراغِ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ عَدُوِّهِ، فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، وعِنْدَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فقالَ: مُرْ بِهِ عَبّادَ بنَ بِشْرٍ فلْيَقْتُلْهُ، فقالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «فكَيْفَ يا عُمَرُ إذا تَحَدَّثَ النّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصْحابَهُ؟! لا ولَكِنْ أذِّنْ بالرَّحِيلِ»، وذلك في ساعةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَرْتَحِلُ فيها، فارْتَحَلَ النّاسُ.

[اعْتِذارُ ابنِ أُبَيٍّ لِلرَّسُولِ]

وَقَدْ مَشى عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، حِينَ بَلَغَهُ أنَّ

زَيْدَ بنَ أرْقَمَ قَدْ بَلَّغَهُ ما سَمِعَ مِنْهُ، فحَلَفَ باللهِ: ما قُلْتُ ما قالَ، ولا تَكَلَّمْتُ بِهِ. وكانَ في قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا، فقالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِن الأنْصارِ مِنْ أصْحابِهِ: يا رَسُولَ اللهِ، عَسى أنْ يَكُونَ الغُلامُ قَدْ أوْهَمَ في حَدِيثِهِ، ولَمْ يَحْفَظْ ما قالَ الرَّجُلُ. حَدَبًا على ابنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، ودَفْعًا عَنْهُ.

[الرَّسُولُ وأُسَيْدٌ ومَقالةُ ابنِ أُبَيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وسارَ، لَقِيَهُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، فحَيّاهُ بِتَحِيّةِ النُّبُوّةِ وسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، واللهِ لَقَدْ رُحْتَ في ساعةٍ مُنْكَرةٍ، ما كُنْتَ تَرُوحُ في مِثْلِها. فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَما بَلَغَكَ ما قالَ صاحِبُكُمْ؟» قالَ: وأيُّ صاحِبٍ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «عَبْدُ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ»، قالَ: وما قالَ؟ قالَ: «زَعَمَ أنَّهُ إنْ رَجَعَ إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ»، قالَ: فأنْتَ يا رَسُولَ اللهِ واللهِ تُخْرِجُهُ مِنْها إنْ شِئْتَ، هُوَ واللهِ الذَّلِيلُ وأنْتَ العَزِيزُ، ثُمَّ قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ارْفُقْ بِهِ، فواللهِ لَقَدْ جاءَنا اللهُ بِكَ، وإنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الخَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ، فإنَّهُ لَيَرى أنَّكَ قَد اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا.

وَذَكَرَ سِنانَ بنَ وبْرَةَ، وقالَ غَيْرُهُ: هُوَ سِنانُ بنُ تَيْمٍ، [وهو][1] مِنْ جُهَيْنَةَ بنِ سَوْدِ بنِ أسْلَمَ حَلِيفٌ للأنْصارِ.

وَذَكَرَ أنّهُ نادى: يا لَلأنْصارِ! ونادى جَهْجاهٌ الغِفاريُّ: يا لَلْمهاجرين! ولَمْ يَذْكُرْ ما قالَ رسول الله ﷺ حِينَ سَمِعَهُا، [وفي الصَّحِيحِ: أنّ رسول الله ﷺ

(١) عن (ب)، (ف).

حِينَ سَمِعَها][(١)] مِنْهُما، قالَ: «دَعُوها؛ فإنّها مُنْتِنةٌ»[(٢)]، يَعْنِي: إنّها كَلِمةٌ خَبيثةٌ؛ لِأنّها مِنْ دَعْوى الجاهِلِيّةِ، وقد جَعَلَ اللهُ المُؤْمِنِينَ إخْوةً وحِزْبًا واحِدًا؛ فإنّما يَنْبَغِي أنْ تكُونَ الدَّعْوةُ: [يا لَلمُسْلِمِينَ][(٣)]، فمَنْ دَعا في الإسْلامِ بِدَعْوى الجاهِلِيّةِ فيَتَوَجّهُ[(٤)] فيها لِلفُقَهاءِ ثَلاثةُ أقْوالٍ:

أحَدُها: أنْ يُجْلَدَ مَنِ اسْتَجابَ لَها بالسِّلاحِ خَمْسِينَ سَوْطًا، اقْتِداءً بِأبِي مُوسى الأشْعَرِيِّ في جَلدِهِ النّابِغةَ الجَعْدِيَّ خَمْسِينَ سَوْطًا حِينَ سَمِعَ: يا لَعامِرٍ، فأقْبَلَ يَشْتَدُّ بعُصيّةٍ لَهُ.

والقَوْلُ الثّانِي: أنّ فيها الجَلدَ دُونَ العَشرةِ؛ لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السّلامُ أنْ يُجْلَدَ أحَدٌ فوْقَ عَشَرةِ أسواطٍ إلّا في حَدٍّ[(٥)].

والقَوْلُ الثّالِثُ: اجْتِهادُ الإمامِ في ذَلِكَ على حَسَبِ ما يَراهُ مِنْ سَدِّ الذّريعةِ وإغْلاقِ بابِ الشّرّ؛ إمّا بِالوَعِيدِ، وإمّا بِالسِّجْنِ، وإمّا بِالجَلْدِ.

فَإنْ قِيلَ: فإنّ[(٦)] رسول الله ﷺ لَمْ يُعاقِب الرّجُلَيْنِ[(٧)] حِينَ دَعَوَا بِها.

قُلنا: قَدْ قالَ: «دَعُوها؛ فإنّها مُنْتِنةٌ»، فقَدْ أكّدَ النَّهْيَ، فمَنْ عادَ إلَيْها بَعْدَ هَذا

---

(١) سقط من (ب).

(٢) «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٦٥٢)، ومسلم، كتاب البر: (٤: ١٩٩٨-١٩٩٩).

(٣) من (ب).

(٤) في (ب): «يتوجه للفقهاء فيه». وقوله: «فيتوجه» سليم عربيةً، وإن كان فعلًا مضارعًا، فإنه يجوز دخول الفاء عليه في جواب الشرط؛ لأنه على تقدير مبتدأ. وانظر: «المقاصد الشافية شرح خلاصة الكافية» للشاطبي: (٦: ١٤٥)، وما بعدها.

(٥) بعده في (ف): «من حدود الله».

(٦) في (ف): «إن».

(٧) في (ب): «أحد الرجلين».

النَّهْيِ، وبَعْدَ وصْفِ النَّبيِّ ﷺ لَها بِالإنْتانِ، وجَبَ أن يُؤدَّبَ حَتّى يَشُمَّ نَتْنَها، كَما فعَلَ أبُو مُوسى الأشعري رَحِمَهُ اللهُ بِالجَعْدِيِّ، فلا مَعْنى لِنَتْنِها إلّا سُوءُ العاقِبَةِ فيها والعُقُوبةُ عَلَيْها.

وَأمّا جَهْجاهُ فهُوَ ابنُ مَسْعُودٍ[١] بنِ سَعْدِ بنِ حَرام، وهُوَ الّذِي رَوى عَنْ رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعًى واحِدٍ، والكافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعةِ أمْعاءٍ»، وهُوَ كانَ صاحِبَ هَذِهِ القِصّةِ فيما رَوى ابنُ أبِي شَيْبَةَ والبَزّارُ أيضًا[٢]، وقَدْ قِيلَ: إنّ الرّجُلَ الّذِي قالَ فيهِ النبي ﷺ هَذِهِ المقالَةَ هو ثُمامة بنُ أُثالٍ الحَنَفيّ، ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ[٣]، وقِيلَ: بَل هُوَ أبُو بَصْرةَ الغِفارِيّ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ[٤]. وماتَ جَهْجاهُ هَذا بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ رضي اللهُ عنه؛ أخَذَتْهُ الأكِلةُ[٥] في رُكْبَتِهِ فماتَ مِنْها، وكانَ قَدْ كَسَرَ بِرُكْبَتِهِ عَصا رسول الله ﷺ الّتِي كانَ يَخْطُبُ بِها؛ وذَلِكَ أنّهُ انْتَزَعَها مِنْ عُثْمانَ حِينَ أُخْرِجَ مِنَ المَسْجِدِ، ومُنِعَ مِنَ الصّلاةِ فيهِ، فكانَ هُوَ أحَدَ المُعِينِينَ عَلَيْهِ، حَتّى كَسَرَ[٦] العَصا عَلى رُكْبَتِهِ ـ فيما ذَكَرُوا ـ، فابْتُلِيَ بِما ابْتُلِيَ بِهِ مِنَ الأكِلةِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، ونَسْتَجِيرُ بِهِ مِن الأهْواءِ المُضِلّةِ.

* * *

(١) كذا في النسخ و«السيرة»، وفي «مغازي الواقدي» (ص: ٤١٥، ٤١٦، ٤٣٥): «ابن سعيد»، ومثله في «أسد الغابة» (١: ٣٦٥)، و«تفسير ابن كثير»، سورة المنافقون: (٨: ٣٥٣٢).

(٢) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣: ٣٣٩-٣٤٠). وانظر: «أسد الغابة» (١: ٣٦٦)، و«فتح الباري»، كتاب الأطعمة: (٩: ٥٣٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام: (٢: ٦٣٨-٦٣٩).

(٤) «غريب الحديث» له: (٣: ٢٢-٢٣).

(٥) الأكِلة ـ بوزن نَبِقة ـ: داء يقع في العضو فيأكل بعضُه بعضًا.

(٦) في (ب): «حين كسر».

[سَيْرُ الرَّسُولِ بِالنّاسِ لِيَشْغَلَهُمْ عَن الفِتْنةِ]

ثُمَّ مَشى رَسُولُ الله ﷺ بِالنّاسِ يَوْمَهُمْ ذلك حَتّى أمْسى، ولَيْلَتَهُمْ حَتّى أصْبَحَ، وصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذلك حَتّى آذَتْهُم الشَّمْسُ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنّاسِ، فلَمْ يَلْبَثُوا أنْ وجَدُوا مَسَّ الأرْضِ فوَقَعُوا نِيامًا، وإنَّما فعَلَ ذلك رَسُولُ الله ﷺ لِيَشْغَلَ النّاسَ عَن الحَدِيثِ الَّذي كانَ بِالأمْسِ؛ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بن أُبَيٍّ.

[تَنَبُّؤُ الرَّسُولِ بِمَوْتِ رِفاعةَ]

ثُمَّ راحَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنّاسِ، وسَلَكَ الحِجازَ حَتّى نَزَلَ على ماءٍ بِالحِجازِ فُوَيْقَ النَّقِيعِ، يُقالُ لَهُ: بَقْعاءُ. فلَمّا راحَ رَسُولُ الله ﷺ هَبَّتْ على النّاسِ رِيحٌ شَدِيدةٌ آذَتْهُمْ وتَخَوَّفُوها، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَخافُوها؛ فإنَّما هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَماءِ الكُفّارِ». فلَمّا قَدِمُوا المَدِينةَ وجَدُوا رِفاعةَ ابنَ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ، أحَدَ بَنِي قَيْنُقاعَ ـ وكانَ عَظِيمًا مِنْ عُظَماءِ يَهُودَ، وكَهْفًا لِلْمُنافِقِينَ ـ ماتَ في ذلك اليَوْمِ.

[ما نَزَلَ في ابنِ أُبَيٍّ مِن القُرْآنِ]

وَنَزَلَت السُّورةُ الَّتِي ذَكَرَ الله فيها المُنافِقِينَ في ابنِ أُبَيٍّ ومَنْ كانَ على مِثْلِ أمْرِهِ، فلَمّا نَزَلَتْ أخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِأُذُنِ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ، ثُمَّ قالَ: «هذا الَّذي أوْفى الله بِأُذُنِـهِ». وبَلَغَ عَبْدَ الله بنَ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ الَّذي كانَ مِنْ أمْرِ أبيهِ.

[طَلَبُ ابنِ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ أنْ يَتَوَلّى هُوَ قَتْلَ أبيهِ، وعَفْوُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ عَبْدَ الله أتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ بَلَغَنِي أنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ فيما بَلَغَكَ عَنْهُ، فإنْ كُنْتَ لا بُدَّ فاعِلًا فمُرْنِي بِهِ، فأنا أحْمِلُ إلَيْك رَأسه، فوالله لَقَدْ عَلِمَتِ الخَزْرَجُ ما كانَ لَها مِنْ رَجُلٍ أبَرَّ بِوالِدِهِ مِنِّي، وإنِّي أخْشى أنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فيقْتُلَهُ، فلا تَدَعُنِي نَفْسِي أنْظُرُ إلى قاتِلِ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ يَمْشِي في النّاسِ، فأقْتُلَهُ فأقْتُلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكافِرٍ، فأدْخُلَ النّارَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِيَ مَعَنا».

[تَوَلِّي قَوْمِ ابنِ أُبَيٍّ مُجازاتَهُ]

وَجعَلَ بَعْدَ ذلك إذا أحْدَثَ الحَدَثَ كانَ قَوْمُهُ هُم الَّذينَ يُعاتِبُونَهُ ويَأْخُذُونَهُ ويُعَنِّفُونَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ حِينَ بَلَغَهُ ذلك مِنْ شَأْنِهِمْ: «كَيْفَ تَرى يا عُمَرُ؟ أما والله لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي: اقْتُلْهُ، لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أمَرْتُها اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ»، قالَ: قالَ عُمَرُ: قَدْ والله عَلِمْتُ لَأمْرُ رَسُولِ الله ﷺ أعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أمْرِي.

[مِقْيَسُ بنُ صُبابةَ وحِيلَتُهُ في الأخْذِ بِثَأْرِ أخِيهِ، وشِعْرُهُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ مِقْيَسُ بنُ صُبابةَ مِنْ مَكّةَ مُسْلِمًا، فيما يَظْهَرُ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، جِئْتُكَ مُسْلِمًا، وجِئْتُكَ أطْلُبُ دِيَةَ أخِي، قُتِلَ خَطَأً.

فَأمَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِدِيَةِ أخِيهِ هِشامِ بنِ صُبابةَ، فأقامَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ عَدا على قاتِلِ أخِيهِ فقَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إلى مَكّةَ مُرْتَدًّا، فقالَ في شِعْرٍ يَقُولُهُ:

شَفى النَّفْسَ أنْ قَدْ ماتَ بِالقاعِ مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِماءُ الأخادِعِ
وَكانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِمُّ فتَحْمِيني وِطاءَ المَضاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتْرِي وأدْركت ثُؤْرتي ... وكُنْتُ إلى الأوْثانِ أوَّلَ راجِعِ
ثَأرْتُ بِهِ فِهْرًا وحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَراةَ بَنِي النَّجّارِ أرْبابَ فارِعِ

وَقالَ مِقْيَسُ بنُ صُبابَةَ أيْضًا:

جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً باءَتْ لَها وشَلٌ ... مِنْ ناقِعِ الجَوْفِ يَعْلُوهُ ويَنْصَرِمُ
فَقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشاهُ أسِرَّتُهُ ... لا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إذا ظُلِمُوا

[شِعارُ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ شِعارُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَنِي المُصْطَلِقِ: «يا مَنْصُورُ، أمِتْ أمِتْ».

[قَتْلى بَنِي المُصْطَلِقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأُصِيبَ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ يَوْمَئِذٍ ناسٌ، وقَتَلَ عَلِيُّ ابنُ أبِي طالِبٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ، مالِكًا وابنَهُ، وقَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رَجُلًا مِنْ فُرْسانِهِمْ، يُقالُ لَهُ: أحْمَرُ، أوْ: أُحَيْمِرٌ.

وَذَكَرَ مَقالةَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيّ، وأنّ ابنَهُ عبدَ اللهِ بن عبد الله استأذَنَ رسول الله ﷺ في قَتْلِ أبيهِ مِنْ أجْلِ تِلكَ المَقالةِ، وفي هَذا العَلَمُ العَظِيمُ والبُرْهانُ النّيّرُ مِنْ أعْلامِ النّبُوّةِ؛ فإنّ العَرَبَ كانَتْ أشَدَّ خَلقِ [اللهِ][1] حَمِيّةً وتَعَصُّبًا، فبَلَغَ الإيمانُ مِنْهُمْ ونُورُ اليَقِينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ إلى أنْ يَرْغَبَ الرّجُلُ مِنْهُمْ في قَتْلِ أبيهِ

(١) ليس في (ب).

ووَلَدِهِ، تَقَرُّبًا إلى اللهِ، وتَزَلُّفًا إليهِ وإلى رَسُولِهِ، مَعَ أنّ الرّسُولَ ﷺ أبْعَدُ النّاسِ نَسَبًا مِنْهُمْ، وما تَأخّرَ إسْلامُ قَوْمِهِ وبَنِي عَمِّهِ وسَبَقَ إلى الإيمانِ بِهِ الأباعِدُ إلّا لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ؛ إذْ لَوْ بادَرَ أهْلُهُ وأقْرَبُوهُ[١] إلى الإيمانِ بِهِ، لَقِيلَ: قَوْمٌ أرادُوا الفَخْرَ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ، وتَعَصّبُوا لَهُ، فلَمّا بادَرَ إلَيْهِ الأباعِدُ، وقاتَلُوا عَلى حُبِّهِ مَنْ كانَ مِنْهُمْ أوْ مِنْ غَيْرِهِمْ، عُلِمَ أنّ ذلك عن بَصيرةٍ صادِقةٍ ويَقِينٍ قَدْ تَغَلْغَلَ في قُلُوبِهِمْ، ورَهْبةٍ مِنَ اللهِ أزالَتْ صِفةً، قَدْ كانَتْ سَدِكَتْ[٢] بِنُفُوسِهِمْ[٣] مِنْ أخْلاقِ الجاهِلِيّةِ، لا يَسْتَطِيعُ إزالَتَها إلّا الّذِي فطَرَ الفِطْرَةَ الأُولى، وهُوَ القادِرُ عَلى ما يَشاءُ.

وأمّا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ، فكانَ مِنْ كُتّابِ رسول الله ﷺ، وكانَ اسْمُهُ: الحُباب، وبِهِ كانَ يُكَنّى أبُوهُ، فسَمّاهُ رسول الله ﷺ: عبدَ اللهِ، ماتَ شَهِيدًا بِاليَمامةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٤].

ورَوى الدّارَقُطْنِيّ مُسْنَدًا: أنّ رسول الله ﷺ مَرّ عَلى جَماعةٍ فِيهِمْ عبدُ اللهِ ابنُ أُبَيّ، فسَلّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمّ ولّى، فقالَ عبدُ اللهِ: لَقَدْ عَتا ابنُ أبِي كَبْشَةَ في هَذِهِ البِلادِ، فَسَمِعَها ابنُهُ عبدُ اللهِ، فاسْتَأْذَنَ رسول الله ﷺ في أنْ يَأْتِيَهُ بِرَأْسِ أبِيهِ، قالَ: «لا، ولَكِنْ بِرَّ أباكَ»[٥].

---

(١) في (ب): «أقرباؤه وأهله».

(٢) في (أ): «سدلت»، وفي (ج): «شركت»، وفي (أ)، (س): «في نفوسهم». وسدك به: لزمه فهو سَدِكٌ، أي: مولع به.

(٣) في (ف): «في نفوسهم».

(٤) «أسد الغابة» (٣: ٢٩٦-٢٩٨).

(٥) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ١٩٧٠). وانظر: «مجمع الزوائد» (٩: ٣١٨). وانظر ما قيل في أبي كبشة في «فتح الباري»، كتاب بدء الوحي: (١: ٤٠).

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في هَذا الخَبَرِ أنّ رسول الله ﷺ حِينَ بلغته مقالةُ عبدِ اللهِ ابنِ أُبَيّ؛ مَتَّنَ بالنّاسِ ذلك اليوم، ويُرْوى «مَشى بالناس»، فأمّا «مَتَّنَ»، فقالَ صاحِبُ العَيْنِ: [يُقالُ][1]: سارُوا سَيْرًا مُماتِنًا، أيْ: بَعِيدًا[2].

[أَمْرُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحارِثِ]

وَكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أصابَ مِنْهُمْ سَبْيًا كَثِيرًا، فشا قَسْمُهُ في المُسْلِمِينَ، وكانَ فيمَنْ أُصِيبَ يَوْمَئِذٍ مِن السَّبايا جُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ، زَوْجُ رَسُول الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: لَمّا قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ سَبايا بَنِي المُصْطَلِقِ، وقَعَتْ جُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ في السَّهْمِ لِثابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ، أوْ لِابنِ عَمٍّ لَهُ، فكاتَبَتْهُ على نَفْسِها، وكانَت امْرَأَةً حُلْوَةً مُلّاحةً، لا يَراها أحَدٌ إلّا أخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فأتَتْ رَسُولَ الله ﷺ تَسْتَعِينُهُ في كِتابَتِها، قالَت عائِشة: فواللهِ ما هُوَ إلّا أنْ رَأيْتُها على بابِ حُجْرَتِي فكَرِهْتها، وعَرَفْتُ أنَّهُ سَيَرى مِنْها ﷺ ما رَأيْتُ، فدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فقالَتْ: يا رَسُولَ الله، أنا جُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ، سَيِّدِ قَوْمِهِ، وقَدْ أصابَنِي مِن البَلاءِ، ما لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فوَقَعْتُ في السَّهْمِ لِثابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ، أوْ لِابنِ عَمٍّ لَهُ، فكاتَبْتُهُ على

(١) ليس في (ب).
(٢) «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٣٣٢).

نَفْسِي، فجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ على كِتابَتِي. قالَ: «فهَلْ لَكِ في خَيْرٍ مِنْ ذلك؟» قالَتْ: وما هُوَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «أَقْضِي عَنْكِ كِتابَتكِ وأَتَزَوَّجُكِ»، قالَتْ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله، قالَ: «قَدْ فعَلْتُ».

قالَتْ: وخَرَجَ الخَبَرُ إلى النّاسِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابنةَ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ، فقالَ النّاسُ: أَصْهارُ رَسُولِ الله ﷺ. وأَرْسَلُوا ما بِأَيْدِيهِمْ، قالَتْ: فلَقَدْ أُعْتِقَ بتزويجه إيّاها مئةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ، فما أَعْلَمُ امْرَأَةً كانَتْ أَعْظَمَ على قَوْمِها بَرَكَةً مِنْها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: لَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوةِ بَنِي المُصْطَلِقِ ومَعَهُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ، وكانَ بِذاتِ الجَيْشِ، دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلى رَجُلٍ مِن الأَنْصارِ ودِيعةً، وأَمَرَهُ بِالِاحْتِفاظِ بِها، وقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ، فأَقْبَلَ أبوها الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ بِفِداءِ ابنَتِهِ، فلَمّا كانَ بِالعَقِيقِ نَظَرَ إلى الإبِلِ الَّتِي جاءَ بِها لِلْفِداءِ، فرَغِبَ في بَعِيرَيْنِ مِنْها، فغَيَّبَهُما في شِعْبٍ مِنْ شِعابِ العَقِيقِ، ثُمَّ أتى إلى النَّبِيِّ ﷺ وقالَ: يا مُحَمَّدُ، أَصَبْتُم ابنَتِي، وهذا فِداؤُها، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فأَيْنَ البَعِيرانِ اللَّذانِ غَيَّبْتَهما بِالعَقِيقِ، في شِعْبِ كَذا وكَذا؟» فقالَ الحارِثُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلّا الله، وأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُول الله، فوالله ما اطَّلَعَ على ذلك إلّا الله. فأَسْلَمَ الحارِثُ، وأَسْلَمَ مَعَهُ ابنانِ لَهُ، وناسٌ مِنْ قَوْمِهِ، وأَرْسَلَ إلى البَعِيرَيْنِ، فجاءَ بِهِما، فدَفَعَ الإبِلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، ودُفِعَتْ إلَيْهِ ابنَتُهُ جُوَيْرِيَةُ، فأَسْلَمَتْ، وحَسُنَ إسْلامُها، فخَطَبَها رَسُول الله ﷺ إلى أبيها، فزَوَّجَهُ إيّاها، وأَصْدَقَها أَربعَ مئةِ دِرْهَمٍ.

[الوَلِيدُ بنُ عُقْبةَ وبَنُو المُصْطَلِقِ، وما نَزَلَ في ذلك مِن القُرْآنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ إلَيْهِمْ بَعْدَ إسْلامِهِم الوَلِيدَ بنَ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ، فلَمّا سَمِعُوا بِهِ رَكِبُوا إلَيْهِ، فلَمّا سَمِعَ بِهِمْ هابَهُمْ، فرَجَعَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فأخْبَرَهُ أنَّ القَوْمَ قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، ومَنَعُوهُ ما قِبَلَهم من صَدَقتِهِم، فأكْثَرَ المُسْلِمُونَ في ذِكْرِ غَزْوِهِمْ، حَتّى هَمَّ رَسُولُ الله ﷺ بِأنْ يَغْزُوَهُمْ، فبَيْنا هُمْ على ذلك قَدِمَ وفْدُهُمْ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، سَمِعْنا برَسُولِكَ حِينَ بَعَثْتَهُ إلَيْنا، فخَرَجْنا إلَيْهِ لِنُكْرِمَهُ، ونُؤَدِّيَ إلَيْهِ ما قِبَلَنا مِن الصَّدَقةِ، فانْشَمَرَ راجِعًا، فبَلَغَنا أنَّهُ زَعَمَ لِرَسُولِ الله ﷺ أنّا خَرَجْنا إلَيْهِ لنقتلَه، وواللهِ ما جِئْنا لِذلك. فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِ وفيهِمْ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ...﴾ [الحجرات: ٦-٧] إلى آخِرِ الآيةِ.

وَقَدْ أقْبَلَ رَسُول الله ﷺ مِنْ سَفَرِهِ ذلك، كَما حَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَن الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوةَ، عَنْ عائِشةَ رَضِيَ الله عَنْها، حَتّى إذا كانَ قَرِيبًا مِن المَدِينةِ، وكانَتْ مَعَهُ عائِشةُ في سَفَرِهِ ذلك، قالَ فيها أهْلُ الإفْكِ ما قالُوا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ جُوَيْرِيةَ بِنْتَ الحارِثِ، ووُقُوعَها في السِّباء لِثابِتِ بنِ قَيْسٍ، أوْ لِابنِ عَمٍّ لَهُ، [فكاتبَتْهُ على نفسِها][1]، ثُمّ جاءَتْ تَسْتَعِينُ في كِتابَتِها، قالَتْ عائِشةُ:

---

(١) عن (س)، (ف).

وكانَت امْرَأَةً مُلّاحةً حُلوةً، [لا يراها أحدٌ إلّا أخذتْ بنفسِه](١).

المُلّاحُ أبْلَغُ مِن المَلِيحِ في كَلامِ العَرَبِ، وكَذَلِكَ الوُضّاءُ أبْلَغُ مِن الوَضِيءِ، والكُبّارُ كَذَلِكَ مع الكَبِيرِ، غَيْرَ أنّهُ لا يُوصَفُ البارِي سُبْحانَهُ بِهَذا اللّفْظِ، فيُقالُ فيهِ: كُبّارٌ بِمَعْنى كَبِيرٍ؛ لِأنّهُ عَلى بِنْيةِ الجَمْعِ، نَحْوَ ضُرّابٍ وشُهّادٍ، فكانَ لَفْظُ «الكَبِيرِ» ونَحْوِهِ أبْعَدَ مِن الِاشْتِراكِ، وأدَلّ عَلى الوَحْدانِيّةِ، واللهُ أعْلَمُ.

وَأمّا مَعْنى «المُلّاحةِ»(٢)، فذَهَبَ قَوْمٌ إلى أنّها مِن المُلحةِ، وهي البَياضُ، تَقُولُ العَرَبُ: عِنَبٌ مُلّاحِيٌّ(٣)، والصَّحِيحُ في مَعْنى المَلِيحِ: أنّهُ مُسْتَعارٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: طَعامٌ مَلِيحٌ إذا كانَ فيهِ مِنَ المِلحِ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ، ولِذَلِكَ إذا بالَغُوا في المَدْحِ قالُوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ، فـ«مَلِيحٌ» مِنْ مَلَحْتُ القِدْرَ، و«قَزِيحٌ» مِنْ قَزَحْتُها؛ إذا طَيَّبْت نَكْهَتَها بِالأفاوِيهِ، وهي الأقزاح(٤)، ويَدُلُّك عَلى بُعْدِ هَذا المَعْنى مِنَ البَياضِ قَوْلُهُمْ في الأسْوَدِ: مَلِيحٌ، وفي العَيْنَيْنِ إذا اشْتَدّ سَوادُهُما وحُسْنُهُما، كَما جاءَ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]: أنّها مَلاحةٌ في العَيْنَيْنِ، وقالَ الأصْمَعِيّ: الحُسْنُ في العَيْنَيْنِ، والجَمالُ في الأنْفِ، والمَلاحةُ في الفَمِ.

وقالَت امْرَأةُ خالِدِ بنِ صَفْوانَ(٥) لِبَعْلِها: إنّك لَجَمِيلٌ يا أبا صَفْوانَ. فقالَ:

---

(١) عن (س).

(٢) ضُبطت في (ب)، (س) بضم الميم وتشديد اللام.

(٣) المُلّاحيّ: نوع من العنب أبيض في حَبِّه طول، ويقال أيضًا: مُلاحيّ، بتخفيف اللام.

(٤) الأقزاح: جمع قَزْح، بفتح فسكون، وبكسر الفاء أيضًا. والأفاويه: جمع أفواه، وهذه جمع فُوه، وهي ما أُعِد للطيب من الرياحين، والتابل يُعالَج به الطعام.

(٥) أحد فصحاء العرب، ينتهي نسبه إلى تميم، وأخباره مشهورة، جالسَ عمر بن عبد العزيز، وأدرك أبا العباس السفاح، تُوفي نحو سنة (١٣٣هـ). انظر: «المعارف» لابن قتيبة: =

وكَيْفَ ولَيْسَ عِنْدِي رِداءُ الجَمالِ ولا بُرْنُسُهُ ولا عَمُودُهُ؟ ثُمّ قالَ: عَمُودُهُ الطُّولُ، وأنا رَبْعةٌ، وبُرْنُسُهُ سَوادُ الشَّعْرِ، وأنا أَشْمَطُ، ورِداؤُهُ البَياضُ، وأنا آدَمُ، ولَكِنْ قُولِي: إنّك لمَلِيحٌ[1] ظَرِيفٌ.

فَعَلّمَها أنّ الملاحةَ قد تكونُ من صفةِ الآدم، فهي أيضًا إذًا لَيْسَتْ[2] مِنْ مَعْنى البَياضِ في شَيْءٍ، وإنّما هي ضِدُّ المَساسةِ[3].

وَقَوْلُ عائِشةَ رضي الله عنها في جُوَيْرِيةَ: «ما هُوَ إلّا أنْ رَأَيْتها[4] فكَرِهتُ مكانها». فيهِ ما كانَ عَلَيْهِ أزْواجُ النّبيّ ﷺ مِنَ الغَيْرةِ عَلَيْهِ، والعِلمِ بِمَوْقِعِ الجَمالِ مِنْهُ، كَما قَدْ رُوِيَ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ خَطَبَ امْرَأةً، فأرْسَلَ عائِشةَ رضي الله عنها لِتَنْظُرَ إلَيْها، فلَمّا رَجَعَتْ إلَيْهِ قالَتْ: ما رَأَيْتُ طائِلًا، فقالَ: «بَلى لقد رأيتِ خالًا في خَدِّها، اقْشَعَرَّتْ مِنْهُ كُلُّ شَعْرةٍ في جَسَدِك[5]».

وَأمّا نَظَرُ النبيِّ ﷺ لِجُوَيْرِيةَ حَتّى عَرَفَ مِنْ حُسْنِها ما عَرَفَ، فإنّما ذَلِكَ لِأنّها كانَتْ أمةً مَمْلُوكةً، ولَوْ كانَتْ حُرّةً ما مَلَأَ عَيْنَيْهُ مِنْها؛ لِأنّهُ لا يُكْرَهُ النّظَرُ إلى الإماءِ، وجائِزٌ أنْ يَكُونَ أيضًا نَظَرَ إلَيْها؛ لِأنّهُ نَوى نِكاحَها، كَما نَظَرَ إلى

= (ص: ٤٠٣-٤٠٤).

(١) في غير (ب): «مليح». والخبر في «البيان والتبيين» (١: ٣٤٠). والبُرْنس: قُلنسوة طويلة. وشَمِطَ شعره فهو أشمط: اختلط بياضه بسواده.

(٢) في (ب): «فإذًا هي ليست»، وفي (أ): «فهي إذًا ليست»، وفي (س)، (ف): «فهي أيضًا ليست».

(٣) كذا في النسخ، ولم أجده، ولعل صوابها: «السماجة». وهي القبح، أو «الشتامة». يقال: شتم شتامة فهو أشتم: كان كريه الوجه.

(٤) في (س): «... رأتها على باب حجرتي...».

(٥) في (ف): «جلدك».

المَرْأةِ الّتِي قالَتْ [لَهُ][١]: إنّي قَدْ وهَبْتُ نَفْسِي لَك يا رسول الله، فصَعَّدَ فيها النّظَرَ وصَوَّبَ، ثُمّ أنْكَحَها مِنْ غَيْرِهِ.

وقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ السّلامُ الرّخْصةُ في النّظَرِ إلى المَرْأةِ عِنْدَ إرادةِ نِكاحِها، وقالَ لِلمُغِيرةِ حِينَ شاوَرَهُ في نِكاحِ امْرَأةٍ: «لَوْ نَظَرْتَ إلَيْها؛ فإنّ ذَلِكَ أحْرى أنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُما»[٢]، وقالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمّدِ بنِ مَسْلَمةَ[٣] حِينَ أرادَ نِكاحَ ثُبَيْتةَ بِنْتَ الضَّحّاكِ، وقَدْ أجازَهُ مالِكٌ في إحْدى الرِّوايَتَيْنِ عَنْهُ، ذَكَرَها ابنُ أبِي زَيْدٍ.

وفي «مُسْنَدِ البَزّارِ» مِنْ طَرِيقِ أبِي بَكْرةَ: لا حَرَجَ أنْ يَنْظُرَ الرّجُلُ إلى المَرْأةِ [إذا أرادَ تَزَوُّجَها وهي لا تَشْعُرُ. وفي تَراجِمِ البُخارِيّ: النّظَرُ إلى المَرْأةِ][٤] قَبْلَ التّزْوِيجِ، وأوْرَدَ في البابِ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ لِعائِشة: «أُرِيتُكِ في المَنامِ يَجِيءُ بِك المَلَكُ في سَرَقةٍ[٥] مِنْ حَرِيرٍ، فكَشَفْتُ عَنْ وجْهِكِ، فقالَ: هَذِهِ امْرَأتُك؟ فقُلت: إنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»[٦]. وهَذا اسْتِدْلالٌ حَسَنٌ.

وفي قَوْلِهِ: «إنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللهِ»[٧] سُؤالٌ؛ لأنّ رُؤْياهُ وحْيٌ[٨]، فكَيْفَ يَشُكُّ في[٩] أنّها مِنْ عِنْدِ اللهِ؟

---

(١) ليس في (ب).

(٢) «عارضة الأحوذي»، أبواب النكاح: (٤: ٣٠٦-٣٠٧).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣: ٤٩٣).

(٤) سقط من (ب).

(٥) أي: قطعة.

(٦) «فتح الباري»، كتاب النكاح: (٩: ١٨٠).

(٧) بعده في (س): «يمضه».

(٨) في (ب): «لأن رؤياه حق ووحي».

(٩) «في» ليست في (ف).

والجَوابُ: أنّهُ لَمْ يَشُكّ في صِحّةِ الرُّؤيا، ولَكِنّ الرُّؤيا قَدْ تكُونُ عَلى ظاهِرِها، وقَدْ تكُونُ لِمَنْ هُوَ نَظِيرُ المَرْئي أوْ سَمِيّهُ، فمِنْ ههُنا تَطَرّقَ الشَّكُّ ما بَيْنَ أنْ تكُونَ عَلى ظاهِرِها، أوْ لَها تَأْويلٌ. كَذلِكَ سَمِعْت شَيْخَنا [أبا بكر][١] يَقُولُ في مَعْنى هَذا الحَدِيثِ، ولِغَيْرِهِ فيهِ قَوْلٌ لا أرْضاهُ، فلا[٢] يَخْلُو نَظَرُهُ عَلَيْهِ السّلامُ إلَيْها مِنْ أحَدِ الأمْرَيْنِ، أوْ يَكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ الحِجابُ، وإلّا فقَدْ قالَ الله تبارك وتعالى [له][٣]: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وهُوَ إمامُ المُتّقِينَ[٤] وقُدْوةُ الوَرِعينَ ﷺ.

وَأمّا جُوَيْرِيةُ فهي بِنْتُ الحارِثِ بن أبي ضِرارِ بنِ حَبِيبِ بنِ عائِذ بنِ مالكِ بنِ جَذِيمة، وجَذِيمة هو المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ، كانَ اسْمُها بَرّةَ، فسَمّاها رسول الله ﷺ جُوَيْرِيةَ، وقَدْ رُوِيَ مِثْلُ هَذا في مَيْمُونةَ بِنْتِ الحارِثِ، وكَذلِكَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، كانَ اسْمُها بَرّةَ أيْضًا[٥]، وزَيْنَبُ بِنْتُ أبِي سَلَمةَ رَبِيبَتُهُ ﷺ، كانَ اسْمُها بَرّةَ، فسَمَّاهُنّ جُمَعَ بِغَيْرِ ذَلِكَ الِاسْمِ، وتُوُفِّيَتْ جُوَيْرِيةُ في شَهْرِ رَبِيعِ الأوّلِ سَنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرةِ، وكانَتْ قَبْلَ أنْ تُسْبى عِنْدَ مُسافِعِ ابنِ صَفْوانَ الخُزاعِيّ.

❊ ❊ ❊

---

(١) عن (ص)، (ج)، (ف).

(٢) في (ف): «ولا».

(٣) عن (س)، (ص)، (ف).

(٤) في (ب): «المؤمنين».

(٥) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة زينب بنت أبي سلمة: (٧: ١٣١).

خَبَرُ الإفْكِ في غَزْوةِ بَنِي المُصْطَلِقِ سَنةَ سِتٍّ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَلْقَمةَ بنِ وقّاصٍ، وعَنْ سَعِيدِ ابنِ جُبَيْرٍ، وعَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، وعَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبةَ، قالَ: كُلٌّ قَدْ حَدَّثَني بَعْضَ هذا الحَدِيثِ، وبَعْضُ القَوْمِ كانَ أوْعى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، وقَدْ جَمَعْتُ لَكَ الَّذي حَدَّثَني القَوْمُ.

[شَأْنُ الرَّسُولِ مَعَ نِسائِهِ في سَفَرِهِ]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عائِشةَ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عائِشةَ، عَنْ نَفْسِها، حِينَ قالَ فيها أهْلُ الإفْكِ ما قالُوا، فكُلٌّ قَدْ دَخَلَ في حَدِيثِها، عَنْ هَؤُلاءِ جَمِيعًا، يُحَدِّثُ بَعْضُهُمْ ما لَمْ يُحَدِّثْ صاحِبُهُ، وكُلٌّ كانَ عَنْها ثِقةً، فكُلُّهُمْ حَدَّثَ عَنها ما سَمِعَ، قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا أرادَ سَفَرًا أقْرَعَ بَيْنَ نِسائِهِ، فأيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُها خَرَجَ بِها مَعَهُ، فلَمّا كانَتْ غَزْوةُ بَنِي المُصْطَلِقِ أقْرَعَ بَيْنَ نِسائِهِ، كَما كانَ يَصْنَعُ، فخَرَجَ سَهْمِي عَلَيْهِنَّ مَعَهُ، فخَرَجَ بِي رَسُولُ الله ﷺ.

[سُقُوطُ عِقْدِ عائِشةَ، وتَخَلُّفُها لِلْبَحْثِ عَنْهُ]

قالَتْ: وكانَ النِّساءُ إذْ ذاكَ إنَّما يَأْكُلْنَ العُلَقَ لَمْ يُهبّجْهنَّ اللَّحْمُ فيثْقُلْنَ، وكُنْتُ إذا رُحِّلَ لِي بَعِيرِي جَلَسْتُ في هَوْدَجِي، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمُ الَّذينَ يُرَحِّلُونَ

لِي، ويَحْمِلُونَنِي فيأْخُذُونَ بِأَسْفَلِ الهَوْدَجِ، فيرْفَعُونَهُ، فيضَعُونَهُ على ظَهْرِ البَعِيرِ، فيَشُدُّونَهُ بِحِبالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ البَعِيرِ، فينْطَلِقُونَ بِهِ. قالَتْ: فلَمّا فرَغَ رَسُول الله ﷺ مِنْ سَفَرِهِ ذلك، وجَّهَ قافِلًا، حَتّى إذا كانَ قَرِيبًا مِن المَدِينةِ نزل منزلًا، فباتَ بِهِ بَعْضَ اللَّيْلِ، ثُمَّ أذَّنَ في النّاسِ بِالرَّحِيلِ، فارْتَحَلَ النّاسُ، وخَرَجْتُ لِبَعْضِ حاجَتِي، وفي عُنُقِي عِقْدٌ لِي، فيهِ جَزْعُ ظَفارٍ، فلَمّا فرَغْتُ انْسَلَّ مِنْ عُنُقِي ولا أدْرِي، فلَمّا رَجَعْتُ إلى الرَّحْلِ ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُهُ في عُنُقِي، فلَمْ أجِدْهُ، وقَدْ أخَذَ النّاسُ في الرَّحِيلِ، فرَجَعْتُ إلى مَكانِي الَّذي ذَهَبْتُ إلَيْهِ، فالتَمَسْتُهُ حَتّى وجَدْتُهُ، وجاءَ القَوْمُ خِلافِي، الَّذينَ كانُوا يُرَحِّلُونَ لِي البَعِيرَ، وقَدْ فرَغُوا مِنْ رِحْلَتِهِ، فأخَذُوا الهَوْدَجَ، وهُمْ يَظُنُّونَ أنِّي فيهِ، كَما كُنْتُ أصْنَعُ، فاحْتَمَلُوهُ، فشَدُّوهُ على البَعِيرِ، ولَمْ يَشُكُّوا أنِّي فيهِ، ثُمَّ أخَذُوا بِرَأْسِ البَعِيرِ، فانْطَلَقُوا بِهِ، فرَجَعْتُ إلى العَسْكَرِ وما فيهِ مِنْ داعٍ ولا مُجِيبٍ، قَد انْطَلَقَ النّاسُ.

حَدِيثُ الإفْكِ

فيهِ مِن الغَرِيبِ قَوْلُ عائِشَةَ رضي الله عنها: «والنّساءُ يَوْمَئِذٍ لم يهبِّجهُنّ اللحم».

التَّهبيج: انْتِفاخٌ في الجِسْمِ قَدْ يَكُونُ مِنْ سِمَنٍ، وقَدْ يَكُونُ مِنْ آفةٍ، قالَ الأصْمَعِيُّ أوْ غَيْرُهُ: هَجَمْتُ عَلى حَيٍّ مِنَ العَرَبِ بِوادٍ خَصِيبٍ، وإذا ألوانُهُمْ مُصْفَرّةٌ، ووُجُوهُهُمْ مُهَبَّجةٌ، فقُلتُ لَهُمْ: ما بالُكُمْ، وادِيكُمْ أخْصَبُ وادٍ، وأنتم لا تشبهونَ المَخاصِبَ؟ فقالَ لِي شَيْخٌ مِنْهُمْ: إنَّ بَلَدَنا لَيْسَتْ

لَهُ[١] رِيحٌ، يُرِيدُ: أنّ الجِبالَ أحاطَتْ بِهِ، فلا تُذْهِبُ الرّياحُ وبَأَهُ[٢] [ولا ومَدَهُ][٣].

[مُرُورُ ابنِ المُعَطَّلِ بِها، واحْتِمالُهُ إيّاها على بَعِيرِهِ]

قالَتْ: فتَلَفَّفْتُ بِجِلْبابِي، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ في مَكانِي، وعَرَفْتُ أنْ لَوْ قَد افْتُقِدْتُ لَرُجِعَ إليّ. قالَت: فواللهِ إنِّي لَمُضْطَجِعةٌ إذْ مَرَّ بِي صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ، وقَدْ كانَ تَخَلَّفَ عَن العَسْكَرِ لِبَعْضِ حاجَتِهِ، فلَمْ يَبِتْ مَعَ النّاسِ، فرَأى سَوادِي، فأقْبَلَ حَتّى وقَفَ عَلَيَّ ـ وقَدْ كانَ يَرانِي قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عَلَيْنا الحِجابُ ـ فلَمّا رَآنِي قالَ: إنّا لله وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ، ظَعِينةُ رسولِ الله ﷺ! وأنا مُتَلَفِّفةٌ في ثِيابِي، قالَ: ما خَلَّفَكِ، يَرْحَمُكِ اللهُ؟ قالَتْ: فما كَلَّمْتُهُ، ثُمَّ قَرَّبَ البَعِيرَ، فقالَ: ارْكَبِي، واسْتَأْخَرَ عَنِّي. قالَتْ: فرَكِبْتُ، وأخَذَ بِرَأْسِ البَعِيرِ، فانْطَلَقَ سَرِيعًا يَطْلبُ النّاس، فواللهِ ما أدْرَكْنا النّاسَ، وما افْتُقِدْتُ حَتّى أصْبَحْتُ، ونَزَلَ النّاسُ، فلَمّا اطْمَأنُّوا طَلَعَ الرَّجُلُ يَقُودُ بِي، فقالَ أهْلُ الإفْكِ ما قالُوا، فارتَعَجَ العَسْكَر، وواللهِ ما أعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذلك.

وَفيهِ ذِكْرُ صَفْوانَ بنِ المُعَطَّلِ بن رُبَيْضةَ بنِ خُزاعِيّ بنِ مُحارِبِ بنِ مُرّةَ ابنِ فالِجِ بن ذَكوانَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ بُهْثةَ بنِ سُلَيْمٍ السُّلَمِيِّ، ثُمّ الذّكُوانِيّ، يُكَنّى:

---

(١) في (ب): «لها».

(٢) كذا في (ص)، (ف). وفي غيرهما: «وباءة». وكلٌّ صواب. والوبأ والوباء: كل مرض فاشٍ عامّ.

(٣) ليس في (ب). وفي (ف): «ولا رمده». والوَمد: شدة حر اليوم والليل، وندًى يجيء في الحر من قِبَل البحر مع سكون الريح، وهو ما يُعرَف بالرطوبة الآن.

أبا عَمْرٍو، وكانَ يَكُونُ [عَلى][(١)] ساقةِ العَسْكَرِ يَلتَقِطُ ما يَسْقُطُ مِنْ مَتاع المُسْلِمِينَ حَتّى يَأْتِيَهُمْ بِهِ؛ ولِذَلِكَ تَخَلّفَ في هَذا الحَدِيثِ الّذِي قالَ فيهِ أَهْلُ الإفْكِ ما قالُوا.

وقَدْ رُوِيَ في تَخَلُّفِهِ سَبَبٌ آخِرُ؛ وهُوَ أَنّهُ كانَ ثَقِيلَ النّوْمِ لا يَسْتَيْقِظُ حَتّى يَرْتَحِلَ النّاسُ، ويَشْهَدُ لِصِحّةِ هَذا حَدِيثُ أَبِي داوُدَ: أَنّ امْرَأَةَ صَفْوانَ اشْتَكَتْ بِهِ إلى رسول الله ﷺ، وذكرتْ أشياءَ منها أنه لا يُصَلِّي الصُّبح، فقال صفوانُ: يا رسول الله، إنِّي امرؤ ثَقِيلُ الرّأْسِ لا أَسْتَيْقِظُ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ، فقالَ لَهُ النّبِيّ ﷺ: «فإذا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ»[(٢)]. وقَدْ ضَعَّفَ البَزّارُ حَدِيثَ أَبِي داوُدَ هذا في «مُسْنَدِهِ».

وقُتِلَ صفوانُ بنُ المُعَطّلِ شَهِيدًا في خِلافةِ مُعاوِيَةَ، وانْدَقّتْ رِجْلُهُ يَوْمَ قُتِلَ، فطاعَنَ بِها وهي مُنْكَسِرةٌ حَتّى مات، وذلك بالجزيرةِ بموضعٍ يُقالُ لَهُ: شِمْشاطُ[(٣)].

* * *

(١) ليس في (ب).
(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها: (٢: ٣٣٠).
(٣) كذا في (أ)، وفي غيرها: «شمطاط». والصواب ما أثبت.

[إعْراضُ الرَّسُولِ عَنْها]

ثُمَّ قَدِمْنا المَدِينةَ، فلَمْ أَلْبَثْ أنِ اشْتَكَيْتُ شَكْوى شَدِيدةً، ولا يَبْلُغُنِي مِنْ ذلك شَيْءٌ، وقَد انْتَهى الحَدِيثُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وإلى أبَوَيَّ، لا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا ولا كثيرًا، إلّا أنِّي قَدْ أنكَرْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي؛ كُنْتُ إذا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي، ولَطَفَ بِي، فلَمْ يَفْعَلْ ذلك بِي في شَكْوايَ تِلْكَ، فأنْكَرْتُ ذلك مِنْهُ، كانَ إذا دَخَلَ عَلَيَّ وعِنْدِي أُمِّي تُمَرِّضُنِي ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ أُمُّ رُومانَ، واسْمُها: زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دُهْمانَ، أحَدِ بَنِي فِراسِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ كِنانةَ ـ قالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» لا يَزِيدُ على ذلك.

[انْتِقالُها إلى بَيْتِ أبيها، وعِلْمُها بِما قِيلَ فيها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَتْ: حَتّى وجَدْتُ في نَفْسِي، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ـ حِينَ رَأَيْتُ ما رَأَيْتُ مِنْ جَفائِهِ لِي ـ: لَوْ أذِنْتَ لِي، فانْتَقَلْتُ إلى أُمِّي، فمَرَّضَتْنِي؟ قالَ: «لا عَلَيْكِ». قالَتْ: فانْتَقَلْتُ إلى أُمِّي، ولا عِلْمَ لِي بِشَيْءٍ مِمّا كانَ، حَتّى نَقِهْتُ مِنْ وجَعِي بَعْدَ بِضْعٍ وعِشْرِينَ لَيْلةً، وكُنّا قَوْمًا عَرَبًا، لا نَتَّخِذُ في بُيُوتِنا هَذِهِ الكُنُفَ الَّتِي تَتَّخِذُها الأعاجِمُ، نَعافُها ونَكْرَهُها، إنَّما كُنّا نَذْهَبُ في فُسَحِ المَدِينةِ، وإنَّما كانَت النِّساءُ يَخْرُجْنَ كُلَّ لَيْلةٍ في حَوائِجِهِنَّ، فخَرَجْتُ لَيْلةً لِبَعْضِ حاجَتِي ومَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أبِي رُهْمِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، وكانَتْ أُمُّها بِنْتَ صَخْرِ بنِ عامِرِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ ابنِ تَيْمٍ، خالةَ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنهُ، قالَت: فواللهِ إنَّها لَتَمْشِي

مَعِي؛ إذْ عَثَرَتْ في مِرْطِها، فقالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ ـ ومِسْطَحٌ لَقَبٌ، واسْمُهُ: عَوْفٌ ـ قالَتْ: قُلْتُ: بِئْسَ ـ لَعَمْرُ الله ـ ما قُلْتِ لِرَجُلٍ مِن المُهاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قالَتْ: أَوَما بَلَغَكِ الخَبَرُ يا بِنْتَ أبي بَكْرٍ؟ قالَتْ: قُلْتُ: وما الخَبَرُ؟ فأَخْبَرَتْنِي بالَّذِي كانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الإفْكِ، قالَت: قلت: أَوَقد كانَ هذا؟ قالَتْ: نَعَمْ والله لَقَدْ كانَ. قالَت: فوالله ما قَدَرْتُ على أنْ أَقْضِيَ حاجَتِي، ورجعتُ، فوالله ما زِلْتُ أَبْكِي حَتّى ظَنَنْتُ أنَّ البُكاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي، قالَتْ: وقُلْتُ لِأُمِّي: يَغْفِرُ الله لَكِ، تَحَدَّثَ النّاسُ بِما تَحَدَّثُوا بِهِ، ولا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذلك شَيْئًا؟! قالَتْ؛ أي: بُنَيّةُ، خَفِّضِي عَلَيْكِ الشَّأْنَ، فوالله لَقَلَّما كانَت امْرَأَةٌ حَسْناءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّها، لَها ضَرائِرُ، إلّا كَثَّرْنَ، وكَثَّرَ النّاسُ عَلَيْها.

[خُطْبَةُ الرَّسُولِ في النّاسِ يَذْكُرُ إيذاءَ قَوْمٍ لَهُ في عِرْضِهِ]

قالَتْ: وقَدْ قامَ رَسُولُ الله ﷺ في النّاسِ يَخْطُبُهُمْ، ولا أَعْلَمُ بِذلك، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «أَيُّها النّاسُ، ما بالُ رِجالٍ يُؤْذُونَنِي في أَهْلِي، ويَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الحَقِّ؟ واللهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُمْ إلّا خَيْرًا، ويَقُولُونَ ذلك لِرَجُلٍ واللهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ إلّا خَيْرًا، وما يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إلّا وهُوَ مَعِي».

[أَثَرُ ابنِ أُبَيٍّ وحَمْنَةَ في إشاعةِ هذا الحَدِيثِ]

قالَتْ: وكانَ كِبْرُ ذلك عِنْدَ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، في رِجالٍ مِن الخَزْرَجِ، مَعَ الَّذي قالَ مِسْطَحٌ وحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ؛ وذلك أَنَّ أُخْتَها زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ كانَتْ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، ولَمْ تَكُنْ مِنْ نِسائِهِ امْرَأَةٌ تُناصِينِي في المَنْزِلةِ عِنْدَهُ غَيْرُها، فأمّا زَيْنَبُ فعَصَمَها الله تَعالى بِدِينِها فلَمْ تَقُلْ إلّا

خَيْرًا، وأمّا حَمْنةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فأشاعَتْ مِنْ ذلك ما أشاعَتْ، تُضادُّنِي لِأُخْتِها، فشَقِيَتْ بِذلك.

[ما كانَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ خُطْبةِ الرَّسُولِ]

فَلَمّا قالَ رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ المَقالةَ، قالَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ: يا رَسُولَ الله، إنْ يَكُونُوا مِن الأوْسِ نَكْفِكَهُمْ، وإنْ يَكُونُوا مِنْ إخْوانِنا مِن الخَزْرَجِ، فمُرْنا بأمْرِكَ، فوالله إنَّهُمْ لَأهْلٌ أنْ تُضْرَبَ أعْناقُهُمْ. قالَتْ: فقامَ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، وكانَ قَبْلَ ذلك يُرى رَجُلًا صالِحًا، فقالَ: كَذَبْتَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ لا نَضْرِبُ أعْناقَهُمْ، أما والله ما قُلْتَ هَذِهِ المَقالةَ إلّا أنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أنَّهُمْ مِن الخَزْرَجِ، ولَوْ كانُوا مِنْ قَوْمِكَ ما قُلْتَ هذا. فقالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْتَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ ولَكِنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عَن المُنافِقِينَ. قالَتْ: وتَساوَرَ النّاسُ، حَتّى كادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ الحَيَّيْنِ مِن الأوْسِ والخَزْرَجِ شَرٌّ، ونَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ، فدَخَلَ عَلَيَّ.

[اسْتِشارةُ الرَّسُولِ لِعَلِيٍّ وأُسامةَ]

قالَتْ: فدَعا عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، وأُسامةَ بنَ زَيْدٍ، فاسْتَشارَهُما، فأمّا أُسامةُ فأثْنى عَلَيَّ خَيْرًا وقالَهُ، ثُمَّ قالَ: يا رَسُولَ الله، أهْلُكَ ولا نَعْلَمُ مِنْهُمْ إلّا خَيْرًا، وهذا الكَذِبُ والباطِلُ. وأمّا عَلِيٌّ فإنَّهُ قالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ النِّساءَ لَكَثِيرٌ، وإنَّكَ لَقادِرٌ على أنْ تَسْتَخْلِفَ، وسَلِ الجارِيةَ؛ فإنَّها سَتَصْدُقُكَ.

فَدَعا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرةَ لِيَسْألَها، قالَتْ: فقامَ إلَيْها عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ،

فضَرَبَها ضَرْبًا شَدِيدًا، ويَقُولُ: اصْدُقِي رَسُولَ الله ﷺ، قالَتْ: فتَقُولُ والله ما أَعْلَمُ إلّا خيْرًا، وما كُنْتُ أَعِيبُ على عائِشَةَ شَيْئًا، إلا أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ عَجِينِي، فآمُرُها أنْ تَحْفَظَهُ، فتَنامُ عَنْهُ، فتَأْتِي الشّاةُ فتَأْكُلُهُ.

[نُزُولُ القُرْآنِ بِبَراءةِ عائِشَةَ]

قالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وعِنْدِي أَبَوايَ، وعِنْدِي امْرَأَةٌ مِن الأَنْصارِ، وأنا أَبْكِي، وهِيَ تَبْكِي مَعِي، فجَلَسَ، فحَمِدَ الله، وأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «يا عائِشَةُ، إنَّهُ قَدْ كانَ ما قَدْ بَلَغَكِ مِنْ قَوْلِ النّاسِ، فاتَّقِي اللَّهَ، وإنْ كُنْتِ قَدْ قارَفْتِ سُوءًا مِمّا يَقُولُ النّاسُ، فتُوبِي إلى الله؛ فإنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عبادِه». قالَت: فوالله ما هُوَ إلّا أنْ قالَ لِي ذلك، فقَلَصَ دَمْعِي، حَتّى ما أُحِسُّ مِنْهُ شَيْئًا، وانْتَظَرْتُ أَبَوَيَّ أنْ يُجِيبا عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ، فلَمْ يَتَكَلَّما، قالَتْ: وايْمُ اللهِ، لَأَنا كُنْتُ أَحْقَرَ في نَفْسِي، وأَصْغَرَ شَأْنًا مِنْ أنْ يُنْزِلَ اللهُ فِيَّ قُرْآنًا يُقْرَأُ بِهِ في المَساجِدِ، ويُصَلّى بِهِ، ولَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أنْ يُرى رَسُولُ الله ﷺ في نَوْمِهِ شَيْئًا يُكَذِّبُ بِهِ اللهُ عَنِّي؛ لِما يَعْلَمُ مِنْ بَراءَتِي، أوْ يُخْبَرَ خَبَرًا، فأمّا قُرْآنٌ يَنزِلُ فِيَّ، فوالله لَنَفْسِي كانَتْ أَحْقَرَ عِنْدِي مِنْ ذلك. قالَتْ: فلَمّا لَمْ أرَ أَبَوَيَّ يَتَكَلَّمانِ، قالَتْ: قُلْتُ لَهُما: ألا تُجِيبانِ رَسُولَ الله ﷺ؟ قالَتْ: فقالا: والله ما نَدْرِي بِماذا نُجِيبُه. قالَت: ووالله ما أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ ما دَخَلَ على آلِ أبِي بَكْرٍ في تِلْكَ الأَيّامِ. قالَتْ: فلَمّا أن اسْتَعْجَما عَلَيَّ، اسْتَعْبَرْتُ فبَكَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: والله لا أَتُوبُ إلى الله مِمّا ذَكَرْتَ أَبَدًا، واللهِ إنِّي لَأَعْلَمُ لَئِنْ أَقْرَرْتُ بِما يَقُولُ النّاسُ، واللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَأَقُولَنَّ ما لَمْ يَكُنْ، ولَئِنْ أنا أَنْكَرْتُ ما يَقُولُونَ، لا تُصَدِّقُونَنِي. قالَتْ: ثُمَّ

التَمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ، فما أذْكُرُهُ، فقُلْتُ: وَلَكِنْ سَأقُولُ كما قالَ أبو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالَت: فواللهِ ما بَرِحَ رَسُول الله ﷺ مَجْلِسَهُ حتّى تَغشّاهُ مِن اللهِ ما كانَ يَتَغشّاهُ، فسُجِّيَ بِثَوْبِهِ ووُضِعَتْ لَهُ وِسادةٌ مِنْ أَدَمٍ تَحْتَ رَأْسِهِ، فأمّا أنا حِينَ رَأيْتُ مِنْ ذلك ما رَأيْتُ، فواللهِ ما فَزِعْتُ ولا بالَيْتُ؛ قَدْ عَرَفْتُ أنِّي بَرِيئةٌ، وأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ غَيْرُ ظالِمِي، وأمّا أبوايَ، فوالّذي نَفْسُ عائِشةَ بِيَدِهِ، ما سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حتّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أنفُسُهما؛ فرَقًا مِنْ أنْ يَأْتِيَ مِن اللهِ تَحْقِيقُ ما قالَ النّاسُ. قالَتْ: ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فجَلَسَ، وإنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمانِ في يَوْمٍ شاتٍ، فجَعَلَ يَمْسَحُ العَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ، ويَقُولُ: «أبْشِرِي يا عائِشةُ، فقَدْ أنزَلَ اللهُ بَراءَتَكِ». قالَتْ: قُلْتُ: بِحَمْدِ اللهِ. ثُمَّ خَرَجَ إلى النّاسِ، فخَطَبَهُمْ، وتَلا عَلَيْهِمْ ما أنزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِن القُرْآنِ في ذلك، ثُمَّ أمَرَ بِمِسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ، وحَسّانَ بنِ ثابِتٍ، وحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وكانُوا مِمَّنْ أفْصَحَ بِالفاحِشةِ، فضُرِبُوا حَدَّهُمْ.

[أبو أيُّوبَ وذِكْرُهُ طُهرَ عائِشةَ لِزَوْجِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ بَعْضِ رِجالِ بَنِي النَّجّارِ: أنَّ أبا أيُّوبَ خالِدَ بنَ زَيْدٍ، قالَتْ لَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ أيُّوبَ: يا أبا أيُّوبَ، ألا تَسْمَعُ ما يَقُولُ النّاسُ في عائِشةَ؟ قالَ: بَلى، وذلك الكَذِبُ، أكُنْتِ يا أُمَّ أيُّوبَ فاعِلةً؟ قالَتْ: لا واللهِ ما كُنْتُ لِأفْعَلَهُ، قالَ: فعائِشةُ واللهِ خَيْرٌ مِنْكِ.

[ما نَزَلَ مِن القُرْآنِ في ذلك]

قالَتْ: فلَمّا نَزَلَ القُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قالَ مِنْ أهْلِ الفاحِشةِ ما قالَ مِنْ

أهْلِ الإفْكِ، فَقالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١]، وذلك حَسّانُ بنُ ثابِتٍ وأصْحابُهُ الَّذينَ قالُوا ما قالُوا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: وذلك عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ وأصْحابُهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والَّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ: عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ، وقَدْ ذَكَرَ ذلك ابنُ إسْحاقَ في هذا الحَدِيثِ قَبْلَ هذا.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢]؛ أي: فقالُوا كَما قالَ أبو أيُّوبَ وصاحِبَتُهُ. ثُمَّ قالَ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].

[هَمُّ أبي بَكْرٍ بِعَدِمِ الإنْفاقِ على مِسْطَحٍ، ثُمَّ عُدُولُهُ]

فَلَمّا نَزَلَ هذا في عائِشَةَ، وفيمَنْ قالَ لَها ما قالَ، قالَ أبو بَكْرٍ ـ وكانَ يُنْفِقُ على مِسْطَحٍ لِقَرابَتِهِ وحاجَتِهِ ـ: والله لا أُنْفِقُ على مِسْطَحٍ شَيْئًا أبَدًا، ولا أنْفَعُهُ بِنَفْعٍ أبَدًا بَعْدَ الَّذي قالَ لِعائِشَةَ، وأدْخَلَ عَلَيْنا. قالَتْ: فأنْزَلَ الله في ذلك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ بَعْضَ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: يُقالُ: كِبْره وكُبْره في الرِّوايةِ، وأمّا في القُرْآنِ: فكِبْرُهُ

بِالكَسْرِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ ولا يَأْلُ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ.

قالَ امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ الكِنْدِيُّ:

أَلا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ أَلْوى رَدَدْتُهُ ... نَصِيحٍ على تَعْذالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

ويُقالُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾: ولا يَحْلِفْ أُولُو الفَضْلِ. وهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ، فيما بَلَغْنا عَنْهُ.

وَفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]: وهُوَ مِن الأَلِيّةِ، والأَلِيّةُ: اليَمِينُ. قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

آلَيْتُ ما في جَمِيعِ النّاسِ مُجْتَهِدًا ... مِنِّي أَلِيّةَ بَرٍّ غَيْرَ إفْنادِ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ، سَأَذْكُرُها إنْ شاءَ الله في مَوْضِعِها. فمَعْنى: أن يؤتوا في هذا المَذْهَبِ: ألّا يُؤْتُوا، وفي كِتابِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ يُرِيدُ: ألّا تَضِلُّوا. ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحج: ٦٥]؛ يُرِيدُ: ألّا تَقَعَ على الأَرْضِ. وقالَ ابنُ مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيُّ:

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في وضَحِ الصُّبْـ ... ـحِ مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدا

يَوْمَ أُعْطى مَخافةَ المَوْتِ ضَيْمًا ... والمَنايا يَرْصُدْنَنِي أنْ أَحِيدا

يُرِيدُ: ألّا أحيد. وهذان البَيْتانِ في أبْياتٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَتْ: فقالَ أبو بَكْرٍ: بَلى والله، إنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغْفِر الله

لِي. فرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ الَّتِي كانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وقالَ: واللهِ لا أَنْزِعُها مِنْهُ أَبَدًا.

[هَمُّ ابنِ المُعَطَّلِ بِقَتْلِ حَسّانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ صَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ اعْتَرَضَ حَسّانَ بنَ ثابِتٍ بِالسَّيْفِ حِينَ بَلَغَهُ ما كانَ يَقُولُ فيهِ، وقَدْ كانَ حَسّانُ قالَ شِعْرًا مَعَ ذلك يُعَرِّضُ بِابنِ المُعَطَّلِ فيهِ، وبِمَنْ أَسْلَمَ مِن العَرَبِ مِنْ مُضَرَ، فقالَ:

أَمْسى الجَلابِيبُ قَدْ عَزُّوا وقَدْ كَثُرُوا ... وابنُ الفُرَيْعةِ أَمْسى بَيْضَةَ البَلَدِ
قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ صاحِبَهُ ... أَوْ كانَ مُنْتَشِبًا في بُرْثُنِ الأَسَدِ
ما لِقَتِيلِي الَّذي أَغْدُو فآخُذُهُ ... مِنْ دِيةٍ فيهِ يُعْطاها ولا قَوَدِ
ما البَحْرُ حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً ... فيغْطَئِلُّ ويَرْمِي العِبْرَ بِالزَّبَدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي ... مِلْغَيْظِ أَفْرِي كَفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ
أُمّا قُرَيْشٌ فإنِّي لَنْ أُسالِمَهُمْ ... حَتّى يُنِيبُوا مِن الغَيّاتِ لِلرَّشَدِ
وَيَتْرُكُوا اللّاتَ والعُزّى بِمَعْزِلةٍ ... ويَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلْواحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ ما قالَ الرَّسُولُ لَهُمْ ... حَقٌّ ويُوفُوا بِعَهْدِ اللهِ والوُكُدِ

فاعْتَرَضَهُ صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ، فضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قالَ: كَما حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ:

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيْفِ عَنِّي فإنَّنِي ... غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشاعِرِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ: أَنَّ ثابتَ ابنَ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ وثَبَ على صَفْوانَ بنِ المُعَطَّلِ حِينَ ضَرَبَ حَسّانَ، فجَمَعَ يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إلى دارِ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ،

فلَقِيَهُ عَبْدُ الله بن رَواحةَ، فقالَ: ما هذا؟ قالَ: أما أعْجَبَكَ ضَرْبُ حسّانَ بِالسَّيْفِ؟! والله ما أراهُ إلّا قَدْ قَتَلَهُ. قالَ لَهُ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ: هَلْ عَلِمَ رَسُول الله ﷺ بِشَيْءٍ مِمّا صَنَعْتَ؟ قالَ: لا والله، قالَ: لَقَد اجْتَرَأْتَ، أطْلِقِ الرَّجُلَ. فأطْلَقَهُ، ثُمَّ أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فذَكَرُوا ذلك لَهُ، فدَعا حَسّانَ وصَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ، فقالَ ابنُ المُعَطَّلِ: يا رَسُولَ الله، آذانِي وهَجانِي، فاحْتَمَلَنِي الغَضَبُ، فضَرَبْتُهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِحَسّانَ: «أحْسِنْ يا حَسّانُ، أتَشَوَّهْتَ على قَوْمِي أَنْ هَداهُم الله لِلْإسْلامِ؟!»، ثُمَّ قالَ: «أحْسِنْ يا حَسّانُ في الَّذي أصابَكَ». قالَ: هِيَ لَكَ يا رَسُولَ الله.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: «أبَعْدَ أنْ هَداكُم الله لِلْإسْلامِ؟!».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أعْطاهُ عِوَضًا مِنْها بَيْرُحاءَ، وهِيَ قَصْرُ بَنِي حُدَيْلَةَ اليَوْمَ بِالمَدِينةِ، وكانَتْ مالًا لِأبِي طَلْحةَ بنِ سَهْلٍ، تَصَدَّقَ بِها على آلِ رَسُول الله ﷺ، فأعْطاها رَسُولُ الله ﷺ حَسّانَ في ضَرْبَتِهِ، وأعْطاهُ سِيرِينَ أمةً قِبْطيّةً، فولَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابنَ حَسّانَ، قالَتْ: وكانَتْ عائِشةُ تَقُولُ: لَقَدْ سُئِلَ عَن ابنِ المُعَطِّلِ، فوَجَدُوهُ رَجُلًا حَصُورًا، ما يَأْتِي النِّساءَ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذلك شَهِيدًا.

قالَ حَسّانُ بنُ ثابتٍ يَعْتَذِرُ مِن الَّذي كانَ قالَ في شَأْنِ عائِشةَ رَضِيَ الله عَنْها:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ	وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ
عَقِيلةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ	كِرامِ المَساعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زائِلِ
مُهَذَّبةٌ قَدْ طَيَّبَ الله خِيمَها	وطَهَّرَها مِنْ كُلِّ سُوءٍ وباطِلِ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذي قَدْ زَعَمْتُمُ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أنامِلِي
وَكَيْفَ ووُدِّي ما حَيِيتُ ونُصْرَتِي لِآلِ رسول الله زَيْنِ المَحافِلِ؟
لَهُ رتَبٌ عالٍ على النّاسِ كُلِّهِمْ تَقاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ المُتَطاوِلِ
فَإِنَّ الَّذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِطٍ ولَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ ماحِلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَيْتُهُ: «عَقِيلةُ حَيٍّ» والَّذِي بَعْدَهُ، وبَيْتُهُ: «لَهُ رَتَبٌ عالٍ»، عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ: أنَّ امْرَأَةً مَدَحَتْ بِنْتَ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ عِنْدَ عائِشَةَ، فقالَتْ:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ

فَقالَتْ عائِشَةُ: لَكِنْ أبوها.

[شِعْرٌ في هِجاءِ حَسّانَ ومِسْطَحٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ قائِلٌ مِن المُسْلِمِينَ في ضَرْبِ حَسّانَ وأصْحابِهِ في فِرْيَتِهِمْ على عائِشَةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: في ضَرْبِ حَسّانَ وصاحِبَيْهِ ـ:

لَقَدْ ذاقَ حَسّانُ الَّذي كانَ أهْلَهُ وحَمْنَةُ إذْ قالُوا هَجِيرًا ومِسْطَحُ
تَعاطَوْا بِرَجْمِ الغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وسَخْطَةَ ذِي العَرْشِ الكَرِيمِ فأُتْرِحُوا
وَآذَوْا رسول الله فيها فجُلِّلُوا مَخازِيَ تَبْقى عُمِّمُوها وفُضِّحُوا
وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَداتٌ كأنَّها شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرا المُزْنِ تَسْفَحُ

وَفيهِ مِنْ غَيْرِ روايةِ ابنِ إسْحاقَ: أَنّهُمْ دَعَوا الجارِيَةَ، فسَألُوها حَتّى أسْقَطُوا[١] لَها بِهِ، يُرِيدُ: أفْصَحُوا بِالأمْرِ، ونقَّرُوا[٢] عنه، يقال: ساقطتُهُ الحديثَ مُساقطةً وأسْقَطُوا في هَذا المَعْنى، قالَ أبُو حَيّةَ[٣]: [من الطويل]

إذا هُـنّ ساقَطْنَ الـحَدِيـثَ كَـأنّـهُ
سِقاطُ حصى المَرْجانِ مِنْ سِلكِ ناظِمِ[٤]

كَذا فسَّرَهُ أبُو الحَسَنِ بنُ بَطّالٍ.

وفيما ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ مِنْ روايةِ الشَّيْبانِيِّ عَنْهُ: أَنّهُمْ أدارُوا الجاريةَ عَلى الحَدِيثِ، ولَمْ يُصَرِّحوا لَها حَتّى فَطِنَتْ بِما أرادُوا، فقالَتْ: ما أعْلَمُ عَلَيْها عَيْبًا، الحَدِيثَ.

وأمّا ضَرْبُ عَلِيٍّ لِلجارِيةِ وهي حُرّةٌ، ولَمْ تَسْتَوْجِبْ ضَرْبًا، ولا اسْتَأْذَنَ رسول الله ﷺ في ضَرْبِها، فأرى مَعْناهُ أنّهُ أغْلَظَ لَها بِالقَوْلِ، وتَوَعّدَها بِالضَّرْبِ، واتَّهَمَها أنْ تَكُونَ خانَتِ اللهَ ورَسُولَهُ، فكَتَمَتْ مِنَ الحَدِيثِ ما لا يَسَعُها كَتْمُهُ مَعَ إدْلالِهِ، وأنّهُ كانَ مِنْ أهْلِ البَيْتِ.

وفي غير حديث ابن إسحاق قالَتِ الجارِيةُ: واللهِ ما أعْلَمُ[٥] عَلَيْها إلّا ما

---

(١) «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٤٨٨).

(٢) في (أ)، (ب): «بقروا».

(٣) أبو حية هو الهيثم بن الربيع النميري، شاعر مجيد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة: (ص: ٧٧٤-٧٧٥)، و«الأغاني» (١٧: ٦١٣٢) وما بعدهما. و«غريب الحديث» للخطابي: (٢: ٢٢٢). والبيت في «الكامل» للمبرد: (١: ١٠٠).

(٤) في (ب): «من كف».

(٥) في (ف): «ما علمت».

يَعْلَمُ الصّائِغُ عَلى الذّهَبِ الأحْمَرِ[١].

وَأمّا بَرِيرةُ فهي مَوْلاةُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها الّتِي اشْتَرَتْها مِنْ بَنِي كاهِلٍ فأعْتَقَتْها، وخُيِّرَتْ في زَوْجِها، وكانَ عبدًا لِبَنِي جَحْشٍ. هَذِهِ رِوايةُ أهْلِ المَدِينةِ، وفي رِوايةِ أهْلِ العِراقِ أنّهُ كانَ حُرًّا، [وهي رِوايةُ الأسْوَدِ بن يَزِيدَ عَنْ عائِشَةَ، والأوْلى رِوايةُ عُرْوةَ والقاسِمِ بنِ مُحَمّدٍ عَنْ عائِشةَ][٢]؛ ولِذَلِكَ[٣] يَقُولُونَ بِتَخْيِيرِ الأمةِ[٤] إذا عَتَقَتْ وإنْ كانَ بَعْلُها حُرًّا، وقَوْلُ أهْلِ الحِجازِ عَلى حَسَبِ رِوايَتِهِمْ، فلا يَرَوْنَ تَخْيِيرَها إلّا إذا كانَ زَوْجُها عبدًا، وعاشَتْ بَرِيرةُ حَتّى رَوى عَنْها الحَدِيثَ بَعْضُ التّابِعِينَ.

قالَ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ: كُنْتُ أُجالِسُ بَرِيرةَ قَبْلَ أنْ ألِيَ هَذا الأمْرَ، فتَقُولُ لِي: يا عبدَ المَلِكِ، إنّ فيكَ خِصالًا خَلِيقةً بِهَذا الأمْرِ، فإنْ وُلِّيتَ هَذا الأمْرَ فاتّقِ اللهَ في الدِّماءِ؛ فإنّي سَمِعْت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «إنّ الرّجُلَ لَيُحالُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الجَنّةِ [بَعْدَ أنْ يَنْظُرَ إلَيْها][٥] بِمِحْجَمةِ دَمٍ أراقَها مِنْ مُسْلِمٍ في [غَيْرِ][٦] حَقٍّ». والبَرِيرةُ: واحِدةُ البَرِيرِ، وهُوَ ثَمَرُ الأراكِ.

وَأمّا أُمّ رُومانَ ـ [وهي أُمّ عائِشَةَ][٧] ـ فقَدْ مَرّ ذِكْرُها في هَذا الحَدِيثِ[٨]،

---

(١) «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٤٨٨).

(٢) ما بين القوسين مكانه بعد قوله الآتي: «وإن كان بعلها حرًّا».

(٣) في (س): «وكذلك».

(٤) في (ف): «يقولون بتخييرها».

(٥) سقط من (ب).

(٦) في (ب): «بغير حق»، وفي (ص): «في حق». وانظر الحديث في: «أسد الغابة» (٧: ٣٩).

(٧) ليس في (ب).

(٨) في (ص): «هذا الباب».

وهي زَيْنَبُ بِنْتُ عامِرِ بنِ عُوَيْمِرِ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ دُهْمانَ، وهي مِنْ كِنانَةَ، واخْتُلِفَ في عَمُودِ نَسَبِها، وَلَدَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عائِشَةَ وعبدَ الرَّحْمَنِ، وكانَتْ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ عبدِ اللهِ بنِ الحارِثِ بنِ سَخْبَرَةَ، فوَلَدَتْ لَهُ الطُّفَيْلَ، وتُوُفِّيَتْ أُمّ رُومانَ سَنَةَ سِتٍّ مِن الهِجْرَةِ، ونَزَلَ رسول الله ﷺ في قَبْرِها، وقالَ: «اللهُمَّ إنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ما لَقِيَتْ أُمّ رُومانَ فيك وفي رَسُولِك»، وقالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى امْرَأَةٍ مِن الحُورِ العِينِ، فلْيَنْظُرْ إلى أُمِّ رُومانَ»[1].

وَرَوى البُخارِيُّ حَدِيثًا عَنْ مَسْرُوقٍ، وقالَ فيهِ: «سَأَلتُ أُمّ رُومانَ ـ وهي أُمّ عائِشَةَ ـ عمّا قِيلَ فيها»[2]. ومَسْرُوقٌ وُلِدَ بَعْدَ [وفاةِ][3] رسول الله ﷺ بلا خِلافٍ، فلَمْ يَرَ أُمّ رُومانَ قَطُّ، فقِيلَ: إنّهُ وهِمَ في الحَدِيثِ، وقِيلَ: بَل الحَدِيثُ صَحِيحٌ، وهُوَ مُقَدَّمٌ على ما ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيرةِ مِنْ مَوْتِها في حَياةِ رسول الله ﷺ، وقَدْ تكَلَّمَ شَيْخُنا أَبُو بَكْرٍ بنُ العربي رَحِمَهُ اللهُ عَلى هَذا الحَدِيثِ، واعْتَنى بهِ لِإشْكالِهِ، فأوْرَدَهُ مِنْ طُرُقٍ، في[4] بَعْضِها: حَدّثَتْني أُمُّ رُومانَ، وفي بَعْضِها: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ أُمّ رومان مُعَنْعَنًا[5]، قال رحمه الله: والعَنْعَنةُ أَصَحُّ فيهِ، وإذا[6] كانَ الحَدِيثُ مُعَنْعَنًا كانَ مُحْتَمَلًا، ولَمْ يَلزَمْ فيهِ ما يَلزَمُ في «حدّثنا»، وفي «سَأَلتُ»؛ لِأنّ لِلرّاوِي أنْ يَقُولَ: «عَنْ فُلانٍ» وإنْ لَمْ يُدْرِكْهُ، وهُوَ كَثِيرٌ في الحَدِيثِ.

---

(١) «أسد الغابة» (٧: ٣٣١).

(٢) «فتح الباري»، كتاب أحاديث الأنبياء: (٦: ٤١٨).

(٣) عن (ب).

(٤) في (ب)، (س)، (ف): «ففي».

(٥) «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٤٨٢).

(٦) في (أ): «والحديث إذا كان».

وَقَوْلُ عائِشَةَ رضي الله عنها: «لَمْ تكُنِ [امْرَأةٌ][١] تُناصِبُنِي في المَنْزِلةِ إلّا زينب»، هَكَذا في الأصْلِ «تُناصِبُنِي»، والمَعْرُوفُ في الحَدِيثِ: «تُناصِينِي» مِن المُناصاةُ، وهي المُساواةُ، وأصْلُهُ مِن النّاصِيةِ.

وَذَكَرَ قَوْلَ حَسّانَ: [من البسيط]

أمْســى الجَلابِيبُ قَدْ عَزُّوا وقَدْ كَثُرُوا
وابنُ الفُرَيْعةِ أمْســى بَيْضــةَ البَلَدِ[٢]

يَعْنِي بِالجَلابِيبِ: الغُرَباءَ، وبَيْضةُ البَلَدِ، يَعْنِي: مُنْفَرِدًا، وهي كَلِمةٌ يُتَكَلّمُ بِها في المَدْحِ تارةً وفي مَعْنى القُلِّ[٣] أُخْرى، يُقالُ: فُلانٌ بَيْضةُ البَلَدِ؛ أيْ: أنّهُ واحِدٌ في قَوْمِهِ، عَظِيمٌ فيهِمْ، وفُلانٌ بَيْضةُ البَلَدِ، يُرِيدُ: أنّهُ ذَلِيلٌ لَيْسَ مَعَهُ أحَدٌ.

وَأمّا قَوْلُهُ: [من البسيط]

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ صاحِبَهُ

فقَدْ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «مَنْ» مُبْتَدَأً، و«قَدْ ثَكِلَتْ أُمّهُ» في موضِعِ الخبرِ المُقَدَّمِ عَلَيْهِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ قولُه: «مَنْ» مَفْعُولًا بِـ«ثَكِلَتْ»، وأُضْمِرَ قَبْلَ الذِّكْرِ مَعَ اتّصالِ الضّمِيرِ بِالفاعِلِ، فيَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِ[٤]: [من الطويل]

---

(١) ليس في (ب).
(٢) في «الديوان» (١: ٢٨٤): «أمسى الخلابيس». والخلابيس: الأخلاط.
(٣) أي: القليل.
(٤) أبو الأسود الدؤلي، كما في «الخزانة» (١: ٢٨١)، وعجزه:
جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَلْ
وقد نسبه ابن جني في «الخصائص» (١: ٢٩٤) إلى النابغة الذبياني، لكن رواية صدره في «ديوان النابغة» (١: ١٩١):
=

جَزى رَبُّـهُ عَنّي عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ

ومِثْلَ قَوْلِهِ[١]: «...أبْقى مَجْدُهُ اليَوْمَ مُطْعِمًا»، وقَدْ تَقَدّمَ القَوْلُ فيهِ[٢].

وَقَوْلُهُ: «فَيَغْطَئِلُّ»، يُرِيدُ: البَحْرَ؛ أيْ: يَهِيجُ ويَغتَلِمُ، وأصْلُ هَذِهِ الكَلِمةِ مِنَ الغَيْطَلةِ، وهي الظُّلمةُ، وأصْلُها: يَغْطالُّ، مِثْلَ يَسْوادُّ، لَكِنّهُ هَمَزَ الألِفَ؛ لِئَلّا يَجْتَمِعَ ساكِنانِ، وإنْ كانَ اجْتِماعُهُما في مِثْلِ هَذا المَوْضِعِ حَسَنًا، كَقَوْلِهِ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، ولَكِنّهُما في الشِّعْرِ لا يَجْتَمِعانِ إلّا في عَرُوضٍ واحِدةٍ، وهي المُتَقارِبُ[٣]، ومَعَ هَذا فقَدْ قَرَأ أيّوبُ بنُ أبِي تَمِيمةَ السّخْتِيانِيُّ[٤] «ولا الضّأَلِّينَ» بِهَمْزةٍ مَفْتُوحةٍ، وقَرَأ عَمْرُو بن عُبَيْدٍ: «إنسٌ قَبْلَهم ولا جَأنٌ»[٥] [الرحمن: ٧٤]، وأنْشَدَ الخَطّابِيّ[٦]:

[من الطويل]

= جزى الله عبسًـا في المواطن كلِّها

وكان ابن كيسان يرى أن البيت مولد مصنوع.

(١) حسان بن ثابت، «ديوانه» (١: ١٩٩)، وهو بتمامه:

فلو كان مجدٌ يخلد اليوم واحدًا   من الناس أبقى مجدُه اليوم مطعما

(٢) انظر: (٣: ٣٤٠).

(٣) انظر: «العيون الغامزة» (ص: ٢٥٩).

(٤) إمام حافظ تابعي ثقة، عاش بالبصرة، وُلِد سنة (٦٨هـ)، وتُوفي سنة (١٣١هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦: ١٥) وما بعدها.

(٥) انظر: «المحتسب» لابن جني: (١: ٤٦)، و«الدر المصون» (١: ٧٤).

(٦) البيتان في «غريب الحديث» للخطابي: (١: ١٥٠) منسوبيْن لكُثيِّر، ولم أجدهما في «ديوانه»، على أن فيه قصيدة مطوّلة من الوزن والقافية: (ص: ١٤٠-١٤٨).

وابن ليلى هو عبد العزيز بن مروان، وقد تكرر ذكره في «الديوان»، وقال الخطابي: أراد: مزهارّ، فهمز.

سَقى مُطْفِئاتُ المَحْلِ سَكْبًا ودِيمةً عِظامَ ابنِ لَيْلى حَيْثُ كانَ رَمِيمُها
فَأَصْبَحَ مِنْها كُلُّ وادٍ وتَلعةٍ حَدائِقَ خُضْرًا مُزْهَئِرًّا عَمِيمُها

وأنشد أيضًا[١]: [من الرجز]

خاطِمَها زَأمَّها أنْ تَهْرُبا

فإنْ قِيلَ: [إنَّ][٢] الهَمْزَةَ في هَذا كُلِّهِ مَفْتُوحةٌ، وفي قَوْلِهِ: «يَغْطَئِلُّ» مكسورة، وكذلك في الحديثِ الصحيحِ من قولِه: «أسودُ مُربئدٌّ»[٣] في رِوايةٍ.

قُلنا: إنّما كُسِرَتِ الهَمْزةُ في مُزْهَئِرّ ومربئدّ ويَغْطَئِلّ، بَعْدَ أنْ فُتِحَتْ في الماضِي، فقِيلَ: اغْطَأَلّ، وازْهَأَرّ، فصارَ عَلى وزْنِ اطْمَأَنّ، فجاءَ اسْمُ الفاعِلِ والمُسْتَقْبَلِ عَلى ذَلِكَ القِياسِ مَكْسُورًا كَما يُكْسَرُ[٤] في مُطْمَئِنّ.

وَقَوْلُ ثابتٍ لِعبدِ اللهِ بنِ رَواحةَ: «أما أعْجَبَك ضَرْبُ حَسّانَ بِالسّيْفِ؟»، مَعْناهُ: أما جَعَلَك تَعْجَبُ؟ تَقُولُ: عَجِبْتُ مِنَ الشّيْءِ وأعْجَبَنِي الشّيْءُ؛ إذا كانَ ذَلِكَ العَجَبُ مِنْ مَكْرُوهٍ أوْ مَحْبُوبٍ، وهُوَ عِنْدَ النّاسِ بِمَعْنى سَرّنِي لا غَيْر، وفي

---

(١) «غريب الحديث» (ص: ١٥١)، وقد روى الرجز عن ثعلبة، وقبله:

يا قوم إني قد رأيتُ عجبا حِمار قبان يَسُوق أرنبا

وانظر الرجز في «الخصائص» (٣: ١٤٨)، و«شرح شواهد الشافية» (ص: ١٦٧).

وحمار قبان: دُوَيبّة أصغر من الخنفساء. والخطام: الزِّمام. ويُرْوى: «أن تذهبا»، أي: خوف أن تهرب أو تذهب. والرجز من خرافات العرب؛ فهذه الدُّوَيبة تركب أرنبًا ممسكة بخطامها؛ لئلّا تشرد.

(٢) عن (أ)، (س).

(٣) من حديث رواه مسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٢٨-١٢٩).

(٤) في (ف): «تكسر».

الحَدِيثِ وكَلامِ العَرَبِ شَواهِدُ كَثِيرةٌ عَلى هَذا المَعْنى، مِنْها في «الكامِلِ»[(١)]: «فلَأَعْجَبَنِي أَنْ أَعْجَبَهُ بُكاءُ أَبِيهِ»، وفي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ عَنْ عبد الرحمن بن حسان، وكذلك أنشد[(٢)]: [من مجزوء الوافر]

ألا هَزِئَتْ بِنا قُرَشِـــ ـــيَّةٌ يَهْتَزُّ مَنْكِبُها[(٣)]
تَقُول لِيَ: ابْن قَيْسٍ ذا؟ وبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُها

وقالَ كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ[(٤)]: [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي سَـــعْيُ الفَتى وهْوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ

وَقَوْلُهُ[(٥)] عَلَيْهِ السّلامُ [لحسّان: «يا حسّانُ][(٦)]، أَتَشَوَّهتَ عَلى قَوْمِي أَنْ هَداهُم اللهُ[(٧)]؟!» مَعْناهُ: أَقَبَّحْتَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ حِينَ سَمّيْتهمْ بِالجَلابِيبِ مِنْ أَجْلِ هِجْرَتِهِمْ إلى اللهِ ورَسُولِهِ؟!

وَقَوْلُهُ: «فأَعْطاهُ بِيرَحاء»، وذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنّ هَذِهِ البِئْرَ سُمِّيَتْ بِيرَحاءَ بِزَجْرِ الإِبِلِ عَنْها؛ وذَلِكَ أَنّ الإبِلَ يُقالُ لَها إذا زُجِرتْ عن الماء وقد رَوِيتْ: حا

(١) انظر: «الكامل» للمبرد: (٢: ٨١٠)، والقائل هو أبو زيد، ولفظ «الكامل»: «فلأعجبني ما أعجب من أن تُبَكِّيا أباه». وكان حسان في مجلس تغني فيه قينتانِ بشعر حسان، فبكى حسان لتذكره ما كان فيه من صحة وشباب، وعبد الرحمن ابنه يومئ للجاريتينِ أنْ: زِيدا. فقال أبو زيد مقالته هذه.

(٢) «الكامل» (٢: ٨١٠)، والشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيات، وهو في «ديوانه» (ص: ١٢١).

(٣) في «الديوان»: «موكبها».

(٤) في «ديوانه» (ص: ٢٢٩).

(٥) في (ف): «وقال».

(٦) عن (س).

(٧) بعده في (س): «للإسلام».

حا[١]، [وهَكَذا كانَ الأصِيلِيُّ يُقَيِّدُهُ بِرَفْعِ الرّاءِ إذا كانَ الإسْمُ مَرْفُوعًا، وبالمَدِّ، وغَيْرُ الأصِيلِيّ يَقُولُ فيه: «بيرحى»[٢] بفتح الراء مع القصر][٣]، [وفي الصَّحِيحِ أنّ أبا طَلحةَ [بن سهيل][٤] دَفَعَ بِيرَحاءَ إلى رسول الله ﷺ][٥] وجَعَلَها صَدَقةً، فأمَرَهُ[٦] رسول ﷺ أنْ يَجْعَلَها في الأقربين، فقسمها بين أُبيٍّ وحَسّانَ[٧]، وفَسّرَ البُخاريُّ وأبُو داوُدَ القَرابةَ الّتي بَيْنَ أبِي طَلحةَ وبَيْنَهُما؛ قالا: فأمّا حَسّانُ فهُوَ ابنُ ثابِتِ بن المُنْذِرِ بنِ حَرامٍ[٨]، وأبُو طَلحةَ هُوَ زَيْدُ بنُ سَهْلِ بن الأسود[٩] بنِ حَرامٍ، فهَذِهِ قَرابةٌ قَرِيبةٌ، وأمّا أُبَيٌّ، فيَجْتَمِعُ مَعَهُ في الأبِ السّادِسِ، وهُوَ عَمْرُو ابنُ مالِكِ بنِ النّجّارِ.

وقَدْ كانَ أُبَيٌّ غَنِيًّا، فكَيْفَ تَرَكَ مَنْ هُوَ أقْرَبُ مِنْهُ وخَصّهُ؟ والوَجْهُ في ذَلِكَ أنّ أُبَيًّا كانَ ابنَ عَمّةِ أبِي طَلحةَ، وهي صُهَيْلةُ[١٠] بِنْتُ الأسْوَدِ بنِ حَرامٍ،

---

(١) حاءِ حاءِ: زجر للإبل، وقد يُقصَر.

(٢) في (س) (ف): «بفتح الراء على كل حال وبالقصر، يجعله اسمًا واحدًا، وقد حُكِي عن بعضهم فيه: «بيرحى»، بفتح الباء [كذا ولعله بكسر الباء] مع القصر». وكذلك في (أ)، إلا أنها خلت من قوله: «على كل حال». وقوله أخيرًا: «مع القصر».

هذا وقد حكى ابن الأثير في «النهاية» (برح) فيها ثماني لغاتٍ. وانظر: «فتح الباري»، كتاب الزكاة: (٣: ٣٢٦).

(٣) سقط من (ج)، (ص).

(٤) عن (س). واسم أبي طلحة: زيد بن سهيل.

(٥) سقط من (أ).

(٦) في (ف): «فأمر».

(٧) «فتح الباري»، كتاب الوصايا: (٥: ٣٧٩)، و«سنن أبي داود»، كتاب الزكاة: (٢: ١٣١-١٣٢).

(٨) في النسخ: «ابن المنذر بن ثابت». والصواب ما أثبت.

(٩) عن «فتح الباري» كتاب الوصايا: (٥: ٣٧٩)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٨٩).

(١٠) انظر ترجمة أبي بن كعب في «أسد الغابة» (١: ٦١).

وهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ النَّسَبِ، فمن أجلِ ذلك النَّسبِ خصَّه بها، لا منْ أجْلِ [النّسَبِ][(١)] الّذِي ذَكَراهُ[(٢)]؛ فإِنّهُ بَعِيدٌ، وإنّما قالَ لَهُ النّبِيّ ﷺ: «اجْعَلْها في الأقربينَ».

[وَفي «المُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ عائِشةَ أَنّهُ لَمّا أنزلَ اللهُ براءتها قامَ إِلَيْها أَبُو بَكْر، فقَبّلَ رَأْسَها، فقالَتْ لَهُ: هَلّا كُنْتَ عَذَرْتنِي! فقالَ[(٣)]: أيُّ سَماءٍ تُظلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقلُّني، إنْ قلتُ بما لا أعْلَمُ؟][(٤)]، وكانَ نُزُولُ بَراءةِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها بَعْدَ قُدُومِهِم المَدِينةَ بِسَبْعٍ وثَلاثِينَ لَيْلةً في[(٥)] قَوْلِ بَعْضِ المُفَسِّرِينَ[(٦)].

وَقَوْلُ حَسّانَ في عائِشةَ رضي الله عنها: [من الطويل]

حَصـانٌ رَزانٌ مـا تُـزَنُّ بِرِيبَـةٍ   وتُصْبِحُ غَرْثى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ

[حَصانٌ][(٧)]: فَعالٌ بِفَتْحِ الفاءِ يَكْثُرُ في أوْصافِ المُؤَنّثِ، وفي الأعْلامِ مِنْها، كَأَنّهُمْ قَصَدُوا بِتَوالِي الفَتَحاتِ مُشاكَلَةَ خِفّةِ اللّفْظِ لِخِفّةِ المَعْنى، أي المُسَمّى بِهَذِهِ الصّفاتِ خَفِيفٌ عَلى النّفْسِ، وحَصانٌ مِنَ الحِصْنِ والتّحَصُّنِ، وهُوَ الِامْتِناعُ عَلى الرِّجالِ مِنْ نَظَرِهِمْ إلَيْها، وقالَتْ جارِيةٌ مِنَ العَرَبِ لِأُمِّها[(٨)]: [من السريع]

---

(١) ليس في (أ).

(٢) في غير (ب)، (ص): «ذكرناه»، يعني: النسب الذي ذكره البخاري وأبو داود.

(٣) في (ف): «فقال لها».

(٤) ليس في (ص).

(٥) في (ف): «في بعض».

(٦) أخرجه البزار، انظر «كشف الأستار عن زوائد البزار»، مناقب عائشة رضي الله عنها: (٣: ٢٤٢).

(٧) ليس في (ص)، (ج). والحُصن ـ بضم الحاء ـ: حصانة المرأة وخفَّتُها.

(٨) الأبيات في «لسان العرب» (حصن، أيا، حثا).

يـا أُمَّـتـا أبْـصَـرَنـي راكِـبٌ يَسِـيرُ فـي مُسْـحَنْفَرٍ لاحِبِ
جَعَلتُ أحْثو التُّرابَ في وجْهِهِ حُصْنًا وأحْمِي حَوْزَةَ الغائِبِ[1]

فَقالَتْ لَها أُمُّها: [من السريع]

الحُصْـنُ أدْنـى لَـوْ تأيَّيتِهِ مِنْ حَثْيِكِ التُّرْبَ عَلى الرّاكِبِ

ذَكَرَ هَذِهِ الأبْياتَ أبو محمد بنُ أبِي سَعِيدٍ[2] السّيرافيّ في «شَرْحِ أبيات الإصلاح»[3].

والرَّزانُ والثَّقالُ بِمَعْنًى واحِدٍ، وهي القَلِيلةُ الحَرَكةِ.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

وتُصْبِحُ غَرْثـى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ

أيْ: خَمِيصةَ البَطْنِ مِنْ لُحُومِ النّاسِ؛ أيْ: اغْتِيابِهِمْ، وضَرَبَ الغَرَثَ مَثَلًا، وهُوَ عَدَمُ الطُّعْمِ[4] وخُلُوُّ الجَوْفِ، وفي التّنْزِيلِ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ضَرَبَ المَثَلَ لِأخْذِهِ في العِرْضِ بِأكْلِ اللّحْمِ؛ لِأنّ اللّحْمَ سِتْرٌ عَلى العَظْمِ، والشّاتِمُ لِأخِيهِ كَأنّهُ يَقْشِرُ ويَكْشِفُ ما عَلَيْهِ مِنْ

(١) في (ب): «أذري»، وفي (ج): «أحثي».
(٢) في النسخ: «أحمد بن أبي سعيد». وصوابه: أبو محمد بن أبي سعيد، واسمه: يوسف، وهو ابن أبي سعيد السيرافي، تُوفي سنة (٣٨٥هـ). انظر: «إنباه الرواة» (٤: ٦١) وما بعدها.
(٣) في (هـ) وحدها: «الإيضاح». ولابن السيرافي شروح متعددة، منها: «شرح إصلاح المنطق»، و«شرح أبيات الإيضاح». ويغلب على الظن أن الأبيات المذكورة من «شرح أبيات إصلاح المنطق» لابن السكيت. وانظر في هذا «فهرسة ابن خير» (ص: ٣٤٣)، و«مقدمة إصلاح المنطق» (ص: ١٣)، و«شرح أبيات مغني اللبيب» في غير موضع.
(٤) أي: الطعام.

سِتْرٍ. وَقالَ: ﴿مَيْتًا﴾؛ لِأنَّ المَيْتَ لا يُحِسّ، وكَذَلِكَ الغائِبُ لا يَسْمَعُ ما يَقُولُ فيهِ المُغْتابُ، ثُمّ هُوَ في التّحْرِيمِ كَأكْلِ لَحْمِ المَيِّتِ.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ»، يُرِيدُ: العَفائِفَ الغافِلةَ قُلُوبُهُنّ عَنِ الشّرّ، كَما قالَ الله سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣]، جَعَلَهُنّ غافِلاتٍ؛ لِأنّ الّذي رُمِينَ بِهِ مِن الشَّرِّ لَمْ يَهْمُمْنَ بِهِ قَطّ ولا خَطَرَ عَلى قُلُوبِهِنّ، فهُنّ في غَفْلةٍ عَنْهُ، وهَذا أبْلَغُ ما يَكُونُ [مِن][1] الوَصْفِ بِالعَفافِ.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

لَهُ رَتَبٌ عالٍ عَلى النّاسِ كُلِّهِمْ

الرّتَبُ: ما ارْتَفَعَ مِن الأرْضِ وعَلا، والرّتَبُ أيْضًا: قُوّةٌ في الشّيْءِ وغِلَظٌ فيهِ، والسّوْرةُ: رُتْبةٌ رَفيعةٌ مِنَ الشّرَفِ مَأْخُوذةُ اللّفْظِ مِنْ سُورِ البِناءِ.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

فإنّ الّذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِطِ

أيْ: بِلاصِقٍ، يُقالُ: ما يليط ذَلِكَ بِفُلانٍ، أيْ: ما يُلصَقُ بِهِ، ومِنْهُ سُمِّيَ الرّبا: لِياطًا؛ لِأنّهُ أُلصِقَ بِالبَيْعِ ولَيْسَ بِبَيْعٍ. وفي الكِتابِ الّذي كَتَبَ لِثَقِيفٍ: «وما كانَ مِنْ دَيْنٍ لَيْسَ فيهِ رَهْنٌ، فإنّهُ لِياطٌ مُبَرّأٌ مِنَ اللهِ»[2]. وسَيَأْتِي حَدِيثُهُ مُفَسّرًا إنْ شاءَ اللهُ.

وَقَوْلُهُ في الشِّعْرِ: [من الطويل]

---

(١) سقط من (ب).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ١٩٧-١٩٨)، وأما كتابه عليه السلام لثقيف فهو في «السيرة» (٢: ٥٤٢-٥٤٣).

فَلا رفَعَتْ سَوْطي إلَيّ أنامِلِي

دُعاءٌ عَلى نَفْسِهِ، وفيهِ تَصْدِيقٌ لِمَنْ قالَ: إنّ حَسّانَ لَمْ يُجْلَدْ في الإفْكِ، ولا خاضَ فيهِ، وأنْشَدُوا البَيْتَ الّذِي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ: [من الطويل]

لَقَدْ ذاقَ حَسّانُ الّذِي كانَ أهْلَهُ

عَلى خِلافِ هَذا اللّفْظِ: [من الطويل]

لَقَــدْ ذاقَ عبدُ اللهِ مــا كانَ أهْلَهُ وحَمْنَةُ إذْ قالُوا هَجِيرًا ومِسْــطَحُ[1]

وَذَكَرَ ما أنْزَلَ اللهُ في أصْحابِ الإفْكِ وقَوْلَهُ تَعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥]، وكانَتْ عائِشَةُ تَقْرَؤُها[2]: «إذْ تَلِقُونَهُ بِألسِنَتِكُمْ» مِنَ الوَلَقِ، وهُوَ اسْتِمْرارُ اللّسانِ بِالكَذِبِ.

وأمّا إقامةُ الحَدِّ عَلَيْهِمْ ففيهِ التَّسْوِيةُ بَيْنَ أفْضَلِ النّاسِ بَعْدَ رسول الله ﷺ وأدْنى النّاسِ دَرَجةً في الإيمانِ، لا يُزادُ القاذِفُ عَلى الثّمانِينَ، وإنْ شَتَمَ خَيْرَ النّاسِ بَعْدَ رسول الله ﷺ، ولا يَنْقُصُ مِنْها، فإنْ قَذَفَ قاذِفٌ اليَوْمَ إحْدى أُمّهاتِ المُؤْمِنِينَ سِوى عائِشَةَ رضي الله عنها، فيَتَوَجّهُ فيها لِلفُقَهاءِ قَوْلانِ:

أحَدُهُمـا: أنْ يُجْلَدَ ثَمانِينَ، كَمـا يَقْتَضِيهِ عُمُـومُ التّنْزِيلِ، وكَمـا فعَـلَ رسول الله ﷺ بِالّذِينَ قَذَفُوا أهْلَهُ قَبْلَ نُزُولِ القُرْآنِ بِبَراءَتِها، وأمّا بَعْدَ نُزُولِ القُرْآنِ بِبَراءَتِها، فيُقْتَلُ قاذِفُها قَتْلَ كُفْرٍ، ولا يُصَلّى عَلَيْهِ، ولا يُورَثُ؛ لِأنّهُ قد كَذَّبَ اللهَ تبارك وتَعالى.

---

(١) الهجير: القول الفاحش القبيح.

(٢) «المحتسب» (٢: ١٠٤).

والقَوْلُ الثّاني في قاذِفِ أُمّهاتِ المُؤْمِنِينَ ـ غَيْر عائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنّ: أنْ يُقْتَلَ أيْضًا، وبهِ كانَ يَأْخُذُ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللهُ، ويَحْتَجُّ بِقَوْل الله تبارك وتَعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الآيَةَ [الأحزاب: ٥٧]، وإذا قَذَفَ أزْواجَ النّبِيّ ﷺ، فقَدْ سَبّهُ، فمِنْ أعْظَمِ الأذاةِ[١] أنْ يُقالَ عَنِ الرّجُلِ: قَرْنانٌ[٢]، وإذا سُبَّ نَبِيٌّ بِمِثْلِ هَذا فهُوَ كُفْرٌ صُراحٌ، وقَدْ قالَ المُفَسّرُونَ في قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠]؛ أيْ: خانَتا في الطّاعةِ لَهُما والإيمانِ، وما بَغَت امْرَأةُ نَبِيّ قَطّ، أيْ: ما زَنَتْ.

وَذَكَرَ أنّ رسول الله ﷺ أعْطى حَسّانَ جارِيَتَهُ بِضَرْبِ صَفْوانَ بن المُعَطّلِ لَهُ، وهَـذِهِ الجارِيـةُ اسْمُها سِيرِيـنُ [بِنْتُ شَمْعُونَ أُخْتُ مارِيّةَ سُرِّيّةِ النّبِيّ ﷺ][٣]، وهي أُمُّ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ حَسّانَ الشّاعِرِ، وكانَ عبدُ الرّحْمَنِ يَفْخَرُ بِأنّهُ ابنُ خالة إبْراهِيمَ بنِ رسول الله ﷺ، وقَدْ رَوَتْ سِيرِينُ هَذِهِ عَن رسول الله ﷺ حَدِيثًا قالَتْ: رَأى رسول الله ﷺ خَلَلًا في قَبْرِ إبْراهِيمَ ابنِهِ فأصْلَحَهُ[٤]، وقالَ: «إنّ اللهَ تعالَى يُحِبّ مِنَ العبدِ إذا عَمِلَ عَمَلًا أنْ يُتْقِنَهُ»[٥].

* * *

(١) في النسخ: «الإذاية». ولم أجده، والأذاة: الأذى والعيب.

(٢) قَرْنانٌ: نعتُ سَوءٍ للرجل الذي لا غيرة له على أهله.

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ب): «فأطمَّه».

(٥) رواه ابن سعد عن عطاء ومكحول. انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١١: ٤٥٤)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد: (١: ١٤٠، ١٤٢).

أَمْرُ الحُدَيْبِيةِ في آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وذِكْرُ بَيْعةِ الرِّضْوانِ والصُّلْحِ بَيْنَ رسول الله ﷺ وبَيْنَ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو

[خُرُوجُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ شَهْرَ رَمَضانَ وشَوّالًا، وخَرَجَ في ذِي القَعْدةِ مُعْتَمِرًا، لا يُرِيدُ حَرْبًا.

[نُمَيْلةُ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ نُمَيْلةَ بنَ عَبْدِ الله اللَّيْثِيَّ.

غَزْوةُ الحُدَيْبِيةِ

يُقالُ فيها: الحُدَيْبِيةُ بالتَّخْفيفِ، وهُوَ الأعْرَفُ عِنْدَ أهْلِ العَرَبِيّةِ. قالَ الخَطّابيُّ: أهْلُ الحَدِيثِ يَقُولُونَ: «الحُدَيْبِيّةُ» بالتّشْدِيدِ، والجِعِرّانةُ كَذلِكَ، وأهْلُ العَرَبِيّةِ يَقُولُونَهما: بِالتّخْفيفِ، وقالَ البَكْرِيّ: أهْلُ العِراقِ يُشَدِّدُونَ الرّاءَ والياءَ في الجِعِرّانةِ والحُدَيْبِيةِ، وأهْلُ الحِجازِ يُخَفِّفُونَ، وقالَ أبُو جَعْفَرٍ النّحّاسُ: سَألتُ كُلّ مَنْ لَقِيته مِمّنْ أثِقُ بِعلمِهِ عَنِ الحُدَيْبِيةِ، فلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلى أنّها بِالتّخْفيفِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ خُرُوجَ رسول الله ﷺ مُعْتَمِرًا إلى مَكّةَ، ولَمْ يَذْكُرْ في حَدِيثِهِ: مِنْ

أيْنَ أحْرَمَ، وفي «الصّحِيحِ» مِنْ رِوايَةِ الزُّهْرِيّ: أنّهُ أحْرَمَ مِنْ ذِي الحُلَيْفةِ[(١)]، وهُوَ[(٢)] خِلافُ ما يُرْوى عَنْ عَلِيٍّ رضي اللهُ عنه مِنْ قَوْلِهِ: «إنَّ تَمامَ العُمْرَةِ أنْ تُحْرِمَ بِها مِنْ دُوَيْرَةِ أَهْلِك»[(٣)]، وهَذا مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه مُتَأوَّلٌ فِيمَنْ كانَ مَنْزِلُهُ مِنْ وراءِ المِيقاتِ، فهُوَ الّذِي يُحْرِمُ مِنْ دُوَيْرَةِ أهْلِهِ، كَما يُحْرِمُ أهْلُ مَكّةَ مِنْ مَكّةَ في الحَجّ.

[اسْتِنْفارُ الرَّسُولِ النّاسَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: واسْتَنْفَرَ العَرَبَ ومَنْ حَوْلَهُ مِنْ أهْلِ البَوادِي مِن الأعْرابِ؛ لِيَخْرُجُوا مَعَهُ، وهُوَ يَخْشى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذي صَنَعُوا، أنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبٍ، أوْ يَصُدُّوهُ عَن البَيْتِ، فأبْطَأ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِن الأعْرابِ، وخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ ومَنْ لَحِقَ بِهِ مِن العَرَبِ، وساقَ مَعَهُ الهَدْيَ، وأحْرَمَ بِالعُمْرةِ؛ لِيَأْمَنَ النّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، ولِيَعْلَمَ النّاسُ أنَّهُ إنَّما خَرَجَ زائِرًا لِهذا البَيْتِ، ومُعَظِّمًا لَهُ.

[عِدّةُ الرِّجالِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ ابنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ، أنَّهُما حَدَّثاهُ، قالا: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عامَ الحُدَيْبِيةِ يُرِيدُ زِيارةَ البَيْتِ، لا يُرِيدُ قِتالًا، وساقَ مَعَهُ الهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنةً، وكانَ النّاس سبعَ مئةِ رَجُلٍ، فكانَتْ كُلُّ بَدَنةٍ عَنْ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٥٣).

(٢) في (أ)، (ب): «وهذا».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣: ١٢٥)، رقم (١٢٦٨٩). (ج)

عَشَرةِ نَفرٍ، وَكانَ جابِرُ بنُ عَبْدِ الله، فيما بَلَغَنِي، يَقُولُ: كُنّا أصْحابَ الحُدَيْبِيةِ أربعَ عَشْرةَ مئة.

[الرَّسُولُ وبِشْرُ بنُ سُفيانَ]

قالَ الزُّهْرِيُّ: وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ، حَتّى إذا كانَ بِعُسْفانَ لَقِيَهُ بِشْرُ ابنُ سُفيانَ الكَعْبِيُّ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بُسْرٌ ـ فقالَ: يا رسول الله، هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ، فخَرَجُوا مَعَهُم العُوذُ المَطافيلُ، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ، وقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى، يُعاهِدُونَ الله لا تَدْخُلُها عَلَيْهِمْ أبَدًا، وهذا خالِدُ بنُ الوَلِيدِ في خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوها إلى كُراعِ الغَمِيمِ، قالَ: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «يا وَيْحَ قُرَيْشٍ! لَقَدْ أكَلَتْهُم الحَرْبُ، ماذا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وبَيْنَ سائِرِ العَرَبِ، فإنْ هُمْ أصابُونِي كانَ الَّذي أرادُوا، وإنْ أظْهَرَنِي الله عَلَيْهِمْ دَخَلُوا في الإسْلامِ وافِرِينَ، وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا قاتَلُوا وبِهِمْ قُوَّةٌ، فما تَظُنُّ قُرَيْشٌ؟ فوالله لا أزالُ أُجاهِدُ على الَّذي بَعَثَنِي الله بِهِ حَتّى يُظْهِرَهُ الله، أوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السّالِفَةُ»، ثُمَّ قالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنا على طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِم الَّتِي هُمْ بِها؟».

[تَجَنُّبُ الرَّسُولِ لِقاءَ قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ رَجُلًا مِنْ أسْلَمَ قالَ: أنا يا رَسُولَ الله. قالَ: فسَلَكَ بِهِمْ طَرِيقًا وعْرًا أجْرَلَ بَيْنَ شِعابٍ، فلَمّا خَرَجُوا مِنْهُ، وقَدْ شَقَّ ذلك على المُسْلِمِينَ، وأفْضَوْا إلى أرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الوادِي، قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلنّاسِ: «قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ الله ونَتُوبُ إلَيْهِ». فقالُوا ذلك، فقالَ: «والله إنَّها لَلْحِطّةُ الَّتِي عُرِضَتْ على بَنِي إسْرائِيلَ،

فلَمْ يَقُولُوها». قالَ ابنُ شِهابٍ: فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ، فقالَ: «اسْلُكُوا ذاتَ اليَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَي الحَمْشِ، في طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ على ثَنِيّةِ المُرارِ مَهْبِطِ الحُدَيْبِيةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ. قالَ: فسَلَكَ الجَيْشُ ذلك الطَّرِيقَ، فلَمّا رَأتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الجَيْشِ قَدْ خالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ، رَجَعُوا راكِضِينَ إلى قُرَيْشٍ، وخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، حَتّى إذا سَلَكَ في ثَنِيّةِ المُرارِ بَرَكَتْ ناقَتُهُ، فقالَتِ النّاسُ: خَلَأتِ النّاقةُ، قالَ: «ما خَلَأتْ، وما هُوَ لَها بِخُلُقٍ، ولَكِنْ حَبَسَها حابِسُ الفيلِ عَنْ مَكّةَ، لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ اليَوْمَ إلى خُطّةٍ يَسْألُونَنِي فيها صِلةَ الرَّحِمِ، إلّا أعْطَيْتُهُمْ إيّاها». ثُمَّ قالَ لِلنّاسِ: «انْزِلُوا»، قِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ الله، ما بالوادِي ماءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ. فأخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ، فأعْطاهُ رَجُلًا مِنْ أصْحابِهِ، فنَزَلَ بِهِ في قَلِيبٍ مِنْ تِلْكَ القُلُبِ، فغَرَزَهُ في جَوْفِهِ، فجاشَ بِالرَّوّاءِ، حَتّى ضَرَبَ النّاسُ عَنْهُ بِعَطَنٍ.

[الَّذي نَزَلَ بِسَهْمِ الرَّسُولِ في طَلَبِ الماءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ عَنْ رِجالٍ مِنْ أسْلَمَ: أنَّ الَّذي نَزَلَ في القَلِيبِ بِسَهْمِ رَسُولِ الله ﷺ: ناجِيةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ عُمَيْرِ بنِ يَعْمَرَ بن دارِمِ بنِ عَمْرِو بنِ وائِلةَ بنِ سَهْمِ بنِ مازِنِ بنِ سَلامانَ بنِ أسْلَمَ ابنِ أفْصى بنِ أبي حارِثةَ، وهُوَ سائِقُ بُدْنِ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أفْصى بنُ حارِثةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ زَعَمَ لِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ البَراءَ بنَ عازِبٍ كانَ يَقُولُ:

أنا الَّذي نَزَلْتُ بِسَهْمِ رَسُولِ الله ﷺ. فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

وَفيهِ: أنّهُ أشْعَرَ الهَدْيَ، وهُوَ خِلافُ قَوْلِ النَّخَعِيِّ وأهْلِ الكُوفةِ في قَوْلِهِمْ: إنَّ الإشْعارَ مَنْسُوخٌ بنَهْيِهِ عَنِ المُثْلةِ، ويقال لهم: إنّ النّهْيَ عَنِ المُثْلةِ كانَ بإثْرِ غَزْوةِ أُحُدٍ، فلا يكونُ الناسخ مُتقدِّمًا على المنسوخ.

وَفيهِ: أنّهُمْ مَرُّوا بِطَرِيقٍ أجْرَلَ، ومَعْناهُ: كَثِيرُ الحِجارةِ، والجَروَلُ[1]: الحَجَرُ.

وَفيهِ: أنّهُ بَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزاعةَ إلى مَكّةَ، فَدَلَّ على أنّهُ يَجُوزُ لِلرّجُلِ أنْ يُسافِرَ وحْدَهُ إذا مَسّتِ الحاجةُ إلى ذَلِكَ، أوْ[2] كانَ في ذَلِكَ صَلاحٌ لِلمُسْلِمينَ.

وَفي البُخارِيّ والنَّسَوِيِّ: أنَّ عَيْنَهُ الّذي أَرْسَلَ جاءَهُ بِغَدِيرِ الأشْطاطِ[3]، والأشْطاطُ: جَمْعُ شَطٍّ، وهُوَ السَّنامُ، قالَ الرّاجِزُ[4]: [من الرجز]

شَطًّا رَمَيْتَ فوْقَهُ بِشَطِّ

وشَطُّ الوادِي أيْضًا: جانِبُهُ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ فيهِ: الأشْظاظُ بِالظّاءِ المُعْجَمةِ، واسْمُ عَيْنِهِ ذَلِكَ: بُسْرُ بنُ سُفْيانَ[5] بنِ عَمْرِو بنِ عُويمرٍ الخُزاعِيّ، وهُوَ الذي بَعَثَهُ رسول الله ﷺ مع بُدَيل بن [أمّ][6] أصْرَم، وهو بُدَيلُ بنُ سَلَمةَ إلى خُزاعةَ يَسْتَنْفِرُهُمْ إلى قِتالِ أهْلِ مَكّةَ عامَ الفَتْحِ.

---

(١) في (أ): «الجرل»، مضروبًا على الواو. وكلاهما صواب، يقال: جَرَل وجرول.
(٢) في (ف): «و».
(٣) «فتح الباري» (٧: ٤٥٣). ورواه النسائي مختصرًا في كتاب الحج: (٥: ١٧٠).
(٤) أبو النجم، «ديوانه» (ص: ١٣٩)، و«العين» (١: ٧٨).
(٥) في (ح): «بن سعيد». انظر ترجمة بسر في «أسد الغابة» (١: ٢١٦).
(٦) ساقطة من (ب). انظر ترجمته في «أسد الغابة» (١: ٢٠١).

وَفيهِ: أنّ قُرَيْشًا خَرَجَتْ ومَعَها العُوذُ المَطافيلُ. العُوذُ[١]: جَمْعُ عائِذٍ، وهي النّاقةُ الّتِي مَعَها ولَدُها، يُرِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بذواتِ الألبانِ من الإبل؛ ليتزوَّدوا بألبانها، ولا يَرْجِعُوا حَتّى يُناجِزُوا مُحَمّدًا ﷺ وأصْحابَهُ في زَعْمِهِمْ، وإنّما قِيلَ لِلنّاقةِ: عائِذٌ، وإنْ كانَ الوَلَدُ هُوَ الّذِي يَعُوذُ بِها؛ لِأنّها عاطِفٌ عليه، كما قالوا: تجارة رابِحةٌ، وإنْ كانَتْ مَرْبُوحًا فيها؛ لِأنّها في مَعْنى نامِيةٍ وزاكِيةٍ، وكَذَلِكَ ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ لِأنّها في مَعْنى صالِحةٍ، ومِنْ نَحْوِ هَذا قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥] وإنْ كانَ عاكِفًا؛ لِأنّهُ مَحْبُوسٌ في المَعْنى، فتَحَوّلَ وزْنُهُ في اللّفْظِ إلى وزْنِ ما هُوَ في مَعْناهُ، كَما قالُوا في المَرْأةِ: تُهراقُ الدّماءَ[٢]، وقِياسُهُ: تُهرِيقُ الدّماءَ، ولَكِنّهُ في مَعْنى: تُسْتَحاضُ، فحُوِّلَ إلى وزْنِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وبقِيَتِ الدِّماءُ منصوبةً على المفعولِ كما كانت.

وَقَوْلُهُ في بِئْرِ الحُدَيْبِيةِ[٣]: «إنّما يُتَبَرّضُ ماؤُها[٤] تبرُّضًا»، من[٥] البَرْض، وهو الماء الذي يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا، والبارِضُ مِن النّباتِ الّذِي كأنه يقطرُ مِنَ الرّيِّ والنّعْمةِ. قالَ الشّاعِرُ[٦]: [من الطويل]

رَعى بارِضَ البُهْمى جَمِيمًا وبُسْرةً ... وصَمْعاءَ حَتّى آنَفَتْهُ نِصالُها

---

(١) في (ف): «والعوذ».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب الصلاة: (١: ٦٢) عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: «وأنّ امرأة كانت تُهراق الدماء في عهد رسول الله ﷺ».

(٣) لم أجده في «السيرة».

(٤) كذا في (ب)، وفي غيرها: «ماؤه».

(٥) في (ب): «البرض هو الماء».

(٦) ذو الرمة، «ديوانه» (ص: ٥١٩).

يُقالُ لِكُلِّ شَيْءٍ في أوَّلِهِ: «بُسْرةٌ» حَتّى لِلشَّمْسِ[١] عِنْدَ طُلُوعِها، و«صَمْعاءُ»، [أي][٢]: مُتَحِدِّدةٌ قَدْ شَوَّكَتْ، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ[٣].

وَذَكَرَ أنّ رَجُلًا مِنْ أسلَمَ سَلَكَ به على الطَّرِيقِ الأَجرل، يُقالُ: إنّ ذَلِكَ الرّجُلُ هُوَ ناجِيةُ الأسْلَمِيّ، وهُوَ سائِقُ بُدْنِهِ، وهُوَ ناجِيةُ بنُ جُنْدُبٍ، ويُقالُ فيهِ: ابنُ عُمَيْرٍ[٤]، وكانَ اسْمُهُ: ذَكْوانَ، فَسَمّاهُ رسول الله ﷺ ناجِيةَ حِينَ نَجا مِنْ كُفّارِ قُرَيْشٍ، وعاشَ إلى زَمَنِ مُعاوِيةَ[٥]، وأمّا صاحِبُ بُدْنِ رسول الله ﷺ المَذْكُورُ في حَدِيثٍ آخَرَ في «المُوَطّأ»[٦] وغَيْرِهِ، فاسْمُهُ: ذُؤَيْبُ بنُ حَلحَلةَ بنِ عَمْرِو بنِ كُلَيْبِ بنِ أصْرَمَ [بنِ عبدِ اللهِ بنِ قُمَيْرِ بنِ حُبْشِيّةَ بنِ سَلُولَ بنِ كَعْبِ ابنِ عَمْرِو بنِ ربيعة، وهو لُحيُّ بن حارِثةَ][٧] جَدُّ خُزاعة، وذُؤَيْبٌ هَذا هُوَ والِدُ قَبيصةَ بنِ ذُؤَيْبٍ القاضِي صاحِبِ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ[٨]، وعاشَ ذُؤَيْبٌ إلى خِلافةِ مُعاوِيةَ أيْضًا.

وَذَكَرَ في نَسَبِ أسْلَمَ بنِ أفْصى بنِ أبِي حارِثةَ، وهُوَ وهْمٌ، وقَدْ أصْلَحَهُ

---

(١) في (ف): «الشمس».

(٢) عن (ب).

(٣) لم أجده فيما طُبع من النبات. وانظر: «العين» (١: ٢١٦): (٧: ٢٥٠).

(٤) كذا في النسخ، وفي «أسد الغابة» (٥: ٢٩٤): «وقيل: ناجية بن جندب بن عمير»، كما في «السيرة» (٢: ٣١٠).

(٥) «أسد الغابة» (٥: ٢٩٥).

(٦) «الموطأ»، كتاب الحج: (١: ٣٨٠)، و«سنن أبي داود»، كتاب المناسك: (٢: ١٤٨).

(٧) سقط من (ح).

(٨) تابعي متقدم، يُعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة، وُلِد عام الفتح، وكان أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت، تُوفي سنة (٨٦ هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٢٣: ٤٧٦-٤٨١).

ابنُ هشامٍ، فقال: هو حارثةُ [يعني: حارثَةَ][1] بنَ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ماءِ السّماء بنِ حارثةَ الغِطريفِ بنِ امرئِ القَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ[2] بنِ مازِنِ بنِ الأسَدِ[3]، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ ابنُ إسْحاقَ لَمْ يَهِمْ فيهِ، ولَكِنَّهُ نَسَبَهُ إلى أَبِي حارِثَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ عامِرٍ، وهُوَ عَمُّ حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ، وحارِثَةُ[4] هُوَ أَبُو الأوْسِ والخَزْرَجِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ ﷺ: «لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ إلى خُطَّةٍ...» الحَدِيثَ، وفي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قالَ: «والّذِي نَفْسُ[5] محمَّدٍ بِيَدِهِ، لا تَدْعُونِي قُرَيْش...»[6]، ولَمْ يَقُل في الحَدِيثِ: إنْ شاءَ اللهُ، وقَدْ تَكَلَّمُوا في ذَلِكَ؛ فقِيلَ: إنّما أَسْقَطَ الِاسْتِثْناءَ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ واجِبٌ كانَ قَدْ أُمِرَ بِهِ[7]، ألا تَراهُ يَقُولُ في الحَدِيثِ: «إنّما أنا رسول الله ولست أَعْصِيه، وهو ناصِري»، وقِيلَ: إنّ إسْقاطَ الِاسْتِثْناءِ إنّما هُوَ مِنَ الرّاوِي؛ إمّا نَسِيَهُ، وإمّا لَمْ يَحْفَظْهُ.

وَفي الحَدِيثِ: «حتّى تنفردَ سالفتي». السّالِفَةُ: صَفْحَةُ العُنُقِ، وانفرادها عبارةٌ عنِ الذَّبح أو[8] القتل.

* * *

(١) سقط من (ب).

(٢) بعده في (ح): «الصنم».

(٣) يقال فيه: الأزْد، بالزاي. انظر: «الأنساب» للسمعاني: (١: ١٣٧).

(٤) في (ب): «وثعلبة». وهو خطأ. انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٣٢).

(٥) في (ج)، (ص): «نفسي بيده».

(٦) «فتح الباري»، كتاب الشروط: (٥: ٣٢٩)، و«سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٨٥).

(٧) انظر: «فتح الباري» (٥: ٣٣٦)؛ فقد تعقبوا السهيلي في هذا التوجيه.

(٨) في (ف): «و».

[شِعْرٌ لِناجِيةَ يُثْبِتُ أنَّهُ حامِلُ سَهْمِ الرَّسُولِ]

وَقَدْ أنْشَدَتْ أسْلَمُ أبْياتًا مِنْ شِعْرٍ قالَها ناجِيةُ، قَدْ ظَنَنّا أنَّهُ هُوَ الَّذي نَزَلَ بِالسَّهْمِ، فزَعَمَتْ أسْلَمُ أنَّ جارِيةً مِن الأنْصارِ أقْبَلَتْ بِدَلْوِها، وناجِيةُ في القَلِيبِ يَمِيحُ على النّاسِ، فقالَتْ:

يا أيُّها المائِـحُ دَلْوي دُونَكا ... إنِّي رَأيْتُ النّاسَ يَحْمَدُونَكا
يُثْنُونَ خَيْرًا ويُمَجِّدُونَكا

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

إنِّي رَأيْتُ النّاسَ يَمْدَحُونَكا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ ناجِيةُ وهُوَ في القَلِيبِ يَمِيحُ على النّاسِ:

قَـدْ عَلِمَتْ جارِيـةٌ يَمانِيَهْ ... أنِّي أنا المائِحُ واسْـمِي ناجِيَهْ
وَطَعْنَةٍ ذاتِ رَشـاشٍ واهِيَهْ ... طَعَنْتُها عِنْدَ صُدُورِ العادِيَهْ

[بُدَيْلٌ ورِجالُ خُزاعةَ بَيْنَ الرَّسُولِ وقُرَيْشٍ]

فَقالَ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: فلَمّا اطْمَأنَّ رَسُولُ الله ﷺ، أتاهُ بُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ الخُزاعِيُّ، في رِجالٍ مِنْ خُزاعةَ، فكَلَّمُوهُ وسَألُوهُ: ما الَّذي جاءَ بِهِ؟ فَأخْبَرَهُمْ أنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا، وإنَّما جاءَ زائِرًا لِلْبَيْتِ، ومُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ. ثُمَّ قالَ لَهُمْ نَحْوًا مِمّا قالَ لِبِشْرِ بنِ سُفيانَ، فرَجَعُوا إلى قُرَيْشٍ، فقالُوا: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّكُمْ تَعْجَلُونَ على مُحَمَّدٍ؛ إنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتالٍ، وإنَّما

جاءَ زائِرًا هذا البَيْتَ. فاتَّهَمُوهُمْ وجَبَهُوهُمْ، وقالُوا: وإنْ كانَ جاءَ ولا يُرِيدُ قِتالًا، فواللهِ لا يَدْخُلُها عَلَيْنا عَنْوةً أبدًا، ولا تَحَدَّثُ بِذلك عَنّا العَرَبُ.

قالَ الزُّهْرِيُّ: وكانَتْ خُزاعةُ عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْلِمُها ومُشْرِكُها، لا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كانَ بِمَكّةَ.

[مِكْرَزٌ رَسُولُ قُرَيْشٍ إلى الرَّسُولِ]

قالَ: ثُمَّ بَعَثُوا إلَيْهِ مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأخْيَفِ، أخا بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، فلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا قالَ: «هذا رَجُلٌ غادِرٌ»، فلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وكَلَّمَهُ، قالَ لَهُ رَسُول اللهِ ﷺ نَحْوًا مِمّا قالَ لِبُدَيْلٍ وأصْحابِهِ، فرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ فأخْبَرَهُمْ بِما قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وفي الرّجَزِ الّذِي أنْشَدَهُ[١]: [من الرجز]

يا أيّها المائِحُ دَلوِي دُونكا[٢]

لَوْ قالَ: «دُونَك دَلْوِي» لَكانَ الدَّلْوُ في مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلى الإغْراءِ، فلَمّا قَدَّمَها عَلى «دُونَك»، لَمْ يَجُزْ نَصْبُها بِـ«دُونك»، ولَكِنّهُ بِفِعْلٍ آخَرَ، كَأنّهُ قالَ: امْلَأْ دَلوِي، فقَوْلُهُ: «دُونكا» أَمْرٌ بَعْدَ أَمْرٍ[٣].

❋ ❋ ❋

---

(١) البيت لراجز جاهلي من بني أسيد بن عمرو بن تميم. انظر: «الخزانة» (٦: ٢٠٤).

(٢) في (ب)، (ج): «الماتح». والمائح: الذي ينزل البئر فيملأ الدلو. والماتح: الذي يجذب رشاءها.

(٣) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات الأنباري، المسألة: (٢٧: ٣٢٨).

[الحُلَيْسُ رَسُولٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى الرَّسُولِ]

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ الحُلَيْسَ بنَ عَلْقَمةَ، أو ابنَ زَبّانَ، وكانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الأحابِيشِ، وهُوَ أَحَدُ بَنِي الحارِثِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، فلَمّا رَآهُ رَسُول الله ﷺ قالَ: «إنَّ هذا مِنْ قَوْمٍ يَتَألَّهُونَ، فابْعَثُوا الهَدْيَ في وجْهِهِ حَتّى يَراهُ». فلَمّا رَأى الهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الوادِي في قَلائِدِهِ، وقَدْ أَكَلَ أَوْبارَهُ مِنْ طُولِ الحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ، رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ، ولَمْ يَصِلْ إلى رَسُولِ الله ﷺ إعْظامًا لِما رَأى، فقالَ لَهُمْ ذلك. قالَ: فقالُوا لَهُ: اجْلِسْ؛ فإنَّما أَنْتَ أَعْرابِيٌّ لا عِلْمَ لَكَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ الحُلَيْسَ غَضِبَ عِنْدَ ذلك وقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، والله ما على هذا حالَفْناكُمْ، ولا على هذا عاقَدْناكُمْ، أيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ الله مَنْ جاءَ مُعَظِّمًا لَهُ؟! والَّذِي نَفْسُ الحُلَيْسِ بِيَدِهِ، لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وبَيْنَ ما جاءَ لَهُ، أوْ لأَنْفِرَنَّ بالأحابِيشِ نَفْرةَ رَجُلٍ واحِدٍ. قالَ: فقالُوا لَهُ: مَهْ، كُفَّ عَنّا يا حُلَيْسُ حَتّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنا ما نَرْضى بِهِ.

وَفيهِ قَوْلُهُ عليه السلام في الحُلَيْسِ: «إنَّ هَذا مِنْ قَوْمٍ يَتَألَّهُونَ»؛ أَيْ: يُعَظِّمُونَ أَمْرَ الإلَهِ، ومِنْهُ قَوْلُ رُؤْبَةَ[1]: [من الرجز]

(١) «مجموع أشعار العرب»، «ديوان رؤبة بن العجاج» (ص: ١٦٥).

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ

أيْ: مِنْ تَنَسُّكٍ وتَعْظِيمٍ للهِ سُبْحانَهُ.

[عُرْوةُ بنُ مَسْعُودٍ رَسُولٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى الرَّسُولِ]

قالَ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: ثُمَّ بَعَثُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ عُرْوةَ بنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنِّي قَدْ رَأَيْتُ ما يَلْقى مِنْكُمْ مَنْ بَعَثْتُمُوهُ إلى مُحَمَّدٍ إذا جاءَكُمْ مِن التَّعْنِيفِ وسُوءِ اللَّفْظِ، وقَدْ عَرَفْتُمْ أنَّكُمْ والِدٌ وأنِّي ولَدٌ، وكانَ عُرْوةُ لِسُبَيْعةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ، وقَدْ سَمِعْتُ بِالَّذِي نابَكُمْ، فجَمَعْتُ مَنْ أطاعَنِي مِنْ قَوْمِي، ثُمَّ جِئْتُكُمْ، حَتّى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي. قالُوا: صَدَقْتَ، ما أنْتَ عِنْدَنا بِمُتَّهَمٍ. فخَرَجَ حَتّى أتى رَسُولَ الله ﷺ، فجَلَس بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّد، أَجَمَعتَ أَوْشابَ النّاسِ، ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إلى بَيْضَتِكَ لِتَفُضَّها بِهِمْ؟ إنَّها قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَها العُوذُ المَطافيلُ، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ، يُعاهِدُونَ اللهَ: لا تَدْخُلُها عَلَيْهِمْ عَنْوةً أبَدًا، وايْمُ الله، لِكَأنِّي بِهَؤُلاءِ قَد انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا. قالَ: وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ قاعِدٌ، فقالَ: امْصُصْ بَظْرَ اللّاتِ، أنَحْنُ نَنْكَشِفُ عَنْهُ؟! قالَ: مَنْ هذا يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «هذا ابنُ أبي قُحافةَ»، قالَ: أما والله لَوْلا يَدٌ كانَتْ لَكَ عِنْدِي لَكافَأْتُكَ بِها، ولَكِنْ هَذِهِ بِها. قالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَتَناوَلُ لِحْيةَ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ يُكَلِّمُهُ. قالَ: والمُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ واقِفٌ على رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ في الحَدِيدِ. قالَ: فجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إذا تَناوَلَ لِحْيةَ رَسُولِ الله ﷺ، ويَقُولُ: اكْفُفْ يَدَكَ عَنْ وجْهِ رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ ألّا تَصِلَ إلَيْكَ. قالَ: فيَقُولُ عُرْوةُ: ويْحَكَ! ما أفَظَّكَ وأغْلَظَكَ! قالَ: فتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ لَهُ عُرْوةُ: مَنْ هذا

يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «هذا ابنُ أخِيكَ المُغِيرةُ بنُ شُعْبَةَ»، قالَ: أيْ غُدَرُ، وهَلْ غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إلّا بِالأمْسِ؟!

قالَ ابنُ هِشامٍ: أرادَ عُرْوةُ بِقَوْلِهِ هذا: أنَّ المُغِيرةَ بنَ شُعْبةَ قَبْلَ إسْلامِهِ قَتَلَ ثَلاثةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مالِكٍ مِنْ ثَقِيفٍ، فتَهايَجَ الحَيّانِ مِنْ ثَقِيفٍ: بَنُو مالِكٍ رَهْطُ المَقْتُولِينَ، والأحْلافُ رَهْطُ المُغِيرةِ، فوَدى عُرْوةُ المَقْتُولِينَ ثَلاثَ عَشْرةَ دِيةً، وأصْلَحَ ذلك الأمْرَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: فكَلَّمَهُ رَسُول الله ﷺ بِنَحْوٍ مِمّا كَلَّمَ بِهِ أصْحابَهُ، وأخْبَرَهُ أنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا، فَقامَ مِنْ عِنْدِ رَسُول الله ﷺ وقَدْ رَأى ما يَصْنَعُ بِهِ أصْحابُهُ: لا يَتَوَضَّأُ إلّا ابْتَدَرُوا وَضُوءَهُ، ولا يَبْصُقُ بُصاقًا إلّا ابْتَدَرُوهُ، ولا يَسْقُطُ مِنْ شَعرِهِ شَيْءٌ إلّا أخَذُوهُ، فرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنِّي قَدْ جِئْتُ كِسْرى في مُلْكِهِ، وقَيْصَرَ في مُلْكِهِ، والنَّجاشِيَ في مُلْكِهِ. وإنِّي والله ما رَأيْتُ مَلِكًا في قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ في أصْحابِهِ، ولَقَدْ رَأيْتُ قَوْمًا لا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أبَدًا، فرَوْا رَأْيَكُمْ.

[خِراشٌ رَسُولُ الرَّسُولِ إلى قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعا خِراشَ بنَ أُمَيّةَ الخُزاعِيَّ، فبَعَثَهُ إلى قُرَيْشٍ بِمَكّةَ، وحَمَلَهُ على بَعِيرٍ لَهُ يُقالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ؛ لِيُبَلِّغَ أشْرافَهُمْ عَنْهُ ما جاءَ لَهُ، فعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ الله ﷺ، وأرادُوا قَتْلَهُ، فمَنَعَتْهُ الأحابِيشُ، فخَلَّوْا سَبِيلَهُ، حَتّى أتى رَسُولَ الله ﷺ.

[النَّفَرُ القُرَشِيُّونَ الَّذينَ أرْسَلَتْهُمْ قُرَيْشٌ لِلْعُدْوانِ، ثُمَّ عَفا عَنْهُم الرَّسُولُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عِكْرِمةَ مَوْلى

ابنِ عَبّاسٍ، عن ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ قُرَيْشًا كانُوا بَعَثُوا أرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أوْ خَمْسِينَ رَجُلًا، وأمَرُوهُمْ أنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُول الله ﷺ؛ لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أصْحابِهِ أحَدًا، فأُخِذُوا أخْذًا، فأُتِيَ بِهِمْ رَسُول الله ﷺ، فعَفا عَنْهُمْ، وخَلّى سَبِيلَهُمْ، وقَدْ كانُوا رَمَوْا في عَسْكَرِ رَسُول الله ﷺ بِالحِجارةِ والنَّبْلِ.

[عُثْمانُ رَسُولُ مُحَمَّدٍ إلى قُرَيْشٍ]

ثُمَّ دَعا عُمَرَ بنَ الخَطّابِ لِيَبْعَثَهُ إلى مَكّةَ، فيبَلِّغَ عَنْهُ أشْرافَ قُرَيْشٍ ما جاءَ لَهُ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي أخافُ قُرَيْشًا على نَفْسِي، ولَيْسَ بِمَكّةَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ أحَدٌ يَمْنَعُنِي، وقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَداوَتِي إيّاها، وغِلْظَتِي عَلَيْها، ولَكِنِّي أدُلُّكَ على رَجُلٍ أعَزَّ بِها مِنِّي، عُثْمانَ بنِ عَفّانَ. فدَعا رَسُول الله ﷺ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ، فبَعَثَهُ إلى أبي سُفيانَ وأشْرافِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ أنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وأنَّهُ إنَّما جاءَ زائِرًا لِهذا البَيْتِ، ومُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ.

[إشاعةُ مَقْتَلِ عُثْمانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فخَرَجَ عُثْمانُ إلى مَكّةَ، فلَقِيَهُ أبانُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ حِينَ دَخَلَ مَكّةَ، أوْ قَبلَ أنْ يَدْخُلَها، فحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أجارَهُ حَتّى بَلَّغَ رِسالةَ رَسُول الله ﷺ، فانْطَلَقَ عُثْمانُ حَتّى أتى أبا سُفيانَ وعُظَماءَ قُرَيْشٍ، فبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ما أرْسَلَهُ بِهِ، فقالُوا لِعُثْمانَ حِينَ فرَغَ مِنْ رِسالةِ رَسُول الله ﷺ إلَيْهِمْ: إنْ شِئْتَ أنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ فطُفْ. فقالَ: ما كُنْتُ لِأفْعَلَ حَتّى يَطُوفَ بِهِ رَسُول الله ﷺ. واحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَها، فبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ والمُسْلِمِينَ أنَّ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ قَدْ قُتِلَ.

بَيْعةُ الرِّضْوانِ

[مُبايَعةُ الرَّسُولِ النّاسَ على الحَرْبِ، وتَخَلُّفُ الجَدِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ حِينَ بَلَغَهُ أنَّ عُثْمانَ قَدْ قُتِلَ: «لا نَبْرَحُ حَتّى نُناجِزَ القَوْمَ». فدَعا رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ إلى البَيْعةِ، فكانَتْ بَيْعةُ الرِّضْوانِ تَحْتَ الشَّجَرةِ، فكانَ النّاسُ يَقُولُونَ: بايَعَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ على المَوْتِ. وكانَ جابِرُ بنُ عَبْدِ الله يَقُولُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يُبايِعْنا على المَوْتِ، ولَكِنْ بايَعَنا على ألّا نَفِرَّ.

فَبايَعَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ، ولَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أحَدٌ مِن المُسْلِمِينَ حَضَرَها، إلّا الجَدُّ بنُ قَيْسٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، فكانَ جابِرُ بنُ عَبْدِ الله يَقُولُ: واللهِ لَكَأنِّي أنْظُرُ إلَيْهِ لاصِقًا بِإبْطِ ناقَتِهِ. قَدْ ضَبَأ إلَيْها، يَسْتَتِرُ بِها مِن النّاسِ، ثُمَّ أتى رَسُولَ الله ﷺ أنَّ الَّذي ذُكِرَ مِنْ أمْرِ عُثْمانَ باطِلٌ.

[أوَّلُ مَنْ بايَعَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فذَكَرَ وكِيعٌ عَنْ إسْماعِيلَ بنِ أبي خالِدٍ، عَن الشَّعْبِيِّ: أنَّ أوَّلَ مَنْ بايَعَ رَسُولَ الله ﷺ بَيْعةَ الرِّضْوانِ: أبو سِنانٍ الأسَدِيُّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ بِإسْنادٍ لَهُ، عَن ابنِ أبي مُلَيْكةَ، عَن ابنِ أبي عُمَرَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بايَعَ لِعُثْمانَ، فضَرَبَ بإحْدى يَدَيْهِ على الأُخْرى.

أَمْرُ الهُدْنةِ

[إرْسالُ قُرَيْشٍ سُهَيْلًا إلى الرَّسُولِ لِلصُّلْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو، أخا بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فصالِحْهُ، ولا يَكُنْ في صُلْحِهِ إلّا أنْ يَرْجِعَ عَنّا عامَه هذا، فواللهِ لا تَحَدَّثُ العَرَبُ عَنّا أنَّهُ دَخَلَها عَلَيْنا عَنْوةً أبَدًا. فأتاهُ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، فلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، قالَ: «قَدْ أرادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هذا الرَّجُلَ». فلَمّا انْتَهى سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَكَلَّمَ فأطالَ الكَلامَ، وتَراجَعا، ثُمَّ جَرى بَيْنَهُما الصُّلْحُ.

[عُمَرُ يُنْكِرُ على الرَّسُولِ الصُّلْحَ]

فَلَمّا التَأمَ الأمْرُ ولَمْ يَبْقَ إلّا الكِتابُ، وثَبَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فأتى أبا بَكْرٍ، فَقالَ: يا أبا بَكْرٍ، ألَيْسَ برَسُولِ اللهِ؟ قالَ: بَلى، قالَ: أوَلَسْنا بِالمُسْلِمِينَ؟ قالَ: بَلى، قالَ: أوَلَيْسُوا بِالمُشْرِكِينَ؟ قالَ: بَلى، قالَ: فعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيّةَ في دِينِنا؟ قالَ أبو بَكْرٍ: يا عُمَرُ، الزَمْ غَرْزَهُ، فإنِّي أشْهَدُ أنَّهُ رَسُول اللهِ. قالَ عُمَرُ: وَأنا أشْهَدُ أنَّهُ رَسُول اللهِ. ثُمَّ أتى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ألَسْتَ برَسُولِ اللهِ؟ قالَ: «بَلى»، قالَ: أوَلَسْنا بِالمُسْلِمِينَ؟ قالَ: «بَلى»، قالَ: أوَلَيْسُوا بِالمُشْرِكِينَ؟ قالَ: «بَلى»، قالَ: فعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيّةَ في دِينِنا؟ قالَ: «أنا عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ، لَنْ أُخالِفَ أمْرَهُ، ولَنْ يُضَيِّعَنِي».

قالَ: فكانَ عُمَرُ يَقُولُ: ما زِلْتُ أتَصَدَّقُ وأصُومُ وأُصَلِّي وأُعْتِقُ؛ مِن

الَّذي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ؛ مَخافةَ كَلامِي الَّذي تَكَلَّمْتُ بِهِ، حَتّى رَجَوْتُ أنْ يَكُونَ خَيْرًا.

[عَلِيٌّ يَكْتُبُ شُرُوطَ الصُّلْحِ]

قالَ: ثُمَّ دَعا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، فقالَ: «اكْتُبْ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قالَ: فقالَ سُهَيْلٌ: لا أعْرِفُ هذا، ولَكِنِ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللهُمَّ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللهُمَّ»، فكَتَبَها، ثُمَّ قالَ: «اكْتُبْ: هذا ما صالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُول الله سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو». قالَ: فقالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أنَّكَ رَسُول الله لَمْ أُقاتِلْكَ، ولَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ واسْمَ أبيكَ. قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اكْتُبْ: هذا ما صالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو»، اصْطَلَحا على وضْعِ الحَرْبِ عَن النّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فيهِنَّ النّاسُ، ويَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، على أنَّهُ مَنْ أتى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إذْنِ ولِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، ومَنْ جاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وأنَّ بَيْنَنا عَيْبَةً مَكْفُوفةً، وأنَّهُ لا إسْلالَ ولا إغْلالَ، وأنَّهُ مَنْ أحَبَّ أنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ مُحَمَّدٍ وعَهْدِهِ دَخَلَ فيهِ، ومَنْ أحَبَّ أنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ دَخَلَ فيهِ.

[دُخُولُ خُزاعةَ في عَهْدِ مُحَمَّدٍ، وبَنِي بَكْرٍ في عَهْدِ قُرَيْشٍ]

فَتَواثَبَتْ خُزاعةُ، فقالُوا: نَحْنُ في عَقْدِ مُحَمَّدٍ وعَهْدِهِ. وتَواثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فقالُوا: نَحْنُ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ، وأنَّكَ تَرْجِعُ عَنّا عامَكَ هذا، فلا تَدْخُلُ عَلَيْنا مَكّةَ، وأنَّهُ إذا كانَ عامُ قابِلٍ، خَرَجْنا عَنْكَ فدَخَلْتَها بِأصْحابِكَ، فأقَمْتَ بِها ثَلاثًا، مَعَكَ سِلاحُ الرّاكِبِ، السُّيُوفُ في القُرُبِ، لا تَدْخُلُها بِغَيْرِها.

[ما أَهَمَّ النّاسَ مِن الصُّلْحِ، ومَجِيءُ أبي جَنْدَلٍ]

فَبَيْنا رَسُول الله ﷺ يَكْتُبُ الكِتابَ هُوَ وسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو؛ إذْ جاءَ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ في الحَدِيدِ، قَد انْفَلَتَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ كانَ أصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ خَرَجُوا وهُمْ لا يَشُكُّونَ في الفَتْحِ، لِرُؤْيا رَآها رَسُول الله ﷺ، فلَمّا رَأوْا ما رَأوْا مِن الصُّلْح والرُّجُوعِ، وما تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ في نَفْسِهِ، دَخَلَ على النّاسِ مِنْ ذلك أمْرٌ عَظِيمٌ، حَتّى كادُوا يَهْلِكُونَ، فلَمّا رَأى سُهَيْلٌ أبا جَنْدَلٍ، قامَ إلَيْهِ فضَرَبَ وجْهَهُ، وأخَذَ بِتَلْبِيبِهِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، قَدْ لَجَّتِ القَضِيّةُ بَيْنِي وبَيْنَكَ قَبْلَ أنْ يَأْتِيَكَ هذا. قالَ: «صَدَقْتَ». فجَعَلَ يَنْتُرُهُ بِتَلْبِيبِهِ، ويَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إلى قُرَيْشٍ، وجَعَلَ أبو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أأُرَدُّ إلى المُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي في دِينِي؟ فزادَ ذلك النّاسَ إلى ما بِهِمْ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يا أبا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ واحْتَسِبْ؛ فإنَّ الله جاعِلٌ لَكَ ولِمَنْ مَعَكَ مِن المُسْتَضْعَفِينَ فرَجًا ومَخْرَجًا، إنّا قَدْ عَقَدْنا بَيْنَنا وبَيْنَ القَوْمِ صُلْحًا، وأعْطَيْناهُمْ على ذلك، وأعْطَوْنا عَهْدَ الله، وإنّا لا نَغْدِرُ بِهِمْ». قالَ: فوَثَبَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ مَعَ أبي جَنْدَلٍ يَمْشِي إلى جَنْبِهِ، ويَقُولُ: اصْبِرْ يا أبا جَنْدَلٍ، فإنَّما هُم المُشْرِكُونَ، وإنَّما دَمُ أحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ. قالَ: ويُدْنِي قائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ. قالَ: يَقُولُ عُمَرُ: رَجَوْتُ أنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فيضْرِبَ بِهِ أباهُ. قالَ: فضَنَّ الرَّجُلُ بِأبيهِ، ونَفَذَت القَضِيّةُ.

[مَنْ شَهِدُوا على الصُّلْحِ]

فَلَمّا فرَغَ رَسُول الله ﷺ مِن الكِتابِ، أشْهَدَ على الصُّلْحِ رِجالًا مِن المُسْلِمِينَ، ورِجالًا مِن المُشْرِكِينَ: أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ،

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وعَبْدُ الله بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وسَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ، ومَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ ـ وهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ـ وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وكَتَبَ، وكانَ هُوَ كاتِبَ الصَّحِيفةِ.

[نَحَرَ الرَّسُولُ وحَلَقَ، فاقْتَدى بِهِ النّاسُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ مُضْطَرِبًا في الحِلِّ، وكانَ يُصَلِّي في الحَـرَمِ، فلَمّا فَـرَغَ مِن الصُّلْحِ قَـدِمَ إلى هَدْيِهِ فنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ فحَلَقَ رَأْسَهُ، وكانَ الَّذي حَلَقَهُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ في ذلك اليَوْمِ خِراشُ بنُ أُمَيّةَ بنِ الفَضْلِ الخُزاعِيُّ، فلَمّا رَأى النّاسُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ نَحَرَ وحَلَقَ، تَواثَبُوا يَنْحَرُونَ ويَحْلِقُونَ.

[دَعْوةُ الرَّسُولِ لِلْمُحَلِّقِينَ، ثُمَّ لِلْمُقَصِّرِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهِدٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: حَلَقَ رِجالٌ يَوْمَ الحُدَيْبِيةِ، وقَصَّرَ آخَرُونَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ»، قالُوا: والمُقَصِّرِينَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ»، قالُوا: والمُقَصِّرِينَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ»، قالُوا: والمُقَصِّرِينَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «والمُقَصِّرِينَ»، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، فلِمَ ظاهَرْتَ التَّرْحِيمَ لِلْمُحَلِّقِينَ دُونَ المُقَصِّرِينَ؟ قالَ: «لَمْ يَشُكُّوا».

[أهْدى الرَّسُولُ جَمَلًا فيهِ بُرةٌ مِنْ فِضّةٍ]

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ: حَدَّثَنِي مُجاهِدٌ، عَن ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أهْدى عامَ الحُدَيْبِيةِ في هَداياهُ جَمَلًا لِأبي جَهْلٍ، في رَأْسِهِ بُرَةٌ مِنْ فِضّةٍ، يَغِيظُ بِذلك المُشْرِكِينَ.

[نُزُولُ سُورةِ الفَتْحِ]

قالَ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُول الله ﷺ مِنْ وجْهِهِ ذلك قافِلًا، حَتّى إذا كانَ بَيْنَ مَكّةَ والمَدِينةِ نَزَلَتْ سُورةُ الفَتْحِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١-٢].

[ذِكْرُ البَيْعةِ]

ثُمَّ كانَت القِصّةُ فيهِ وفي أصْحابِهِ، حَتّى انْتَهى إلى ذِكْرِ البَيْعةِ، فقالَ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

[ذِكْرُ مَنْ تَخَلَّفَ]

ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِن الأعْرابِ، ثُمَّ قالَ: حِينَ اسْتَفَزَّهُمْ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ فأبْطَؤُوا عَلَيْهِ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١]، ثُمَّ القِصّةَ عَنْ خَبَرِهِمْ، حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، ثُمَّ القِصّةَ عَنْ خَبَرِهِمْ، وما عُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهادِ القَوْمِ أُولِي البَأْسِ الشَّدِيدِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: فارِسُ. قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَن الزُّهْرِيِّ، أنَّهُ قالَ: أُولُو البَأْسِ الشَّدِيدِ: حَنِيفةُ مَعَ الكَذّابِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ١٨-٢١].

[ذِكْرُ كَفِّ الرَّسُولِ عَن القِتالِ]

ثُمَّ ذَكَرَ مَحْبِسَهُ، وكَفَّهُ إيّاهُ عَن القِتالِ بَعْدَ الظَّفرِ مِنْهُ بِهِمْ؛ يَعْنِي: النَّفَرَ الَّذينَ أصابَ مِنْهُمْ، وكَفَّهُمْ عَنْهُ، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ [الفتح: ٢٥].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: المَعْكُوفُ: المَحْبُوسُ؛ قالَ أعْشى بَني قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهُ السِّلْـ ... ـكُ بِعِطْـفَيْ جَيْداءَ أُمِّ غَزالِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدَةٍ لَهُ:

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ﴾ [الفتح: ٢٥]، والمَعَرَّةُ: الغُرْمُ؛ أي: أنْ تُصِيبُوا مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ فتُخْرِجُوا دِيَتَهُ، فأمّا إثْمٌ فلَمْ يَخْشَهُ عَلَيْهِمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَلَغَنِي عَنْ مُجاهِدٍ أَنَّهُ قالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ في الوَلِيدِ ابنِ الوَلِيدِ بن المُغِيرةِ، وسَلَمةَ بنِ هِشامٍ، وعَيّاشِ بنِ أبي رَبِيعةَ، وأبي جَنْدَلِ ابنِ سُهَيْلٍ، وأشْباهِهِمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦]؛ يَعْنِي: سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو حِينَ حَمِيَ أنْ يَكْتُبَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله. ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦]؛ أي: التَّوْحِيدَ، شَهادةَ أنْ لا إلَهَ إلّا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ. ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ ﴾ [الفتح: ٢٧]؛ أي: لِرُؤْيا رَسُولِ الله ﷺ الَّتِي رَأى أنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكّةَ آمِنًا لا يَخافُ، يَقُولُ: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ مَعَهُ ﴿ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ ﴾ من ذلك ﴿ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧]؛ صُلْحُ الحُدَيْبِيةِ.

يَقُولُ الزُّهْرِيِّ: فما فُتِحَ في الإسْلامِ فتحٌ قَبْلَهُ كانَ أعْظَمَ مِنْهُ، إنَّما كانَ القِتالُ حَيْثُ التَقى النّاسُ، فلَمّا كانَت الهُدْنةُ، ووُضِعَت الحَرْبُ، وأَمِنَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، والتَقَوْا فتَفاوَضُوا في الحَدِيثِ والمُنازَعةِ، فلَمْ يُكَلَّمْ أحَدٌ بالإسْلامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إلّا دَخَلَ فيهِ، ولَقَدْ دَخَلَ في تَينِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كانَ في الإسْلامِ قَبْلَ ذلك أوْ أكْثَرُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والدَّلِيلُ على قَوْلِ الزُّهْرِيِّ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خرج إلى

الحديبيةِ في ألف وأربع مئةٍ، في قَوْلِ جابرِ بن عَبْدِ الله، ثُمَّ خَرَجَ عامَ فتْحِ مَكّةَ بَعْدَ ذلك بِسَنَتَيْنِ في عَشرةِ آلافٍ.

ما جَرى عَلَيْهِ أمْرُ قَوْمٍ مِن المُسْتَضْعَفينَ بَعْدَ الصُّلْحِ

[مَجِيءُ أبي بَصِيرٍ إلى المَدِينةِ، وطَلَبُ قُرَيْشٍ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ، أتاهُ أبو بَصِيرٍ عُتْبةُ ابنُ أَسِيدِ بنِ جارِيةَ، وكانَ مِمَّنْ حُبِسَ بِمَكّةَ، فلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ كَتَبَ فيهِ أزْهَرُ بنُ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، والأخْنَسُ بنُ شَرِيقِ ابنِ عَمْرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفيُّ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وبَعَثا رَجُلًا مِنْ بَنِي عامِرِ ابنِ لُؤَيٍّ، ومَعَهُ مَوْلًى لَهُمْ، فقَدِما على رَسُولِ الله ﷺ بِكِتابِ الأزْهَرِ والأخْنَسِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يا أبا بَصِيرٍ، إنّا قَدْ أعْطَيْنا هؤُلاءِ القَوْمَ ما قَدْ عَلِمْتَ، ولا يَصْلُحُ لَنا في دِينِنا الغَدْرُ، وإنَّ الله جاعِلٌ لَكَ ولِمَنْ مَعَكَ مِن المُسْتَضْعَفينَ فَرَجًا ومَخْرَجًا، فانْطَلِقْ إلى قَوْمِكَ». قالَ: يا رَسُولَ الله، أتَرُدُّنِي إلى المُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي في دِينِي؟ قالَ: «يا أبا بَصِيرٍ، انْطَلِقْ؛ فإنَّ الله تَعالى سَيَجْعَلُ لَكَ ولِمَنْ مَعَكَ مِن المُسْتَضْعَفينَ فَرَجًا ومَخْرَجًا».

[قَتْلُ أبي بَصِيرٍ لِلْعامِرِيِّ، ومَقالةُ الرَّسُولِ في ذلك]

فانْطَلَقَ مَعَهُما، حَتّى إذا كانَ بِذِي الحُلَيْفةِ، جَلَسَ إلى جِدارٍ، وجَلَسَ مَعَهُ صاحِباهُ، فقالَ أبو بَصِيرٍ: أصارِمٌ سَيْفُكَ هذا يا أخا بَنِي عامِرٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، قالَ: أَنْظُرُ إلَيْهِ؟ قالَ: انْظُرْ إنْ شِئْتَ. قالَ: فاسْتَلَّهُ أبو بَصِيرٍ، ثُمَّ عَلاهُ بِهِ حَتّى قَتَلَهُ، وخَرَجَ المَوْلى سَرِيعًا حَتّى أتى رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ جالِسٌ في

المَسْجِدِ، فلَمّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ طالِعًا، قالَ: «إنَّ هذا الرَّجُلَ قَدْ رَأى فزَعًا». فلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: «ويحك! ما لك؟» قالَ: قَتَلَ صاحبُكُم صاحِبي. فوالله ما بَرِحَ حَتّى طَلَعَ أبو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ، حَتّى وقَفَ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، وفَتْ ذِمَّتُكَ، وأدّى الله عَنْكَ، أسْلَمْتَني بِيَدِ القَوْمِ وقَد امْتَنَعْتُ بِدِيني أنْ أُفْتَنَ فيهِ، أوْ يُعْبَثَ بِي. قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ويْلُ امِّهِ، مِحَشَّ حَرْبٍ، لَوْ كانَ مَعَه رجال!».

[اجْتِماع المُحْتَبَسِينَ إلى أبي بَصِيرٍ، وإيذاؤُهُمْ قُرَيْشًا، وإيواءُ الرَّسُولِ لَهُمْ]

ثُمَّ خَرَجَ أبو بَصِيرٍ حَتّى نَزَلَ العِيصَ، مِنْ ناحِيَةِ ذِي المَرْوَةِ، على ساحِلِ البَحْرِ، بِطَرِيقِ قُرَيْشٍ الَّتِي كانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْها إلى الشّامِ، وبَلَغَ المُسْلِمِينَ الَّذينَ كانُوا احْتُبِسُوا بِمَكّةَ قَوْلُ رَسُولُ الله ﷺ لِأبي بَصِيرٍ: «وَيْلُ امِّهِ، مِحَشَّ حَرْبٍ، لَوْ كانَ مَعَهُ رِجالٌ!»، فخَرَجُوا إلى أبي بَصِيرٍ بِالعِيصِ، فاجْتَمَعَ إلَيْهِ مِنْهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وكانُوا قَدْ ضَيَّقُوا على قُرَيْشٍ، لا يَظْفَرُونَ بِأحَدٍ مِنْهُمْ إلّا قَتَلُوهُ، ولا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ إلّا اقْتَطَعُوها، حَتّى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ تَسْألُ بِأرْحامِها إلّا آواهُمْ، فلا حاجَةَ لَهُمْ بِهِمْ. فآواهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، فقَدِمُوا عَلَيْهِ المَدِينَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو بَصِيرٍ ثَقَفِيٌّ.

[أرادَ سُهَيْلٌ وَدْيَ أبي بَصِيرٍ، وشِعْرُ مَوْهَبٍ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا بَلَغَ سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو قَتْلُ أبي بَصِيرٍ صاحِبَهُم العامِرِيَّ، أسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى الكَعْبَةِ، ثُمَّ قالَ: والله لا أُؤَخِّرُ ظَهْرِي عَن الكَعْبَةِ حَتّى يُودى هذا الرَّجُلُ. فقالَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ: والله إنَّ هذا لَهُوَ السَّفَهُ،

والله لا يُودى (ثَلاثًا)، فقالَ في ذلك مَوْهِبُ بنُ رِياحٍ أبو أُنَيْسٍ، حَلِيفُ بَني زُهْرَةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو أُنَيْسٍ أشْعَرِيٌّ ـ:

أتــانِي عَــنْ سُــهَيْلٍ ذَرْءُ قَوْلٍ ... فأيْقَظَــنِي ومــا بِي مِــنْ رُقادِ

فَإنْ تَكُنِ العِتــابَ تُرِيدُ مِنِّي ... فعاتِبْــنِي فما بِكَ مِــنْ بِعادِي

أتُوعِــدُنِي وعَبْدُ مَنــافَ حَوْلِي ... بِمَخْــزُومٍ ألَهْفًا مَــنْ تُعادي؟

فَــإنْ تَغْمِــزْ قَنــاتِي لا تَجِدْنِي ... ضَعِيفَ العُودِ في الكُرَبِ الشِّدادِ

أُســامِي الأكْرَمِينَ أبًــا بِقَوْمِي ... إذا وَطِئَ الضَّعِيــفُ بِهِمْ أُرادى

هُمُ مَنَعُوا الظَّواهِرَ غَيْرَ شَــكٍّ ... إلى حَيْثُ البَواطِــنُ فالعَوادِي

بِــكُلِّ طِمِــرّةٍ وبِــكُلِّ نَهْدٍ ... سَــواهِمَ قَدْ طُوِيــنَ مِن الطِّرادِ

لَهُمْ بِالخَيْفِ قَــدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِواقُ المَجْــدِ رُفِّــعَ بِالعِمــادِ

[شِعْرُ ابنِ الزِّبَعْرى في الرَّدِّ على مَوْهَبٍ]

فَأجابَهُ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى، فقالَ:

وَأمْسى مَوْهَبٌ كَحِمارِ سَــوْءٍ ... أجــازَ بِبَــلْدَةٍ فيهــا يُنادِي

فَــإنَّ العَبْدَ مِثْلَــكَ لا يُناوِي ... سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعادِي؟

فَأقْصِرْ يا ابنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ ... وعَــدِّ عَن المَقالَــةِ في البِلادِ

وَلا تَذْكُــرْ عِتــابَ أبي يَزِيدٍ ... فَهَيْهاتَ البُحُــورُ مِن الثِّمادِ

أمْرُ المُهاجِراتِ بَعْدَ الهُدْنَةِ

[هِجْرةُ أُمِّ كُلْثُومٍ إلى الرَّسُولِ، وإباؤُهُ رَدَّها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهاجَرَتْ إلى رَسُولِ الله ﷺ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بنِ

أبي مُعَيْطٍ في تِلْكَ المُدّةِ، فخَرَجَ أخَواها: عِمارةُ والوَلِيدُ ابنا عُقْبَةَ، حَتّى قَدِما على رَسُولِ الله ﷺ يَسْألانِهِ أنْ يَرُدَّها عَلَيْهِما بِالعَهْدِ الَّذي بَيْنَهُ وبَيْنَ قُرَيْشٍ في الحُدَيْبِيةِ، فلَمْ يَفْعَلْ، أبى الله ذلك.

[سُؤالُ ابنِ هُنَيْدةَ لِعُرْوةَ عَنْ آيةِ المُهاجِراتِ، ورَدُّهُ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وهُوَ يَكْتُبُ كِتابًا إلى ابنِ أبى هُنَيدةَ، صاحِبِ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، وكَتَبَ إلَيْهِ يَسْألُهُ عَنْ قَوْلِ الله تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

[تَفْسيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واحِدةُ العِصَمِ: عِصْمةٌ، وهِيَ الحَبْلُ والسَّبَبُ؛ قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرى ... ونَأْخُذُ مِـــنْ كُلِّ حَيٍّ عِصَمْ

وَهذا البَيْتُ في قصيدة لَهُ.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

[عَوْدٌ إلى جَوابِ عُرْوةَ]

قالَ: فكَتَبَ إلَيْهِ عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ صالَحَ قُرَيْشًا

يَوْمَ الحُدَيْبِيةِ على أنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ جاءَ بِغَيْرِ إذْنِ ولِيِّهِ، فلَمّا هاجَرَ النِّساءُ إلى رَسُولِ الله ﷺ وإلى الإسْلامِ، أبى الله أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشْرِكِينَ إذا هُنَّ امْتُحِنَّ بِمِحْنةِ الإسْلامِ، فعَرَفُوا أنَّهُنَّ إنَّما جِئْنَ رَغْبةً في الإسْلامِ، وأمَرَ بِرَدِّ صَدُقاتِهِنَّ إلَيْهِمْ إن احْتَبَسْنَ عَنْهُمْ، إنْ هُمْ رَدُّوا على المُسْلِمِينَ صَداقَ مَنْ حُبِسُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسائِهِمْ، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فأمْسَكَ رَسُولُ الله ﷺ النِّساءَ ورَدَّ الرِّجالَ، وسَأَلَ الَّذي أمَرَهُ الله بِهِ أنْ يَسْأَلَ مِنْ صَدُقاتِ نِساءِ مَنْ حُبِسُوا مِنْهُنَّ، وأنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ الَّذي يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ إنْ هُمْ فعَلُوا. ولَوْلا الَّذي حَكَمَ الله بِهِ مِنْ هذا الحُكْمِ، لَرَدَّ رَسُولُ الله ﷺ النِّساءَ كَما رَدَّ الرِّجالَ، ولَوْلا الهُدْنةُ والعَهْدُ الَّذي كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الحُدَيْبِيةِ لأَمْسَكَ النِّساءَ، ولَمْ يَرْدُدْ لَهُنَّ صَداقًا، وكَذلك كانَ يَصْنَعُ بِمَنْ جاءَهُ مِن المُسْلِماتِ قَبْلَ العَهْدِ.

[سُؤالُ ابنِ إسْحاقَ الزُّهْرِيَّ عَنْ آيةِ المُهاجِراتِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَذِهِ الآيةِ، وقَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ فيها: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١١]، فقالَ: يَقُولُ: إنْ فاتَ أحَدًا مِنْكُمْ أهْلُهُ إلى الكُفّارِ، ولَمْ تَأْتِكُم امْرَأةٌ تَأْخُذُونَ بِها مِثْلَ الَّذي يَأْخُذُونَ مِنْكُمْ، فعَوِّضُوهُمْ مِنْ فَيْءٍ إنْ أصَبْتُمُوهُ. فلَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]... إلى قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، كانَ مِمَّنْ طَلَّقَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، طَلَّقَ امْرَأتَهُ قُرَيْبةَ بِنْتَ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، فتَزَوَّجَها

بَعْدَهُ مُعاوِيَةُ بنُ أبي سُفيانَ، وهُما على شِرْكِهِما بِمَكّةَ، وأُمَّ كُلْثومِ بِنْتَ جَرْوَلٍ أُمَّ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ الخُزاعِيّةَ، فتَزَوَّجَها أبو جَهْمِ بنُ حُذَيْفةَ بنِ غانِمٍ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، وهُما على شِرْكِهِما.

[بُشْرى فتْحِ مَكّةَ، وتَعَجُّلُ بَعْضِ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا أبو عُبَيْدَةَ: أنَّ بَعْضَ مَنْ كانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ لَهُ لَمّا قَدِمَ المَدِينةَ: أَلَمْ تَقُلْ يا رَسُولَ اللهِ: إنَّكَ تَدْخُلُ مَكّةَ آمِنًا؟ قالَ: «بَلى، أفَقُلْتُ لَكُمْ: مِنْ عامِي هذا؟»، قالُوا: لا، قالَ: «فهُوَ كَما قالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ».

وَقَوْلُ عُرْوةَ بنِ مَسْعُودٍ لِقُرَيْشٍ: «قَدْ عَرَفْتُمْ أنّكُمْ والِدٌ»؛ أيْ: كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ كالوالِدِ، وقِيلَ: مَعْناهُ: أنْتُمْ حَيٌّ قَدْ ولَدَنِي؛ لِأنّهُ كانَ لِسُبَيْعةَ بِنْتِ عبدِ شَمْسٍ[1]، وقَدْ يَجُوزُ أنْ يُقالَ في الجَماعةِ: هم لي صديقٌ وعدوٌّ. وفي التّنْزِيلِ: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فيُفْرَدُ لِأنّهُ صِفةٌ لِفَرِيقٍ وحِزْبٍ، ويَقْبُحُ أنْ تَقُولَ: قَوْمٌ ضاحِكٌ أوْ باكٍ، وإنّما يَحْسُنُ هَذا إذا وصَفْتَ بِصَدِيقٍ ورَفيقٍ وعَدُوٍّ؛ لِأنّها صِفةٌ تَصْلُحُ لِلفَرِيقِ والحِزْبِ؛ لِأنّ العَداوةَ والصَّداقةَ صِفَتانِ مُتَضادّتانِ، فإذا كانَ عَلى إحداهما الفَرِيقُ الواحِدُ، كانَ الآخَرُ عَلى ضِدِّها، وكانَتْ قُلُوبُ أحَدِ الفَرِيقَيْنِ في تِلكَ الصِّفةِ عَلى قَلبِ رَجُلٍ واحِدٍ في عُرْفِ العادةِ، فحَسُنَ الإفْرادُ، ولَيْسَ يَلزَمُ مِثْلُ هَذا في القِيامِ والقُعُودِ ونَحْوِهِ، حَتّى يُقالَ: هُمْ قاعِدٌ أوْ قائِمٌ، كَما يُقالُ: هُمْ صَدِيقٌ لي؛ لِما قَدّمْناهُ مِنَ الِاتّفاقِ والِاخْتِلافِ.

---

(١) انظر: كتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٩٨).

وأمّا قَوْلُهُ سبحانَه: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] بِلَفْظِ الإفْرادِ، وقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩]، فالأحْسَنُ في حُكْمِ البَلاغَةِ: أنْ يُعَبَّرَ عَنِ الأطْفالِ الرُّضَّعِ بِالطِّفْلِ في الواحِدِ والجَمِيعِ[١]؛ لِأَنَّهُمْ مَعَ حِدْثانِ الوِلادةِ كالجِنْسِ الّذي يَقَعُ عَلى القَلِيلِ والكَثِيرِ بِلَفْظٍ واحِدٍ؛ ألا تَرى أنَّ بَدْءَ الخَلقِ طِينٌ، ثُمّ مَنِيٌّ، والمَنِيُّ [جِنْسٌ][٢] لا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ؛ فلِذَلِكَ لا يُجْمَعُ، وكَذَلِكَ الطِّينُ، ثُمّ يَكُونُ الخَلقُ عَلَقًا، وهُوَ الدَّمُ، فيَكُونُ ذَلِكَ جِنْسًا، ثُمّ يُخْرِجُهُم اللهُ طِفْلًا؛ أيْ: جِنْسًا تالِيًا لِلعَلَقِ والمَنِيِّ، لا يَكادُ يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ إلّا عِنْدَ آبائِهِمْ، فإذا كَبُرُوا وخالَطُوا النّاسَ، وعَرَفَ النّاسُ صُوَرَهُمْ بَعْضَها مِنْ بَعْضٍ، فصارُوا كالرِّجالِ والفِتْيانِ؛ قِيلَ فيهِمْ حِينَئِذٍ: أطْفالٌ، كَما يُقالُ: رِجالٌ وفِتْيانٌ، ولا يُعْتَرَضُ عَلى هَذا الأصْلِ بِالأجِنَّةِ؛ لأنَّهُمْ مُغَيَّبُونَ في البُطُونِ، فلَمْ يَكُونُوا كالجِنْسِ الظّاهِرِ لِلعُيُونِ كالماءِ والطِّينِ والعَلَقِ، وإنّما جُمِعَ الجَنِينُ على أجِنّةٍ، وحَسُنَ ذَلِكَ فيهِ؛ لِأنّهُ تَبَعٌ لِلبَطْنِ الّذي هُوَ فيهِ، ويُقَوِّي هَذا الغَرَضَ الّذِي صَمَدنا إليه في الطِّفل قَوْلُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُجّاعةَ[٣] لِعُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ، وقَدْ سَألَهُ: هَل بَقِيَ مِنْ كُهُولِ بَنِي مُجّاعةَ أحَدٌ؟ فقالَ: نَعَمْ، وشَكِيرٌ كَثِيرٌ[٤]. فانْظُرْ كَيْفَ قالَ: الكُهُولُ فجَمَعَ، وقالَ[٥] في الصِّغارِ: شَكِيرٌ، كَما تَقُولُ: حَشِيشٌ، ونَباتٌ، فتُفْرِدُ؛ لِأنّهُ جِنْسٌ واحِدٌ، والطِّفْلُ في مَعْنى

---

(١) في (ب)، (س): «والجمع».

(٢) ليس في (ب).

(٣) هو هلال بن سراج بن مجاعة الحنفي، يُعَد في الطبقة الأولى من أهل اليمامة، معدود في الثقات. انظر: «تهذيب الكمال» (٣٠: ٣٣٨-٣٣٩).

(٤) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٥٨٦)، و«النهاية» (شكر)، و«تاج العروس» (شكر).

(٥) في (ب): «ثم قال».

الشِّكِيرِ ما دامُوا رُضَّعًا[١]، حَتّى يَتَمَيَّزُوا بِالأَسْماءِ والصُّوَرِ عِنْدَ النّاسِ، فهَذا حُكْمُ البَلاغةِ، ومَساقُ الفصاحة، فافهَمْهُ.

وأمّا قولُ عُروةَ: «جمعتَ أوباشًا من النّاسِ»، يُرِيدُ: أخْلاطًا، وكَذَلِكَ الأوْشابُ.

وَقَوْلُهُ في حَدِيثِ المُغِيرةِ: «أمّا المالُ فلَسْت مِنْهُ في شَيْءٍ»[٢]؛ فيهِ مِن الفِقْهِ: أنَّ أمْوالَ المُشْرِكِينَ حَرامٌ إذا أمّنُوك وأمّنْتهمْ، وإنّما تحلُّ بِالمُحارَبةِ والمغالبة لا عِنْدَ طُمَأْنِينَتِهِمْ إلَيْك وأمَنَتِهِمْ مِنْك؛ فإنّ ذلك هو الغَدْرُ، وفي هَذا المَعْنى آثارٌ قَدْ مَضى بَعْضُها، وسَيَأْتِي بَعْضُها في غَزْوةِ خَيْبَرَ وغَيْرِها.

وَفيهِ: أنّهُمْ كانُوا يَتَدَلَّكُونَ بِنُخامةِ النّبِيِّ ﷺ إذا تَنخّمَ.

وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلى طَهارةِ النُّخامةِ خِلافًا لِلنَّخَعِيّ، وما يُرْوى في ذَلِكَ عَنْ سَلمانَ الفارِسِيّ[٣].

وحَدِيثُ: «إذا تَنَخّمَ أحَدُكُمْ في الصّلاة»[٤] أبْيَنُ في الحُجّةِ؛ لِأنّ حَدِيثَ السِّيرةِ يَحْتَمِلُ الخُصُوصَ بِالنّبِيِّ ﷺ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ مُصالَحةَ رسول الله ﷺ لِقُرَيْشٍ، وشَرْطَهُمْ ألّا يَأْتِيَهُ أحَدٌ مِنْهُمْ مِمّنْ

---

(١) في (ب): «صغارًا».

(٢) لم أجد هذا الحديث في «السيرة».

(٣) انظر: «فتح الباري»، كتاب الوضوء: (١: ٣٥٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، رقم (٤١٠) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضيَ الله عنهما. (ج)

هُوَ عَلى دِينِهِ إلّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وفي هذا الحديثِ مصالحةُ المُشْرِكِينَ عَلى غَيْرِ مالٍ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ، وذَلِكَ جائِزٌ إذا كانَ بِالمُسْلِمِينَ ضَعْفٌ، وقَدْ تَقَدَّمَ مُصالَحَتُهُمْ عَلى مالٍ يُعْطُونَهُ في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ(١).

واخْتُلِفَ: هَل يَجُوزُ صُلحُهُمْ إلى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ؟ فقالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ ذَلِكَ إذا رَآهُ الإمامُ، وقالَتْ طائِفَةٌ: لا يَتَجاوَزُ في صُلحِهِمْ إلى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، وحُجَّتُهُمْ: أنّ حَظْرَ الصُّلحِ هُوَ الأَصْلُ بِدَلِيلِ آيَةِ القِتالِ، وقَدْ وَرَدَ التَّحْدِيدُ بِالعَشْرِ في حَدِيثِ ابنِ إسْحاقَ، فحَصَلَتِ الإباحةُ في هَذا المِقْدارِ مُتَحقِّقةً، وبقيتِ الزِّيادةُ على الأصل، وهُوَ الحَظْرُ.

وفيهِ: الصُّلحُ عَلى أَنْ يُرَدَّ المُسْلِمُ إلى دارِ الكُفْرِ، وهَذا مَنْسُوخٌ(٢) عِنْدَ أَبِي حَنِيفةَ بِحَدِيثِ سَرِيّةِ خالِدٍ حِينَ وجّهَهُ النّبيّ ﷺ إلى خَثْعَم، وفيهِمْ ناسٌ مُسْلِمُونَ فاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ، فقَتَلَهُمْ خالِدٌ، فَوَداهُمْ رسول الله ﷺ نِصْفَ الدِّيةِ، وقالَ: «أنا بَرِيءٌ مِنْ [كلِّ](٣) مُسْلِمٍ بَيْنَ مُشْرِكِين»(٤). وقالَ فُقَهاءُ الحِجازِ: هُوَ جائِزٌ، ولَكِنْ لِلخَلِيفةِ الأَكْبَرِ لا لِمَنْ دُونَهُ(٥).

وفيهِ: نَسْخُ السُّنّةِ بِالقُرْآنِ عَلى أَحَدِ القَوْلَيْنِ؛ فإنّ هَذا العَهْدَ كانَ(٦) يَقْتَضِي أَنْ لا يَأْتِيَهُ مُسْلِمٌ إلّا رَدَّهُ، فَنَسَخَ اللهُ تَعالى ذَلِكَ في النّساءِ خاصّةً، فقالَ عَزّ

---

(١) انظر: (٦: ٢٦٠).

(٢) في (أ)، (س): «وهو حديث منسوخ».

(٣) عن (أ)، (س).

(٤) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٤٥).

(٥) (أ): «لمن هو دونه».

(٦) «كان» ليست في (ف).

مِن قائلٍ: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، هَذا عَلى رِوايةِ عُقَيْلِ بنِ خالِدٍ، عَن الزّهْرِيّ؛ فإنّهُ قالَ في الحَدِيثِ: ألّا يَأْتِيَهُ أحَدٌ[1]، و«أحَدٌ» يَتَضَمّنُ الرِّجالَ والنّساءَ، والأحْسَنُ أنْ يُقالَ: في مِثْلِ هَذا تَخْصِيصُ عُمُومٍ لا نَسْخٌ، عَلى أنّ بَعْضَ حُذّاقِ الأُصُولِيّينَ قَدْ قالَ في العُمُومِ: إذا عُمِلَ بِمُقْتَضاهُ في عَصْرِ النّبِيّ ﷺ واعْتُقِدَ فيهِ العُمُومُ، ثُمّ ورَدَ التّخْصِيصُ؛ فهُوَ نَسْخٌ، وهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ، وفي رِوايةٍ أُخْرى: ألّا يَأْتِيَهُ رَجُلٌ. فهَذا اللّفْظُ لا يَتَناوَلُ النّساءَ.

وقالَتْ طائِفةٌ: إنّما اسْتَجازَ رسول الله ﷺ رَدّ المُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ في هَذا الصّلحِ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ إلى خُطّةٍ يُعَظّمُونَ فيها الحَرَمَ إلّا أجَبْتهمْ إلَيْها»، وفي رَدّ المُسْلِمِ إلى مَكّةَ عِمارةٌ للبَيْتِ، وزِيادةُ خَيْرٍ لَهُ في الصّلاةِ بِالمَسْجِدِ الحَرامِ والطّوافِ بِالبَيْتِ، فكانَ هَذا مِنْ تَعْظِيمِ حُرُماتِ اللهِ تبارك وتَعالى، فعَلى هَذا القَوْلِ يَكُونُ حُكْمًا مَخْصُوصًا بِمَكّةَ، وبِالنّبِيّ ﷺ، ويَكُونُ غَيْرَ جائِزٍ لِمَنْ بَعْدَهُ، كَما قالَ العِراقِيّونَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وهَذا عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ مَخْصُوصٌ بِنساءِ أهْلِ العَهْدِ والصُّلحِ، وكانَ الِامْتِحانُ أنْ تُسْتَحْلَفَ المَرْأةُ المُهاجِرةُ أنّها ما خَرَجَتْ ناشِزًا ولا هاجَرَتْ إلّا للهِ ولِرَسُولِهِ[2]، فإذا حَلَفَتْ لَمْ تُرَدّ، ورُدّ صَداقُها إلى بَعْلِها، وإنْ كانَتْ مِنْ غَيْرِ أهْلِ العَهْدِ لَمْ تُسْتَحْلَفْ، ولَمْ يُرَدّ صَداقُها.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الشروط: (٥: ٣١٢).

(٢) في (ف): «ورسوله».

وَفيهِ: أنّ رسول الله ﷺ مَحا اسْمَهُ، وهُوَ «رسول الله»، وكَتَبَ: «هَذا ما صالَحَ عَلَيْهِ مُحَمّدُ بنُ عبدِ اللهِ»؛ لِأَنّهُ قَوْلٌ حَقٌّ كُلُّهُ، وظَنَّ بَعْضُ النّاسِ أَنّهُ كَتَبَ بِيَدِهِ، وفي البُخاريّ أَنّهُ كَتَبَ، وهُوَ لا يُحْسِنُ الكِتابةَ[1]، فتَوَهّمَ أنّ اللهَ تبارك وتَعالى أطْلَقَ يَدَهُ بالكِتابةِ في تِلكَ السّاعةِ خاصّةً، وقالَ: هي آيةٌ، فيُقالُ لَهُ: كانَتْ تكُونُ آيةً لا تُنْكَرُ لَوْلا أنّها مُناقِضةٌ لِآيةٍ أُخرى، وهُوَ كَوْنُهُ أُمِّيًّا لا يكتب، وبِكَوْنِهِ أُمِّيًّا في أُمّةٍ أُمِّيّةٍ قامَتِ الحُجّةُ، وأُفْحِمَ الحاسد، وانْحَسَمَت الشُّبْهةُ، فكَيْفَ[2] يُطْلِقُ اللهُ تبارك وتعالى يَدَهُ فيكتُب لِتَكُونَ آيةً؟ وإنّما الآيةُ ألا يَكْتُبَ، والمُعْجِزاتُ يَسْتَحِيلُ أنْ[3] يَدْفَعَ بَعْضُها بَعْضًا، وإنّما مَعْنى: «كَتَبَ»؛ أيْ: أمَرَ أنْ يُكْتَبَ، وكانَ الكاتِبُ في ذَلِكَ اليَوْمِ عَلِيّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه.

وقد كتب له عدّةٌ مِنْ أصْحابِهِ ﷺ، مِنْهُمْ عبدُ اللهِ بنُ الأرْقَمِ، وخالدُ بنُ سعيد، وأخوه أبان، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أُبي بن سَلُولَ، وأُبَيُّ ابنُ كَعْبٍ القارئ، وقَدْ كَتَبَ لَهُ أيْضًا في بَعْضِ الأوْقاتِ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكَتَبَ لَهُ كَثِيرًا مُعاوِيةُ بنُ أَبِي سُفْيانَ بَعْدَ عامِ الفتح، وكتب له أيضًا الزّبيرُ بنُ العَوّامِ، ومُعَيْقِيبُ بنُ أَبِي فاطِمةَ، والمُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ، وشُرَحْبيلُ بنُ حَسَنةَ، وخالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وعمرو بن العاصي، وجُهيمُ بنُ الصَّلت، وعبد الله بن رَواحةَ، ومُحَمّدُ بنُ مَسْلَمةَ، وعبدُ اللهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، وحَنْظَلةُ الأُسَيْدِيّ، وهُوَ حَنْظَلةُ بنُ الرّبِيعِ، وفيهِ يَقُولُ الشّاعِرُ بَعْدَ مَوْتِهِ[4]: [من السريع]

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٩٩).

(٢) في (ب): «وكيف...».

(٣) في (ب): «أن لا».

(٤) مجهول القائل، والبيت أحد ثلاثة أبيات تمثلت بها امرأة حنظلة، رواها ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢: ٦٥) بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق. وانظرها في: «العقد الفريد» =

إنّ سَــوادَ العَيْــنِ أوْدى بِهِ   حُزْنٌ عَلــى حَنْظَلَةَ الكاتِبِ

والعَلاءُ بنُ الحَضْرَمِيّ، ذَكَرَهُمْ عُمَرُ بنُ شَبّةَ[1] في كِتابِ «الكُتّابِ» لَهُ.

وَأمّا قَوْلُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو: «ولا نكتبُ إلّا: بِاسْمِكَ اللهُمَّ»، فإنّها كَلِمةٌ كانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُها، ولِقَوْلِهِمْ لَها سَبَبٌ قَدْ ذَكَرْناهُ في كِتابِ «التّعْريفِ والإعْلامِ»[2]، وأوّلُ مَنْ قالَها أُمَيّةُ بنُ أَبِي الصّلتِ، ومِنْهُ تَعَلّمُوها، وتَعَلّمَها هُوَ مِنْ رَجُلٍ مِن الجِنّ في خَبَرٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ المَسْعُودِيّ[3]، وهُوَ الخَبَرُ الّذي لخّصناهُ في الكتابِ المذكور.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أنَّ في الكِتابِ: «وأنّ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ عَيْبةً مَكْفُوفةً، وأنْ لا[4] إسلالَ ولا إغلالَ».

قولُه: «عيبة مكفوفة»؛ أيْ: صُدُورٌ مُنْطَوِيةٌ عَلى ما فيها لا تُبْدِي عَداوةً، وضَرَبَ العَيْبةَ مَثَلًا، وقالَ الشّاعِرُ[5]: [من الطويل]

= (٤: ٢١٦)، و«تهذيب الكمال» (٧: ٤٤٣).

(١) هو عمر بن زيد، ولقبه: شَبّة، ويُكنى: أبا زيد، بصري، نزل بغداد، وكان مستقيم الحديث، عالمًا بالسير والأخبار والنحو. وله مؤلفات مذكورة، تُوفي سنة (٢٦٢هـ)، في نحو التسعين من عمره. انظر: «تهذيب الكمال» (٢١: ٣٨٦).

(٢) انظر: «التعريف والإعلام» عند تفسير الآية ١٧٥ من سورة آل عمران.

(٣) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (١: ٧١-٧٢)، (٢: ١٦١).

(٤) في (ف): «ولا».

(٥) البيت في ملحقات «ديوان بشر بن أبي خازم» (ص: ٢٣٠)، عن «أساس البلاغة» (٢: ١٥١)، ونُسِب في «المعاني الكبير» لابن قتيبة مع آخر قبله إلى الكميت: (١: ٥٢٧). وهو في «اللسان» (عيب) و(كفف) غير منسوب. وتَصْفَرُ: تخلو.

وَكادَتْ عِيابُ الوُدِّ مِنَّا ومنهمُ ‏ وإنْ قِيلَ أبناءُ العُمُومةِ تَصْفَرُ

وَقالَ ﷺ: «الأنْصارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي»، فضَرَبَ العَيْبةَ[١] مَثَلًا لِمَوْضِعِ السِّرّ وما يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ وُدِّهِمْ. والكَرِشُ: وِعاءٌ يُصْنَعُ مِنْ كَرِشِ البعير، يُجْعَلُ فيهِ ما يُطْبَخُ مِنَ اللّحْمِ، يُقالُ[٢]: ما وجَدْتُ لِهَذِهِ البَضْعةِ فاكَرِشٍ، أيْ: إنّ الكَرِشَ قَد امْتَلَأ، فلَمْ يَسَعْها فَمُهُ. ويُضْرَبُ هذا أيضًا مثلًا، كَما قالَ الحَجّاجُ: ما وجَدْتُ إلى دَمِ فُلانٍ فاكَرِشٍ[٣].

وَقَوْلُهُ: «لا إغْلالَ» هي الخِيانةُ، يُقالُ: فُلانٌ مُغِلّ الإصْبَعِ؛ أيْ: خائِنُ اليَدِ. قالَ الشّاعِرُ[٤]: [من الكامل]

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالوَفاءِ ولَمْ تَكُنْ ‏ بِالغَدْرِ خائِنةً مُغِلَّ الإصْبَعِ

والإسْلالُ: السّرِقةُ والخُلسةُ ونَحْوُها، وهي السَّلّةُ، قالُوا في المَثَلِ: الخَلّةُ تدعو إلى السّلّة[٥].

فَصْلٌ

وذَكَرَ خُرُوجَ أَبِي جَنْدَلٍ إلى المسلمين يرسُفُ في قُيُودِهِ.

أبو جَنْدَل هو: العاصي بنُ سُهَيْلٍ، وأمّا أخُوهُ عبدُ اللهِ بنُ سُهَيْلٍ، فكانَ قَدْ

(١) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ١٢٠-١٢١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة: (٤: ١٩٤٩).

(٢) في (ب)، (ص): «يقال فيه».

(٣) «المستقصى» للزمخشري: (٢: ٣٠٠)، و«النهاية» لابن الأثير: (كرش).

(٤) البيت لرجلٍ من بني كلاب؛ كما في «الكامل» للمبرد: (١: ٢٨١). (ج)

(٥) «مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٢٤١)، و«لسان العرب» (سلل). الخلة: الفقر. أراد: الفقر يدعو إلى دناءة الكسب. وقد يراد بالسلّة: سَلّ السيوف.

فرّ يَوْمَ بَدْرٍ إلى المُسْلِمينَ، فلَحِقَ بِهِمْ، وشَهِدَ بَدْرًا والمَشاهِدَ كُلَّها، وقُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ شَهيدًا[١]، وأمّا أبُو جَنْدَلٍ، فاسْتُشْهِدَ مَعَ أبِيهِ بالشّامِ في خِلافةِ عُمَرَ رضي الله عنه، وهُوَ الّذي شَرِبَ الخَمْرَ مُتأوِّلًا لِقَوْلِهِ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فجَلَدَهُ أبُو عُبَيْدَةَ بِأمْرِ عُمَرَ وجَلَدَ صاحِبَهُ، وهُوَ ضِرارٌ، ثُمّ إنّ أبا جَنْدَلٍ أشْفَقَ مِنَ الذّنْبِ حَتّى قالَ: لَقَدْ هَلَكْت، فبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فكَتَبَ إلَيْهِ: إنّ الّذِي زَيّنَ لَك الخَطِيئَةَ هُوَ الّذِي حَظَرَ عَلَيْك التوبة: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ١-٣]. وكانَ شَرِبَها مَعَهُ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ، وأبُو الأزْوَرِ، فلَمّا أمَرَ عُمَرُ أنْ يُحَدُّوا، قالُوا: دَعْنا نَلقى العَدُوّ، فإنْ قُتِلنا فذاكَ، وإلّا حَدَدْتُمُونا، فقُتِلَ أبُو الأزْوَرِ، وحُدَّ الآخَرانِ[٢].

فَصْلٌ

وقَوْلَ عُمَرَ: «فَلِمَ نُعْطى الدّنِيّةَ في دِينِنا؟!» هي فعِيلةٌ مِنَ الدّناءةِ، وأصْلُها الهَمْزُ، وفي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ أنّ النّبِيّ ﷺ قالَ لِعُمَر رضي الله عنه: «إنّي عبدُ اللهِ، ولَسْت أعْصِيه، وهُوَ ناصِرِي»، وأنّهُ أتى أبا بَكْرٍ فقالَ لَهُ مِثْلَ ما قالَ لِلنّبِيّ ﷺ، فجاوَبَهُ أبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِمِثْلِ ما جاوَبَهُ النّبِيّ ﷺ حَرْفًا بِحَرْفٍ، ثُمّ قالَ لَهُ: استَمْسِكْ بغَرْزِهِ يا عُمَرُ؛ فإنه والله على الحقِّ، قالَ عُمَرُ: وَما شَكَكْتُ مُنْذُ أسْلَمْتُ إلّا تِلكَ السّاعةَ[٣].

---

(١) «أسد الغابة» (٣: ٢٧١).

(٢) «أسد الغابة» (٥: ٥٤-٥٦).

(٣) «فتح الباري»، كتاب الشروط: (٥: ٣٣٢)، و«المغازي» للواقدي: (٢: ٦٠٦-٦٠٧).

وفي هَذا: أنّ المُؤْمِنَ قَدْ يَشُكّ، ثُمّ يُجَدِّدُ النّظَرَ في دَلائِلِ الحَقّ فيَذْهَبُ شَكُّهُ، وقَدْ رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ أنّهُ قالَ: هُوَ شَيْءٌ لا يَسْلَمُ مِنْهُ أحَدٌ، ثُمّ ذَكَرَ ابنُ عَبّاسٍ قَوْلَ إبْراهِيمَ عليه السلامُ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ولَوْلا الخُرُوجُ عَمّا صَمَدْنا إلَيْهِ في هَذا الكتاب لَذَكَرْنا ما لِلعُلَماءِ في قَوْلِ إبْراهِيمَ عليهِ السلامُ: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، وذَكَرْنا النّكْتَةَ العُظْمى في ذَلِكَ، ولَعَلّنا أنْ نُلفِيَ لَها مَوْضِعًا، فنَذْكُرَها. والشّكُّ الّذِي ذَكَرَهُ عُمَرُ وابن عباس ما لا يُصِرُّ عَلَيْهِ صاحِبُهُ، وإنّما هُوَ مِنْ بابِ الوَسْوَسَةِ الّتِي قالَ فِيها عَلَيْهِ السّلامُ مُخْبِرًا عَنْ إبْلِيسَ: «الحَمْدُ للهِ الّذِي رَدّ كَيْدَهُ إلى الوَسْوَسَةِ»[1].

وَفي غَيْرِ رِوايَةِ ابنِ إسْحاقَ مِنَ الصَّحِيحِ: أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ دَخَلَ عَلى أُمِّ سَلَمَةَ، فشَكا إلَيْها ما لَقِيَ مِنَ النّاسِ حِينَ أمَرَهُمْ أنْ يَحْلِقُوا ويَنْحَرُوا، فلَمْ يَفْعَلُوا؛ لِما بِهِمْ مِنَ الغَيْظِ، فقالَتْ: يا رسول الله، اخْرُجْ إلَيْهِمْ، فلا تُكَلِّمْهُمْ حَتّى تَحْلِقَ وتَنْحَرَ؛ فإنّهُمْ إذا رَأَوْك قَدْ فعَلتَ ذَلِكَ، لَمْ يُخالِفُوك. ففَعَلَ ﷺ، وفَعَلَ النّاسُ[2]، [وكانَ الّذِي حَلَقَ رَأْسَ رسول الله ﷺ في ذَلِكَ اليَوْمِ خِراشَ بنَ أُمَيّةَ الخُزاعِيَّ، وهُوَ الّذِي كانَ بَعَثَهُ رسول الله ﷺ إلى مَكّةَ يَوْمَئِذٍ فعَقَرُوا جَمَلَهُ، وأرادُوا قَتْلَهُ، فحِينَئِذٍ بَعَثَ إلَيْهِمْ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ][3]، ففِي تَرْكِهِمْ لِلبِدارِ دَلِيلٌ عَلى أنّ الأمْرَ لَيسَ عَلى الفَوْرِ، كَما ذَهَبَ إلَيْهِ بَعْضُ الأُصُولِيّينَ.

وفيهِ: أنّهُمْ حَمَلُوا الأمْرَ عَلى غَيْرِ الوُجُوبِ بقَرِينَةٍ؛ وهي أنّهُمْ رَأَوْهُ لم

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الأدب: (٤: ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) «فتح الباري»، كتاب الشروط: (٥: ٣٣٢).

(٣) سقط من (ج)، (ص).

يحلِقْ، [ولم ينحَرْ][(١)]، ولَمْ يُقَصِّرْ، فلَمّا رَأَوْهُ قَدْ فعَلَ اعْتَقَدُوا وُجوبَ الأمْرِ وامْتَثَلُوهُ[(٢)].

وفيهِ: إباحةُ مُشاوَرةِ النِّساءِ؛ وذَلِكَ أنَّ النَّهْيَ عَنْ مُشاوَرَتِهِنّ إنّما هُوَ عِنْدَهُمْ في أمْرِ الوِلايةِ خاصّةً، كَذَلِكَ قالَ أبُو جَعْفَرٍ النّحّاسُ في شَرْحِ هَذا الحَدِيثِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ اسْتِغْفارَ رسول الله ﷺ لِلمُحَلِّقِينَ ثَلاثًا ولِلمُقَصِّرينَ مَرّةً واحِدةً. ولَمْ يَكُن المُقَصِّرُون يَوْمَئِذٍ مِنْ أصْحابِهِ إلّا رَجُلَيْنِ؛ أحَدُهُما عُثْمانُ بنُ عَفّانَ، والآخَرُ أبُو قَتادةَ الأنْصارِيّ، كَذَلِكَ جاءَ في مُسْنَدِ حَدِيثِ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أبِي بَصِيرٍ، واخْتُلِفَ في اسْمِهِ؛ فقِيلَ: عُبَيْدُ بنُ أَسِيدِ بنِ جارِيةَ، وقِيلَ: عُتبة[(٣)].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ رسول الله ﷺ لَهُ حِينَ قَتَلَ أحَدَ الرّجُلَيْنِ: «ويْلُ أُمِّهِ مِحَشّ حَرْبٍ». وفي الصّحِيحِ: «ويْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ»[(٤)]، يُقالُ: حَشَشْتُ النّارَ، وأرّثْتُها، [وأذْكَيْتُها][(٥)]، وأثْقَبْتُها، وسَعّرْتُها؛ بِمَعْنًى واحِدٍ، وسُمِّيَ الأسْعَرُ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) «أسد الغابة» (٢: ١٢٥-١٢٦).

(٣) «أسد الغابة» (٦: ٣٥)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ٢٢٢).

(٤) «فتح الباري»، كتاب الشروط: (٥: ٣٣٢).

(٥) ليس في (ب).

الجُعْفيُّ: أَسْعَرَ بِقَوْلِهِ[١]: [من الطويل]

فَلا يدعُنِي قومي لسعدِ بنِ مالكٍ لَئِنْ أنا لَمْ أَسْعَرْ عَلَيْهِمْ وأُثْقِبِ

وَكانَ اسْمُهُ: مَرْثَدَ بنَ حُمْرانَ[٢]، ومالِكٌ في هَذا البَيْتِ: هُو مَذْحِج.

وأمّا لُحُوقُ أبِي بَصِيرٍ بِسِيْفِ البَحْرِ، ففي رِوايةِ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أنّهُ كانَ يُصلِّي [بِأَصْحابِهِ][٣] هُنالِكَ، حَتّى لَحِقَ بِهِمْ أبُو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلٍ فقَدَّمُوهُ؛ لأَنّهُ قُرَشِيّ، فلَمْ يَزَل أَصْحابُهُ يَكْثُرُونَ، حَتّى بَلَغُوا ثَلاثَ مِئةٍ، وكانَ أَبُو بَصِيرٍ كَثِيرًا ما يَقُولُ[٤]: [من الرجز]

هُنالِكَ اللهُ العَلِيُّ الأَكْبَرُ مَنْ يَنْصُرِ اللهَ فَسَوْفَ يُنْصَرُ

فلَمّا جاءَهُم الفَرَجُ مِنَ اللهِ، وكَلّمَتْ قُرَيْشٌ رسول الله ﷺ أنْ يُؤْوِيَهُمْ إِلَيْهِ لَمّا ضَيّقُوا عَلَيْهِمْ، ورَدَ كِتابُ النّبيّ ﷺ وأبُو بَصِيرٍ في المَوْتِ يَجُودُ بنَفْسِهِ، فأُعْطِي الكِتابَ، فجعَلَ يقرؤُهُ ويُسَرُّ به حَتّى قُبِضَ والكِتابُ على صَدْرِهِ، فبُنِيَ عَلَيْهِ هُنالكَ مَسْجِدٌ، يَرْحَمُهُ اللهُ.

وَفي الحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ «السِّيرةِ»: أنّ المُسْلِمِينَ حِينَ حَلَقُوا في ذَلِكَ اليَوْمِ وهُمْ بِالحِلِّ قَدْ مُنِعُوا أنْ يَدْخُلُوا الحَرَمَ، جاءَتِ الرّيحُ فاحْتَمَلَتْ شُعُورَهُمْ حتى أَلقَتْها في الحَرَمِ[٥]، فاسْتَبْشَرُوا بِقَبُولِ اللهِ عُمْرَتَهُمْ. ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ[٦].

(١) البيت في «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٤٠٨)، و«سمط اللآلي» للبكري: (١: ٩٤)، و«اللسان» (سعر).

(٢) شاعر جاهلي كما في «سمط اللآلي».

(٣) مكانه في (ب): «إلى».

(٤) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر: (٤: ١٦١٢-١٦١٤).

(٥) في (ب): «بالحرم».

(٦) لم أجده.

والعُمْرةُ مُشْتَقّةٌ مِنْ عِمارةِ المَسْجِدِ الحَرامِ، وبُنِيَتْ عَلى فُعْلةٍ؛ لِأنّها في مَعْنى قُرْبةٍ ووُصْلةٍ إلى اللهِ تَعالى، ولَيْسَ قَوْلُ مَنْ قالَ: «إنّها الزّيارةُ في اللّغةِ» بِبَيّنٍ، ولا في قَوْلِ الأعْشى حُجّةٌ لَهُمْ؛ لِأنّهُ مُحْتَمَلٌ للتّأْوِيلِ، وهُوَ قَوْلُهُ[1]:

[من البسيط]

وراكِبٌ جاءَ مِـنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ

فَصْلٌ

ومِمّا يُسْأَلُ عَنْهُ في حَدِيثِ أَبِي بَصِيرٍ: قَتْلُهُ الرّجُلَ الكافِرَ وهُوَ في العَهْدِ: أكانَ ذَلِكَ حَرامًا أمْ مُباحًا لَهُ؟ وظاهِرُ الحَدِيثِ رَفْعُ الحَرَجِ عَنْهُ؛ لِأنّ رسول الله ﷺ لَمْ يُثَرِّبْ [عليه][2] بَل مَدَحَهُ، وقالَ: «ويْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ».

فإنْ قِيلَ: وكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ جائِزًا لَهُ وقَدْ حَقَنَ الصُّلحُ الدِّماءَ؟

قُلنا: إنّما ذَلِكَ في حَقّ أَبِي بَصِيرٍ عَلى الخُصُوصِ؛ لِأنّهُ دافَعَ عَنْ نَفْسِهِ ودِينِهِ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ[3] فهُوَ شَهِيدٌ، وإنّما لَمْ يُطالِبْهُ رسول الله ﷺ بِدِيةٍ؛ لأن أوْلِياءَ المَقْتُولِ لَمْ يُطالِبُوهُ، إمّا لِأنّهُمْ كانُوا قَدْ أسْلَمُوا، وإمّا لِأنّ اللهَ شَغَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ حَتّى انْتَكَثَ العَهْدُ وجاءَ الفَتْحُ.

---

(١) البيت لأعشى باهلة، وهو عامر بن الحارث، من قصيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، وقيل: إنها لدعجاء أخت المنتشر، وصدره:

وجاشــت النفسُ لما جاء جمعهمُ

والقصيدة شرحها المبرد في «الكامل» (٣: ١٤٣١-١٤٣٢). وانظر: «طبقات ابن سلام» (ص: ٢١١-٢١٢). وتثليث: موضع قرب مكة.

(٢) من (ص)، (ج)، (ف). وثَرَّب عليه: لامَه.

(٣) في (ف): «دمه».

فَإنْ قِيلَ: فإنّ رسول الله ﷺ كانَ يَدِي مَنْ قُتِلَ خَطَأً مِنْ أَهْلِ الصُّلحِ؛ كَما ودى العامِرِيّيْنِ وغَيْرَهُما.

قُلنا: على[1] هذا جوابانِ:

أحدهما: أنَّ أبا بَصِيرٍ قَدْ كانَ رَدَّهُ إلى المُشْرِكِينَ، فصارَ في حُكْمِهِمْ، ولَمْ يَكُنْ في فِئَةِ المُسْلِمِينَ وحِزْبِهِمْ، فيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِما يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ.

والجَوابُ الثّانِي: أنّهُ كانَ قَتْلَ عَمْدٍ، ولَمْ يَكُنْ قَتْلَ خَطَإٍ، كَما كانَ قَتْلُ العامِرِيّيْنِ، وقَدْ قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضي الله عنه: لا تَعْقِلُ العاقِلَةُ عَمْدًا ولا عبْدًا.

فَصْلٌ

وقَوْلُ[2] عُمَرَ لِلنّبِيّ ﷺ: أَلَمْ تَعِدْنا أَنّا نأْتِي البَيْتَ، ونَطّوَّفُ بِهِ؟ فقالَ: «نعَمْ»، وذَكَرَ الحَدِيثَ. كانَ رسول الله ﷺ قَدْ أُرِيَ ذَلِكَ في مَنامِهِ، ورُؤْيا الأنْبياءِ وحْيٌ[3]، ثُمّ أنْزَلَ اللهُ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [الفتح: ٢٧].

ويُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: ما فائِدةُ هَذا الِاسْتِثْناءِ وهُوَ خَبَرٌ واجِبٌ؟

وفي الجَوابِ أقْوالٌ:

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) لم أجد قول عمر في «السيرة»، وهو في «صحيح البخاري»، كتاب الشروط. انظر: «فتح الباري» (٥: ٣٣٢)، وانظر كذلك: «أحكام القرآن» لابن العربي: (٤: ١٢١).

(٣) في (ف): «حق».

أَحَدُها: أَنّهُ راجِعٌ إلى قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا إلى نَفْسِ الدُّخولِ، وهَذا ضَعِيفٌ؛ لِأنّ الوَعْدَ بِالأمانِ قَدِ انْدَرَجَ في الوعد بالدُّخول.

الثّانِي: أنّهُ وعْدٌ عَلى الجُمْلةِ، والِاسْتِثْناءُ راجِعٌ إلى التّفْصِيلِ؛ إذْ لا يَدْرِي كُلُّ إنْسانٍ مِنْهُمْ هَل يَعِيشُ إلى ذَلِكَ أمْ لا، فرَجَعَ الشَّكُّ إلى هَذا المَعْنى، لا إلى الأمْرِ[1] المَوْعُودِ بِهِ.

وقِيلَ: إنّما هُوَ تَعْلِيمٌ لِلعِبادِ أنْ يَقُولُوا هَذِهِ الكَلِمةَ، ويستعملونها في كُلّ فِعْلٍ مُسْتَقْبَلٍ، أعْنِي: إنْ شاءَ اللهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ بَيْعةَ الشَّجَرةِ، وسَبَبَها، ولَمْ يَذْكُرْ أوّلَ مَنْ بايَعَ، وذَكَرَ الواقِدِيُّ [أنّ][2] أوّلَ مَنْ بايَعَ بَيْعةَ الرِّضْوانِ سِنانُ بنُ أبِي سِنانٍ الأسدي، وقال موسى بن عُقْبةَ: أوّلُ مَنْ بايَعَ أبُو سِنانٍ، واسْمُهُ: وهبُ بنُ مِحصَنٍ أخو عكّاشة بن مِحْصَنٍ الأسَدِيّ، وقالَ الواقِدِيّ: كانَ أبُو سِنانٍ أسَنّ مِنْ أخِيهِ عُكّاشةَ بِعَشْرين سنة، شَهِدَ بَدْرًا، وتُوُفّيَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظةَ، ويُرْوى أنّهُ حين قال لِلنّبِيّ ﷺ: ابْسُطْ يَدَكَ أُبايِعْكَ، قالَ: «عَلامَ تُبايِعُنِي؟» قالَ: عَلى ما في نَفْسِك يا رسول الله[3]، وأمّا سِنانٌ ابنُهُ، فهُوَ أيْضًا بَدْرِيٌّ، ماتَ سَنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ[4].

وأمّا مُبايَعَتُهُمْ رسول الله ﷺ[5]، وكانُوا ألفًا وأرْبَعَ مِئةٍ في إحْدى الرّوايَتَيْنِ

(١) في (ب): «إلى أمر».

(٢) سقط من (أ).

(٣) «المغازي» (٢: ٦٠٣).

(٤) انظر: «أسد الغابة» ترجمة سنان: (٢: ٤٦٠)، وترجمة (أبو سنان): (٦: ١٥٧).

(٥) في (ف) زيادة: «تحت الشجرة».

عَنْ جابِرٍ، وألفًا وخَمْسَ مِئةٍ في الرّوايةِ الأُخْرى عَنْهُ، فبايَعُوهُ في قَوْلِ جابرٍ عَلى ألّا يَفِرُّوا، قالَ: ولَمْ نُبايعه عَلى المَوْتِ. وقالَ سَلَمةُ بنُ الأكْوَعِ: بايَعْنا رسول الله ﷺ على الموت، قال التّرْمِذِيّ: وكِلا الحَدِيثينِ صَحِيحٌ؛ لِأنّ بَعْضَهُمْ بايَعَ عَلى ألّا يفِرّوا، ولَمْ يَذْكر المَوْتَ، وبعضُهم قال: أُبايعُك[١] على الموتِ.

فَصْلٌ

ومِمّا قالَهُ أبُو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلٍ أيّامَ كَوْنِهِ مَعَ أبِي بَصِيرٍ بِسِيْفِ البَحْرِ: [من السريع]

أبْلِغْ قُرَيْشًا عَنْ أبِي جَنْدَلٍ ... أنّا بِذِي المَرْوةِ فالسّاحِلِ
فِي مَعْشَرٍ تَخْفِقُ أيْمانُهُمْ ... بِالبِيضِ فيها والقَنا الذّابِلِ
يَأْبَوْنَ أنْ تَبْقى لَهُمْ رُفْقةٌ ... مِنْ بَعْدِ إسْلامِهِمِ الواصِلِ
أوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُمْ مَخْرَجًا ... والحَقُّ لا يُغْلَبُ بِالباطِلِ
فَيَسْلَمُ المَرْءُ بِإسْلامِهِ ... أو يُقْتَلُ المرءُ ولم يأْتَلِ[٢]

* * *

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر: (٢: ٦٤٠).

(٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر: (٤: ١٦٢٢).

ذِكْرُ المَسِيرِ إلى خَيْبَرَ في المُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ

[الخُرُوجُ إلى خَيْبَرَ]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمَدِينةِ حِينَ رَجَعَ مِن الحُدَيْبِيةِ ذا الحَجّةِ، وبَعْضَ المُحَرَّمِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ، ثُمَّ خَرَجَ في بَقِيّةِ المُحَرَّمِ إلى خَيْبَرَ.

[اسْتِعْمالُ نُمَيْلَةَ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ نُمَيْلَةَ بنَ عَبْدِ اللهِ اللَّيْثِيَّ، ودَفَعَ الرّايةَ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكانَتْ بَيْضاءَ.

غَزْوةُ خَيْبَرَ

ذَكَرَ[١] البَكْرِيُّ أنّ أرْضَ خَيْبَرَ سُمِّيَتْ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنَ العَمالِيقِ نَزَلَها، وهُوَ خَيْبَرُ بنُ قانِئةَ بنِ مَهْلائِيلَ[٢]، وكَذَلِكَ قالَ في الوَطِيحِ[٣] ـ وهُوَ مِنْ حُصُونِها ـ: إنّهُ سُمِّيَ بِالوَطِيحِ بنِ مازِنٍ، رَجُلٌ مِنْ ثَمُودَ، ولَفْظُهُ مأخوذٌ مِن الوَطْحِ، وهُوَ ما تَعَلَّقَ بِالأظلافِ، ومَخالِبِ الطَّيْرِ مِن الطِّينِ.

---

(١) في (ف): «وذكر».

(٢) «معجم ما استعجم» (١: ٥٢٣).

(٣) «معجم ما استعجم» (٢: ١٣٨٠).

[ارْتِجازُ ابنِ الأكْوَعِ، ودُعاءُ الرَّسُولِ لَهُ، واسْتِشْهادُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ، عَنْ أبي الهَيْثَمِ بنِ نَصْرِ بنِ دَهْرٍ الأسْلَمِيِّ، أنَّ أباهُ حَدَّثَهُ: أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ في مَسِيرِهِ إلى خَيْبَرَ لِعامِرِ بنِ الأكْوَعِ ـ وهُوَ عَمُّ سَلَمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الأكْوَعِ، وكانَ اسْمَ الأكْوَعِ: سِنانٌ ـ: «انْزِلْ يا ابنَ الأكْوَعِ، فخذ لَنا مِنْ هَناتِكَ»، قالَ: فَنَزَلَ يَرْتَجِزُ برَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ:

واللهِ لَوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

إنّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا ... وإنْ أرادُوا فِتْنَةً أبَيْنا

فَأنْزِلَنْ سَكِينةً عَلَيْنا ... وثَبِّت الأقْدامَ إنْ لاقَيْنا

فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُكَ اللهُ». فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: وجَبَتْ واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أمْتَعْتَنا بِهِ! فقُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ شَهِيدًا، وكانَ قَتْلُهُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ أنَّ سَيْفَهُ رَجَعَ عَلَيْهِ وهُوَ يُقاتِلُ، فكَلَمَهُ كَلْمًا شَدِيدًا، فماتَ مِنْهُ، فكانَ المُسْلِمُونَ قَدْ شَكُّوا فيهِ، وقالُوا: إنَّما قَتَلَهُ سِلاحُهُ، حَتّى سَألَ ابنُ أخِيهِ سَلَمَةُ بنُ عَمْرِو بنِ الأكْوَعِ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذلك، وأخْبَرَهُ بِقَوْلِ النّاسِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّهُ لَشَهِيدٌ»، وصَلّى عَلَيْهِ، فصَلّى عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ قَوْلَهُ ﷺ لِسَلَمَةَ بنِ الأكوع: «أسمِعنا من هَناتِك». الهَنةُ: كِنايةٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لا تَعْرِفُ اسْمَهُ، أوْ تَعْرِفُهُ، فتُكَنِّي عَنْهُ، وأصْلُ الهَنةِ: هَنْهةٌ

وهَنْوةٌ. قالَ الشّاعِرُ[١]: [من الطويل]

عَلى هَنواتٍ شَـأْنُها مُتَتابعُ

وَفي البُخارِيّ: أنّ رَجُلًا قالَ لِابنِ الأكْوَعِ: ألا تَنْزِلُ فتُسْمِعَنا مِنْ هُنَيْهاتِكَ[٢]، صَغّرَهُ بِالهاءِ، ولَوْ صَغّرَهُ عَلى لُغةِ مَنْ قالَ: هَنواتٍ، لَقالَ: هُنَيّاتِك، وإنّما أرادَ عليه السلام أنْ يَحْدُوَ بِهِمْ، والإبِلُ تُسْتَحَثُّ بِالحُداءِ، ولا يَكُونُ الحُداءُ إلّا بِشِعْرٍ أوْ رَجَزٍ، وقَدْ ذَكَرْنا أوّلَ مَنْ سَنَّ حُداءَ الإبِلِ، وهُوَ مُضَرُ بنُ نزارٍ، والرّجَزُ شِعْرٌ، وإنْ لَمْ يَكُنْ قَرِيضًا، وقَدْ قِيلَ: لَيْسَ بِشِعْرٍ، وإنّما هي أشْطارُ أبْياتٍ، وإنّما الرّجَزُ الّذِي هُوَ شِعْرٌ سُداسِيّ الأجْزاءِ، نَحْو [مَقْصُورةِ ابنِ دُرَيْدٍ، أوْ رُباعِيّ الأجْزاءِ][٣]، نَحْو قَوْلِ الشاعر[٤]: [من مجزوء الرجز]

يا مُرَّ يا خَيــرَ أخٍ   نازعتَ دَرَّ الحَلَمهْ

واحْتَجّ مَنْ قالَ في مَشْطُورِ الرّجَزِ: «إنّهُ لَيْسَ بِشِعْرٍ» أنّهُ قَدْ جَرى عَلى لِسانِ النّبِيّ ﷺ، وكانَ لا يَجْرِي عَلى لِسانِهِ الشِّعْرُ، وقَدْ رُوِيَ أنّهُ أنْشَدَ هَذا الرّجَزَ الّذِي قالَهُ ابنُ الأكْوَعِ في هَذا الحَدِيثِ، وقالَ أيْضًا ـ إمّا مُتَمَثّلًا، وإمّا مُنْشِئًا[٥] ـ: [من الرجز]

---

(١) البيت مجهول القائل، وهو من «شواهد سيبويه» (٣: ٨١)، وفي «المقتضب» (٢: ٢٧٠)، و«المنصف» (٣: ١٣٩)، وصدره:

أرى ابن نزار قد جفاني وملّني

(٢) «صحيح البخاري» كتاب المغازي، حديث رقم (٤١٩٦).

(٣) سقط من (ب).

(٤) لأخت سعد بن قرط العبدي كما في «الوحشيات ـ الحماسة الصغرى» لأبي تمام: (ص: ١٤٠)، واسمها: تنهان؛ كما في «أشعار النساء» للمرزباني: (ص: ٩٣). (ج)

(٥) «فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ١٨-١٩).

هَل أنْتِ إلّا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ؟

وَ[في][١] هَذا الرَّجز مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ مِمّا[٢] وقَعَ في البُخارِيّ[٣] وغَيْرِهِ: [من الرجز]

فاغْفِرْ فِداءً لَك ما أبْقَيْنا

وَيُرْوى: «ما اقْتَفَيْنا»؛ أيْ: ما تَتَبّعْنا مِنَ الخَطايا، مِنْ قَفَوْتُ الأثَرَ، [واقْتَفَيْتُهُ][٤]، وفي التّنْزيلِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وأمّا قَوْلُهُ: «ما أبْقَيْنا»؛ أيْ: ما خَلّفْنا مِمّا اكْتَسبنا، أوْ يَكُونُ مَعْناهُ: ما أبْقَيْنا من الذُّنوب، فلَمْ نُحقّقِ التّوْبةَ مِنْهُ كَما يَنْبَغِي.

وَقَوْلُهُ: «فِداءً لَك»، قَدْ قِيلَ: إنّ الخِطابَ لِلنّبيّ ﷺ؛ أيْ: اغْفِرْ لَنا تَقْصِيرَنا في حَقّك وطاعَتِك؛ إذْ لا يُتَصوّرُ أنْ يُقالَ للهِ تَبارَكَ وتَعالى مِثْلُ هَذا الكَلامِ، وذَلِكَ أنّ مَعْنى قَوْلِهِمْ: «فِداءً لَك»، أيْ: فِداءً لَك أنْفُسنا وأهْلُونا، وحُذِفَ الِاسْمُ المُبْتَدَأُ لِكَثْرةِ دَوْرِهِ في الكَلامِ مَعَ العِلمِ به، وإنما يَفْدِي الإنْسانُ بِنَفْسِهِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الفَناءُ.

وَأقْرَبُ ما قِيلَ فيهِ مِنَ الأقْوالِ إلى الصّوابِ: أنّها كَلِمةٌ يُتَرْجَمُ بِها عَنْ مَحَبّةٍ وتَعْظِيمٍ، فجازَ أنْ يُخاطَبَ بِها مَنْ لا يَجُوزُ في حَقّهِ الفِداءُ، ولا يَجُوزُ عَلَيْهِ الفَناءُ؛ قَصْدًا لِإظْهارِ المَحَبّةِ والتّعْظِيمِ لَهُ، وإنْ كانَ أصْلُ الكَلِمةِ ما ذَكَرْنا،

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ج): «ما».

(٣) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٦٤-٤٦٦)، ومسلم كتاب الجهاد: (ص: ١٤٢٧-١٤٢٩).

(٤) مكانه في (ب): «إذا تتبعته».

فرُبّ كَلِمةٍ تُركَ أصْلُها واستُعملتْ كالمَثل في غَيْرِ ما وُضِعَتْ لَهُ أوّلَ، كَما جاؤوا بلَفْظِ القَسَمِ في غَيْرِ مَوْضِعِ القَسَمِ، إذا أرادُوا تَعَجُّبًا أو[1] اسْتِعْظامًا لِأمْرٍ، كَقَوْلِهِ ﷺ في حَدِيثِ الأعْرابِيّ مِنْ رِوايةِ إسْماعِيلَ بنِ جَعْفَرٍ: «أفْلَحَ وأبِيهِ إنْ صَدَقَ»[2]، ومُحالٌ أنْ يَقْصِدَ عليه السّلامُ القَسَمَ بغَيْرِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى، لا سِيّما برَجُلٍ ماتَ عَلى الكُفْرِ، وإنّما هُوَ تَعَجُّبٌ مِنْ قَوْلِ الأعْرابِيّ، والمُتَعَجَّبُ مِنْهُ مُسْتَعْظَمٌ، ولَفْظُ القَسَمِ في أصْلِ وضْعِهِ لِما يُعَظَّمُ، فاتّسَعَ في اللفظ حتّى قِيل على هذا الوَجْهِ. وقالَ الشّاعِرُ[3]: [من الطويل]

فَإنْ تَكُ لَيْلى اسْتَوْدَعَتْنِي أمانةً فَلا وأبِي أعْدائِها لا أخُونُها

لَمْ يُرِدْ أنْ يُقْسِمَ بأبِي أعْدائِها، ولَكِنّهُ ضَرْبٌ مِن التّعَجُّبِ، وقَدْ ذَهَبَ أكْثَرُ شُرّاحِ الحَدِيثِ إلى النَّسْخِ في قَوْله: «أفْلَحَ وأبيهِ [إن صدق»][4]، قالُوا: نَسَخَهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «لا تَحْلِفُوا بآبائِكُمْ»[5]، وهَذا قَوْلٌ لا يَصِحُّ؛ لِأنّهُ يُثْبِتُ أنّ النبيَّ[6] ﷺ كان يَحْلِفُ قَبْلَ النّسْخِ بِغَيْرِ اللهِ، ويُقْسِمُ بِقَوْمٍ كُفّارٍ، وما أبْعَدَ هَذا مِنْ شِيَمِهِ ﷺ! تاللهِ ما فعَلَ هَذا قطُّ، ولا كان لَهُ بِخُلُقٍ!

وقالَ قَوْمٌ: رِوايةُ إسْماعِيلَ بنِ جَعْفَرٍ مُصَحَّفةٌ، وإنّما «هُوَ أفْلَحَ واللهِ إنْ صَدَقَ». وهَذا أيْضًا مُنْكَرٌ مِنَ القَوْلِ، واعْتِراضٌ عَلى الأثْباتِ العُدُولِ فيما

---

(١) في (ف): «و».

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان: (١: ٤١).

(٣) أنشده أحمد بن يحيى ثعلب مع أبيات. انظر: «الأمالي» لأبي علي القالي: (١: ٧٠)، و«سمط اللآلي» (١: ٢٤٥).

(٤) ليس في (ب)، (ص).

(٥) أخرجاه في كتاب الأيمان، «فتح الباري» (١١: ٥٣)، ومسلم: (٣: ١٢٦٦-١٢٦٧).

(٦) في (ف): «أن رسول الله».

حَفِظُوا، وقَدْ خَرَّجَ مُسْلِمٌ في كِتابِ الزّكاةِ قَوْلَهُ ﷺ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ: أيُّ الصّدَقةِ أَفْضَلُ؟ فقالَ: «وأبِيك لأُنبئَنَّك» أوْ قالَ: «لَأُخْبِرَنَّكَ»[١]، وذَكَرَ الحَدِيثَ، وخَرَّجَ في كِتابِ البِرّ والصّلةِ قَوْلَهُ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ: مَنْ أحَقّ النّاسِ بِأنْ أبَرّهُ، أوْ قالَ: أن أصِلَهُ؟ قالَ: «وأبِيك لأنبئَنّك، صِلْ أُمّك، ثُمّ أباك، ثُمّ أدْناك فأدْناك»[٢]، فقالَ في هَذِهِ الأحادِيثِ ـ كَما تَرى ـ: «وأبِيك»، فلَمْ يَأْتِ إسْماعِيلُ بن جَعْفَرٍ إذًا في رِوايَتِهِ بِشَيْءٍ إمْرٍ[٣]، ولا بِقَوْلٍ بِدْعٍ، وقَدْ حَمَلَ عَلَيْهِ في رِوايَتِهِ رَجُلٌ[٤] مِنْ عُلَماءِ بِلادِنا وعُظَماءِ مُحَدِّثِيها، وغَفَلَ ـ عَفا اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ الحَدِيثَيْنِ اللّذَيْنِ تَقَدّمَ ذِكْرُهُما، وقَدْ خَرّجَهُما مُسْلِمُ بنُ الحَجّاجِ.

وفي تَراجِمِ أبِي داوُدَ في كِتابِ الأيمانِ[٥] في «مُصَنَّفِهِ» ما يَدُلّ عَلى أنّهُ كانَ يَذْهَبُ إلى قَوْلِ مَنْ قالَ بِالنّسْخِ، وأنّ القَسَمَ بِالآباءِ كانَ جائِزًا، والّذِي ذَكَرْناهُ لَيْسَ مِنْ بابِ الحَلِفِ بِالآباءِ كَما قَدّمْنا، ولا قالَ في الحَدِيثِ: «وأبِي»، وإنّما قالَ: «وأبِيهِ»، أوْ «وأبِيك» بِالإضافةِ إلى ضَمِيرِ المُخاطَبِ أو الغائِبِ، وبِهَذا الشّرْطِ يَخْرُجُ عَنْ مَعْنى الحَلِفِ إلى معنى التعجُّب الذي ذكرناه.

* * *

---

(١) مسلم، كتاب الزكاة: (٢: ٧١٦٠).

(٢) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب: (٤: ١٩٧٤).

(٣) أي: عجيب منكر.

(٤) يعني به الإمام الحافظ ابن عبد البر. وانظر «التمهيد» (١٤: ٣٦٧).

(٥) انظر: «سنن أبي داود»، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء: (٣: ٢٢٢-٢٢٣).

[دُعاءُ الرَّسُولِ لَمّا أشْرَفَ على خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ عَطاءِ بنِ أبي مَرْوانَ الأسْلَمِيِّ، عَنْ أبيهِ، عَنْ أبي مُعَتِّبِ بنِ عَمْرٍو: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمّا أشْرَفَ على خَيْبَرَ قالَ لِأصْحابِهِ، وأنا فيهِمْ: «قِفُوا»، ثُمَّ قالَ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ وما أظْلَلْنَ، ورَبَّ الأرَضِينَ وما أقْلَلْنَ، ورَبَّ الشَّياطِينِ وما أضْلَلْنَ، ورَبَّ الرِّياحِ وما أذْرَيْنَ، فإنّا نَسْألُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ، وخَيْرَ أهْلِها، وخَيْرَ ما فيها، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها، وشَرِّ أهْلِها، وشَرِّ ما فيها، أقْدِمُوا بِسْمِ الله». قالَ: وكانَ يَقُولُها عَلَيْهِ السَّلامُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَها.

[وَذَكَرَ[١] ابنُ إسْحاقَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ أشْرَفَ عَلى خَيْبَرَ، وقالَ في إسْنادِهِ: عَنْ عَطاءِ بنِ [أبي] مَرْوانَ، وهَذا هُوَ الصَّحِيحُ في هَذا الإسْنادِ؛ لِأنَّ عَطاءَ بنَ أبِي مَرْوانَ الأسْلَمِيّ مَعْرُوفٌ في أهْلِ المَدِينَةِ، يُكَنّى أبا مُصْعَبٍ، قالَهُ البُخارِيّ في «التّارِيخِ»[٢]، وبَعْضُ مَنْ يَرْوِي «السّيرةَ» يَقُولُ في هَذا الإسْنادِ: عَنْ عطاءِ بنِ أبِي رَباحٍ، عَنْ مَرْوانَ الأسْلَمِيّ، والصّحِيحُ ما قَدَّمْناهُ][٣].

* * *

(١) في (ف): «وقد ذكر».
(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري: (٣/ ٢/ ٤٧١-٤٧٢).
(٣) ليس في (ص)، (ج).

[فِرارُ أهْلِ خَيْبَرَ لَمّا رَأَوُا الرَّسُولَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا غَزا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ عَلَيْهِمْ حَتّى يُصْبِحَ، فإنْ سَمِعَ أذانًا أمْسَكَ، وإنْ لَمْ يَسْمَعْ أذانًا أغارَ، فنَزَلْنا خَيْبَرَ لَيْلًا، فباتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتّى إذا أصْبَحَ لَمْ يَسْمَعْ أذانًا، فرَكِبَ ورَكِبنا مَعَهُ، فرَكِبْتُ خَلْفَ أبِي طَلْحةَ، وإنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، واسْتَقْبَلْنا عُمّالَ خَيْبَرَ غادِينَ، قَدْ خَرَجُوا بِمَساحِيهِمْ ومَكاتِلِهِمْ، فلَمّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ والجَيْشَ، قالُوا: مُحَمَّدٌ والخَمِيسُ مَعَهُ! فأدْبَرُوا هُرّابًا، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنّا إذا نَزَلْنا بِساحةِ قَوْمٍ فساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنا هارُونَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أنَسٍ، بِمِثْلِهِ.

[مَنازِلُ الرَّسُولِ في طَرِيقِهِ إلى خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ مِن المَدِينةِ إلى خَيْبَرَ سَلَكَ على عِصْرٍ، فبُنِيَ لَهُ فيها مَسْجِدٌ، ثُمَّ على الصَّهْباءِ، ثُمَّ أقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِجَيْشِهِ، حَتّى نَزَلَ بِوادٍ يُقالُ لَهُ: الرَّجِيعُ، فنَزَلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ غَطَفانَ؛ لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أنْ يُمِدُّوا أهْلَ خَيْبَرَ، وكانُوا لَهُمْ مُظاهِرِينَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ.

[غَطَفانُ ومُحاوَلَتُهُمْ مَعُونةَ خَيْبَرَ، ثُمَّ انْخِذالُهُمْ]

فَبَلَغَنِي أنَّ غَطَفانَ لَمّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، جَمَعُوا

لَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ، حَتّى إذا سارُوا مَنْقَلةً، سَمِعُوا خَلْفَهُمْ في أَمْوالِهِمْ وأَهْلِيهِمْ حِسًّا، ظَنُّوا أَنَّ القَوْمَ قَدْ خالَفُوا إِلَيْهِمْ، فرَجَعُوا على أَعْقابِهِمْ، فأقامُوا في أَهْلِيهِمْ وأَمْوالِهِمْ، وخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ خَيْبَرَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ حِينَ اسْتَقْبَلَتْهُمْ عُمّالُ اليهود بِمَساحِيهِمْ ومَكاتِلِهِمْ.

المَكاتِلُ: جَمْعُ مِكْتَلٍ، وهي القُفّة العظيمة، سُمِّيتْ بذلك لِتكتُّلِ الشيء فيها، وهو تلاصقُ بعضِهِ ببعضٍ، والكتلة من التَّمْرِ ونَحْوِهِ فصِيحةٌ، وإنِ ابْتَذَلَتْها العامّةُ.

وَقَوْلُ النّبيّ ﷺ حِينَ رَآهُمْ: «اللهُ أكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ» فيهِ إباحةُ التّفاؤُلِ، وقُوّةٌ لِمَن اسْتَجازَ الزَّجْر[1]، وقَدْ قَدّمْنا[2] في ذَلِكَ قَوْلًا مُقْنِعًا؛ وذَلِكَ أنّهُ رَأى المَساحِيَ والمَكاتِلَ ـ وهي مِنْ آلةِ الهَدْمِ والحَفْرِ، مَعَ أنّ لَفْظَ «المِسْحاةِ» مِنْ سَحَوْتُ؛ إذا قَشَرْتَ ـ، فدَلّ ذَلِكَ عَلى خَرابِ البَلْدةِ الّتِي أشْرَفَ عَلَيْها، وفي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ قال حينَ ذكَرَ المساحيَ: كانوا يُؤْتُونَ الماءَ إلى زُروعِهِمْ، مَعْناهُ: يَسُوقُونَه[3]. والأتِيُّ هي[4] السّاقيةُ[5].

(١) الزجرُ: إثارة الطير للتيمّن بسنوحها ـ أي: مرورها من يسارك إلى يمينك، والعرب يتفاءلون به ـ أو التشاؤم ببروحها، والبروح: أن يمر الطير من يمين الرائي إلى يساره.

(٢) انظر: (٥: ٤١٨).

(٣) في (أ)، (ج)، (س): «يسوقون الأتى»، وفي (ج)، (ب): «يسوقون والأتى»، والمثبت عن (ص).

(٤) في (ب): «هو». وكلاهما صواب، والأرجح مراعاة الخبر.

(٥) في (ج): «السانية».

وَقَوْلُ اليَهُودِ: «مُحَمّدٌ والخَمِيسُ»، سُمِّيَ الجَيْشُ العَظِيمُ خَمِيسًا؛ لِأنّ لَهُ ساقةً ومُقَدِّمةً، وجَناحَيْنِ وقلبًا، لا مِنْ أجْلِ تَخْمِيسِ الغَنِيمةِ؛ فإنَّ الخُمُسَ مِنْ سُنّةِ الإِسْلامِ، وقَدْ كانَ الجَيْشُ يُسَمّى خَمِيسًا في الجاهِلِيّةِ، وقَدْ ذَكَرْنا الشّاهِدَ عَلى ذَلِكَ فيما تَقَدّمَ[1].

[افْتِتاحُ رَسُولِ اللهِ الحُصُونَ]

وَتَدَنّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الأمْوالَ يَأْخُذُها مالًا مالًا، ويَفْتَتِحُها حِصْنًا حِصْنًا، فكانَ أوّلَ حُصُونِهِم افْتُتِحَ حِصْنُ ناعِمٍ، وعِنْدَهُ قُتِلَ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ؛ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رحى فقَتَلَتْهُ، ثُمَّ القَمُوصُ، حِصْنُ بَنِي أبي الحُقَيْقِ، وأصابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ سَبايا، مِنْهُنَّ صَفيةُ بِنْتُ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، وكانَتْ عِنْدَ كِنانةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ، وبِنْتا عَمٍّ لَها، فاصْطَفى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفيةَ لِنَفْسِهِ.

وَكانَ دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ الكَلْبِيُّ قَدْ سَألَ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَفيةَ، فلَمّا أصْفاها لِنَفْسِهِ أعْطاهُ ابنَتَيْ عَمِّها، وفَشَت السَّبايا مِنْ خَيْبَرَ في المُسْلِمِينَ.

وَقَوْلُهُ: «يَتَدَنّى الحُصُونَ»، أيْ: يَأْخُذُ الأدْنى فالأدْنى.

* * *

(١) انظر: (٥: ٢٠٦).

[نَهيُ الرَّسُولِ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أشْياءَ]

وَأكَلَ المُسْلِمُونَ لحُومَ الحُمُرِ الأهْلِيّةِ مِنْ حُمُرِها، فقامَ رَسُولُ الله ﷺ، فنَهى النّاسَ عَنْ أُمُورٍ سَمّاها لَهُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ ضَمْرَةَ الفَزارِيُّ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ أبي سَلِيطٍ، عَنْ أبيهِ، قالَ: أتانا نَهْيُ رَسُولِ الله ﷺ عَنْ أكْلِ لحُومِ الحُمُرِ الإنْسِيّةِ والقُدُورُ تَفُورُ بِها، فكَفَأْناها على وُجُوهِها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ مَكْحُولٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهاهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ أرْبَعٍ: عَنْ إتْيانِ الحَبالى مِن السَّبايا، وعَنْ أكْلِ الحِمارِ الأهْلِيِّ، وعَنْ أكْلِ كُلِّ ذِي نابٍ مِن السِّباعِ، وعَنْ بَيْعِ المَغانِمِ حَتّى تُقْسَمَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَلّامُ بنُ كِرْكِرةَ، عَنْ عَمْرِو بنِ دِينارٍ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله الأنْصارِيِّ، ولَمْ يَشْهَدْ جابِرٌ خَيْبَرَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ نَهى النّاسَ عَنْ أكْلِ لحُومِ الحُمُرِ، أذِنَ لَهُمْ في أكْلِ لحُومِ الخَيْلِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبي حَبِيبٍ، عَنْ أبي مَرْزُوقٍ مَوْلى تُجِيبَ، عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعانِيِّ، قالَ: غَزَوْنا مَعَ رُوَيْفِعِ بنِ ثابِتٍ الأنْصارِيِّ المَغْرِبَ، فافْتَتَحَ قَرْيةً مِنْ قُرى المَغْرِبِ يُقالُ لَها جَرْبةُ، فقامَ فينا خَطِيبًا، فقالَ: يا أيها النّاسُ، إنِّي لا أقُولُ فيكُمْ إلّا ما سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ

يَقُولُهُ فينا يَوْمَ خَيْبَرَ، قامَ فينا رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «لا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَسْقِيَ ماءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ»؛ يَعْنِي: إتْيانَ الحَبالى مِن السَّبايا، «ولا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يُصِيبَ امْرَأةً مِن السَّبْيِ حَتّى يَسْتَبْرِئَها، ولا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتّى يُقْسَمَ، ولا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَرْكَبَ دابّةً مِنْ فَيْءِ المُسْلِمِينَ حَتّى إذا أعْجَفَها رَدَّها فيهِ، ولا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فَيْءِ المُسْلِمِينَ حَتّى إذا أخْلَقَهُ رَدَّهُ فيهِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ قُسَيْطٍ، أنَّهُ حُدِّثَ عَنْ عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، قالَ: نَهانا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أنْ نَبِيعَ أوْ نَبْتاعَ تِبْرَ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ العَيْنِ، وتِبْرَ الفِضّةِ بِالوَرِقِ العَيْنِ، وقالَ: «ابْتاعُوا تِبْرَ الذَّهَبِ بِالوَرِقِ العَيْنِ، وتِبْرَ الفِضّةِ بِالذَّهَبِ العَيْنِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَدَنّى الحُصُونَ والأمْوالَ.

[شَأْنُ بَنِي سَهْمٍ الأسْلَمِيِّينَ]

فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، أنَّهُ حَدَّثَهُ بَعْضُ أسْلَمَ: أنَّ بَنِي سَهْمٍ مِنْ أسْلَمَ أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فقالُوا: والله يا رَسُولَ الله لَقَدْ جُهِدْنا وما بِأيْدِينا مِنْ شَيْءٍ. فلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا يُعْطِيهِمْ إيّاهُ، فقالَ: «اللهُمَّ إنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حالَهُمْ، وأنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوّةٌ، وأنْ لَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِمْ إيّاهُ، فافْتَحْ عَلَيْهِمْ أعْظَمَ حُصُونِها عَنْهُمْ غَناءً، وأكْثَرَها طَعامًا ووَدَكًا». فغَدا النّاسُ، ففَتَحَ الله عَزَّ وجَلَّ حِصْنَ الصَّعْبِ بنِ مُعاذٍ، وما بِخَيْبَرَ حِصْنٌ كانَ أكْثَرَ طَعامًا ووَدَكًا مِنْهُ.

[مَقْتَلُ مَرْحَبٍ اليَهُودِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ ما افْتَتَحَ، وحازَ مِن الأمْوالِ ما حازَ، انْتَهَوْا إلى حِصْنَيْهِم: الوَطِيحِ، والسُّلالِمِ، وكانَ آخِرَ حُصُونِ أهْلِ خَيْبَرَ افْتِتاحًا، فحاصَرَهُمْ رَسُول الله ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ شِعارُ أصْحابِ الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: «يا مَنْصُورُ، أمِتْ أمِتْ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عَبْدُ الله بنُ سَهْلِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَهْلٍ، أخُو بَنِي حارِثَةَ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: خَرَجَ مَرْحَبٌ اليَهُودِيُّ مِنْ حِصْنِهِمْ، قَدْ جَمَعَ سِلاحَهُ، يَرْتَجِزُ وهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ ... شاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطْعَنُ أحْيانًا وحِينًا أضْرِبُ ... إذا اللُّيُوثُ أقْبَلَتْ تَحَرَّبُ
إنَّ حِمايَ لِلْحِمى لا يُقْرَبُ

وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يُبارِزُ؟ فأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ، فقالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي كَعْبُ ... مُفَرِّجُ الغَمّا جَرِيءٌ صُلْبُ
إذْ شُبَّتِ الحَرْبُ تَلَتْها الحَرْبُ ... مَعِي حسامٌ كالعَقِيقِ عَضْبُ
نَطَؤُكُمْ حَتّى يَذِلَّ الصَّعْبُ ... نُعْطَى الجَزاءَ أوْيَفِيءَ النَّهْبُ
بِكَفِّ ماضٍ لَيْسَ فيهِ عَتْبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي كَعْبُ ... وأنَّنِي مَتى تُشَبُّ الحَرْبُ

ماضٍ على الهَوْلِ جَرِيءٌ صُلْبُ مَعِي حُسامٌ كالعَقِيقِ عَضْبُ
بِكَفِّ ماضٍ لَيْسَ فيهِ عَتْبُ نَدُكُّكُمْ حَتّى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومَرْحَبٌ مِنْ حِمْيَرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ سَهْلٍ، عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله الأنْصارِيِّ، قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لهذا؟»، قالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: أنا لَهُ يا رَسُولَ الله، أنا والله المَوْتُورُ الثّائِرُ، قُتِلَ أخِي بِالأمْسِ. فقالَ: «فقُمْ إلَيْهِ، اللهُمَّ أعِنْهُ عَلَيْهِ». قالَ: فلَمّا دَنا أحَدُهُما مِنْ صاحِبِهِ، دَخَلَتْ بَيْنَهُما شَجَرَةٌ عُمْرِيّةٌ، مِنْ شَجَرِ العُشَرِ، فجَعَلَ أحَدُهُما يَلُوذُ بِها مِنْ صاحِبِهِ، كُلَّما لاذَ بِها مِنْهُ اقْتَطَعَ صاحِبُهُ بِسَيْفِهِ ما دُونَهُ مِنْها، حَتّى بَرَزَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما لِصاحِبِهِ، وصارَتْ بَيْنَهُما كالرَّجُلِ القائِمِ، ما فيها فنَنٌ، ثُمَّ حَمَلَ مَرْحَبٌ على مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ، فضَرَبَهُ، فاتَّقاهُ بِالدَّرَقةِ، فوَقَعَ سَيْفُهُ فيها، فعَضَّتْ بِهِ فأمْسَكَتْهُ، وضَرَبَهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ حَتّى قَتَلَهُ.

[مَقْتَلُ ياسِرٍ أخِي مَرْحَبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَرْحَبٍ أخُوهُ ياسِرٌ، وهُوَ يَقُولُ: مَنْ يُبارِزُ؟

فَزَعَمَ هِشامُ بنُ عُرْوةَ أنَّ الزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ خَرَجَ إلى ياسِرٍ، فقالَتْ أُمُّهُ صَفيةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: يَقْتُلُ ابنِي يا رَسُولَ الله! قالَ: «بَل ابنُكِ يَقْتُلُهُ إنْ شاءَ الله». فخَرَجَ الزُّبَيْرُ فالتَقَيا، فقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي هِشامُ بنُ عُرْوةَ أنَّ الزُّبَيْرَ كانَ إذا قِيلَ لَهُ:

واللهِ إنْ كانَ سَيْفُكَ يَوْمَئِذٍ لَصارِمًا عَضْبًا. قالَ: واللهِ ما كانَ صارِمًا، ولَكِنِّي أَكْرَهْتُهُ.

[شَأْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بنُ سُفيانَ بنِ فَرْوَةَ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ أبيهِ سُفيانَ، عَنْ سَلَمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الأَكْوَعِ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِرايَتِهِ، وكانَتْ بَيْضاءَ - فيما قالَ ابنُ هِشامٍ - إلى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، فقاتَلَ، فرَجَعَ ولَمْ يَكُ فتْحٌ، وقَدْ جُهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ الغَدَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ، فقاتَلَ، ثُمَّ رَجَعَ ولَمْ يَكُ فتَحٌ، وقَدْ جُهِدَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرّايةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ، لَيْسَ بِفَرّارٍ». قالَ: يَقُولُ سَلَمَةُ: فدَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ وهُوَ أَرْمَدُ، فتَفَلَ في عَيْنِهِ، ثُمَّ قالَ: «خُذْ هَذِهِ الرّايةَ، فامْضِ بِها حَتّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ».

قالَ: يَقُولُ سَلَمةُ: فخَرَجَ واللهِ بِها يَأْنِحُ، يُهَرْوِلُ هَرْوَلةً، وإنّا لَخَلْفَهُ نَتَّبِعُ أَثَرَهُ، حَتّى رَكَزَ رايَتَهُ في رَضْمٍ مِنْ حِجارةٍ تَحْتَ الحِصْنِ، فاطَّلَعَ إلَيْهِ يَهُودِيٌّ مِنْ رَأْسِ الحِصْنِ، فقالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قالَ: أنا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. قالَ: يَقُولُ اليَهُودِيُّ: عَلَوْتُمْ وما أُنْزِلَ على مُوسى. أوْ كَما قالَ، قالَ: فما رَجَعَ حَتّى فتَحَ اللهُ على يَدَيْهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ الحَسَنِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ أبي رافِعٍ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: خَرَجْنا مَعَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرايَتِهِ، فلَمّا دَنا مِنَ الحِصْنِ، خَرَجَ إلَيْهِ

أهْلُهُ فقاتَلَهُمْ، فضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فطاحَ تُرْسُهُ مِنْ يَدِهِ، فتَناوَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ بابًا كانَ عِنْدَ الحِصْنِ فتَرَّسَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فلَمْ يَزَلْ في يَدِهِ وهُوَ يُقاتِلُ حَتّى فتَحَ الله عَلَيْهِ، ثُمَّ ألْقاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فرَغَ، فلَقَدْ رَأيْتُني في نَفَرٍ سَبْعةٍ مَعِي، أنا ثامِنُهُمْ، نَجْهَدُ على أنْ نَقْلِبَ ذلك البابَ، فما نَقْلِبُهُ.

[أمْرُ أبي اليَسَرِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني بُرَيْدةُ بنُ سُفيانَ الأسْلَمِيُّ، عَنْ بَعْضِ رِجالِ بَني سَلِمةَ، عَنْ أبي اليَسَرِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو، قالَ: والله إنّا لَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِخَيْبَرَ ذاتَ عَشِيّةٍ؛ إذْ أقْبَلَتْ غَنَمٌ لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودَ تُرِيدُ حِصْنَهُمْ، ونَحْنُ مُحاصِرُوهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يُطْعِمُنا مِنْ هَذِهِ الغَنَمِ؟»، قالَ أبو اليَسَرِ: فقُلْتُ: أنا يا رَسُولَ الله، قالَ: «فافْعَلْ»، قالَ: فخَرَجْتُ أشْتَدُّ مِثْلَ الظَّلِيمِ، فلَمّا نَظَرَ إلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ مُوَلِّيًا، قالَ: «اللهُمَّ أمْتِعْنا بِهِ»، قالَ: فأدْرَكْتُ الغَنَمَ وقَدْ دَخَلَتْ أُولاها الحِصْنَ، فأخَذْتُ شاتَيْنِ مِنْ أُخْراها، فاحْتَضَنْتُهما تَحْتَ يَدَيَّ، ثُمَّ أقْبَلْتُ بِهِما أشْتَدُّ، كأنَّهُ لَيْسَ مَعِي شَيْءٌ، حَتّى ألْقَيْتُهما عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فذَبَحُوهُما فأكَلُوهُما، فكانَ أبو اليَسَرِ مِنْ آخِرِ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ هَلاكًا، فكانَ إذا حَدَّثَ هذا الحَدِيثَ بَكى، ثُمَّ قالَ: أُمْتِعُوا بِي، لَعَمْرِي، حَتّى كُنْتُ مِنْ آخِرِهِمْ هُلْكًا.

[أمْرُ صَفِيّةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ القَمُوصَ ـ حِصْنَ بَنِي أبي الحُقَيْقِ ـ أُتِيَ رَسُولَ الله ﷺ بِصَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، وبِأُخْرى مَعَها، فمَرَّ بِهِما بِلالٌ ـ وهُوَ الَّذي جاءَ بِهِما ـ على قَتْلى مِنْ قَتْلى يَهُودَ، فلَمّا رَأتْهُم

الَّتي مَعَ صَفيةَ صاحَتْ، وصَكَّتْ وجْهَها، وحَثَت التُّرابَ على رَأْسِها، فلَمّا رَآها رَسُولُ الله ﷺ، قالَ: «أعْزِبُوا عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطانَةَ»، وأمَرَ بِصَفية فحِيزَتْ خَلْفَهُ، وألْقى عَلَيْها رِداءَهُ، فعَرَفَ المُسْلِمُونَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَد اصْطَفاها لِنَفْسِهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِبِلالٍ ـ فيما بَلَغَني ـ حِينَ رَأى بِتِلْكَ اليَهُودِيّةِ ما رَأى: «أنُزِعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يا بِلالُ حِينَ تَمُرُّ بِامْرَأتَيْنِ على قَتْلى رِجالِهِما؟».
وكانَتْ صَفيةُ قَدْ رَأتْ في المَنامِ وهِيَ عَرُوسٌ بِكِنانةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ، أنَّ قمرًا وقع في حِجْرُها، فعَرَضَتْ رُؤْياها على زَوْجِها، فقالَ: ما هذا إلّا أنَّكِ تَمَنَّيْنَ مَلِكَ الحِجازِ مُحَمَّدًا. فلَطَمَ وجْهَها لَطْمةً خَضَّرَ عَيْنَها مِنْها. فأُتِيَ بِها رَسُولَ الله ﷺ وبِها أثَرٌ مِنْهُ، فسَألَها: «ما هُوَ؟» فأخْبَرَتْهُ هذا الخَبَرَ.

بَقِيّةُ أمْرِ خَيْبَرَ

[عُقُوبةُ كِنانةَ بنِ الرَّبِيعِ]

وَأُتِيَ رَسُولَ الله ﷺ بِكِنانةَ بنِ الرَّبِيعِ، وكانَ عِنْدَهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ، فسَألَهُ عَنْهُ، فجَحَدَ أنْ يَكُونَ يَعْرِفُ مَكانَهُ، فأتى رَسُولَ الله ﷺ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فقالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: إنِّي رَأيْتُ كِنانةَ يُطِيفُ بِهَذِهِ الخَرِبةِ كُلَّ غَداةٍ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِكِنانةَ: «أرَأيْتَ إنْ وجَدْناهُ عِنْدَكَ، أأقْتُلُكَ؟» قالَ: نَعَمْ، فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالخَرِبةِ فحُفِرَتْ، فأُخْرِجَ مِنْها بَعْضُ كَنْزِهِمْ، ثُمَّ سَألَهُ عَمّا بَقِيَ، فأبى أنْ يُؤَدِّيَهُ، فأمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ الزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ، فقالَ: «عَذِّبْهُ حَتّى تَسْتَأْصِلَ ما عِنْدَهُ». فكانَ الزُّبَيْرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ في صَدْرِهِ، حَتّى أشْرَفَ على نَفْسِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمةَ، فضَرَبَ عُنُقَهُ بِأخِيهِ مَحْمُودِ بنِ مَسْلَمةَ.

[مُصالَحَةُ الرَّسُولِ أَهْلَ خَيْبَرَ]

وَحاصَرَ رَسُولُ الله ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ في حِصْنَيْهِم: الوَطِيحِ، والسُّلالِمِ، حَتّى إذا أَيْقَنُوا بِالهَلَكَةِ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ وأَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِماءَهُمْ، ففَعَلَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ حازَ الأَمْوالَ كُلَّها: الشِّقَّ، ونَطاةَ، والكَتِيبةَ، وجَمِيعَ حُصُونِهِمْ، إلّا ما كانَ مِنْ ذَيْنِكَ الحِصْنَيْنِ، فلَمّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فدَكَ قَدْ صَنَعُوا ما صَنَعُوا، بَعَثُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ، وأَنَّ يَحْقِنَ دِماءَهُمْ، ويُخَلُّوا لَهُ الأَمْوالَ، ففَعَلَ، وكانَ فيمَنْ مَشى بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَهُمْ في ذلك مُحَيِّصةُ بنُ مَسْعُودٍ، أَخُو بَنِي حارِثةَ، فلَمّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ على ذلك، سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُعامِلَهُمْ في الأَمْوالِ على النِّصْفِ، وقالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِها مِنْكُمْ، وأَعْمَرُ لَها، فصالَحَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ على النِّصْفِ، على أَنّا إذا شِئْنا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْناكُمْ، فصالَحَهُ أَهْلُ فدَكَ على مِثْلِ ذلك، فكانَتْ خَيْبَرُ فَيْئًا بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وكانَتْ فدَكُ خالِصةً لِرَسُولِ الله ﷺ؛ لِأَنَّهُم لَمْ يُجْلِبُوا عَلَيْها بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ.

[أَمْرُ الشّاةِ المَسْمُومةِ]

فَلَمّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ الله ﷺ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ ـ امْرَأَةُ سَلّامِ ابنِ مِشْكَمٍ ـ شاةً مَصْلِيّةً، وقَدْ سَأَلَتْ: أَيُّ عُضْوٍ مِن الشّاةِ أَحَبُّ إلى رَسُولِ الله ﷺ؟ فقِيلَ لَها: الذِّراعُ. فأَكْثَرَتْ فيها مِن السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سائِرَ الشّاةِ، ثُمَّ جاءَتْ بِها، فلَمّا وضَعَتْها بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، تَناوَلَ الذِّراعَ، فلاكَ مِنْها مُضْغةً، فلَمْ يُسِغْها، ومَعَهُ بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْها كَما أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ، فأَمّا بِشْرٌ فأَساغَها، وأَمّا رَسُولُ الله ﷺ فلَفَظَها، ثُمَّ قالَ: «إنَّ هذا العَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ». ثُمَّ دَعا بِها، فاعْتَرَفَتْ، فقالَ:

«ما حَمَلَكِ على ذلك؟» قالَت: بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي ما لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فقُلْتُ: إنْ كانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ، وإنْ كانَ نَبِيًّا فسَيُخْبَرُ. قالَ: فتَجاوَزَ عَنْها رَسُولُ الله ﷺ، وماتَ بِشْرٌ مِنْ أكْلَتِهِ الَّتي أكَلَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مَرْوانُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي سَعِيدِ بنِ المُعلّى، قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قالَ في مَرَضِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فيهِ ـ ودَخَلَتْ أُمُّ بِشْرٍ بِنْتُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ تَعُودُهُ ـ: «يا أُمَّ بِشْرٍ، إنَّ هذا الأوانَ وجَدْتُ فيهِ انْقِطاعَ أبْهَرِي مِن الأُكْلَةِ الَّتي أكَلْتُ مَعَ أخِيكِ بِخَيْبَرَ».

قالَ: فإنْ كانَ المُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ ماتَ شَهِيدًا، مَعَ ما أكْرَمَهُ الله بِهِ مِن النُّبُوّةِ.

[رُجوعُ الرَّسُولِ إلى المَدِينةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ انْصَرَفَ إلى وادِي القُرى، فحاصَرَ أهْلَهُ لَيالِيَ، ثُمَّ انْصَرَفَ راجِعًا إلى المَدِينةِ.

[مَقْتَلُ غُلامِ رِفاعةَ الَّذي أهْداهُ لِلرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدثني ثَوْر بنُ زَيْدٍ، عَنْ سالِمٍ مَوْلى عَبْدِ الله بنِ مُطِيعٍ، عَنْ أبي هُرَيْرةَ، قالَ: فلَمّا انْصَرَفْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ من خَيْبَرَ إلى وادِي القُرى، نَزَلْنا بِها أَصِيلًا مَعَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، ومَعَ رَسُولِ الله ﷺ غُلامٌ لَهُ، أهْداهُ لَهُ رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ الجُذامِيُّ، ثُمَّ الضَّبِيبِيُّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: جُذامٌ، أخُو لخم.

قالَ: فوالله إنَّهُ لَيَضَعُ رَحْلَ رَسُولِ الله ﷺ، إذْ أتاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابَهُ

فقَتَلَهُ، فقُلْنا: هَنِيئًا لَهُ الجَنّةُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَلّا، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إنَّ شَمْلَتَهُ الآنَ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ في النّارِ، كانَ غَلَّها مِنْ فَيْءِ المُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ». قالَ: فسَمِعَها رَجُلٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فأتاهُ فقالَ: يا رَسُولَ الله، أصَبْتُ شِراكَيْنِ لِنَعْلَيْنِ لِي. قالَ: فقالَ: «يُقَدُّ لَكَ مِثْلُهُما مِن النّارِ».

[ابنُ مُغَفَّلٍ وجِرابُ شَحْمٍ أصابَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ، قالَ:

أصَبْتُ مِنْ فَيْءِ خَيْبَرَ جِرابَ شَحْمٍ، فاحْتَمَلْتُهُ على عاتِقِي إلى رَحْلِي وأصْحابِي. قالَ: فلَقِيَنِي صاحِبُ المَغانِمِ الَّذي جُعِلَ عَلَيْها، فأخَذَ بِناحِيَتِهِ، وقالَ: هَلُمَّ هذا نَقْسِمْهُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، قالَ: قُلْتُ: لا والله لا أُعْطِيكَهُ. قالَ: فجَعَلَ يُجابِذُنِي الجِرابَ. قالَ: فرَآنا رَسُولُ الله ﷺ ونَحْنُ نَصْنَعُ ذلك. قالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ضاحِكًا، ثُمَّ قالَ لِصاحِبِ المَغانِمِ: «لا أبا لَكَ، خَلِّ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ». قالَ: فأرْسَلَهُ، فانْطَلَقْتُ بِهِ إلى رَحْلِي وأصْحابِي، فأكَلْناهُ.

[بِناءُ الرَّسُولِ بِصَفيةَ، وحِراسةُ أبي أيُّوبَ لِلْقُبّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا أعْرَسَ رَسُول الله ﷺ بِصَفية بِخَيْبَرَ أوْ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وكانَت الَّتِي جَمَّلَتْها لِرَسُولِ الله ﷺ ومَشَّطَتْها وَأصْلَحَتْ مِنْ أمْرِها، أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحانَ، أُمُّ أنَسِ بنِ مالِكٍ، فباتَ بِها رَسُولُ الله ﷺ في قُبّةٍ لَهُ، وباتَ أبو أيُّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدٍ ـ أخُو بَنِي النَّجّارِ ـ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، يَحْرُسُ رَسُولَ الله ﷺ، ويُطِيفُ بِالقُبّةِ، حَتّى أصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ، فلَمّا رَأى مَكانَهُ، قالَ: «ما لك يا أبا أيُّوبَ؟» قالَ: يا رَسُولَ الله، خِفْتُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ المَرْأةِ،

وكانَت امْرَأَةً قَدْ قَتَلْتَ أباها وزَوْجَها وقَوْمَها، وكانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فخِفْتُها عَلَيْكَ. فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «اللهُمَّ احْفَظْ أبا أيُّوبَ كَما باتَ يَحْفَظُنِي».

[تَطَوُّعُ بِلالٍ لِلْحِراسةِ، وغَلَبةُ النَّوْمِ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ، قالَ: لَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، فكانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قالَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ: «مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنا الفَجْرَ؛ لَعَلَّنا نَنامُ؟». قالَ بِلالٌ: أنا يا رَسُولَ الله أحْفَظُهُ عَلَيْكَ. فنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ، ونَزَلَ النّاسُ فنامُوا، وقامَ بِلالٌ يُصَلِّي، فصَلّى ما شاءَ الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يُصَلِّيَ، ثُمَّ اسْتَنَدَ إلى بَعِيرِهِ، واسْتَقْبَلَ الفَجْرَ يَرْمُقُهُ، فغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، فنامَ، فلَمْ يُوقِظْهُمْ إلّا مَسُّ الشَّمْسِ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ أوَّلَ أصْحابِهِ هَبَّ، فقالَ: «ماذا صَنَعْتَ بِنا يا بِلالُ؟» قالَ: يا رَسُولَ الله، أخَذَ بِنَفْسِي الَّذي أخَذَ بِنَفْسِكَ. قالَ: «صَدَقْتَ»، ثُمَّ اقْتادَ رَسُولُ الله ﷺ بَعِيرَهُ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ أناخَ فتَوَضَّأَ، وتَوَضَّأَ النّاسُ، ثُمَّ أمَرَ بِلالًا فأقامَ الصَّلاةَ، فصَلّى رَسُولُ الله ﷺ بِالنّاسِ، فلَمّا سَلَّمَ أقْبَلَ على النّاسِ، فقالَ: «إذا نَسِيتُم الصَّلاةَ فصَلُّوها إذا ذَكَرْتُمُوها؛ فإنَّ الله تَبارَكَ وتَعالى يَقُولُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾».

[شِعْرُ ابنِ لُقَيْمٍ في فتْحِ خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَنِي - قَدْ أعْطى ابنَ لُقَيْمٍ العَبْسِيَّ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، ما بِها مِنْ دَجاجةٍ أوْ داجِنٍ، وكانَ فتْحُ خَيْبَرَ في صَفَرٍ، فقالَ ابنُ لُقَيْمٍ العَبْسِيُّ في خَيْبَرَ:

رُمِيَتْ نَطاةُ مِن الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ شَهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقارِ
واسْتَيْقَنَتْ بِالذُّلِّ لَمّا شُيِّعَتْ ورِجالُ أَسْلَمَ وسْطَها وغِفارِ
صَبحَتْ بَنِي عَمْرِو بنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً والشِّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهارِ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِها الذُّيُولَ فلَمْ تَدَعْ إلّا الدَّجاجَ تَصِيحُ فِي الأَسْحارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ مِنْ عَبْدِ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي النَّجّارِ
وَمُهاجِرِينَ قَدَ اعْلَمُوا سِيماهُمُ فَوْقَ المغافِرِ لم يَنُوا لِفِرارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ ولَيَثْوِيَنَّ بِها إلى أَصْفارِ
فَرَّتْ يَهُودٌ يَوْمَ ذلك في الوَغى تَحْتَ العَجاجِ غَمائِمَ الأَبْصارِ

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فرَّتْ: كَشَفَتْ؛ كَما تُفِرُّ الدّابّةُ بِالكَشْفِ عَنْ أَسْنانِها، يُرِيدُ: كَشَفَتْ عَنْ جُفُونِ العُيُونِ غَمائِمَ الأَبْصارِ، يُرِيدُ: الأَنْصارَ.

وَذكَرَ نَهْيَه عَلَيْهِ السّلامُ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيّةِ، [وحَدِيثَ جابِرٍ: أَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ نَهى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيّةِ][1]، وأَرْخَصَ لَهُمْ في لُحُومِ الخَيْلِ، أمّا الحُمُرُ الأَهْلِيّةُ فمُجمعٌ عَلى تَحْرِيمِها، إلّا شَيْئًا يُرْوى عَنِ ابنِ عَبّاسٍ[2] وعائِشَةَ، وطائِفةٍ مِنَ التابعين.

ومن حُجَّة من أباحها قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآيةَ، وهي مَكّيّةٌ، وحَدِيثُ النَّهْيِ عَنِ الحُمُرِ كانَ بِخَيْبَر، فهُوَ المُبَيِّنُ لِلآيةِ، والنّاسِخُ لِلإباحةِ، ومِنْ حُجّتِهِمْ أَيْضًا قَوْلُهُ عليه

(١) سقط من (ب)، (ف).

(٢) «فتح الباري»، كتاب الصيد والذبائح: (٩: ٦٥٤)، و«تفسير الطبري» (٨: ٧١).

السلام لرجلٍ استفتاهُ في أَكلِ الحمار الأهْلِيّ، يُقالُ في اسْمِهِ: غالِبُ بنُ أبْجرَ المُزَنِيّ: «أطْعِمْ أهْلَكَ مِنْ سَمِينِ مالِك»[١]، وهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ لا يُعارَضُ بمِثْلِهِ حَدِيثُ النّهْي، مَعَ أنّهُ مُحْتَمِلٌ لِتَأْويلَيْنِ؛ أحَدُهُما: أنْ يَكُونَ الرّجُلُ مِمّنْ أصابَتْهُ مَسْغَبَةٌ شَدِيدَةٌ، فأُرْخِصَ لَهُ فيهِ، أَوْ يَكُونَ ذَلِكَ مَنْسُوخًا بالتَّحْرِيمِ، عَلى أنّ بَعْضَ رُواةِ الحَدِيثِ زادَ فيهِ بَيانًا، وهُوَ قَوْلُهُ ﷺ لِلرّجُلِ: «إنّما نُهِيتُ عَنْ جَوّال[٢] القَرْيةِ» أوْ «جَوالِّ القَرْيةِ»، عَلى اخْتِلافٍ في الرّوايةِ.

وأمّا حَدِيثُ جابرٍ في إباحة لحوم الخَيْلِ، فَصَحِيحٌ، ويَعْضُدُهُ حَدِيثُ أسْماءَ أنّها قالَتْ: ضَحّيْنا عَلى عَهْدِ رسول الله ﷺ بفَرَسٍ[٣]. وقالَ بإباحةِ لُحُومِ الخَيْلِ الشّافِعِيُّ واللّيْثُ وأبُو يُوسُفَ، وذَهَبَ مالِكٌ والأَوْزاعِيّ إلى كَراهةِ ذَلِكَ، وقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ: أن رسول الله ﷺ نَهى عَنْ أكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الأهْلِيّةِ والبغالِ والخَيْلِ، وقد خرَّجه أبو داودَ[٤]، وحديثُ الإباحة أصَحُّ، غَيْرَ أنّ مالِكًا رَحِمَهُ اللهُ نَزَعَ بآيةٍ مِنْ كِتابِ اللهِ تعالى؛ وهي أنّ الله تعالى ذَكَرَ الأنْعامَ فقالَ: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، ثُمّ ذَكَرَ الخَيْلَ والبغالَ والحَمِيرَ فقالَ: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨][٥]، وهذا انْتِزاعٌ حَسَنٌ. ووَجْهُ الدّلِيلِ مِن الآيةِ أنّهُ قال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النحل: ٥]، فذَكَرَ الدّفْءَ

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الأطعمة: (٣: ٣٥٦-٣٥٧). وفيه: «من سمين حرك».

(٢) في مطبوعة «سنن أبي داود»: «جَوّال» فقط. وفي نسخ «الروض»: «جوالى أو جَوالّ»، والصواب ما أثبت، أما «جَوّال» فهو صيغة مبالغة من جال في الأرض: إذا طاف غير مستقر فيها، وأما «جَوالّ» فهو جمع جالّة، وهي التي تأكل العَذِرة.

(٣) حديث جابر في «فتح الباري»، كتاب الذبائح والصيد: (٩: ٦٤٨)، ومسلم، كتاب الصيد: (١٥٤١)، وحديث أسماء في مسلم، كتاب الصيد (١٥٤١).

(٤) «سنن أبي داود»، كتاب الأطعمة: (٣: ٣٥٢).

(٥) «الموطأ»، كتاب الصيد: (٢: ٤٩٧).

والمَنافِعَ والأكْلَ، ثُمّ أفْرَدَ الخَيْلَ [والبِغالَ][(١)] والحَمِيرَ بِالذِّكْرِ، وجاءَ بِلامِ العِلّةِ والسّببِ فقالَ: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، أيْ: لِهَذا سَخّرْتُها لَكُمْ، فوَجَبَ ألّا يَتَعَدّى ما سُخِّرَتْ لَهُ.

وأمّا نَهْيُهُ أيضًا يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الجَلّالةِ وعَنْ رُكُوبِها، فهي الّتِي تَأْكُلُ الجِلّةَ، وهِيَ الرَّوْثُ والبَعْرُ، وفي «السُّنَنِ» لِلدّارَقُطْنِيّ: أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ نَهى عَنْ أكْلِ الجَلّالةِ[(٢)] حَتّى تُعْلَفَ أرْبَعِينَ يَوْمًا[(٣)]، وهَذا نَحْوٌ مِمّا رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السّلامُ: أنّهُ كانَ لا يَأْكُلُ الدّجاجَ المُخَلّاةَ حَتّى تُقْصَرَ ثَلاثَةَ أيّامٍ. ذَكَرَهُ الهَرَوِيّ[(٤)].

وَذَكَرَ في الحَدِيثِ نَهْيَهُ ﷺ عَنْ بَيْعِ الفِضَّةِ بِالفِضّةِ، وإباحةِ بَيْعِ الذّهَبِ بِالوَرِقِ، فدَلّ على أنّ الوَرِقَ والفِضّةَ شَيْءٌ واحِدٌ، وقَدْ فرّقَ بَيْنَهُما أبُو عُبَيْدٍ في كِتابِ الأمْوالِ، فقالَ: الرِّقةُ والوَرِقُ ما كانَ سِكّةً مَضْرُوبةً، فإنْ كانَ حُلِيًّا أوْ حِلْيةً، أوْ نُقَرًا[(٥)] لَمْ يُسَمَّ ورِقًا، يُرِيدُ بِهَذِهِ التّفْرِقةِ أنْ لا زَكاةَ في حُلِيٍّ[(٦)] الفِضّةِ والذّهبِ؛ لأنّ رسول الله ﷺ حِينَ ذَكَرَ الزّكاةَ قالَ: «في الرِّقةِ الخُمسُ»[(٧)]،

(١) ليس في (ب).
(٢) بعده في (ب): «ومن ركوبها».
(٣) «سنن الدارقطني»، كتاب الصيد والذبائح: (٤: ٢٨٣).
(٤) «الغريبين» للهروي: (٥: ١٥١٥). (ج)
(٥) ليس في (ص)، والنُّقَر: جمع نُقْرة، وهي القطعة المذابة من الذهب أو الفضة.
(٦) في (ف): «حلية».
(٧) في أغلب النسخ مضبوطًا: «الخُمُس» بضم الخاء والميم. والحديث ـ كما في «الأموال» ـ: «إذا بلغت الرقة خمس أواقي ففيها ربع العشر». وانظر الحديث في: «فتح الباري»، كتاب الزكاة: (٣: ٣١٠)، و«سنن أبي داود»، كتاب الزكاة: (٢: ٩٤).

وحِينَ ذَكَرَ الرِّبا قالَ: «الفِضّةُ بِالفِضّةِ رِبًا»[١].

قالَ المُؤَلِّفُ: وفي هَذا الحَدِيثِ الّذِي ذَكَرَهُ ابنُ إِسْحاقَ وفي أحادِيثَ سِواهُ قَدْ تَتَبّعْتُها، ما يَدُلُّ عَلى خِلافِ ما قالَ، مِنْها قَوْلُهُ ﷺ في صِفةِ الحَوْضِ: «يَصُبُّ فيهِ مِيزابانِ مِنَ الجَنّةِ، أحَدُهُما مِنْ ورِقٍ...»[٢]، وحَدِيثُ عَرْفَجةَ[٣] حِينَ أُصِيبَ أنْفُهُ يَوْمَ الكُلابِ قالَ: فاتّخَذْتُ أنْفًا من وَرِقٍ... الحديث، في شَواهِدَ كَثِيرةٍ تَدُلّ عَلى أنّ الفِضّةَ تُسَمّى: وَرِقًا على أي حال كانت.

وَقَوْلُهُ: «بِالذّهَبِ العَيْن، والوَرِقِ العَيْن»، يُرِيدُ النَّقْدَ؛ لِأنّ الغائِبَ يُسَمّى ضِمارًا، كَما قالَ[٤]: [من الرجز]

وعَيْنُــهُ كالكالِئِ الضِّمارِ

وسُمِّيَ الحاضِرُ عَيْنًا لِمَوْضِعِ المُعايَنةِ، فالعَيْنُ في الأصْلِ مَصْدَرُ: عِنْتُهُ أعِينُهُ؛ إذا أبْصَرْتَهُ بِعَيْنِك، وسُمِّيَ المَفْعُولُ بِالمَصْدَرِ، ونَحْوٌ مِنْهُ الصّيْدُ؛ لِأنّهُ مَصْـدَرُ صِـدْتُ أصِيـدُ، وقَدْ جـاءَ في التّنْزِيلِ: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ [المائدة: ٩٥]، فسَمّاهُ بِالمَصْدَرِ، ولَعَلّك أنْ تَلحَظَ مِنْ هَذا المَطْلَعِ مَعْنى العَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، فقَدْ أمْلَيْنا فيها، وفي مَسْألةِ اليَدِ مَسْألَتَيْنِ[٥] لا

(١) «الأموال» (ص: ٤٤٩).

(٢) مسلم، كتاب الفضائل: (٤: ١٧٩٩).

(٣) هو عرفجة بن أسعد التيمي، مترجم في «أسد الغابة» (٤: ٢١)، وحديثه في «سنن أبي داود»، كتاب الخاتم: (٤: ٢٢).

(٤) الرجز في «اللسان» (كلأ، ضمر، عين). كلأ الدَّينُ: تأخر، والكُلأةُ: النسيئة. يذمُّ رجلًا، يقول: الحاضر من عطيته كالغائب الذي لا يرتجى.

(٥) انظر: «نتائج الفكر في النحو» للمؤلف: (ص: ٢٩١) ما بعدها.

تُعْدَلُ بفَهْمِها(١) الدّنْيا بحَذافيرها(٢).

فَصْلٌ

ومِمّا يَتّصِلُ بِحَدِيثِ النّهْيِ [عَنْ أَكْلِ الحُمُرِ](٣) تَنْبيهٌ عَلى إِشْكالٍ [في](٤) رِوايةِ مالِكٍ، عَنِ ابنِ شِهابٍ؛ فإنّهُ قالَ فيها: نَهى رسول الله ﷺ عَنْ نِكاحِ المُتْعةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيّةِ(٥)، وهَذا شَيْءٌ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السّيَرِ(٦) ورُواةِ الأَثَرِ: أنّ المُتْعةَ حُرِّمَتْ يَوْمَ خَيْبَرَ، وقَدْ رَواهُ ابنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابنِ شِهابٍ، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمّدٍ، فقالَ فيهِ: إنّ رسول الله ﷺ نَهى عَنْ أَكْلِ(٧) الحُمُرِ الأَهْلِيّةِ عامَ خَيْبَرَ، وعَنِ المُتْعةِ(٨)، فمَعْناهُ عَلى هَذا اللّفْظِ: ونَهى عَنِ المُتْعةِ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ في غَيْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ، فهُوَ إذًا تَقْدِيمٌ وتَأْخِيرٌ وقَعَ في لَفْظِ ابنِ شِهابٍ، لا في لَفْظِ مالِكٍ؛ لِأنّ مالِكًا قَدْ وافَقَهُ عَلى لَفْظِهِ جَماعةٌ مِنْ رُواةِ ابنِ شِهابٍ.

وقَدِ اخْتُلِفَ في تَحْرِيمِ نِكاحِ المُتْعةِ؛ فأَغْرَبُ ما رُوِيَ في ذَلِكَ رِوايةُ مَنْ

---

(١) في (ح): «بقيمتهما».

(٢) في (ب)، (ج): «بجراميزها». والجراميز والحذافير بمعنًى، يقال: أخذ الشيء بجراميزه وحذافيره، أي: أخذه جميعه.

(٣) ليس في (ب).

(٤) ليس في (أ).

(٥) «الموطأ»، كتاب النكاح: (٢: ٥٤٢).

(٦) في (ف): «لا يعرفه أهل السير».

(٧) في (أ): «أكل لحوم الحُمُر».

(٨) انظر: «فتح الباري»، كتاب النكاح: (٩: ١٦٨)، فقد تعقب ابن حجر ما ذكره السهيلي بقوله: «وهذا اللفظ الذي ذكره لم أره من رواية ابن عيينة».

قالَ: [إنّ ذَلِكَ][(١)] كانَ في غَزْوةِ تَبُوكَ، ثُمّ رِوايةُ الحَسَنِ: أنّ ذَلِكَ كانَ في عُمْرةِ القَضاءِ، والمَشْهُورُ في تَحْرِيمِ نِكاحِ المُتْعةِ رِوايةُ الرّبِيعِ بنِ سَبْرةَ، [عَنْ أبيهِ][(٢)]: أنّ ذَلِكَ كانَ عامَ الفَتْحِ. وقَدْ خَرّجَ مُسلِمٌ الحديثَ بطُولِهِ[(٣)]، وفي هذا أيْضًا حَدِيثٌ آخَرُ خَرّجَهُ أبُو داوُدَ؛ أنّ تحريمَ نِكاحِ المُتْعةِ كانَ في حَجّةِ الوَداعِ[(٤)]، ومَنْ قال من الرُّواة: كان في غزوة أوْطاسٍ، فهُوَ مُوافِقٌ لِمَنْ قالَ: عامَ الفَتْحِ، فتَأمَّلْهُ، واللهُ المُسْتَعانُ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ ﷺ: «لَأُعْطِيَنّ الرّايةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلى يَدَيْهِ»، وفي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ: فباتَ النّاسُ يَدُوكُونَ أيّهُمْ يُعْطاها؟ ومَعْناهُ مِنَ الدَّوكةِ والدُّوكةِ، وهُوَ اخْتِلاطُ الأصْواتِ.

وَذَكَرَ أنّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ انْطَلَقَ بِالرّايةِ يَأْنِحُ، وفي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ[(٥)]: «يَؤُجّ»، فمَنْ رَواهُ: «يَأْنِحُ» فهُوَ مِنَ الأنِيحِ[(٦)]، وهُوَ عُلُوُّ النَّفَسِ، يُقالُ: فَرَسٌ أنْوَحُ مِنْ هَذا، ويُرْوى أنّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأى رَجُلًا يَأْنِح بِبَطْنِهِ، فقالَ: ما هَذا؟ فقالَ: بَرَكةٌ مِنَ اللهِ، فقالَ: بَل هُوَ عَذابٌ عَذّبَك بِهِ[(٧)]. ومَنْ رَواهُ «يَؤُجّ»، فمَعْناهُ: يُسْرِعُ، يُقالُ: أجّتِ النّاقةُ تَؤُجّ؛ إذا أسْرَعَتْ في مَشْيِها.

---

(١) مكانه في (ب): «إنه».

(٢) ليس في (ب)، (ج).

(٣) الحديث في كتاب النكاح من «صحيح مسلم» (٢: ١٠٢٦).

(٤) «سنن أبي داود»، كتاب النكاح: (٢: ٢٢٦-٢٢٧).

(٥) في (ب): «وفي رواية غير ابن إسحاق».

(٦) في (ح): «الأنْح». وكلاهما صواب، يقال: أَنح يأنِحُ أنْحًا وأنيحًا وأُنُوحًا.

(٧) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٤٨-٤٩).

وزادَ الشّيْبانِيُّ عَنِ ابنِ إسْحاقَ في هَذا الحَدِيثِ حِينَ ذَكَرَ أنّ عَلِيًّا كانَ أَرْمَدَ، وأنَّ[١] رسول الله ﷺ تَفَلَ في عَيْنَيْهِ فبَرِئَ، قالَ[٢]: فما وجِعَتْ عَيْنُهُ حَتّى مَضى لِسَبِيله، قالَ: وكانَ عَلِيٌّ يَلبَسُ القَباءَ المَحْشُوَّ الثّخِينَ في شِدّةِ الحَرّ، [فلا يُبالِي الحَرّ][٣]، ويَلبَسُ الثّوْبَ الخَفيفَ في شِدّةِ البَرْدِ، فلا يُبالِي البَرْدَ، وسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فأخْبَرَ أنّ رسول الله ﷺ دَعا لَهُ يَوْمَ خَيْبَرَ حِينَ رَمِدَتْ عَيْنُهُ أنْ يَشْفيَهُ اللهُ، وأنْ يُجَنّبَهُ الحَرَّ والبَرْدَ، فكانَ ذَلِكَ[٤].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّل حين احتملَ جرابَ الشَّحم، وأرادَ صاحِبُ المَغنَمِ أخْذَهُ مِنْهُ، ولَمْ يَذْكُر اسْمَ صاحِبِ المَغانِمِ، ورُوِيَ عَن ابنِ وهْبٍ أنّهُ قالَ: كانَ عَلى المَغانِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ أبُو اليَسَرِ كَعْبُ بنُ عَمْرِو بنِ زَيْدٍ الأنْصارِيُّ، هَكَذا وجَدْته في بَعْضِ كُتُبِ الفِقْهِ مَرْوِيًّا عَن ابنِ وهْبٍ، ولَمْ يَتّصِل لِي بِهِ إسْنادٌ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ صَفيّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، وأُمُّها بُرْدةُ بِنْتُ سَمَوْأَلٍ[٥]، أُخْتُ رفاعة بنِ سَمَوْأَلٍ المَذْكُورِ في «المُوَطّأ»[٦]، وأنّهُ اصْطَفاها لِنَفْسِهِ، وفي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ عائِشَةَ

---

(١) «في (ف): «أن» بدون الواو.

(٢) في (ف): «فقال».

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ب): «كذلك».

(٥) كذا ضبطه ابن الأثير في «أسد الغابة»، ترجمة رفاعة بن سموأل: (٢: ٢٢٨).

(٦) «الموطأ»، كتاب النكاح: (٢: ٥٣١).

رضي الله عنها قالَتْ: كانَتْ صَفيّةُ مِن الصَّفيِّ[١]، والصَّفيُّ: ما يَصْطَفيهِ أَمِيرُ الجَيْشِ لِنَفْسِهِ، قالَ الشّاعِرُ[٢]: [من الوافر]

لَكَ المِرْبــاعُ مِنْها والصَّفايا

فالمِرْباعُ[٣]: رُبْعُ الغَنيمةِ. والصَّفيُّ: ما يُصْطَفى لِلرّئيسِ. وكانَ هَذا في الجاهِلِيّةِ، فَنُسِخَ المِرْباعُ بِالخُمْسِ، وبَقِيَ أَمْرُ الصَّفيِّ.

[قال أبو عبيد][٤]: وَكانَتْ أَمْوالُ النّبيّ ﷺ مِنْ ثَلاثةِ أَوْجُهٍ: مِنَ الصَّفيّ، والهَدِيّةِ تُهْدى إِلَيْهِ وهُوَ في بَيْتِهِ لا في الغَزْوِ مِنْ بِلادِ الحرب، ومن خُمُسِ الخُمُسِ[٥].

ورَوى يُونُسُ، عَنْ إِبْراهِيمَ بنِ إِسْماعِيلَ بنِ مُجَمِّعٍ الأَنْصارِيّ، قالَ: حَدّثَنِي عُثْمانُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ، قال: حدَّثني رَجُلٌ مِنْ بَنِي النّضِيرِ كانَ في حِجْرِ صَفيّةَ [بِنْتِ حُيَيّ][٦] مِنْ رَهْطِها يُقالُ لَهُ: رَبيعٌ، عَنْ صَفيّةَ بِنْتِ حُيَيّ قالَتْ:

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الإمارة: (٣: ١٥٢).

(٢) عبد الله بن عنمة الضبي، شاعر مخضرم، والبيت أحد أبيات ثمانية في «الحماسة» (٣: ١٠٢١-١٠٢٦)، وعجزه:

وحُكْمُك والنشيطة والفُضُولُ

والنشيطة: ما أُخِذ من الغنائم بغير خيل ولا ركاب. والفضول: ما فضل بعد القسمة ويقل عن عدد الغزاة.

(٣) في (ف): «والمرباع».

(٤) عن (ب)، (س)، (ص).

(٥) انظر: «الأموال» لأبي عبيد: (ص: ١٤)، فقد ذكر الأموال الخالصة لرسول الله ﷺ، وجعل أولها ما أفاء الله على رسوله من المشركين مما لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب، والثاني الصَّفي، والثالث خُمس الخُمس بعدما تُقسم الغنيمة وتُخمّس.

(٦) ليس في (ب).

ما رَأيْتُ أحَدًا قَطُّ أحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رسول الله ﷺ؛ لَقَدْ رَأيْته رَكِبَ بِي مِنْ خَيْبَرَ حِينَ أفاءَ اللهُ عَلَيْهِ[١] على عَجُزِ ناقَتِهِ لَيْلًا، فجَعَلتُ أنْعَسُ فيَضْرِبُ رَأْسِي مُؤْخِرةَ الرّحْلِ، فيَمَسّنِي بيَدِهِ، ويَقُولُ: «يا هَذِهِ مَهْلًا يا ابنةَ حُيَيٍّ»، حَتّى [إذا][٢] جاءَ الصّهْباءَ[٣]، قالَ: «أما إنّي أعْتَذِرُ إلَيْك يا صَفيّةُ مِمّا صَنَعْتُ بِقَوْمِك، إنّهُمْ قالُوا لي: كَذا، وقالُوا: كَذا[٤]».

وحَدِيثُ اصْطِفائِهِ صَفيّةَ يُعارِضُهُ في الظّاهِرِ الحَدِيثُ الآخَرُ عَنْ أنَسٍ: أنّها صارَتْ إلى دِحْيةَ[٥] فأخَذَها مِنْهُ[٦]، وأعْطاهُ سبعة أَرْؤُس، ويُرْوى: أنّهُ أعْطاهُ بِنْتَيْ عَمِّها عِوَضًا مِنْها، ويُرْوى أيْضًا أنّهُ قالَ لَهُ: «خُذْ رَأْسًا آخَرَ مَكانها»، ولا مُعارَضةَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ؛ فإنّما أخذها من دِحيةَ قَبْلَ القَسْمِ، وما عَوّضَهُ مِنْها لَيْسَ عَلى جِهةِ البَيْعِ، ولَكِنْ عَلى جِهةِ النّفلِ أو الهِبةِ، واللهُ أعْلَمُ.

غَيْرَ أنَّ بَعْضَ رُواةِ الحَدِيثِ في المُسْنَدِ الصّحِيحِ يَقُولُونَ فيهِ: إنّهُ اشْتَرى صَفيّةَ مِنْ دِحْيةَ، وبَعْضُهُمْ يَزِيدُ فيهِ: بَعْدَ القَسْمِ[٧]، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ ذَلِكَ كانَ.

وَكانَ أمْرُ الصّفيّ: أنّهُ كانَ عَلَيْهِ السّلامُ إذا غَزا في الجَيْشِ اخْتارَ مِنَ الغَنِيمةِ

---

(١) في (ف): «أفاء الله على رسوله».

(٢) ليس في (ب).

(٣) الصهباء: موضع بينه وبين خيبرَ روحة، والروحة: المرة من الرواح، وهو الوقت من زوال الشمس إلى الليل.

(٤) في (ف): «لي كذا».

(٥) في (ف): «صارت لدحية».

(٦) في (ب): «فأخذها منه بسبعة أرؤس». وانظر الخبر في: «طبقات ابن سعد» (٨: ٨٧)، و«أسد الغابة» (٧: ١٦٩).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٣: ١٢٣)، و«سنن أبي داود»، كتاب الإمارة: (٣: ١٥٣).

قَبْلَ القَسْمِ رَأْسًا؛ [عبدًا، أو أمةً، أو فرسًا][١]، وضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ المُسْلِمِينَ، فإذا قعَدَ[٢] ولم يَخْرُجْ مع الجَيْشِ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمٍ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ صَفيّ. ذَكَرَهُ أَبُو داوُدَ[٣].

وأمْرُ الصّفيّ بَعْدَ الرّسُولِ عَلَيْهِ السّلامُ لِإمامِ المُسْلِمِينَ في قَوْلِ أَبِي ثَوْرٍ[٤]، وخالَفَهُ جُمْهُورُ الفُقَهاءِ، وقالُوا: كانَ خُصُوصًا لِلنّبيّ ﷺ.

وَقَوْلُهُ[٥]: «أعْتَقَها، وجَعَلَ عِتْقَها صَداقَها» هُوَ[٦] صَحِيحٌ في النقل، وقالَ بِهِ كَثِيرٌ مِن العُلَماءِ، ومَنْ لَمْ يَقُل بِهِ مِن الفُقَهاءِ تَأَوّلَهُ خُصُوصًا بالنّبيّ ﷺ، أَوْ مَنْسُوخًا، ومِمّنْ لَمْ يَقُل بِهِ مالِكُ بنُ أَنَسٍ، وجَماعةٌ سِواهُ لا يَرَوْنَ مُجَرّدَ العِتْقِ يُغْنِي عَنْ صَداقٍ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ حَنَشٍ الصّنْعانِيّ، عَنْ رُوَيْفِعِ بنِ ثابِتٍ؛ هُوَ حَنَشُ بنُ عبدِ اللهِ السَّبائِيّ، جاءَ إلى الأنْدَلُسِ مَعَ مُوسى بنِ نُصَيرٍ، وهُوَ الّذِي [ابْتَنى جامِعَ سَرَقُسْطَةَ، وأَسّسَ جامِعَ قُرْطُبَةَ][٧] أيْضًا، فيما ذَكَرُوا، وتَوَهّمَ البُخارِيّ

---

(١) عن (ص).

(٢) في (ف): «وإذا قعد».

(٣) «سنن أبي داود»، كتاب الإمارة: (٣: ١٥٢).

(٤) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه، كان أحد الثقات، جمع بين الفقه والحديث، وكان يميل إلى مذهب الشافعي، تُوفي ببغداد سنة (٢٤٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٢: ٨٠-٨٣).

(٥) لم أجد هذا القول في «السيرة»، وقد أخرجه الشيخان في كتاب النكاح. انظر: «فتح الباري» (٩: ١٢٨)، ومسلم: (٢: ١٠٤٥).

(٦) «هو» ليس في (ف).

(٧) في (ب): «ابتنى وأسس جامع قرطبة وجامع سرقسطة».

أنّهُ حَنَشُ ابنُ عَلِيّ[١]، [وأنّ الاِخْتِلافَ في اسْمِ أَبِيهِ، وقَدْ فرّقَ بَيْنَهُما عَلِيُّ بنُ المَدِينِيّ؛ فقالَ: حَنَشُ بنُ عَلِيّ][٢]، صَنعانيٌّ مِنْ صَنْعاءِ الشّامِ، ومِنْها أبُو الأشْعَثِ الصّنْعانِيّ، وحَنَشُ بنُ عبدِ اللهِ السَّبئِيُّ، مِنْ صَنْعاءِ اليَمَنِ، وكِلاهُما يَرْوِي عَنْ عَلِيّ، فمِنْ ههُنا دَخَلَ الوَهْمُ عَلى البُخارِيّ، هَكَذا ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ[٣]، ويروي عَنْ عَلِيٍّ أيْضًا حَنَشُ بنُ رَبِيعةَ، وحَنَشُ بنُ المُعْتَمِرِ، وهُما غيرُ هَذَينِ.

وَفيهِ: «أَلّا تُوطَأَ حامِلٌ مِنَ السَّبايا حَتّى تَضَعَ...»، وذَكَرَ باقِيَ الحَدِيثِ، وقَدْ ثَبَتَ عَنْ رسول الله ﷺ في حَدِيثٍ آخَرَ: أَنّهُ نَظَرَ إلى أَمَةٍ[٤] مُجِحٍّ؛ أيْ: مُقْرِبٍ[٥]، فسَأَلَ عَنْ صاحِبِها، فقِيلَ [له][٦]: إنّهُ يُلِمُّ بِها، فقالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أَلعَنَهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ مَعَهُ في قَبْرِهِ». وذكَرَ الْحَدِيثَ.

فَهَذا في مَعْنى قَوْلِهِ: «لا يَسْقِينَّ أحدُكم زَرْعَ غَيْرِهِ»[٧]، يَعْنِي: الحَبالى مِنَ السّبايا، فإنْ فعَلَ فالوَلَدُ مُخْتَلَفٌ في إلحاقِهِ بِهِ؛ فقالَ مالِكٌ والشّافِعِيّ: لا يَلحَقُ بِهِ، وقالَ اللّيْثُ: يَلحقُ بِهِ؛ لِقَوْلِ النّبيّ[٨] ﷺ: «كَيْفَ يَسْتَعْبِدُهُ وقَدْ غَذّاهُ في سَمْعِهِ وبَصَرِهِ؟»[٩].

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» (٧: ٤٢٩-٤٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٩٢-٤٩٣).
(٢) سقط من (ب).
(٣) انظر: «تهذيب الكمال» (٧: ٤٣١-٤٣٣).
(٤) في (ف): «امرأة».
(٥) أي: حامل دنا ولادُها.
(٦) ليس في (ب)، (ف).
(٧) أخرجه مسلم في كتاب النكاح: (٢: ١٠٦٥-١٠٦٦). وفيه: «كيف يستخدمه...».
(٨) في (ف): «رسول الله».
(٩) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح: (٢: ٢٤٨).

فَصْلٌ

ومِمّا يَتّصِلُ بِقِصّةِ مَرْحَبٍ اليَهُودِيّ مَعَ عَلِيّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ[١] الكِتابِ، قَوْلُ عَلِيّ بن أبي طالب[٢]: [من الرجز]

أنا الّذِي سَــمّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَةْ أَضْرِبُ بالسّيف رؤوسَ الكفرةْ

أكِيلُهُمْ بالصّاعِ[٣] كَيلَ السَّندرةْ

أيْ: أجْزِيهِمْ بِالوَفاءِ. والسَّنْدَرةُ: شَجَرةٌ يُصْنَعُ مِنْها مَكايِلُ[٤] عِظامٌ، وَفي قَوْلِهِ رحمه الله: «سَمّتْنِي أُمّي حَيْدَرَهْ» ثَلاثةُ أقْوالٍ ذَكَرَها قاسِمُ بنُ ثابِتٍ؛ أحَدُها: أنّ اسْمَهُ في الكُتُبِ المُتَقَدّمةِ أَسَدٌ، والأسَدُ: هُوَ الحَيْدَرةُ. الثّانِي: أنّ أُمّهُ فاطِمةَ بِنْتَ أَسَدٍ حِينَ ولَدَتْهُ كانَ أَبُوهُ غائِبًا، فسَمّتْهُ بِاسْمِ أبِيها أسَدٍ، فَقَدِمَ أَبُوهُ فَسَمّاهُ عَلِيًّا. الثّالِثُ: أَنّهُ كان لُقِّبَ في صِغَرِهِ بِحَيْدَرةَ؛ لِأنّ[٥] الحَيْدَرةَ المُمْتَلِئُ لَحْمًا مَعَ عِظَمِ بَطْنٍ، وكَذَلِكَ كانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولِذَلِكَ قالَ بَعْضُ اللّصُوصِ حِينَ فَرَّ مِنْ سِجْنِهِ الّذِي كانَ يُسَمّى نافِعًا، وقِيلَ فيهِ: يافِعٌ أيْضًا بِالياءِ: [من الوافر]

وَلَوْ أنّي مَكَثْتُ لَهُمْ قَلِيلًا لَجَرّونِي إلى شَــيْخٍ بَطِينِ

وَذَكَـرَ شَقًّـا والنَّطـاةَ. وشَـقٌّ بِالفَتْحِ أعْـرَفُ عِنْدَ أهْلِ اللّغةِ، كَذَلِكَ قَيّدَهُ

---

(١) في (ب): «روايات».

(٢) انظر الأبيات في «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد: (٣: ١٤٤١)، و«مقاتل الطالبيّين» (ص: ٢٥)، وهي في «ديوان الإمام علي» (ص: ٧٧-٧٨) ضمن عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب.

(٣) في (أ)، (ح)، (ف)، وحاشية (ب): «بالسيف».

(٤) في (ج)، (ف): «مكاييل». ومكاييل: جمع مكيال. وأما مكايل: فجمع مكيل.

(٥) في (ب): «والحيدرة».

البَكْرِيّ[١].

وَذَكَرَ وادِيَ خاصٍ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ. وقالَ أَبُو الوَلِيدِ: إنّما هُوَ وادِي خَلصٍ بِاللّامِ، والأوّلُ تَصْحِيفٌ. [وقالَ البَكْرِيُّ: هُوَ خَلصٌ بِاللّامِ][٢]، وأنْشَدَ البَكْرِيّ لِخالِدِ بنِ عامِرٍ[٣]: [من الطويل]

إنَّ بِخَلْــصٍ خَلْــصِ آرةَ بُدَّنًا   نَواعِمَ كالغِزْلانِ مَرْضى عيونُها

فَصْلٌ

وذَكَرَ في أشْعارِ[٤] [خَيْبَرَ قَوْلَ][٥] العبسِيّ، وفي آخِرِهِ: [من الكامل]

فَرَّتْ يهودٌ يومَ ذلكَ في الوغى   تَحْتَ العَجاجِ غَمائِمَ الأبْصارِ

وَهُوَ بَيْتٌ مُشْكِلٌ، غَيْرَ أنّ في بَعْضِ النُّسَخِ ـ وهي قَلِيلةٌ ـ عَنِ ابنِ هِشامٍ أنّهُ قالَ: فرّتْ: فتحَتْ، مِنْ قَوْلِك: فرَرْتُ الدّابّةَ؛ إذا فتَحْتَ فاها. و«غَمائِمَ الأبْصارِ»: هي مَفْعُولُ «فرّتْ»، وهي جُفُونُ أعْيُنِهِمْ، هَذا قَوْلٌ، وقَدْ يَصِحُّ أنْ يَكُونَ «فرّتْ» مِنَ الفِرارِ، و«غَمائِمَ الأبْصارِ» مِنْ صِفةِ العَجاجِ، وهُوَ الغُبارُ، ونَصْبُهُ عَلى الحالِ مِنَ العَجاجِ، وإنْ كانَ لَفْظُهُ لَفْظَ المَعْرِفةِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِشادٍ في النّحْوِ، ولا ماهِرٍ في العَرَبِيّةِ، وأمّا عِنْدَ أهْلِ التّحْقِيقِ فهُوَ نَكِرةٌ؛ لِأنّهُ لَمْ يُرِدِ الغَمائِمَ حَقِيقةً، وإنّما أراد: مِثلَ الغمائمِ[٦]، فهو مِثلُ قَولِ امرئٍ

(١) قال في «المعجم»: الشِّق ـ بكسر أوله وتشديد ثانيه ـ: وادٍ بخيبرَ مذكور في رسمها، وكان في سهم النبي ﷺ الذي قسم الشق والنطاة.

(٢) سقط من (ب).

(٣) «معجم ما استعجم» (١: ٩١).

(٤) في (ص): «أشعار يوم خيبر».

(٥) ليس في (ب).

(٦) في (ب)، (ج): «الغمام».

القَيْسِ[1]: [من الطويل]

بِمُنْجَرِدٍ قَيْـدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

فـ«قَيْدُ» هُنا نَكِرةٌ؛ لِأنَّهُ أرادَ: مِثْلَ القَيْدِ[2]؛ ولِذَلِكَ نَعتَ بِهِ مُنْجَرِدًا، أوْ جَعَلَهُ في مَعْنى مُقَيِّدٍ[3]، وكذلك قول عَبْدة بنِ الطَّبيب[4]: [من الطويل]

تَحِيَّةُ مَنْ غادَرْته غَرَضَ الرّدى

فَنَصَبَ (غَرَضًا) عَلى الحالِ. وأَصَحُّ الأقْوالِ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]: أَنَّهُ حالٌ مِنَ المُضْمَرِ المَخْفُوضِ[5]؛ لِأَنَّهُ أرادَ التَّشْبيهَ بِالزَّهْرةِ مِنَ النّباتِ[6]، ومِنْ هَذا النَّحْوِ قَوْلُهُمْ: جاءَ القَوْمُ الجَمّاءَ الغَفيرَ[7]، انْتَصَبَ عَلى الحالِ، وفيهِ الألِفُ واللّامُ، وهُوَ مِنْ بابِ ما قَدّمْناهُ مِنَ التّشْبِيهِ؛ وذَلِكَ أنّ الجَمّاءَ هي بَيْضةُ[8] الحَدِيدِ تُعْرَفُ بِالجَمّاءِ والصَّلعاءِ، فإذا جُعِلَ

---

(١) «ديوانه» (ص: ٥١)، وصدره:

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها

(٢) في (أ): «مثل قيد الأوابد». و«مثل» من الأسماء المتوغلة في الإبهام لا تستفيد من المضاف إليه تعريفًا.

(٣) يريد أنه في المعنى إضافة لفظية. وانظر: «شرح الكافية» للرضي: (٢: ٢٢٣).

(٤) هو الشاعر المخضرم عَبْدة بن الطبيب ـ واسم الطبيب: يزيد ـ بن عمرو بن وعلة من بني جشم بن عبد شمس، قاتلَ الفرسَ مع المثنى بن حارثة، وشهد موقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن سنة (٢١هـ). انظر: ترجمته في «البيان والتبيين» (١: ٢٤٠)، و«الإصابة» لابن حجر: (٣: ١٠٠) وما يليها، و«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (٩: ٩٠٠-٩٠١).

(٥) أي في (به) من قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾.

(٦) فهو على تقدير «مثل زهرة الحياة».

(٧) انظر: «كتاب سيبويه» (١: ٣٧٥).

(٨) بيضة الحديد تُلبس في الرأس.

مَعَهـا المِغْفَـرُ[(١)]، فهي غفيرٌ، فإذا قلْتَ: جـاؤوا الجَمّـاءَ الغَفيرَ، فإنّمـا أَرَدْتَ العُمُومَ والإحاطةَ بِجَمِيعِهِمْ؛ أي: جاؤوا جَيْئةً تَشْمَلُهُمْ وتَسْتَوْعِبُهُمْ، كَما تُحِيطُ البَيْضةُ الغَفيرُ بالرّأْسِ، فلَمّا قَصَدُوا مَعْنى التّشْبِيهِ دَخَلَ الكَلامَ التنكيرُ كما تَقَدّمَ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: تَفَرّقُوا أَيْدِيَ سَبا، وأيادِيَ سَبا، أيْ: مِثْلَ أَيْدِي سَبا، فحَسُنَتْ فيهِ الحالُ لِذَلِكَ، والّذِي قُلناهُ في مَعْنى: «الجَمّاءَ الغَفيرَ»، رَواهُ أَبُو حاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدةَ، وكانَ عَلّامةً بِكَلامِ العَرَبِ، ولَمْ يَقَعْ سِيبَوَيْهِ عَلى هَذا الغَرَضِ في مَعْنى الجَمّاءِ، فجَعَلَها كَلِمةً شاذّةً عَنِ القِياسِ، واعْتَقَدَ فيها التّعْرِيفَ وقَرَنَها بِبابِ «وحْدَهُ»[(٢)]، وفي بابِ «وحْدَهُ» أَسْرارٌ قَدْ أَمْلَيْناها في غَيْرِ هَذا الكتاب، ومَسْأَلةُ «وَحْدَهُ» تَخْتَصّ بِباب «وحْدَهُ»، وهَذا الّذِي ذَكَرْناه[(٣)] مِن التّنْكِيرِ بِسَبَبِ التّشْبِيهِ، [إنّما يَكُونُ إذا شَبّهْتَ الأوّلَ بِاسْمٍ مُضافٍ، وكانَ التّشْبِيهُ][(٤)] بِصِفةٍ مُتَعَدّيةٍ إلى المُضافِ إلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: قَيْدِ الأوابِدِ، [أيْ: مُقَيِّدَ الأوابِدِ][(٥)].

[ولَوْ][(٦)] قُلت: «مَرَرْتُ بِامْرَأةٍ القَمَر» عَلى التّشْبيهِ، لَمْ يَجُزْ؛ لأنّ الصفة التي وقعَ بها التّشبيهُ غير مُتَعَدِّيةٍ إلى القَمَرِ، فهَذا شَرْطٌ في هَذِهِ المَسْألةِ.

ومِمّا يَحْسُنُ فيهِ التّنْكِيرُ وهُوَ مُضافٌ إلى مَعْرِفةٍ اتّفاقُ اللّفْظَيْنِ، كَقَوْلِهِ: لَهُ صَوْتٌ صَوْتَ الحِمارِ وزَئِيرٌ زَئِيرَ الأسَدِ.

---

(١) المِغْفَرُ: زَرَدٌ يُنسجُ من الدّرع على قدر الرأس يُلبسُ تحت القلنسوة. «القاموس المحيط» (غفر). والزرد: الحِلَق.

(٢) «الكتاب» لسيبويه: (١: ٣٧٧). (ج)

(٣) في (ف): «ذكرنا».

(٤) سقط من (ب).

(٥) سقط من (ب).

(٦) سقط من (أ).

فإنْ قُلت[١]: فما بـالُ «الجَمّـاءَ الغَفيـرَ» جـازَ فيها الحـالُ ولَيْسَتْ بِمُضافةٍ؟

قُلنا: لَمْ تَقُلِ العَرَبُ: جاءَ القَوْمُ البَيْضةَ، فيَكُونُ مِثْلَ ما قَدَّمْناهُ مِنْ قَوْلِك: مَرَرْت بِهندٍ القَمَر، وإنّما قالُوا: «الجَمّاءَ الغَفيرَ» بِالصّفةِ الجامِعةِ بَيْنَها وبَيْنَ ما هي حالٌ مِنْهُ، وتِلْكَ الصّفةُ الجَمَمُ، وهُوَ الاستواءُ، والغَفْر[٢]، وهي[٣] التغطية، فمعنى الكـلام: جـاؤوا جِيئةً مُسَوِّيةً[٤] لَهُمْ، مُوعِبةً لِجَمِيعِهِمْ، فقَوِيَ مَعْنى التّشْبِيهِ بِهَذا الوَصْفِ، ودَخَلَ[٥] التّنْكِيرُ لِذَلِكَ، وحَسُنَ النَّصْبُ عَلى الحالِ، وهي حالٌ مِن المَجِيءِ[٦].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ الشّاةِ المَسْمُومةِ، وأكْلَ بِشْر بن البراء منها، وفيهِ: أنّ الذّراعَ كانَتْ تُعْجِبُهُ[٧]؛ لِأنّها هادِي الشّاةِ، وأبْعَدُها مِنَ الأذى، كذَلِكَ جاءَ مُفَسَّرًا في هَذا اللّفْظِ.

فأمّا المَرْأةُ الّتِي سَمّتْهُ، فقالَ ابنُ إسْحاقَ: صَفَحَ عَنْها، وقَدْ رَوى أبُو داوُدَ[٨]

---

(١) في (ف): «قيل».

(٢) في (أ): «والغفر هو التغطية». وفي (ص)، (ج): «وهو التغطية».

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) في غير (أ)، (ب)، (ص)، (ف): «مستوية».

(٥) (أ)، (ب)، (س)، (ف): «فدخل».

(٦) بعده في (ص)، (ج): «فائدة منه».

(٧) «فتح الباري»، كتاب الأنبياء: (٦: ٣٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٨٤).

(٨) «سنن أبي داود»، كتاب الديات، من حديث أبي سلمة، وأم مبشر: (٤: ١٧٥).

أَنّهُ قَتَلَها، ووَقَعَ في كِتابِ «شَرَفِ[1] المُصْطَفى» أَنّهُ قَتَلَها وصَلَبَها؛ وهي زَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ سَلامٍ، وقالَ أَبُو داوُدَ: هي أُخْتُ مَرْحَبٍ اليَهُودِيِّ[2]، ورَوى أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ ابنُ إسْحاقَ.

ووَجْهُ الجَمْعِ بَيْنَ الرّوايَتَيْنِ: أَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ صَفَحَ عَنْها أَوّل[3]؛ لِأَنّهُ كانَ ﷺ لا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، فَلَمّا ماتَ بِشْرُ بنُ البَراءِ مِنْ تِلكَ الأَكْلَةِ، قَتَلَها؛ وذَلِكَ أَنّ بِشْرًا لَمْ يَزَل مُعْتَلًّا مِنْ تِلكَ الأَكْلَةِ حَتّى ماتَ مِنْها بَعْدَ حَوْلٍ، وقالَ عليه السّلام عِنْدَ مَوْتِهِ: «ما زالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعادُّنِي، فَهَذا أَوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»، وكانَ يَنْفُثُ مِنْها مِثْلَ عَجْمِ الزّبِيبِ[4].

و«تُعادُّنِي»، أيْ: تَعْتادُنِي المَرّةَ بَعْدَ المَرّةِ، قالَ الشّاعِرُ[5]: [من الوافر]

أُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ سَلْمى ... كَما يَلْقى السَّلِيمُ مِنَ العِدادِ

والأَبْهَرُ: عِرْقٌ مُسْتَبْطَنُ القَلبِ. قالَ ابنُ مُقْبِلٍ[6]: [من البسيط]

وَلِلفُؤادِ وجِيبٌ تَحْـتَ أَبْهَرِهِ ... لَدْمَ الغُلامِ وراءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ

---

(١) كتاب «شرف المصطفى» لأبي سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري، فقيه شافعي، له مصنفات نافعة، تُوفي سنة (٤٠٧هـ). انظر: «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٨٩)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٥: ٢٢٢).

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الديات: (٤: ١٧٣).

(٣) في (أ)، (ب): «أولًا».

(٤) انظر «سنن ابن ماجه»، كتاب الجنائز: (٢: ٥١٧)، و«مسند أحمد» (٦: ٣٨)، و«النهاية» لابن الأثير: (عدد). والعَجَم ـ بالتحريك ـ: نوى كل شيء من تمر ونبق وغيرهما.

(٥) البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ٧٣)، ونسب في حاشية الأصل منه إلى كُثيِّر، ولم أجده في «ديوانه». وهو في «اللسان» (عدد) غير منسوب.

(٦) «ديوانه» (ص: ٨٤).

وَقَدْ رَوى مَعْمَرُ بنُ راشِدٍ في «جامِعِهِ» عَنِ الزُّهْرِيّ، أَنَّهُ قالَ: أَسْلَمَتْ، فتَرَكَها رسول الله ﷺ. قالَ مَعْمَرٌ: هَكَذا قالَ الزُّهْرِيّ: أَسْلَمَتْ، [والنّاسُ يَقُولُونَ: قَتَلَها][١] وإنّها لَمْ تُسْلِمْ، وفي «جامِعِ مَعْمَرِ بنِ راشِدٍ» أيْضًا: أنّ أُمّ بِشْرِ بنِ البَراءِ قالَتْ لرسول الله ﷺ في المَرَضِ الّذِي ماتَ فيه[٢]: ما تَتّهِمُ يا رسول الله؟ فإنّي لا أتّهِمُ بِبِشْرٍ[٣] إلّا الأكْلةَ الّتِي أكَلَها مَعَك بِخَيْبَر، فقالَ: «وأنا لا أتّهِمُ بِنَفْسِي إلّا ذَلِكَ، فهَذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»[٤].

* * *

(١) سقط من (ب).

(٢) في غير (ب): «منه».

(٣) في (ب): «بشرًا»، وفي (ج)، (س)، (ص): «لبشر».

(٤) «أسد الغابة» (٧: ٢٥٩).

[شُهودُ النِّساءِ خَيْبَرَ، وحَدِيثُ المَرْأةِ الغِفارِيّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وشَهِدَ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ نِساءٌ مِنْ نِساءِ المُسْلِمِينَ، فرَضَخَ لَهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ مِن الفيءِ، ولَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ بِسَهْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني سُلَيْمانُ بنُ سُحَيْمٍ، عَنْ أُمَيّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ، عَن امْرَأةٍ مِنْ بَنِي غِفارٍ، قَدْ سَمّاها لِي، قالَتْ: أتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ في نِسْوةٍ مِنْ بَنِي غِفارٍ، فقُلْنا: يا رَسُولَ الله، قَدْ أرَدْنا أنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إلى وجْهِكَ هذا ـ وهُوَ يَسِيرُ إلى خَيْبَرَ ـ فنُداوِيَ الجَرْحى، ونُعِينَ المُسْلِمِينَ بِما اسْتَطَعْنا. فقالَ: «على بَرَكَةِ الله». قالَتْ: فخَرَجْنا مَعَهُ، وكُنْتُ جارِيةً حَدَثةً، فأرْدَفَنِي رَسُولُ الله ﷺ على حَقِيبةِ رَحْله. قالَت: فوالله لَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ إلى الصُّبْحِ وأناخَ، ونَزَلْتُ عَنْ حَقِيبةِ رَحْلِهِ، وإذا بِها دَمٌ مِنِّي، وكانَتْ أوَّلَ حَيْضةٍ حِضْتُها، قالَتْ: فتَقَبَّضْتُ إلى النّاقةِ واسْتَحْيَيْتُ، فلَمّا رَأى رَسُولُ الله ﷺ ما بِي ورَأى الدَّم، قالَ: «ما لكِ؟ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟». قالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ: «فأصْلِحِي مِنْ نَفْسِكِ، ثُمَّ خُذِي إناءً مِنْ ماءٍ، فاطْرَحِي فيهِ مِلْحًا، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ ما أصابَ الحَقِيبةَ مِن الدَّمِ، ثُمَّ عُودِي لِمَرْكَبِكِ».

قالَتْ: فلَمّا فتَحَ رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ، رَضَخَ لَنا مِن الفيءِ، وَأخَذَ هَذِهِ القِلادَةَ الَّتِي تَرَيْنَ في عُنُقِي فأعْطانِيها، وعَلَّقَها بِيَدِهِ في عنقِي، فوالله لا تُفارِقُنِي أبَدًا. قالَتْ: فكانَتْ في عُنُقِها حَتّى ماتَتْ، ثُمَّ أوْصَتْ أنْ تُدْفَنَ مَعَها. قالَتْ: وَكانَتْ لا تَطَهَّرُ مِنْ حَيْضةٍ إلّا جَعَلَتْ في طَهُورِها مِلْحًا، وأوْصَتْ بِهِ أنْ يُجْعَلَ في غُسْلِها حِينَ ماتَتْ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ الغِفارِيّةِ الّتِي شَهِدَتْ خَيْبَرَ، ولَمْ يُسَمِّها، وقَدْ يُقالُ: اسْمُها لَيْلى، ويُقالُ: هي امْرَأةُ أَبِي ذَرٍّ الغِفارِيّ.

وقَوْلُها: «رَضَخَ لِي رسول الله ﷺ»، أَصْلُ الرَّضْخِ: أَنْ تَكْسِرَ من الشّيء الرّطبِ كِسرةً فتعطيها، وأمّا الرَّضْحُ ـ بِالحاءِ المُهْمَلةِ ـ: فكَسْرُ اليابِسِ الصّلبِ. قالَ الشّاعِرُ(١): [من البسيط]

كَما تَطايَرَ عَنْ مِرْضاحِهِ العَجَمُ

وَقَوْلُها: «أَمَرَني أَنْ أَجْعَلَ في طَهُورِي مِلحًا» فيهِ رَدّ عَلى مَنْ زَعَمَ مِنَ الفُقَهاءِ أنّ المِلحَ في الماءِ إذا غَيّرَ طَعْمَهُ صَيّرَهُ مُضافًا طاهِرًا غَيْرَ مُطَهِّرٍ، وفي [هَذا](٢) الحَدِيثِ ما يَدْفَعُ قَوْلَهُ.

ومِنْ طَرِيقِ النّظَرِ: أنّ المُخالِطَ لِلماءِ إذا غَلَبَ عَلى أَحَدِ أَوْصافِهِ الثّلاثةِ: الطّعْمِ، أو اللّوْنِ، أو الرّائحةِ، كانَ حُكْمُ الماءِ كَحُكْمِ المَخالِطِ لَهُ، فإنْ كانَ طاهِرًا غَيْرَ مُطَهّرٍ كانَ الماءُ بِهِ كَذَلِكَ، وإذا كانَ لا طاهِرًا ولا مُطَهِّرًا ـ كالبَوْلِ ـ كانَ الماءُ ـ لِمُخالَطَتِهِ ـ كَذَلِكَ، وإنْ كانَ المَخالِطُ لَهُ طاهِرًا مُطَهِّرًا ـ كالتّرابِ ـ كانَ الماءُ(٣) طاهِرًا مُطَهِّرًا، والمِلحُ إنْ كانَ ماءً ....

---

(١) لزياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حُرَيْث (ويقال له: زياد بن منقذ)؛ كما في «الحماسة» لأبي تمام. ولفظه:

يرضخن صم الحصا في كل هاجرة ... كمــا تطايح عــن مرضاخه العجم

انظر: «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي: (٢: ١٥١). (ج)

(٢) ليس في (ب).

(٣) بعده في (ف): «كذلك».

جامِدًا[١]، فهُوَ في الأصْلِ طاهِرٌ مُطَهِّرٌ، وإنْ كانَ مَعْدِنِيًّا تُرابِيًّا، فهُوَ كالتّرابِ في مُخالَطةِ الماءِ، فلا مَعْنى لِقَوْلِ مَنْ جَعَلَهُ ناقِلًا لِلماءِ عَنْ حُكْمِ الطّهارةِ والتّطْهِيرِ، ووَقَعَ في رِوايةِ يُونُسَ في «السّيرةِ»: أنّ النّبيّ[٢] ﷺ اغْتَسَلَ عامَ الفَتْحِ مِنْ جَفْنةٍ فيها ماءٌ وكافُورٌ[٣]، ومَحْمَلُ هَذِهِ الرّوايةِ عِنْدِي ـ إنْ صَحّتْ ـ: عَلى أنّهُ قَصَدَ بِها التّطَيُّبَ[٤]، وأنّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْدِثًا، ولِأبِي حنيفة في هَذِهِ الرّوايةِ مُتَعَلّقٌ لِتَرْخِيصِهِ[٥].

[شُهَداءُ خَيْبَرَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَذِهِ تَسْمِيةُ مَن اسْتُشْهِدَ بِخَيْبَرَ مِن المُسْلِمِينَ، مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ مِنْ حُلَفائِهِمْ: رَبِيعةُ بنُ أكْثَمَ ابنِ سَخْبَرَةَ بنِ عَمْرِو بنِ بُكَيْرِ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدٍ، وثَقِيفُ ابنُ عَمْرٍو، ورِفاعةُ بن مَسْرُوحٍ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: عَبْدُ الله بنُ الهُبَيْبِ ـ ويُقالُ: ابنُ الهَبِيبِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ ابنُ أُهَيْبِ بنِ سُحَيْمِ بنِ غِيَرَةَ، مِنْ بَنِي سَعْدِ ابنِ لَيْثٍ، حَلِيفُ لِبَنِي أسَدٍ، وابنُ أُخْتِهِمْ.

(١) في (س): «جليدًا».
(٢) في (ف): «رسول الله».
(٣) «أسد الغابة» (٦: ١٧٨).
(٤) في (ف): «على أنه قصد التطيب بذلك».
(٥) بعده في (ف): «في الماء المضاف».

[مِنَ الأنْصارِ]

وَمِن الأنْصارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلِمةَ: بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ ـ ماتَ مِن الشّاةِ الَّتِي سُمَّ فيها رَسُولُ الله ﷺ ـ وفُضَيْلُ بنُ النُّعْمانِ. رَجُلانِ.

[مِنْ زُرَيْقٍ]

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: مَسْعُودُ بنُ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدَةَ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ.

[مِنَ الأوْسِ]

وَمِن الأوْسِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ: مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمةَ بنِ خالِدِ بنِ عَدِيِّ بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثةَ بنِ الحارِثِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي حارِثةَ.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: أبو ضَيّاحِ بنُ ثابِتِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، والحارِثُ بنُ حاطِبٍ، وعُرْوةُ ابنُ مُرّةَ بنِ سُراقةَ، وأوْسُ بنُ القائِدِ، وأُنَيْفُ بنُ حَبِيبٍ، وثابِتُ بنُ أَثْلةَ، وطَلْحةُ.

[مِنْ غِفارٍ]

وَمِنْ بَنِي غِفارٍ: عُمارةُ بنُ عُقْبةَ، رُمِيَ بِسَهْمٍ.

وَذَكَرَ فيمَن اسْتُشْهِدَ بِخَيْبَرَ أبا الضّيّاحِ بنَ ثابِتٍ، ولَمْ يُسَمِّهِ، وقالَ الطَّبَرِيّ: اسْمُهُ النّعْمانُ بنُ ثابِتِ بنِ النّعْمانِ، وقالَ غَيْرُهُ: اسْمُهُ عُمَيْرٌ.

* * *

[مِنْ أَسْلَمَ]

وَمِنْ أَسْلَمَ: عامِرُ بنُ الأَكْوَعِ، والأَسْوَدُ الرّاعِي، وكانَ اسْمُهُ: أَسْلَمَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأَسْوَدُ الرّاعِي مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ.

[مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِمَّن اسْتُشْهِدَ بِخَيْبَرَ ـ فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ ـ مِنْ بَنِي زُهْرةَ: مَسْعُودُ بنُ رَبِيعةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِن القارةِ.

[مِنَ الأنْصارِ]

وَمِن الأَنْصارِ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: أَوْسُ بنُ قَتادةَ.

أَمْرُ الأَسْوَدِ الرّاعِي في حَدِيثِ خَيْبَرَ

[إسْلامُهُ واسْتِشْهادُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِ الأَسْوَدِ الرّاعِي، فيما بَلَغَنِي: أَنَّهُ أَتى رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ مُحاصِرٌ لِبَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، ومَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، كانَ فيها أَجِيرًا لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودَ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، اعْرِضْ عَلَيَّ الإسْلامَ. فعَرَضَهُ عَلَيْهِ، فأَسْلَمَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَحْقِرُ أَحَدًا أَنْ يَدْعُوَهُ إلى الإسْلامِ، ويَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فلَمّا أَسْلَمَ قالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي كُنْتُ أَجِيرًا لِصاحِبِ هَذِهِ الغَنَمِ، وهِيَ أَمانةٌ عِنْدِي، فكَيْفَ أَصْنَعُ بِها؟ قالَ: «اضْرِبْ في وُجُوهِها؛ فإنَّها سَتَرْجِعُ إلى رَبِّها» أَوْ كَما قالَ، فقالَ الأَسْوَدُ: فأَخَذَ حَفْنةً مِن الحَصى، فرَمى

بِها في وُجُوهِها، وقالَ: ارْجِعِي إلى صاحبِكِ، فواللهِ لا أَصْحَبُكِ أبدًا. فخَرَجَتْ مُجْتَمِعةً، كأنَّ سائقًا يَسُوقُها، حتّى دَخَلَتِ الحِصْنَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إلى ذلك الحِصْنِ ليُقاتِلَ مَعَ المُسْلِمِينَ، فأصابَهُ حَجَرٌ فقتَلَهُ، وما صَلّى للهِ صَلاةً قَطُّ، فأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فوُضِعَ خَلْفَهُ، وسُجِّيَ بِشَمْلَةٍ كانَتْ عَلَيْهِ، فالتَفَتَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ومَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أصحابِهِ، ثُمَّ أعرَضَ عَنْهُ، فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، لِمَ أعرَضْتَ عَنْهُ؟ قالَ: «إنَّ مَعَهُ الآنَ زَوْجَتَيْهِ مِن الحُورِ العِينِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجِيحٍ أنَّهُ ذُكِرَ لَهُ: أنَّ الشَّهِيدَ إذا ما أُصِيبَ تَدَلَّتْ لَهُ زَوْجَتاهُ مِن الحُورِ العِينِ عَلَيْهِ، تَنْفُضانِ التُّرابَ عَنْ وجْهِهِ، وتَقُولانِ: تَرَّبَ اللهُ وجْهَ مَنْ تَرَّبَكَ، وقَتَلَ مَنْ قَتَلَكَ.

وَذَكَرَ فيمَن اسْتُشْهِدَ عامِرَ بنَ الأكْوَعِ، وهُوَ الّذِي رَجَعَ عَلَيْهِ سَيْفُهُ فقتَلَهُ، فشَكَّ[1] النّاسُ فيهِ، فقالُوا: قَتَلَهُ سِلاحُهُ، فذُكِرَ ذَلِكَ لِلنّبِيِّ ﷺ، فقالَ: «إنّهُ جاهِدٌ مُجاهِدٌ، وقَلَّ عَرَبِيٌّ مُشابِهًا مثله»، وفي رواية: «مشى بها مِثْلُهُ»، ويُرْوى أيْضًا: «نَشَأَ بِها مِثْلَهُ» كُلُّ هَذا يُرْوى في الجامِعِ الصَّحِيحِ[2]، وهَذا[3] اضْطِرابٌ مِنْ رُواةِ الكِتابِ[4]؛ فمَنْ قالَ: «مَشى بِها مِثْلُهُ» فالهاءُ عائِدَةٌ عَلى المَدِينَةِ، كَما تَقُولُ: لَيْسَ بَيْنَ لابَتَيْها مِثْلُ فُلانٍ، يُقالُ هَذا في المَدِينَةِ، وفي الكُوفَةِ، ولا يُقالُ في بَلَدٍ لَيْسَ حَوْلَهُ لابَتانِ، أيْ: حَرّتانِ، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ الهاءُ عائِدَةً عَلى

(١) في (ف): «فشكت».

(٢) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٨: ٤٦٤-٤٦٧). وفيه نقلٌ عن السهيلي في تخريج بعض رواياته.

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) في (ف): «من الرواة في الكتاب».

الأَرْضِ، كَما قالَ الله تبارك وتعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وَمَنْ رَواهُ مُشابِهًا مُفاعِلًا مِن الشَّبَهِ، فهُوَ حالٌ مِنْ «عَرَبِيّ»، والحالُ مِن النّكِرةِ لا بَأْسَ بِهِ إذا دَلّتْ على تَصْحِيحِ مَعْنًى، كَما جاءَ في الحَدِيثِ: «فَصَلى خَلفَهُ رِجالٌ قِيامًا». الحالُ ههُنا مُصَحِّحةٌ لِفِقْهِ الحَدِيثِ، أيْ: صَلُّوا في هَذِهِ الحالِ، ومَنِ احْتَجّ في الحالِ مِن النّكِرةِ بِقَوْلِهِمْ: وقَعَ أَمْرٌ فجْأَةً، فلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا؛ لِأَنّ «فجْأَةً» لَيْسَ حالًا مِنْ «أَمْر»، إنّما هُوَ حالٌ مِنَ الوُقُوعِ، كَما تَقُولُ: جاءَنِي رَجُلٌ مَشْيًا، فلَيْسَ «مَشْيًا» حالًا مِنْ «رَجُلٍ»، كَما تَوَهَّمُوا، وإنّما هي حالٌ مِن المَجِيءِ؛ لِأنّ الحالَ هي صاحِبُ الحالِ، وتَنْقَسِمُ أَقْسامًا: حالٌ مِنْ فاعِلٍ، كَقَوْلِك: جاءَ زَيْدٌ ماشِيًا، وحالٌ مِنَ الفِعْلِ، كَقَوْلِك: جاءَ زَيْدٌ مَشْيًا ورَكْضًا، وحالٌ مِنَ المَفْعُولِ، كَقَوْلِك: جاءَنِي القَوْمُ جالِسًا، فهي صِفةُ المَفْعُولِ في وقْتِ وُقُوعِ الفِعْلِ عَلَيْهِ، أَوْ صِفةُ الفاعِلِ في وقْتِ وُقُوعِ الفِعْلِ مِنْهُ(١)، أَوْ صِفةُ الفِعْلِ(٢) في وقْتِ وُقُوعِهِ، ونَعْنِي بِالفِعْلِ: المَصْدَرَ(٣).

* * *

(١) في (ف): «عليه».

(٢) في (ف): «الفاعل».

(٣) انظر: «نتائج الفكر في النحو» للسهيلي: (ص: ٢٣٣-٢٣٤). وانظر: «فتح الباري» (ص: ٣).

أَمْرُ الحَجّاجِ بنِ عِلاطٍ السُّلَمِيِّ

[حِيلَتُهُ في جَمْعِ مالِهِ مِنْ مَكَّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، كَلَّمَ رَسُولَ الله ﷺ الحَجّاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمِيُّ ثُمَّ البَهْزِيُّ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ لِي بِمَكَّةَ مالًا عِنْدَ صاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أبي طَلْحةَ ـ وكانَتْ عِنْدَهُ، لَهُ مِنْها مُعَرِّضُ بنُ الحَجّاجِ ـ ومالٌ مُتَفَرِّقٌ في تُجّارِ أهْلِ مَكّةَ، فأْذَنْ لِي يا رَسُولَ الله. فأذِنَ لَهُ، قالَ: إنَّهُ لا بُدَّ لِي يا رَسُولَ الله مِنْ أنْ أقُولَ. قالَ: «قُلْ». قالَ الحَجّاجُ: فخَرَجْتُ حَتّى إذا قَدِمْتُ مَكّةَ وجَدْتُ بِثَنِيّةِ البَيْضاءِ رِجالًا مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّعُونَ الأخْبارَ، ويَسْألُونَ عَنْ أمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ بَلَغَهُمْ أنَّهُ قَدْ سارَ إلى خَيْبَرَ، وقَدْ عَرَفُوا أنَّها قَرْيةُ الحِجازِ، رِيفًا ومَنَعةً ورِجالًا، فهُمْ يَتَحَسَّسُونَ الأخْبارَ، ويَسْألُونَ الرُّكْبانَ، فلَمّا رَأوْنِي قالُوا: الحَجّاجُ بنُ عِلاطٍ ـ قالَ: ولَمْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِإسْلامِي ـ عِنْدَهُ واللهِ الخَبَرُ، أَخْبِرْنا يا أبا مُحَمَّدٍ؛ فإنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أنَّ القاطِعَ قَدْ سارَ إلى خَيْبَرَ، وهِيَ بَلَدُ يَهُودَ ورِيفُ الحِجازِ. قالَ: قُلْتُ: قَدْ بَلَغَنِي ذلك وعِنْدِي مِن الخَبَرِ ما يَسُرُّكُمْ، قالَ: فالتَبَطُوا بِجَنْبَيْ ناقَتِي يَقُولُونَ: إيهٍ يا حَجّاجُ، قالَ: قُلْتُ: هُزِمَ هَزِيمةً لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِها قَطُّ، وقُتِلَ أصْحابُهُ قَتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ، وأُسِرَ مُحَمَّدٌ أسْرًا، وقالُوا: لا نَقْتُلُهُ حَتّى نَبْعَثَ بِهِ إلى أهْلِ مَكّةَ، فيَقْتُلُوهُ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ بِمَنْ كانَ أصابَ مِنْ رِجالِهِمْ. قالَ:

فقامُوا وصاحُوا بِمَكّةَ، وقالُوا: قَدْ جاءَكُم الخَبَرُ، وهذا مُحَمَّدٌ، إنَّما تَنْتَظِرُونَ أنْ يُقْدَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، فيُقْتَلَ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ. قالَ: قُلْتُ: أعِينُونِي على جَمْعِ مالِي بِمَكّةَ وعلى غُرَمائِي؛ فإنِّي أُرِيدُ أنْ أقْدَمَ خَيْبَرَ، فأُصِيبَ مِنْ فَلِّ مُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ قَبْلَ أنْ يَسْبِقَنِي التُّجّارُ إلى ما هنالك.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مِنْ فَيْءِ مُحَمَّدٍ.

[العَبّاسُ يَسْتَوْثِقُ مِنْ خَبَرِ الحَجّاجِ، ويُفاجِئُ قُرَيْشًا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ: فقامُوا فجَمَعُوا لِي مالِي كَأحَثِّ جَمْعٍ سَمِعْتُ بِهِ. قالَ: وجِئْتُ صاحِبَتِي، فقُلْتُ: مالِي ـ وقَدْ كانَ لِي عِنْدَها مالٌ مَوْضُوعٌ ـ لَعَلِّي ألْحَقُ بِخَيْبَرَ، فأُصِيبَ مِنْ فُرَصِ البَيْعِ قَبْلَ أنْ يَسْبِقَنِي التُّجّارُ. قالَ: فلَمّا سَمِعَ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ الخَبَرَ، وجاءَهُ عَنِّي، أقْبَلَ حَتّى وقَفَ إلى جَنْبِي وأنا في خَيْمةٍ مِنْ خِيامِ التُّجّارِ، فقالَ: يا حَجّاجُ، ما هذا الخَبَرُ الَّذي جِئْتَ بِهِ؟ قالَ: فقُلْتُ: وَهَلْ عِنْدَكَ حِفْظٌ لِما وضَعْتُ عِنْدَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: قُلْتُ: فاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَتّى ألْقاكَ على خَلاءٍ؛ فإنِّي في جَمْعِ مالِي كَما تَرى. فانْصَرِفْ عَنِّي حَتّى أفْرُغَ. قالَ: حَتّى إذا فرَغْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كانَ لِي بِمَكّةَ، وأجْمَعْتُ الخُرُوجَ، لَقِيتُ العَبّاسَ، فقُلْتُ: احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي يا أبا الفَضْلِ؛ فإنِّي أخْشى الطَّلَبَ، ثَلاثًا، ثُمَّ قُلْ ما شِئْتَ، قالَ: أفْعَلُ، قُلْتُ: فإنِّي واللهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ابنَ أخِيكَ عَرُوسًا على بِنْتِ مَلِكِهِمْ ـ يَعْنِي: صَفيةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ـ ولَقَد افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وانْتَثَلَ ما فيها، وصارَتْ لَهُ ولِأصْحابِهِ، فقالَ: ما تَقُولُ يا حَجّاجُ؟ قالَ: قُلْتُ: إي واللهِ، فاكْتُمْ عَنِّي، ولَقَدْ أسْلَمْتُ، وما جِئْتُ إلّا لِآخُذَ مالِي؛ فَرَقًا مِنْ أنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ، فإذا مَضَتْ ثَلاثٌ فأظْهِرْ أمْرَكَ، فهُوَ واللهِ على ما تُحِبُّ. قالَ: حَتّى إذا كانَ اليَوْمُ الثّالِثُ، لَبِسَ العَبّاسُ حُلّةً

لَهُ، وتَخَلَّقَ، وأخَذَ عَصاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى الكَعْبَةَ، فطافَ بِها، فلَمّا رَأَوْهُ قالُوا: يا أبا الفَضْلِ، هذا واللهِ التَّجَلُّدُ لِحَرِّ المُصِيبةِ. قالَ: كَلّا، واللهِ الَّذي حَلَفْتُمْ بِهِ، لَقَد افْتَتَحَ مُحَمَّدٌ خَيْبَرَ، وتُرِكَ عَرُوسًا على بِنْتِ مَلِكِهِمْ، وأحْرَزَ أمْوالَهُمْ وما فيها، فأصْبَحَتْ لَهُ ولِأصْحابِهِ. قالُوا: مَنْ جاءَكَ بِهذا الخَبَرِ؟ قالَ: الَّذي جاءَكُمْ بِما جاءَكُمْ بِهِ، ولَقَدْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا، فأخَذَ مالَهُ، فانْطَلَقَ لِيَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ، فيكُونَ مَعَهُ. قالُوا: يا لَعِبادِ اللهِ! انْفَلَتَ عَدُوُّ اللهِ، أما واللهِ لَوْ عَلِمْنا لَكانَ لَنا ولَهُ شَأْنٌ. قالَ: ولَمْ يَنْشَبُوا أنْ جاءَهُم الخَبَرُ بذلك.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ الحَجّاجِ بنِ عِلاطٍ السُّلَمِيِّ، وقَدْ ذَكَرْنا في حَدِيثِ إسْلامِهِ خَبَرًا عَجِيبًا اتَّفَقَ لَهُ مَعَ الجِنِّ[1]، وهُوَ والِدُ نَصْرِ بنِ حَجّاجٍ الَّذِي حَلَقَ عُمَرُ رَأْسَهُ، ونَفاهُ مِنَ المَدِينةِ لَمّا سَمِعَ قَوْلَ المَرْأَةِ فيهِ[2]: [من البسيط]

ألا[3] سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها ... أمْ لا سَبِيلَ إلى نَصْرِ بنِ حَجّاجِ؟

وَهَذِهِ المَرْأَةُ [هي][4] الفُرَيْعةُ بِنْتُ هَمّامٍ، ويُقالُ: إنّها أُمُّ الحَجّاجِ بنِ يُوسُفَ؛ ولِذَلِكَ قالَ لَهُ عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ: يا ابنَ المُتَمَنّيةِ[5]، وكانَ مِنْ أحْسَنِ

(١) انظر: (٦: ٢٧٠).
(٢) «شرح الكافية» للرضي: (٢: ١٧١)، و«خزانة الأدب» (٤: ٨٠).
(٣) في (ب): «هل من سبيل».
(٤) ليس في (أ).
(٥) في (ف): «المتحنية».

النّاسِ لِمّـةً[١] ووَجْهًا، فأتى الشّـامَ، فنَزَلَ عَلى أَبِي الأعْوَرِ السُّلَمِيّ، فهَوِيَتْهُ امْرَأَتُهُ، وهَوِيَها، وفَطِنَ أَبُو الأعْوَرِ لِذَلِكَ ـ لسَبَبٍ[٢] يَطُولُ ذِكْرُهُ ـ، فابْتَنى لَهُ قُبّةً في أقْصى الحَيّ، فكانَ بِها، فاشْتَدّ ضَناهُ بِالمَرْأةِ، حَتّى ماتَ كَلَفًا بِها، وسُمِّيَ المُضْنى، وضُرِبَتْ بِهِ الأمْثالُ. وذَكَرَ الأصْبَهانِيّ في كِتابِ «الأمثال» له خَبره بِطُولِهِ[٣].

وقَوْلُ الحَجّاجِ بنِ عِلاط ـ والعِلاط[٤]: وَسْمٌ في العُنُقِ، ويُقالُ لَهُ: العُلطةُ [أيْضًا][٥] ـ لِلنّبِيّ ﷺ: لا بُدَّ لِي أنْ أقُولَ، فقالَ لَهُ: «قُل»، يَعْنِي التّكَذُّبَ، فأباحَهُ لَهُ؛ لِأنّهُ مِنْ خُدَعِ الحَرْبِ، وقالَ المُبَرّدُ[٦]: إنّما صَوابُهُ: أتَقَوّلُ، إذا أرَدْتَ مَعْنى التّكَذُّبِ، وأخَذَ هَذا المَعْنى حَبِيبٌ[٧] فقالَ: [من الطويل]

بِحَسبِ امرئٍ أثْنى عَلَيْك بِأنّهُ[٨] يَقُـولُ وإنْ أرْبـى فـلا يَتَقَوَّلُ

أيْ: يَقُولُ الحَقّ إذا مَدَحَك، وإنْ أفْرَطَ فلَيْسَ إفْراطُهُ بِتَقَوُّلٍ.

---

(١) اللمة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(٢) في (ف): «بسبب».

(٣) «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» (١: ٢٧٤-٢٧٦) (رقم المثل ٣٩٧)، لكن رواية الأصبهاني تخالف ما ذكره السهيلي. قال صاحب «الأمثال»: إنَّ عمر بن الخطاب نفى نصر ابن حجاج إلى البصرة، فنزل على مجاشع بن مسعود السلمي، فكان من قصته مع امرأة مجاشع ما نسب السهيلي إلى امرأة أبي الأعور السلمي.

(٤) في (ب): «والعلطة».

(٥) ليس في (ب).

(٦) انظر: «الكامل» للمبرد: (١: ٤٥٥-٤٥٦).

(٧) «ديوان أبي تمام» يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي: (ص: ٢٤٥)، وفيه:

لِيَهْنِ امرؤٌ يثني عليك فإنه

(٨) في (ب): «فإنه».

وَذَكَرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ في حَدِيثِ حَجّاجٍ أنْ قُرَيْشًا قالَتْ حِينَ أفْلَتَهُمْ: «أوْلى لَهُ»، وهي كَلِمةٌ مَعْناها: الوَعِيدُ، وفي التّنْزِيلِ: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٤]، وهي على وزْنِ «أفْعَلَ»، مِنْ ولِيَ، أيْ: قَدْ ولِيَهُ الشَّرُّ، وقالَ الفارِسِيّ: وهو اسْمٌ عَلَمٌ، ولِذَلِكَ لَمْ يَنْصَرِفْ[١]، وجَدْتُ هَذا في بَعْضِ مَسائِلِهِ، ولا تَتّضِحُ لِي العَلَمِيّةُ في هَذِهِ الكَلِمةِ، وإنّما هُوَ [عِنْدِي][٢] كَلامٌ حُذِفَ مِنْهُ، والتّقْدِيرُ: الّذِي تَصِيرُ إلَيْهِ مِنَ الشَّرّ أو العُقُوبةِ أوْلى لَكَ؛ أيْ: ألْزَمُ لَكَ، أيْ: إنّهُ يَلِيك، وهُوَ أوْلى لَك مِمّا فرَرْتَ مِنْهُ، فهُوَ في مَوْضِعِ رَفْعٍ، ولَمْ يَنْصَرِفْ[٣]؛ لِأَنّهُ وصْفٌ عَلى وزْنِ «أفْعَلَ»، و[في][٤] قَوْلِ الفارِسِيِّ: «هُوَ في مَوْضِعِ نصبٍ» جعلَهُ من بابِ تبًّا[٥] له، غَيْرَ أنّهُ جَعَلَهُ عَلَمًا لمّا رَآهُ غَيْرَ مُنَوَّنٍ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ف): «يتصرف».

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ف): «يتصرف».

(٤) عن (ص)، (ج).

(٥) أي: مفعول مطلق يجب حذف عامله.

[شِعْرُ حَسّانَ في يَوْمِ خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا قِيلَ مِن الشِّعْرِ في يَوْمِ خَيْبَرَ قَوْلُ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ:

بِئْسَما قاتَلَتْ خَيابِرُ عَمّا ... جَمَّعُوا مِنْ مَزارِعٍ ونَخِيلِ
كَرِهُوا المَوْتَ فاسْتُبِيحَ حِماهُمْ ... وأقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ
أمِنَ المَوْتِ يَهرُبون فإنّ الـ ... ـمَوْتَ مَوْتَ الهُزالِ غَيْرُ جَمِيلِ

[شِعْرُ حَسّانَ في عُذْرِ أيْمَنَ؛ لِتَخَلُّفِهِ عَنْ خَيْبَرَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا، وهُوَ يَعْذِرُ أيْمَنَ بنَ أُمِّ أيْمَنَ بنِ عُبَيْدٍ، وكانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ خَيْبَرَ، وهُوَ مِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وكانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أيْمَنَ مَوْلاةَ رَسُولِ الله ﷺ، وهِيَ أُمُّ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ، فكانَ أخا أُسامةَ لِأُمِّهِ:

على حِينَ أنْ قالَتْ لِأيْمَنَ أُمُّهُ ... جَبُنْتَ ولَمْ تَشْهَدْ فوارِسَ خَيْبَرِ
وَأيْمَنُ لَمْ يَجْبُنْ ولَكِنَّ مُهْرَهُ ... أضَرَّ بِهِ شُرْبُ المَدِيدِ المُخَمَّرِ
وَلَوْلا الَّذي قَدْ كانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ ... لَقاتَلَ فيهِمْ فارِسًا غَيْرَ أعْسَرِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ فِعْلُ مُهْرِهِ ... وما كانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرُ أيْسَرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ هَذِهِ الأبْياتَ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ، وأنْشَدَنِي:

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ شَأْنُ مُهْرِهِ ... وما كانَ لَوْلا ذاكُمُ بِمُقَصِّرِ

[شِعْرُ ناجِيةَ في يَوْمِ خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ناجِيةُ بنُ جُنْدُبٍ الأسْلَمِيُّ:

يا لِعِبادِ لله فيمَ يُرْغَبُ؟ ما هُوَ إلّا مَأْكَلٌ ومَشْرَبُ
وَجَنَّةٌ فيها نَعِيمٌ مُعْجِبُ

وَقالَ ناجِيةُ بنُ جُنْدُبٍ الأسْلَمِيُّ أيْضًا:

أنا لِمَنْ أنْكَرَنِي ابنُ جُنْدُبِ يا رُبَّ قِرْنٍ في مَكَرِّي أنْكَبِ
طاحَ بِمَغْدى أنْسُرٍ وثَعْلَبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي بَعْضُ الرُّواةِ لِلشِّعْرِ قَوْلَهُ: «في مَكَرّي»، و«طاح بِمَغْدى».

[شِعْرُ كَعْبٍ في يَوْمِ خَيْبَرَ]

وَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يَوْمِ خَيْبَرَ، فيما ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ، عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ:

وَنَحْنُ وردْنا خَيْبَرًا وفُرُوضَهُ بِكُلِّ فتًى عارِي الأشاجِعِ مِذْوَدِ
جَوادٍ لَدى الغايات لا واهِنِ القُوى جَرِيءٍ على الأعْداءِ في كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمادِ القِدْرِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ المَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ
يَرى القَتْلَ مَدْحًا إنْ أصابَ شَهادَةً مِنَ الله يَرْجُوها وفَوْزًا بِأحْمَدِ
يَذُودُ ويَحْمِي عَنْ ذِمارِ مُحَمَّدٍ ويَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسانِ وباليَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أمْرٍ يَرِيبُهُ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُصَدِّقُ بِالإنْباءِ بِالغَيْبِ مُخْلِصًا يُرِيدُ بِذاكَ الفَوْزَ والعِزَّ في غَدِ

فَصْلٌ

وذَكَرَ شِعْرَ حَسّانَ في ابنِ أُمِّ أَيْمَنَ، واسْمُ أَبِيهِ عُبَيْدٌ، واسْمُ أُمّهِ أُمّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ، وهي أُمّ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ، يُقالُ لَها: أُمّ الظّباءِ، قالَ الواقِدِيّ: اسْمُها بَرَكةُ [بِنْتُ ثَعْلَبَةَ][1]، وكانَتْ أَمةً لِعبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ، وكانَ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «أُمُّ أيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمّي»، ويُقالُ: كانَتْ لِآمِنةَ بِنْتِ وهْبٍ أمِّ رسـول الله ﷺ، وهي الّتِي هاجَـرَتْ عَلى قَدَمَيْها مِنْ مَكّةَ إلى المَدِينـةِ، ولَيْسَ مَعَها أحـدٌ، وذَلِكَ في حَـرٍّ شَدِيدٍ، فَسَمِعَتْ حَفِيفًا فوْقَ رَأْسِهـا، فالتَفَتَتْ، فإذا دَلْـوٌ قَدْ أُدْلِيَتْ لَها مِنَ السّمـاءِ فشَرِبَتْ مِنْها، فلَمْ تَظْمَأْ أبَدًا، وكانَتْ تَتَعَمّدُ الصّوْمَ في حَمارَّةِ القَيْظِ لِتَعْطَشَ، فلا تَعْطَشُ، وكانَ رسـول الله ﷺ يَزُورُهـا، وكانَ الخَلِيفَتانِ رضي الله عنهمـا يَزُورانِها بَعْدَهُ.

وقَدْ رُوِيَ مِثْلُ قِصّتِها عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ الدّوْسِيّةِ: أَنّها عَطِشَتْ في سَفَرٍ فلَمْ تَجِدْ ماءً إلّا عِنْدَ يَهُودِيّ، وأبى أنْ يَسْقِيَها إلّا أنْ تَدِينَ بِدِينِهِ، فأبَتْ إلّا أنْ تَمُوتَ عَطَشًا، فَدُلِيَتْ إلَيها دَلْوٌ مِنَ السّماءِ فشَرِبَتْ، ثُمّ رُفِعَت الدّلْوُ وهي تنظر[2]. ذَكَرَ خَبَرَها ابنُ إسْحاقَ في «السِّيرةِ» مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ[3]، وهُوَ أَطْوَلُ مِمّا ذكرنا.

---

(١) ليس في (ح). وفي حاشيتها: «زاد ابن عبد البر في نسب بركة فقال: بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان. كذا ذكره في «الاستيعاب» في ترجمة بركة. «الاستيعاب» (٤: ١٧٩٣-١٧٩٥).

(٢) «أسد الغابة» (٧: ٣٠٣). وانظر: «طبقات ابن سعد» (٨: ١٦٢).

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» المسماة بكتاب «المبتدأ والمبعث والمغازي» (ص: ٢٦٤-٢٦٥)، و«أسد الغابة» (٧: ٣٥١).

وقَوْلُ حَسّانَ: [من الطويل]

وَأيْمَنُ لَـمْ يَجْبُنْ ولَكِنّ مُهْرَهُ أضَرَّ بِهِ شُرْبُ المَدِيدِ المُخَمَّرِ

المَدِيدُ: [بدالين][1] وقَعَ في الأصْلِ، وهُوَ مَعْرُوفٌ[2]، ولَكِنْ ألْفَيْتُ في حاشِيَةِ الشّيْخِ عَنِ ابنِ دُرَيْدٍ: المَرِيدُ بِراءٍ، والمَرِيسُ أيْضًا، وهُوَ تَمْرٌ يُنْقَعُ ثُمّ يُمْرَسُ، وأنْشَدَ[3]: [من الخفيف]

مُسْنِفاتٍ تُسْقى ضِياحَ المَرِيدِ

وَذَكَرَ قَوْلَ رسول الله ﷺ لِأبِي أيُّوبَ حِينَ باتَ يَحْرُسُهُ: «حَرَسَك اللهُ يا أبا أيّوبَ، كَما بِتَّ تَحْرُسُ نَبِيّهُ»[4].

قالَ المُؤَلّفُ[5]: فحَرَسَ اللهُ أبا أيّوبَ بِهَذِهِ الدّعْوةِ، حَتّى إنّ الرُّومَ لَتَحْرُسُ قَبْرَهُ، ويَسْتَسْقُونَ بِهِ، ويَسْتَصِحُّونَ[6]، وذَلِكَ أنّهُ غَزا مَعَ يَزِيدَ بنِ مُعاوِيَةَ سَنَةَ خَمْسِينَ، فلَمّا بَلَغُوا القُسْطَنْطِينِيّةَ ماتَ أبُو أيّوبَ هُنالِكَ، وأوْصى يَزِيدَ أنْ يَدْفِنَهُ في أقْرَبِ مَوْضِعٍ مِنْ مَدِينةِ الرُّومِ، فرَكِبَ المُسْلِمُونَ، ومَشَوْا بِهِ، حَتّى إذا لَمْ يَجِدُوا مَساغًا دَفَنُوهُ، فسَألَتْهُم الرّومُ عَنْ شَأْنِهِمْ، فأخْبَرُوهُمْ أنّهُ كَبِيرٌ مِنْ أكابِرِ

---

(١) ليس في (أ)، (س)، (ف).

(٢) يقال: مددت الإبل أمدها مدًّا: أن تسقيها الماء بالبزْر، أو الدقيق، أو السمسم.

(٣) ذكره ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٢: ٦٤٠) من غير عزوٍ. (ج)

(٤) انظر نص «السيرة» في دعاء النبي ﷺ لأبي أيوب فيما سبق (ص: ٤٩٣) من هذا الجزء. (ج)

(٥) بعده في (ف): «أبو القاسم».

(٦) في النسخ: «ويستصحون». وكأنها في (ب): «ويستضحون»، بالضاد المعجمة. يقال: ضاحت البلاد؛ إذا برزت للشمس وظهرت لعدم النبات فيها، كذا في «النهاية» لابن الأثير. والمعنى: أنهم كانوا يستقون ويدعون بقولهم: «اللهُمَّ ضاحت بلادنا». على أني لم أجد استفعل من هذه المادة، ولعلها من اشتقاقات السهيلي.

الصّحابةِ(١)، فقالَتِ الرّومُ لِيَزِيدَ: ما أحْمَقَك وأحْمَقَ مَنْ أرْسَلَك! أأمِنْت أنْ نَنْبُشَهُ بَعْدَك، فنُحَرِّقَ عِظامَهُ؟ فأقْسَمَ لهم يزيدُ: لئنْ فَعَلوا ذلك لَيهدِمنَّ كُلَّ كَنِيسةٍ بأرْضِ العَرَبِ، ولَينبُشَنّ(٢) قُبُورَهُمْ، فحِينَئذٍ حلفُوا له(٣) بدِينهم ليُكرِّمُنّ قَبْرَهُ، ولَيَحْرُسُنّهُ ما استَطاعُوا، فرَوى ابنُ القاسِمِ عَنْ مالِكٍ، قالَ: بَلَغَنِي أنّ الرّومَ يَسْتَسْقُونَ بِقَبْرِ أبِي أيّوبَ رَحِمَهُ اللهُ، فَيُسْقَوْنَ.

❊ ❊ ❊

(١) في (ص)، (ج): «من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ».
(٢) في (ب)، (ف): «لنهدمن... ولننبشَنَّ».
(٣) في (ف)، (ب): «لهم».

ذِكْرُ مَقاسِمِ خَيْبَرَ وأَمْوالِها

[الشِّقُّ ونَطاةُ والكَتِيبةُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَت المَقاسِمُ على أمْوالِ خَيْبَرَ، على الشِّقِّ ونَطاةَ والكَتِيبةِ، فكانَت الشِّقُّ ونَطاةُ في سُهْمانِ المُسْلِمِينَ، وكانَت الكَتِيبةُ خُمُسَ الله، وسَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ، وسَهْمَ ذَوِي القُرْبى واليَتامى والمَساكِينِ، وطُعْمَ أزْواجِ النَّبِيِّ ﷺ، وطُعْمَ رِجالٍ مَشَوْا بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ أهْلِ فدَكَ بِالصُّلْحِ، مِنْهُمْ مُحَيِّصةُ بنُ مَسْعُودٍ، أعْطاهُ رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ، وثَلاثِينَ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ، وقُسِمَتْ خَيْبَرُ على أهْلِ الحُدَيْبِيةِ؛ مَنْ شَهِدَ خَيْبَرَ، ومَنْ غابَ عَنْها، ولَمْ يَغِبْ عَنْها إلّا جابِرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ حَرامٍ، فقَسَمَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ كَسَهْمِ مَنْ حَضَرَها، وكانَ وادِياها: وادِي السُّرَيْرةِ، ووادِي خاصٍ، وهُما اللَّذانِ قُسِمَتْ عَلَيْهِما خَيْبَرُ، وكانَتْ نَطاةُ والشِّقُّ ثَمانِيةَ عَشَرَ سَهْمًا، نَطاةُ مِنْ ذلك خَمْسةُ أسْهُمٍ، والشِّقُّ ثَلاثةَ عَشَرَ سَهْمًا، وقُسِمَت الشِّقُّ ونَطاةُ على ألْفِ سهمٍ، وثمان مئة سَهْمٍ.

[عِدّةُ مَنْ قُسِمَتْ عَلَيْهِمْ خَيْبَرُ]

وَكانَتْ عِدّةُ الّذينَ قُسِمَتْ عَلَيْهِمْ خَيْبَرُ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ ألْفَ سهم وثمان مئة سَهْمٍ، بِرِجالِهِمْ وخَيْلِهِمْ، الرِّجالُ أربعَ عَشْرةَ مئة، والخَيْل مِائَتا فارِسٍ، فكانَ لِكُلِّ فرَسٍ سَهْمانِ، ولِفارِسِهِ سَهْمٌ، وكانَ لِكُلِّ راجِلٍ

سَهْمٌ، فكانَ لِكُلِّ سَهْمٍ رَأْسٌ جُمِع إلَيْهِ مئةُ رَجُلٍ، فكانَتْ ثَمانِيةَ عَشَرَ سَهْمًا جُمِع.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وفي يَوْمِ خَيْبَرَ عَرَّبَ رَسُولُ الله ﷺ العَرَبِيَّ مِن الخَيْلِ، وهَجَّنَ الهَجِينَ.

[قِسْمَةُ الأَسْهُمِ على أَرْبابِها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رَأْسًا، والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وطَلْحةُ بن عُبَيْدِ الله، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وعاصِمُ ابنُ عَدِيٍّ، أخُو بَنِي العَجْلانِ، وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وسَهْمُ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وسَهْمُ ناعِمٍ، وسَهْمُ بَنِي بَياضةَ، وسَهْمُ بَنِي عُبَيْدٍ، وسَهْمُ بَنِي حَرامٍ مِنْ بَنِي سَلِمةَ، وعُبَيْدٌ السَّهّامُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما قِيلَ لَهُ: عُبَيْدٌ السَّهّامُ؛ لِما اشْتَرى مِن السِّهامِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وهُوَ عُبَيْدُ بنُ أوْسٍ، أحَدُ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو ابنِ مالِكِ بن الأوْسِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَهْمُ ساعِدةَ، وسَهْمُ غِفارٍ وأسْلَمَ، وسَهْمُ النَّجّارِ، وسَهْمُ حارِثَةَ، وسَهْمُ أوْسٍ. فكانَ أوَّلُ سَهْمٍ خَرَجَ مِنْ خَيْبَرَ بِنَطاةَ سَهْمَ الزُّبَيْرِ ابنِ العَوّامِ، وهُوَ الخَوْعُ، وتابَعَهُ السُّرَيْرُ، ثُمَّ كانَ الثّانِي سَهْمَ بَياضةَ، ثُمَّ كانَ الثّالِثُ سَهْمَ أُسَيْدٍ، ثُمَّ كانَ الرّابِعُ سَهْمَ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ كانَ الخامِسُ سَهْمَ ناعِمٍ لِبَنِي عَوْفِ بن الخَزْرَجِ ومُزَيْنةَ وشُرَكائِهِمْ، وفيهِ قُتِلَ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ، فهَذِهِ نَطاةُ.

ثُمَّ هَبَطُوا إلى الشِّقِّ، فكانَ أوَّلُ سَهْمٍ خَرَجَ مِنْهُ سَهْمَ عاصِمِ بنِ عَدِيٍّ، أخِي بَنِي العَجْلانِ، ومَعَهُ كانَ سَهْمُ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ سَهْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ عَوْفٍ، ثُمَّ سَهْمُ ساعِدَةَ، ثُمَّ سَهْمُ النَّجّارِ، ثُمَّ سَهْمُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، ثُمَّ سَهْمُ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله، ثُمَّ سَهْمُ غِفارٍ وأَسْلَمَ، ثُمَّ سَهْمُ عُمَرَ بنِ الخطّابِ، ثمَّ سَهْما سَلَمَةَ بنِ عُبَيْدٍ وبَنِي حَرامٍ، ثُمَّ سَهْمُ حارِثَةَ، ثُمَّ سَهْمُ عُبَيْدٍ السَّهّامِ، ثُمَّ سَهْمُ أوْسٍ، وهُوَ سَهْمُ اللَّفِيفِ، جُمِعَتْ إلَيْهِ جُهَيْنَةُ ومَنْ حَضَرَ خَيْبَرَ مِنْ سائِرِ العَرَبِ، وكانَ حَذْوَهُ سَهْمُ رَسُول الله ﷺ، الَّذي كانَ أصابَهُ في سَهْمِ عاصِمِ بنِ عَدِيٍّ.

قَسْمُ أمْوالِ خَيْبَرَ وأرَضِيها

أمّا قَسْمُ غَنائِمِها، فلا خِلافَ فيهِ، وفي كُلِّ مَغْنَمٍ بِنَصِّ القُرْآنِ، كَما تَقَدَّمَ في غَزوةِ بَدْرٍ، وأمّا أرْضُها، فقَسَمَها رسول الله ﷺ بَيْنَ مَنْ حَضَرَها مِنْ أهْلِ الحُدَيْبِيةِ، وأخْرَجَ الخُمُسَ للهِ ولِرَسُولِهِ، ولِذِي القُرْبى واليَتامى، والمَساكِينِ وابنِ السبيل، وقد تقدَّم الكلامُ في معنى: «لله ولرسوله»، وما معنى سهم اللهِ وسَهْمِ الرّسُولِ؟ ولَوْلا الخُرُوجُ عَمّا صَمَدْنا إلَيْهِ لَذَكَرْنا سِرًّا بَدِيعًا وفِقْهًا عَجِيبًا في قوله[1] تبارك تعالى: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧] [باللام][2]، ولم يقل ذلك في ﴿الْيَتَامَى وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [الحشر: ٧]، وقالَ: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾، وقالَ في أوّلِ السورة: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وقالَ[3] في آيةِ الفَيْءِ:

---

(١) في (ب): «في معنى قوله».
(٢) ليس في (ب).
(٣) عن (ب)، (ص)، (ج).

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٧]، ولم يقل: رَسُوله، وكلُّ هذا لحكمة، وحاشا للهِ أنْ يَكُونَ حَرْفٌ مِنَ التَّنْزِيلِ خالِيًا مِنْ حِكْمةٍ[١].

وقالَ أبو عُبَيْدٍ في كِتابِ «الأمْوالِ»: قَسَمَ رسول الله ﷺ [أَرْضَ خَيْبَرَ][٢] أَثْلاثًا [إِلّا ثلاثًا][٣]: السُّلالِمُ، والوَطِيحُ، والكَتِيبةُ؛ فإنّهُ تَرَكَها لِنَوائِبِ المُسْلِمِينَ وما يَعْرُوهُمْ[٤]، وفي هَذا ما يُقَوِّي أنّ الإمامَ مُخَيَّرٌ في أرْضِ العَنْوةِ: إنْ شاءَ قَسَمَها، أخْذًا بِقَوْلِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٍ ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، فيُجْرِيها مُجْرى الغَنِيمةِ، وإنْ شاءَ وقَفَها، كَما فعَلَ عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخْذًا بِقَوْلِ اللهِ: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [الحشر: ٧] إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [الحشر: ١٠]، فاسْتَوْعَبَتْ آيةُ الفَيْءِ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ ومَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ، فسَمّى آيةَ القُرى فيْئًا، وسَمّى الأُخْرى غَنِيمةً، فدَلّ عَلى افْتِراقِهِما في الحُكْمِ كَما افْتَرَقا في التّسْمِيةِ.

وكَما اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ في هَذِهِ المَسْألةِ عَلى أقْوالٍ؛ مِنْهُمْ: مَنْ يَرى قَسْمَ[٥] الأرْضِ كَما فعَلَ رسول الله ﷺ بِخَيْبَرَ، وهُوَ قَوْلُ الشّافِعِيّ، ومِنْهُمْ مَنْ يَراها وقْفًا عَلى المُسْلِمِينَ لِبَيْتِ مالِهِمْ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِتَخْيِيرِ الإمامِ في ذَلِكَ، فكَذَلِكَ [افْتَرَقَ][٦] رَأْيُ الصّحابةِ عِنْدَ افْتِتاحِ البِلادِ، فكانَ رَأْيُ الزّبَيْرِ القَسْمَ،

(١) في (ب): «الحكمة».

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (ج)، (س)، (ص).

(٤) «الأموال» (ص: ٦١-٦٢). والسُّلالم: حصن بخيبرَ كان من أمنع حصونها، وآخرها فتحًا. والوطيح ـ في الأموال: الوطيحة ـ والكتيبة: حصنانِ لخيبرَ أيضًا.

(٥) في (ب): «يرى القسم كما...».

(٦) ليس في (ب).

فكَلّمَ عَمْرَو بنَ العاصي حين افتتحَ مصرَ في قَسْمِها، فكَتَبَ عَمْرٌو بذَلِكَ إلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، فكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ: أنْ دَعْها، ولا تَقْسِمْها، حَتّى يُجاهِدَ مِنْها حَبَلُ الحَبَلةِ، وقَدْ شرحنا هذه الكلمةَ في المَبْعَثِ قَبْلَ هَذا بأجْزاءٍ[1].

وكَذَلِكَ اسْتَأْمَرَ عُمَرُ بن الخطاب الصّحابةَ في قَسْمِ أرْضِ السّوادِ حِينَ افْتُتِحَتْ، فكانَ رَأْيُ عَلِيٍّ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنْ يَقِفَها، [ولا يَقْسِمَها][2]، وأرْضُ السّوادِ أوّلُها مِنْ تُخُومِ المَوْصِلِ مَدًّا مع الماءِ إلى عَبّادانَ مِنَ السّاحِلِ عَنْ يَسارِ دِجْلةَ، وفي العَرْضِ مِنْ جِبالِ حُلوانَ إلى القادِسِيّةِ، مُتّصِلًا بالعُذَيْبِ مِنْ أرْضِ العَرَبِ، كَذلك قالَ أبُو عُبَيْدٍ[3]، وكانَت العَرَبُ تَقُولُ: دَلَعَ[4] البَرُّ لِسانَهُ في السّوادِ؛ لأن أرض القادسية كلسانٍ من البَرِيّةِ داخِلٍ في سَوادِ العِراقِ، حَكاها الطّبَرِيّ.

وَلَمّا سارَ عُمَرُ إلى الشّامِ، وكانَ بالجابِيةِ[5] شاوَرَ فيما افْتَتَحَ مِنَ الشّامِ: أيَقْسِمُها؟ فقالَ لَهُ مُعاذٌ: إنْ قَسَمْتَها لَمْ يَكُنْ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِن المُسْلِمِينَ شَيْءٌ، أوْ نَحْوَ هَذا، فأخَذَ بِقَوْلِ مُعاذٍ، فألَحّ[6] عَلَيْهِ بِلالٌ في جَماعةٍ مِنْ أصْحابِهِ، وطَلَبُوا القَسْمَ، فلَمّا أكْثَرُوا، قالَ: اللهُمَّ اكْفِنِي بِلالًا وذَوِيهِ، فلَمْ يَأْتِ الحَوْلُ ومِنْهُمْ عَلى الأرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ، وكانَتْ أرْضُ الشّامِ كُلّها عَنْوةً إلّا مَدائِنَها؛ فإنّ أهْلَها صالَحُوا عَلَيْها، وكَذَلِكَ بَيْتُ المَقْدِسِ فتَحَها عُمَرُ صُلحًا بَعْدَ أنْ

---

(١) انظر: (٤: ٣٣).

(٢) ليس في (أ).

(٣) «الأموال» لأبي عبيد: (١: ٩١). (ج)

(٤) أي: أخرجه.

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق.

(٦) في (ف): «وألح».

وجّهَ إلَيْها خالِدَ بنَ ثابتٍ الفَهْمِيّ، فطَلَبُوا مِنْهُ الصُّلحَ، فكَتَبَ بِذَلِكَ إلى عُمَرَ وهُوَ بِالجابِيةِ، فقَدِمَها، وقَبِلَ صُلحَ أهْلِها.

وأرْضُ السّوادِ كُلّها عَنوةٌ إلّا الحِيرةَ؛ فإنّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ صالَحَ أهلها، وكذلك أهل بانِقيا[1] [هي][2] أيْضًا صُلحٌ، وأُخْرى يُقالُ لَها: أُلَّيسُ[3]. وأرْضُ خراسان عَنْوة إلّا تِرْمِذ[4]؛ فإنّها قَلعةٌ مَنِيعةٌ، وقِلاعٌ سِواها، وأمّا أرْضُ مِصْرَ، فكانَ اللّيْثُ بنُ سَعْدٍ قَد اقْتَنى بِها مالًا، وعابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جَماعةٌ مِنْهُمْ يَحْيى بنُ أيّوبَ ومالِكُ بنُ أنَسٍ؛ لِأنّ أرْضَ العَنْوةِ لا تُشْتَرى، وكانَ اللّيْثُ يَرْوِي عَنْ يَزِيدَ بنِ أبِي حَبِيبٍ أنّها فُتِحَتْ صُلحًا، [وكِلا الخَبَرَيْنِ حَقٌّ؛ لِأنّها فُتِحَتْ صُلحًا][5] أوّلَ[6]، ثُمّ انْتَكَثَتْ بَعْدُ، فأُخِذَتْ عَنْوةً، فمِنْ هاهنا نَشَأ الخِلافُ في أمْرِها. قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ[7].

وقَد احْتَجّ مَنْ قالَ بِالقَسْمِ في أرْضِ العَنْوةِ بِأنّ عُمَرَ لَمْ يَقِفْ أرْضَ السّوادِ وغَيْرِها حَتّى اسْتَطابَ نُفُوسَ المُفْتَتِحِينَ لَها، وأعْطاهُمْ حَتّى أرْضاهُمْ[8]، ورَوَوْا أنّ أُمّ كُرْزٍ البَجَلِيّةَ[9] سَألَتْ سَهْمَ أبِيها في أرْضِ السّوادِ، وأبَتْ أنْ تَتْرُكَهُ

---

(١) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

(٢) عن (ص)، (ج)، (ف).

(٣) أُلَّيس: موضع كانت الوقعة بين المسلمين والفُرس في أرض العراق من ناحية البادية.

(٤) ترمذ: مدينة مشهورة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، منها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.

(٥) سقط من (ب).

(٦) في (ب): «أولًا».

(٧) «الأموال» (ص: ١٥٥).

(٨) انظر: «الأموال» (ص: ٦٧).

(٩) انظر: باب الكنى من «الاستيعاب» (ص: ١٧٦٥)، وكتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٩٦)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٣٩).

فيْئًا، حَتّى أعْطاها عُمَرُ راحِلةً وقَطِيفةً حَمْراءَ وثَمانِينَ دِينارًا، وكَذَلِكَ رَوَوْا عَنْ جَرِيرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ في سَهْمِهِ بأرْضِ العِراقِ نَحْوًا مِنْ هَذا.

وقالَ مَنْ يَحْتَجُّ لِلفَرِيقِ الآخَرِ: إنّما تَرَضّى عُمَرُ جَرِيرًا؛ لِأَنَّهُ كانَ نَفَلَهُ تِلكَ الأرْضَ، فكانَتْ مِلكًا لَهُ حَتّى ماتَ، وكَذَلِكَ أُمّ كُرْزٍ كانَ سَهْمُ أَبِيها نَفْلًا أيْضًا، جاءَتْ بِذَلِكَ كُلِّهِ الآثارُ الثابتةُ، واللهُ المستعانُ.

ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ الكَتِيبةَ ـ وهِيَ وادِي خاصٍ ـ بَيْنَ قَرابَتِهِ وبَيْنَ نِسائِهِ، وبَيْنَ رِجالِ المُسْلِمِينَ ونِساءٍ أعْطاهُمْ مِنْها، فقَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ لفاطمةَ ابنَتِه مِئَتَيْ وَسْقٍ، ولِعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ مئةَ وسْقٍ، ولِأُسامةَ بنِ زيدٍ مِئَتَيْ وَسْقٍ، وخَمْسِينَ وَسْقًا مِنْ نَوًى، ولِعائِشةَ أمّ المُؤمنِينَ مِئَتي وَسْقٍ، ولِأبي بَكْرٍ ابنِ أبي قُحافة مئةَ وسْقٍ، ولِعَقِيلِ بنِ أبي طالب مئةَ وَسْقٍ وأرْبَعِينَ وَسْقًا، ولِبَنِي جَعْفَرٍ خَمْسِينَ وَسْقًا، ولِرَبِيعةَ بنِ الحارِثِ مئةَ وَسْقٍ، ولِلصَّلْتِ ابنِ مَخْرَمةَ وابنَيهِ مئةَ وَسْقٍ، لِلصَّلْتِ مِنْها أرْبَعُونَ وَسْقًا، ولِأبي نَبْقةَ خَمْسِينَ وسْقًا، ولِرُكانةَ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ خَمْسِينَ وسْقًا، ولِقَيْسِ بنِ مَخْرَمةَ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِأبي القاسِمِ بنِ مَخْرَمةَ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِبَناتِ عُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ وابنةِ الحُصَيْنِ ابنِ الحارث مئةَ وسْقٍ، ولِبَنِي عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ سِتِّينَ وسْقًا، ولِابنِ أوْسِ ابنِ مَخْرَمةَ ثَلاثِينَ وَسْقًا، ولِمِسْطَحِ بنِ أُثاثةَ وابنِ إلْياسَ خَمْسِينَ وَسْقًا، ولِأُمِّ رُمَيْثةَ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِنُعَيْمِ بنِ هِنْدٍ ثَلاثِينَ وَسْقًا، ولِبُحَيْنةَ بِنْتِ الحارِثِ ثَلاثِينَ وَسْقًا، ولِعُجَيْرِ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ ثَلاثِينَ وَسْقًا، ولِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الزّبينِ ابنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِجُمانةَ بِنْتِ أبي طالِبٍ ثَلاثِينَ وَسْقًا، ولِابنِ الأرْقَمِ خَمْسِينَ وسْقًا، ولِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبي بَكْرٍ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِحَمْنةَ

بِنْتِ جَحْشٍ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِأُمِّ الزُّبَيْرِ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِضُباعةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِابنِ أبي خُنَيْسٍ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِأُمِّ طالِبٍ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِأبي بَصْرةَ عِشْرِينَ وسْقًا، ولِنُمَيْلةَ الكَلْبِيِّ خَمْسِينَ وسْقًا، ولِعَبْدِ الله بنِ وهْبٍ وابنَتَيْهِ تِسْعِينَ وسْقًا، لابنَيْهِ مِنْها أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِأُمِّ حَبِيبٍ بِنْتِ جَحْشٍ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِمَلْكُو بنِ عَبدةَ ثَلاثِينَ وسْقًا، ولِنِسائِهِ ﷺ سبعَ مئةِ وسْقٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَمْحٌ وشَعِيرٌ وتَمْرٌ ونَوًى وغَيْرُ ذلك، قَسَمَهُ على قَدْرِ حاجَتِهِمْ، وكانَت الحاجةُ في بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ أكْثَرَ، ولِهذا أعْطاهُمْ أكْثَرَ.

بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

[عَهْدُ الرَّسُولِ إلى نِسائِهِ بِنَصِيبِهِنَّ في المَغانِمِ]

ذِكْرُ ما أعْطى مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ نِساءَهُ مِنْ قَمْحِ خَيْبَرَ:

قسم لهنّ مئة وسْقٍ وثَمانِينَ وسْقًا، ولِفاطِمةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ خَمْسةً وثَمانِينَ وسْقًا، ولِأُسامةَ بنِ زَيْدٍ أرْبَعِينَ وسْقًا، ولِلْمِقْدادِ بنِ الأسْوَدِ خَمْسةَ عَشَرَ وَسْقًا، ولِأُمِّ رُمَيْثةَ خَمْسةَ أوْسُقٍ.

شَهِدَ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ وعَبّاسٌ وكَتَبَ.

[ما أوْصى بِهِ الرَّسُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَن ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبةَ بنِ مَسْعُودٍ، قالَ: لَمْ يُوصِ رَسُولُ الله ﷺ

عِنْدَ مَوْتِهِ إلّا بِثَلاثٍ: أَوْصى للرَّهاوِيِّينَ بجادِّ مئةِ وسْقٍ مِنْ خَيْبَرَ، وللدارِيِّينَ بجادِّ مئةِ وسْقٍ مِنْ خَيْبَرَ، ولِلسَّبائِيِّينَ، وللأشعريِّينَ بجادِّ مئةِ وسْقٍ مِنْ خَيْبَرَ.

وَأَوْصى بِتَنْفيذِ بَعْثِ أُسامَةَ بنِ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، وألّا يُتْرَكَ بِجَزيرةِ العَرَبِ دِينانِ.

أَمْرُ فدَكَ في خَبَرِ خَيْبَرَ

[مُصالَحَةُ الرَّسُولِ أَهْلَ فدَكٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ قَذَفَ الله الرُّعْبَ في قُلُوبِ أَهْلِ فدَكَ، حِينَ بَلَغَهُمْ ما أَوْقَعَ الله تَعالى بِأَهْلِ خَيْبَرَ، فبَعَثُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ يُصالِحُونَهُ على النِّصْفِ من فدَكَ، فقدَمِت عَلَيْهِ رُسُلُهُمْ بِخَيْبَرَ، أَوْ بِالطّائِفِ، أَوْ بَعْدَما قَدِمَ المَدِينَةَ، فقَبِلَ ذلك مِنْهُمْ، فكانَتْ فدَكُ لِرَسُولِ الله ﷺ خالِصةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوجِفْ عَلَيْها بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ.

تَسْمِيةُ النَّفَرِ الدّارِيِّينَ
الَّذينَ أَوْصى لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ

[نَسَبُهُمْ]

وَهُمْ بَنُو الدّارِ بنِ هانِئِ بنِ حَبِيبِ بنِ نُمارةَ بنِ لَخْمٍ، الَّذينَ سارُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ مِن الشّامِ: تَمِيمُ بنُ أَوْسٍ، ونُعَيْمُ بنُ أَوْسٍ أَخُوهُ، ويَزِيدُ بن قَيْسٍ، وعَرَفَةُ بنُ مالِكٍ، سَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَزَّةُ بنُ مالِكٍ ـ وأَخُوهُ مُرّانُ بنُ مالِكٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مَرْوانُ بنُ مالِكٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وفاكِهُ بنُ نُعْمانَ، وجَبَلَةُ بنُ مالِكٍ، وأبو هِنْدِ بنُ بَرٍّ، وأخُوهُ الطَّيِّبُ بنُ بَرٍّ، فسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: عَبْدَ الله.

[خَرْصُ ابنِ رَواحةَ ثُمَّ جَبّارٍ على أهْلِ خَيْبَرَ]

فَكانَ رَسُولُ الله ﷺ ـ كَما حَدَّثَني عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ـ يَبْعَثُ إلى أهْلِ خَيْبَرَ عَبْدَ الله بنَ رَواحةَ خارِصًا بَيْنَ المُسْلِمِينَ ويَهُودَ، فيخْرُصُ عَلَيْهِمْ، فإذا قالُوا: تَعَدَّيْتَ عَلَيْنا، قالَ: إنْ شِئْتُم فلَكُمْ، وإنْ شِئْتُمْ فلَنا. فتَقُولُ يَهُودُ: بِهذا قامَت السَّمواتُ والأرْضُ.

وَإنَّما خَرَصَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ عامًا واحِدًا، ثُمَّ أُصِيبَ بِمُؤْتةِ يَرْحَمُهُ الله، فكانَ جَبّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خَنْساءَ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، هُوَ الَّذي يَخْرُصُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ عَبْدِ الله بنِ رَواحةَ.

[مَقْتَلُ ابنِ سَهْلٍ، ودِيةُ الرَّسُولِ إلى أهْلِهِ]

فَأقامَتْ يَهُودُ على ذلك، لا يَرى بِهِم المُسْلِمُونَ بَأْسًا في مُعامَلَتِهِمْ، حَتّى عَدَوْا في عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ على عَبْدِ الله بنِ سَهْلٍ، أخِي بَنِي حارِثَةَ، فقَتَلُوهُ، فاتَّهَمَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني الزُّهْرِيُّ عَنْ سَهْلِ بنِ أبي حَثْمةَ، وحَدَّثَني أيْضًا بُشَيْرُ بنُ يَسارٍ، مَوْلى بَنِي حارِثَةَ، عَنْ سَهْلِ بنِ أبي حَثْمةَ، قالَ: أُصِيبَ عَبْدُ اللهِ ابنُ سَهْلٍ بِخَيْبَرَ، وكانَ خَرَجَ إلَيْها في أصْحابٍ لَهُ يَمْتارُ مِنْها تَمْرًا، فوُجِدَ في عَيْنٍ قَدْ كُسِرَتْ عُنُقُه، ثمَّ طُرِحَ فيها، قالَ: فأخَذُوهُ فغَيَّبُوهُ، ثُمَّ قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ، فذَكَرُوا لَهُ شَأْنَهُ، فتَقَدَّمَ إلَيْهِ أخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

ابنُ سَهْلٍ، ومَعَهُ ابنا عَمِّهِ: حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ ابنا مَسْعُودٍ، وكانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وكانَ صاحِبَ الدَّمِ، وكانَ ذا قَدَمٍ في القَوْمِ، فلَمّا تَكَلَّمَ قَبْلَ ابنَيْ عَمِّهِ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْرَ» ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» فيما ذَكَرَ مالِكُ بنُ أَنَسٍ ـ فسَكَتَ، فتَكَلَّمَ حُوَيِّصةُ ومُحَيِّصةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ هُوَ بَعْدُ، فذَكَرُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَتْلَ صاحِبِهِمْ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتُسَمُّونَ قاتِلَكُمْ، ثُمَّ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ يَمِينًا، فنُسَلِّمَهُ إِلَيْكُمْ؟». قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما كُنّا لِنَحْلِفَ على ما لا نَعْلَمُ. قالَ: «أفيحْلِفُونَ باللهِ خَمْسِينَ يَمِينًا: ما قَتَلُوهُ ولا يَعْلَمُونَ لَهُ قاتِلًا، ثُمَّ يَبْرَؤُونَ مِنْ دَمِهِ؟». قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما كُنّا لِنَقْبَلَ أَيْمانَ يَهُودَ؛ ما فيهِمْ مِن الكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحْلِفُوا على إِثْمٍ. قالَ: فَوَداهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ من عِنْدِه مئةَ ناقةٍ.

قالَ سهلٌ: فواللهِ ما أنْسى بَكْرةً مِنْها حَمْراءَ ضَرَبَتْني وأنا أَحُوزُها.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبراهِيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ بُجَيْدِ بنِ قَيْظِيٍّ، أَخِي بَنِي حارِثَةَ، قالَ مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ: وايْمُ اللهِ، ما كانَ سَهْلٌ بِأَكْثَرَ عِلْمًا مِنْهُ، ولَكِنَّهُ كانَ أَسَنَّ مِنْهُ، إِنَّهُ قالَ لَهُ: واللهِ ما هَكَذا كانَ الشَّأْنُ، ولَكِنَّ سَهْلًا أَوْهَمَ، ما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: احلفوا على ما لا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ، ولَكِنَّهُ كَتَبَ إلى يَهُودِ خَيْبَرَ حِينَ كَلَّمَتْهُ الأنْصارُ: «إِنَّهُ قَدْ وُجِدَ قَتِيلٌ بَيْنَ أَبْياتِكُمْ، فدُوهُ»، فكَتَبُوا إِلَيْهِ يَحْلِفُونَ باللهِ ما قَتَلُوهُ، ولا يَعْلَمُونَ لَهُ قاتِلًا. فَوَداهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ مِثْلَ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ بُجَيْدٍ، إِلّا أَنَّهُ قالَ في حَدِيثِهِ: «دُوهُ، أو ائْذَنُوا بِحَرْبٍ». فكَتَبُوا يَحْلِفُونَ

بالله: ما قَتَلُوهُ ولا يَعْلَمُونَ لَهُ قاتِلًا. فوَداهُ رَسُول الله ﷺ مِنْ عِنْدِهِ.

[إجْلاءُ اليَهُودِ عَنْ خَيْبَرَ أيّامَ عُمَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَألْتُ ابنَ شِهابٍ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ كانَ إعْطاءُ رَسُولِ الله ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ نَخْلَهُمْ، حِينَ أعْطاهُم النَّخْلَ على خَرْجِها؟ أبَتَّ ذلك لَهُمْ حَتّى قُبِضَ، أمْ أعْطاهُمْ إيّاها لِلضَّرُورةِ مِنْ غَيْرِ ذلك؟

فَأخْبَرَنِي ابنُ شِهابٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ افْتَتَحَ خَيْبَرَ عَنْوةً بَعْدَ القِتالِ، وكانَتْ خَيْبَرُ مِمّا أفاءَ الله عَزَّ وجَلَّ على رَسُولِ الله ﷺ، خَمَّسَها رَسُولُ الله ﷺ، وقَسَمَها بَيْنَ المُسْلِمِينَ، ونَزَلَ مَنْ نَزَلَ مِنْ أهْلِها على الجَلاءِ بَعْدَ القِتالِ، فدَعاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «إنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُ إلَيْكُمْ هَذِهِ الأمْوالَ على أنْ تَعْمَلُوها، وتَكُونَ ثِمارُها بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ، وأُقِرُّكُمْ ما أقَرَّكُم الله». فقَبِلُوا، فكانُوا على ذلك يَعْمَلُونَها، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَبْعَثُ عَبْدَ الله بنَ رَواحَةَ، فيقْسِمُ ثَمَرَها، ويَعْدِلُ عَلَيْهِمْ في الخَرْصِ، فلَمّا تَوَفّى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ، أقَرَّها أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله تَعالى عَنْهُ بَعْدَ رَسُول الله ﷺ بِأيْدِيهِمْ، على المُعامَلَةِ الَّتِي عامَلَهُمْ عَلَيْها رَسُولُ الله ﷺ حَتّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ أقَرَّها عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ صَدْرًا مِنْ إمارَتِهِ، ثُمَّ بَلَغَ عُمَرَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ في وجَعِهِ الَّذي قَبَضَهُ الله فيهِ: «لا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرةِ العَرَبِ دِينانِ»، ففَحَصَ عُمَرُ ذلك، حَتّى بَلَغَهُ الثَّبَتُ، فأرْسَلَ إلىَ يَهُودَ، فقالَ: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قَدْ أذِنَ في جَلائِكُمْ، قَدْ بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «لا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرةِ العَرَبِ دِينانِ»، فمَنْ كانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مِن اليَهُودِ فلْيَأْتِنِي بِهِ أُنْفِذْهُ لَهُ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مِن اليَهُود، فليتجهّزْ للجَلاءِ. فأجْلى عُمَرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مِنْهُم.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي نافِعٌ، مَوْلى عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله ابنِ عُمَرَ، قالَ: خَرَجْتُ أنا والزُّبَيْرُ والمِقْدادُ بنُ الأسْوَدِ إلى أمْوالِنا بِخَيْبَرَ نَتَعاهَدُها، فلَمّا قَدِمْنا تَفَرَّقْنا في أمْوالِنا، قالَ: فعُدِيَ عَلَيَّ تَحْتَ اللَّيْلِ وأنا نائِمٌ على فِراشِي، ففُدِعَتْ يَداايَ مِنْ مِرْفَقَيَّ، فلَمّا أصْبَحْتُ اسْتَصْرَخَ عَلَيَّ صاحِبايَ، فأتَيانِي فسَألانِي: مَنْ صَنَعَ هذا بِكَ؟ فقُلْتُ: لا أدْرِي، قالَ: فأصْلَحا مِنْ يدىّ، ثمَّ قَدِما بِي على عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ، فقالَ: هذا عَمَلُ يَهُودَ. ثُمَّ قامَ في النّاسِ خَطِيبًا، فقالَ: أيُّها النّاسُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ عامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ على أنّا نُخْرِجُهُمْ إذا شِئْنا، وقَدْ عَدَوْا على عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، ففَدَعُوا يَدَيْهِ كَما قَدْ بَلَغَكُمْ، مَعَ عَدْوِهِمْ على الأنْصارِيِّ قَبْلَهُ، لا نَشُكُّ أنَّهُمْ أصْحابُهُ، لَيْسَ لَنا هُناكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، فمَنْ كانَ لَهُ مالٌ بِخَيْبَرَ فلْيَلْحَقْ بِهِ؛ فإنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ. فأخْرَجَهُمْ.

[قِسمةُ عُمَرَ لِوادِي القُرى بَيْنَ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَكْنَفٍ، أخِي بَنِي حارِثَةَ، قالَ: لَمّا أخْرَجَ عُمَرُ يَهُودَ مِنْ خَيْبَرَ رَكِبَ في المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، وخَرَجَ مَعَهُ جَبّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ خَنْساءَ، أخُو بَنِي سَلِمَةَ، وكانَ خارِصَ أهْلِ المَدِينةِ وحاسِبَهُمْ ويَزِيدُ بنُ ثابِتٍ، وهُما قَسَما خَيْبَرَ بَيْنَ أهْلِها، على أصْلِ جَماعةِ السُّهمانِ الَّتِي كانَتْ عَلَيْها.

وكانَ ما قَسَمَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ مِنْ وادِي القُرى، لِعُثْمانَ بنِ عَفّانَ خَطَرٌ، ولِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ خَطَرٌ، ولِعُمَرَ بنِ أبي سَلَمَةَ خَطَرٌ، ولِعامِرِ بنِ أبي رَبِيعةَ خَطَرٌ، ولِعَمْرِو بنِ سُراقةَ خَطَرٌ، ولِأُشَيْمٍ خَطَرٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ولِأَسْلَمَ ولِبَنِي جَعْفَرٍ خَطَرٌ، ولِمُعَيْقِيبٍ خَطَرٌ، ولِعَبْدِ اللهِ بنِ الأَرْقَمِ خَطَرٌ، ولِعَبْدِ اللهِ وعُبَيْدِ اللهِ خَطَرانِ، ولِابنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ جَحْشٍ خَطَرٌ، ولِابنِ البُكَيْرِ خَطَرٌ، ولِمُعْتَمِرٍ خَطَرٌ، ولِزَيْدِ بنِ ثابِتٍ خَطَرٌ، ولِأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ خَطَرٌ، ولِمُعاذِ بنِ عَفْراءَ خَطَرٌ، ولِأَبي طَلْحةَ وحَسَنٍ خَطَرٌ، ولِجَبّارِ بنِ صَخْرٍ خَطَرٌ، ولِجابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ رِئابٍ خَطَرٌ، ولِمالِكِ بنِ صَعْصَعةَ وجابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو خَطَرٌ، ولِابنِ حُضَيْرٍ خَطَرٌ، ولِابنِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ خَطَرٌ، ولِسَلامةَ بنِ سَلامةَ خَطَرٌ، ولِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ ثابِتٍ وأَبي شَرِيكٍ خَطَرٌ، ولِأَبي عَبْسِ بنِ جَبْرٍ خَطَرٌ، ولِمُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمةَ خَطَرٌ، ولِعُبادةَ بنِ طارِقٍ خَطَرٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: لِقَتادةَ.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: ولِجَبْرِ بنِ عَتِيكٍ نِصْفُ خَطَرٍ، ولِابنَي الحارِثِ بنِ قَيْسٍ نِصْفُ خَطَرٍ، ولِابنِ حَزَمةَ والضَّحّاكِ خَطَرٌ، فهذا ما بَلَغَنا مِنْ أَمْرِ خَيْبَرَ ووادِي القُرى ومَقاسِمِها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الخَطَرُ: النَّصِيبُ. يُقالُ: أَخْطَرَ لِي فُلانٌ خَطَرًا.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ فيمَنْ قُسِمَ لَهُ يَوْمَ خَيْبَرَ «أبا نَبِقَةَ» قُسِمَ لَهُ خَمْسُونَ وسْقًا، واسمه: عَلقَمةُ بنُ المُطَّلِبِ، ويُقالُ: عبدُ اللهِ بنُ عَلقَمةَ، وقالَ أَبُو عُمَرَ: هُوَ مَجْهُولٌ[1]، وقالَ ابنُ الفَرَضِيّ[2]: أَبُو نَبِقةَ بنُ المُطّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ، واسْمُ أَبِي نَبِقةَ:

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر: (٤: ١٧٦٥). (ج)

(٢) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الحافظ، كان فقيهًا عالمًا في جميع الفنون، =

عبدُ اللهِ، ومن ولده: محمد بن العلاء بنِ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي نَبقةَ ومِنْ ولَدِهِ: أَبُو الحُسَيْنِ المُطّلِبيّ إمامُ مسجدِ رسول الله ﷺ، وهُوَ يَحْيى بنُ الحُسَيْنِ ابنِ مُحَمّدِ بنِ أحْمَدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ العَلاءِ بنِ المُغِيرةِ بنِ أَبِي نَبقةَ ابنِ المُطّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ.

وَذَكَرَ فيهِمْ أُمَّ الحَكَمِ، وهي بِنْتُ الزُّبَيْر بن عبدِ المُطّلِبِ أُخْتُ ضُباعةَ، هَكَذا قالَ: أُمّ الحَكَمِ، والمَعْرُوفُ فيها أنّها أُمُّ حَكِيمٍ، وكانَتْ تحت ربيعةَ بنِ الحارِثِ، وأمّا أُمُّ حَكَمٍ[١] فهي بِنْتُ أبِي سُفْيانَ، وهي مِنْ مُسْلِمةِ الفَتْحِ، ولَوْلا ذَلِكَ لَقُلت: إنّ ابنَ إسْحاقَ إيّاها أرادَ، لَكِنّها لَمْ تَشْهَدْ خَيْبَرَ، ولا كانَتْ أَسْلَمَتْ بَعْدُ.

وَذَكَرَ فيمَنْ قُسِمَ لَهُ أُمَّ رِمْثَةَ[٢]، ولا تُعْرَفُ إلّا بِهَذا[٣]، وشهودها فتح خيبرَ.

وَذَكَرَ بُحَيْنَةَ بِنْتَ الحارِثِ. وبُحَيْنةُ تَصْغِيرُ: بَحْنةٍ، وهي نَخْلةٌ مَعْرُوفةٌ، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ، ولَفْظُها[٤] مِنَ البَحُونةِ، وهي جُلّةُ[٥] التّمْرِ، وهي أُمُّ عبد الله بن بُحَيْنَةَ الفَقِيهِ، وهُوَ ابنُ مالِكِ بنِ القِشْبِ الأَزْدِيّ[٦].

= قتله البربر في داره سنة (٤٠٣هـ)، وله كتاب: «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس»، طُبع في أوربا سنة ١٨٩٠م، ومصر سنة ١٩٥٤م. انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ٨٥)، و«فهرسة ابن خير» (ص: ٤٧٨).

(١) في (أ)، (ب): «حكيم». انظر: «أسد الغابة» (٧: ٣٢٠).

(٢) في (س): «رُميثة» مضبوطًا، ومثله في «السيرة». انظر: «أسد الغابة» (٧: ٣٣١).

(٣) في (ب): «بهذا الخبر».

(٤) في (ص)، (ج): ولفظها مأخوذ من البحونة.

(٥) أي: قُفّة التمر.

(٦) «أسد الغابة» (٣: ١٨٣).

وَفي قَسْمِهِ لِهَؤُلاءِ النّساءِ حُجّةٌ لِلأوْزاعِيّ لِقَوْلِهِ: إنّ النِّساءَ يُقْسَمُ لَهُنّ مَعَ الرّجالِ في المَغازِي، وأكْثَرُ الفُقَهاءِ لا يَرَوْنَ لِلنّساءِ قَسْمًا مَعَ الرّجالِ، ولَكِنْ يُرْضَخُ لَهُنّ مِنَ المَغْنَمِ، أخْذًا بِحَدِيثِ أُمّ عَطِيّةَ قالَتْ: كُنّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ فنُداوِي الجَرْحى، ونُمَرِّضُ المَرْضى، ويُرْضَخُ لَنا مِنَ المَغْنَمِ[1].

ذِكْرُ قُدُومِ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ مِن الحَبَشَةِ وحَدِيثُ المُهاجِرِينَ إلى الحَبَشَةِ

[فَرَحُ الرّسُولِ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الأجْلَحِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ: أنَّ جَعْفَرَ بنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ فتْحِ خَيْبَرَ، فقَبَّلَ رَسُولَ الله ﷺ بَين عَيْنَيْهِ، والتَزَمَهُ، وقالَ: «ما أدْرِي بِأيِّهِما أنا أسَرُّ: بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ؟».

[مُهاجِرةُ الحَبَشةِ الّذينَ قَدِمَ بِهِمْ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مَنْ أقامَ بِأرْضِ الحَبَشةِ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى بَعَثَ فيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ إلى النَّجاشِي عَمْرَو بنَ أُمَيّةَ الضَّمْرِيَّ، فحَمَلَهُمْ في سَفينَتَيْنِ، فقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ وهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ الحُدَيْبِيةِ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد: (٣: ١٤٧٧)، و«بذل المجهود»، كتاب الجهاد: (١٢: ٣٢٤-٣٢٧)، و«الرد على سير الأوزاعي» (ص: ٣٨)، و«الخراج» لأبي يوسف: (ص: ٣٨٥). والرضخ: العطية القليلة.

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

مِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ الخَثْعَمِيَّةُ، وابنُهُ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ، وكانَتْ ولَدَتْهُ بِأرْضِ الحَبَشةِ. قُتِلَ جَعْفَرٌ بِمُؤْتَةَ مِنْ أرْضِ الشّامِ أمِيرًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. رَجُلٌ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قُدُومَ أصْحابِ السّفينةِ مِنْ أرْضِ الحَبَشةِ، وفيهِمْ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ، وأنّ رسول الله ﷺ التزمهُ وقبّل بين عينيه، وقد احْتَجّ بِهَذا الحَدِيثِ الثّوْرِيُّ عَلى مالِكِ بنِ أنَسٍ في جَوازِ المُعانَقةِ، وذَهَبَ مالِكٌ إلى أنّهُ خُصُوصٌ بِالنّبِيِّ ﷺ، وما ذَهَبَ إلَيْهِ سُفْيانُ مِنْ حَمْلِ الحَدِيثِ عَلى عُمُومِهِ أظْهَرُ، وقَد التَزَمَ رسول الله ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثةَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ مَكّةَ. وأمّا المُصافَحةُ بِاليَدِ عِنْدَ السّلامِ ففيها أحاديث؛ منها قَوْلُهُ عَلَيْهِ السلام: «تمام تحيّتكم المصافحة»، ومنها حَدِيثٌ آخَرُ: أنّ أهْلَ اليَمَنِ حِينَ قَدِمُوا المَدِينةَ صافَحُوا النّاسَ بِالسّلامِ، فقالَ النّبِيّ ﷺ: «إنّ أهْلَ اليَمَنِ قَدْ سَنُّوا لَكُم المُصافَحةَ»، ثُمّ نَدَبَ إلَيْها بِلَفْظٍ لا أذْكُرُهُ الآنَ، غَيْرَ أنّ مَعْناهُ: تَنْزِلُ عليهما مئة رحمةٍ، تسعون منها للبادي[1]، وعَنْ مالِكٍ فيها رِوايَتانِ: الإباحةُ والكَراهيةُ، ولا أدري ما وجهُ الكراهيةِ في ذلك.

وَكانَ جَعْفَرٌ قَدْ وُلِدَ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشةِ مُحَمّدٌ وعَوْنٌ وعبدُ اللهِ، [وكانَ

(١) انظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٢: ٤١٩)، و«مجمع الزوائد» (٨: ٣٧).

النّجاشِيُّ قَدْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ يَوْمَ وُلِدَ عبدُ اللهِ، فأرْسَلَ إلى جعْفرٍ يَسْألُهُ][١]: كَيْفَ أسْمَيْت ابنَك؟ فقالَ: أسْمَيْته عبدَ اللهِ، فسَمّى النّجاشِيُّ ابنَهُ عبدَ اللهِ، وأرْضَعَتْهُ أسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ امْرَأةُ جَعْفَرٍ مَعَ ابنِها عبدِ اللهِ، فكانا يَتواصَلانِ[٢] بِتِلكَ الأُخُوّةِ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ مَنافٍ: خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفِ بنِ أسْعَدَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: هُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفٍ ـ وابناهُ سَعِيدُ بنُ خالِدٍ، وأَمَةُ بِنْتُ خالِدٍ، ولَدَتْهُما بِأرْضِ الحَبَشَةِ.

قُتِلَ خالِدٌ بِمَرْجِ الصُّفَّرِ في خِلافةِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِأرْضِ الشّامِ، وأخُوهُ عَمْرُو بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ، مَعَهُ امْرَأتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ ابنِ مُحَرِّثٍ الكِنانِيِّ، هَلَكَتْ بِأرْضِ الحَبَشَةِ.

قُتِلَ عَمْرٌو بِأجْنادِينَ مِنْ أرْضِ الشّامِ، في خِلافةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ.

[شِعْرُ سَعِيدِ بنِ العاصِ لِابنِهِ عَمْرٍو]

وَلِعَمْرِو بنِ سَعِيدٍ يَقُولُ أبوهُ سَعِيدُ بنُ العاصِ بنِ أُمَيّةَ أبو أُحَيْحةَ:

ألا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ يا عَمْرُو سائِلًا ... إذا شَبَّ واشْتَدَّتْ يَداهُ وسُلِّحا

---

(١) مكانه في (ص): «وولد للنجاشي ابن حين ولد عبد الله بن جعفر، فسأل النجاشيّ جعفرًا».

(٢) في (ب): «يتواصلان حين كبرا...».

أتَــتْرُكُ أمْــرَ القَــوْمِ فيــهِ بَلابِلٌ تُكَشِّفُ غَيْظًا كانَ في الصَّدْرِ مُوجَحا

[شِعْرُ أبانَ بنِ العاصِ لِأخَوَيْهِ خالِدٍ وسَعِيدٍ، ورَدُّ خالِدٍ]

وَلِعَمْرٍو وخالِدٍ يَقُولُ أخُوهُما أبانُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ حِينَ أسلما، وكانَ أبوهم سَعِيدُ بنُ العاصِ هَلَكَ بِالظُّرَيْبَةِ، مِنْ ناحِيَةِ الطّائِفِ، هَلَكَ في مالٍ لَهُ بِها:

ألا لَيْتَ مَيْتًا بِالظُّرَيْبَةِ شاهِدُ لِما يَفْتَرِي في الدِّينِ عَمْرٌو وخالِدُ
أطاعا بِنا أمْرَ النِّساءِ فأصْبَحا يُعِينانِ مِنْ أعْدائِنا مَنْ نُكايِدُ

فَأجابَهُ خالِدُ بنُ سَعِيدٍ، فقالَ:

أخِي ما أخِي لا شاتِمٌ أنا عِرْضَهُ ولا هُوَ مِنْ سُوءِ المَقالَةِ مُقْصِرُ
يَقُولُ إذا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ألا لَيْتَ مَيْتًــا بِالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ
فَدَعْ عَنْكَ مَيْتًا قَدْ مَشى لِسَبِيلِهِ وأقْبِلْ على الأدْنى الَّذي هُوَ أفْقَرُ

وَمُعَيْقِيبُ بنُ أبي فاطِمةَ، خازِنُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ على بَيْتِ مالِ المُسْلِمِينَ وكانَ إلى آلِ سَعِيدِ بنِ العاصِ، وأبو مُوسى الأشْعَرِيُّ عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ، حَلِيفُ آلِ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الأسْوَدُ بنُ نَوْفَلِ بنِ خُوَيْلِدٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: جَهْمُ بنُ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ، مَعَهُ

ابناهُ عَمْرُو بنُ جَهْمٍ وخُزَيْمةُ بنُ جَهْمٍ، وكانَتْ مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ حَرْمَلَةَ بِنْتُ عَبْدِ الأَسْوَدِ، هَلَكَتْ بِأَرْضِ الحَبَشةِ، وابناهُ لَهَا. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: عامِرُ بنُ أبي وقّاصٍ، وعُتْبةُ بنُ مَسْعُودٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ هُذَيْلٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي تَيْمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبٍ: الحارِثُ بنُ خالِدِ بنِ صَخْرٍ، وقَدْ كانَتْ مَعَهُ امْرَأتُهُ رَيْطةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ جُبَيْلةَ، هَلَكَتْ بِأَرْضِ الحَبَشةِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عُثْمانُ بنُ رَبِيعةَ بنِ أُهْبانَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ، مَحْمِيةُ بنُ الجَزْءِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَعَلَهُ على خُمُسِ المُسْلِمِينَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: مَعْمَرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ نَضْلةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ: أبو حاطِبِ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسٍ،

ومالِكُ بنُ رَبيعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ عَمْرةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ ابنِ وقْدانَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكٍ: الحارِثُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ بنِ لَقِيطٍ. رَجُلٌ. وقَدْ كانَ حُمِلَ مَعَهُمْ في السَّفينَتَيْنِ نِساءٌ مِنْ نِساءِ مَن هلَكَ هنالِك مَن المُسْلِمِينَ.

[عِدّةُ مَنْ حَمَلَهُمْ مَعَ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ]

فَهَؤُلاءِ الَّذينَ حَمَلَ النَّجاشِي مَعَ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيِّ في السَّفينَتَيْنِ، فجَمِيعُ مَنْ قَدِمَ في السَّفينَتَيْنِ إلى رَسُولِ الله ﷺ سِتّةَ عَشَرَ رَجُلًا.

[سائِرُ مُهاجِرةِ الحَبَشةِ]

وَكانَ مِمَّنْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، ولَمْ يَقْدَمْ إلّا بَعْدَ بَدْرٍ، ولَمْ يَحْمِل النَّجاشِي في السَّفينَتَيْنِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، ومَنْ قَدِمَ بَعْدَ ذلك، ومَنْ هَلَكَ بِأرْضِ الحَبَشةِ، مِنْ مُهاجِرةِ الحَبَشةِ:

[مِنْ بَنِي أُمَيّةَ]

مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُبَيْدُ الله بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ الأَسَدِيُّ، أَسَدُ خُزَيْمةَ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ، وابنَتُهُ حَبِيبةُ بِنْتُ عُبَيْدِ الله، وبِها كانَتْ تُكْنى أُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ، وكانَ اسْمُها: رَمْلَةَ.

[تَنَصُّرُ ابنِ جَحْشٍ بِالحَبَشةِ، وخلفُ الرَّسُولِ على امْرَأتِهِ]

خَرَجَ مَعَ المُسْلِمِينَ مُهاجِرًا، فلَمّا قَدِمَ أرْضَ الحَبَشةِ تَنَصَّرَ بِها وفارَقَ الإسْلام، ومات هنالك نَصْرانِيًّا، فخَلَفَ رَسُولُ الله ﷺ على امْرَأتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أُمِّ حَبِيبةَ بِنْتِ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ، قالَ: خَرَجَ عُبَيْدُ الله بنُ جَحْشٍ مَعَ المُسْلِمِينَ مُسْلِمًا، فلَمّا قَدِمَ أرْضَ الحَبَشةِ تَنَصَّرَ، قالَ: فَكانَ إذا مَرَّ بِالمُسْلِمِينَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: فتَّحْنا وصَأْصَأْتُمْ؛ أي: قَدْ أبصَرْنا وأنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ البَصَرَ ولَمْ تُبصِرُوا بَعْدُ. وذلك أنَّ ولَدَ الكَلْبِ إذا أرادَ أنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِلنَّظَرِ صَأْصَأَ قَبْلَ ذلك، فضَرَبَ ذلك لَهُ ولَهُمْ مَثَلًا؛ أي: إنّا قَدْ فتَّحْنا أعْيُنَنا فأبصَرْنا، ولَمْ تَفْتَحُوا أعْيُنَكُمْ فتُبْصِرُوا، وأنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ ذلك.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَيْسُ بنُ عَبْدِ الله، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، وهُوَ أبو أُمَيّةَ بِنْتِ قَيْسٍ الَّتِي كانَتْ مَعَ أُمِّ حَبِيبةَ، وامْرَأتُهُ بَرَكةُ بِنْتُ يَسارٍ، مَوْلاةُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ، كانَتا ظِئْرَيْ عُبَيْدِ الله بنِ جَحْشٍ، وأُمِّ حَبِيبةَ بِنْتِ أبي سُفيانَ، فخَرَجا بِهِما مَعَهُما حِينَ هاجَرا إلى أرْضِ الحَبَشةِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: يَزِيدُ بنُ زَمْعةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، قُتِلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ شَهِيدًا، وعَمْرُو بنُ أُمَيّةَ ابنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ، هَلَكَ بِأرْضِ الحَبَشةِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: أبو الرُّومِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، وفِراسُ بنُ النَّضْرِ بنِ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عَلْقَمةَ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ: المُطَّلِبُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ رَمْلةُ بِنْتُ أبي عَوْفِ بنِ ضُبَيْرةَ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، هَلَكَ بِأَرْضِ الحَبَشةِ، ولَدَتْ لَهُ هُنالِكَ عَبْدَ اللهِ بنَ المُطَّلِبِ، فكانَ يُقالُ: إنْ كانَ لَأَوَّلُ رَجُلٍ ورِثَ أباهُ في الإِسْلامِ. رَجُلٌ.

وَذَكَرَ عَمْرَو بنَ سَعِيدٍ، وأنّهُ اسْتُشْهِدَ بِأَجْنادِينَ، كَذا تَقَيّدَ في الأَصْلِ بِكَسْرِ الدّالِ وفَتْحِ أوّلِهِ، وكَذا سَمِعْتُ[١] الشّيْخَ الحافِظَ أبا بَكْرٍ يَنْطِقُ بِهِ، وقَيَّدْناهُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بنِ طاهِرٍ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الغَسّانِيّ: «إِجْنادَين» بِكَسْرِ أَوّلِهِ وفَتْحِ الدّالِ.

وَقالَ أَبُو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ في كِتابِ «مُعْجَم ما اسْتُعْجِمَ»: أَجْنادَينِ بِفَتْحِ أَوّلِهِ، وفَتْحِ الدّالِ، وقالَ: كَأَنّهُ تَثْنِيةُ أَجْنادٍ[٢].

* * *

(١) في (ب) وحدها: «سمعت شيخنا».

(٢) «معجم ما استعجم» (١: ١١٤-١١٥).

[مِنْ بَنِي تَيْمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: عَمْرُو بنُ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو ابنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، قُتِلَ بِالقادِسِيّةِ مَعَ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ. رَجُلٌ.

وَذَكَرَ عَمْرَو بنَ عُثْمانَ التَّيْمِيَّ، وأنّهُ قُتِلَ بالقادِسِيّةِ مَعَ سَعْدِ بنِ أبِي وقّاصٍ، والقادِسِيّةُ آخِرُ أرْضِ العَرَبِ، وأوّلُ أرْضِ السّوادِ، وفي أيّامِها قُتِلَ رُسْتُمُ مَلِكُ الفُرْسِ في يَوْمٍ مِنْ أيّامِها يُسَمّى يَوْمَ[1] الهَرِيرِ، وكانَ قَدْ أقْبَلَ بِالفِيَلَةِ وجُمُوعٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِها، والمُسْلِمُونَ في عَدَدٍ دُونِ العُشْرِ مِنْ عدد المجوس، فكانَ الظّفَرُ لِلمُسْلِمِينَ[2]، وكانَ الأمِيرُ عَلَيْهِمْ سَعْدَ بنَ أبِي وقّاصٍ، وخَبَرُها طَوِيلٌ يَشْتَمِلُ عَلى أعاجِيبَ مِنْ فتْحِ اللهِ تَعالى عَلى هَذِهِ الأُمّةِ اسْتَقْصاها سَيْفُ بنُ عُمَرَ[3] في كِتابِ «الفُتُوحِ»، ثُمّ الطّبَرِيّ بَعْدَهُ[4]، وسُمّيَت القادِسِيّةُ بِرَجُلٍ من الهراة، وكانَ كِسْرى قَدْ أسْكَنَهُ بِها اسْمُهُ: قادِسٌ، وقيل: سُمِّيت بِقَوْمٍ نَزَلُوها مِنْ قادِس، وقادِس بِخُراسانَ، وأمّا القادِسُ في لُغَةِ العَرَبِ فمِنْ أسْماءِ السّفِينةِ[5].

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ب): «يوم يسمّى».

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ٥٦٣) وما بعدها.

(٣) سيف بن عمر الأسيدي التميمي، كوفي، من أصحاب السير، له كتاب «الردة والفتوح»، تُوفي نحو سنة (٢٠٠هـ). انظر: «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٣٧)، و«الأعلام» للزركلي: (٣: ١٥٠).

(٤) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ٤٨٠) وما يليها.

(٥) القادس: السفينة العظيمة.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْـزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُـرّةَ بنِ كَعْبٍ: هَبّارُ بنُ سُفيانَ بنِ عَبْدِ الأسَدِ، قُتِلَ بِأجْنادِينَ مِنْ أرْضِ الشّامِ، في خِلافةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، وأخُوهُ عَبْدُ الله بنُ سُفيانَ، قُتِلَ عامَ اليَرْمُوكِ بِالشّامِ، في خِلافةِ عُمَرَ ابنِ الخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، يُشَكُّ فيهِ أقُتِلَ ثَمَّ أمْ لا، وهِشامُ بنُ أبي حُذَيْفةَ ابنِ المُغيرةِ. ثَلاثةُ نَفرٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ فيمَنْ قَدِمَ مِنَ الحَبَشةِ هِشامَ بنَ أبي حُذَيْفةَ بنِ المُغيرةِ [بنِ عبدِ اللهِ][1] ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، واسْمُ أبي حُذَيْفةَ مُهَشِّمٌ، وذكر الواقِدِيُّ هِشامًا هَذا فيمَنْ قَدِمَ مِنَ الحَبَشةِ، غَيْرَ أنّهُ قالَ فيهِ: هاشِمٌ[2]، ولَمْ يَذْكُرْهُ مُوسى بنُ عُقْبةَ، ولا[3] أبُو مَعْشَرٍ في القادِمِينَ مِنَ الحَبَشةِ.

* * *

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (٤/ ١/ ٩٩).

(٣) في (ب): «وأبو معشر».

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: حاطِبُ بنُ الحارِثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وابناه مُحَمَّدٌ والحارِثُ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ المُجَلِّلِ. هلك حاطِبٌ هنالك مُسْلِمًا، فقَدِمَت امْرَأَتُهُ وابناهُ، وهِيَ أُمُّهُما، في إحْدى السَّفِينَتَيْنِ، وأَخُوهُ حَطّابُ بنُ الحارِثِ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فُكَيْهةُ بِنْتُ يَسارٍ، هَلَكَ هُنالِكَ مُسْلِمًا، فقَدِمَت امْرَأَتُهُ فُكَيْهةُ في إحْدى السَّفِينَتَيْنِ، وسُفيانُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبٍ، وابناهُ جُنادةُ وجابِرٌ، وأُمُّهُما مَعَهُ حَسَنةُ، وأخُوهُما لِأُمِّهِما شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنةَ، وهَلَكَ سُفيانُ وهَلَكَ ابناهُ جُنادةُ وجابِرٌ في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. سِتّةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ ابنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ الشّاعِرُ، هَلَكَ بِأَرْضِ الحَبَشةِ، وقَيْسُ ابنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ. وأبو قَيْسِ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، قُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ في خِلافةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعَبْدُ اللهِ بنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ ابنِ سَهْمٍ، وهُوَ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى كِسْرى، والحارِثُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، ومَعْمَرُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، وبِشْرُ بنُ الحارِثِ ابنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، وأَخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقالُ لَهُ: سَعِيدُ بنُ عَمْرٍو،

قُتِلَ بِأَجْنادِينَ في خِلافةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، وسَعِيدُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسٍ، قُتِلَ عامَ اليَرْمُوكِ في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، والسّائِبُ ابنُ الحارِثِ بنِ قَيْسٍ، جُرِحَ بِالطّائِفِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ. وقُتِلَ يَوْمَ فِحْلٍ في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، ويُقالُ: قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ، يُشَكُّ فيهِ، وعُمَيْرُ بنُ رِئابِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ مُهَشِّمِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، قُتِلَ بِعَيْنِ التَّمْرِ مَعَ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ مُنْصَرَفَهُ مِن اليَمامةِ، في خِلافةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ. أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، هَلَكَ بِأَرْضِ الحَبَشةِ، وعَدِيُّ ابنُ نَضْلةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ، هَلَكَ بِأَرْضِ الحَبَشةِ. رَجُلانِ.

[تَوْلِيةُ عُمَرَ النُّعْمانَ على مَيْسانَ ثُمَّ عَزْلُهُ]

وَقَدْ كانَ مَعَ عَدِيٍّ ابنُهُ النُّعْمانُ بنُ عَدِيٍّ، فقَدِمَ النُّعْمانُ مَعَ مَنْ قَدِمَ مِن المُسْلِمِينَ مِنْ أَرْضِ الحَبَشةِ، فبَقِيَ حَتّى كانَتْ خِلافةُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، فاسْتَعْمَلَهُ على مَيْسانَ مِنْ أَرْضِ البَصْرةِ، فقالَ أبياتًا مِنْ شِعْرٍ، وهِيَ:

ألا هَلْ أتى الحَسْناءَ أنَّ حَلِيلَها ... بِمَيْسانَ يُسْقى في زُجاجٍ وحَنْتَمِ؟
إذا شِئْتُ غَنَّتني دَهاقِينُ قَرْيةٍ ... ورَقّاصةٌ تَجْذُو على كُلِّ مَنْسِمِ
فَإنْ كُنْتَ نَدْمانِي فبِالأكْبَرِ اسْقِنِي ... ولا تَسْقِنِي بِالأصْغَرِ المُتَثَلِّمِ
لَعَلَّ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ ... تَنادُمُنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

فَلَمّا بَلَغَتْ أبياتُهُ عُمَرَ، قالَ: نَعَمْ واللهِ، إن ذلك ليسوءني، فمَنْ لَقِيَهُ

فلْيُخْبِرْهُ أنِّي قَدْ عَزَلْتُهُ. وعَزَلَهُ. فلَمّا قَدِمَ عَلَيْهِ اعْتَذَرَ إلَيْهِ وقالَ: واللهِ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، ما صَنَعْتُ شَيْئًا مِمّا بَلَغَكَ أنِّي قُلْتُهُ قَطُّ، ولَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً شاعِرًا، وجَدْتُ فضْلًا مِنْ قَوْلٍ، فقُلْتُ فيما تَقُولُ الشُّعَراءُ. فقالَ لَهُ عُمَرُ: وايْمُ اللهِ، لا تَعْمَلُ لِي على عَمَلٍ ما بَقِيتُ وقَدْ قُلْتَ ما قُلْتَ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ: سَلِيطُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابنِ عَبْدِ وِدٍّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وهُوَ كانَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى هَوْذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنَفي بِاليَمامةِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكٍ: عُثْمانُ بنِ عبدِ غَنْمِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادٍ، وسَعْدُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ بنِ لَقِيطِ بنِ عامِرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وعِياضُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادٍ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

فَجَمِيعُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، ولَمْ يَقْدَمْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكّةَ، ومَنْ قَدِمَ بَعْدَ ذلك، ومَنْ لَمْ يَحْمِلِ النَّجاشِي في السَّفِينَتَيْنِ: أرْبَعةٌ وثَلاثُونَ رَجُلًا.

[الهالِكُونَ مِنْهُمْ]

وَهَذِهِ تَسْمِيةُ جُمْلةِ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ ومِنْ أبنائِهِمْ بِأرْضِ الحَبَشةِ:

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُبَيْدُ اللهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ، ماتَ بِها نَصْرانِيًّا.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ: حاطِبُ بنُ الحارِثِ، وأخُوهُ حَطّابُ بنُ الحارِثِ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ ابنِ قَيْسٍ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: عُرْوةُ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفٍ، وعَدِيُّ بنُ نَضْلةَ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنَ الأبناءِ]

وَمِنْ أبنائِهِمْ، مِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: مُوسى بنُ الحارِثِ بنِ خالِدِ بنِ صَخْرِ ابنِ عامِرٍ. رَجُلٌ.

[مُهاجِراتُ الحَبَشةِ]

وَجَمِيعُ مَنْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ مِن النِّساءِ، مَنْ قَدِمَ مِنْهُنَّ، ومَنْ هَلَكَ هُنالِكَ: سِتَّ عَشْرةَ امْرَأةً، سِوى بَناتِهِنَّ اللّاتِي وُلِدْنَ هُنالِكَ، مَنْ قَدِمَ مِنْهُنَّ، ومن هلك هنالِك، ومَنْ خَرَجَ بِهِ مَعَهُنَّ حِينَ خَرَجْنَ:

[مِنْ قُرَيْشٍ]

مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي هاشِمٍ: رُقَيّةُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ.

[مِنْ بَنِي أُمَيّةَ]

وَمِنْ بَنِي أُمَيّةَ: أُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ، مَعَها ابنَتُها حَبِيبةُ، خَرَجَتْ بها مِنْ مَكّةَ، ورَجَعَتْ بِها مَعَها.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ، قَدِمَتْ مَعَها بِزَيْنَبِ ابنَتِها مِنْ أبي سَلمةَ ولدتها هنالك.

[مِنْ بَنِي تَيْمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْم بن مُرّةَ: رَيْطةُ بِنْتُ الحارِثِ بن جُبَيْلَةَ، هَلَكَتْ بالطَّرِيقِ، وبِنْتانِ لَهَا كانَتْ ولَدَتْهُما هُنالِكَ: عائِشةُ بِنْتُ الحارِثِ، وزَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ، هَلَكْنَ جَمِيعًا، وأَخُوهُنَّ مُوسى بنُ الحارِثِ، مِنْ ماءٍ شَرِبُوهُ في الطَّرِيقِ، وقَدِمَتْ بِنْتٌ لَهَا ولَدَتْها هُنالِكَ، فلَمْ يَبْقَ مِنْ ولَدِها غَيْرُها، يُقالُ لَهَا: فاطِمةُ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو: رَمْلةُ بِنْتُ أبي عَوْفِ بنِ ضُبَيْرَةَ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: لَيْلى بِنْتُ أبي حَثْمةَ بنِ غانِمٍ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: سَوْدةُ بِنْتُ زَمْعةَ بنِ قَيْسٍ، وسَهْلةُ بِنْتُ سُهَيْلِ ابنِ عَمْرٍو، وابنةُ المُجَلَّلِ، وعَمْرةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بنِ وقْدانَ، وأُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو.

[مِنْ غَرائِبِ العَرَبِ]

وَمِنْ غَرائِبِ العَرَبِ: أَسَماءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بنِ النُّعْمانِ الخَثْعَمِيَّةُ، وفاطِمةُ بِنْتُ صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُحَرَّثٍ الكِنانِيَّةُ، وفُكَيْهةُ بِنْتُ يَسارٍ، وبَرَكةُ بِنْتُ يَسارٍ، وحَسَنةُ أُمُّ شُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنةَ.

[أبناؤُهُمْ بِالحَبَشةِ]

وَهَذِهِ تَسْمِيةُ مَنْ وُلِدَ مِنْ أبنائِهِمْ بِأَرْضِ الحَبَشةِ:

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

وَمِنْ بَنِي هاشِمٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: مُحَمَّدُ بنُ أبي حُذَيْفةَ، وسَعِيدُ بنُ خالِدِ بنِ سَعِيدٍ، وأُخْتُهُ أَمةُ بِنْتُ خالِدٍ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: زَيْنَبُ بِنْتُ أبي سَلَمةَ بنِ الأَسَدِ.

[مِنْ بَنِي زُهْرَةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أزْهَرَ.

[مِنْ بَنِي تَيْمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ: مُوسى بنُ الحارِثِ بنِ خالِدٍ، وأخَواتُهُ: عائِشَةُ بِنْتُ الحارِثِ، وفاطِمَةُ بِنْتُ الحارِثِ، وزَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ.

[الذُّكُورُ مِنْهُم]

الرِّجالُ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ: عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ، ومُحَمَّدُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ، وسَعِيدُ ابنُ خالِدٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ المُطَّلِبِ، ومُوسى بنُ الحارِثِ.

[الإناثُ مِنْهُمْ]

وَمِن النِّساءِ خَمْسٌ: أَمةُ بِنْتُ خالِدٍ، وزَيْنَبُ بِنْتُ أبي سَلَمَةَ، وعائِشَةُ وزَيْنَبُ وفاطِمَةُ، بَناتُ الحارِثِ بنِ خالِدِ بنِ صَخْرٍ.

وَذَكَرَ فيمَنْ قَدِمَ مِنَ الحَبَشَةِ عبدَ اللهِ بنَ حُذافةَ، وأنّهُ الّذي أرْسَلَهُ رسول الله ﷺ إلى كِسْرى.

وَذَكَرَ أيْضًا سَلِيطَ بنَ عَمْرٍو، وأنّهُ كانَ رَسُولَ رسول الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ صاحِبِ اليَمامةِ.

فَأمّا كِسْرى فهُوَ أبْرَوِيزُ بنُ هُرْمُزَ بنِ أنوشِروان، ومَعْنى أبْرَوِيز: المُظَفَّرُ، فيما ذَكَرَ المَسْعُودِيّ[1]، وهُوَ الّذي كانَ غَلَبَ الرُّومَ، فأنْزَلَ اللهُ تعالى في

(١) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (١: ٢٧٥) وما بعدها.

قِصّتِهِمْ: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: ١-٣]، وأدْنى الأرْض: هي بُصْرى وفِلَسْطِينُ، وأذْرِعاتُ مِنْ أرض الشام، قاله الطَّبري[١].

وَذَكَرَ أبُو رِفاعةَ وثِيمةُ بنُ مُوسى بنِ الفُراتِ، قالَ: لما قَدِمَ عبدُ اللهِ بنُ حُذافةَ عَلى كِسْرى قالَ: يا مَعْشَرَ الفُرْسِ، إنّكُمْ عِشْتُمْ بِأحْلامِكُمْ لِعِدّةِ أيّامِكُمْ بغَيْرِ نَبيٍّ ولا كِتابٍ[٢]، ولا تملِكُ مِنَ الأرْضِ إلّا ما في يَدَيْك، وما[٣] لا تَمْلِكُ مِنْها أكْثَرُ، وقَدْ مَلَكَ الأرضَ قَبْلَك مُلُوكٌ أهْلُ دُنْيا وأهْلُ آخِرةٍ، فأخَذَ أهلُ الآخرة بِحَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيا، وضَيّعَ أهْلُ الدّنْيا حَظّهُمْ مِنَ الآخِرةِ، فاخْتَلَفُوا في سَعْيِ الدُّنْيا، واسْتَوَوْا في عَدْلِ الآخِرةِ، وقَدْ صَغّرَ هَذا الأمْرَ عِنْدَك أنّا أتَيْناك بِهِ، وقَدْ واللهِ جاءَك مِنْ حَيْثُ خِفْتَ، وما تَصْغِيرُك إيّاهُ بِالّذي يَدْفَعُهُ عَنْك، ولا تَكْذِيبُك بِهِ بِالّذِي يُخْرِجُك مِنْهُ، وفي وقْعةِ ذِي قارٍ عَلى ذَلِكَ[٤] دَلِيلٌ، فأخَذَ الكِتابَ فمَزَّقَهُ، ثُمّ قالَ: لِي مُلْكٌ هنيءٌ لا أخشى أنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ، ولا أُشارَكَ فيهِ، وقَدْ مَلَكَ فِرْعَوْنُ بَنِي إسْرائِيلَ، ولَسْتُمْ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ، فما يَمْنَعُنِي أنْ أمْلِكَكُمْ وأنا خَيْرٌ مِنْهُ! فأمّا هَذا المُلكُ، فقَدْ عَلِمْنا أنّهُ يَصِيرُ إلى الكِلابِ، وأنْتُمْ أُولَئِكَ تَشْبَعُ بُطُونُكُمْ، وتَأْبى عُيُونُكُمْ، فأمّا وقْعةُ ذِي قارٍ، فهي بِوَقْعةِ الشّامِ. فانْصَرَفَ [عَنْهُ][٥] عبدُ اللهِ.

وإنّما خَصَّ رسول الله ﷺ عبدَ اللهِ بنَ حُذافةَ بِإرْسالِهِ إلى كِسْرى؛ لِأنّهُ كانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا ويَخْتَلِفُ إلى بِلادِهِمْ، وكَذَلِك سَلِيطُ بنُ عَمْرٍو كانَ

(١) «تاريخ الرسل والملوك» (٢: ١٨٤) وما يليها.
(٢) في (ب) وحدها: «أو كتاب».
(٣) في (ب): «ولا تملك».
(٤) في (ب): «دليل على ذلك».
(٥) ليس في (ب).

يَخْتَلِفُ إلى اليَمامةِ، قالَ وثِيمةُ: ولَـمّا قَدِمَ سَلِيطُ بنُ عَمْرٍو العامِرِيُّ على هَوْذَةَ، وكانَ كِسْرى قَدْ تَوَجّهَ، قالَ: يا هَوْذَةُ، إنّه[١] سَوَّدَتْكَ أعْظُمٌ حائِلَةٌ[٢]، وأرْواحٌ في النّارِ، وإنّما السّيِّدُ مَنْ مُتِّعَ بالإيمانِ ثُمّ زُوِّدَ التّقْوى، إنّ قَوْمًا سَعِدُوا بِرَأْيِك فلا تَشْقَيَنَّ بِهِ، وإنّي آمُرُك بِخَيْرِ مَأْمُورٍ بِهِ، وأنْهاك عَنْ شَرِّ مَنْهِيٍّ عَنْهُ؛ آمُرُك بِعِبادةِ اللهِ، وأنْهاك عَنْ عِبادةِ الشّيْطانِ؛ فإنّ في عِبادةِ اللهِ الجَنّةَ، وفي عِبادةِ الشيطان النار، فإن قَبِلْتَ نِلْتَ ما رجوتَ، وأمِنْتَ ما خِفْتَ، وإنْ أبَيْتَ فبَيْنَنا وبَيْنَك كَشْفُ الغِطاءِ، وهَوْلُ المُطَّلَعِ، فقالَ هَوْذَةُ: يا سَلِيطُ، سَوّدَنِي مَنْ لَوْ سَوَّدَكَ شَرُفْتَ بِهِ، وقد كانَ لِي رَأْيٌ أخْتَبِرُ بِهِ الأُمُورَ فَقَدْتُه، فمَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِي هَواءٌ، فاجْعَلْ لِي فُسْحةً يَرْجِعُ إلَيّ رَأْيِي، فأُجِيبُك [بِهِ][٣] إنْ شاءَ اللهُ.

قـال: ومن شعـر عبد الله بن حُذافـةَ في رِسالَتِـهِ[٤] إلى كِسْـرى وقُدُومِهِ عَلَيْهِ[٥]: [من الطويل]

أبـى اللهُ إلّا أنّ كِسْـرى فَرِيسـةٌ ... لِأوّلِ داعٍ بالعِـراقِ مُحَمّـدا
تَقاذَفَ فـي فُحْشِ الجَوابِ مُصَغَّرًا ... لِأمْرِ العُرَيْـبِ الخائِضِينَ لَهُ الرَّدى
فَقُلْـتُ لَـهُ: أرْوِدْ؛ فإنّـك داخِـلٌ ... مِنَ اليَوْمِ فـي البَلوى ومُنْتَهَبٌ غَدا

(١) في (ب): «إنك».
(٢) أي: متغيرة اللون، يقال: حال لونه: تغيَّر واسودّ، وفي الحديث: نهى عن أن يستنجي الإنسان بعظْم حائل. كنى بذلك عن فناء من سوّدوه.
(٣) ليس في (ب).
(٤) في (ب): «رسالة كسرى».
(٥) انظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: (ص: ٢٣٤-٢٣٥، ٢٥٧)، وتعليق الأستاذ محمود شاكر حول نسبة عبد الله بن حذافة إلى الشعر.

فَأقْبِـل وأَدْبِـرْ حَيْـثُ شِـئْتَ فإنّنا ... لَنا المُلكُ فابْسُـطْ لِلمُسالَمةِ اليَدا

وَإلّا فأمْسِـكْ قارِعًـا سِـنّ نـادِمٍ ... أقَـرّ بُـذُلِّ الخَرْج أو مُـتْ مُوَحِّدا

سَـفِهْتَ بِتَمْزِيـقِ الكِتـابِ وهَذِهِ ... بِتَمْزِيـقِ مُلكِ الفُرْسِ كفِّـي مُبَدّدا

وَقالَ هَوْذةُ بنُ عَلِيٍّ في شَأْنِ سَلِيطٍ: [من الطويل]

أتانِـي سَـلِيطٌ والحَـوادِثُ جَمّةٌ ... فقُلـتُ لَـه: مـاذا تقُولُ سَـلِيطُ؟

فَقـالَ الّتِـي فيهـا عَلَـيَّ غَضاضةٌ ... وفيهـا رَجـاءٌ مُطْمِـعٌ وقُنُـوطُ

فَقُلت لَـهُ: غابَ الّذِي كُنْتُ أجْتَلِي ... بِهِ الأمْـرَ عَنّي فالصّعُـودُ[1] هُبُوطُ

وَقَـدْ كانَ لِـي واللهُ بالِـغُ أمْـرِهِ ... أبـا النَّضْرِ جَأْشٌ فـي الأُمُورِ رَبِيطُ

فَأذْهَبَـهُ خَـوْفُ النّبِـيّ مُحَمّـدٍ ... فهَـوْذةُ فَهٌّ فـي الرّجالِ سَـقِيطُ[2]

فَأجْمَعُ أمْرِي في[3] يَمِينٍ وشَـمْألٍ ... كَأنّـي رَدُودٌ لِلنِّبـالِ لَقِيطُ[4]

فَأذْهَـبَ ذاكَ الرّأْيَ إذْ قـالَ قائِلٌ: ... أتـاك رَسُـولٌ لِلنّبِـيّ خَبِيـطُ

رَسُـولُ رسـول الله راكِبُ ناضِح ... عَلَيْـهِ مِـنَ اوْبـارِ الحِجـازِ غَبيطُ

سَـكِرْتُ ودَبّتْ في المَفارِقِ وَسْنةٌ ... لَهـا نَفَسٌ عالِـي الفُـؤادِ غَطِيطُ[5]

أُحـاذِرُ مِنْـهُ سَـوْرةً هاشِـمِيّةً ... فوارِسُـها وسْـطَ الرّجالِ عَبِيطُ[6]

فَـلا تُعْجِلَنِّـي يـا سَـلِيطُ فإنّنـا ... نُبـادِرُ أمْـرًا والقَضـاءُ مُحِيـطُ

---

(١) في (ف): «والصعود».

(٢) في (ج): «رأي النبي». وفَهٌّ: عَيِيٌّ يزل في أموره. والسقِيط: الناقص العقل.

(٣) في (ف): «من».

(٤) في (أ)، (ج)، (س): «يمين وشمال»، وفي (أ): «كأني ودود».

(٥) في (ب): «ودَبّت»، ورسم فوق الباء فاء؛ كأنه يجيز: «ودَفّ». وفي (ج)، (س)، (ص)، (ف): «ودقّت». وكأنّ الصواب ما أثبت، يقال: دبَّ الشيء في الشيء: سرى، والشراب في الجسد. وفي (هـ): «على الفؤاد». وعالى الشيءَ: صَعِدَه. ويقال: غَطَّ النائم يغِطُّ غطيطًا: صات ونخر.

(٦) أراد أنهم يسقطون صَرعَى، شبههم بالذبيحة ينحرها صاحبها من غير علة.

وَسَنَذْكُرُ بَقِيَّةَ أَرْسالِ النَّبِيِّ ﷺ إلى المُلُوكِ، وما قالُوا، وما قِيلَ لَهُمْ فيما بَعْدُ إنْ شاءَ اللهُ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ نَوْمِ رسول الله ﷺ عَنِ الصّلاةِ مَقْفَلَهُ مِنْ خَيْبَرَ[1]، وهَذِهِ الرّوايةُ أَصَحُّ مِنْ قَوْلِ مَنْ قالَ: كانَ ذَلِكَ في غَزاةِ حُنَيْنٍ، ومَنْ قالَ في رِوايَتِهِ لِلحَدِيثِ: كانَ ذَلِكَ عامَ الحُدَيْبِيَةِ، فلَيْسَ بِمُخالِفٍ لِلرّوايةِ الأُولى، وأمّا رِوايةُ ابنِ إسْحاقَ لِلحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ مُرْسَلًا، فهَكَذا رَواهُ مالِكٌ[2] وأَكْثَرُ أصْحابِ الزُّهْرِيّ، ورَواهُ عَنْهُ صالِحُ بنُ أَبِي الأَخْضَرِ، وقالَ فيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرةَ، قالَهُ التِّرْمِذِيّ[3]، وقالَ أَبُو داوُدَ[4]: قَدْ رَواهُ أَيْضًا عَنِ الزُّهْرِيّ مُسْنَدًا يُونُسُ بنُ يَزِيدَ، ومَعْمَرٌ، مِنْ طَرِيقِ أبانَ العَطّارِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْهُ، وكَذَلِكَ رَواهُ الأَوْزاعِيُّ مُسْنَدًا أَيْضًا، وذَكَرَ فيهِ هُوَ وأبانُ العَطّارُ أنّهُ أَذَّنَ وأَقامَ في تِلكَ الصّلاةِ حِينَ خَرَجَ مِن الوادِي، ولَمْ يَذْكُرِ الأَذانَ مِنْ رُواةِ الحَدِيثِ إلّا قليلٌ.

[تمَّ الجزء السادس بعون الله تعالى ورِعايته][5]

(١) انظر الخبر في «سيرة ابن هشام» فيما سبق (ص: ٤٩٣). (ج)
(٢) «الموطأ»، كتاب وقوت الصلاة: (١: ١٣-١٤).
(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب التفسير، تفسير سورة طه: (١٢: ٢٠).
(٤) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (١: ١٨-١٩).
(٥) هذه العبارة من صنيعنا. (ج)

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

❊ ❊ ❊